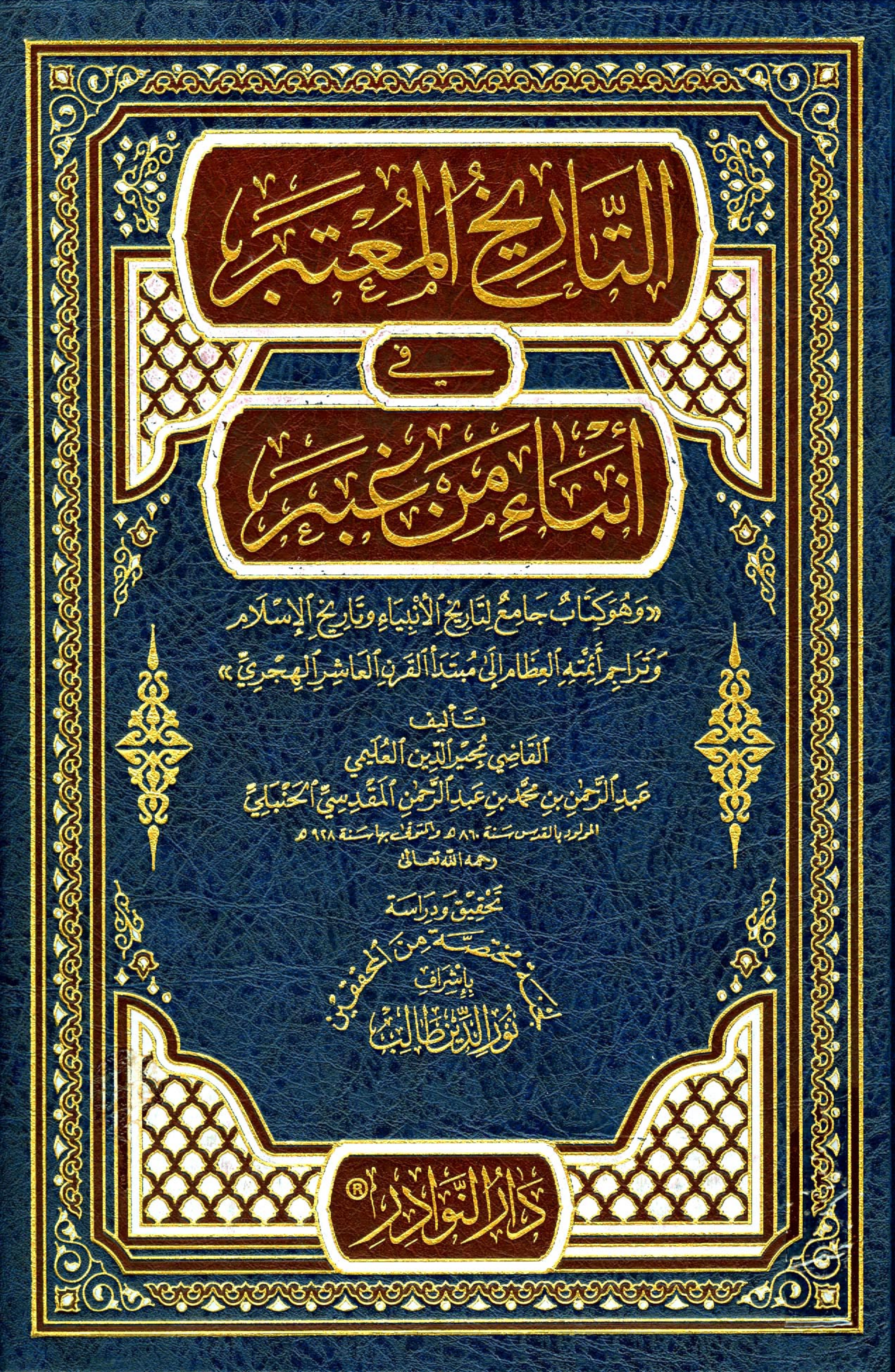
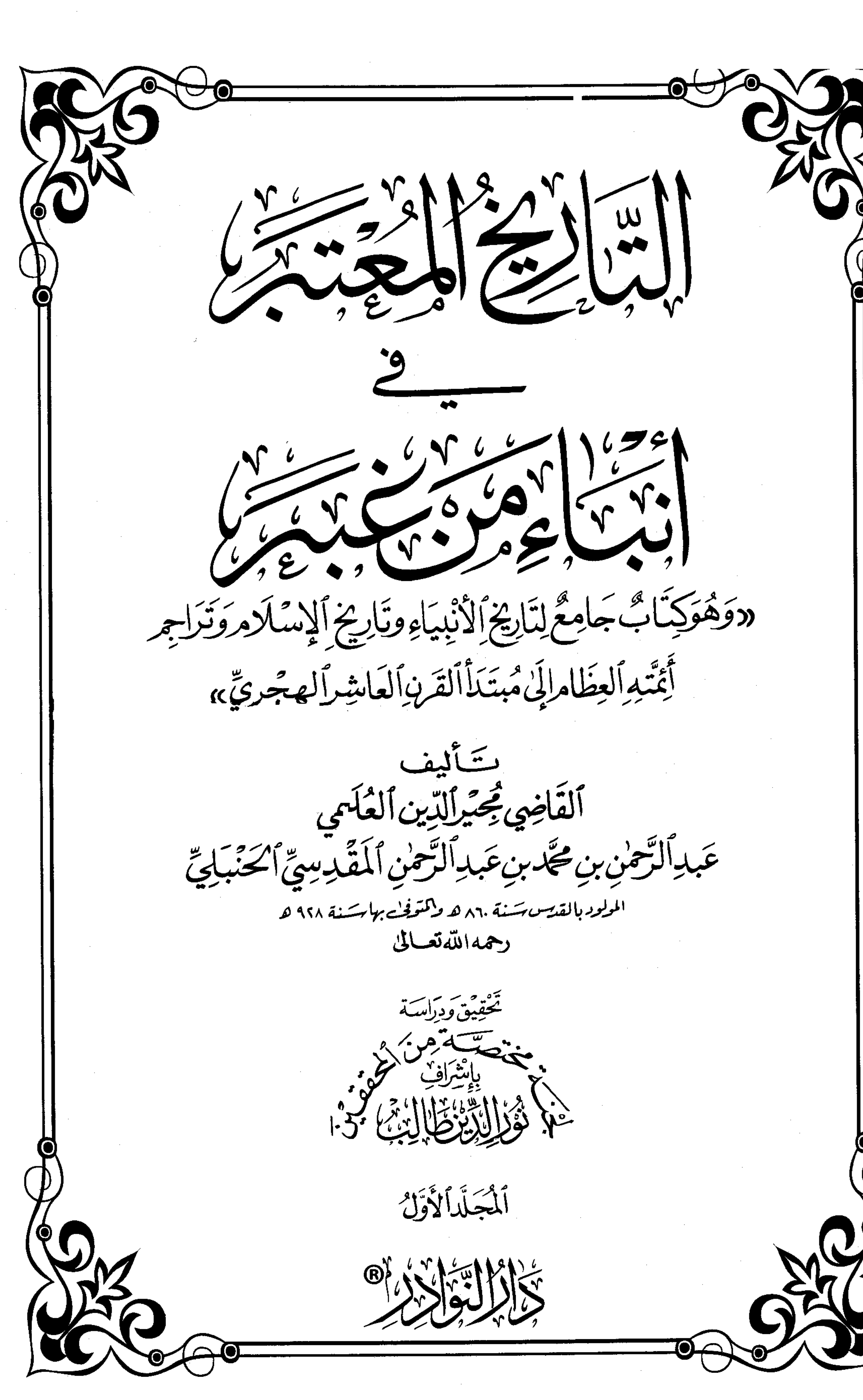


التاريخ المعتبر
في
أنباء من غبر
«وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام
وتراجم أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»
تأليف
القاضي مجير الدين العليمي
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي
المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق ودراسة
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب
دار النوادر ®



التاريخ المعتبر في أنباء من غبر

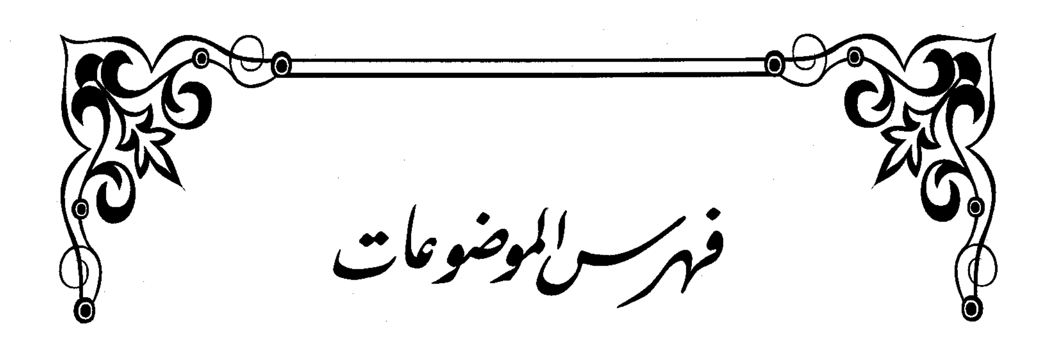
«وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام وتراجم
أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»

تأليف
القاضي مجير الدين العليمي
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي
المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب

المجلد الأول

دار النوادر ®



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الخلافة الراشدة

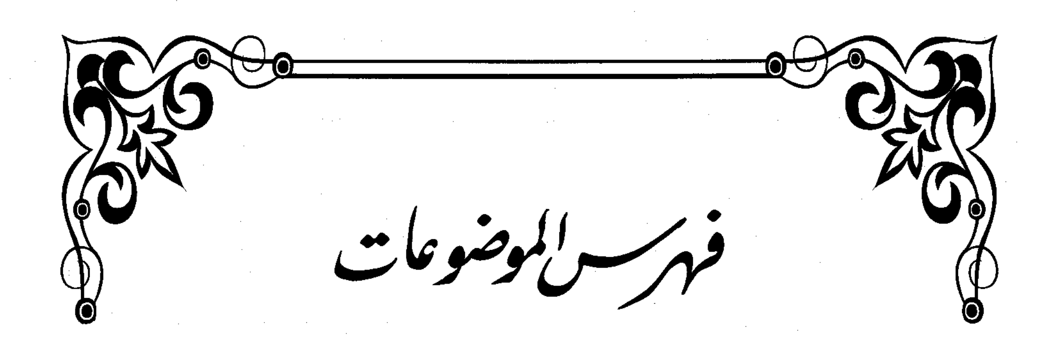
الدولة الأموية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
خلافة الطائع لله	٣٨٩
خلافة القادر بالله	٣٩٠
خلافة القائم بأمر الله	٣٩٢
خلافة المقتدي بأمر الله	٣٩٣
خلافة المستظهر بالله	٣٩٤
خلافة المسترشد بالله	٣٩٥
خلافة الراشد بالله	٣٩٦
خلافة المقتفي لأمر الله	٣٩٧
خلافة المستنجد بالله	٣٩٩
خلافة المستضيء بأمر الله	٤٠٠
خلافة الناصر لدين الله	٤٠١
خلافة الظاهر بأمر الله	٤٠٣
خلافة المستنصر بالله	٤٠٤
خلافة المستعصم بالله، وهو آخرهم	٤٠٥
ذكر استيلاء التتر على بغداد، وانقراض الدولة العباسية	٤٠٥
* فهرس الموضوعات	٤٠٩





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الدولة العلوية الفاطمية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تراجم الأعيان

الموضوع	الصفحة

❐ ❐ ❐




فهرس موضوعات
المجلد الثالث

الموضوع	الصفحة

الفهارس العامة





مُقَدِّمَة التَّحْقِيق

إنَّ الحمدَ لله نحمـدُه ونستعينُـه ونستغفرُه، ونعـوذ بالله من شرورِ أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضـلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وصلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبه وسلم.

أمّا بعـد:

فإنَّ التاريخَ: علمٌ يُبْحثُ فيه عن معرفة أحوال الجماعات وبُلدانهم ورسُومِهم وعاداتهم وصَنائعهم وأنسابهم ووفَياتهم.

وموضوعه: أحوالُ الأشخاصِ الماضيةِ؛ من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسَّلاطين وغيرِهم.

والغرضُ منه: الوقوفُ على الأحوالِ الماضيةِ من حيث هِيَ وكما كانت[١].

(١) انظر: «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ٦).

* ولكتب التاريخِ وأخبارِه فوائـدُ كثيرة، ومنافـعُ دنيويةٌ وأُخْرويةٌ جمَّةٌ غزيرة[1]:

* **فمن الفوائد الدنيوية:**

- أنَّ الإنسانَ لا يخفى أنـه يحِبُّ البقاء، ويؤثـر أن يكون في زُمرة الأحيـاء، فأيُّ فرقٍ يكون بين ما رآه أمـسِ أو سمعـه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبارَ الماضينَ وحوادثَ المتقدمين، فإذا طالَعها فكأنَّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضَرهم.

- **ومنها:** أنَّ الملوكَ ومَنْ إليهم الأمرُ والنهي إذا وقَفوا على ما فيها من سيرة أهل الجَـور والعـدوان ورأَوْها مدوَّنـة في كتبٍ يتناقلها الناسُ فيرويها خلفٌ عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذِّكـر وقبيح الأُحدوثـة، وخرابِ البـلاد، وهلاك العبـاد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها وأَعْرضوا عنها واطَّرحوها.

وإذا رأَوْا سيرةَ الوُلاة العادلين وحسنَها وما يتبعها من الذِّكر الجميل بعد ذهابهم، وأنَّ بلادهم وممالكهم عَمَرت، وأموالَها درَّت، استحسنُوا ذلك ورَغِبوا فيه وثابروا عليه وتَركوا ما ينافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصَّائبة التي دفعوا بها مضرَّات الأعداء، وخَلُصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائسَ المدنِ وعظيمَ الممالك، ولو لم يكن فيها

---

(١) انظر هذه الفوائد في «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٩ ـ ١٠).

غيرُ هذا لكفى به فخراً.

- **ومنها**: ما يحصل للإنسان من التَّجارِب والمعرفة بالحوادث، وما تصير إليه عواقبُها، فإنه لا يحدُث أمرٌ إلا قد تقدَّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً، ويُصْبح لأَنْ يُقتدى به أهلاً.

- **ومنها**: ما يتجمَّل به الإنسانُ في المجالس والمحافل من ذكرِ شيء من معارفِها، ونقلِ طَرِيفة من طرائفها، فترى الأسماعَ مُصْغيةً إليه، والوجوهَ مُقْبلةً عليه، والقلوبَ متأمِّلةً ما يوردِه ويصدُرُه، مستحسنةً ما يذكرُه.

*** وأما الفوائد الأخروية:**

- **فمنها**: أنَّ العاقلَ اللَّبيبَ إذا تفكَّر فيها ورأى تقلُّبَ الدُّنيا بأهلها، وتتابعَ نكَباتها إلى أعيان قَاطِنيها، وأنها سَلَبت نفوسَهم وذخائِرَهُم، وأعْدَمت أصاغِرَهُم وأكابرهم، فلم تُبْقِ على جليلٍ ولا حقير، ولم يَسْلَم من نكَدها غنيٌّ ولا فقير، زَهِدَ فيها وأعرضَ عنها وأقبلَ على التزوُّد للآخرة منها، ورَغِبَ في دار تنزَّهت عن هذه الخصائص، وسَلِمَ أهلُها من هذه النقائص.

- **ومنها**: التخلُّق بالصَّبر والتأسِّي، وهما من محاسن الأخلاق، فإنَّ العاقلَ إذا رأى أنَّ مُصَابَ الدُّنيا لم يَسْلَم منه نبيٌّ مُكَرَّمٌ ولا مَلِكٌ معظَّمٌ، بل ولا أحدٌ من البشر، عَلِمَ أنه يُصيبه ما أصابهم، ويَنُوبه ما نَابَهم.

وهَــلْ أَنَــا إلا مِــنْ غَزِيَّــةَ إنْ غَــوَتْ
غَويــتُ وإنْ تَرْشُــدْ غَزِيَّــةُ أَرْشُــدِ

ولهـذه الحكمـة وردت القصص في القرآن المجيـد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[قَ: ٣٧]، فإنْ ظَنَّ هذا القائلُ أنَّ الله سبحانه أراد بذكرهـا الحكاياتِ والأسمارَ فقـد تمسَّكَ من أقوال الزَّيغِ بمُحْكَم سببِها حيث قالوا: هذه أساطيرُ الأولينَ اكْتَتبها.

وهذا كتابٌ نفيسٌ حاوٍ للفوائدِ الدُّنيوية والأُخروية جمعاً، للإمام العلاَّمة مُجير الدِّين العُلَيميِّ الحنبلي، وَسَمه بـ «التَّاريخ المعتبر في أنباء مَنْ غَبر» ذكَر فيه من الحوادث العجيبة والوقائع الغريبة والعبر، وأخبارِ مَنْ فات ومَنْ حضر، ما ترتاحُ لسماعـه القلوب، وما يزُول عن مطالعه ما يجـده من الهمِّ والكُروب، أوردَ فيـه أخبـارَ الأنبيـاءِ وأحـوالَ الأممِ والملوكِ، وذكر تراجمَ الأعيانِ من الصَّحابة والتابعين والأئمة المَرْضيين، مُعرِّجاً على ذكر الحكماء والصُّلحاء والشعراء، مُؤْثراً في سرده الاختصار، على التطويل والإكثار، بأسلوب سهلٍ بعيدٍ عن التعقيد في ذكر الأحداث، مبوِّباً لذلك أحسنَ تبويب.

فقد ابتدأ كتابَه بقصص الأنبياء؛ بذكـرِ آدمَ وانتهـاء بعيسى عليهما السلام.

ثم ذكرَ أممَ اليهودِ والنَّصارى والهنـد والسِّند والسُّودان وغيرِهم، حاكياً فيها الأمـور العِجَـاب، مُورداً جملةً من الإسرائيليات على سبيل

التحلِّي بها والتندُّر، لا على سبيل الاستشهاد والاحتجاج.

ثم ذكـر سيـرةَ النبيِّ ﷺ بأسلوبٍ مختصَـرٍ مَلِيح حتى انتهـى إلى وفاتِه ﷺ.

ثم أتى على ذكر الخُلفاء الراشدين الأربعـةِ وما جرى في خلافاتهم من وقائعَ وأحداثٍ.

ثم أتْبعهم بذكر خلفاءِ بني أميةَ مُبتَدِأً بمعاويةَ بن أبي سفيانَ رضي الله عنه، خاتماً بخلافةِ مروانَ بنِ محمد.

ثم أعقبهم بذكر خلفاءِ بني العبَّاس مبتدأً بخلافة أبي العباس السَّفَّاح، وخاتماً بخلافة المُستعصم بالله.

ثم ذكر خلفاءَ الدَّولةِ العَلَوِّية الفاطميَّـة، والخلفاءَ من بني العباس بالديار المصرية، وأخبارَ ملوكِ سلاطينِ الأيوبيين والمماليكِ حتى سلطنةِ قايتباي الظاهري سنةَ إحدى وتسع مئة.

ساردأً في أثناء ذلك كلِّه لُمعـاً من أخبارهم وأحوالهم ومواليدهم ووفيـاتهم، وما جـرى في ولاياتهم وسَلْطَنَاتهم من وقائـعَ وأحـداث، بذكرِها على ترتيب السَّنوات حَسْبَ الإمكان، وبذلك ينتهي الجزءُ الأول من كتابه.

ثم أفردَ الجزءَ الثاني منـه بذكر تراجمِ الأعيانِ من الأئمـة الأربعـة وغيـرِهم من التـابعين والعلمـاء الأعلام والرؤساء والوزراء والشـعـراء والقضاة على وجه الاختصار مُرَتَّبين على حروفِ المُعْجَم من غير التزامٍ

بترتيب الأسماء في كلِّ حرف كما ذَكَر، معرِّفاً باسم المترجَم وتاريخِ وَفاته وذكرِ شيء مِنْ سيرته إن تيسَّر على وجه الاختصار، جامعاً ما يزيد على ستِّ مئة عَلَم.

هذا وقد وفَّقنا الله للوقوف على نسخة خطيَّة نَفيسة منقولَةٍ عن نُسخة المؤلِّف التي كتبها بخطِّه، وهي مِنْ خزائن مكتبة جامعة برنستون، بالولايات المتحدة الأمريكية، تحت رقم (٢٢٦٣)، وتقع في جزأين، الأولِ منهما يقع في (١١٢) ورقة، والثاني في (٧٠) ورقة.

وقد كتبت سنة خمس وأربعين وتسع مئة.

وهي نسخةٌ جيدة مكتوبة بخطٍّ جيد، كُتبت فيها العناوينُ الرئيسةُ باللَّون الأحمر، وحُلِّيت بالهوامش والتَّصحيحات.

* **وقد كان العملُ في هذا الكتاب على النحو التالي:**

١ ـ نسخ الأصل الخطِّي بحسب قواعد ورسم الإملاء الحديث.

٢ ـ معارضةُ المنسوخ بالأصل الخطِّي للتأكُّد من سلامة النص واستقامته.

٣ ـ معارضةُ مادةِ المؤلّف التي سَرَدها بالأصول التي نقل عنها، وأكثرُها من «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء الحَمَوي، و«تتمة المختصر» لابن الوَرْدِي، كما أن جملةً من مادته متقاطعٌ مع مادة كتابه الحافِل الآخر: «الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل».

٤ ـ جعل الزِّيادات وما لا يقوم النص إلا به بين معكوفتين، مستفاداً من الكتب التي كان ينقل عنها المؤلف رحمه الله.

٥ ـ عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها، وإدراجها برسم المصحف الشريف في صُلْب النَّص.

٦ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الآثار، وهي قليلةٌ جداً.

٧ ـ ضبطُ الأماكن والبقاع والأعلام وما يُشْكِلُ لفظُه بالشكل المناسب.

٨ ـ كتابة مقدمة للكتاب وترجمة للمؤلف رحمه الله.

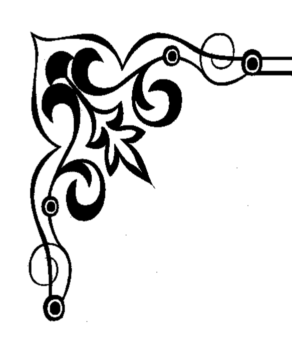
٩ ـ تذييل الكتاب بفهرسٍ للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، والأعلام المترجَم لهم، وفهرس للموضوعات.

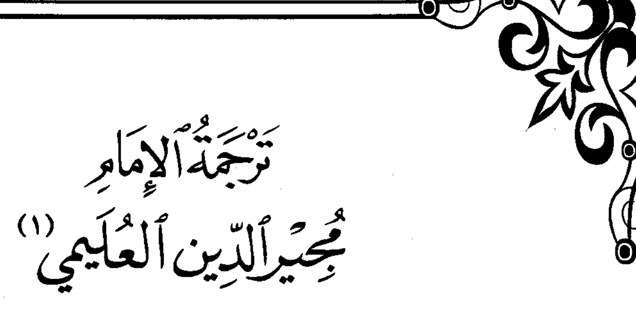
هذا ولا بدَّ من توجيه الشُّكر والعِرْفان للجنة العلمية التي ساهمت في إخراج هذا المُصنَّف النفيس، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلَّم.



٩ رمضان ١٤٣١هـ







ترجمة الإمام مجير الدين العليمي[1]

*** اسمه ونسبه وولادته:**

هو الإمام، المؤرخ، المفسر، الفقيه، القاضي، أبو اليمن، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف العليمي[2]،

---

(١) انظر ترجمته في المصادر التالية:

١ ـ «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٢).

٢ ـ «السحب الوابلة» لابن حُميد (ص: ٥١٦).

٣ ـ «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي (ص: ٨١).

٤ ـ «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب» لابن ضويان (ص: ٣٥٢).

٥ ـ «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٧٧، ٣٠٥)، (٢/ ١٧٣٢).

٦ ـ «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ٥٤٤).

٧ ـ «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٣١).

٨ ـ «معجم المؤلفين» لكحالة (٥/ ١٧٧).

٩ ـ «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٥/ ١٣٤).

(٢) العُلَيمي: بضم العين المهملة، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر الميم. نسبة إلى الشيخ علي بن عُلَيل، المشهور عند الناس بعلي بن عليم، =

العمري[1]، مجير الدين، المقدسي، الحنبلي[2].

ولد كما أخبر عن نفسه يوم الأحد، ثالث عشر ذي القعدة، سنة (٨٦٠هـ) بالقدس الشريف[3].

* * *

* نَشأتهُ وَطَلبهُ لِلعِلْمِ:

نشأ ـ رحمه الله ـ في حجر والده العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، وتفقه عليه، وأخذ عنه جملة من العلوم النافعة[4].

= والصحيح أنه عليل باللام، كذا في نسبه الثابت. انظر: «الأنس الجليل» للمؤلف (٢/ ٢٦٦)، و«المنهج الأحمد» له أيضاً (٥/ ٢٦٩).

(١) نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ سلسلة نسبه المتصلة بعمر رضي الله عنه في كتابيه: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٦)، و«المنهج الأحمد» (٥/ ٢٦٩).

(٢) أول من اشتغل بالعلم على مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من أسرته هو والده الشيخ الإمام محمد بن عبد الرحمن، وكل أسلافه شافعية، لم يكن منهم من هو على مذهب الإمام أحمد سواه. انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٢)، و«المنهج الأحمد» (٥/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «الأنس الجليل» للمؤلف (٢/ ١٨٩)، و«السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٧).

(٤) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٧)، و«النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٣).

وبدت عليه ـ رحمه الله ـ مخايل النجابة منذ الصغر؛ فقد حفظ: «ملحة الإعراب» للحريري، وعرضها على الشيخ محمد بن عبدالله القرمشندي، وله ست سنين[1]، ثم حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره على الشيخ علاء الدين علي بن عبدالله الغزي، وكرر عليه ختم القرآن مرات كثيرة، وأحضره مجلس شيخه محمد بن موسى بن عمران في الحديث، واعتنى له بتحصيل الإجازة منه[2].

ثم حفظ كلاً من «المقنع»، و«الخرقي»، وعرضهما على علماء بلده؛ كالكمال بن أبي شريف، وأبي الأسباط أحمد بن عبد الرحمن الرملي، والنجم ابن جماعة، وغيرهم.

ودخل القاهرة سنة (٨٨٠هـ)، وأقام بها عشر سنين، وحل على شيخه القاضي بدر الدين السعدي، وتفقه به، وسمع الحديث على جماعة، منهم: الحافظ السخاوي، والقطب الخيضري، والجلال البكري، وغيرهم.

وولي قضاء القدس، وكان من أمثل القضاة فيها[3]، والرملة، والخليل، ونابلس مدة إحدى وثلاثين سنة، لم يتخلل له منها عزل[4].

---

(١) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ١٨٩).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٢٣٧).

(٣) انظر: «السحب الوابلة» (ص: ٥١٦) نقلاً عن الحافظ السخاوي.

(٤) إلا قضاء نابلس، فإنه تركه باختياره بعد سنتين.

وقد حج سنة (٩٠٨هـ)، وأقام بمكة نحو شهر، ملازماً للتلاوة والعبادة، ثم انقطع بعد انفصاله عن القضاء بالمسجد الأقصى يدرس ويفتي ويؤلف[١].

* * *

* شُيُوخُهُ:

١ ـ والده الخطيب، الفقيه، المحدث، قاضي القضاة، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي.

ولد بمدينة الرملة سنة (٨٠٧هـ)، وولي قضاءها سنة (٨٣٨هـ)، ولم يعلم أن حنبلياً قبله وليها في هذه الأزمنة، ثم ولي قضاء القدس، والخليل، وصفد، وباشر نيابة الحكم بدمشق، وكان صحيح الاعتقاد، متبعاً للسنة، ينكر على المبتدعة وينافرهم، ويصرح في خطه ـ في كثير مما يكتبه ـ بالتبرؤ إلى الله تعالى ممن يعتقد خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يرى الكلام في علم الكلام، ويرى التسليم أسلم.

توفي بالطاعون سنة (٨٧٣هـ) بالرملة[٢].

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» (ص: ٥١٧ ـ ٥١٨).

(٢) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٢)، و«المنهج الأحمد» (٥/ ٢٦٢)، و«الدر المنضد» (٢/ ٦٦٤) ثلاثتها للمؤلف ـ رحمه الله ـ ولم يُشِر فيها إلى أنه والده، وكذا لم يشر إلى ذلك عندما ترجم له في كتابه هذا ـ أعني: «التاريخ المعتبر» ـ (٣/ ٢٧١) من مطبوعتنا. وهو عجيب وقوعه عند المصنفين. وانظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٩٣٢).

٢ ـ شيخ الإسلام، حافظ العصر، كمال الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي، الشافعي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: عرضت عليه في حياة الوالد ـ رحمه الله ـ قطعة من كتاب «المقنع في الفقه» على مذهب الإمام أحمد ﷺ، ثم عرضت عليه مرة ثانية ما حفظت بعد العرض الأول، وأجازني في شهور سنة (٨٧٣هـ)، وحضرت بعض مجالسه من الدروس والإملاء بالمدرسة الصلاحية. وحضرت كثيراً من مجالسه بالمسجد الأقصى الشريف، وحصلت الإجازة منه غير مرة؛ خاصة، وعامة.

وله تصانيف منها: «الإسعاد بشرح الإرشاد» في الفقه، و«الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع» في الأصول، وكتب قطعة على «صحيح البخاري»، وغير ذلك.

توفي سنة (٩٠٠هـ)[1].

٣ ـ الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، بدر الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن أبي بكر بن خالد السعدي المصري، الحنبلي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ شيخنا، وأستاذنا، وعالم عصرنا، سمع على الحافظ ابن حجر، وابن هشام، وعز الدين الكناني، وغيرهم.

قال المؤلف: ولقد أكرم مثواي عند تمثلي بين يديه، لمّا قدمت

(١) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٣٧٧).

عليـه إلى القاهـرة سنة (٨٨٠هـ)، وأقمـت تحت نظره للاشتغال بالعلم الشريف، فأحسن إليَّ، وتفضَّل عليَّ، وأفادني العلم، وعاملني بالحلم، ومكثت بالديار المصريـة نحـو عشر سنين إلى أن سافرت منها في سنة (٨٨٩هـ)، وأنا مشمول منه بالصِّلات، ومتصل من فضله بالحسنات.

توفي سنة (٩٠٢هـ)[1].

٤ ـ علاَّمة الزمان، عبدالله بن محمـد بن إسماعيل، تقي الدين، أبو بكر القرمشندي الشافعي، سبط الحافظ أبي سعيد العلائي.

قال المؤلـف ـ رحمـه الله ـ: شيخنا، الإمام، العلامـة، الحبـر، الفهامـة، أجازه جمـع من العلمـاء والحفـاظ، وأفتى ودرَّس، وناظـر وحدَّث، وسمع عليه الرحالون، وساد بيت المقدس.

قال المؤلف: وقد عرضت عليـه «ملحة الإعراب» سنة (٨٦٦هـ) بمنزله، ولي دون ست سنين، وهو أول شيخ عرضت عليـه، وتشرفت بالجلوس بين يـديـه، وأجـازني بالملحـة وبغيرهـا من كتب الحديـث الشريف، وما يجوز روايتـه، وكتب والدي الإجازة بخطه، وكتب الشيخ خطه الكريم عليها.

توفي سنة (٨٦٧هـ)[2].

---

(١) انظر: «المنهج الأحمد» (٥/ ٣١٥)، و«الدر المنضد» (٢/ ٦٩٥)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٥٨).

(٢) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ١٨٨).

٥ ـ الإمام، العالم، قاضي القضاة، علي بن إبراهيم البدرشي، نور الدين أبو الحسن المصري المالكي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: شيخنا، كان من أهل العلم، وقد قرأت عليه قطعة من آخر كتاب «الخرقي» قراءة بحث وفهم، ثم قرأت قطعة من أول «المقنع» قراءة بحث وفهم، فكان يقرر في العبارة تقريراً حسناً، لعل كثيراً من أهل المذهب لا يقرره، وقرأت عليه في النحو، ولازمت مجالسته، وترددت إليه كثيراً، وحصل لي منه غاية الخير والنفع.

توفي سنة (٨٧٨هـ)[١].

هذا وللمؤلف ـ رحمه الله ـ عدد كبير من الشيوخ الذين أخذ عنهم، ذكر منهم جملة في كتابه «الأنس الجليل»، فممن ذكره:

٦ ـ أحمد بن عبد الرحمن الرملي، شهاب الدين، أبو الأسباط الشافعي، المتوفى سنة (٨٧٧هـ)[٢].

٧ ـ أحمد بن علي اللُّدِّي الشافعي، سبط العلامة جمال الدين بن جماعة الكناني، المتوفى سنة (٨٨٠هـ)[٣].

٨ ـ أحمد بن عمر العميري، شهاب الدين، أبو العباس الشافعي،

---

(١) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ١٩٦)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٢/ ١٩).

المتوفى سنة (٨٩٠هـ)[١].

٩ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن، برهان الدين أبو إسحاق الأنصاري الخليلي الشافعي، المتوفى سنة (٨٩٣هـ)[٢].

١٠ ـ علي بن عبدالله بن محمد، علاء الدين الغزي الحنفي، المعروف بابن قاموا، المتوفى سنة (٨٩٠هـ)[٣].

١١ ـ محمد بن عبد الوهاب، شمس الدين، أبو مساعد الشافعي، المتوفى سنة (٨٧٣هـ)[٤].

١٢ ـ محمد بن موسى بن عمران الغزي، شمس الدين، أبو عبدالله المقدسي الحنفي، المتوفى سنة (٨٧٣هـ)[٥].

كما أخذ المؤلف ـ رحمه الله ـ عن الحافظ السخاوي، وطلب منه الإجازة.

قال ابن حُميد ـ نقلاً عن السخاوي ـ: كتب إليَّ سنة (٨٩٦هـ) يلتمس مني أن أُذيِّل له على «طبقات الحنابلة» لابن رجب، وأن أجيز له،

---

(١) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٠٣).

(٢) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٣٧).

(٤) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ١٩١).

(٥) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٢٩).

ثم قال: وقد دخل القاهرة، وجلس به شاهداً[1].

* * *

* تَـلَامِيذُهُ:

لم تذكر لنا المصادر التي ترجمـت للإمام العليمي الآخذين عنه، والمتتلمذين على يديه، ما خلا ما ذكره جار الله بن فهد المكي الشافعي المسند المؤرخ، المتوفى سنة (٩٥٤هـ)؛ حيث ذكر أنـه أخذ عن العليمي بعض مؤلفاته، وأجاز له روايتها[2].

وأفاد الدكتور عبد الرحمن العثيمين: أنه وقف على إجازة للإمام العليمي يجيز بها أحد تلامذته، وهو إبراهيم بن خليل القاقوني[3] الحنبلي، بكتاب: «التسهيل» في الفقه الحنبلي[4].

* * *

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٦).

(٢) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٨).

(٣) كذا ذكره الدكتـور العثيمين واستفهم عنده، ورأيـت في «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٢٢) ترجمة غرس الدين أبي القاسم خليل بن خليل الفراديسي الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة (٩١٤هـ)، فلعل هذا هو والد المجاز الذي ذكر، والله أعلم.

(٤) انظر: مقدمة «الدر المنضد» (ص: ٢٦).

* تَصَانِيفُهُ:

١ ـ «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»[١].

٢ ـ «ملخص من كتاب الأنس الجليل»[٢].

٣ ـ «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»[٣].

٤ ـ «الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد»[٤].

٥ ـ «الإعلام بأعيان دول الإسلام»[٥].

٦ ـ «التاريخ المعتبر في أنباء من غبر»، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

---

(١) قال ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨): وهو عظيم في بابه، أحيا به مآثر بلاده. وقال الغزي في «النعت الأكمل» (ص: ٥٥): الحاوي لكل غريبة وفائدة، وبتراجم البلدين كافل. وقد طبع الكتاب عدة طبعات، كان أولها في المطبعة الوهبية بمصر سنة (١٢٨٣هـ)، ثم طبع بعدها طبعات كثيرة لم تسلم من التصحيف والتحريف.

(٢) كذا نسبه إليه غير واحد من المحققين، وإنما هو قطعة من «الأنس الجليل»، وليس مختصراً، وتقع هذه القطعة في (٧١) ورقة، ضمن مجموع رقم (٢٤٠)، في المكتبة الظاهرية بدمشق.

(٣) طبع سنة (١٩٩٧م) بتحقيق مجموعة من المحققين، ونشرته دار صادر في بيروت، في ستة مجلدات.

(٤) وقد طبع الكتاب سنة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ونشرته مكتبة التوبة بالرياض في مجلدين.

(٥) ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨).

٧ ـ «تصحيح الخلاف المطلق في المقنع» لابن قدامة[١].

٨ ـ «الإتحاف» مختصر «الإنصاف» للمرداوي[٢].

٩ ـ «إتحاف الزائر وإطراف المقيم والمسافر»[٣].

---

(١) ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨).

(٢) ولم يعمل منه إلا النصف، كما ذكر ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨): وقال عنه المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه: «المنهج الأحمد» (٥/ ٢٩٠): وهو من كتب الإسلام، فإنه ـ أي: المرداوي صاحب «الإنصاف» ـ سلك فيه مسلكاً لم يسبق إليه، بيَّن فيه الصحيح من المذهب وأطال فيه الكلام، وذكر فيه كل مسألة ما نقل منها من الكتب وكلام الأصحاب، فهو دليل على تبحر مصنفه، وسعة علمه، وقوة فهمه، وكثرة اطلاعه.

(٣) كذا نسبه إليه البغدادي في «هدية العارفين» (١/ ٥٤٤). ونسبه حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٦) إلى أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي الدمشقي المتوفى سنة (٦١٣هـ). **قلت**: ولأبي اليمن عبد الصمد ابن عبد الوهاب المعروف بابن عساكر كتاب: «إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر» حققه حسين شكري، ونشرته دار الأرقم سنة (٢٠٠٠م). فلعله اختلط على صاحب «كشف الظنون»، حيث ذكر أولاً: «إتحاف الزائر» للشيخ الإمام ابن عساكر، هكذا، ثم ذكر بعده: «إتحاف الزائر وإطراف المقيم المسامر» للشيخ أبي اليمن زيد بن الحسن... إلخ. أما صاحب «هدية العارفين»، فكثيراً ما يقع عنده الخلط بين أسماء المؤلفين، ونسبة المؤلفات، وأسمائها.

١٠ ـ «فتح الرحمن في تفسير القرآن»[1].

١١ ـ «الوجيز» مختصر «فتح الرحمن»[2].

قال الغزي: وله غير ذلك من التآليف والفوائد، وكلها عليها الرونق والبهجة؛ لحسن إخلاصه، ومزيد اختصاصه[3].

* * *

* ثناء العلماء عليه، ووفاته:

١ ـ **قال الحافظ السخاوي:** أَمْثَلُ قضاةِ القدس، حسن السِّيرة، له شهرة بالفضل والإقبال على التاريخ، مع خطٍّ حسن ونَظْم[4].

٢ ـ **قال الغزي:** هو الإمام، العلامة، المسند، المؤرخ، الفقيه، المتفنن في سائر العلوم، المتحلي بقلائد المنطوق والمفهوم. . . ثم قال: الخطيب، الفقيه، المحدث، الأثري.

---

(١) وقد وفقنا الله تعالى لتحقيقه، ونُشر ضمن إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر سنة (١٤٢٩هـ) في سبع مجلدات.

(١) ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨).

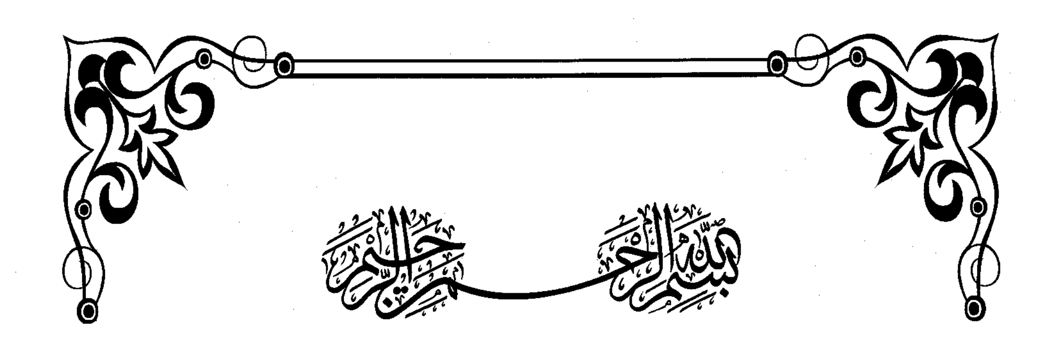
(٢) انظر: «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٥).

(٣) انظر: «السحب الوابلة» (ص: ٥١٦)، نقلاً عن «الضوء اللامع» للسخاوي، ولم أقف للسخاوي في «الضوء اللامع» على ذكرٍ للمؤلف ـ رحمه الله ـ.

* وكان قد توفي ـ رحمه الله ـ ببيت المقدس سنة (٩٢٨هـ)، رحمه الله تعالى، ورضي عنه[1].

❐ ❐ ❐

(١) انظر: «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٢).



وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله على ما أنعم به علينا من جزيل آلائه، والصلاة والسلام على سيد رسله وخاتم أنبيائه.

أمّا بعد:

فهذه أوراق تتضمن طرفاً من ذكر التاريخ، ترتاح لسماعه القلوب، ويزول عن مطالعه ما يجده من الهم والكُروب، لخصته على سبيل الاختصار، وأوجزتُ ألفاظَه على وجه الاقتصار، وذكرت فيه بعضَ ما وقع في الزمان الأول، والله حسبي، وعليه في كلِّ الأمور المعوَّل.

* * *

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الدنيا جُمعةٌ من جُمَع الآخرة، سبعةُ آلاف سنة، وقد مضى ستةُ آلاف سنة، [ومئتا سنة][1]، وليأتينَّ عليها مِئُون

(١) ما بين معكوفتين من «تاريخ الطبري».

من سنين ليس عليها مُوَحِّد[1].

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: أنـه قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[2]؛ يعني: أنه أشار بين الوسطى والسبابة.

وأما ما مضى من الزمان ـ على ما دلت عليه **التوراة اليونانية** ـ، وهي التوراة التي اختارها المحققون من المؤرخين، وليس فيها ما يقتضي الإنكار من جهة الماضي من عمر الزمان، والذي تنبئ به هذه التوراة اليونانية: أنه ما بين هبوط آدم إلى الطوفان ألفان ومئتان واثنتان وأربعون سنة.

وما بين الطوفان ـ وكان لست مئة مضت من عُمُر نوح ـ وبين مولد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ألف وإحدى وثمانون سنة.

وبين مولد إبراهيم ووفاة موسى ـ عليه السلام ـ خمس مئة وخمس وأربعون سنة.

وبين وفاة موسى وابتداء ملك بُخْتَنَصَّر تسع مئة، وثمان وسبعون سنة، ومئتان وثمان وأربعون يوماً.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تاريخه» (١/ ١٥)، من طريق يحيى بن يعقوب، عن حماد بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، عنه.
ويحيى هذا هو أبو طالب القاص الأنصاري، قال البخاري: منكر الحديث، وشيخه هو فقيه الكوفة، وفيه مقال. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٥٠).

(٢) رواه البخاري (٦١٣٩)، ومسلم (٢٩٥١).

وأما ما بين ابتداء ملك بختنصر وبين الهجرة، فهو ألف، وثلاث مئة وتسع وستون سنة، ومئة وسبعة عشر يوماً.

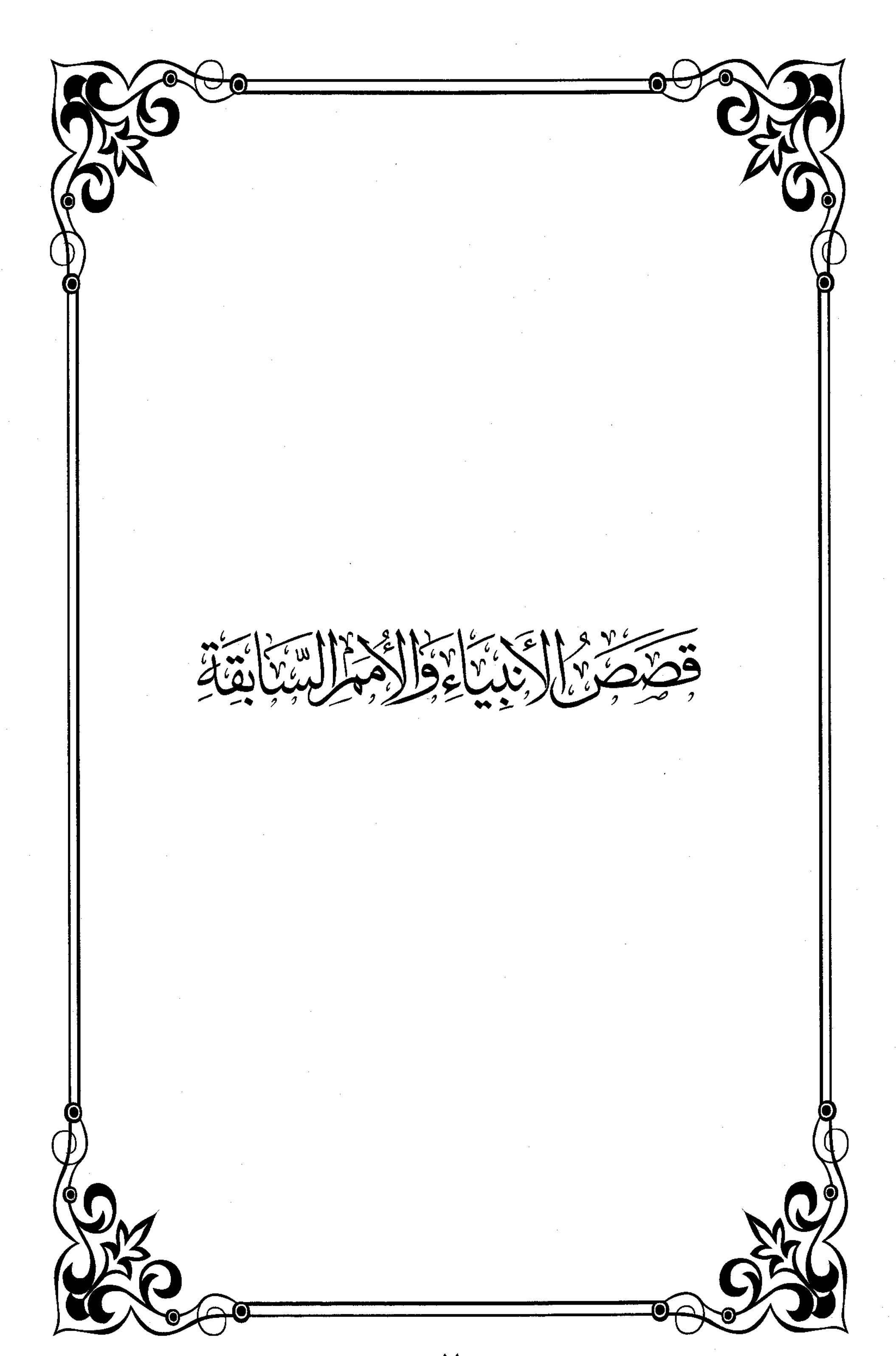
فيكون من هبوط آدم إلى الهجرة الشريفة الإسلامية ستة آلاف سنة، ومئتان وست عشرة سنة، وهذه التوراة هي المعتمدة عند المحققين من المؤرخين.

وأما **التوراة السامرية**، فتنبئ أنَّ من هبوط آدم إلى الهجرة خمسةَ آلاف، ومئةً وسبعاً وثلاثين سنة، وهذه التوراة مفسودة.

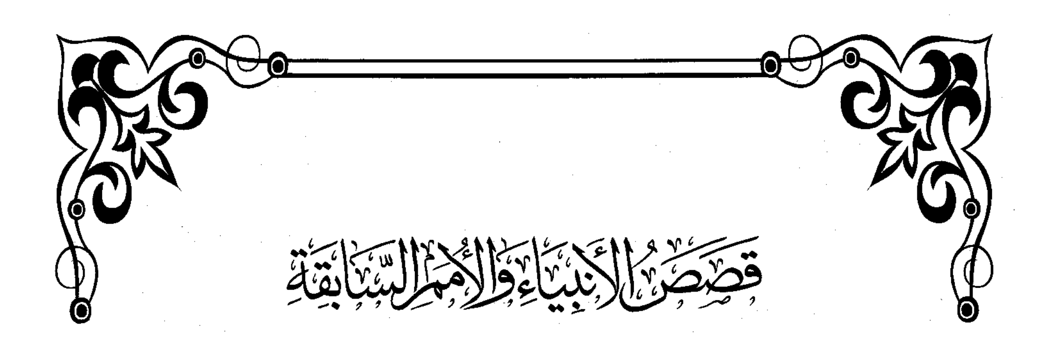
وأما **التوراة العبرانية**، فهي ـ أيضاً ـ مفسودة، وهي التي بأيدي اليهود، وهي تنبئ أن بين آدم وبين الهجرة أربعة آلاف، وسبع مئة وإحدى وأربعين سنة.

وجملة سِني هذه التوراة تنقص عن التوراة اليونانية ـ وهي التي عليها العلماء ـ ألفاً وأربع مئة وخمساً وسبعين سنة، وهذه الجملة هي القدر الذي نقصه اليهود من الماضي من سني العالم، والذي دعا اليهود إلى ذلك: أن التوراة وغيرها من كتب بني إسرائيل بشَّرت بالمسيح، وأنه يجيء في أواخر الزمان، وكان مجيء المسيح في الألف السادس، فلما فعلوا ذلك، صار المسيح في أول الألف الخامس، فيكون مجيء المسيح في وسط الزمان، لا في أواخره؛ بناء على أن عمر الزمان جميعه سبعة آلاف سنة، فنقص اليهود ما نقصوه؛ دفعًا لنبوة عيسى ـ عليه السلام ـ، وقالوا: لم يأت الوقت الذي وُقِّت له.

❐ ❐ ❐



قصص الأنبياء والأمم السابقة



١ ـ ذكر آدم عليه السلام

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، [جَاءَ] مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَالأَبْيَضُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَمنهمُ السَّهْلُ وَالْحَزْنُ، [وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ]، وَبَيْنَ ذَلِكَ»[1]، وإنما سُمِّي آدمَ؛ لأنه خُلق من أديم الأرض، وخَلق الله تعالى جسدَ آدمَ، وتركه أربعين ليلةً، وقيل: أربعين سنة، مُلقًى بغير روح.

وقال الله تعالى للملائكة: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾[الحجر: ٢٩]، فلما نفخ فيه الروح، سجد له الملائكةُ كلُّهم أجمعون، إلا إبليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين، ولم يسجد كِبْراً وبَغياً وحسداً، فأوقع الله تعالى على إبليس اللعنةَ والإياسَ من رحمته، وجعله شيطاناً رجيماً، وأخرجه من الجنـة، بعد أن كان مَلِكاً على سماء الدنيا والأرض، وخازنـاً من خزَّان الجنـة، وأسكن الله آدمَ الجنـةَ، ثم

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

خلق الله من ضِلَع آدم حواءَ زوجتَه، وسُميت حواء؛ لأنها خلقت من شيء حيٍّ، فقال الله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٣٥].

ثم إن إبليس أراد دخولَ الجنة؛ ليوسوسَ لآدم، فمنعه الخزنةُ، فعرض نفسه على دواب الأرض أن تحملَه حتى يدخل الجنة؛ ليكلم آدمَ وزوجَه، فكلُّ الدواب أبى ذلك غيرَ الحيَّة؛ فإنها أدخلته الجنة بين نابيها، وكانت ـ إذّاك ـ على غير شكلها الآن، فلما دخل إبليس الجنة، وسوس لآدم وزوجه، وحسَّن عندهما الأكلَ من الشجرة التي نهاهما الله عنها، وهي الحنطة، وقرر عندهما أنهما إن أكلا منها، خُلِّدا، ولم يموتا، فأكلا منها، فبدت لهما سوءاتهما، فقال الله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[البقرة: ٣٦]: آدم، وحواء، وإبليس، والحية، وأهبطهم الله من الجنة إلى الأرض، وسلب آدمَ وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة.

فهبط آدم بسَرَنْدِيب من أرض الهند على جبل يقال له: نَوذ، وحواء بجُدَّة، وإبليس بأَيْلَة، وقيل: بميسان بالبصرة على أميال، والحية بأصفهان.

قال الضحَّاك: فجَعل كلُّ واحد منهما يطلب صاحبه، فاجتمعا بعرفات يومَ عرفةَ، وتعارفا، فسُمي اليومُ: عرفةَ، والموضعُ: عرفات.

وكان هبوط آدم من باب التوبة، وحواء من باب الرحمة، وإبليس من باب اللعنة، والحية من باب السُّخط، وكان في وقت العصر.

ولما هبط آدم إلى الأرض، كان له ولدان: هابيل وقابيل، فقرَّبا قرباناً، فتُقبل قربان هابيل دون قابيل، فحسده على ذلك، وقتل قابيلُ هابيلَ، وقيل: إنه كان لقابيل أخت توءمة، وكانت أحسن من توءمة هابيل، وأراد آدم أن يزوِّج توءمة قابيل بهابيل، وتوءمة هابيل بقابيل، فلم يطب لقابيل ذلك، فقتل أخاه هابيل، وأخذ قابيل توءمته، وهرب بها.

وعاش آدم تسع مئة سنة، وثلاثين سنة، وقد بلغ عدد ولده وولد ولده لما توفي أربعين ألفاً، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ اثنتي عشرة مرة.

وبعد قتل هابيل، ولد لآدم **شيث**: وهو وصيُّ آدم، وتفسير شيث: هبة الله، عاش تسع مئة واثنتي عشرة سنة، وكانت وفاته لمضي ألف ومئة واثنتين وأربعين سنة لهبوط آدم، واسم شيث عند الصابئة: عاديمون، وإلى شيث تنتهي أنساب بني آدم كلهم.

ثم ولد لشيث **أنوش** عاش تسع مئة وخمسين سنة.

ثم ولد لأنوش **قينان** عاش تسع مئة وعشر سنين.

ثم ولد لقينان **مهلائيل** عاش ثماني مئة وخمساً وتسعين سنة.

ثم ولد لمهلائيل **يرد** ـ بالدال المهملة، والذال المعجمة أيضاً ـ عاش تسع مئة واثنتين وستين سنة.

[ثم ولد له] **حنُوخ** ـ بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة ـ، وهو إدريس ـ عليه السلام ـ، رُفع لما صار له من العمر ثلاث مئة [وخمس]

وستون سنة، رفعه الله إلى السماء، وكان قد نبأه الله، وانكشفت له الأسرار السماوية.

ونزل عليه [جبريل عليه السلام] أربع مرات، وله صحف، منها: لا ترومـوا أن تحيطـوا بالله خبـرة؛ فإنـه أعظمُ وأعلى أن تـدركـه فِطَنُ [المخلوقين إلا] من آثاره.

ثم ولد لحنوخ: **متوشلح** ـ بتاء مثناة من فوقها، وقيل: بثاء مثلثة، وآخره حاء مهملة ـ عاش تسع مئة [وتسعاً وستين] سنة.

ثم ولد لمتوشلح **لامخ**، ويقال له: لامك.

ثم ولد للامخ وقد صار لـه من العمر مئـة وثمان و[ثمانون سنة: **نوح**]، وكانت ولادة نوح بعد أن مضى ألف وست مئة واثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم.

* * *

٢ ـ ذكر نوح عليه السلام

أرسل الله نوحاً إلى قومه، وكانوا أهل أوثان، وصار نوح يدعوهم إلى طاعة الله، وهم لا يلتفتون إليه، وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق، قال: «اللهمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمون»، وكانوا يضربونه حتى يظنوا أنه مات، فإذا أفاق، [اغتسل]، وأقبل عليهم يدعوهم إلى الله، فلما طال ذلك، شكاهم إلى الله، فأوحى الله إليـه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ

﴿إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[هود: ٣٦].

فلما أيس منهم، دعا عليهم، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]، فأوحى إليه أن يصنع السفينة، فصنعها من خشب السَّاج، فلما فار التنور ـ وكان هو الآية بين نوح وبين ربه ـ حمل نوح مَنْ أمرَهُ الله بحمله، ثم أدخل ما أمره الله من الدواب، وارتفع الماء، وجعلت الفُلك تجري بهم في موج كالجبال، وعلا الماء على رؤوس الجبال خمسة عشر ذراعاً، فهلك مَنْ على وجه الأرض من حيوان ونبات.

وكان بين أن أرسل الله الماء، وبين أن غاض: ستة أشهر، وعشر ليال.

وقيل: إن ركوب نوح في السفينة كان لعشر ليال مضت من رجب، وكان ذلك ـ أيضاً ـ لعشر ليال خلت من آب، وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم، وكان استقرار السفينة على الجُوديِّ من أرض الموصل.

فولد لنوح: **سام** عاش ست مئة سنة، وهو أبو العرب وفارس والروم.

وحام أبو السودان.

ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، والفرنجُ والقبطُ من ولد قوطِ ابن حام.

وولد لسام **أرفخشذ**، عاش أربع مئة وخمساً وستين سنة.

وولد لأرفخشذ **قينان**، عاش أربع مئة وثلاثين سنة.

وولد لقينان **شالخ**، عاش أربع مئة وستين سنة.

ولما مضت سنة ثلاث مئة وخمسين للطوفان، توفي نوح ـ عليه السلام ـ، وعمره تسع مئة وخمسون سنة، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ خمسين مرة.

وولد لشالخ **عابر**، عاش أربع مئة وأربعاً وستين سنة.

ثم ولد لعابر **فالغ**، عاش ثلاث مئة وتسعاً وثلاثين سنة.

ثم ولد لفالغ **رُعون**(١)، عاش ثلاث مئة وتسعاً وثلاثين سنة، وعند مولد رُعون تبلبلت الألسن، وتقسَّمت الأرض، وتفرَّق بنو نوح، وهلك لمضي ست مئة وسبعين سنة للطوفان.

ثم وُلد لرعون **ساروغ**، واسمه في التوراة: سرور، عاش ثلاث مئة وثلاثين سنة.

ثم وُلد لساروغ **ناحور**، عاش مئتين وثمانياً وستين سنة.

ثم ولد لناحور **تارح**، وهو آزر، عاش مئتين وخمس سنين.

ثم ولد لتارح **إبراهيم الخليل** ـ عليه السلام ـ، وذلك لمضي ألف وإحدى وثمانين سنة للطوفان.

* * *

---

(١) في «الكامل» (١/ ٧٣) وغيره: «أرغو».

٣ ـ ذكر هود وصالح عليهما السلام

وهما نبيان أُرسلا بعد نوح، وقيل: إبراهيم الخليل.

وأرسل الله هوداً إلى عاد، وكانوا أهل أصنام، وكان عاد وثمود جبارين طِوال القامات.

ودعا هود قوم عاد، فلم يؤمن منهم إلا القليل، فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سبع ليال وثمانية أيام حُسوماً، والحسوم: الدائم، فلم تَدَعْ غير هود والمؤمنين معه، فإنهم نزلوا في حضرموت، وبقي هود كذلك حتى مات، وقبرُ هود بحضرموت، وقيل: بالحِجر من مكة.

ويُروى: أنه كان من [عاد شخص] اسمه لُقمان، وهو غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد داود النبي ـ عليه السلام ـ.

وأما **صالح**: فأرسله الله إلى ثمود، فدعاهم إلى التوحيد، وكان مسكنهم بالحِجْر، فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون، ثم إن كفارهم عاهدوه على أنه إن أتى بما يقترحونه عليه، آمنوا به، واقترحوا عليه أن يُخرج من صخرة معينةٍ ناقةً، فسأل اللهَ في ذلك، فخرج من تلك الصخرة ناقة، وولدت فصيلاً، فلم يؤمنوا، وعقروا الناقة، فأهلكهم الله بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء فيها صوتُ كلِّ صاعقة، فتقطعت قلوبهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين، وسار صالح إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز يعبد الله إلى أن مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

* * *

٤ ـ ذكر إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه

وهو إبراهيم بن تارح، وهو آزر.

ولد إبراهيم بالأهواز، وقيل: ببابل، وهي العراق.

وكان آزر أبو إبراهيم يصنع الأصنام، ويعطيها لإبراهيم يبيعها، فكان إبراهيم يقول: من يشتري ما[1] يضره ولا ينفعه.

ثم لما أمر الله تعالى إبراهيم أن يدعو قومه إلى التوحيد، دعا أباه، فلم يجبه، ودعا قومه، فلما فشا أمره، واتصل بنمرود بن كوش، وهو ملك تلك البلاد، أخذ النمرود إبراهيمَ الخليل، ورماه في نار عظيمة، فكانت عليه برداً وسلاماً، وخرج من النار بعد أيام، ثم آمن به رجال من قومه على خوف من نمرود، وآمنت به زوجته سارة، وهي ابنة عمه هاران.

ثم إنه هاجر هو ومَنْ معه إلى حَرَّان، وأقاموا بها مدة، ثم سار إلى مصر، وصاحبُها فرعون، فذُكر جمالُ سارة لفرعون، فسأل إبراهيمَ عنها: فقال: هذه أختي ـ يعني: في الإسلام ـ، وهَمَّ فرعون بها، فأيبس الله يديه ورجليه، فلما تخلى عنها، أطلقه الله، وتكرر ذلك منه، فأطلقها، ووهبها هاجَرَ.

ثم سار إبراهيم من مصر إلى الشام، وأقام بين الرملة وإيليا، وكانت سارة لا تحمل، فوهبت هاجرَ لإبراهيم، فوقع عليها، فولدت إسماعيل.

---

(١) في الأصل: «من».

ومعنى إسماعيل بالعبراني: مطيع الله، وكانت ولادته لمضي ست وثمانين سنة من عمر إبراهيم، فحزنت سارة لذلك، فوهبها الله إسحاق، ولدتـه ولها تسعون سنة، ثم غارت سارة من هاجر وابنها، وطلبت من إبراهيم أن يخرجهما عنها، فسار بهما إلى الحجاز، وتركهما بمكة.

وبقي إسماعيل بها، وتزوج من جُرْهُم امرأةً، وماتت أمه هاجرُ، وقَدِم إليه أبوه إبراهيم الخليل، وبنى الكعبة، وهي بيت الله الحرام، ثم أمر الله إبراهيمَ أن يذبح ولده.

وقد اختلف في الذبيح: هل هو إسحاق، أم إسماعيل[1]؟ وفداه الله بكبش.

فمن زعم أن الذبيح إسحاق، فيقول: كان موضع الذبح بالشام على ميلين من إيليا، وهي بيت المقدس.

ومن يقول: إسماعيل، يقول: إن ذلك كان بمكة.

وفي أيام إبراهيم توفيت زوجتـه سـارة بعـد وفـاة هاجر، وتزوج إبراهيم امرأة من الكنعانيين، وولدت منه ستة نفر.

وأما مولد إبراهيم، فقد تقدم في ذكر نوح: أنـه ولـد لمضي ألف وإحدى وثمانين سنة من الطوفـان، وعاش مئـة وخمساً وسبعين سنة، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ اثنتين وأربعين مرة.

---

(١) الذي رجحه الجمهور وعليه الأكثرون: أنه إسماعيل عليه السلام. وللسيوطي رسالة لطيفة في ذلك سماها: «القول الفصيح في تعيين الذبيح».

وولد له: **إسحاق**، وسيأتي ذكره.

ثم ولد لإسحاق **يعقوب**، عاش مئة وسبعاً وأربعين سنة.

ثم ولد ليعقوب **لاوي**، عاش مئة وسبعاً وثلاثين سنة.

ثم ولد للاوي **قاهث**، عاش مئة وسبعاً وعشرين سنة.

ثم ولد لقاهث **عمران**، عاش مئة وستاً وثلاثين سنة.

ثم ولد لعمران **موسى** ـ عليه السلام ـ، وسيأتي ذكره.

وقد اختلف في معنى الصحف التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم:

وقد روى أبو ذر عن النبي ﷺ: «أَنَّها أَمثالٌ، منها: أَيُّها [الملِكُ المُبْتَلَى] المُسَلَّطُ المَغْرُورُ! لم أَبعثْكَ لتجمعَ الدنيا بعضَها على بعضٍ، ولكنْ بعثْتُك لتردَّ عني دعوةَ المظلومِ؛ فإنِّي لا أردُّها ولو كانَتْ من كافرٍ، وعلى العاقلِ أنْ يكونَ بَصيراً بزمانِه، مُقْبِـلاً على شانِه، حافظاً لِلِسَانِه، مَنْ عَدَّ كلامَهُ من عملِه، قَلَّ كلامُه إلا فيما يعنيه»[1].

وإبراهيمُ أولُ من اختتن، وأضاف الضيفَ، ولبس السراويل.

* * *

٥ ـ ذكر لوط عليه السلام

هو ابن أخي إبراهيم الخليل، وهـو لوطُ بن هارانَ بنِ آزرَ، وكان

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١).

ممن آمن بعمه إبراهيم، وهاجر معه إلى مصر، وعاد إلى الشام، وأرسله الله إلى أهل سَدُوم، وكانوا أهلَ كفر وفاحشة، يقطعون الطريق، وإذا مر بهم المسافر، أمسكوه، وفعلوا بـه اللواطَ، فنهاهم، فلم ينتهوا، فسأل اللهَ النصرةَ عليهم، فأرسل الله الملائكة لقلب سدوم وقُراها الخمس: وهي: صبغة، وعمرة، وأدما، وصبويم، وبالغ.

وكان الملائكة قد أعلموا إبراهيم الخليل بذلك، فقال لهم: إن[1] هناك لوطاً، فقالوا: نحن أعلم بمن فيها، فلما وصلت الملائكة إلى لوط، همَّ قومُه أن يلوطوا بهم، فأعماهم جبريل بجناحه، وقال الملائكة للوط: نحن رُسُل ربك، ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [هود: ٨١]، فلما خرج لوط بأهله، قال لهم: أهلكوهم الساعة، فقالوا: لم نؤمر إلا بالصبح، ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[هود: ٨١]، فلما كان الصبح، قلبت الملائكة سدومَ وقُراها الخمس بمن فيها، وسمعت امرأةُ لوط الهدَّ، فقالت: واقوماه! فأدركها حجرٌ فقتلها، وأمطر الله الحجارة على من لم يكن بالقرى، فأهلكهم.

* * *

٦ ـ ذكر إسماعيل عليه السلام

قد تقدم في ذكر والده طرفٌ من أخبارِهِ ومولدِهِ وتوجُّهِهِ إلى مكة.

---

(١) في الأصل زيادة: «كان».

ولما أمر الله إبراهيم الخليل ببناء الكعبة، سار من الشام، وقَدِمَ مكة، وقال: يا إسماعيل! إن الله أمرني أن أبني لـه بيتاً، فقال إسماعيل: أطعْ ربّك، فقال إبراهيم: وقـد أمرك أن تُعينني، فقال: إذاً أفعـل، فجعـل إبراهيمُ يبنيه، وإسماعيلُ يناوله الحجارة، وكانا كلما بنيا، دعوا فقالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧].

وكان وقوف إبراهيم على حَجَر وهو يبني، وذلك الموضع هو مَقامُ إبراهيم، واستمر البيت على ما بناه إبراهيم إلى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله ﷺ، وبَنَوْه.

وكان بنـاء الكعبة بعـد مضي مئـة سنـة من عمـر إبراهيم، فيكون بالتقريب بين ذلك وبين الهجرة ألفان وسبع مئة ونحو ثلاث وتسعين سنة.

وأرسل الله إسماعيل إلى قبائـل اليمـن، وإلى العمـاليـق، وزوَّجَ إسماعيلُ ابنتـه من ابن أخيـه العيص بن إسحاق، وعاش إسماعيل مئة وسبعاً وثلاثين سنة، ومات بمكة، ودفن عنـد قبـر أمه هاجر بالحِجْر، وكانت وفاة إسماعيل بعد وفاة أبيه إبراهيم الخليل بثمان وأربعين سنة، والله أعلم.

* * *

٧ ـ ذكر إسحاق عليه السلام

قد تقدم مولد إسحاق عند ذكر أبيه إبراهيم الخليل.

ثم إن إسحاق تـزوج بنـتَ عمـه، فولـدت لـه العيص، ويعقوب ـ [وهو] إسرائيل ـ.

ورزق يعقـوب من زوجتـه ليا: روبيل ـ وهـو أكبر أولاده ـ، ثم شمعون، ولاوي، ويهوذا.

ثم تزوج أختَها راحيل، فرزق منها: يوسف، وبنيامين.

وولد له من سُرِّيَّتين ستة أولاد، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً هم آباء الأسباط.

وأقام إسحاق بالشام حتى توفي وعمره مئـة وثمانون سنة، ودفن عند أبيه إبراهيم الخليل.

وأما أسماء آباء الأسباط الاثني عشـر، فهم: روبيل، وشمعون، ولاوي، ويهـوذا، ويسـاخر، وزبولون، ويوسـف، وبنيامين، ودان، ونفتالي، وكاذ، وآشر.

* * *

٨ ـ ذكر أيوب عليه السلام

وهو رجل من أُمَّة الروم؛ لأنه من ولـد العيص، وهو: أيوبُ بنُ موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكانت له زوجة يقال لها: رحمة، وكان صاحب أموال عظيمة، وكان له البَثَنِيَّةُ جميعُها من أعمال دمشق ملكاً، فابتلاه الله بأن أذهبَ أموالـه حتى صار فقيراً، ثم ابتلاه في جسده حتى تجذَّم ودوَّد، وبقي مرمياً على مزبلة لا يطيق أحد

أن يشَمَّ رائحته، وزوجتُه صابرة تخدمه، فتراءى لها إبليس، وقال لها: اسجدي لي؛ لأردَّ مالكم، فاستأذنت أيوبَ، فغضب وحلف ليضربنها مئة، ثم عافاه الله تعالى، ورزقه، ورد على امرأته شبابها وحسنها، وولدت له ستة وعشرين ذكراً، ولما عُوفي، أمره الله تعالى أن يأخذ عُرْجوناً من النخل فيه مئة شِمْراخ، فيضرب به زوجته رحمة؛ ليبَرَّ في يمينه، ففعل[1].

وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب، وعاش ثلاثاً وتسعين سنة.

ومن وَلَدِ أيوب: ابنُه بشر، وبعث الله بِشراً بعد أيوب[2]، وسماه: ذا الكفل، وكان مقامه بالشام.

* * *

٩ ـ ذكر يوسف عليه السلام

وُلد ليعقوبَ يوسفُ لما كان ليعقوبَ من العمر إحدى وتسعون سنة، ولما صار ليوسف من العمر ثماني عشرة سنة، كان فراقه ليعقوب، وبقيا مفترقين إحدى وعشرين سنة، ثم اجتمع يعقوب بيوسفَ في مصر، وليعقوبَ من العمر مئة وثلاثون سنة، وبقيا مجتمعين سبع عشرة سنة، فكان عمر يوسف لما توفي يعقوب ستاً وخمسين سنة، وعاش يوسف مئة وعشرين سنة، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ أربع مرات.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٦٧)، عن وهب بن منبه.

(٢) في الأصل زيادة: «ابنه».

وسبب فراقه عن أبيه: حسد إخوته، وألقوه في الجُب، فكان في الجب ماء، وبه صخرة، فآوى إليها، وأقام في الجب ثلاثة أيام، ومرت به السيارة، فأخرجته وأخذوه، وجاء أخوه يهوذا إلى الجب بطعام ليوسف، فلم يجده، ورآه عند تلك السيارة، فأخبر يهوذا إخوتـه بذلك، فأتوا إلى السيارة، وقالوا: هذا عبدنا أَبَق منا، فاشتروه من إخوته بثمن بخس، قيل: عشرون درهماً، وقيل: أربعون درهماً، وذهبوا به إلى مصر، فباعه أستاذه للذي على خزائن مصر، واسمـه العزيـز، وكان فرعونُ مصر حين ذاك الريانَ بنَ الوليد، رجلاً من العماليق، والعماليق من ولـد عملاق بن سام ابن نوح، فهويته امرأته راعيل، وراودته عن نفسه، فأبى وهرب، فلحقته من خلفه، وأمسكته بقميصه، فانقـدَّ، ووصل أمرها إلى زوجها العزيز، وابنِ عمِّها تبيان، فظهر لهما براءة يوسف، ثم بعد ذلك ما زالت تشكو إلى زوجها وتقول: إنـه يقول للناس: إنِّي راودتـه، وفضحني، فحبسه زوجها سبع سنين، ثم أخرجه فرعونُ مصر بسبب تعبير الرؤيا التي رآها.

ثم لما مات العزيز، جعل فرعونُ يوسفَ موضعَـه على خزائنـه، وجعل القضاء إليه، ودعا يوسفُ الريانَ فرعونَ مصر إلى الإيمان، فآمن بـه، وبقي كذلك إلى أن مات الريان، وملك بعدَه مصرَ قابوسُ بنُ مصعب من العمالقـة ـ أيضاً ـ، ولم يؤمن، وتوفي يوسف ـ عليه السلام ـ في ملكه بعد أن وصل إليه أبوه وإخوته جميعهم من كنعان، وهي الشام.

ومات يعقوب، وأوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق، فسار به إلى الشام، ودفنه عند أبيه، ثم عاد إلى مصر.

وتوفي يوسف بمصر، ودفن بها حتى كان زمنُ موسى وفرعون، فلما سار موسى من مصر ببني إسرائيل إلى التيه، نبش يوسف، وحمله معـه في التيه حتى مات موسى، فلما قدم يوشع ببني إسرائيل إلى الشام، دفنه بالقرب من نابلس، وقيل: عند الخليل.

* * *

١٠ ـ ذكر شعيب عليه السلام

ثم بعث الله شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأهلِ مدين.

وقد اختلف في نسب شعيب، فقيل: إنه من ولد إبراهيم، وقيل: من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم، وكانت الأيكة من شجر ملتفٍّ، فلم يؤمنوا، فأهلك الله أصحابَ الأيكة بسحابة أمطرت عليهم ناراً يوم الظُّلَّة، وأهلك الله أهلَ مدينَ بالزلزلة.

* * *

١١ ـ ذكر موسى عليه السلام

ثم أرسل الله موسى بنَ عمرانَ بن قاهـث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل نبياً بشريعة بني إسرائيل، وكان من أمره: أنه لما ولدته أمه، كان قد أَمَرَ فرعونُ مصرَ الوليدُ بن مصعب بقتل الأولاد الأطفال، فخافت أمه عليـه، وألقى الله تعالى إليها أن تُلقيـه في النيل، فجعلته في تابوت، وألقته، والتقطته آسية امرأة فرعون، وربَّته، وكبر،

فبينا هو يمشي في بعض الأيام، إذ وجد إسرائيلياً وقبطياً يختصمان، فوكز القبطيَّ فقتله، وخاف موسى من فرعون، فهرب، وقصد نحو مدينَ، واتصل بشعيب، وزوَّجه ابنته صفورا، وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين.

ثم سار بأهله في زمن الشتاء، وأخطأ الطريق، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق في ليلة شاتية، فأراد [أن] يقدح، فلم يظهر له نار، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[القصص: ٢٩]، فلما دنا منها، رأى نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظيمة من العَوْسَج، وقيل: من العناب، فتحير موسى، خاف ورجع، فنودي منها، ولما سمع الصوت، استأنس، وعاد، فلما أتاها، نودي من جانب الوادي الأيمن من الشجرة: يا موسى! إني أنا الله ربُّ العالمين، ولما رأى تلك الهيبة، علم أنه ربه، فخفق قلبه، وكَلَّ لسانه، وضعفت مُنَّته، ثم شد الله قلبه، ولما عاد عقله، نودي أن اخلع نعليك ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[طه: ١٢]، وجعل الله عصاه ويده آيتين.

ثم أقبل موسى إلى أهله، فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً، واجتمع به هارون ـ عليه السلام ـ، وتعارفا فاعتنقا، ثم قال موسى: يا هارون! إن الله أرسلنا إلى فرعون، فانطلقا إليه، وأراه موسى عصاه ثعباناً، فخاف فرعون، وأحدث في ثيابه، ثم أدخل يده في جيبه، وأخرجها بيضاء لها نور، ثم ردها إلى جيبه، وأخرجها على لونها الأول.

ثم أحضر لهما فرعون السحرة، وعملوا الحيات، وألقى موسى

عصاه، فتلقفت ذلك، وآمن به السَّحَرة، فقتلهم فرعون، ثم أراهم الآيات من القمل، والضفادع، وصيرورةِ الماء دماً، ثم سار موسى ببني إسرائيل بإذن فرعون، ثم ندم فرعونُ، وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القُلْزُم، فضرب موسى بعصاه البحرَ، فانشق، فدخل فيه هو وبنو إسرائيل، وتبعهم فرعون وجنوده، فانطبق البحر عليهم فغرقوا.

ومن جملة المعجزات: **قصته مع قارون**: وكان قارونُ ابنَ عمِّ موسى، وكان رُزق مالاً عظيماً يُضرب به المثل على طول الدهر، قيل: إن مفاتيح خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً، وبنى داراً، وصفَّحها بالذهب، وجعل أبوابها ذهباً، فتكبر بسبب كثرة ماله على موسى، وقذفَه، وخرج عن طاعته، وأحضر امرأة بَغِيّاً، وأمرها بقذف موسى بنفسها، ثم أتى موسى فقال: إن قومك قد اجتمعوا، فخرج إليهم موسى، وقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنا رجمناه، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: نعم، وإن كنتُ أنا، فأُحضرت المرأة، فقال لها موسى: أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة إلا صدقْتِ، أنا فعلتُ بكِ ما يقول هؤلاء؟ قالت: كذبوا، فأوحى الله إلى موسى: مُرِ الأرضَ بما شئتَ تُطعْك، فقال: يا أرض! خذيهم، فجعل قارون يقول: يا موسى! ارحمني، وموسى يقول: يا أرضُ خذيهم، فابتلعتهم الأرض، ثم خسف بهم وبدار قارون.

ولما أهلك الله فرعونَ وجنوده، قصد موسى المسير ببني إسرائيل إلى مدينة الجبارين، وهي أريحا، فقال بنو إسرائيل: يا موسى! إن فيها

قوماً جبارين، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، يا موسى! اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فغضب موسى، ودعا عليهم، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[المائدة: ٢٥]، فقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، فبقُوا في التيه، وأنزل الله عليهم المَنَّ والسَّلْوى.

ثم أوحى الله إلى موسى أني متوفٍّ هارون، فأتِ به إلى جبل كذا، فانطلقا نحوه، فإذا هما بسرير، فناما عليه، وأخذ هارونَ الموتُ، ورُفع إلى السماء، ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فقالوا له: أنت قتلتَ هارون بحُبنا إياه، قال: ويحكم! أفتروني أقتل أخي؟! فلما أكثروا عليه، سأل الله تعالى، فأنزل السرير عليه هارونُ، فقال لهم: إني متُّ، ولم يقتلني موسى.

ثم توفي موسى، وكانت وفاته في التيه في سابع آذار لمضي ألف وست مئة وست وعشرين سنة من الطوفان، وكان موته بعد هارون أخيه بأحد عشر شهراً، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، وولد موسى لمضي ألف وخمس مئة وست سنين من الطوفان، وكان عمره لما خرج ببني إسرائيل ثمانين سنة، وأقام في التيه أربعين سنة، فيكون عمر موسى مئة وعشرين سنة.

ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ أربع مئة مرة، وكان جملة مقام بني إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى مئتين وخمس عشرة سنة.

* * *

١٢ ـ ذكر يوشع عليه السلام

ولما مات موسى ـ عليه السلام ـ قام بتدبير بني إسرائيل يوشعُ بنُ نون بن اليشاماع بن عميهوذ بن لعدان بن تاجن بن تايح بن راشف بن راغ ابن بريفا بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، وأقام ببني إسرائيل في التيه ثلاثة أيام، ثم ارتحل إلى الشريعة، وهو النهر الذي بالغَوْر، واسمه الأردُنّ في عاشر نيسان من السنة التي توفي فيها موسى ـ عليه السلام ـ، فلم يوجد للعبور سبيل، فأمر حاملي[1] صندوق الشهادة الذي فيه الألواح بأن ينزلوا إلى حافة الشريعة، فوقفت الشريعة حتى انكشفت أرضها، وعبر بنو إسرائيل، ثم عادت الشريعة إلى ما كانت عليه، ونزل يوشع ببني إسرائيل على أريحا محاصراً لها، وصار في كل يوم يدور حولها مرة، وفي اليوم السابع أمر بني إسرائيل أن يطوفوا حولها سبع مرات، وأن يصوتوا بالقرون، فلما فعلوا ذلك، هبطت الأسوار ورسخت، وتساوت الخنادق، ودخل بنو إسرائيل أريحا بالسيف، وقتلوا أهلها.

وبعد فراغه سار إلى نابلس إلى المكان الذي بيع فيه يوسف، فدفنَ عظامَ يوسفَ هناك، وكان موسى قد استخرج يوسفَ من نيل مصر، واستصحبه معه إلى التيه، فبقي معهم أربعين سنة، وتسلَّمه يوشع.

وملك يوشعُ الشامَ، وفرَّق عُمَّاله، واستمر يدبر بني إسرائيل ثمانياً وعشرين سنة، ثم توفي يوشع، ودفن في كفر حارس، وله من العمر مئة

---

(١) في الأصل: «فأمرهم حامل».

وعشر سنين، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى، وقيل: إنه مدفون في المَعَرَّة، ثم تولى على بني إسرائيل جماعـة من الملوك واحداً بعد واحد.

* * *

ثم تولى عليهم:

١٣ ـ شَمْويل النبي عليه السلام

ولد بقرية على باب القدس يقال لها: شيلوا، وتنبأ لما صار لـه من العمر أربعون سنة، فدبر شمويل بني إسرائيل إحدى عشرة سنة، ومنتهى هذه الإحدى عشرة سنة هي آخر سني [حكَّام] بني إسرائيل وقضاتهم، فيكون انقضاء سني حكامهم في سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ.

ثم حضر بنو إسرائيل إلى شمويل، وسألوه أن يقيم فيهم ملكاً، فأقام فيهم: شاول، [وهو طالوت] بن قيش من سبط بنيامين، ولم يكن طالوت من أعيانهم، قيل: إنـه كان راعياً، وقيل: سَقَّاء، وقيل: دباغاً، فملك طالوتُ سنتين، واقتتل هو وجالوت، وكان جالوت من جبابرة الكنعانيين، وكان ملكه بجهات فلسطين، وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم، فلما برز للقتال، طلب طالـوتُ داودَ ـ عليـه السلام ـ، وكان أصغر بني أبيه، وأمره بمبارزة جالوت بعد أن رأى فيه العلائم التي يُسْتَدل بها على أنه هو الذي يقتل جالوت، وهي دهن كان يستدير على رأس من يكون

فيـه السر، وأحضر ـ أيضاً ـ تنـوراً جديداً، وقال: الشخصُ الذي يقتل جالوتَ يكون ملء هذا التنـور، فلما اعتبـر داود، ملأ التنور، واستدار الدهنُ على رأسه، ولما تحقـق ذلك بالعلامـة، أمـره طالوتُ بمبـارزة جالوتَ، فبارزه، وقتل داودُ جالوتَ، وكان عمر داود آنذاك ثلاثين سنة.

ثم بعد ذلك مات شمويل، فدفنه بنـو إسرائيل في الليل، وناحوا عليه، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة.

ثم إن طالـوت قصـد الفلسطينيين للغـزاة، وقاتلهم حتى قُتل هو وأولاده في الغزاة، فيكون موته في أواخر سنة خمس وتسعين وأربع مئـة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ.

ثم ملك بعده ولده أشر يوشت ثلاث سنين.

* * *

ثم ملك عليهم:

١٤ ـ داود عليه السلام

هو داود بن بيشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون نحشون بن عميناذاب ابن رم بن حَصْرون بن بارص بن يهودا بن يعقـوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

وكان مقام داود بحبرون، فلما استوثق له الملك، ودخلت جميع الأسباط تحت طاعته، وذلك في سنة ثمان وثلاثين من عمره، انتقل إلى

القدس، ثم فتح في الشام فتوحات كثيرة، ثم أرض فلسطين، وحلب، وبلاد الأرمن، وغير ذلك، ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة ـ وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه ـ، كانت قصته مع أُوريا وزوجته، وهي مشهورة، وملك داود أربعين سنة، وكان لقمانُ الحكيمُ على عهد داود ـ عليه السلام ـ.

ولما صار له سبعون سنة، توفي، فتكون وفاته في أواخر سنة خمس وثلاثين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ.

وأوصى قبل موته بالملك إلى سليمان ولـده، وأوصى بعمارة بيت المقدس، وعين لذلك عـدة بيـوت أموال تحتوي على جمل كثيرة من الذهب.

* * *

فلما مات داود، ملك:

١٥ ـ سليمان عليه السلام

وعمره اثنتا عشرة سنة، آتاه الله من الملك والحكمة ما لم يؤته لأحد سواه ـ على ما أخبر الله تعالى بـه في محكم كتابـه العزيز ـ، وفي السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار، وهي سنة تسع وثلاثين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليـه السلام ـ، ابتـدأ سليمان ـ عليـه السلام ـ في عمارة بيت المقدس حسب ما تقدمت به وصية أبيه إليه، وأقام سليمان في عمارة بيت

المقدس سبع سنين، وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه، فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في أواخر سنة ست وأربعين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ.

وكان ارتفاع البيت الذي عمره سليمان ثلاثين ذراعاً، [وطوله ستين ذراعاً]، في عرض عشرين ذراعاً، وعمل خارج البيت سوراً محيطاً به امتداده خمس مئة ذراع.

«ولما بنى سليمانُ بيتَ المقدس، سأل الله ثلاثاً: سأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله حكماً يوافق حكمَه، وسأله أنه لا يأتي أحدٌ هذا البيت لا يريد إلا الصلاة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[1]، ولهذا كان عبدالله بن عمر يأتي بيت المقدس، فيدخل فيصلي ركعتين، ثم يخرج ولا يشرب فيه، كأنه يطلب دعوة سليمان.

ولما فرغ سليمان من بنائه، شرع في بناء دار مملكته بالقدس، واجتهد في عمارتها وتشييدها، وفرغها في مدة ثلاث عشرة سنة، وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه.

وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكةُ اليمن ومن معها، وأطاعه جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر سليمان على ذلك حتى مات وعمره اثنتان وخمسون سنة، فكانت

---

(١) رواه النسائي (٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

مدة ملكه أربعين سنة، فتكون وفاة سليمان ـ عليه السلام ـ في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، ثم ملك بعده جماعة من أولاده.

* * *

ثم تولى:

١٦ ـ بُخْتَنَصَّر

وكان ابتداء ولايته في سنة تسع وسبعين وتسع مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، وفتح بلاداً، وملكها، ثم جهز الجيوش مع وزيره، واسمه نبُوزَرَاذُون ـ بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والراء المهملة وسكون الألف وضم الذال المعجمة وسكون الواو وفي آخره نون ـ جهزه إلى حصار صدقيا بالقدس، فسار الوزير المذكور بالجيوش، وحاصر صدقيا صاحبَ القدس مدة سنتين ونصف، أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا، وأخذ بعد حصاره المدة المذكورة القدسَ بالسيف، وأخذ صدقيا أسيراً، وأخذ معه جملة كثيرة من بني إسرائيل، وأحرق القدس، وهدم البيت الذي بناه سليمان، وأحرقه، وأباد بني إسرائيل قتلاً وتشريداً، فكانت مدة ملك صدقيا نحو إحدى عشرة سنة، وهو آخر ملوك بني إسرائيل.

وأما من تولى بعده من بني إسرائيل بعد إعادة عمارة بيت المقدس،

فإنما كان له الرياسة ببيت المقدس فقط، فيكون انقضاء ملوك بني إسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بختنصر سنة عشرين من ولاية بختنصر ـ تقريباً ـ، وهي السنة التاسعة والتسعون بعد التسع مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، وهي سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة مضت من عمارة بيت المقدس، وهي مدة لبثه على العمارة.

واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة، ثم عمره بعض ملوك الفرس، واسمه عند اليهود كُورش.

ولما عادت عمارته، تراجع إليه بنو إسرائيل من العراق وغيره، فكانت عمارته في أول سنة تسعين لابتداء ولاية بختنصر، ولما تراجع بنو إسرائيل إلى القدس، كان من جملتهم عُزَير، وكان بالعراق، وقدم معه من بني إسرائيل ما يزيد على ألفين من العلماء وغيرهم، وترتب مع عزير في القدس مئة وعشرون شيخاً من علماء بني إسرائيل، وكانت التوراة قد عدمت منهم إذ ذاك، فمَثَّلها اللهُ في صدر عزير ـ عليه السلام ـ، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حباً شديداً، وأصلح العزير أمرهم، وأقام بينهم على ذلك، ولبث مع بني إسرائيل في القدس يدبر أمرهم حتى توفي بعد مضي أربعين سنة لعمارة بيت المقدس، فتكون وفاته سنة ثلاثين ومئة لابتداء ولاية بختنصر.

واسم العزير بالعبراني عزرا، وهو من ذرية هارون بن عمران، ولما تراجع بنو إسرائيل إلى القدس بعد عمارته، صار لهم حكام منهم، وكانوا تحت حكم ملوك الفرس، واستمروا على ذلك حتى ظهر **الإسكندر** في

سنة خمس وثلاثين وأربع مئة لولاية بختنصر، وغلب اليونان على الفرس، ودخل حينئذ بنو إسرائيل تحت حكم اليونان، وأقام اليونان من بني إسرائيل ولاة عليهم، وكان يقال للمتولي عليهم: هرودوس، واستمر بنو إسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني، وتشتت منه بنو إسرائيل.

* * *

١٧ ـ ذكر يونس بن مَتَّى عليه السلام

ومَتَّى أُمُّ يونس، ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى، ويونس ـ عليهما السلام ـ، وكانت بعثته بعد مُوثَم بن غبرياهو أحدِ ملوك بني إسرائيل.

وبعث الله يونسَ إلى أهل نينوى، وهي قبالة الموصل، بينهما دجلة، وكانوا يعبدون الأصنام، فنهاهم، وأوعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربه ﷻ، فلما أظلَّهم العذاب، آمنوا، فكشفه الله عنهم، وجاء يونس لذلك اليوم، فلم ير العذابَ حلَّ، ولا علمَ بإيمانهم، فذهب مغاضِباً، ودخل في سفينة من سفن دجلة، فوقفت السفينة ولم تتحرك، فقال ريِّسها: فيكم من له ذنب، وتساهموا على من يلقونه في البحر، فوقعت المساهمة على يونس، فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به إلى الأُبُلَّة[1]، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز.

---

(١) في الأصل: «الأيكة».

وكانت وفاة يونس في سنة خمس عشرة وثماني مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ[1].

* * *

١٨ ـ ذكر أرمياء عليه السلام

كان أرمياء يأمر بني إسرائيل بالتوبة، ويتهددهم ببختنصر، وهم لا يلتفتون إليه، فلما رأى أنهم لا يرجعون عما هم فيه، فارقهم، واختفى حتى غزاهم بختنصر، وخرَّب القدس.

ثم إن الله تعالى أوحى إلى أرمياء: أني عامر بيت المقدس، فاخرج إليها، فخرج أرمياء، وقَدِمَ إلى القدس وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة، وأخبرني أنه عامرها، فمتى يعمرها؟ ومتى يحييها الله تعالى بعد موتها؟ ثم وضع رأسه فنام، ومعه حمارُه وسلَّة فيها طعام، وكان من قصته ما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز في قوله: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ

---

(١) الذي في «المختصر» ذكر وفاة يوثم، وليس ذكر وفاة يونس ـ عليه السلام ـ، وقال: إن الله بعث يونس في تلك المدة. انظر: «المختصر» لأبي الفداء الحموي (١/ ٣٢).

﴿يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٥٩].

وقد قيل: إن صاحب هذه القصة هو العزير، والأصح أنه أرمياء.

* * *

ولما مات الإسكندر، ملك بعده بطليموس بن لاغوس عشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس محب أخيه، وهو الذي نقلت له التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية، فيكون نقل التوراة بعد عشرين سنة لموت الإسكندر، فنسخة التوراة المنقولة لبطليموس حينئذ أصح نسخ التوراة وأثبتها، وقد تقدمت الإشارة لذلك، والله أعلم.

* * *

١٩ ـ ذكر زكريا وابنه يحيى عليهما السلام

وزكريا من ولد سليمان بن داود، وكان نبياً، ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وكان نجاراً، وهو الذي كَفَلَ مريمَ أمَّ عيسى، وكانت مريم بنتُ عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود، وكانت أم مريم اسمها حَنَّة، وكان زكريا متزوجاً أختَ حنةَ، واسمها إيشاع، فكانت زوجُ زكريا خالةَ مريم، ولذلك كفل زكريا مريم.

فلما كبرت مريم، بنى لها زكريا غرفـة في المسجد، وانقطعت فيها للعبادة، وكان لا يدخل عليها غيرُ زكريا فقط، وأرسل الله تعالى جبريل، فبشر زكريا بيحيى مصدقاً بكلمة من الله تعالى ـ يعني: عيسى بن مريم ـ، ثم أرسل الله جبريل، ونفخ في جيب مريم، فحملت بعيسى، وكانت قـد حملت خالتها إيشاع بيحيى، فولـد يحيى قبل المسيح بستـة أشهر، ثم ولدت مريم عيسى، فلما علمـت اليهـود أن مريم ولدت من غير بعل، اتهموا زكريا بها، وطلبـوه، فهرب، واختفى في شجرة عظيمة، فقطعوا الشجرة، وقطعوا زكريا معها، وكان عمره حينئذ نحو مئة سنة.

وكان قتْلُه بعد ولادة المسيح، وكانت ولادة المسيح لمضي ثلاث مئة وثلاث سنين للإسكندر، فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بقليل.

وأما يحيى ابنـه، فإنـه نبيء وهـو صغير، ودعا النَّاسَ إلى العبادة عبادةِ الله، ولَبِس يحيى الشعر، واجتهد في العبادة حتى نحل جسمُه، وكان عيسى بن مريم قـد حرَّم نكاحَ بنتِ الأخ، وكان لهرودوس ـ وهو الحاكم على بني إسرائيل ـ بنتُ أخ، وأراد أن يتزوجها كما هو جائز في دين اليهود، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت أم البنت من هرودوس أن يقتل يحيى، فلم يجبها إلى ذلك، فعاودته، وسألته البنت ـ أيضاً ـ، وألحَّتْ عليه، فأجابها إلى ذلك، وأمر بيحيى فذبح، وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة؛ لأن عيسى ـ عليـه السلام ـ إنما ابتـدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة.

ولما أمره الله أن يدعوَ الناس إلى دين النصارى، غمسه يحيى في

نهر الأردن، ولعيسى نحـو ثلاثين سنة، وخرج من نهر الأردن، وابتدأ بالدعوة، وجميع ما لبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين، والنصارى تسمي يحيى ـ عليه السلام ـ: يوحنا المَعْمَدان؛ لكونه عمَّد المسيح ـ كما ذكر ـ.

* * *

٢٠ ـ ذكر عيسى بن مريم عليه السلام

وأما مريم: فاسم أمها حَنَّـة زوجُ عمـران، وكانـت حنـة لا تلد، واشتهت الولد، فدعت بذلك، ونذرت إن رزقها الله ولـداً، جعلته من سَدَنة بيت المقدس، فحملت حنـة، وهلك زوجها عمران وهي حامل، فولدت بنتاً، وسمتها: مريم، ومعناه: العابدة، ثم حملتها، وأتت بها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار، وقالت: دونكم هذه المنذورة، فتنافسوا فيها؛ لأنها بنتُ عمران، وكان من أئمتهم، فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ إن خالتها زوجتي، فأخذها، وضمها إلى إيشاع خالتها، فلما كبرت، أفرد لها غرفة ـ كما تقدم ـ، وولدت عيسى ـ عليه السلام ـ ببيت لحم، وهي قرية قريبة من القدس سنة أربع وثلاث مئة لغلبة الإسكندر.

ولما جاءت مريم بعيسى تحملـه، قال لها قومها: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[مريم: ٢٧]، وأخذوا الحجارة ليرجموهـا، فتكلم عيسى وهو في المهـد مُعَلَّقاً في منكبهـا، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم: ٣٠ ـ ٣١]، فلما سمعـوا كلام ابنها، تركوها.

ثم إن مريم أخذت عيسى، وسارت بـه إلى مصر، ثم عاد عيسى وأمه إلى الشام، ونزلا الناصرة، وبها سميت النصـارى، وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله تعالى إليه، وأرسله إلى الناس، وصار إلى الأردن، وهو نهر الغور المسمى بالشريعة، فاعتمد، وابتدأ بالدعوة، وكان يحيى بن زكريا هـو الذي عمَّـدَه، وكان ذلك لستة أيام خلت من كانون الثاني لمضي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة للإسكندر.

وأظهر عيسى المعجزات، فأحيا ميتاً، وجعل من الطين طائراً ـ قيل: هو الخفاش ـ، وأبرأ الأكْمَه والأبرص، وكان يمشي على الماء، وأنزل الله عليه المائدة، وأوحى الله إليه الإنجيل.

وكان الحواريون الـذين اتبعـوه اثني عشر رجـلاً، وهـم: شمعون الصفـا، وشمعون العتاني[١]، ويعقوب بن ربدي[٢]، ويعقوب بن خلفي وقولوس[٣]، ومارقوس، وأندرواس، وتمريلا، ويوحنـا، ولوقا، وتوما، ومتى.

وهؤلاء الذين سألوه نزول المائدة، فسأل عيسى ربه، فأنزل عليه سفرة حمراء مغطاة بمنديل، فيها سمكة مشوية، وحولها البقول ما عدا الكُرَّاث، وعند رأسها ملح، وعنـد ذنبها خل، ومعها خمسة أرغفة على

---

(١) في الأصل: «القناني».

(٢) في الأصل: «زيدي».

(٣) في الأصل: «وقوليس».

بعضها زيتون، وعلى باقيها رمان وتمر، فأكل منها خلق كثير ولم تنقص، ولم يأكل منها ذو عاهة إلا برِئَ، وكانت تنزل يوماً، وتغيب يوماً، أربعين ليلة.

وكانت اليهود قد جاءت في طلبه، فحضر بعض الحواريين إلى هرودُوس الحاكم على اليهود، وإلى جماعة من اليهود وقال: ما تجعلون لي إذا دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها، ودلهم عليه، فرفع اللهُ المسيحَ إليه، وألقى شِبْهه على الذي دلَّهُم عليه.

وقد اختلف العلماء في موته قبل رفعه: قيل: رفع، ولم يمت.

وقيل: بل توفاه الله ثلاث ساعات.

وقيل: سبع ساعات، ثم أحياه الله.

وتأول قائل هذه المقالة قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥].

ولما أمسك اليهود الشخص المشبه به، ربطوه، وجعلوا يقودونه بحبل، ويقولون له: إن كنت تحيي الموتى، أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون في وجهه، ويلقون عليه الشوك، وصلبوه على الخشب، فمكث عليه ست ساعات، ثم استوهبه يوسفُ النجارُ من الحاكم الذي كان على اليهود، وكان اسمه فيلاطوس، ولقبه هرودوس، ودفنه في قبر كان يوسف المذكورُ أعدَّه لنفسه.

وأنزل الله المسيحَ من السماء إلى أمه مريم، وهي تبكي عليه، فقال

لها: إن الله رفعني إليـه، ولم يصبني إلا الخيـر، وأمرها، فجمعت لـه الحواريين، فبعثهم في الأرض رسـلاً عن الله، وأمرهـم أن يبلغـوا عنـه ما أمره الله به، ثم رفعه الله إليه، وتفرق الحواريون حيث أمرهم.

وكان رفعُ المسيح لمضيٍّ ثلاث مئة وست وثلاثين سنة من غلبـة الإسكندر على دارا، وكان بين رفع المسيح ومولد النبي ﷺ خمسُ مئة وخمس وأربعون سنة تقريباً.

وعاش المسيح إلى أن رُفِعَ ثلاثاً وثلاثين سنة، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ عشر مرات.

وأما أُمَّة عيسى، فهم النصارى.

وأما مريم أم عيسى، فإنها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة؛ لأنها حملت بالمسيح لما صار لها ثلاث عشرة سنة، وعاشت معـه مجتمعة ثلاثًا وثلاثين سنة وكسراً، وبقيت بعد رفعه ست سنين.

* * *

٢١ ـ ذكر خراب بيت المقدس

الخراب الثاني، وهلاك اليهـود، وزوال دولتهم زوالاً لا رجوع بعده.

قد تقدم ذكر عمارة سليمان بيت المقدس، وفراغه منه، وذكر غزو بختنصر القدس حتى خرَّبه، وشتت بني إسرائيل في البـلاد، وأنـه استمر خراباً سبعين سنة، ثم عُمِّر، فيكون ابتداء عمارته الثانية لمضي ألف وسبع

وستين، أعني: في ثمان وستين بعد الألف لوفاة موسى، ولمضي تسع وثمانين سنة من ابتـداء ملك بختنصر، فتكون عمارتـه في سنة تسعين من مُلك المذكور.

ثم تراجع إليه بنو إسرائيل، وصاروا تحت حكم الفرس، ثم صاروا تحت حكم اليونان ـ كما تقدم بعد ذكر بختنصر ـ، واستمر بنو إسرائيل كذلك حتى قتلوا زكريا بعد ولادة المسيح ـ كما تقدم ذكره ـ، ثم لما ظهر المسيح، ودعا الناس بما أمره الله بـه، أراد هرودوس قتله، وكان اسم هرودوس: فيلاطوس، فرفع الله عيسى إليه، وكان منه ما تقدم.

ثم تولى جماعة من الملوك واحداً بعد واحدٍ إلى أن ملك طيطوس، وفي السنة الأولى من ملكه قصد بيت المقدس، وأوقع باليهود، وقتلهم وأسرهم عن آخرهم، إلا من اختفى، وخرب بيـت المقدس، وأحرق الهيكل، وأحرق كتبهم، وخلا القـدس من بني إسرائيل، كـأنْ لم تَغْنَ بالأمس، ولم تعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم، وكان ذلك بعـد رفع عيسى المسيح بنحو أربعين سنة، وثلاث مئة وست وسبعين سنة مضت من غلبة الإسكندر، ولثماني مئة وإحدى عشرة سنة مضت لابتداء ملك بختنصر، فيكون لبثُ بيت المقدس على عمارته الأولى إلى حين خربه بختنصر أربع مئة وثلاثـاً وخمسين سنة، ثم لبث على التخريب سبعين سنة، ثم عُمِّر، ولبث على **عمارته الثانية** إلى حين خربه طيطوس التخريب الثاني سبع مئة وإحدى وعشرين سنة، ثم بعد أن خربه طيطوس التخريب الثاني، تراجع إلى العمارة قليلاً قليلاً، وترمَّمَ شعثـه، واستمـر عامراً،

وهي **عمارته الثالثة** حتى سارت هيلانة أم قسطنطين إلى القدس في طلب خشبة المسيح التي زعم النصارى أن عيسى صلب عليها، ولما وصلت إلى القدس، بَنَتْ [كنيسة] قمامة على القبر الذي تزعُم النصارى أن عيسى دُفن به، وخربت هيكل بيت المقدس إلى الأرض، فأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالاته، فصار موضع الصخرة مزبلة، وبقي الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب ﷺ، وفتح القدس في سنة خمس عشرة من الهجرة الشريفة، فدَلَّه بعضهم على موضع الهيكل، فنظفه عمر من الزبايل، وبنى به مسجداً، وبقي ذلك المسجد إلى أن تولى الوليد بن عبد الملك الأموي، فهدم ذلك المسجد، وبنى على الأساس القديم المسجدَ الأقصى، وقبةَ الصخرة وبنى هناك قباباً ـ أيضاً ـ يسمى بعضها: قبة الميزان، وبعضها: قبة المعراج، وبعضها: قبة السلسلة، والأمر على ذلك إلى يومنا هذا.

وخلاصة ما ذكر: أن هيكل بيت المقدس **عمره سليمان بن داود**، وبقي عامراً حتى خربه بختنصر، وهو التخريب الأول، ثم عمره كورش، وهي **عمارته الثانية**، وبقي حتى خربه طيطوس التخريب الثاني، ثم تراجع إلى العمارة قليلاً قليلاً حتى خربته هيلانة أم قسطنطين **التخريب الثالث**، ثم عمره عمر بن الخطاب ﷺ، وهي **عمارته الرابعة**، ثم خرب ذلك، وعمره الوليد بن عبد الملك، وهي **عمارته الخامسة**، وهو على ذلك إلى يومنا هذا.

* * *

٢٢ ـ ذكر أُمَّة اليهود

قد تقدم ذكر موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، وقد تقدم ـ أيضاً ـ ذكر يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليهم السلام ـ.

ويعقوب هو إسرائيل، وكان لإسرائيل المذكور اثنا عشر ابناً تقدم ذكرُهم عند ذكر إسحاق ـ عليه السلام ـ، وهم: روبيل، ثم شمعون، ثم لاوي، ثم يهوذا، ثم يساخر، ثم زبولون، ثم يوسف، ثم بنيامين، ثم دان، ثم نفتالي، ثم كاذ، ثم أشر، وهؤلاء الاثنا عشر كانوا أسباط بني إسرائيل، وجميع بني إسرائيل أولاد الاثني عشر المذكورين.

وأُمة اليهود أعمُّ من بني اسرائيل؛ لأن كثيراً من أجناس الفرس والعرب والروم وغيرهم صاروا يهوداً، ولم يكونوا من بني إسرائيل، وإنما بنو إسرائيل هم الأصل في هذه الملة، وغيرهم دخيل فيها، فلذلك لا يقال لكل يهودي: إسرائيلي.

وأما اسم اليهود، فمعناه: هاد الرجل؛ أي: رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم؛ لقول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٥٦]؛ أي: رجعنا إليك، وتضرَّعْنا.

وكتابهم التوراة، وقد اشتملت على أسفار، فذكر في السِّفْرِ الأول: مبتدأ الخلق، ثم ذكر الأحكام والحدود والأحوال والقصص، والمواعظ والأذكار في سفر سفر.

وأنزل على موسى ـ عليه السلام ـ الألواح أيضاً، وهي ستة،

مختصر ما في التوراة.

وافترقت اليهود فرقاً كثيرة:

فالربانية منهم كالمعتزلة فينا، **والقراؤون** كالمجبرة والمشبهة فينا.

ومن فرق اليهود: **العانانية** نُسبوا إلى رجل منهم يقال له: عانان بن داود، فمن مذهب العانانية المذكورين: أنهم يصدقون المسيح في مواعظه وإشاراته، ويقولون: إنه لم يخالف التوراة البتة، بل قرَّرَها، ودعا الناس إليها، وهو من أنبياء بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة، إلا أنهم لا يقولون بنبوته.

ومنهم من يدعي أن عيسى لم يدَّعِ أنه نبي مرسل، ولا أنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى ـ عليه السلام ـ، بل هو من أولياء الله المخلصين، وأن الإنجيل ليس كتاباً منزلاً عليه وحياً من الله تعالى، بل هو جميع أحواله، جمعه أربعة من أصحابه، واليهود ظلموه أولاً حيث كذبوه، ولم يعرفوا بعد دعوته، وقتلوه آخراً، ولم يعلموا محله ومغزاه.

وقد ورد في التوراة ذكر المسيحا في مواضع كثيرة، وهو المسيح.

وأما **السامرة**، فمنهم فرقة يقال لها: الدستانية، وتسمى ـ أيضاً ـ: الغانية.

ومنهم فرقة يقال لها: كوشانية، ولهم أعياد واعتقادات لا حاجة إلى ذكرها.

* * *

٢٣ ـ ذكر أُمَّة النصارى

وهم أُمة المسيح.

واتفقت النصارى على أن المسيح قتله اليهود وصلبوه، ويقولون: إن المسيح بعد أن قُتل وصلب، ومات، عاش، فرأى شخصَه شمعونُ الصفا، وكلَّمَه، وأوصى إليه، ثم فارق الدنيا، وصعد إلى السماء.

وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبارهم ثلاث فرق: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية.

وأما **الملكانية**: فهم أصحاب مَلْكا الذي ظهر في بلاد الروم، واستولى عليها، فصار غالب الروم ملكانية.

وأما **النسطورية**: فهم أصحاب نسطورس، وهم عند النصارى كالمعتزلة عندنا.

وأما **اليعقوبية**: وهم أصحاب يعقوب البردعاني، وكان راهباً بالقسطنطينية.

ولهم أعياد واعتقادات فاسدة ـ لعنة الله عليهم أجمعين ـ.

فمن الأمم التي دخلت في دين النصارى: أمة الروم.

* ومنها: **الأرمن**، وكانت بلادهم أرمينية، وقاعدة مملكتها خلاط.

* ومنها: **الكرج**: وبلادهم مجاورة لبلاد خلاط.

* ومنها: **الجركس**: والغالب عليهم دين النصارى.

* ومنها: **الفرنج**: وهم أمم كثيرة، وأصل قاعدة بلادهم فرنجة، وهي مجاورة لجزيرة الأندلس من شمالها، ويقال لملكهم: فرنسيس، وهو الذي قصد ديار مصر، وأخذ دمياط، ثم أسره المسلمون، ومَنُّوا عليه بالإطلاق، وكان ذلك بعد موت الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد في سنة ثمان وأربعين وست مئة للهجرة، وقد غلب الفرنج على معظم جزيرة الأندلس.

* ومنها: **الجلالقة**: أشد من الفرنج، وهم أمة يغلب عليهم الجهل والجفاء، ومن زِيِّهم: أنهم لا يغسلون ثيابهم، بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى، ويدخل أحدهم دار الآخر بغير استئذان، وهم كالبهائم، ولهم بلاد كثيرة في شمال الأندلس.

وأمم كثيرة مختلفة لا حاجة إلى ذكرهم في هذا المحل.

* * *

٢٤ ـ ذكر أمم الهند

وهم فرق كثيرة:

ومن فرقهم: **الباسوية**، زعموا أن لهم رسولاً مَلَكاً روحانياً، نزل بصورة البشر، فأمرهم بتعظيم النار، والتقرب إليها بالطيب والذبائح.

ومنهم: **اليهودية**، ومن مذهبهم: أن لايعافوا شيئاً؛ لأن الأشياء جميعها صنعُ الخالق، ويحرمون الذبائح، والنكاح.

ومنهم: عبدة الشمس.

ومنهم: عبدة القمر.

ومنهم: عبدة الأصنام، وهو معظمهم.

ومنهم: عباد الماء ويقال لهم: الجلهلينية، ويزعمون أن الماء ملك، وهو أصل كل شيء، فإذا أراد الرجل عبادة الماء، تجرد، وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه، فيقيم فيه ساعتين وأكثر، ويأخذ ما أمكنه من الرياحين، فيقطعها صغاراً، ويلقيها في الماء، وهو يسبح ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرك الماء بيده، ثم أخذ منه، فنقط على رأسه ووجهه، ثم يسجد وينصرف.

ومنهم: عباد النار.

ومنهم: البراهمة: أصحاب الفكرة؛ وهم أهل العلم بالفلك والنجوم، وإنما[1] سُمُّوا أصحاب الفكرة؛ لأنهم يعظمون أمر الفكر، ويقولون: هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، والبراهمة لا يقولون بالنبوات، وينفونها بالكُلِّية.

ولا يرون إرسالَ الريح من بطونهم قبيحاً، والسعال عندهم أقبحُ من الضراط، والجشاءُ أقبح من الفساء، والزنا في دينهم مباح.

* * *

(١) في الأصل: «مهما».

٢٥ ـ ذكر أُمَّة السِّنْد

وهم غربي الهند، وبلاد السند قسمان:

قسم إلى جانب البحر، والمسلمون غالبون على هذا القسم.

والقسم الثاني في البر إلى جانب الجبل، وهي في أيدي الكفار، وأهلها يعبدون الأوثان.

* * *

٢٦ ـ ذكر أُمم السودان

وهم من ولد حام، وأديانهم مختلفة، فمنهم مجوس، ومنهم من يعبد الحيات، ومنهم أصحاب أوثان.

فمن أعظم الأمم: **الحُبش**، وبلادهم تقابل الحجاز، وبينهم البحر، وهم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام.

وخصيانُ الحبشة أفخرُ الخصيان.

ويجاور الحبشة من الجنوب: الزيلع، والغالب عليهم دين الإسلام.

ومن أمم السودان: النوبة، وهم يجاورون الحبشة من جهة الشمال والغرب، وهم جنوب حدود مصر، ويقال: إن لقمان الحكيم الذي كان مع داود النبي ـ عليه السلام ـ من النوبة، ومنهم ذو النون المصري، وبلال بن حمامة.

ومن أممهم: البجا، وهم شديدو السواد، عراة، ويعبدون الأوثان،

وفي بلادهم الذهب، وهم أهل أمن وحسن مرافقة للتجار، وهم فوق الحبشة إلى جهة الجنوب على النيل.

ومن أممهم: **الدمادم**، وبلادهم على النيل، وهم تتر السودان، ولهم أوثان وأوضاع مختلفة، وفي بلادهم الزرافات، وفي أرض الدمادم يفترق النيل إلى جهة مصر، وإلى الزنج.

ومن أممهم: **الزنج** وهم أشد السودان سواداً، ويحاربون راكبين البقر، ويعبدون الأوثان، والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم.

ومن أممهم: **التكرور**: وهم على غربي النيل، وببلادهم يكون الذهب، وهم كفار مهملون، ومنهم مسلمون.

ومن أممهم: **الكانم**، وأكثرهم مسلمون، وهم على النيل، وهم على مذهب مالك رضي الله عنه.

وأم عانة، وهي من أعظم مدن السودان، يسافر إليها التجار، ولا يجلبون منها إلا الذهب العين.

* * *

٢٧ ـ ذكر أمم الصين

وهي بلاد طويلة عريضة، وهم أحسن الناس سياسة، وأكثرهم عدلاً، وهم أهل مذاهب مختلفة، فمنهم مجوس وأهل أوثان، وهم أحذق خلق الله بنقش أو تصوير؛ بحيث يعمل الرجل الصيني بيده ما يعجز

عنه أهل الأرض، وأخبارهم منقطعة عنا.

* * *

٢٨ ـ ذكر بني كنعان

هم أهل الشام، وإنما سمي الشام شاماً؛ لسكنى سام بن نوح به، وسام اسمه بالعبرانية: شام ـ بشين معجمة ـ، وقيل: تشامت به بنو كنعان، فسمي شاماً.

* * *

٢٩ ـ ذكر البربر

قبائل البربر كثيرة جداً.

فمنهم: كتامة: وبلادهم الجبال من المغرب الأوسط، وكتامة [هم] الذين أقاموا دولة الفاطميين.

ومنهم: صنهاجة: ومن صنهاجة ملوك إفريقية.

ومنهم: زناتة: ولهم الفروسية والشجاعة.

ومنهم: المصامدة، وسكناهم في جبل درن، وهم الذين قاموا بنصرة المهدي[1].

---

(١) هو المهدي بن تومرت.

ومنهم: **برغواطة**، ومنازلهم في تامسنا، وجهات سَلاً على البحر المحيط.

والبربر مثل العرب في سكنى الصحارى، ولهم لسان غير العربي، ولغاتهم ترجع إلى أصول واحدة، وتختلف في فروعها، حتى لا يفهم بعضُهم من بعض إلا بتَرْجُمان.

* * *

٣٠ ـ ذكر العمالقة

وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام، ولما تبلبلت الألسن، نزلت العمالقة صنعاء من اليمن، ثم تحولوا إلى الحرم، وأهلكوا من قاتلهم من الأمم، وكان من العمالقة جماعة بالشام، وهم الذين قاتلهم موسى ـ عليه السلام ـ، ثم يوشع بعده، فأفناهم، وكان منهم فراعنةُ مصر، وكان منهم مَنْ ملكَ يثرب، وخيبر، وتلك النواحي.

* * *

٣١ ـ ذكر أمم العرب وأحوالهم قبل الإسلام

العرب الجاهلية أصناف:

فصنف أنكروا الخالق والبعث، وقالوا: بالطبع المحيي، والدهر المفني.

وصنف اعترفوا بالخالق، وأنكروا البعث.

وصنف عبدوا الأصنام، وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل، فمنهم: وَدٌّ، وسُواعٌ، ويَغوثُ، ويَعوقُ، ونَسْرٌ، واللاتُ، والعُزَّى، ومناة، وكان هُبَلُ أعظمَهم على ظهر الكعبة، وكان إسافٌ ونائلةُ على الصفا والمروة.

وكان منهم من يميل إلى اليهودية.

ومنهم من يميل إلى النصرانية.

وإلى الصابئة.

ومنهم من يعبد الملائكة.

ومنهم من يعبد الجن.

وكانت علومُهم علومَ الأنساب، والتواريخ، وتعبير الرؤيا، وكان لأبي بكر الصديق ﷺ فيها يد طولى، وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاءت شريعة الإسلام بها، منها: عدم نكاح الأمهات والبنات، والجمع بين الأختين، ويعيبون المتزوج بامرأة أبيه، ويسمونه: الضَّيزَنْ، وكانوا يحجون البيت، ويعتمرون ويطوفون ويسعون، ويقفون المواقف كلها، ويرمون الجمار، وكانوا يكبسون في كل ثلاثة أعوام شهراً، ويغتسلون من الجنابة، ويداومون على المضمضة والاستنشاق، وفرق الرأس، والسواك، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، ويقطعون يد السارق اليمنى.

* * *

٣٢ ـ ذكر بني حِمْيَرِ بن سبأ

فمنهم: التبابعة ملوك اليمن.

ومنهم: قضاعة بن مالك، وكان مالكاً لبلاد الشحر، وقبره في جبل الشحر.

ومن قضاعة: كلب، وهم بنو كلب بن وبرة، وكـان بنو كلب في الجاهلية ينزلون دُومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشـام، ومن مشاهير كلب: زهير بن خباب الكلبي، ومنهم زهير بن شريك الكلبي، ومنهم: حارثة الكلبي: وهو أبـو زيد بن حارثـة مولى رسول الله ﷺ، وكان قد أصاب ابنـه زيداً سباء في الجاهلية، فصار إلى خديجة زوجِ النبي ﷺ، فوهبته للنبي ﷺ، ثم اجتمع بزيد أبوه حارثة وهو عند النبي ﷺ، فَخَيَّره رسول الله ﷺ، فاختاره على أبيه وأهله[1].

ومن قضاعة: بلي.

ومن قضاعة: جهينة، وهي قبيلة عظيمة، ينسب إليها بطون كثيرة، وكانت منازلهم بأطراف الحجاز الشمالي من جهة بحر جدة.

ومن قبائل قضاعة: بنو سليح، وبنو نهد.

ومن مشاهير بني نهد: الصقعب بن عمرو النهدي، وهو أبو خالد ابن الصقعب، وكان ريساً في الإسلام.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٩٤٦)، عن زيد بن حارثة رضي الله عنه.

ومن بطون حمير: الشَّعبيُّ الفقيه، واسمه عامر.

* * *

٣٣ ـ ذكر بني كهلان بن سبأ

وصار من بني كهلان المذكور أحياء كثيرة، والمشهور منها سبعة، وهي: الأزد، وطَيّ، ومَذْحِج، وهَمْدَان، وكِندة، ومراد، وأنمار.

فقبائل **الأزد منهم**: الغساسنة ملوك الشام، وهم بنو عمرو بن مازن ابن الأزد.

ومن الأزد: الأوس والخزرج أهل يثرب، والمسلمون منهم هم الأنصار رضي الله عنهم.

* * *

٣٤ ـ قصة الفيل

قال ابن الأثير في «الكامل»: إن الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير، فلما صار الملك إلى أَبرهة منهم، بنى كنيسة عظيمة، وقصد أن يصرف حجَّ العرب إليها، ويُبطل الكعبة الحرام، فجاء شخص من العرب، وأحدثَ في تلك الكنيسة، فغضب أبرهةُ لذلك، وسار بجيشه، ومعه الفيل، وقيل: كان معه ثلاثة عشر فيلاً؛ ليهدم الكعبة، فلما وصل إلى الطائف، بعث الأسودَ بنَ مقصود إلى مكة، فساق أموالَ أهلها، وأحضرها إلى أبرهة، وأرسل أبرهةُ إلى قريش، وقال لهم: لست أقصد الحرب،

بل جئت لأهدم الكعبة، فقال عبد المطلب: والله! ما نريد حربـه، هذا بيت الله، فإن منـع عنه، فهو بيته وحرمه، وإن خلى بينه وبينه، فوالله! ما عندنا مِنْ دفع.

ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة إليـه، فلما استؤذن لعبـد المطلب[1]، قالوا لأبرهة: هذا من أكابر قريش، فأذن له أبرهة وأكرمه، ونزل عن سريره، وجلس معه، وسأله عن حاجته، فذكر عبد المطلب أباعره التي أُخِذت له، فقال له أبرهة: إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك، فقال عبد المطلب: أنـا ربُّ الأباعـر فأطلبها، وللبيت ربٌّ يمنعـه، فأمر أبرهة بردِّ أباعره عليه، فأخذها عبد المطلب، وانصرف إلى قريش.

ولما قاربَ أبرهـةُ مكةَ، وتهيأ لدخولها، بقي كلما قَبَّـلَ فيلَه مكة ـ وكان اسم الفيل محموداً ـ ينام، ويرمي بنفسه إلى الأرض، ولـم يسر، فإذا قَبَّلوه غيرَ مكة، قام يهرول.

وبينمـا هم كذلـك إذ أرسل الله تعـالى عليهم طيـراً أبابيـل أمثـالَ الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فقذفتهم بها، وهي مثل الحمص والعدس، فلم تصب منهم أحـداً إلا هلـك، وليس كلهم أصابت، ثم أرسل الله تعالى سيلاً، فألقاهم في البحر، والذي سلم منهم وَلَّى هارباً مع أبرهة إلى اليمن يبتدر الطريق، وصاروا يتساقطون بكل

---

(١) في الأصل: «فلما استأذن على عبد المطلب».

مَنْهَل، وأصيب أبرهةُ في جسده، وسقطت أعضاؤه، ووصل إلى صنعاء كذلك، ومات.

ولما جرى ذلك، خرجت قريش إلى منازلهم، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً.

ولما هلك أبرهة، ملك بعده ابنه يكسوم، ثم أخوه مسروق بن أبرهة، ومنه أخذت العجم اليمن، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

* * *

٣٥ ـ ذكر التاريخ الإسلامي

أما التواريخ، فكانت الأمم السالفة تؤرخ بالأحداث العظام، وتَمَلُّكِ الملوك، وأرَّخوا بهبوط آدم، ثم ببعث نوح، ثم بالطوفان، ثم بنار إبراهيم.

وأرخ **بنو إسحاق** بنار إبراهيم إلى [مبعث] يوسف، ومن [مبعث] يوسف إلى مبعث موسى، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان بن داود، ثم بما كان من الكوائن، ومنهم من أرخ بوفاة يعقوب ـ عليه السلام ـ، ثم بخروج موسى من مصر ببني إسرائيل، ثم بخراب بيت المقدس.

وأما **بنو إسماعيل**، فأرخوا ببناء الكعبة، ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقوا، وكان كل من خرج منهم من تهامة يؤرخ بخروجه، ثم أرخوا بعام الفيل، ثم أرخوا بأيام الحروب.

وكانت **حمير** يؤرخون بملوكهم التبابعة.

وأما **اليونانيون والروم**، فأرخوا بظهور الإسكندر.

وأما **النبط**[1]، فكانوا يؤرخون بملك بختنصر.

وأما **المجوس**، فكانوا يؤرخون بقتل دارا، وظهور الإسكندر، ثم بظهور أزدشير، ثم بملك يَزْدجرد.

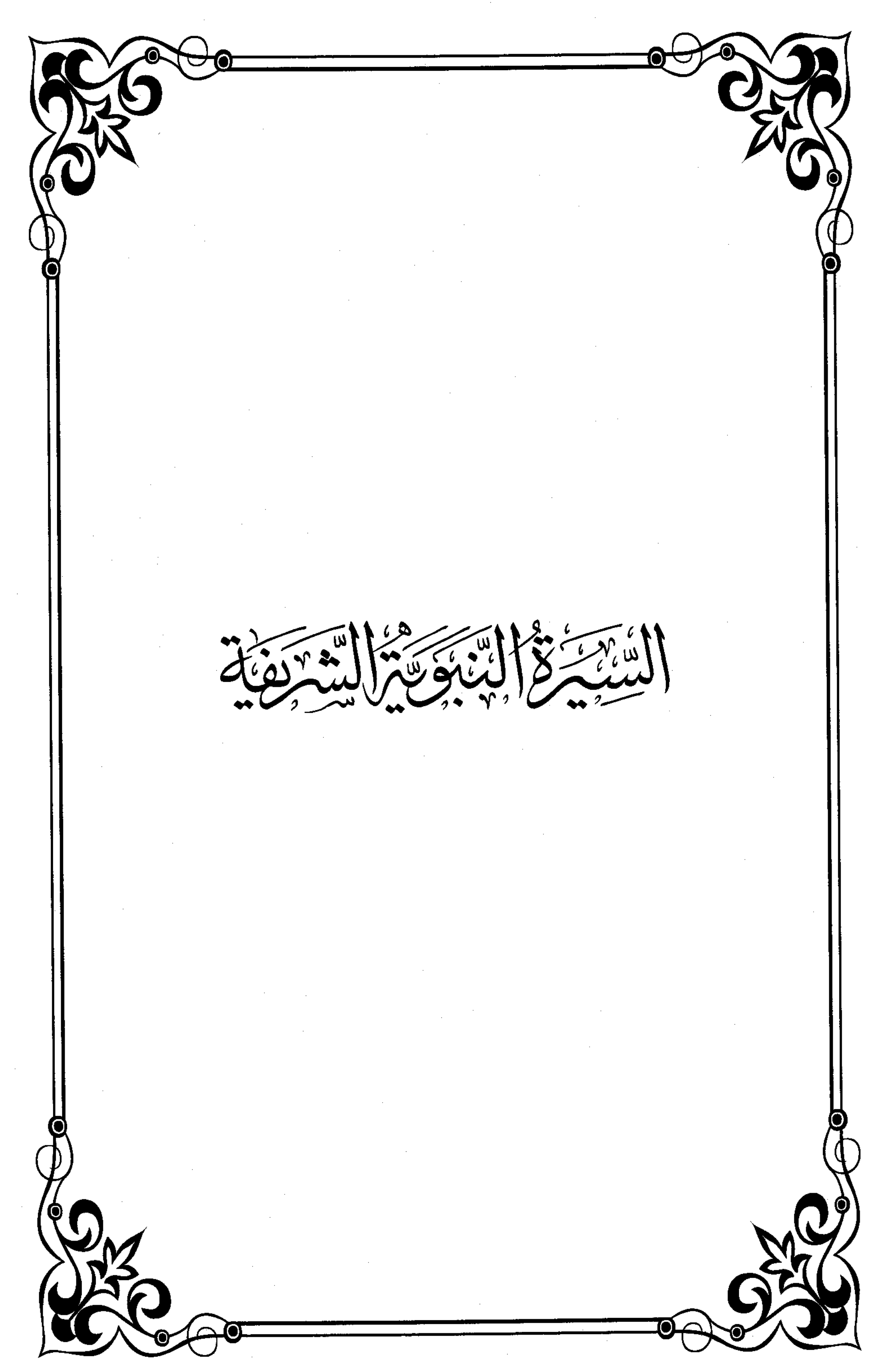
وولد سيدنا رسول الله ﷺ والعربُ تؤرخ بعام الفيل، ولم يزل التاريخ كذلك إلى أن ولي عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ الخلافةَ، فقرر الأمر على أن يؤرخوا بهجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، فجعلوا التاريخ من المحرم أول عام الهجرة[2].

❒ ❒ ❒

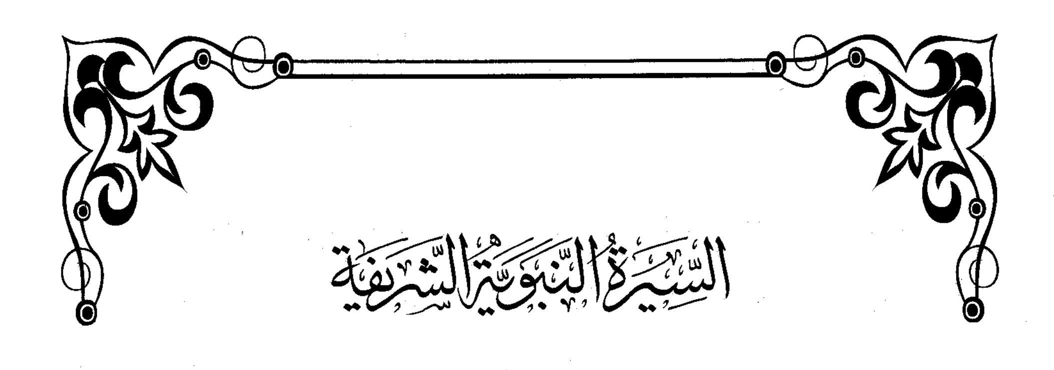
---

(١) في الأصل: «القبط».

(٢) انظر: «الأنس الجليل» للمؤلف (١/ ١٨٨).



السيرة النبوية الشريفة



ذكر سيد الأولين والآخرين

وخاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب ربِّ العالمين

محمدٍ البشير النذير، الداعي إلى الله بإذنه السراج المنير ﷺ

هو أبو القاسم، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

ففهر المذكـور هو قريش، فكل من كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده، فليس قرشيًا.

وقيل: سمي قريشاً؛ لشدة شبهه بدابة من دواب البحر يقال لها: القِرْش، تأكل دواب البحر، وتقهرهم.

وقيل: إن قصي بن كلاب لما استولى على البيت، وجمـع أشتات بني فهر، سموا قريشاً؛ لأنه قَرَّشَ بني فهر؛ أي: جمعهم حول الحرم، فقيل لهم: قريش، فعلى هذا يكون لفظ قريش اسماً لبني فهر، لا لفهر نفسه.

وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركـة بن إلياس

ابن مُضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، هذا هو المتفَقُ على صحته من غير خلاف.

وعدنانُ من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما السلام ـ من غير خلاف، ولكن الخلاف في عدة الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل ـ عليه السلام ـ، فعدَّ بعضُهم بينهما نحوَ أربعين رجلاً، وعدَّ بعضهم سبعة.

والمختار: أن عدنان بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبَت بن حمل بن قيذار، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ابن تارح ـ وهو آزر ـ بن ناحور بن ساروغ بن رعون بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامخ ـ ويقال: لامك ـ ابن متوشلح بن حنوخ ـ وهو إدريس ـ بن يرد، بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ـ عليه السلام ـ.

* * *

ذكر أسمائه ﷺ

فهي ثلاثة وعشرون اسماً: محمد، أحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب، والمقفي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملاحم، والشاهد، والبشير، والنذير، والضحوك، والقَتَّال، والمتوكل، والفالح، والأمين، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبي والأمي، والقثم، قاله ابن الجوزي.

وذكر غيرُه أسماء كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية خشية أن تخرج عن حد الاختصار.

قال علماء السِّيَرِ والمؤرخون: كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف في حِجْر عمها وهيب بن عبد مناف، فمشى إليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبدالله، فخطب عليه آمنة بنت وهب، فعقد العقد، وأخذ الميثاق والعهد، ولم يُر مثل ذلك اليوم المشهود، الذي طلعت فيه نجوم السعود، وكملت المسرات وأضاء الوجود، ثم خطب عبدُ المطلب في مجلسه ذلك هالةَ بنتَ وهيب ابنةَ عم آمنة من أبيها لنفسه، فزَوَّجه إياها، فتزوج عبدُ المطلب وابنُه عبدالله في مجلس واحد.

فولدت هالةُ بنتُ وهيب لعبد المطلب: حمزةَ، والمقوم، وصفية أم الزبير.

ولما دخل عبدالله بآمنة، واجتمع شمله بشملها، ظهر صفاء يقينها، وطلع طالع سعد تمكينها، وحملت بسيد العالم، وأشرفِ بني آدم، وتلألأت الأنوار النبوية في غُرَّة آمنة التقية.

ثم خرج عبدالله بن عبد المطلب إلى الشام في عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم، ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة، وعبدالله بنُ عبد المطلب يومئذ مريض، فتخلف عند أخواله بني عَدِيٍّ بن النجَّار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، فتوفي ودُفِنَ في دار النَّابغةَ رجلٌ من بني عديٍّ بن النجار فأُخبر عبدُ المطلب بذلك، فوَجَدَ عليه عبدُ المطلب وإخوته وأخواته وَجْداً شديداً، ورسولُ الله ﷺ يومئذ ابنُ شهرين، وقيل:

كان حِمْلاً، ولعبدالله يوم توفي خمس وعشرون سنة.

وجميع ما خلَّفه عبدُالله: خمسة جمال، وجارية حبشية اسمها بركة، وكنيتها أم أيمن، وهي حاضنة رسول الله ﷺ.

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين[1]، لعشر ليال خلون من ربيع الأول، وقيل: لاثنتي عشرة، وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النصف من المحرم، فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة[2]، وهي السنة الثانية[3] والأربعون من ملك كسرى أنوشروان، وهي سنة إحدى وثمانين وثماني مئة لغلبة الإسكندر على دارا، وهي سنة ألف وثلاث مئة وست عشرة لبختنصر، وهي سنة ستة آلاف ومئة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التوراة اليونانية المعتمدة ـ على ما تقدم شرحه ـ.

ولد ﷺ مختوناً مسروراً، ففرح به عبد المطلب، وحظي عنده، وقال: لَيكونَنَّ لابني هذا شأن، فكان له شأن وأيُّ شأن ﷺ.

* * *

ذكر رضاع النبي ﷺ

أولُ من أرضع رسولَ الله ﷺ ثويبةُ بلبن ابنٍ لها يقال له: مسروح

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (١١٦٢).

(٢) انظر: «المسند» للإمام أحمد (٤/ ٢١٥).

(٣) انظر: «المختصر» (١/ ١١٠)، وفيه: «السنة الثامنة».

أياماً، قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبلَه حمزةَ بنَ عبد المطلب، وأرضعت بعدَه أبا سلمةَ بنَ عبد الأسد المخزومي، فحمزةُ عمُّ النبي ﷺ، وأبو سلمةَ أَخَوا رسولِ الله ﷺ من الرضاع.

ثم قدمت حليمة إلى مكة، وكانت المراضع يقدمْنَ من البادية إلى مكة يطلبن أن يُرضعن الأطفال، فقدمت عِدَّةٌ منهن، ولم تجد حليمةُ طفلاً تأخذه غيرَ رسول الله ﷺ، وكان يتيماً، فلذلك لم يرغبن في أخذه، فأخذته حليمةُ بنتُ أبي ذؤيبِ بنِ الحارث السعديةُ، وتسلَّمته من أمه آمنة، ومضت به إلى بلادها، وهي باديةُ بني سعد، فوجدت من الخير والبركة ما لم تعهده من قبل ذلك، ولما خرجت به حليمة إلى بلادها، قالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف:

أُعِيذُهُ بِاللهِ ذِي الجَلالِ ... مِنْ شَرِّ مَا مَرَّ عَلَى الجِبَالِ

حَتَّى أَرَاهُ حَامِلَ الكَلالِ ... ويَفْعَلُ العُرْفَ إلى المَوَالي

وَغَيْرِهِمْ مِنْ حِشْوَةِ الرِّجَالِ[1]

يقال: من حشوة بني فلان ـ بكسر الحاء ـ؛ أي: من رذالتهم.

وبعد سنتين من مولده ﷺ: ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم قدمت به حليمةُ إلى مكة، وهي أحرصُ الناس على مكثه عندها، فقالت لأمه آمنة: لو تركتِ ابني عندي حتى يغلُظَ؛ فإني أخشى عليه وباءَ

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١١١).

مكة، ولم تزل بها حتى تركته معها، فأخذته، وعادت بـه إلى بلاد بني سعد، وبقي هناك.

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربع سنين: كان يغدو مع أخيه وأخته في البُهْم قريباً من الحي، فأتاه الملكان هناك، فشقا بطنه، واستخرجا عَلَقَة سوداء، فطرحاها، وغسلا بطنه بماء الثلج في طَسْت من ذهب.

قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ في «مسنده» بسند متصل إلى عتبة بن عبد السلمي: إن رجلاً سأل رسول الله: كيف كان أولُ شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانت حاضنتي من بني سعدِ بنِ بكرٍ، فانطلقتُ أنا وابنٌ لها في بُهْم لنا، ولم نأخذْ معنا زاداً، فقلتُ: يا أخي! اذهبْ فأْتِنا بزادٍ من عندِ أُمِّنا، فانطلق أخي، ومكثتُ عندَ البُهْم، فأقبل طائرانِ أبيضانِ كأنهما نَسْران، فقال أحدُهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأقبلا يَبْتَدِراني، فأخذاني فأضجعـاني، وشَقَّا بطني، ثم استخرجـا قلبي، وأخـرجـا منـه عَلَقَتين سَوْداوينِ، فقالَ أحدُهما لصاحبه: ائتني بماءٍ وثلجٍ، فغسلا به جَوْفي، ثم قال: ائتني بماءِ بَرَدٍ، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسَّكِينة، فذراها في قلبي، وختما بين كتفيَّ بخاتمِ النبوة، وقال أحدُهما لصاحبـه: اجعلْه في كِفَّة، واجعل ألفـاً من أمتـه في كِفَّـة، فإذا أنا أنظرُ إلى الألفِ فوقي أُشْفِقُ أن يَخِرَّ عَلَيَّ بعضُهم. ثم قال: لو أن أمته وُزِنَت به، لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني، وقد فرقْتُ فَرَقاً شديداً، ثم انطلقتُ إلى أمي، فأخبرتها بالذي لقيتُه، فأشفقتْ عليَّ، فقالت: أُعيذُك بالله، وحملتني على الرحل، وركبَـتْ خلفي حتى بلغَـتْ إلى أمي، فقالـت: أَدَّيْـتُ أمانتي وذِمَّتي،

وحَدَّثتها بالذي لقيتُ، فلم يَرُعْها ذلك، وقالت: إني رأيتُ حينَ خرجَ مني نوراً أضاءتْ منه قصورُ الشام»[1].

ثم رجعت به حليمة ـ أيضاً ـ، فكان عندها سنة أو نحوَها، لا تَدَعُه يذهب مكاناً بعيداً، ثم رأت غمامة تُظِلُّه، إذا وقف، وقفت، وإذا سار، سارت، فأفزعها ذلك من أمره، فذهبت به إلى أمه لتردَّه وهو ابن خمس سنين، قالت: فبينما أنا ذاهبة به، وهو معي بمكة، إذ سمعت هَدَّة عظيمة، فالتفتُّ فلم أجد محمداً، فصرت كالوالهة، وأنا أنادي في الناس: من رأى لي ولداً كالبدر في تمامه، والغصن في قَوامه؟ فلقيني عبد المطلب جدُّه، فقال: مالك يا حليمة؟ فقلت: يا عبد المطلب! إن محمداً قد ذهب مني، فصعد على الصفا، ونادى: يا صباحاه! فاجتمعَتْ إليه رؤساء قريش، ففرقهم في أركان مكة وما حولها يطلبون محمداً، فلم يجدوه، فرجع عبد المطلب إلى بيته، فلبس أثوابه، وأتى إلى الكعبة، فطاف وهو يقول:

رُدَّ إِلَيَّ وَلَدِي مُحَمَّدَا ... ارْدُدْهُ رَبِّي وَاصْطَنِعْ عِنْدِي يَدَا

فلم يلبث أن جاء محمد، فلما رآه عبد المطلب، ضمه إلى صدره، وقال: يا بني! حزنت عليك حزناً لا يفارقني أبداً[2].

ثم قدمت حليمةُ على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجةَ بنتَ خويلد،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» (١/ ١٥٤).

فشكَتْ جدبَ البلاد، وهلاكَ الماشية، فكلَّم رسولُ الله ﷺ خديجةَ فيها، فأعطتها أربعين شاة وبعيراً، وانصرفت إلى أهلها.

ثم قدمت حليمةُ وزوجُها الحارثُ على رسول الله ﷺ بعدَ النبوة، فأسلمتْ هي وزوجُها الحارث[1].

وقال بعض المؤرخين: إنه لا يُعرف لها صحبة ولا إسلام، وقد وَهَلَ فيها غير واحد، فذكروها في الصحابة.

وَهَلَ في الشيء؛ أي: غلط فيه.

وإخوة رسول الله ﷺ من الرضاع: عبدالله، وأنيسة، وجذامة ـ وهي الشيماء، غلب ذلك على اسمها ـ، وأمُّهم حليمةُ السعدية، وأبوهم الحارثُ ابنُ عبد العُزَّى السعدي، وهو أبو رسول الله ﷺ من الرضاع.

وفي سنة خمس من مولده قدم كاهن إلى مكة، فنظر إليه الكاهن مع جده عبد المطلب، فقال: يا معشر قريش! اقتلوا هذا الصبي؛ فإنه يفرقكم، ويقتلكم، فهرب به عبد المطلب، فلم تزل قريش تخشى ما كان الكاهن حذَّرهم[2].

فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين: خرجت به أمه إلى أخواله بني عَدِيِّ بنِ النجَّار بالمدينة تزورهم به، ومعه أُم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة، فأقامت به عندهم شهراً، ثم رجعت به

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١١٤).

(٢) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٢/ ٢٧١).

أمه إلى مكة، فلما كان بالأبواء، توفيت أمه آمنة، فَقَبْرُها هناك، فرجعت به أم أيمن إلى مكة، فضم عبدُ المطلب رسولَ الله ﷺ، ورَقَّ عليه رقةً لم يرقَّها على ولده، فلما حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ، أوصى أبا طالب بحفظِ رسولِ الله ﷺ وحياطتهِ.

ولسبعة مضت من عمره: خرج به عبد المطلب يستسقي، وقد كانت تتابعتْ على قريش سنون أقحلَتِ الضرعَ، وأدقَّت العظمَ، فصعِدَ عبدُ المطلب أعلى ذروة الجبل، ومعه رسولُ الله ﷺ، فدعا الله، فتفجرت السماء بمائها، واكتظَّ الوادي بثجيجه، فهُنئ عبدُ المطلب من أكابر قريش[1].

وأنشدَ بعضُهم يمدح رسولَ الله ﷺ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ الأَيَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وفي هذه السنة خرج عبدُ المطلب لتهنئة سيفِ بنِ ذي يزن بالظفر لمَّا ملكَ أرضَ اليمن، وقتلَ الحبشَ وأبادهم، وبشَّر سيفٌ عبدَ المطلب بأنه سيظهر رسولُ الله ﷺ من نسله.

وفي سنة ثمانية من مولده: كان موتُ عبد المطلب، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: مئة وعشر سنين، وقيل: مئة وعشرين سنة.

---

(١) انظر: «المنتظم» (٢/ ٢٧٣).

وسئل رسول الله ﷺ: أتذكر موتَ عبد المطلب؟ قال: «نعم، كنتُ ابنَ ثمانِ سنينَ»[1].

وضمه أبو طالب، وكان فقيراً لا مالَ له، وكان إذا أكل عيالُه جميعاً، أو فرادى، لم يشبعوا، فإذا أكل معهم رسولُ الله ﷺ، فَضَلَ من طعامهم، فيقول أبو طالب: إنه لمبارك، وأَحبَّه حباً شديداً.

وفي هذه السنة: كان هلاك حاتم الطائي، وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس، وأمه عتبة بنتُ عفيف بن طيء، ويكنى: أبا سفانة، وكان حاتم الطائي شاعراً جواداً.

* * *

ولمّا صار لرسول الله ﷺ اثنتا عشرة سنة وشهران: ارتحل أبو طالب إلى الشام، فحمل معه النبيَّ ﷺ، فلما نزل الركبُ بِبُصْرى من أرض الشام، وبها راهبٌ يقال له: بَحيرا في صومعة له، وكان ذا علم في النصرانية، وكان كثيراً ما يمرون عليه، ولا يكلمهم، حتى إذا كان ذلك العام، ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته، كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً، ثم دعاهم، وكان قد رآهم حين طلعوا، وغمامةٌ تُظِلُّ رسولَ الله ﷺ من بين القوم، حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة قد أظلَّت تلك الشجرة، واخضرَّتْ أغصانُ الشجرة حين استظل

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٩).

تحتَها، فنزلَ بحيرا من صومعته، وأمر بذلك الطعام، فأُتي به، وأرسل إليهم، وقال: إني صنعـت لكم طعامـاً يا معشر قريش، وأنا أحـبُّ أن تحضروا كلكم، ولا يتخلف منكم صغير ولا كبير، ولا حر ولا عبد؛ فإن هذا شيء تكرموني به، فقال رجل: إن لك لشأناً يا بحيرا.

ثم اجتمعوا إليه، وتخلَّفَ رسولُ الله ﷺ؛ لحداثة سنه، فلما نظر بحيرا إلى القوم، لم ير الصفة التي يجدها عنده، ورأى الغمامة متخلفةً على رسول الله ﷺ، فقال بحيرا: يا معشر قريش! ألم أقل لكم: لا يتخلف أحد عن طعامي؟ قالوا: ما تخلف إلا غلام حَدَث، قال: ادعوه فليحضُرْ طعامي، مع أني أراه من أنفَسكم، قالوا: هـو ـ والله ـ من أوسطنا نسباً، وهو ابنُ أخي هذا الرجل ـ يعنون: أبا طالب ـ، فقام إليه الحارث بن عبد المطلب، فاحتضنه، وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامةُ تسير على رأسه، فجعل بَحيرا يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدُها عنده من صفته.

فلما تفرقوا عن الطعام، قام إليه الراهب، وقال: يا غلام! أسألك باللات والعـزى إلا أخبـرتني عمـا أسـألك عنـه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَسْأَلْني باللَّاتِ والعُزَّى، فَوَاللهِ! ما أبغضْتُ شَيْئاً بُغْضَهَا».

قال: فبالله! إلا أخبرتني عما أسـألك عنـه، قال: «سَلْني عَمَّا بَدَا لَكَ»، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، ورسولُ الله ﷺ يخبره، فيوافقُ ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فقبَّلَ موضعَ الخاتم.

وقال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون أبوه حيّاً، قال: ابنُ أخي، قال: ما فعل أبوه؟ قال: هلك وأُمُّه حُبلى، قال: فما فعلَتْ أُمُّه؟ قال: توفيت قريباً، قال: صدقْتَ، ارجعْ بابن أخيك إلى بلده، واحذرْ عليه اليهود، فوالله! لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفتُ، ليَبْغِينَّهُ بغياً؛ فإن لابن أخيك شأناً عظيماً، واعلمْ أني قد أديت إليك النصيحةَ.

فرجع به أبو طالب بعد ما فرغوا من تجارتهم، وما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه[1].

وشبَّ رسول الله ﷺ حتى بلغ، وكان أعظمَ الناس مروءة وحلماً، وأحسنَهم جواباً، وأصدقَهم حديثاً، وأعظمَهم أمانة، وأبعدَهم عن الفحش، حتى صار اسمُه في قومه: الأمين؛ لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

وحضر مع عمومته حربَ الفُجَّار وعمُره أربعَ عشرةَ سنة: وهي حرب كانت بين قريش وكنانة، وبين هوازن، وسميت بالفجار؛ لما انتهكت فيها هوازنُ حرمةَ الحرم، وكانت الكَرَّة في هذه الحرب أولاً على قريش وكنانة، ثم كانت على هوازن، وانتصرت قريش.

* * *

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٣).

وفي سنة خمس عشرة من مولده: كان قيام قُسِّ بنِ ساعدة الإياديِّ بسوق عكاظ: وهو سوق كانوا يبيعون فيه ويشترون، وكان قُسٌّ خطيباً بليغاً حكيماً.

روى ابن عباس رضي الله عنهما: لما وَفَدَ وَفْدُ إيادٍ على رسـول الله ﷺ، قال لهم: «ما فعلَ قُسُّ بنُ سـاعِدَةَ؟»، قالوا: مات، قال: «كَأَنِّي أنظُرُ إليـهِ بسوقِ عُكاظٍ على جملٍ أَوْرَقَ يتكلَّمُ بكلامٍ له حلاوةٌ، ما أَجِدُني أحفَظُه»، فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا رسول الله، سمعته يقول: أيها الناس! احفظوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكـل ما هو آتٍ آت، ليلٌ داج، وسماءٌ ذات أبراج، وبحارٌ تزخر، ونجوم تزهر، وضوءٌ وظلام، وبرٌّ وآثام، ومطعمٌ ومشربٌ، وملبسٌ ومركبٌ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أَرَضُوا بالمقامِ فأقاموا، أم تُركوا فناموا؟ وإلهِ قُسٍّ! ما على وجه الأرض دينٌ أفضل من دينٍ قد أَظَلَّكم زمانُه، وأدرككم أوانُه، فطوبى لمن أدركه فاتَّبعه، وويل لمن خالفه، ثم أنشأ يقول:

فـــي الذَّاهِبِـــــينَ الأَوَّلِيـــــ ... ـــنَ مِـنَ الْقُـرُونِ لَنَـا بَـصَائِرْ

لَمَّـــــا رَأَيْـــــتُ مَـــــوَارِداً ... لِلْمَـوْتِ لَـيْسَ لَهَـا مَـصَادِرْ

وَرَأَيْـــتُ قَـــوْمِي نَحْوَهَـــا ... تَمْـضِـي الأَصـاغِرُ وَالأَكَـابِرْ

لا يَرْجِـعُ الماضِـــي إِلَـــيَّ ... وَلا مِـــنَ البـــاقِينَ غَـــابِرْ

أَيْقَنْـــتُ أَنِّـــي لاَ مَحَـــا ... لَـة حَيْـثُ صَـارَ القَـوْمُ صَـائِرْ

فقال رسول الله ﷺ: «يرحمُ اللهُ قُسّاً، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يبعَثَهُ اللهُ أُمَّةً وَحْدَهُ»[1].

* * *

وفي سنة عشرين من مولده ﷺ: كان حِلْفُ الفُضول، وحضره رسولُ الله ﷺ، وسببه: أن قيسَ بنَ شيبة[2] السلميَّ باع متاعاً من أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيِّ، فلواه، وذهبَ بحقه، فاستجار برجل من بني جُمَح، فلم يقم بجواره، فقال قيس:

يَالَ قُصَيٍّ كَيْفَ هَذَا فِي الحَرَمْ ... وَحُرْمَةِ البَيْتِ وَأَخْلاقِ الكَرَمْ

أُظْلَمُ وَلاَ يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمْ

فقام إليه العباسُ وأبو سفيان حتى ردّا عليه ظلامته، فاجتمعت قريش في دار عبدالله بن جدعان، وتحالفوا على ردِّ المظالم بمكة، وأن لا يُظلم أحدٌ إلا منعوه.

قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ شَهِدْتُ حِلْفاً في دارِ ابنِ جُدْعَانَ ما أُحِبُّ أَنَّ لي به حُمْرَ النَّعَمِ، ولو دُعِيتُ به لأَجَبْتُ»[3].

* * *

---

(1) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ١٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٦١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٨١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٥٢)، وهو حديث منكر، آفته محمد بن الحجاج اللخمي.

(2) في الأصل: «شبيبة».

(3) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٢٩)، عن جبير بن مطعم.

وفي سنة خمس وعشرين من مولده ﷺ: كان خروجه في تجارة خديجة، وتزويجه بها، وذلك أن خديجة كانت ذات شرف ومال، فلما بلغها صدقُ رسول الله ﷺ وأمانتُه، عرضت عليه الخروج في تجارتها إلى الشام، فأجاب إلى ذلك، وخرج ومعه غلامها مَيْسَرَة، وجعل عمومتُه يوصون به أهلَ العير، وساروا حتى وصلوا بُصْرى من أرض الشام، فنزلا في ظل شجرة، فرآه راهبٌ يقال له: نَسْطورا، فعرفه بالعلائم، وقال لميسرة: هذا ـ والله ـ الذي تجده أحبارُنا منعوتاً في كتبهم.

فلما رجعوا، ودخل عليها رسول الله ﷺ، فخبرها بما ربحوا، فسرَّتْ بذلك، ودخل عليها ميسرةُ، وأخبرها بما رأى منه، وبما قال له الراهب نسطورا، فأرسلَتْ دسيساً إلى رسول الله ﷺ، وتحدّث له في تزويجها.

وقدم رسول الله ﷺ، ومعه حمزةُ بنُ عبد المطلب، وأبو طالب، وغيرُهما من عمومته، حتى دخل على خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ، فخطبها إليه، فزوَّجها منه، وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة، وخديجةُ يومئذ ابنةُ أربعين سنة، وأصدَقَها عشرين بكرةً، وهي أولُ امرأة تزوجها، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، ولم يتزوج بِكْراً غيرَ عائشة.

وولدت له خديجة أولاده كلَّهم إلا إبراهيم؛ فإنه من مارية القِبْطية، وبقيةُ الأولاد من خديجة، وهم: زينب، ورُقَية، وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء، والقاسم، وبه كان يُكنّى، وعبدالله، والطاهر، والطيب.

فأما القاسم والطاهر، فماتا قبل الإسلام، وقيل: إن عبدالله وُلِد في

الإسلام، وهو الطيب، وأما بناتـه، فكلهن أدركْنَ الإسلام، فأسلَمْن، وهاجرن معه، وكان الرسولُ بين خديجة والنبي ﷺ نفيسةَ بنت مُنْيَة ـ أخت يعلى بن مُنْية ـ أسلمت يوم الفتح، فبرّها رسول الله ﷺ، وأكرمها.

ومنيـة ـ بالنون الساكنة، والياء المثنّاة من تحتها ـ، وهي أمُّها، والله أعلم.

* * *

وفي سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ: هدمَتْ قريشٌ الكعبـة، وكان سببُ هدمهم إياها: أنها كانت رضمة فوقَ القامة، فأرادوا رفعَها وسَقْفَها، فلما أرادوا هدمَها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، فتناول حجراً من الكعبـة، فوثـب من يده حتى رجـع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش! لا تُدخلوا في بنـائهـا إلا طيّباً، ثـم إن الناس هابوا هدمَها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم به، فأخذ المعول فهدَم، وتربَّص الناسُ تلك الليلة، وقالوا: ننظر؛ فإن أُصيب، لم نهدم منها شيئاً، فأصبح الوليد سالماً، وغدا إلى عمله، فهدم الناسُ معه حتى انتهى الهـدم إلى الأساس، ثم أَفْضَـتْ إلى حجـارة خُضْرٍ آخـذٍ بعضُها ببعض، فأدخل رجل من قريش عتلتين بين حجرتين منها؛ ليقلع أحدهما، فلما تحرك الحجر، انتفضت مكةُ بأسرها، فتركه، ثم جمعوا الحجارة لبنائها، وبنوا حتى بلغ البنيانُ موضعَ الحَجَر الأسود، فأراد كلُّ قبيلة رفْعَه إلى موضعه، حتى تخالفوا وتواعدوا القتال، فقرَّبَتْ بنو عبد الدار جَفْنَةً

مملوءةً دماً، ثم تعاقدوا هم وبني عَدِيٍّ على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، فسُمُّوا: لَعَقَةَ الدم؛ بذلك، فمكثوا على ذلك أربع ليال، ثم تشاوروا، فقال أبو أمية بنُ المغيرة، وكان أسنّ قريش: اجعلوا بينكم حَكَماً أولَ من يدخل من باب الحرم يقضي بينكم، فكان أولُ من دخلَ رسولُ الله ﷺ، فلما رأوه، قالوا: هذا الأمين، رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال: «هَلُمُّوا لي ثوباً»، فأُتي به، فأخذ الحجر، فوضعه فيه بيده، ثم قال: «ليأخُذْ كلُّ قبيلةٍ بناحية من الثوبِ، ثُمَّ ارْفَعوه جميعاً»، ففعلوا، فلما بلغوا به موضعه، وضعه بيده ﷺ، ثم بني عليه.

وكانت تُكْسى القَباطِيَّ، ثم كُسيت البُرودَ، وأولُ من كساها الديباجَ الحجاجُ بنُ يوسف.

* * *

ذكر مبعثه ﷺ وابتداء الوحي

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بُعِثَ النبي ﷺ، وأُنزِلَ عليه الوحيُ وهو ابن أربعين سنة[1]، وقيل: ابن ثلاث وأربعين، وكان يوم الاثنين بلا خلاف، لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان.

قالت عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغار حِرَاء، فيتحنّث فيه ـ وهو التعبُّدُ ـ الليالِيَ ذوات العـددِ قبلَ أن ينزعَ إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحقُّ وهو في غار حِرَاء، فجاءه الملك، فقال: اقرأْ، فقال: قُلْتُ: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فَغَطَّني حتى بلغَ مني الجهـد، ثم أرسلَني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنـا بقارئ، فأخذني فغطني الثانيةَ حتى بلغَ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[العلق: ١ ـ ٣]، فرجع بها رسولُ الله ﷺ يرجُفُ فؤادُه، فدخل على خديجـةَ بنتِ خُوَيلد، فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقدْ خَشِيتُ على نفسي»، فقالت خديجـة: كلا، والله! ما يُخزيك الله أبداً، إنك لَتصلُ الرحم، وتَحمل الكَلَّ، وتُكْسِبُ المعدومَ، وتَقْري الضيفَ، وتُعين على نوائب الحقِّ.

فانطلقت به خديجةُ حتى أتت بـه ورقـةَ بنَ نوفلِ بنِ أسدِ بنِ عبـدِ العُزَّى ابنَ عمّ خديجة، وكان امرأً قـد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بنَ عم! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بنَ أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هـذا الناموسُ الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيهـا جذعـاً، ليتني أكون حيـّاً إذ يُخرجك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: «أو

مخرجيّ هم؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ ما جئت به، إلا عوديَ، وإن يدركْني يومُك، أنصُرْك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي[1].

ثم كان أول ما أُنزِل عليه من القرآن بعد ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١]: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[القلم: ١]، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١]، ثم ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[الضحى: ١].

قالت خديجة لرسول الله ﷺ: يا بن عم! هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاء؟ قال: «نعم»، فجاءه جبريل، فأعلمها، فقالت: قم فاجلسْ على فخذي اليسرى، فقام رسول الله ﷺ، فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، فتحَسَّرَتْ، وألقت خِمارها، ورسولُ الله ﷺ في حِجْرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: «لا»، قالت: يا بن عم! اثْبُتْ وأبشر، فوالله! إنه لَمَلَكٌ، وما هو شيطان[2].

وقال الزهري: فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة، فحزن حزناً شديداً، فجعل يغدو إلى رؤوس الجبال ليتردّى منها، فكلما أوفى بذروة جبل، تبدّى له جبريل ـ عليه السلام ـ، فيقول له: إنّك رسولُ الله حقاً، فيسكن لذلك جأشُه، وترجع نفسه[3].

---

(١) رواه البخاري (٣).

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٧٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٤٣).

فلما أمر الله نبيه ـ عليه السلام ـ أن يُنْذِر قومَه عذابَ الله على ما هم فيه من عبادة الأصنام دون الله تعالى الذي خلقهم ورزقهم، وأن يُحَدّث بنعمة ربه عليه، وهي النبوة.

فكان أول من آمن به وصدّقه: خديجة زوجته.

ثم كان أول شيء فرض من شرائع الإسلام بعد الإقرار بالتوحيد، والبراءة من الأوثان: الصلاة: أتاه جبريل ـ عليه السلام ـ وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت فيه عين، فتوضأ جبريل، ورسولُ الله ﷺ ينظر إليه؛ ليُريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسولُ الله ﷺ، ثم قام جبريلُ فصلى به، وصلَّى النبي ﷺ بصلاته، وانصرف جبريل، وجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة، فعلَّمها الوضوءَ، ثم صلَّى بها، فصلَّت بصلاته.

* * *

ذكر رمي الشياطين بالشهب لمبعثه

قال العلماء بالسِّيَر: رأت قريش النجومَ تُرْمى بعد عشرين يوماً من مبعث رسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: انطلق رسولُ الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهبُ، فرجعت الشياطينُ إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، [وأرسلت علينا الشهب]،

قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء[1] حدثَ، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

قال: فانطلَقَ الذين اتجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلةَ وهو عائدٌ إلى سوق عُكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآن، تسمَّعوا لـه، فقالوا: هـذا الذي حالَ بينكم وبين خبـر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[الجن: ١ ـ ٢]، فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[الجن: ١]، أخرجاه في «الصحيحين»[2].

وعن سعيدِ بنِ جُبير، عن ابنِ عباس رضي الله عنهما، قال: كان الجن يستمعون الوحي، فيسمعون الكلمة، فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوا حقاً، وما زادوه باطلاً، وكانـت النجوم لا يُرمى بهـا قبـل ذلـك، فلما بُعِـثَ النبي ﷺ، كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هـذا إلا من أمـرٍ قـد حـدث، فبـثَّ جنودَه، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلَي نخلةَ، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدثُ الذي حدث في الأرض.

قال ابن الجوزي: قلت: وهذا الحديث يدل على أن النجوم لم يُرم بها إلا لمبعث نبينا ﷺ.

---

(١) في الأصل: «ما».

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٧)، ومسلم (٤٤٩).

ثم قال: وقد روينا عن الزهري: أنه قال: قد كان يُرمى بها قبل ذلك، ولكنها غلظت حين بُعِث النبي ﷺ[1].

* * *

ذكر الاختلاف في أول من أسلم

اختلف العلماء في أول من أسلم، مع الاتفاق: أن خديجة أولُ خلقِ الله إسلاماً، وهي أول من آمن به وصدَّقه.

قال الكلبي: أولُ من أسلم: عليٌّ، وكان عمره تسع سنين.

وقال ابن إسحاق: أولُ من أسلم: عليٌّ، وكان عمره إحدى عشرة سنة.

وروي عن عليٍّ رضي الله عنه: أنه قال: أنا عبدُالله، وأخو رسوله، وأنا الصدِّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفترٍ، صليت مع النبي ﷺ قبل الناس[2].

وقال ابن عباس: أولُ من صلَّى: عليٌّ.

و قيل: أول من أسلم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وقال ابن إسحاق: أول ذَكَرٍ أسلم بعد عليٍّ: زيدُ بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه، وأسلم على يده عثمان بن عفان، والزبير بن العوام،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٨٧).

(٢) رواه ابن ماجه في «مقدمة سننه» (١٢٠).

وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ، فأسلموا، وصلَّوا، وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا للإسلام، فأسلم مِنْ بَعْدِهِم مَنْ أسلم.

* * *

ذكر أمر الله تعالى نبيه بإظهار دعوته

أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر، وكان قبل ذلك في السنين الثلاثة مستتراً بدعوته، لا يُظهرها إلا إلى من يثق إليه، وكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة، ذهبوا إلى الشِّعاب، فاستَخْفَوا، ثم إن رسول الله ﷺ صدع بأمر الله تعالى، وبادأ قومه بالإسلام.

* * *

ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين

وهم قوم سبقوا إلى الإسلام، لا عشائر لهم تمنعهم، ولا قوة لهم يمتنعون بها، فأما من كانت له عشيرة تمنعه، فلم تصلِ الكفار منه إلى ما يريدون، ومِمَّنْ لا عشيرة له تمنعه؛ **بلال بن رباح الحبشي** مولى أُمية ابنِ خَلَف ـ وكان أبوه من سبي الحبشة، وأمه حمامة أيضاً سبية ـ كان الكفار يعذبونه بإلقائه في الرَّمْضاء على ظهره وقتَ الظهيرة، وبإلقاء الصخرة العظيمة على صدره، ويقال له: لا تزال هكذا حتى تموت، أوتكفرَ بمحمد، وتعبدَ اللاتَ والعزى، ثم صار إلى مُلك أبي بكر رضي الله عنه،

فأعتقه، فهاجر، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ.

ومنهم: **عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسي** ـ بالنون ـ: أسلم عمار هو وأبوه ياسر، وأمه سمية، فكانوا يُخرِجون عماراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الشمس، يعذبونهم بحرِّ الرمضاء، فمات ياسرٌ في العذاب، وأغلظَتْ سميةُ القولَ لأبي جهل، فطعنها في فرجها بحربة، فماتت، فهي أول شهيدة في الإسلام، وشدّدوا العذاب على عمار حتى فعل ما أمروه به، فتركوه، فأتى النبيَّ ﷺ، فأخبره بما كان. قال: «فكيفَ تَجِدُ قلبَكَ؟»، قال: أجده مطمئنّاً بالإيمان، فقال: «يا عَمَّارُ! فإنْ عَادُوا، فَعُدْ»[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل: ١٠٦].

وشهد عمارٌ المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وقُتِل بِصِفِّين مع عليٍّ رضي الله عنه، وعمره نيِّفٌ وتسعون سنة.

ومنهم: **خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ**: وكان أبوه سوادياً من كسكر، وكان إسلامه قديماً، قيل: سادس ستة، فأخذه الكفار وعذبوه عذاباً شديداً، فكانوا يُعرونه، ويُلصقون ظهره بالرمضاء بالرَّضْف، وهي الحجارة المحمَّاة بالنار، ثم كووا رأسه، فلم يُجبهم إلى شيء مما أرادوا.

ومنهم: **صُهَيْب بنُ سنانٍ الروميُّ**: كان ممن يُعَذَّب في الله، فلم يرجع عن دينه.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٠٨).

ومنهم: **عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ**: مرَّ به أبو بكر وهو يُعَذَّب، فاشتراه وأعتقه.

ومنهم: **أبو فُكَيْهَة**: واسمه أفلح، وكان عبداً لصفوانَ بنِ أمية، مرّ به أبو بكر وهو يُعَذَّب، فاشتراه وأعتقه.

ومنهم: **النَّهْدِيَّةُ** [مولاة] لبني نهد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار، فأسلمت، فكانت تعذبها، فابتاعها أبو بكر، وأعتقها.

ومنهم: جماعة غير هؤلاء.

* * *

ذكر المستهزئين، ومن كان شديد الأذى للنبي ﷺ

فمنهم: **أبو لهب عبدُ العزى بنُ عبدِ المطلب**: كان شديد الأذى للنبيِّ ﷺ، وكان جاره، وكان يطرح العَذِرَةَ والنتن على بابه، فكان النبيُّ ﷺ يقول: «أَيُّ جِوارٍ هَـذَا يا بَني عبدِ المُطَّلِبِ؟!»[1]، فرآه يوماً حمزةُ رضي الله عنه، فأخذ العَذِرة وطرحها على رأس أبي لهب، فجعل ينفضها عن رأسه، ويقول: صابئ أحمق، وأقصرَ عما كان يفعل.

مات أبو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر، بمرض يُعرَف بالعدسة.

ومنهم: **الأسودُ بنُ عبدِ يغوثَ بنِ وهبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زهرةَ**: وهو ابنُ خال النبي ﷺ، وكان من المستهزئين، وكان يقول للنبي ﷺ:

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢١)، عن عائشة رضي الله عنها.

أما كُلِّمتَ اليومَ من السماء يا محمد؟ فخرج من عند أهله، فأصابه السموم، فاسودَّ وجهه، فلما عاد إليهم، لم يعرفوه، وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيراً حتى مات عطشاً.

ومنهم: **أُميّة وأُبَيٌّ ابنا خَلَفٍ**: وكانا من شَرِّ الناس على النبي ﷺ، قُتِل أُبيّ يوم بدر كافراً، وأما أخوه أُميّة، فقتله النبي ﷺ يوم أُحُد.

ومنهم: **عُقْبَة بنُ أَبي مُعَيْط**: واسمُ أبي معيط: أبانُ بنُ أبي عمرِو ابنِ أميةَ بنِ عبدِ شمس، أُسِر ببدر، قتله عاصمُ بن ثابتِ بنِ أبي الأفلح الأنصاريُّ بالصفراء، وصُلِب، وهو أول مصلوب صُلِب في الإسلام.

ومنهم: **أبو قَيْسِ بنُ الفاكِهِ بنِ المغيرة**: كان ممن يُعين أبا جهل على أذاه، قتله حمزةُ رضي الله عنه يومَ بدر.

ومنهم: **العاصُ بنُ وائلٍ السهميُّ**: والدُ عمرِو بنِ العاص، وهو القائلُ ـ لما مات عبدالله بن رسول الله ﷺ ـ: إنّ محمداً أبتر، لا يعيش له ولد ذَكَر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[الكوثر: ٣]، فركب حماراً له، فربض به، فلُدِغ في رجله، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير، فمات منها بعد الهجرة، وهو ابن خمس وثمانين سنة.

ومنهم: **النَّضْر بنُ الحارثِ بنِ كَلَدَةَ بنِ عبدِ منافِ بنِ عبدِ الدار**: كان يقول: إنما يأتيكم محمدٌ بأساطير الأولين، فنزلت فيه عدة آيات، أسره المقدادُ يومَ بدر، فأمر رسولُ الله ﷺ بضرب عنقه، فقتله عليٌّ رضي الله عنه بالأُثيل.

ومنهم: **أبو جَهْل بنُ هشامٍ المخزوميُّ**: واسمه عمرو، وكنيتـه أبو الحكم، وأما أبـو جهل، فالمسلمون كنـوه بذلك، قُتِل ببدر، قتله ابنا عَفْراء.

ومنهم: **رُكانَة بنُ عبدِ يزيدَ بنِ هاشمٍ**.

فهؤلاء أشدُّ عداوةً لرسول الله ﷺ، ومَنْ عداهم من رؤساء قريش كانوا أقلَّ عداوة من هؤلاء؛ كعُتبةَ وشيبةَ ابني ربيعة، وغيرِهما.

وكان جماعة من قريش من أشدِّ الناس عليه، فأسلموا، منهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبدُالله بنُ أبي أميةَ المخزوميُّ أخو أمِّ سلمةَ، وأبو سفيان صخرُ بنُ حربٍ، والحكمُ بنُ أبي العاص، وغيرُهم، أسلموا يوم فتح مكة.

* * *

ذكر إسلام حمزة

عن ابن إسحاق روى: أن أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، فلم يُكلمه رسولُ الله ﷺ، ثم انصرف أبو جهل ـ لعنه الله ـ، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمـزةُ بنُ عبد المطلب أن أقبل متوشِّحاً بقوسه، راجعاً من قَنْصٍ له، وكان أعزّ فتى في قريش، وأشدَّهم شكيمةً، فأُخبر بما لقيه النبيُّ ﷺ من أبي الحكم بن هشام، وهو أبو جهل، فاحتمل حمزةَ الغضبُ؛ لما أراده الله من كرامته، فخرج يسعى متعمداً لأبي جهل، فلما دخل الحرم، نظر إلى أبي جهل

جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس، وضربه، فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه[1] وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعتَ، فقام رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني - والله - قد سببتُ ابنَ أخيه سباً قبيحاً، فلما أسلم حمزة، عرفتْ قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[2].

* * *

ذكر إسلام عمر بن الخطاب

كان شديد البأس والعداوة لرسول الله ﷺ، فروي: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطابِ، أو بأبي الحكمِ بنِ هشامٍ»[3]، وهو أبو جهل، فهدى الله تعالى عمر.

وكان سبب إسلامه: أن أخته فاطمةَ بنتَ الخطاب أسلمت هي وزوجُها سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ، وكانا يخفيان إسلامهما من عمر، فلما علم عمر، دخل على أخته، وقد سمع قراءة خبّاب عندها، فلما دخل، قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها؟ قالت: ما سمعتَ شيئاً،

---

(١) في الأصل زيادة: «ويلك».

(٢) انظر: «المستدرك» (٣/ ٢١٣).

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (٣٦٨١)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

قال: بلى والله! لقد أُخبِرتُ أنكما تابعتما محمداً، وبطشَ بسعيد بن زيد، فقامت أختُه لتكفَّه عنه، فضربها فشجَّها، فلما فعل ذلك، قالت أخته: نعم، والله! قد أسلَمْنا، وآمنا بالله ورسوله، فاصنعْ ما شئتَ، فندم، وطلب الصحيفة التي يقرؤونها، قالت: إنك نجس على شركك، فلا تمسها، فكان عمر يقول: ما عرفتُ ذُلّ الشرك إلا ذلك اليوم، فقام واغتسل، فأعطته الصحيفة فقرأها، وفيها: ﴿طه﴾[طه: ١]، فلما قرأ بعضها، قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه! ثم أتى النبيَّ ﷺ وهو بدارٍ عندَ الصفا، وعنده قريبُ أربعين نفساً، ما بين رجال ونساء، منهم: حمزة، وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، فقصدهم عمر وهو متوشِّح بسيفه، واستأذن في الدخول، فأذن له رسولُ الله ﷺ، فلما دخل، نهض إليه رسولُ الله ﷺ حتى لقيه، وأخذ بمجمع ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة، وقال: «ما جاءَ بكَ يا بنَ الخَطَّاب؟ ما أراكَ تنتهي حتى تَنْزِلَ بكَ قارعَةٌ»، فقال عمر: يا رسول الله! جئت لأومن بالله ورسوله، فكبّر رسولُ الله ﷺ تكبيرة، علم مَنْ في البيت أن عمر قد أسلم، ثم قال عمر: يا رسول الله! ألسنا على الحق؟ قال: «إي والذي بعثني بالحقِّ نبياً»، قال: أما والذي بعثك بالحق نبياً! لا يُعبد الله بَعدَ اليوم سِرَّاً.

* * *

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

لما رأى رسولُ الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من

العافية؛ بمكانه من الله ﷻ، وعمِّه أبو طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم، قال لأصحابه: «لو خَرَجْتُم إلى أرضِ الحبشة؛ فإنَّ بها ملكاً لا يُظلَم أحدٌ عندَه، حتى يجعلَ اللهُ لكم فَرَجاً ومَخْرَجاً مما أنتمْ فيه»[1].

فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، فخرج عثمان بن عفان، وزوجته رقيـةُ بنتُ النبي ﷺ معه، وأبو حذيفة بنُ عتبةَ بنِ ربيعة، وزوجتُه سهلَةُ بنتُ سهيلِ بنِ عمرٍو معه، والزبيرُ بن العوام، وتمامُ الأحدَ عشرَ رجلاً، وأربعُ نسوة، وكان مسيرُهم في رجـب، سنة خمس من النبوة، فأقاموا شعبان، وشهر رمضان، ثم بلغهم أن قريشاً أسلموا، فقدِموا في شوال، فلما قربوا من مكة، بلغهم أن قريشاً على ما هم عليـه، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ، أو مستخفياً.

وأقام المسلمون بمكة يُؤْذَون، فلما رأوا ذلك، رجعـوا مهاجرين إلى الحبشة ثانية، فخرج جعفر بن أبي طالـب، وتتابـع المسلمون إلى الحبشة، فكمل بها اثنان وثمانون رجلاً، ورسولُ الله ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله سراً وجهراً.

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمِنـوا، وأن النجاشي قـد أحسن إليهم، ائتمـروا بينهم، فبعثـوا عَمْـرَو بنَ العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة، ومعهما هديةٌ إلى النجاشي وإلى أصحابه؛ ليردَّ

---

(١) انظر: «السيرة» لابن إسحاق (٢/ ١٥٤).

المهاجرين إليهم، فلم يفعل، وقال للمسلمين: اذهبوا، فأنتم آمنون، وردَّ هديةَ قريش، وقال: ما أخذ الله الرشوة مني حتى آخذَها منكم، ولا أطاع الناسَ حتى أُطيعهم فيه.

وأقام المسلمون بخيرِ دارٍ عند النجاشي، فظهر ملكٌ من ملوك الحبشة، ونازع النجاشيَّ في ملكه، فظفر النجاشيُّ بعدوِّه، فما سُرَّ المسلمون بشيء سرورَهم بظفره، ثم أسلم النجاشِيُّ بعد ذلك، ولما مات النجاشي، كانوا لا يزالون يرون على قبره نوراً ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

ذكر أمر الصحيفة

فلما رأت قريش أن الإسلام يفشو ويزيد، وأن المسلمين قَوُوا بإسلام حمزةَ وعمرَ رضي الله عنهما، وعاد إليهم عمرُو بنُ العاص، وعبدُالله بن أبي ربيعة من النجاشي بما يكرهون من أمر المسلمين، وأمنهم عنده، ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً، يتعاقدون فيه على:

أن لا يُنكِحوا بني هاشم وبني المطلب، ولا يَنكحوا منهم، ولا يبيعوهم، ولا يبتاعوا منهم، فكتبوا بذلك صحيفة، وتعاهدوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم.

وانحازت بنو هاشم كافرُهم ومسلمُهم إلى أبي طالب، ودخلوا معه

في شِعْبه، وخرج من بني هاشم أبو لهبٍ عبدُ العزَّى بنُ عبدِ المطلب إلى قريش مضارّاً لهم، وكانت امرأته أمُّ جميل بنتُ حربٍ ـ وهي أختُ أبي سفيان ـ على رأيه في عداوة رسول الله ﷺ، وهي التي سماها الله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[المسد: ٤]؛ لأنها كانت تحمل الشوك، فتضعه في طريق رسول الله ﷺ.

وأقامت بنو هاشم في الشِّعْب، ومعهم رسولُ الله ﷺ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، هذا ورسولُ الله ﷺ يدعُو الناس سراً وجهراً، والوحُي متتابع إليه.

* * *

ذكر نقض الصحيفة

وقام في نقض الصحيفة نفَرٌ من قريش، فاجتمعوا بمكان، وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة، ووقع بين القوم خلاف، فقام مُطْعِم بنُ عديٍّ إلى الصحيفة ليشقَّها، فوجد الأرضَةَ قد أكلتها، إلا ما كان من: (باسمك اللهم)، كانت قريش تستفتح بهذا كتابها، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة من بني عبد الدار، فشلّت يده، وكان الله تعالى أرسل الأَرَضَةَ، فأكلت ما فيها من ظلمٍ وقطعِ رحم، وتركتْ ما فيها من أسماء الله تعالى، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ، وأعلمه بذلك، فتكلم رسولُ الله ﷺ بذلك، فاجتمع الملأ من قريش، وأحضروا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله ﷺ، فنكسوا رؤوسهم، فاتفق جماعة من قريش، ونقضوا

ما تعاهدوا عليه في الصحيفة؛ من قطيعة بني عبد المطلب.

* * *

ذكر المعراج

اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة واحدة.

واختلفوا في الموضع الذي أُسري برسول الله ﷺ منه، فقيل: كان نائماً في المسجد الحرام، فأُسري به منه.

وقيل: كان في بيت أم هانئ بنت أبي طالب.

وقد روى جماعة من الصحابة حديثَ المعراج بأسانيد صحيحة، قالوا:

قال رسول الله ﷺ: «أَتاني جبريلُ ـ عليه السلام ـ ومعه البُراقُ، وهي دابةٌ فوقَ الحمارِ ودونَ البَغْل، يضعُ خَطْوَهُ عندَ مُنْتَهى طَرْفه، فلما وضعتُ يدي عليه تَشَامَسَ، واستَصْعَبَ، فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: يا بُراقُ! ما ركبكَ نبيٌّ أكرمُ على الله تعالى من محمد، فانصبَّ عَرَقاً، وانخفضَ لي حتى ركبتهُ، وسار بي جبريلُ نحوَ المسجدِ الأقصى، فأُتيت بإناءَيْنِ، أحدُهما لبنٌ، والآخرُ خمرٌ، فقيل: اخترْ أحدَهما، فأخذتُ اللبنَ فشربتُه، فقال لي: أصبتَ الفطرة، أما إنَّك لو شربتَ الخمرَ، لَغَوَتْ أمتك بعدَك، ثم سرْنا، فقال لي: انزلْ، فصلِّ، فصلَّيتُ، فقال لي: هذه طَيْبَةُ، وإليها المهاجَرُ، ثم سرْنا، فقال لي: انزلْ فَصَلِّ، فنزلتُ فصلَّيت فقال لي: هذا

طورُ سيناءَ، حيثُ كلَّمَ الله موسى ـ عليه السلام ـ، ثم سرْنا، فقال لي: انزلْ فصلِّ، فنزلتُ فصلَّيت، فقال لي: هـذا بيتُ لحم حيثُ وُلد عيسى ـ عليه السلام ـ، ثم سرنا حتى أتينا البيتَ المقدَّس، فلما انتهينا إلى باب المسجد، أنزلني جبريلُ، وربط البراقَ بالحَلْقة التي كانت تربط بها الأنبياءُ ـ عليهم السلام ـ، فلما دخلت المسجد، إذا أنا بالأنبياء ـ وقيل: بأرواح الأنبياء ـ الذين بعثهم الله تعالى قبلي، فسلَّموا عليَّ، فقلت: يا جبريلُ! من هـؤلاء؟ قال: إخوتك من الأنبيـاء، زعمـتْ قريشٌ أنّ لله شـريكاً، وزعمـتِ النصارى أنّ لله ولـداً، اسأل هؤلاء النبيين: هـل كـان لله ﷻ شريك؟ فذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف: ٤٥]، فأقـروا، بالوحدانيـة لله ﷻ، ثم جمعهم جبريل، وقدّمني، فصليت بهم ركعتين.

ثم انطلق بي جبريل إلى الصخرة، فصعِدَ بي عليها، فإذا معراجٌ إلى السماء، لا ينظر الناظرون إلى شيء أحسنَ منه، ومنه تعرجُ الملائكـة، أصلُه في صخرة بيتِ المقدس، ورأسُه ملتصقٌ بالسماء، فاحتملني جبريل، ووضعني على جناحه، وصَعِدَ بي إلى سماء الـدنيـا، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمـد، قيل: أقد بُعِث؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ففتح، فدخلنا.

فإذا أنا برجل تام الخَلْق، عن يمينه بابٌ يخرج منه ريحٌ طيبة، وعن شماله بابٌ تخرج منـه ريحٌ خبيثة، فإذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه، ضحك، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله، بكى، فقلت: من هذا؟

وما هذان البابان؟ فقال: هذا أبوك آدم، والباب الذي عن يمينه الجنة، إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته، ضحك، والباب الذي عن يساره جهنم، إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته، بكى وحزن.

ثم صعد بي إلى السماء الثانية، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد بُعِث؟ قال: نعم، قيل: مرحباً [به]، ونعم المجيء جاء، ففتح لنا، فدخلنا، فإذا بشابّين، قلت: يا جبريل! من هذان؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا.

ثم صعد [بي] إلى السماء الثالثة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، فدخلنا، فإذا برجل قد فَضَل الناسَ بالحسن، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف.

ثم صَعِدَ بي إلى السماء الرابعة، واستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعِث؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، فدخلنا، فإذا برجل، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: أخوك إدريس، رفعه الله مكاناً عليّاً.

ثم صَعِدَ بي إلى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعِث؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، فدخلنا، وإذا رجل جالس، وحوله قومٌ يقصُّ عليهم، قلت: من هذا؟ قال: هارون، والذين حوله بنو إسرائيل.

قال: ثم صعد بي إلى السماء السادسة، فاستفتحَ، قيل: من هـذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: مرحباً بـه، ونعمَ المجيءُ جاء، فدخلنا، فإذا برجل جالس، فلما جاوزناه، بكى، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى، قلت: فما له يبكي؟ قال: تزعمُ بنو إسرائيل أنه أكرمُ على الله من آدم، وأنت من بني آدم قد خَلَّفته وراءك.

قال: ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعِث؟ قال: نعم، قيل: مرحباً بـه، ونعم المجيء جاء، فدخلنا، فإذا برجل أشمطَ جالس على كرسيٍّ على باب الجنـة، وحولـه قومٌ بيضُ الوجوه، أمثال القراطيس، وقومٌ في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء، فاغتسلوا في نهر، وخرجوا، وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم، فقلت: من هذا؟ فقال: أبـوك إبراهيم، وهؤلاء البِيضُ الوجوهِ قومٌ لم يَلْبِسوا إيمانهم بظلم، وأما الذين في ألوانهم شيء، فقوم خَلَطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً، وتابوا، فتاب الله عليهم.

وإذا إبراهيم مستند إلى بيت، فقال: هذا البيتُ المعمور، يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة، لا يعودون إليه.

وأخذني جبريل، فانتهينا إلى سِدرة المنتهى، وإذا نَبْقُها مثلُ قِلال هَجْر، يخرج من أصلها أربعةُ أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فأما الباطنان، ففي الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات، قال: وغشيَها من نور الله تعالى ما غشيَها، فقال جبريل: تقدم يا محمد، فتقدمت، وجبريل

معي إلى حجاب، فأخذني الملك، وتخلف عني جبريل، فقلت: إلى أين؟ فقال: وما منّا إلا له مقام معلوم، وهذا منتهى الخلائق.

فلم أزل كذلك، حتى وصلت إلى العرش، فاتّضع كلُّ شيء عند العرش، وكَلَّ لساني من هيبة السلطان، ثم أطلقَ الله لساني، فقلت: التحيات المباركات، والصلوات الطيبات لله.

وفرض الله عليَّ، وعلى أمتي في كل يوم وليلة خمسين صلاة.

ورجعت إلى جبريل، فأخذني وأدخلني الجنة، فرأيت القصور من الدرّ والياقوت والزبرجد، ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، على رَضْراض من الدِّر والياقوت والمسك، فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك.

ثم عرض علي النار، فنظرت في أغلالها وسلاسلها، وحَيَّاتها وعقاربها، وما فيها من العذاب.

ثم أخرجني حتى أتينا على موسى ـ عليه السلام ـ، فقال: ماذا فرض عليك وعلى أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة، فقال: إني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل، وعالجتُهم أشدَّ معالجة، على أقلَّ من هذا، فلم يفعلوا. ارجعْ إلى ربك، فسَلْه التخفيف.

فرجعتُ إلى ربي، وسألته، فخفف عني عَشْراً، فرجعتُ إلى موسى فأخبرتُه، فقال: ارجعْ وسلِ التخفيفَ، فرجعتُ، فخفف عني عشراً، فلم أزلْ بين ربي وموسى حتى جعلَها خمساً، فقال: ارجعْ، فقلتُ: إنني قد

استَحْييت من ربي، وما أنا براجع، فنوديت: إني فرضت عليك وعلى أمّتك خمسين صلاة، والخمسُ بخمسين، وقد أمضيتُ فريضتي، وخففت عن عبادي.

ثم انحدرتُ أنا وجبريل إلى مضجعي، وكان ذلك في بعض ليلة».

فلما أصبح رسول الله ﷺ، علم أن الناس لا يصدقونـه، فقعد في الحرم مغموماً، فمر بـه أبو جهل، فقال له كالمُسْتهزِئ: هل استفدت الليلة شيئاً؟ قال: «نعم، أُسـري بي الليلةَ إلى البيـت المقدَّس»، قال: ثم أصبحتَ بين أظهرنا؟! قال: «نعم»، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب ابن لؤي! هلمّوا، فأقبلوا، فحدثهم النبيُّ ﷺ، فمِنْ بينِ مصدّقٍ ومكذّبٍ واضعٍ يدَه على رأسه.

وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: إنّ صاحبك يزعم كذا وكذا، قال: إن كان قال ذلك، فقـد صدق، وإني لأصدِّقـه بما هو أبعدُ من ذلك، فسُمّي أبو بكر: الصدِّيق من يومئذ رضي الله عنه.

فقالوا لرسول الله ﷺ: انعتْ لنا المسجد الأقصى، قال: «فذهبتُ أنعَتُ حتى التبسَ عليَّ الأمر»، قال: «فجيء بالمسجد الأقصى، وأنا أنظرُ إليه، فجعلتُ أنعته».

قالوا: فأَخْبِـرْنا عن عِيرنا، قال: «نعم، مـررتُ على عيرِ بني فلانٍ بالرَّوحاء، وقد أضلّوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وأخذتُ قدحاً فيـه ماء، فشربتُـه، فسلوهم عن ذلك، ومررت بعيرِ بني فلانٍ، وفلانٌ وفلانٌ راكبان

قَعوداً، فنفر قَعودُهما مني، فسقطَ فلانٌ، فانكسرت يدُه، فاسألوهما، ومررتُ بعيرِكم بالتنعيم، يقدمُها جملٌ أَوْرَقُ، عليه غِرارتانِ، تطلُعُ عليكم معَ طلوع الشمس»، فخرجوا إلى الثنية، وجلسوا ينتظرون طلوعَ الشمس؛ ليُكذِّبوه، إذ قال قائل: هذه الشمسُ قـد طلعت، قال آخر: هذه العيرُ قد أقبلت، يقدَمُها بعير أَوْرَق كما قال، فقالوا: إن هذا إلا سحر مبين[1].

واختلف الناس في وقت المِعْرَاج، فقيل: كـان ليلة السبت، لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من رمضان، في السنة الثالثةَ عشرةَ للنبوة.

وقيل: كان في ربيع الأول.

وقيل: كان في رجب.

واختلف ـ أيضاً ـ أهل العلم فيـه، هل كـان بجسده، أم كان رؤيا صادقة؟

فالذي عليه الجمهور: أنه كان بجسده.

وذهب آخرون أنه كان رؤيا صادقـة، ورووا عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانـت تقول: ما فُقِد جسدُ رسولِ الله ﷺ، ولكنَّ الله أسرى بروحه.

ونقلوا عن معاويـة ـ أيضاً ـ: أنه كان يقول: إن الإسراء كان رؤيا صادقة[2].

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٥٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (١/ ٤٤٧).

ومنهم من جعل الإسراء إلى بيت المقدس جسدانياً، ومنه إلى السماوات السبع وسدرة المنتهى روحانياً، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

* * *

ذكر وفاة أبي طالب، وخديجة رضي الله عنها، وعرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب

توفي أبو طالب وخديجةُ قبل الهجرة بثلاث سنين، بعد خروجهم من الشعب، توفي أبو طالب في شوال، وعمرهُ بضعٌ وثمانون سنة، وماتت خديجة قبلَه بخمسة وثمانين يوماً.

وقيل: كان بينهما خمسة وعشرون يوماً.

وقيل: ثلاثة أيام.

فعظُمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما، وقال رسول الله ﷺ: «ما نالَتْ قريشٌ مني شيئاً أكرهُه، حتى ماتَ أبو طالبٍ»(١)، وذلك أن قريشاً وصلوا مِنْ أذاه بعدَ موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته.

ولما اشتدَّ عليه الأمر، خرج ومعه زيدُ بنُ حارثة إلى ثقيف، يلتمس منهم النصر، فلما انتهى إليهم، عمد إلى ثلاثةِ نفرٍ منهم، وهم يومئذ سادةُ ثقيف، وكانوا إخوة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٨٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

عمير. فدعاهم إلى الله تعالى، وكلّمهم في نصرتـه، والقيام معه على من خالفه، فلم يجيبوه، فقال له واحدٌ منهم: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الآخر: والله! لا أكلمك أبداً، لئن كنتَ رسولاً من الله ـ كما تقول ـ لأنتَ أعظمُ خطراً من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكـذب على الله، فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ وقـد يئس من خيـر ثقيف، وقال: «إذا أَبيتُم، فاكتُموه علَيّ».

وأتى رسول الله ﷺ إلى كِنْـدةَ، وإلى بني حَنيفـة، وعرض عليهم نفسَه، ودعاهم إلى الله، فلم يقبلوا.

ولم يزل ﷺ [يعرِضُ نفسه] على كلِّ قادمٍ له اسمٌ وشَرَف، ويدعوه إلى الله تعالى.

وكلما أتى قبيلة يدعوهم إلى الإسلام، تبعه عمُّه أبو لهب، فمنعهم من طاعته، فيقول النبيُّ ﷺ: «يا بني فلان! إني رسولُ الله إليكم، يأمرُكم أن تعبدوا الله، ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبـدون من دونه، وأن تؤمنوا بي، وتصدِّقوني»، وعمه أبـو لهب ينادي: إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللاتَ والعُزَّى من أعناقكم إلى ما جاء بـه من البدعـة والضلالة، فلا تطيعوه، وكان أبو لهب أحولَ، له غديرتان.

* * *

ذكر تزويج رسول الله ﷺ عائشةَ رضي الله عنها

جاءت خَوْلَة بنتُ حَكيمٍ امرأةُ عثمانَ بنِ مَظْعونٍ إلى رسول الله ﷺ، وتكلَّمت معه في تزويجِ عائشة رضي الله عنها، وسودةَ بنتِ زَمعةَ.

ثم رجعتْ إلى أبي بكر رضي الله عنه، وذكرت له ذلك، فزوَّجه إياها، وعائشةُ يومئذ ابنةُ ستِّ سنين.

ثم خرجت خولةُ، فدخلت على سَوْدَةَ، وأخبرتها بذلك، فقالت: وددتُ ذلك، ادخلي على أبي، فاذكري له ذلك، فذكرتْ له ذلك، قال: كفؤ كريم، فجاء رسولُ الله ﷺ، فزوجه إياها[1].

* * *

ذكر ابتداء أمر الأنصار

فلما أراد الله تعالى إظهارَ دينه، وإنجازَ وعده، خرج رسولُ الله ﷺ في الموسم، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل، فبينما هو عند العقبة، لقي رهطاً من الخزرج، فدعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم الإسلام، فأجابوه إلى ما دعاهم؛ بأن صدّقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا تركنا قومنا، وبينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله تعالى بك، فسنقدم عليهم، وندعوهم إلى

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجلَ أعزُّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، قد آمنوا وصدَّقوا، وكانوا سبعةَ نفر من الخزرج: أسعدُ بنُ زُرارةَ بنِ عدس، وعوفُ بنُ الحارثِ بنِ رفاعة، ورافعُ بنُ مالكٍ، وعامرُ بنُ عبدِ بن حارثةَ ابنِ ثعلبة، وقطبةُ بنُ عامر بن حديدة، وعُقْبةُ بن عامر، وجابرُ بنُ عبدِالله ابن رئاب ـ بكسر الراء وبالياء المعجمة ـ.

فلما قدموا المدينة، ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ، ودَعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم.

* * *

ذكر بيعة العقبة الأولى

فلما كان العام المقبل، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة ـ وهي العقبة الأولى ـ، فبايعوه بيعةَ النساء: وهي: أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم.

فلما انصرفوا عنه، بعث رسولُ الله ﷺ معهم مصعبَ بنَ عُمير بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ عبدِ الدار، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويُعَلِّمهم الإسلامَ فنزل بالمدينة، ولم يزل يدعو إلى الإسلام، حتى لم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون، إلا مَنْ كان من بني أميةَ بنِ زيد ووائل، فإنهم أطاعوا أبا قيسِ بنَ الأسلت، فوقف بهم عن الإسلام،

وكان شاعراً لهم وقائداً، يستمعون له ويطيعونه.

* * *

ذكر بيعة العقبة الثانية

ولما فشا الإسلام في الأنصار، اتفق جماعة منهم على المسير إلى رسول الله ﷺ مستخفين، لا يشعر بهم أحد، فساروا إلى مكة في الموسم، في ذي الحجة، مع كفار قومهم، واجتمعوا برسول الله ﷺ، وواعدوه أوسطَ أيامِ التشريق بالعقبة، فلما كان الليل، خرجوا بعد مضي ثُلُثِهِ مستخفين، يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة، وهم سبعون رجلاً، معهم امرأتان: نُسيبة بنتُ كعب، وأسماءُ أم عمرِو بنِ عديٍّ من بني سَلِمة.

وجاءهم رسولُ الله ﷺ، ومعه عمُّه العباس، وهو يومئذٍ كافرٌ، أحبَّ أن يتوثَّق لابن أخيه، فكان العباس أولَ من تكلم.

فبايعوه، فكان أول من بايعه: أبو أمامة أسعدُ بنُ زُرارة، وقيل: أبو الهيثم بنُ التيهان، وقيل: البراء بن مَعْرور، ثم تتابع القوم.

فتكلم رسول الله ﷺ، وتلا القرآن، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم»، ودار الكلام بينهم، واستوثق كلُّ فريق من الآخر.

ثم سألوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: إن قُتِلنا دونَك مالنا؟ قال: «الجنة»، قالوا: فابسطْ يدك، فبسط يده، وبايعوه، فلما بايعوه، رجعوا إلى المدينة.

وكان قدومُهم في ذي الحجة، فأقام رسول الله ﷺ بقيـةَ ذي الحجة، والمحرم، وصفر.

* * *

ذكر الهجرة الشريفة النبوية
ـ على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام ـ

وهي ابتداء التاريخ الإسلامي.

أما لفظة التاريخ، فإنها محدَثَـة في لغة العرب؛ لأنه لفظ مُعَرَّب من (ماه روز)؛ لأن عمر ﵁ قصد التوصُّل إلى الضبط من رسوم الفُرْس، فاستحضر الهرمزانَ، وسأله عن ذلك، فقال: إن لنا بـه حساباً، نسميه: (ماه روز)، ومعناه: حساب الشهور والأيام، فعرَّبوا الكلمة فقالوا: مؤرخ، ثم جعلوا اسمه: (التاريخ)، واستعملوه، ثم طلبوا وقتاً يجعلونـه أولاً لتاريخ دولة الإسلام، واتفقوا على أن يكون المبدأ سنة هذه الهجرة.

وكانت الهجرة من مكة إلى المدينة ـ شرفها الله تعالى ـ وقد تَصَرَّمَ من شـهور هذه السنة وأيامها المحرمُ، وصفـرُ، وثمانيـةُ أيام من ربيـع الأول، فلما عزموا على تأسيس الهجرة، رجعـوا القهقرى ثمانيةً وستين يوماً، وجعلوا مبدأ التاريخ أولَ المحرم من هذه السنة.

ثـم أحصوا من أول يوم المحرم، إلى آخر يوم من عُمْرِ النبيِّ ﷺ، فكان عشر سنين، وشهرين، وأياماً، إذا حسب عمـره من الهجرة، فيكون قد عاش بعدها تسع سنين، وأحدَ عشرَ شهراً، واثنين وعشرين يوماً.

وأما ما كان من حديث الهجرة، فإن رسولَ الله ﷺ هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول.

ثم أمر رسولُ الله ﷺ أصحابه بالمهاجرة إلى المدينة.

فكان أولَ من قدمها: أبو سَلَمَة بنُ عبدِ الأسد، ثم هاجر من بعده عامرُ بن ربيعة، معه امرأتُه ليلى بنتُ أبي خيثمـة، ثم عبدُالله بن جحش وأخوه، وجميعُ أهله، وتتابع الصحابة، ثم هاجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما تتابع أصحاب رسول الله ﷺ، أقام هـو بمكة، ينتظر ما يؤمر بـه، وتخلف معه أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

فلما رأت قريش ذلك، حذروا خروجَ رسول الله ﷺ، فاجتمعوا في دار الندوة ـ وهي دار قُصَيِّ بنِ كِلابٍ ـ وأجمعـوا على مكيدةٍ يفعلونها مع رسول الله ﷺ، فنجاه الله من مكرهم، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[الأنفال: ٣٠] الآية. وأمره بالهجرة.

وكان اتفاق الكفار أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً؛ ليضربوه بسيوفهم ضربة واحدة، ليضيع دمُه في القبائل، وبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فأمر علياً أن ينام على فراشـه، وأن يَتَّشِح ببردِه الأخضر، وأن يتخلَّف عنـه؛ ليؤدِّي ما كان عندَ رسول الله ﷺ من الودائع إلى أربابها.

وكان الكفار قد اجتمعوا على باب النبيِّ ﷺ يرصدونه؛ ليثبوا عليه، وأخذ النبيُّ ﷺ حفنـةً من تراب، وتلا أولَ ﴿يسٓ﴾[يسٓ: ١]، وجعل ذلك الترابَ على رؤوس الكفار، فلم يروه، فأتاهم آتٍ، وقال: إن محمـداً

خرج، ووضعَ على رؤوسكم الترابَ، وجعلوا ينظرون، فيرون علياً عليه بُرْدَةُ النبيِّ ﷺ، فيقولون: [إن] محمداً نائم، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ، فعرفوه.

وأقام عليٌّ بمكة حتى أَدَّى ودائعَ النبيِّ ﷺ.

وقصد النبيُّ ﷺ لما خرج من داره دار أبي بكر ﷺ، وأعلمه أن الله تعالى قد أذن في الهجرة، فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسول الله، قال: «الصحبة»، فبكى أبو بكر ﷺ فرحاً، واستأجرَ عبدَالله بنَ أُريقط ـ وكان مشركاً ـ ليدلَّهما على الطريق، ومضى النبيُّ ﷺ وأبو بكر إلى غارٍ بثورٍ ـ وهو جبل أسفل مكة ـ، فأقاما فيه، ثم خرجا من الغار بعد ثلاثة أيام، وتوجها إلى المدينة، ومعهما عامرُ بنُ فُهيرةَ مولى أبي بكر الصديق، وعبدُالله بنُ أُريقط الدليلُ، وهو كافر.

وجدّتْ قريشٌ في طلبه، فتبعه سُراقَةُ بن مالكٍ المُدْلِجيُّ، فلحق النبيَّ ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله! أدركنا الطلب، فقال له النبيُّ ﷺ: «لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا»، ودعا رسول الله ﷺ على سُراقة، فارتطمت فَرَسُه إلى بطنها في أرض صلبة، فقال سراقة: ادعُ اللهَ يا محمدُ؛ لتخلصني، ولكَ أن أردَّ الطلبَ عنك، فدعا له النبيُّ ﷺ، فخلص، ثم تبعه، فدعا عليه النبيُّ ﷺ، فارتطمت ثانيةً، وسأل الخلاصَ، وأن يردَّ الطلبَ عن النبي ﷺ، فأجابه النبيُّ ﷺ، ودعا له، وقال: «كيفَ بكَ يا سُراقَةُ إذا سُوِّرْتَ بِسِوارِ كِسْرى برويز؟»، فرجع سراقة، وردَّ كلَّ من لقيه عن الطلب،

بأن يقول: كفيتم ما هاهنا[1].

وقدم رسول الله ﷺ لاثنتي عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأول، من سنة إحدى، وذلك يوم الاثنين، الظهر، فنزل قباء على كُلْثوم بنِ الهَدْمِ، وأقام بقباء: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، وأسّس مسجدَ قُباء، وهو الذي نزل فيه: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة: ١٠٨].

ثم خرج من قباء يومَ الجمعة، وأدركَتْ رسولَ الله ﷺ الجمعةُ في بني سالمِ بنِ عوفٍ، فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي، وكانت أولَ جمعةٍ صلاَّها بالمدينة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وقُبض يوم الاثنين[2].

واختلف العلماء في مقامه بمكة، بعد أن أوحي إليه، فقال أنس[3]، وابن عباس[4] - في رواية -: إنه أقام بمكة عشر سنين، وقيل: أقام ثلاثَ عشرةَ سنة.

ولعل الذي قال: عشر سنين، أراد: بعد إظهار الدعوة؛ فإنه بقي

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٧٧).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٤٤).

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (١/ ٢٠٧).

ثلاثَ سنين يُسِرُّها، ومما يؤيد هذا قولُ أبي قيس بنِ الأسلت:

ثَوَى في قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيا

فهذا يدل على أن مقامه ثلاثَ عشرةَ سنة[1].

ثم إن رسول الله ﷺ رحل من قباء، يريد المدينة، فما مر على دار من دور الأنصار، إلا قالوا: هَلُمَّ يا رسولَ الله إلى العدد والعدة، ويعترضون ناقته، فيقول: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنَّها مَأْمورَةٌ» حتى انتهت إلى موضع مسجدِ النبيِّ ﷺ، فبركت هناك، ووضعت جِرانَها، فنزل عنها النبيُّ ﷺ، واحتمل أبو أيوبَ الأنصاريُّ الناقةَ إلى بيته[2].

وكان موضعُ المسجد مِرْبَداً لسهلٍ وسُهيلٍ ابني عمرٍو، يتيمين في حِجْر معاذِ بنِ عفراءَ، وقيل: بل كان لبني النجَّار، وكان فيه نخلٌ، وخِرَبٌ، وقبور المشركين.

وأقام النبي ﷺ عند أبي أيوب، حتى بنى مسجدَه ومساكنَه، وكان قبلَه يصلِّي حيث أدركته الصلاة، وبناه هو والمهاجرون والأنصار ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

* * *

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٢/ ٨).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣٧)، عن شرحبيل بن سعد.

ذكر ما بين الهجرة الشريفة والتواريخ القديمة

ما بين الهجرة وبين آدم ـ على مقتضى التوراة اليونانية، واختيار المؤرخين ـ: ستةُ آلاف سنة، ومئتان وست عشرة سنة، وهو المعتمد ـ كما قد قدمناه ـ.

وبين الهجرة وآدم ـ على مقتضى التوراة اليونانية، واختيار المنجمين ـ: خمسة آلاف، وتسع مئة وسبع وستون سنة.

وبين الهجرة وآدم ـ على مقتضى التوراة العبرانيّة، واختيار المؤرخين ـ: أربعة آلاف وسبع مئة وإحدى وأربعون سنة.

وأما المنجمون، فتنقص عنه مئتين وتسعاً وأربعين سنة.

وبين الهجرة وآدم ـ على مقتضى التوراة السامريّة، واختيار المؤرخين ـ: خمسة آلاف، ومئة وسبع وثلاثون سنة.

وأما اختيار المنجمين، فتنقص ما ذكر.

وكذا الأمر جاء في جميع التواريخ التي قبل بختنصر.

وبين الهجرة والطوفان ـ وكان لستِّ مئةِ سنةٍ مضت من عمر نوح ـ: ثلاثة آلاف، وتسع مئة وأربع وسبعون سنة، على اختيار المؤرخين، وعاش نوح بعده ثلاث مئة وخمسين سنة.

وبين الهجرة والطوفان ـ على اختيار المنجمين ـ: ثلاثة آلاف، وسبع مئة وخمس وعشرون سنة.

وبين الهجرة وتبلبل الألسن ـ على اختيار المؤرخين ـ: ثلاثة آلاف، وثلاث مئة وأربع وستون سنة.

وأما اختيار المنجمين، فينقص عنه مئتين وتسعاً وأربعين سنة.

وبين الهجرة ومولد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ: ألفان، وثمان مئة، وثلاث وتسعون سنة على اختيار المؤرخين.

وأما اختيار المنجمين، فينقص عنه مئتين وتسعاً وأربعين سنة.

وبين الهجرة ووفاة موسى ـ وفيه المذهبان ـ: ألفان، وثلاث مئة، وثمان وأربعون سنة، والمذكور هو على اختيار المؤرخين.

وبين الهجرة وعمارة بيت المقدس: ألفٌ وثمان مئة، وقريب سنتين، وكان فراغه لمضي إحدى عشرة سنة من ملك سليمان، ولمضي خمس مئة وست وأربعين سنة لوفاة موسى، وفيه المذهبان.

وبين الهجرة وابتداء ملك بختنصر: ألفٌ وثلاثُ مئة سنة، وتسع وستون سنة، ومئة وسبعة عشر يوماً، وليس فيه خلاف.

وبين الهجرة وخراب بيت المقدس: ألفٌ وثلاث مئة، وخمسون سنة، وكان لمضي تسعَ عشرةَ سنة من ملك بختنصر، وبقي خراباً سبعين سنة، ثم عُمِّر، وتراجعت إليه بنو إسرائيل.

وبين الهجرة وغَلَبة الإسكندر على ملك الفرس قبل دارا: تسع مئة وأربع وثلاثون سنة، وهو ـ أيضاً ـ ابتداء ملوك الطوائف.

ومات الإسكندر بعد غلبته بقريب سبع سنين، فيكون بين موته

وبين الهجرة تسعُ مئة وقريبُ ثمان وعشرين سنة.

ما بين الهجرة وغلبة أعبيطش على ديار مصر، وقتل فلويطرا وملكه اليونان: ست مئة وخمسون سنة، وكان لمضي اثنتي عشرة من ملك أعبيطش، وهو ـ أيضاً ـ تاريخ انقراض اليونان.

وبين الهجرة ومولد المسيح بن مريم: ست مئة، وإحدى وثلاثون سنة، وعاش إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون بين رفعه وبين الهجرة خمسُ مئة وثمان وتسعون سنة.

[وبين الهجرة] وفيلبس ـ وهو متقدم على تاريخ الإسكندر باثنتي عشرة سنة ـ: تسع مئة وست وأربعون سنة، وكان بين فيلبس وأعبيطش، ذكره بطلميوس في «المجسطي»، وقد أرَّخ به غالب أرصاده.

وبين الهجرة وخراب بيت المقدس الخرابَ الثاني: خمس مئة وثمان وخمسون سنة بالتقريب، وكان لمضي أربعين سنة من رفع المسيح، وهو تاريخ تشتُّتِ اليهود إلى البلاد.

وبين الهجرة وملك أزدشير بابل أبي الأكاسرة: أربع مئة واثنتان وعشرون سنة، وهو ـ أيضاً ـ تاريخ انقراض ملوك الطوائف.

وبين الهجرة وأول ملك أدريابوش: خمس مئة وسبع سنين.

وبين الهجرة وأول ملك دقلطيانونس، وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم: ثلاث مئة وتسع وثلاثون سنة.

وبين الهجرة وبناء الكعبة ـ بيت الله الحرام ـ على يد إبراهيم الخليل

وولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ، وهو بالتقريب: ألفان وست مئة وفوق ثلاث وتسعين سنة، وكان ذلك بعد مضي مئة سنة من عمر إبراهيم، وهو تقريب.

وبين الهجرة ومولد رسول الله ﷺ: ثلاث وخمسون سنة، وشهران.

وبين الهجرة ومبعث رسول الله ﷺ: ثلاث عشرة سنة، وشهران وثمانية أيام.

وبين الهجرة ووفاة رسول الله ﷺ: تسع سنين، وأحد عشر شهراً، واثنان وعشرون يوماً، وهي بعد الهجرة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

* * *

ذكر الحوادث في السنة الأولى من الهجرة

* **فيها: بنى رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها** بعد قدومه المدينة بثمانية أشهر في ذي القعدة، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة[1].

وقال ابن الجوزي: بنى بها في السنة الثانية.

* **وفيها: كانت المؤاخاة بين المسلمين**: آخى رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه البخاري (٤٨٦٣)، عن عائشة رضي الله عنها.

فاتخذ هو عليَّ بن أبي طالب ﷺ أخاً، فكان عليٌّ يقول على منبر الكوفة أيام خلافته: أنا عبدالله، وأخو رسول الله ﷺ[1].

وصار أبو بكر ﷺ، وخارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري أخوين، وأبو عبيدة بنُ الجراح، وسعدُ بن معاذ الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وعِتبان بن مالك الأنصاري، وطلحة بن عبدالله، وكعب بن مالك الأنصاري، وسعيد بن زيد، وأُبي بن كعب الأنصاري ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

* **وفيها: ولد عبدالله بن الزبير**: وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة[2]، وكان النعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة[3].

وقال ابن الجوزي: إنه ولد في السنة الثانية.

* **وفيها: كانت غزوة (بواط)**: فغنم رسول الله ﷺ، ورجع، ولم يلقَ كيداً، وكان حامل لوائه سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ.

* **وفيها: هلَك الوليد بن المغيرة**، والعاصُ بنُ وائل السهمي، شيخا قريش، ماتا مشركين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (٢١٤٦)، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ.

(٣) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٢/ ١٠).

* **وفيها: غزا رسول الله ﷺ غزوة (الأبواء)**: ورجع منصوراً، ولم يلقَ كيداً، **وغزوة العشيرة**.

* * *

السنة الثانية من الهجرة

* **فيها: حُوِّلت الصلاة إلى الكعبة**: وكانت الصلاة بمكة، وبعد مقدمه بثمانية عشر شهراً، إلى بيت المقدس، وذلك يوم الثلاثاء منتصف شعبان، فاستقبل الكعبة في صلاة [العصر][1]، وبلغ أهلَ قُباء ذلك، فتحولوا إلى جهة الكعبة، وهم في الصلاة[2].

* **وفيها**: في شعبان، **فرض صوم شهر رمضان**.

* **وفيها**: أمر الناس **بإخراج زكاة الفطر**، قبل الفطر بيوم أو يومين.

* **وفيها**: خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى، فصلى **صلاة العيد**، وحُملت بين يديه العَنَزَةُ، وكانت للزبير، وَهَبَها له النجاشيُّ.

* **وفيها**: أُري عبدالله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري **صورة الأذان** في النوم، وورد الوحي به[3].

وقال ابن الجوزي: في السنة الأولى.

---

(١) في الأصل «الظهر»، والمثبت من البخاري (٤٠)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٥٢٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٩٩).

* وفيها: **تزوج علي** ﷺ بفاطمة بنتِ رسول الله ﷺ.

* وفيها: **كانت غزوة بدر الكبرى**، وهي الغزوة التي أظهر الله بها الدين.

وكان سببها: قتل عمرو بن الحضرمي، وإقبال أبي سفيان بن حرب في عيرٍ لقريش عظيمة من الشام، وفيها أموال كثيرة، ومعها ثمانون رجُلاً من قريش، منهم: مخرمة بن نوفل الزهري، وعمرو بن العاص.

فلما سمع رسولُ الله ﷺ، ندب المسلمين إليهم، وقال: «هذهِ عِيرُ قُرَيشٍ، فيها أموالُهم، فاخْرُجوا إليهم، لعلَّ الله تعالى أن يُنَفِّلَكُمُوها»، فانتدب الناس، فخفَّ بعضهم، وثقل بعضهم[1].

وبلغ أبا سفيان ذلك، فبعث إلى مكـة، وأعلم قريشاً بذلك، فخرج الناس من مكة سِراعاً، ولم يتخلف سوى أبي لهب، وكانت عِدَّتهم تسع مئة وخمسين رجلاً، فيهم مئة فرس.

وخرج رسولُ الله ﷺ من المدينة لثلاثٍ خلوْنَ من رمضان، ومعه ثلاث مئة، وثلاثة عشر رجلاً[2]، ولم يكن فيهم إلا فارسان، وكانت الإبل سبعين، يتعاقبون عليها.

ونزل النبي ﷺ الصفراء، وجاءتـه الأخبار بأن العير قاربت بدراً، وأن المشركين خرجوا ليمنعوا عنها، ثم ارتحل ـ عليه السلام ـ، ونزل في

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٣/ ١٥٣)، عن عبدالله بن عباس ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣٩٥٨)، عن البراء بن عازب ﷺ.

بدر، وأشار سعدُ بنُ معاذ ببناء عريشٍ لرسول الله ﷺ، فعُمِل، وجلس عليه، ومعه أبو بكر.

وأقبلت قريش، فلما رآهم رسولُ الله ﷺ، قال: «اللهمَّ هذهِ قريشٌ قد أقبلَتْ بِخُيَلائِها وفَخْرِها تُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ»[1].

وتقاربوا، وبرز من المشركين عُتبةُ بن ربيعة، وشَيبةُ بن ربيعة، والوليدُ بن عتبة، فأمر النبي ﷺ أن يبارز عُبيدةُ بنُ الحارث بنِ المطلبِ عتبةَ، وحمزُة عمُّ النبي ﷺ شيبةَ، وعليُّ بن أبي طالب الوليدَ بنَ عُتبة. فقَتَل حمزةُ شيبةَ، وعليٌّ الوليدَ، وضَرَب كلُّ واحد من عُبيدة وعُتبة صاحبَه، وكرَّ عليٌّ وحمزةُ على عتبةَ، فقتلاه، واحتملا عُبيدة، وقد قُطِعت رجلُه، ثم مات.

وتراجف القوم، ورسولُ الله ﷺ ومعه أبو بكر على العريش، وهو يدعو ويقول: «اللهمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصابَةُ، لا تُعْبَدْ في الأَرْضِ، اللهمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي»[2].

ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، فوضعها أبو بكر عليه، وخفق رسول الله ﷺ، ثم انتبه، فقال: «أَبْشِرْ يا أبا بَكْرٍ؛ فقدْ أتى نصرُ الله».

ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش يحرّض المسلمين على القتال،

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٣/ ١٦٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، عن عمر بن الخطاب ﷺ.

وأخذ حفنةً من الحصا، ورمى بها قريشاً، وقال: «شاهَتِ الوجوهُ»[1]، وقال لأصحابه: «شُدُّوا عليهم»، فكانت الهزيمة.

وكانت الوقعة صبيحة الجمعة، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان.

وحمل عبدُالله بنُ مسعود رأسَ أبي جهل بنِ هشام إلى النبي ﷺ، فسجد شكراً لله تعالى، وقُتِل أبو جهل وله سبعون سنة، واسم أبي جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وقُتل أخو أبي جهل، وهو العاص بن هشام.

ونَصَر الله نبيه بالملائكة، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الأنفال: ٩].

وكان عدة قتلى بدر من المشركين سبعين رجلاً، والأسرى كذلك.

فمن القتلى غير من ذكر: حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، وعُبيدة ابن سعيد بن العاص بن أمية، قتله علي بن أبي طالب، وزمعةُ بن الأسود، قتله حمزة، وغيرهم جماعة من أكابر قريش.

وكان من جملة الأسرى: العباسُ عمُّ النبي ﷺ، وابنا أخيه: عَقيلُ ابن أبي طالب، ونوفلُ بن الحارث بن عبد المطلب.

ولما انقضى القتال، أمر النبي ﷺ بسحب القتلى إلى القَليب، وكانوا أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقُذفوا فيه.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٠٣)، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

وأقام ـ عليه السلام ـ بعَرَصَة بدر ثلاثَ ليال، وجميع من استُشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

ولما وصل النبيُّ ﷺ إلى الصفراء راجعاً من بدر، أمر علياً بضرب عنق النَّضْر بن الحارث، وكان من شدة عداوته للنبي ﷺ، إذا تلا النبي ﷺ القرآن، يقول لقريش: ما يأتيكم محمدٌ إلا بأساطيرِ الأولين.

ثم أمر بضرب عنق عُقبة بن أبي مُعَيْطِ بنِ أمية.

وكان عثمان بن عفان قد تخلَّف عن رسول الله ﷺ في المدينة بأمره، بسبب مرض زوجته رقيةَ بنتِ رسول الله ﷺ، وماتت رقيةُ في غيبة رسول الله ﷺ، وكانت مدةُ غيبةِ رسول الله ﷺ تسعة عشر يوماً.

* **وفيها: هلك أبو لهب** عبدُ العُزَّى بنُ عبد المطلب بن هشام، لما جاءه الخبر بمكة، وما وقع في غزوة بدر، فلم يبقَ غير سبع ليال، ومات كَمَداً وحزناً، بمرض العدسة، وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها، ويرون أنها تُعدي أشدَّ العدوى، فلما أصابت أبا لهب، تباعدَ عنه بنوه، وبقي بعد موته ثلاثًا، لا يَقْرَبُه أحد، فلما خافوا السُّبَّة في تركه، حفروا له حفرةً، ثم دفعوه بعُود في حفرته، وقذفوه بالحجارة من بعيدٍ حتى واروْه.

* **وفيها: غزوةُ بني قينقاع** من اليهود، وأمر بإجلائهم، وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون جميع أموالهم.

* **وفيها: غزوة السويق**، وكان من أمرها: أن أبا سفيان حلف أن

لا يمسَّ الطيبَ والنساء، حتى يغزو محمداً ﷺ، بسبب قتلى بدر، فخرج في مئتي راكب، وبعث قُدَّامه رجالاً إلى المدينة، فوصلوا إلى العريض، وقتلوا رجالاً من الأنصار، فلما سمع النبي ﷺ بذلك، ركب في طلبه، وهرب أبو سفيان وأصحابُه، وجعلوا يُلقون جُرُبَ السَّويق تخفيفاً، فسميت: غزوة السويق.

* **وفيها: غزوة قرقرة الكدر،** وقرقرة الكدر: ماء، مما يلي جادة العراق إلى مكة، بلغ النبيَّ ﷺ أن بهذا الموضع جمعاً من سليم وغطفان، فخرج لقتالهم، فلم يجد أحداً، فاستاق ما وجد من النَّعَم، ثم قدم المدينة.

* **وفيها** ـ أعني: سنة اثنتين ـ: **توفي عثمان بن مظعون،** وكان عابداً مجتهداً، من فضلاء الصحابة، وهو أحد من حرّم الخمر في الجاهلية، وقال: لا أشرب شراباً يُذهِب عقلي، ويضحك بي مَنْ هو أدنى مني.

* **وفيها: قُتِل كَعْبُ بنُ الأَشْرَف اليهوديُّ،** وهو أحد بني نبهان من طَيِّء، وكانت أمه من بني النضير، وكان قد كبُر عليه من قُتِل ببدر من قريش، فصار إلى مكة، وحرّض على رسول الله ﷺ، وبكى أصحاب بدر، وكان يُشَبِّبُ بنساء المسلمين حتى آذاهم، فأمر النبي ﷺ بقتله، فقُتل، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، فَاقْتُلُوهُ»[1]، وكانت قَتَلَةُ ابنِ الأشرف من الأوس.

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٣٠٠٢)، عن محيصة رضي الله عنه.

وقيل: قتل في السنة الثالثة، قتله محمد بن مسلمة الأنصاري، والله تعالى أعلم.

* * *

السنة الثالثة من الهجرة

* **وفيها: كانت غزوة أحد**: وكان من حديثها: أنه اجتمع [من] قريش ثلاثة آلاف، فيهم سبع مئة دارع[1]، ومعهم مئتا فارس، وقائدهم أبو سفيان بن حرب، ومعه زوجته هندٌ بنتُ عُتبة، وكانت جملة النساء خمسَ عشرةَ امرأة، ومعهنَّ الدفوفُ يعزفْنَ بها، ويبكين على قتلى بدر، ويحرضْنَ المشركين على حرب المسلمين.

وساروا من مكة حتى نزلوا الحليفة، مقابل المدينة، يوم الأربعاء، لأربع مَضَين من شوال سنة ثلاث.

وكان رأيُ رسولِ الله ﷺ المقامَ بالمدينة، وقتالهم بها، ورأى الصحابةُ الخروجَ لقتالهم، فخرج النبيُّ ﷺ في ألف من الصحابة، إلى أن صار بين المدينة وأُحد، ونزل الشِّعْبَ من أُحد، وجعل ظهره إلى أُحد.

ثمّ كانت الوقعة يوم السبت، لسبع مضين من شوال، وعِدَّةُ أصحاب رسول الله ﷺ سبع مئة، فيهم مئة دارع[2]، ولم يكن معهم من الخيل سوى

---

(١) في الأصل: «دراع».

(٢) في الأصل: «دراع».

فرسين: فرسُ رسول الله ﷺ، وفرسٌ لأبي بردة.

وكان لواءُ رسول الله ﷺ مع مُصْعَب بن عُمَيْر من بني عبد الدار.

وكان على ميمنة المشركين خالدُ بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمةُ ابن أبي جهل، ولواؤهم مع بني عبد الدار.

ولما التقَى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وضربن بالدفوف خلف الرجال [يحرضن]:

هِيهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ   وِيهَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ
ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارِ

وتقول:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ   نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ   أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ

وقاتلَ حمزةُ عمُّ النبي ﷺ يومئذ قتالاً شديداً، فقتل أرطاةَ حاملَ لواء المشركين، وقصدَ قتلَ سباع بنِ عبدِ العزى، فبينما هو مشتغلٌ بسباعٍ، إذ ضربه وحشيٌّ عبدُ جُبيرِ بنِ مطعمٍ ـ وكان حبشياً ـ بحربة، فقتل حمزةَ رضي الله عنه.

وقتل ابنُ قَمِئَةَ الليثيُّ مُصْعَباً حاملَ لواء رسول الله ﷺ، وقد ظنَّ أنه رسولُ الله ﷺ، فقال لقريش: إني قتلت محمداً.

ولما قُتِل مُصعب، أعطى النبيُّ ﷺ الرايةَ لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأنزلَ الله نصرَهُ على المسلمين، وانهزم المشركون، فطمعت الرماةُ في الغنيمة، وفارقوا المكانَ الذي أمرهم النبيُّ ﷺ بملازمته، فأتى خالدُ ابنُ الوليد مع خيل المشركين من خلفِ المسلمين، ووقع الصراخُ: أن محمداً قُتِل، وانكشف المسلمون، وأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء على المسلمين، وكان عدد الشهداء من المسلمين سبعين رجلاً، وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلاً.

ووصل العدو إلى رسول الله ﷺ، وأصابته حجارتهم حتى وقع، وأُصيبت رَبَاعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه، وكُلِمَتْ شفتُه، وكان الذي أصابَ رسولَ الله ﷺ عتبةُ بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، وجعل الدمُ يسيل على وجه رسول الله ﷺ وهو يقول: «كيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ»، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٢٨][1].

ودخلت حلقتان من حِلَق المِغْفر في وجه رسول الله ﷺ من الشَّجَّة، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثنيته الواحدة، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، وكان أبو عبيدة ساقطَ الثنيتين، ومصّ مالك بن سنانُ أبو أبي سعيد الخدري[2]

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٢٧)، وأصله في مسلم (١٧٩١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «سنان بن أبي سعيد».

الدمَ من وجـه رسول الله ﷺ، وازْدَرَدَهُ[1]، فقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ مَسَّ دَمِي [دَمَهُ] لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ».

ومَثَّلت هندٌ وصواحبُها بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، فجدَعْنَ الآذانَ والأنوف، واتخذنَ منها قلائـدَ، وبقرت هنـدٌ عن كبـد حمـزةَ، ولاكتها.

وضرب زوجُها أبو سفيان بزُجِّ الرمح شدقَ حمزة، وصعِدَ الجبل، وصرخ بأعلى صوتـه: الحربُ سِجال، يومٌ بيوم بدر، اعْلُ هُبَلُ؛ أي: أظهر دينك.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معـه، نادى: إن موعدَكم بدرٌ العام القابل، فقال النبي ﷺ لواحد: «قُلْ: هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ»، ثم سار المشركون.

ثم التمس رسولُ الله ﷺ عمه حمـزةَ، فوجـده، وقـد بُقِر بطنُـه، وجُدِع أَنفه وأُذناه، فقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَى قُرَيشٍ، لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ مِنْهُمْ»[2]، ثم قال: «جاءني جبـريلُ، فأخبرَني أَنَّ حمزةَ مكتوبٌ في أهل السماواتِ السبعِ: حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ أسدُ اللهِ وأسدُ رسولِه»[3].

ثم أمر رسولُ الله ﷺ، فسُجِّي ببردة، ثم صلَّى عليـه، فكبـر سبعَ

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ٢٦١).

(٢) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ١١٦)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢١٩)، عن عبد الرحمن بن أبي لبينة رضي الله عنه.

تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه، حتى صلى عليهم ثنتين وسبعين صلاة، وهـذا دليل لأبي حنيفـة؛ فإنـه يرى الصلاة على الشهيد؛ خلافاً للشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ.

ثم أمر بحمزة فدُفِن، واحتُمِل ناسٌ من المسلمين إلى المـدينـة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ، وقال: «ادفنوهُم حيثُ صُرِعوا»[1].

وأصيبت عينُ قَتادَةَ بنِ النعمان، فردّها رسولُ الله ﷺ بيده، فكانـت أحسنَ عينيه، واستُشهد أنسُ بنُ النَّضْرِ بنِ ضمضم عمُّ أنس بن مالك، وقد أبلى بلاءً حسناً، وفيه نزلت: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾[الأحزاب: ٢٣] الآية.

*** ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان:**

قيل: إن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة، مـع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان صخر بن حرب، فلم يظفرا بـه، فقتل عمرٌو عثمانَ بنَ مالكٍ التّيميَّ، فركب صاحبُ عمرٍو البعيرَ، وأتى رسولَ الله ﷺ، فأخبره الخبرَ، وأما عمـرٌو، فسار حتى دخل داراً بضجنان، ومعه قوسُه وأسهمه، فبينما هو فيـه، إذ دخل عليـه رجل من بني الديل، أعورُ طويلٌ، يسوق غنماً لـه، فقال: من الرجل؟ قال: من بني الديل، فاضطجع معه، ورفع عقيرته يتغنى ويقول:

---

(١) روى الترمذي في «سننه» (١٧١٧)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «ردوا القتلى إلى مضاجعهم».

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَادُمْتُ حَيّاً   وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ المُسْلِمِينَا

ثم نام، فقتله، ثم سار، فإذا رجلان بعثتهما قريش، يتجسسان أمرَ رسولِ الله ﷺ، فرمى أحدَهما بسهم، فقتله، واستأسر الآخرُ، فقدمَ على رسول الله ﷺ، وأخبره الخبرَ، فضحك، ودعا له بخير(١).

* **وفيها ـ أعني السنة الثالثة من الهجرة ـ: تزوج النبي ﷺ حفصة** بنتَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وبنى بها فيها.

وقيل: تزوجها سنة اثنتين ـ والله أعلم ـ. وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ تحت خُنَيس بن حُذافة السهمي.

وخُنَيْس: بخاء معجمة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وآخرها سين مهملة.

* * *

ودخلت السنة الرابعة من الهجرة

* **وفيها: كانت غزوة بني النضير من اليهود**، وسار إليهم النبي ﷺ في ربيع الأول، ونزل تحريمُ الخمر، وهو محاصر لهم، وأجلاهم، وكانت أموالهم فيئاً، فقسمها على المهاجرين دون الأنصار، إلا أن سهلَ ابنَ حنيف وأبا دُجانة ذكرا فقراً، فأعطاهما من ذلك شيئاً.

* **وفيها: كانت غزوة ذات الرِّقاع**، وسميت بذلك؛ لأنهم رقّعوا

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٩٣).

فيها جراباتهم، وتقارب الناس، ولم يكن بينهما حرب، وكان ذلك في جمادى الأولى.

وفي هذه الغزوة قال رجُل من غطفان لقومه: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وحضر إلى عند النبي ﷺ، وقال: يا محمد! أُريد أن أنظر إلى سيفك، وكان محلًّى بفضة، فدفعه إليه، فأخذه، واستلَّه، ثم جعل يهزُّه ويهمُّ، ويَكْبِتُه الله، ثم قال له: يا محمد! ما تخافني؟ فقال له: «لا أَخافُ منكَ»، ثم ردّ سيفَ رسولِ الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾[المائدة: ١١][1].

* **وفيها: كانت غزوة بدر الثانية**، وتسمى ـ أيضاً ـ: غزوة السَّويق.

ففي[2] شعبان من السنة الرابعة خرج رسولُ الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان بن حرب حتى نزل بدراً، فأقام عليها ثمانية ليالي ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة إلى مَرِّ الظَّهْران، وقيل: إلى عُسفان، ثم رجع، ورجعتْ قريشٌ معه، فسمّاهم أهلُ مكة جيشَ السَّويق، يقولون: إنما خرجتُم تشربون السويق، فلما لم يأت، انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، والله سبحانه أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٨٦)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) في الأصل: «وفي».

* **وفيها: كانت غزوة الخندق**: وكانت في شوال من هذه السنة[1]، وكان من حديثها: أن نفراً من اليهود ـ وهم الذين حرّضوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ـ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، وقالوا: دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أَوْلى بالحقِّ منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٥][2].

ولما سمع رسولُ الله ﷺ بهم، وما أجمعوا عليه، أمر بحفر الخندق حولَ المدينة، قيل: إنه بإشارة سلمانَ الفارسيِّ، وهو أولُ مشهد شهدَه مع رسول الله ﷺ.

وظهرت في حفر الخندق عدة معجزات:

* **منها**: ما رواه جابر، قال: اشتدَّت عليهم كديةٌ ـ أي: صخرة ـ،

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٦٥).

(٢) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٩٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٠٨)، عن محمد بن كعب القرظي.

فدعا النبيُّ ﷺ بماءٍ، وتفل فيه، ونضحه عليها، فانهالت تحت المساحي[1].

* **ومنها**: أن أُبية بنتَ بشير بن سعيد الأنصاري، وهي أخت النعمان ابن بشير، بعثتها أمها بقليل تمر غداء أبيها بشير، وخالِها عبدِالله بن رواحة، فمرّت برسول الله ﷺ، فدعاها، وقال: «هاتي ما مَعَك يا بُنَيَّة»، فصبّتْ ذلك التمر في كَفَّي رسولِ الله ﷺ، فما امتلأتا، ثم دعا رسول الله ﷺ بثوب، وبدَّدَ ذلك التمر عليه، ثم قال لإنسان: «اصرخْ في أهلِ الخندقِ أَنْ هَلُمُّوا إلى الغداءِ»، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيدُ حتى صدر أهلُ الخندق عنه، وإنه ليسقطُ من أطراف الثوب.

* **ومنها**: ما رواه جابر، قال: كانت عندي شُوَيْهَةٌ غيرُ سمينة، فأمرتُ امرأتي أن تخبز قرصَ شعير، وأن تشوي تلكَ الشاةَ لرسولِ الله ﷺ، وكنا نعملُ في الخندق نهاراً، وننصرفُ إذا أمسينا، فلما انصرفنا من الخندق، قلت: يا رسول الله! صنعتُ لكَ شويهةً، ومعها شيءٌ من خبز الشعير، وأنا أحبُّ أن تنصرفَ إلى منزلي، فأمر رسولُ الله ﷺ من يصرخُ في الناس: أنِ انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيتِ جابر.

قال جابر: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ وكان ظنَّ أن يمضي رسولُ الله ﷺ وحده ـ، وأقبل رسولُ الله ﷺ والناسُ معه، وقدَّمنا له ذلك، فبرَّكَ وسمّى، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما صدر عنها قوم، جاء ناس،

---

(١) رواه البخاري (٣٨٧٥).

حتى صدر أهل الخندق عنها[1].

وروى سلمان الفارسي، قال: كنت قريباً من رسول الله ﷺ، وأنا أعمل في الخندق، فتغلظ عليَّ الموضعُ الذي كنت أعمل فيـه، فلما رأى رسولُ الله ﷺ، أخذ المِعولَ، وضرب ضربة لمعت تحت المِعول بَرْقَةٌ، ثم ضرب أخرى، فلمعت برقةٌ أخرى، ثم ضرب أخرى، فلمعت برقة أخرى، قال فقلت: بأبي أنت وأمي! ما هذا الذي يلمع تحت المعول؟ فقال: «أرأيتَ ذلكَ يا سلمانُ؟»، فقلت: نعم. قال: «أَمَّا الأُولى، فإنَّ اللهَ فتحَ عَلَيَّ بها اليَمَنَ، وأَمَّا الثانيـةُ، فإن اللهَ فتحَ عَلَيَّ بها الشَّامَ والمَغْرِبَ، وأَمَّا الثالثةُ، فإنَّ الله فتحَ عَلَيَّ بها المَشْرِقَ»[2].

وعمل رسول الله ﷺ في الخندق ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، وفرغ رسول الله ﷺ من الخندق.

وأقبلت قريش في أحابيشها ومَنْ تبعها من كنانةَ في عشرة آلاف، وأقبلت غَطَفان ومن تبعها من أهل نجـد، وكان بنو قريظة وكبيرُهم كعبُ ابنُ أسدٍ قد عاهـد النبيَّ ﷺ، فما زال عليهم أصحابهم من اليهود حتى نقضوا العهد، وصاروا مع الأحزاب على رسول الله ﷺ.

وعَظُم عند ذلك الخَطْبُ، واشتد البلاء، حتى ظن المؤمنـون كل الظن، ونَجَمَ النفاق، حتى قال معتـب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧٧).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤١٩)، عن عمرو بن عوف المزني ﷺ.

كنوزَ قيصر، وأحدُنا اليومَ لا يأمَنْ على نفسه أن يذهب إلى الغائط[1].

وأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعاً وعشرين ليلة، ولم يكن بين القوم حربٌ إلا الرمي، وتقدم فوارسُ من قريش يلتمسون القتال، فأقبلوا حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه، قالوا: والله! إن هذه لمَكَيدةٌ، ما كانت العربُ تكيدها، ثم قَتَل عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه عَمْرَو بن عبدِ ودٍّ، وخرجتْ خيلُ قريش منهزمةً، وقال علي رضي الله عنه في ذلك:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ
وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ بِضِرَابِ
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدّلاً
كَالجِذْعِ بَيْنِ دكادِكٍ وَرَوَابي
لا تَحْسَبُنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ
وَنَبِيِّهِ يا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ

ثم نصر الله نبيّه على المشركين، وخذَلهم، واختلفت كلمتُهم، ثم إن الله تعالى أهبَّ ريح الصَّبا، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾[الأحزاب: ٩]، فجعلت الريح تقلِب آنيتهم، وتَكْفأُ قُدورهم، وانقلبوا خاسرين.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٣٥)، عن عثمان بن كعب القرظي.

وبلغ رسولَ الله ﷺ أمرُهم، وأنهم عادوا راجعين إلى بلادهم، وقال رسولُ الله ﷺ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ، وَلا يَغْزُونَا»[1]، فكان كذلك حتى فتحِ مكة، والله أعلم.

* **وفيها: كانت غزوة بني قريظة في ذي القعدة**: ولما عاد النبي ﷺ إلى المدينة من غزوة الأحزاب، وضع المسلمون السلاح، فلما كان الظُّهر أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ، فقال: أقدْ وضعتَ السلاح؟ قال: «نعم»، قال: ما وضعت الملائكةُ السلاح، إن الله ﷻ يأمرُك بالمسير إلى بني قُريظَة[2]، فإني عامدٌ إليهم، فَمُزَلْزِلٌ بهم[3].

فأمر رسولُ الله ﷺ منادياً، فنادى: مَنْ كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلينَّ العصرَ إلا في بني قريظة، وقدَّم علياً رضي الله عنه إليهم برايته، ثم تلاحق الناسُ، ونزل رسولُ الله ﷺ، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، وقذفَ الله في قلوبهم الرعبَ، ولما اشتد بهم الحصار، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فردَّ الحكمَ فيهم إلى سعد بن معاذ، فحكَمَ أن تُقتل المقاتلة، وتُسبى الذرية والنساء، وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»[4].

---

(١) رواه البخاري (٤١٠٩)، عن سليمان بن صرد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٨)، ومسلم (١٧٦٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٤).

(٤) رواه البخاري (٣٥٩٢)، ومسلم (١٧٦٨)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ لابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٥).

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحبس بني قريظة في دار بنت الحارث: امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فخندقَ بها خنادقَ، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، وكانوا ست مئة، أو تسع مئة، وقيل: ما بين الثمان والسبع مئة.

ثم قسم رسول الله ﷺ الأموال، فكان للفارس ثلاثة أسهم: للفرس سهمان، ولفارسه سهم، وللراجل سهم، وكانت الخيل يومئذ ستة وثلاثين فرساً.

ثم قسم سبايا بني قريظة، فأخرج الخمس، واصطفى لنفسه ريحانةَ بنتَ عمرٍو، فكانت في ملكه حتى مات.

واستُشهد في غزوة بني قريظة خلادُ بن زيد بن ثعلبة، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق ويوم بني قريظة، وقُتل يومئذ شهيداً، دلَّت عليه امرأةٌ من بني قريظة رَحًى، شَدَخَتْ رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «له أَجْرُ شهيدينِ»[1]، وقتلها به[2]، ولم يستشهد في غزوة بني قريظة غيره.

وفي هذه السنة: توفي سعد بن معاذ بن النعمان بن زيد بن عبد الأشهل رضي الله عنه، ولما مات، نزل جبريل ـ عليه السلام ـ على النبيِّ ﷺ معتجراً بعمامة من إستبرق، وقال: يا محمد! مَنْ هذا الذي فُتحت له

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٢٤٨٨)، عن قيس بن شماس رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٣٠).

أبواب السماء، واهتزَّ لـه العرشُ[1]، فقام رسول الله ﷺ يجرُّ ثوبه إلى سعد ابن معاذ، فوجده قد مات[2]، وأخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أنه شهدَه سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبلَ ذلك[3].

وكان سعدُ بن معاذ جُرح على الخندق، وسأل الله تعالى أن لا يُميته حتى يغزو بني قريظة؛ لغدرهم برسولِ الله ﷺ[4]، فاندمَلَ جرحُه، حتى فرغ من غزوة بني قريظـة؛ كما سأل الله تعالى، ثم انتقض جرحه، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها: هلك أمية بن أبي الصلت**: وكان قد قرأ الكتبَ المتقدمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أن نبياً يخرج قد أظلَّ زمانُه، وكان يؤمِّل أن يكون هو ذلك النبيَّ، فلما بلغه ظهورُ رسول الله ﷺ، كفر بـه حسداً له، وكان يحرِّض قريشاً بعد ذلك على النبي ﷺ.

* * *

السنة السادسة من الهجرة

خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى إلى بني لحيـان طالباً بثأر

---

(١) رواه البخاري (٣٥٩٢)، ومسلم (٢٤٦٦)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٦٠٢)، عن عبدالله بن أبي بكر.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٢٩)، عن سعد بن إبراهيم.

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (١٥٨٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٧٩)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

أهل الرجيع، فتحصنوا برؤوس الجبال، فنزل عسفان تخويفاً لأهل مكة، ثم رجع إلى المدينة.

* **وفيها: كانت غزوة ذي قُرَد**: وسببها: أن عُيينةَ بنَ حصنٍ الفزاريَّ أغار على لِقاحِ رسول الله ﷺ، وهي بالغابة، فخرج رسولُ الله ﷺ يوم الأربعاء، حتى وصل إلى ذي قرد، لأربع خلون من ربيع الأول، فاستنقذ بعضها، وعاد إلى المدينة، وكانت غَيبته خمس ليال.

وفي هذه الغزاة نودي: يا خيل الله! اركبي، ولم يكن يقال ذلك قبلَها[1].

وذو قرد: موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبر.

* وفي شعبان، وقيل: في سنة خمس: **كانت غزوة بني المصطلق** من خزاعة، وكان بلغَ رسولَ الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدُهم الحارثُ بن أبي ضرار، أبو جُويريةَ زوجِ النبي ﷺ، فلما سمع بهم، خرج إليهم، فلقيهم بماء يقال له: المريسيع، بناحية قديد، فاقتتلوا، فانهزم المشركون، وقُتِل من قُتِل منهم.

وكان حاملَ راية المهاجرين أبو بكر، ورايةِ الأنصار سعد بن عبادة، وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى، فكتفوا، وجمع الغنائم، وكانت الإبل ألفي بعير، والشياه خمسة آلاف شاة، وكان السبي مئتي بنت، وكانت غيبة رسول الله ﷺ عن المدينة ثمانيةً وعشرين يوماً.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٨٠).

وكان في جملة السبي: جُويريةُ بنتُ الحارث، كان اسمها بَرَّةَ، فسماها رسولُ الله ﷺ: جويرية[1]، وكانت إحدى أزواجه ﷺ، وكانت وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها، فأدى رسولُ الله ﷺ كتابتَها، وتزوَّجها، فقال الناس: أصهارُ رسول الله ﷺ، فأُعتق بتزويجه إياها مئةُ أهل بيتٍ من بني المصطلق، فكانت عظيمةَ البركة على قومها[2].

*** ذكر قصة الإفك:**

ولما رجع رسولُ الله ﷺ من هذه الغزوة، وكان ببعض الطريق، قال أهل الإفك ما قالوا، وهم: مِسْطَحُ بن أُثاثَةَ بنِ عبادِ بنِ عبد المطلب، وهو ابنُ خالة أبي بكر، وحسانُ بنُ ثابت، وعبدالله بن أُبيٍّ ابنُ سلول الخزرجيُّ المنافق، وحَمْنَةُ بنتُ جَحْش، فرموا عائشةَ رضي الله عنها بالإفك مع صفوانَ بنِ المعطّل، وكان صاحبَ الساقة، فلما نزلتْ براءتها، جلدَهم رسولُ الله ﷺ ثمانين ثمانين، إلا عبدَالله بنَ أبي، فإنه لم يجلده، وكان صفوانُ حَصُوراً لا يأتي النساء[3].

وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم.

*** وفيها ـ أعني: سنة ست ـ: كانت عمرة الحديبية**، وهي أن

---

(١) رواه مسلم (٢١٤٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٣١)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٢٥١٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعـدة سنة ست معتمراً، لا يريد حرباً، بالمهاجرين والأنصار، في ألف وأربع مئة، وساق الهديَ، وأحرم بالعُمرة، وسار حتى وصل إلى ثنية المرار مهبط الحديبية أسفل مكة، وأمر بالنزول، فقالوا: ننزل على غير ماء؟! فأعطى رجُلاً سهماً من كنانتـه، وغرزه في قَليب من تلك القُلُب في جوفه، فجاش المـاء بالريِّ، حتى كفى الجيش، وكـان اسمُ الذي أخـذ السهم ناجيةَ بنَ عُمير، سائقَ بُدْنِ النبي ﷺ، وهذا من مشاهير معجزاته[1].

فبعثت قريشٌ عُروةَ بنَ مسعود الثقفيَّ، وهو سيدُ أهل الطائف، فأتى رسولَ الله ﷺ، وقال: إن قريشاً لبسوا جلود النمـور، وعاهـدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عَنْوَة أبداً، ثم جعل عُروة يتناول لحيةَ رسولِ الله ﷺ، وهو يكلِّمه، والمغيرةُ بنُ شُعبةَ واقف على رأس رسول الله ﷺ، فجعل يقرع يده، ويقول: كُفَّ يدَك عن وجـه رسول الله ﷺ، قبل أن لا ترجعَ إليك، فقال له عروة: ما أَفَظَّكَ وأغلظَكَ! فتبسَّم رسولُ الله ﷺ.

ثم قام عُروة من عند رسول الله ﷺ، وهو يرى ما يصنع أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصُق إلا ابتدروا بُصاقه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه.

ورجع إلى قريش، وقال لهم: إني جئتُ كسرى وقيصرَ في مُلْكهما، فوالله! ما رأيت ملكاً في قومه مثلَ محمد في أصحابه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٣)، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

ثم إن رسولَ الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ؓ ليبعثه إلى قريش؛ ليعلمهم بأن رسول الله ﷺ لم يأت لحرب، فقال عمر: إني أخاف قريشاً؛ لغلظتي عليهم، وعداوتي فيهم، فبعث رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفان ؓ إلى أبي سفيان وأشرافِ قريش: أنـه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً، ومعظِّماً لهذا البيت.

فلما وصل إليهم عثمان بن عفان، وعرّفهم بذلك، فقالوا له: إن أحببتَ أنك تطوفُ بالبيت، فطـفْ، فقال: ما كنتُ لأفعلَه، حتى يطوفَ رسولُ الله ﷺ، فأمسَكوه، وحَبَسوه، وبلغَ رسولَ الله ﷺ أن عثمان قُتِل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبْرَحُ حَتَّى نُـنَاجِزَ القَوْمَ»، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، فكانت **بيعة الرضوان تحت الشجرة**، وكان الناس يقولون: بايعهم رسولُ الله على الموت، وكان جابرٌ يقول: لم يبايعْنا إلا على أننا لا نفرُّ، فبايع رسولُ الله ﷺ الناسَ، ولم يتخلف أحدٌ من المسلمين، إلا الحُرُّ بنُ قيسٍ، استترَ بناقته، وبايع رسولُ الله ﷺ لعثمانَ في غيبته، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم أتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ أن عثمان لم يُقتَل.

*** ذكر الصلح بين رسول الله ﷺ وقريش:**

ثم إن قريشاً بعثوا سُهيلَ بنَ عمرٍو في الصلح، وتكلم مع النبي ﷺ في ذلـك، فلمـا أجـابَ إلى الصـلح، قـال عمـر بـن الخطـاب ؓ: يا رسول الله! ألستَ برسول الله؟ أوَلسنا بالمسلمين؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى»، قال: فعلامَ نعُطي الدَّنِيَّةَ في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَنا عبدُاللهِ

ورسولُه، ولَنْ أُخالِفَ أَمْرَهُ، ولَنْ يُضَيِّعَني»[1].

ثم دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالـب، فقال: «اكتبْ: بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سُهيل: لا أعرف هـذا، ولكن اكتبْ: باسمك اللهمَّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اكتبْ: باسمك اللهمَّ»، ثم قال: «اكتبْ: هذا ما صالح عليه محمدٌ رسولُ الله ﷺ»، فقال سهيل: لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمَك واسمَ أبيك، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبْ: هذا ما صالح عليه محمدُ بنُ عبدِالله سُهيلَ بنَ عَمْرٍو على: وَضْعِ الحَرْبِ عن الناسِ عَشْرَ سِنينَ، وأنه مَنْ أَحَبَّ أن يدخُلَ في عقدِ محمدٍ وعهدِه، دخلَ فيـه، ومن أحبَّ أن يدخُلَ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم، دخلَ فيه»، وأشهدوا في الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين والمشركين.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ لما خرجوا من المدينة، لا يشكُّون في فتح مكة؛ لرؤيا رآها النبي ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، داخلَ الناسَ من ذلك أمرٌ عظيم، حتى كادوا يهلكون.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من ذلك، نحر هَدْيَه، وحلقَ رأسه، وقام الناس ـ أيضاً ـ، فنحروا وحلقوا، وقال رسول الله ﷺ يومئذ: «يرحَمُ اللهُ المحلِّقين»، قالوا: والمقصِّرينَ يا رسول الله، قال: «يرحُم اللهُ المحلِّقين» حتى أعادوا، وأعاد ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «والمقصِّرينَ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٦٤٠)، ومسلم (١٣٠١)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ثم قفلَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة، حتى إذا كان بين مكـة والمدينـة، **نزلت سورة الفتح**: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[الفتح: ١ ـ ٢][1].

ودخل في الإسـلام في هـذه السنـة مثـلُ ما دخـل فيـه قبـلَ ذلك وأكثرُ، وهاجر إلى رسول الله ﷺ نسوةٌ، فيهن أمُّ كلثومٍ بنتُ عقبةَ بنِ أبي مُعَيط، فجاء أخواها الوليـدُ، وعمارة يطلبانها، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[الممتحنة: ١٠]، فلم ترسل امرأة مؤمنة إلى مكة.

وأنزل الله تعـالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠]، فطلق عمر رضي الله عنه امرأتين لـه، **إحداهمـا**: قُريبةُ بنتُ أبي أمية، فتزوجها معاوية وهما مشركان، **والثانية**: أم كلثوم بنة عمرو بن جَرْول الخزاعيـة، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم، وهما مشركان.

* * *

السنة السابعة من الهجرة

* **فيها: كانت غزوة خيبر**: وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية، أقام بالمدينة ذا[2] الحجة وبعضَ المحرم، ثم خرج في منتصف

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٣)، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «ذي».

المحرم سنة سبع، وسار إلى خيبر في ألف وأربع مئة فارس، وخيبرُ على ثمان بُرُدٍ من المدينة، واستخلف على المدينة سباعَ بنَ عرفطة الغفاري، ولما أشرفَ رسولُ الله ﷺ على خيبر، قال لأصحابه: «قفوا»، ثم قال: «اللهمَّ ربَّ السَّمَواتِ وَما أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضينَ وَما أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّياحِ وَمَا ذَرَيْنَ، نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ، وخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِاسْمِ اللهِ»(١)، ونزل على خيبر ليلاً، ولم يعلم أهلها.

فلما أصبحوا، خرج أهلها إلى عملهم، ومعهم مَكاتِلُهم ومَساحيهم، فلما رأوه، عادوا، وقالوا: محمدٌ والخميسُ ـ يعنون: الجيش ـ، فقال النبي ﷺ: «اللهُ أكبرُ خَرِبَتْ خيبرُ، إِنَّا إذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المنذَرِينَ»(٢)، ثم حاصرهم، وضيّق عليهم، وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً.

وأصاب منهم سبايا، منهن: صفيةُ بنتُ حُيَيِّ بنِ أخطبَ، وكانت عندَ كِنانَةَ بنِ الربيع بنِ أبي الحُقَيْق، فاصطفاها رسولُ الله ﷺ لنفسه، وتزوَّجها، وجعل عِتْقَها صَداقَها، وهذا مذهبُ الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وهو من مفردات مذهبه.

ثم افتتح حصنَ الصَّعْب، وما كان بخيبر حصنٌ أكثر طعاماً

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٥٩)، عن أبي معتب بن عمرو.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤)، ومسلم (١٣٦٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ووَدكاً منـه، ثم انتهى إلى الوطيح، والسلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً.

وروي: أن رسول الله ﷺ ربما كانـت تأخذُه الشقيقةُ، فيلبث اليومَ واليومين لا يخرج، فلما نزلَ خيبرَ، أخذتـه، فأخـذ أبو بكر الصديق ؓ الرايةَ، وقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، فأخذها عمرُ، فقاتل قتالاً شديداً، أشدَّ من الأول، ثم رجـع، فأخبـر بذلك النبي ﷺ، فقال: «أَمَـا واللهِ! لأُعطينَّ الرايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُـه، كَرّاراً غَيْرَ فَرّارٍ، يَأْخُذُها عَنْوَةً»، فتطاولَ المهاجـرون والأنصـار، وكان عليُّ ابن أبي طالب ؓ قـد تخلف بالمدينة لرمَدٍ لَحِقَه، فلما أصبحوا، جاء عليُّ ؓ على بعير له، فتفلَ النبيُّ ﷺ في عينه، فما اشتكى رمداً بعدها، ثم أعطاه الراية، فنهض بها، فأتى خيبرَ، فأشرف عليـه رجلٌ من يهـود خيبرَ، وقال: من أنت؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالـب، فقال اليهـودي: غُلبتم يا معشَر اليهود، فخرج مَرْحَبٌ من الحصن، وعليه مغفر يماني، وعلى رأسه بيضةٌ عادية، وهو يقول:

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أَنِّـي مَرْحَـبُ ... شَـاكِي السِّلاحِ بَطَـلٌ مُجَـرَّبُ

أَطْعَـنُ أَحْيَانـاً وَحِينـاً أَضْـرِبُ ... إِذَا اللُّيُـوثُ أَقْبَلَـتْ تَلْتَهِـبُ

فسار إليه عليٌّ ؓ، وقال مجيباً له:

أَنَـا الَّـذِي سَـمَّتْنِي أُمِّـي حَيْـدَرَهْ

أَكِـيلُهُمْ بِالـسَّيْفِ كَيْـلَ الـسَّنْدَرَهْ

لَيْـثٌ بِغَابَـاتٍ شَـدِيدُ القَـسْوَرَهْ

واختلف بينهما ضربتين، فسبقه عليٌّ ﷺ بضربته، فَقَدَّ البيضة والمغفر، ورأسه، فسقط عدوُّ الله ميتاً[1].

وكان فتحُ خيبر في صفر، على يد عليٍّ ﷺ، بعد حصار بضعَ عشرةَ ليلة، وحاز رسول الله ﷺ الأموالَ كلَّها، وسأله اليهودُ أهلُ خيبر على أن يُساقِيَهم على النصف من ثمارهم، ويُخرجهم متى شاء، ففعل ذلك، وفعل مثل ذلك أهل فَدَك.

فكانت خيبرُ فيئاً للمسلمين، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يُجلبوا عليها بِخَيلٍ ولا رِكاب، ولم يزلْ يهودُ خيبرَ كذلك، إلى خلافة عمرَ ﷺ، فأجلاهم منها.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر، انصرف إلى وادي القُرى، فحاصره ليلةً، وفتحه عَنْوَة.

ثم سار إلى المدينة، ولما قدمها، وصل إليه من الحبشة بقيةُ المهاجرين، ومنهم: جعفرُ بنُ أبي طالب، فروي: أن النبي ﷺ قال: «ما أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أُسَرُّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ»[2].

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢١١)، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه ﷺ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٩٣١)، عن علي ﷺ.

وكان النبي ﷺ قد كتب إلى النجاشي يطلبهم، ويخطب أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيان، وكانت هاجرتْ مع زوجها عبدِالله بن جحش، فتنصّر عبدُالله المذكور، وأقام بالحبشة، فزوّجها للنبي ﷺ ابنُ عمِّها خالدُ بنُ سعيد بنِ العاص بنِ أمية، وكان بالحبشة من جملة المهاجرين، وأصدَقَها النجاشي عن النبي ﷺ أربعَ مئة دينار، ولما بلغ أباها أبا سفيان أن النبيَّ ﷺ تزوجها، فقال: ذلك الفحلُ الذي لا يُجدَع أنفُه، فقدمتْ إلى النبي ﷺ، وكلّم رسولُ الله ﷺ المسلمين، في أن يدخلوا الذين حضروا من الحبشة، في سهامهم من مَغْنَم خيبر، ففعلوا.

وفي غزوة خيبر: أهدت للنبي ﷺ زينبُ بنت الحارث، امرأةُ سَلاَم ابن مِشْكَم اليهوديةُ شاةً مَصْلِيَّة مسمومة، فأخذ منها قطعة، ولاَكها، ثم لَفَظَها، وقال: «تُخبرُني هذهِ الشاةُ أَنَّها مَسْمومَةٌ»، وكان معه بِشْرُ بنُ البراء بنِ مَعْرور، فأكل بشرٌ منها، ثم دعا النبيُّ ﷺ المرأة، فاعترفَتْ، فتجاوز عنها.

وقيل: مات بِشْرٌ، فقتلَها به[1].

ثم قال النبي ﷺ في مرضه: «إِنَّ أكلةَ خيبرَ لم تزلْ تُعاودني، وهذا زَمانُ انْقِطاعِ أَبْهَرِي»[2].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٠٧).

(٢) رواه البخاري (٤١٦٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

* **ذكر رسل النبي ﷺ إلى الملوك:**

في هذه السنة ـ أعني: سنة سبع ـ بعث النبي ﷺ كُتُبه ورُسُله إلى الملوك، يدعوهم إلى الإسلام:

ـ بعث إلى كسرى برويز بن هرمز: **عبدَالله بنَ حُذافة**، فمزّق كسرى كتابَ النبي ﷺ، وقال: يُكاتبني بهذا وهو عبدي؟! ولما بلغ النبيَّ ﷺ ذلك، قال: «مَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُ»[1].

ـ ثم بعث كسرى إلى باذان عامِله باليمن: أن ابعثْ إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فبعث باذان إلى النبي ﷺ اثنين، أحدُهما يقال له: خرخسرة، وكتب معهما، يأمر النبيَّ ﷺ بالمسير إلى كسرى، فدخلا على النبي ﷺ، وقد حلقا لحاهما وشواربهما، فكرِه النبي ﷺ النظرَ إليهما، وقال: «وَيْلَكُمَا! مَنْ أَمَرَكُما بِذَلِكَ؟»، قالا: ربنا ـ يعنيان: كسرى ـ، فقال النبي ﷺ: «لَكِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعِفَّ عِنْ لِحيَتِي، وَقَصِّ شَارِبِي»، فأعلماه بما قَدِما له، وقالا: إن فعلت، كتب فيك باذانُ إلى كسرى، وإن أَبيتَ، فهو يهلكك، فأخر النبي ﷺ إلى الغد، وأتى الخبرُ من السماء إلى النبي ﷺ: أن الله قد سلَّط على كسرى ابنَه شيرويه، فقتله، فدعاهما رسول الله ﷺ، وأخبرهما بذلك، وقال لهما: «إِنَّ دِيني وسُلْطاني سيبلُغُ مُلْكَ كِسْرَى، فَقُولا لباذانَ أَنْ أَسْلِمْ»، فرجعا إلى باذان، وأخبراه بذلك، ثم ورد مكاتبه شيرويه إلى باذان بقتل أبيه كسرى، وأن لا يتعرض

---

(١) رواه البخاري (٤٤٢٤)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

للنبي ﷺ، فأسلمَ باذانُ، وأسلم معه ناسٌ من فارس[1].

ـ وبعث **دِحْيَةَ بنَ خَلِيفةَ الكلبيَّ إلى قيصرَ ملكِ الروم**، وهو هِرَقْلُ، فأكرمَ دحيةَ، ووضع كتابَ النبيِّ ﷺ على فخذه.

وكتب إلى رجل برومية، وكان يقرأ الكتب، يخبره بشأنه، فكتب إليه صاحب روميةَ أنه النبي الذي كنا ننتظر، لا شك فيه، فاتّبِعه وصدِّقه، فجمع هرقلُ بطارقته في دسكرةٍ، وغُلِّقت أبوابها، ثم اطلع عليهم من عُلِّيَّةٍ، وخافهم على نفسه، وقال لهم: قد أتاني كتابُ هذا الرجل، يدعوني إلى دينه، وإنه ـ والله ـ النبيُّ الذي نجده في كتبنا، فهلُمُّوا نتبعه، ونصدقه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتُنا، قال: فنخروا نخرة رجلٍ واحدٍ، ثم ابتدروا الأبوابَ، ليخرجوا، فقال: رُدُّوهم عليَّ، وخافهم على نفسه، وقال لهم: إنما قلتُ لكم ما قلتُ؛ لأنظرَ كيف صلابتُكم في دينكم، وقد رأيتُ منكم ما سَرَّني، فسجدوا له[2]، وانطلقوا.

فقال لدحية: إني لأعلمُ أن صاحبك نبيٌّ مرسَل، ولكن أخاف الرومَ على نفسي، ولولا ذلك، لاتبعته[3]، وردَّ دحية رَدّاً جميلاً.

ـ وبعث **حاطبَ بنَ أبي بَلْتَعَةَ إلى صاحب مصرَ**، وهو المقوقِسُ جريجُ بنُ مَتَّى، فأكرم حاطباً، وقبَّل كتابَ رسول الله ﷺ، وأهدى إليه

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٣)، عن يزيد بن حبيب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣٠).

أربعَ جوارٍ، إحداهن: مارية، ولدَتْ من النبي ﷺ ابنَه ابراهيمَ، والأخرى سيرين، وهبها رسولُ ﷺ لحسانَ بنِ ثابت، وأهدى إليه ـ أيضاً ـ بغلته دُلْدُل، وحمارَه يعفور، وكِسْوةً.

ـ وبعث **عَمْرَو بنَ أُمية الضَّمريَّ** إلى النجاشي بالحبشة، فلما جاءه كتابُ رسول الله ﷺ، قَبَّله، وآمنَ به، واتَّبعه، وأسلمَ على يدِ جعفرِ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، حين كان عنده في الهجرة، واسمُ النجاشي أَصْحَمَةُ، ومعناه بالعربيِّ: عَطِيَّة.

ـ وأرسل **شجاعَ بنَ وهبٍ الأسديَّ** إلى الحارثِ بنِ أبي شمرٍ الغساني بدمشق، فلما قرأ كتابَ رسول الله ﷺ، قال: ها أنا سائرٌ إليه، فلما بلغَ رسولَ الله ﷺ قولُه، قال: «بَادَ مُلْكُهُ»[1].

ـ وأرسل **سليطَ بنَ عمرٍو العامريَّ** إلى هَوْذَةَ بنِ عليٍّ الحنفي، ملكِ اليمامة، وكان نصرانياً، فقال هوذةُ: إن جعلَ الأمرَ لي من بعدِهِ، سرتُ إليه، وأسلمتُ، ونصرته، وإلا، قصدت حربه، فقال النبي ﷺ: «لا حُبّاً ولا كرامَة، اللهمَّ اكْفِنِيهِ»، فمات بعد قليل[2].

وكان قد أرسل هوذةُ رجُلاً يقال له: الرحال ـ بالحاء وقيل: بالجيم ـ إلى النبي ﷺ، فأسلم، وقرأ سورةَ البقرة، ورجع إلى اليمامة، فارتدَّ، وشهدَ أن رسولَ الله ﷺ أشركَ معه مُسَيْلِمَةَ الكذابَ في النبوة،

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٦٢).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٦٢).

فكانت فتنته أشدَّ من فتنة مسيلمة.

ـ وأرسل **العلاءَ بنَ الحضرميِّ** إلى المنذر بن ساوى ملكِ البحرين، فلما أتاه يدعوه ومَنْ معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، وكانت ولايةُ البحرين من قبل الفرس، فأسلم المنذر، وأسلم جميعُ العرب بالبحرين.

*** ذكر عُمْرة القضاء:**

ثم خرج رسول الله ﷺ في ذي القعدة، من سنة سبع معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بَدَنَة، ولما قرب من مكة، أخرجت له قريش غنماً، وتحدثوا أن النبي ﷺ في غش وجهدٍ وأصحابه، وقد أنهكتهم حُمَّى يثربَ، فاصطفوا له عند دار الندوة، فلما دخل المسجد، اضطبعَ؛ بأن جعل وسطَ ردائه تحت عَضُدِه الأيمن، وطرفيه على عاتقه الأيسر، ثم قال: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَرَاهُمُ اليَوْمَ قُوَّةً»، ورمل في أربعة أشواط من الطواف، ثم خرج إلى الصفا والمروة، فسعى بينهما[1].

وتزوج في سفره هذا ميمونةَ بنتَ الحارث، زوَّجه إياها عمُّه العباس، وذُكر أنه تزوجها محرِماً[2]، وهو من خواصِّه ﷺ، وهي آخرُ امرأة تزوَّجها.

وأقام بمكة ثلاثاً، فأرسل المشركون إليه مع عليٍّ رضي الله عنه ليخرج

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ١٨)، وأصله عند مسلم (١٢٦٤)، عن أبي الطفيل رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٠١١)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

عنهم، فخرج عنهم وبنى بميمونةَ، وانصرف إلى المدينة ﷺ.

* * *

السنة الثامنة من الهجرة

*** ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة:**

لما انصرف عَمْرُو بن العاص مع الأحزاب عن الخندق، جمع رجالاً من قريش كانوا يرون رأيه، ويسمعون منه، فقال لهم: تعلمون ـ والله ـ أني أرى أمر محمد يعلو الأمورَ علوّاً منكَراً، وأني قد رأيت أن نكون عند النجاشي، قالوا: إن هذا هو الرأي، فجمعوا له أَدَماً كثيراً، وكان أحبّ إليه مما يهدي من أرضنا الأَدَم، ثم خرجوا حتى قدموا عليه، فجاء عَمْرُو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه، فدخل عليه، ثم خرج من عنده، فقال عمرو بن العاص لأصحابه: هذا عمرو بن أمية، لو دخلتُ إلى النجاشي، فسألتُه إياه، فأعطانيه، فضربتُ عنقه، فدخل على النجاشي، فسجد له كما كان يصنع، وكلمه فيما قال، فغضب النجاشي، ثم مدّ يده، فضرب بها أنفه ضربة، قال عمرو: ظننت أنه كسره، ثم قال: تسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبر، الذي كان يأتي موسى لتقتله، قال له: أيها الملك! كذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو! أطعني على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده، فبايعه على الإسلام.

ثم خرج عمرو بن العاص إلى أصحابه، وقد حال رأيه عما كان

عليه، وكتم أصحابَه إسلامَه، ثم خرج عامداً إلى رسول الله ﷺ، فلقي خالدَ بنَ الوليد، وذلك قُبيل الفتح، وهو مقبلٌ من مكة، فقال: إلى أين يا بنَ أبي سليمان؟ فقال: والله! لقد استقام الميسم ـ أي: ظهرت العلامة ـ، وإن الرجلَ لنبي، أذهبُ ـ والله ـ إليه أُسلم، فحتى متى؟ قال: وأنا ـ والله ـ ما جئتُ إلا لأُسلم، فقدما المدينةَ على رسول الله ﷺ، فتقدم خالدُ بنُ الوليد فأسلم، وبايع، ثم دنا عمرو، فقال: يا رسول الله! إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخَّر، فقال النبي ﷺ: «يا عَمْرُو! بايِعْ؛ فإنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما كانَ قبلَهُ، وإن الهِجْرَةَ تَجُبُّ ما قبلَها»، فبايعه، ثم انصرف، وأسلم عثمانُ بن طلحة بن عبد الدار[1].

* **وفيها** ـ أعني: سنة ثمان من الهجرة ـ: **كانت غزوة مؤتة**، وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم، وكانت في جمادى الأولى، ومؤتة من أرض الشام، وهي قِبليَّ الكَرَك.

وكان سببها: أن النبي ﷺ بعث **الحارثَ بنَ عُميرٍ** رسولاً إلى ملك بصرى بكتاب، كما بعث إلى سائر الملوك، فلما نزل مؤتة، عرض له عَمْرُو بنُ شرحبيل الغساني، فقتله، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره.

* **وفيها: اتُّخذ لرسولِ الله ﷺ المنبر**، وكان يخطُب إلى جِذْع نخلة، فلما كان يومُ الجمعة، خطب على المنبر، فَأَنَّ الجذعُ الذي كان

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٨).

يقوم عليه، كما يئنّ الصبيُّ، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ»[1]، فنزل، فمسحه بيده حتى سكن، فلما هدم المسجد وتغير، أخذ ذلك الجذعَ أُبَيُّ بن كعب، فكان عندَه في داره حتى بَلي.

* ذكر فتح مكة:

وسبب ذلك: أن بني بكر بن عبد مناة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على ماءٍ لهم بأسفلِ مكة، يقال له: الوثير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وبنو بكر في عهد قريش في صلح الحديبية، وكانت بينهم حروب في الجاهلية.

فكلمت بنو بكر أشرافَ قريش أن يُعينوهم على خزاعةَ بالرجال والسلاح، فوعدوهم، ووافَوْهم متنكرين، فبيتوا خزاعةَ ليلاً، فقتلوا منهم عشرين، ثم ندمت قريشٌ على ما فعلوا، وعلموا أن هذا نقض العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وخرج عَمْرُو بنُ سالم الخزاعيُّ في طائفة من قومه، فقدموا على رسول الله ﷺ مستغيثين به، فوقف عمرٌو عليه، وهو جالس بالمسجد، وأنشده أبياتاً، يسأله أن ينصره، فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ يا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ»، ثم قدم بُدَيلُ بنُ ورقاءَ الخزاعيُّ في نفرٍ من خزاعةَ على النبي، وأخبره، فقال: «كأنكم بأبي سفيانَ قد جاءكمُ يشدُّ العَقْدَ، ويَزِيدُ في المدَّةِ»، فكان كذلك.

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٠)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

ثم قدم أبو سفيان المدينة، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة أمِّ المؤمنين زوجِ رسول الله ﷺ، فلما ذهب ليجلسَ على فِراش رسول الله ﷺ، طَوَتْه عنه، فقال: ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش، أمن رغبتِ به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، قال: والله! لقد أصابك بعدي يا بنية شرٌّ.

ثم خرج، فأتى النبيَّ ﷺ، فكلمه، فلم يردَّ عليه شيئاً، فذهب إلى أبي بكر، ثم إلى عمر، ثم إلى عليٍّ رضي الله عنه على أن يكلموا النبي ﷺ في أمره، وتشفَّع بهم، فلم يفعلوا، فقال لعلي: يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدَّت عليَّ، فانصحْني، قال: والله! لا أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيدُ بني كنانة، فقم فَأَجِرْ بين الناس، والحقْ بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله! ما أظنه، ولكن لا أجدُ لك غيرَ ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس! إني قد أجرت بين الناس.

ثم ركب بعيراً، وانطلق، فلما قدم إلى قريش، قالوا: ما وراءك؟ فقص شأنه، وأنه قد أجار بين الناس، قالوا: فهل أجاز محمدٌ ذلك؟ قال: لا، قالوا: والله! إن زادَ الرجلُ على أن لعب بك[1].

قال: ثم أمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهلَه أن يجهزوه، ثم أعلم الناسَ بأنه يريد مكة، وقال: «اللهمَّ خُذِ العُيونَ والأخبارَ عن قريش

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦)، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

حَتَّى نَبْغَتَهُمْ في بِلادِهِمْ»، ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة كلثومَ بنَ الحصين الغفاريَّ، فخرج لعشرٍ مضين من شهر رمضان، ومعه المهاجرون والأنصار، وطوائفُ من العرب، فكان جيشُه عشرة آلاف، فصام، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد، أفطر.

فخرج أبو سفيان بنُ حرب، وحكيمُ بن حزام، وبديلُ بنُ ورقاء يتجسسون الأخبار، وكان العباس بن عبد المطلب قد خرج قبل ذلك بعياله مسلماً مهاجراً، فلقي رسولَ الله ﷺ بالجُحْفَة، وقيل: بذي الحليفة، ثم حضر أبو سفيان بن حرب على يد العباس إلى النبي ﷺ بعد أن استأمن له، فأسلم، وأسلم معه حكيمُ بن حزام، وبديلُ بن ورقاء، وقال العباس: يا رسول الله ﷺ! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعلْ له شيئاً يكون في قومه، فقال: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ، ومن دخلَ دارَ حكيمِ بنِ حزامٍ فهو آمِنٌ، ومن أغلقَ عليه بابَهُ فهو آمِنٌ»(١).

وكان فيمن خرج ولقي رسولَ الله ﷺ ببعض الطريق: أبو سفيان بنُ الحارث، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بالأبواء، فأعرضَ عنهما، فجاء إليه أبو سفيان بنُ الحارث بنِ عبد المطلب، فقبل وجهه، فقال رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٩٢]، وقبل منهما إسلامهما، فأنشده أبو سفيان

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ١٠٧)، عن عروة بن الزبير.

معتذراً إليـه أبياتاً، فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: «أنتَ طردتني كُلَّ مطرد؟»[1].

وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حَسُن إسلامه، فيقال: إنـه ما رفع رأسَه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياءً منه، وكان رسول الله ﷺ يحبه، ويشهد له بالجنة، ويقول: «أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلَفاً مِنْ حَمْزَةَ».

وأمر النبي ﷺ الزبيرَ بنَ العوام أن يدخل ببعض الناس من كدى، وأمر سعدَ بن عبادة سيدَ الخزرج أن يدخل ببعض الناس من ثنية كَداء، ثم أمر علياً أن يأخذ الرايةَ منه، فيدخل بها؛ لما بلغـه من قول سعد: اليومَ يومُ الملحَمة، اليومَ نستحلُّ الحرمة، وأمر خالدَ بن الوليـد أن يدخل من أسفل مكة في بعض الناس، وكلُّ هؤلاء الجنـود لم يقاتلوا؛ لأن النبي ﷺ نهى عن القتال، إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعةٌ من قريش، فرمَوْه بالنبل، ومنعوه من الدخول، فقاتلهم خالد، فقتلَ من المشركين ثمانيةً وعشرين رجلاً، فلما ظهر النبيُّ ﷺ على ذلك، قال: «أَلَمْ أَنْهَـهُ عَنِ القِتَالِ؟!»، فقالوا له: إن خالداً قوتل فقاتل، وقُتل من المسلمين رجلان[2].

وكان فتح مكة يوم الجمعة، لعشر بقين من رمضان، ودخل رسول رسول الله ﷺ، ومَلَكَها عنوةً بالسيف، وإلى ذلك ذهبَ الشافعيُّ، وهو الصحيحُ من مذهـب أحمـد بن حنبل رضي الله عنهما، وقال أبـو حنيفة رضي الله عنه: إنها

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٦)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(2) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٣٣).

فتُحت صُلْحاً، والله أعلم.

ولما دخل النبي ﷺ مكة، كان على الكعبة ثلاثُ مئة وستون صنماً، قد شدَّ لهم إبليسُ أقدامَها بالرصاص، فجاء ومعه قضيبٌ، فجعل يومي إلى كل صنم منها، فيخرُّ لوجهه، فيقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، حتى مرَّ عليها كلها.

وقدم على النبي ﷺ وَحْشِيُّ بنُ حربٍ قاتلُ حمزةَ رضي الله عنه، وهو يقول: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَحْشِيٌّ؟»، فقال: نعم، قال: «أَخْبِرْني كيفَ قتلتَ عَمِّي»، فأخبره، فبكى، وقال: «غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي»[1].

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة، كانت عليه عِمامةٌ سوداءُ، فوقف على باب الكعبة، وقال: «لا إلهَ إلا الله وحدَه، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه»[2].

ثم قال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! مَا تَرَوْنَ أَنِّي فاعِلٌ بِكُمْ؟»، قالوا: خيراً، أخٌ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»، فأعتقهم رسول الله ﷺ، وكان الله تعالى أمكَنَه منهم، وكانوا له فيئاً، فبذلك سمي أهل مكة: الطلقاء[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٤٤)، عن وحشي رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٥٤٧)، وابن ماجه (٢٦٢٨)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١)، عن قتادة السدوسي.

ولما اطمأن الناس، خرج رسول الله ﷺ إلى الطواف، فطاف بالبيت سبعاً على راحلته، واستلم الركن بِمحْجَنٍ كان بيده[1]، ودخل الكعبة، ورأى فيها الشخوصَ، على صورة الملائكـة، وصورةَ إبراهيم، وفي يده الأزلامُ يستقسمُ بها، فقال: «قاتَلَهُمُ اللهُ! جعَلُوا شَيْخَنا يَسْتَقْسِمُ بالأَزْلامِ، ما شَأْنُ إبراهيمَ وَالأَزْلام»، ثم أمر بتلك الصور فطُمست، وصلَّى بالبيت[2].

ثم جلس ﷺ على الصفا، واجتمع الناس لبيعته على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله، فبايع الرجال، ثم النساء.

وأهدر دمَ ستة رجالٍ، وأربعِ نسوةٍ:

فأولهم: عكرمةُ بن أبي جهل، ثم استأمنت له زوجتُه أمُّ حكيم، فآمنه، فقدم عكرمةُ، وأسلمَ.

ثانيهم: هَبَّارُ بن الأَسود.

ثالثهم: عبدُالله بن سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وكان أخا عثمانَ بن عفان من الرضاعة، فأتى عثمانُ بـه النبيَّ ﷺ، وسأله فيـه، فصمتَ النبيُّ ﷺ طويلاً، ثم آمنـه، فأسلم، وقال لأصحابـه: «إنما صَمَتُّ لِيَقُومَ أَحَدُكُمْ فَيَقْتُلَهُ»، فقالوا: هلاَّ أومأت إلينا، فقال لهم: «إنَّ الأنبياءَ لا تَكُون لهم

(١) رواه أبو داود (١٨٧٨)، وابن ماجه (٢٩٤٧)، عن صفية بنت شيبة رضي الله عنها.

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٧٥)، وأصله عند البخاري (٣١٧٤)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

خائِنَةُ الأَعْيُنِ»[1]، ـ وكان عبدُالله المذكورُ قد أسلم من قبل الفتح، وكتبَ الوحي، فكان يبدِّلُ القرآنَ، ثم ارتـدَّ ـ وعاش إلى خلافـة عثمان ﷺ، وولاه عثمانُ مصرَ.

ورابعُهم: مِقْيَسُ بنُ صبابةَ؛ لقتله الأنصاريَّ الذي قتل أخاه خطأً، وارتدَّ.

وخامسهم: عبدالله بن هلال، كـان قـد أسلم، ثـم قتـل مسلمـاً، وارتدَّ.

وسادسهم: الحويرث بنُ نُفيل، كان يؤذي رسول الله ﷺ، ويهجوه، فلقيه علي بن أبي طالب، فقتله.

وأما النساء، فأولهن: هندٌ زوجُ أبي سفيان، أمُّ معاويـة، التي أكلت من كبد حمـزة، تنكَّرت مـع نساء قريش، وبايعتْ رسولَ الله ﷺ، فلما عرفَها، قالت: أنا هند، فاعفُ عما سلف، فعفا[2].

ولما جاء وقتُ الظهر يومَ الفتح، أذَّن بلالٌ على ظهر الكعبة، وقال الحارث بن هشام: ليتني مِتُّ قبل هذا.

وقال خالد بن أسيد: لقد أكرم الله أبي، فلم يرَ هذا اليوم، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، ثم ذكر لهم ما قالـوه، فقال الحـارث بن هشام: أشهدُ أنك رسول الله، ما اطَّلع على هذا أحد، فنقول: أخبركَ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي (٤٠٦٧)، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١)، عن قتادة السدوسي.

ومن النساء المهدَرات الدمِ: سارةُ مولاة بني هاشم.

وقام علي رضي الله عنه، ومفتاحُ الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله! اجمع لنا الحِجابة مع السِّقاية، صلَّى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «أينَ عثمانُ بنُ طلحَة؟»، فدعي له، قال: «هاكَ مفتاحَكَ، يا عثمانُ، اليومَ يومُ بِرٍّ ووَفاءٍ»، قال: «خُذُوها تَالِدَةً خَالِدَةً، لا يَنْزِعُها منكُمْ إلاَّ ظالمٌ، يا عثمانُ! إنَّ اللهَ اسْتَأْمَنَكُمْ على بَيْتِهِ، فَكُلُوا مِمَّا يَصِلُ إليكُمْ من هَذَا البيتِ بالمعروفِ»[1].

*** إسلام فضالة:**

إن فضالةَ بنَ عُمير بن الملوح، أراد قتلَ النبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت، عامَ الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: «أَفَضالَةُ؟»، قال: نعم، فضالةُ يا رسول الله ﷺ، قال: «ماذا كُنْتَ تحدّثُ به نَفْسَكَ؟»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله تعالى، فضحك النبي ﷺ، ثم قال: «اسْتَغْفِرِ الله»، ووضع يده على صدره، فسكن قلبُه، قال فضالة: والله! ما رفع يدَه عن صدري، حتى ما خلقَ الله تعالى شيئاً أحبَّ إلي منه[2].

وبثّ رسولُ الله ﷺ السرايا إلى الأصنام التي حول مكة، فكسرها، منها: العُزَّى، ومَناةُ، وسُواعٌ، وبوانةُ، وذو الكفين، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فلا يَدعْ في بيته صنماً إلا كسره.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٨٢)، عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٨٠).

* ذكر غزوة خالد بن الوليد رضي الله عنه بني جذيمة:

لما فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث سرايا حول مكة إلى الناس، يدعوهم إلى الإسلام، ولم يأمرهم بقتال، وكان من السرايا: سرية مع خالد، فنزل على ماء لبني جذيمة، فأقبلت بنو جذيمة بالسلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح؛ فإن الناس قد أسلموا، فوضعوه، وأمر بهم، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتلَ من قتل منهم، فلما بلغ النبيَّ ﷺ ما فعله خالد، رفع يديه إلى السماء، حتى بان بياضُ إبطيه، وقال: «اللهمَّ إنِّي أَبْرَأُ إليكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»[1]، ثم أرسل رسول الله عليَّ بن أبي طالب بمال، وأمره أن يؤدي لهم الدماء والأموال، ففعل عليٌّ ذلك، ثم سألهم: هل بقي لكم مال أو دم؟ فقالوا: لا، وكان قد فضل مع علي رضي الله عنه فضلُ مال، فدفعه إليهم زيادةً، تطييباً لقلوبهم، وأخبر النبيَّ ﷺ بذلك، فأعجبه[2].

* ذكر غزوة هوازن بحنين:

وكانت في شوال سنة ثمان، وحُنَيْنٌ: وادٍ بينه وبين مكة ثلاثة أميال، لما فتحت مكة، تجمعت هوازن بخيولهم وأموالهم لحرب رسول الله ﷺ، ومقدَّمُهم مالكُ بن عوفٍ النصري، وانضمت إليه ثقيف، وهم أهل

---

(١) رواه البخاري (٤٠٨٤)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٩٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١١٤)، عن محمد بن علي.

الطائف، وبنو سعد بن بكر، وهم الذين كان النبي ﷺ مرتضعاً عندهم، وحضر مع بني جشم دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة، وهو شيخ كبير قد جاوز المئـة، وليس يراد منه غيرُ التيمن برأيه، وقال رجزاً:

يَـــا لَيْتَنِـــي فِيهَـــا جَـــذَعْ أَخُـــبُّ فِيهَـــا وَأَضَـــعْ

ولما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم، خرج من مكـة لستٍّ ليال خلون من شوال سنة ثمان، وكان يقصر الصلاة بمكة، من يوم الفتح إلى غزوة هوازن، وخرج اثنا عشر ألفاً، ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف كانت معه، وكان صفوان بن أمية مع رسول الله ﷺ وهو كافر لم يُسلم، سأل أن يُمْهَلَ بالإسلام شهرين، وأجابه رسول الله ﷺ إلى ذلك، واستعار رسول الله ﷺ منه مئة درع في هذه الغزوة.

وحضرها ـ أيضاً ـ: جماعة كثيرة من المشركين، وهم مع رسول الله ﷺ.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين، والمشركون بأوطاس، فقال دريد ابن الصمة: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعمَ مجالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضرس، ولا سهلٌ دهس، وركب النبي ﷺ بغلته دُلدل، وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة [مَنْ مع] النبي ﷺ: لن يُغلب هؤلاء من قلة، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[التوبة: ٢٥].

ولما التقوا، انكشف المسلمون، لا يلوي أحد على أحد، وانحاز

رسول الله ﷺ ذاتَ اليمين في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، ولما انهزم المسلمون، أظهر أهلُ مكة ما في نفوسهم من الحقد، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دونَ البحر، وكانت الأزلامُ معه في كنانته.

وصرخ كلدةُ: الآن بطل السحر، وكلدة أخو صفوان بن أمية لأمه، وكان صفوان حينئذ مشركاً، فقال صفوان: اسكتْ فَضَّ الله فاك، والله! لأنْ يَرُبَّني رجلٌ من قريش، أحبُّ إلي أن يَرُبَّني رجل من هوازن[1].

واستمر رسول الله ﷺ ثابتاً، وتراجع المسلمون، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقال النبي ﷺ لبغلته دلدل: «البدي»، فوضعت بطنَها على الأرض، وأخذ رسولُ الله ﷺ حفنةَ تراب، فرمى بها في وجه المشركين، فكانت الهزيمة، ونصر الله المسلمين، واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم، وكان في السبي: الشيماءُ بنتُ الحارث، وأمها حليمةُ السعدية، وكانت أختَ رسول الله ﷺ من الرضاع، فعرَّفته بذلك، وأرتْه العلامة، وهي عضَّة النبي ﷺ في ظهرها، فعرفها، وبسط لها رداءه، وزَوَّدها، وردَّها إلى قومها، حسبما سألت.

*** ذكر حصار الطائف:**

ولما انهزمت ثقيف من حنين إلى الطائف، سار النبي ﷺ إليهم، فأغلقوا باب مدينتهم، وحاصرهم النبي ﷺ نيفاً وعشرين يوماً، وقاتلهم

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١١٢).

بالمنجنيق، وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب بني ثقيف، فقطعت، ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل، فرحل عنهم، حتى نزل بالجِعرانة، وكان قد ترك بها غنائم هوازن.

وأتي رسول الله ﷺ بعض هوازن، ودخلوا عليه، فردَّ عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب، وردَّ الناس أبناءهم ونساءهم، ثم لحق مالكُ ابنُ عوف مقدَّمُ هوازنَ برسول الله ﷺ، وأسلمَ، وحسن إسلامه، واستعمله رسولُ الله ﷺ على قومه، وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل.

وكان عدة السبي: ستة آلاف رأس أطلقه رسول الله، وكانت عدة الإبل: أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية.

وأعطى المؤلَّفة قلوبُهم مثلَ أبي سفيان، وابنيه: يزيد، ومعاوية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام أخي أبي جهل، وصفوان بن أمية، وهؤلاء من قريش، وأعطى الأقرعَ بنَ حابس التميميَّ، وعُيينة بنَ حصن بنِ حذيفةَ بنِ بدر الفزاريَّ[1]، ومالكَ بنَ عوف مقدَّمَ هوازن، وأمثالهم، فأعطى لكل واحد من الأشراف مئةً من الإبل، وأعطى الآخرين أربعين أربعين، وأعطى للعباس بن مرداس السلمي أباعر لم يرضَها، وقال في ذلك من أبيات:

---

(١) في الأصل: «الذبياني».

فَأَصْــبَحَ نَهْبِــــي وَنَهْـــبُ العُبَيْـــــ
ــــــد بَـــيْنَ عُيَيْنَـــــةَ وَالأَقْـــرَعِ
وَمَـــا كَـــانَ حِــصْنٌ وَلاَ حَابِـــسٌ
يَفُوقَـــانِ مِـــرْدَاسَ فِـــي مَجْمَــعِ
وَمَـــا كُنْـــتُ دُونَ امْـــرِئٍ مِنْهُمَـــا
وَمَـــنْ تَـــضَعِ اليَـــوْمَ لَـــمْ يُرْفَـــعِ

فـروي: أن النبي ﷺ قال: «اقْطَعُـوا عَنِّي لِسَانَـهُ»، فأُعطي حتى رضي[1].

لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم، لم يعطِ الأنصار شيئاً، فوجدوا في أنفسهم، فدعاهم رسول الله ﷺ، وقال: «أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، أَلَّفْتُ بِها قَوْماً لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ؟، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالبَعِيرِ وَالشَّاةِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ».

فبكى القومُ حتى اخضلَّت لِحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٧٥)، عن عبدالله بن أبي بكر.

قسماً وحظّاً[1].

ثم اعتمر رسولُ الله ﷺ، وعاد إلى المدينة، واستخلف على مكة عَتَّابَ بنَ أسيدِ بنِ أبي العيصِ بنِ أميـة، وهو شابٌّ لم يبلغ عشرين سنة، وترك معه مُعاذَ بنَ جبل يُفَقِّه الناسَ، وحجَّ بالناس في هذه السنة عتابٌ، على ما كانت العرب تحجُّ.

* **وفي سنة ثمان: ولد إبراهيم ابنُ النبيِّ ﷺ من مارية القبطية،** وفي السنة المذكورة مات حاتم الطائي، وكان يضرب بجوده المثل، وكرمه، وكان من الشعراء المجيدين[2].

* * *

السنة التاسعة من الهجرة

* **وفيها: ترادفت وفود العرب على النبي ﷺ بالمدينة:**

فممَّن ورد عليه: **عُروة بن مسعود الثقفي**: سيدُ ثقيف، وأسلم، وحسن إسلامه، ومضى إلى الطائف، ودعاهم على الإسلام، فرماه أحدُهم بسهم، فمات ـ رحمه الله ـ.

ووفد **كعبُ بنُ زهير بن أبي سُلْمى** بعد أن كان النبيُّ ﷺ أهدرَ دمَه، ومدحَه بقصيدته المشهورة، وهي:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٦)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) تقدم أن وفاة حاتم الطائي في السنة الثانية عشرة من مولد النبي ﷺ.

بَانَــتْ سُــعَادُ فَقَلْبِــــي الْيَــوْمَ مَتْبُــولُ

وأعطاه النبي ﷺ بُرْدَته، فلما كان زمنُ معاويـة، أرسل إلى كعـب: أن بِعْنـا بردةَ رسول الله ﷺ، فقال: ما كنـتُ لأُوثِرَ بثوبِ رسول الله ﷺ أحداً، فلما مات كعب، اشتراها معاوية من أولاده بعشرة آلاف درهم.

ونقل صاحب حماة: أنه اشتراها بأربعين ألف درهم، ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى أخذها التتر[١].

*** ذكر غزوة تبوك:**

وفي رجب سنة تسع، أمـر النبي ﷺ بالتجهيز لغـزو الروم، وأعلم الناسَ مقصدَهم؛ لبعد الطريق، وقوة العـدو، وكـان قبل ذلك إذا أراد غزوة، وَرَّى بغيرها، وكان الحـر شديداً، والبلاد مُجدبـة، والناس في عُسرة، ولذلك سُمي ذلك الجيش: جيشَ العُسرة، وكانـت الثمار قـد طابت، فأحبَّ الناسُ المقـامَ في ثمارهم، فتجهـزوا على كُـره، وأمـر رسـول الله ﷺ المسلمين بالنفقـة، فأنفق أبـو بكر جميـعَ مالـه، وأنفق عثمان نفقة عظيمة، وروي: أن النبي ﷺ قال: «لا يَضُرُّ عُثْمانَ ما صَنَعَ بعـدَ اليومِ»[٢].

وتخلف عبدالله بن أُبيٍّ المنافقُ، ومَنْ تبعه من أهل النفاق، وتخلف

---

(١) انظر: «المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء الحموي (١/ ١٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠١)، عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ.

ثلاثة من[1] الأنصار، وهم: كعبُ بن مالك، ومُرارةُ بنُ الربيع، وهلالُ ابنُ أميـة، واستخلف رسولُ الله ﷺ على أهله عليَّ بن أبي طالب ﷺ، فأرجفَ به المنافقون، وقالوا: ما خلَّفه إلاَّ استثقالاً له، فلما سمع عليٌّ بذلك، أخذ سلاحه، ولحق بالنبي ﷺ، وأخبره بما قال المنافقون، فقال النبي ﷺ: «كَذَبـوا، وإنمـا خَلَّفْتُـكَ لِمـا ورائي، فارْجِـعْ فاخْلُفْنـي في أَهْلي، أَما تَـرْضَى أَنْ تَـكـونَ مِنِّي بمنـزلـةِ هارونَ من مـوسى، إلاَّ أَنَّـهُ لا نَبِـيَّ بَعْدِي»[2].

وكان مع رسول الله ﷺ ثلاثون ألفـاً، فكانـت الخيل عشرة آلاف فرس، ولَقُوا في الطريق شدة عظيمة من العطش والحر، ولما وصلوا إلى الحِجْر، وهي أرضُ ثمودَ، نهاهم رسول الله ﷺ عن ورود ذلك الماء، وأمرهم أن يهريقوا ما استَقَوه من مائـه، وأن يطعموا العجين الذي عُجن بذلك الماء الإبلَ.

ووصل النبي ﷺ إلى تبوكَ، وأقام بها عشرين ليلة، وقَدِم عليـه بها يوحنا صاحبُ أَيْلَة، فصالحه على الجزية، فبلغـت جزيتُهم ثلاثَ مئـةِ دينار، وصالح أهلَ أذرح على مئـة دينار في كل رجب، وأرسل خالدَ بنَ الوليد إلى أُكَيْدِر بنِ عبد الملك، صاحبِ دومة الجندل، وكان نصرانياً من

---

(١) في الأصل زيادة: «غير».

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ١٩٩)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٦٩)، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

كِنْدَةَ، فأخذه خالد، وقتل أخاه، وأخـذ منـه خالـدٌ قباء ديباج مخوصٍ بالذهب، فأرسله إلى رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يتعجَّبـون منه، وقدم خالدٌ بأُكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن دمه، وصالحه على الجزية، وخلَّى سبيله.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد ما أقام بتبوك بضعَ عشرةَ ليلة، لم يجاوزها، ولم تقدم عليه الروم والعرب المتنصرة.

ولما عاد إلى المدينة، وكان قد تخلَّف عنـه رهطٌ من المنافقين، فأتوه يحلفون له، ويعتـذرون، فصفح عنهم رسولُ الله ﷺ، وأرجأَ أمرَ كعبٍ وصاحبيه إلى الله تعالى.

*** ذكر قصة كعب وصاحبيه:**

قال كعـب بن مالك: كان من خبـري حين تخلفـت بالمدينـة عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسَر مني، حين تخلفتُ عنه في تلك الغَزاة، وكان رسول الله قلَّما يريد غزوة يغزوهـا إلا وَرَّى بغيرها، حتى كانـت تلك الغـزوةُ، فغزاهـا رسول الله ﷺ في حَرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرَهم؛ ليتأهبوا أُهبة عدوهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريد.

والمسلمـون مـع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافـظ ـ يريد: الديوان ـ وغزا رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقْتُ أغدو لكي أتجهز معهم، ولم يزل يتمادى بي، حتى اشتـد بالناس الجـدّ، فأصبح

رسولُ الله ﷺ والمسلمون معـه، ولـم أقـضِ من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعد يوم أو يومين، ثم ألحقهم، فلم يزل بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت ـ فلم يُقَدَّر لي ذلك.

ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوكَ[1]، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعلَ كعبٌ؟»، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه بُرداه ونظرهُ في عِطْفَيـه، فقال معـاذ بن جبل ﷺ: بئسَ ما قلتَ، والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً.

فلما قدم رسول الله ﷺ، جاء المخلَّفون، فطَفِقوا يعتـذرون إليه، ويحلفون لـه، وكانـوا بضعة وثمانين رجـلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفـر لهم، ووَكَـلَ سرائـرهم إلى الله تعالى، فجئته، فلما رآني، تبسَّم تبسُّمَ المغضَب، وقال: «تَعالَ»، فجئت أمشي، حتى جلست بين يديه، فقال: «ما خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تكنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟»، فقلت: بلى، والله! لو جلستُ عند غيرك من أهـل الدنيـا، لرأيـت أني سأخرجُ من سخطـه بعـذر، ولقـد أُعطيـت جدلاً، ولكني ـ والله ـ لقد علمتُ، لئن حَدَّثتك اليومَ حديثَ كذب، ترضى به عني، ليوشكَنَّ الله أن يُسخطك عليَّ، ولئن حدثتك اليوم حديث صدق تجـدُ عليَّ فيـه، إني لأرجو فيه عفـوَ الله، لا والله! ما كان لي عـذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا هَـذَا، فَقَدْ

(١) في الأصل: «تبوكاً».

صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ».

فقمت، وثار رجال من بني سلمة، فاتبعوني، فقالوا: والله! ما علمناك كنتَ أذنبتَ ذنباً قبلَ هذا، ولقد عجزتَ أن لا تكونَ اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ مما اعتذر إليه المخلَّفون، قد كان كافيك ذنبَكَ استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فوالله! ما زالوا يؤنِّبوني، حتى أردت أن أرجعَ فأكذِّبَ نفسي، ثم قلت لهم: هل قال هذا أحد؟ قالوا: نعم: رجلان قالا ما قلتَ، فقيل لهما مثلُ ما قيل لك، فقلتُ من هما؟ قالوا: مُرارَةُ بنُ الربيع العمريُّ، وهِلالُ بن أُمية الواقفيُّ، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً، فقلت: لي فيهما أُسوة، فمضيتُ حينَ ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ـ أيها الثلاثة ـ من بين من تخلَّف عنه، فاجتنَبَنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرَتْ في نفسي الأرضُ، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي، فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا، فكنت أَشَبَّ القوم، وأجلَدَهم، وكنت أخرج، فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلِّمني أحد، وآتي رسولَ الله ﷺ، فأسلِّم عليه، وهو في مجلسه بعدَ الصلاة، فأقولُ في نفسي: هل حَرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أُصلي قريباً منه، فأُسارقُه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي، أقبلَ إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه، أعرضَ عني.

ثم جاء نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، فدفع إلي كتاباً من ملك غسان، وإذا فيه: أما بعد: فإنه بلغني أن صاحبك

قد جفاكَ، ولم يجعلْكَ الله بدار هَوان ولا مضيعة، فالحقْ بنا نواسِكَ، فقلت: وهذا ـ أيضاً ـ من البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرته بها.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أُطَلِّقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلْها، ولا تقربْها، وأرسلَ إلى صاحبيَّ بمثلِ ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

وجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنته في خدمته، فأذن لها، قال: «وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ»، فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذنتَ رسولَ الله ﷺ في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال أن تخدمه، فقلت: والله! لا أستأذن.

فلبثتُ بعد ذلك عشرَ ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت الفجر، سمعت صوت صارخٍ: يا كعبُ بنَ مالك! أبشرْ، فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا، فذهب الناس يبشرونا، وذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون، فلما جاءني الذي سمعتُ صوتَه يبشرني، نزعتُ له ثوبيَّ، فكسوته إياهما، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين، فلبستهما.

وانطلقت إلى رسول الله ﷺ بالمسجد، وهو جالس حوله الناس، فلما سلَّمت عليه، قال ـ وهو يبرق وجهُه من السرور ـ: «أَبْشِرْ بخيرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قلتُ: أَمِنْ عندِك يا رسول الله، أم من عند

الله؟ قال: «بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ».

فلما جلستُ بين يديه، قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله، قال رسولُ الله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قلت: فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر، ثم قلت: يا رسول الله! إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت.

وأنزل الله تعالى على رسوله ـ عليه السلام ـ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١١٧ ـ ١١٨].

فوالله! ما أنعم الله عليَّ نعمة قطُّ بعد أن هداني للإسلام، أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ، أن لا أكون كذبته، فأهلكَ كما هلك الذين كذبوا؛ فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة: ٩٥ ـ ٩٦][1].

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٧١٩٢).

* **ذكر حَجِّ أبي بكر رضي الله عنه بالناس:**

وبعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه **في سنة تسع** ليحجَّ بالناس، ومعـه عشرون بَدَنَـةٌ لرسول الله ﷺ، ومعـه ثلاثُ مئـة رجل، فلما كان بذي الحُلَيفـة، أرسل النبـي ﷺ عليَّ بنَ أبي طالـب رضي الله عنه، وأمـره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس، وأن ينادي: أن لا يطوف بالبيت بعدَ السنة عُرْيان، ولا يحجَّ مشركٌ، فعاد أبو بكر، وقال: يا رسول الله! أنزلَ فيَّ شيء؟ قال: «لا، ولكنْ لا يُبَلِّـغُ عَنِّي إلاَّ أنا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي، أَلا تَرْضَى يا أَبا بَكْرٍ أَنَّكَ كُنْتَ مَعِي في الغارِ، وصَاحِبي عَلَى الحَوْضِ؟»، قـال: بلى. فسـار أبـو بكـر رضي الله عنه أميـراً على المـوسم، وعلي بـن أبـي طالب رضي الله عنه يـؤذِّنُ بـ«براءةَ» يومَ الأضحى، وأن لا يحجّ بالبيت مشركٌ، ولا يطـوف عُرْيان[1].

* **وفي هذه السنة: تُوفي ذو البِـجادَيْنْ عبـدُالله المُـزَنيُّ في غَـزاة** تبوكَ، وتولى النبي ﷺ وأبـو بكر وعمـر رضي الله عنهما دفنـه، فكان النبي ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر رضي الله عنه يُدَلِّيانه إليه، وهو يقول: «أَدْليا لي أَخاكُما»، فَدَلَّياه إليـه، فلما هيَّأه لِشِقِّه، قال: «اللهمَّ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِياً عَنْهُ، فارضَ عَنْهُ»[2].

---

(١) رواه الطبري في «تاريخـه» (٢/ ١٩٢)، ورواه مختصراً البخـاري (٣٦٢)، ومسلم (١٣٤٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٢٢)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٠٩).

* **وفيها: هلَكَ رأسُ المنـافقين عبـدُالله بن أُبي [ابنُ] سلـول** في ذي القعـدة، وكُفِّـن في قميص النبي ﷺ، بسؤال ولـدِه عبدِالله، وجاء رسولُ الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صدره، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «أَخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ، قَـدْ خُيِّرْتُ، فَاخْتَرْتُ، قد قيـل: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: ٨٠]، ولو أعلَم أَنِّي إن زِدْتُ على السبعينَ غُفِرَ لـه، لزدْتُ»، ثم صلى عليه، وقام على قبره حتى فرغ منـه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[التوبة: ٨٤] الآية[1]، وكان ابنه عبدُالله من خِيار الصحابة.

* * *

السنة العاشرة من الهجرة

* **فيها: جاءت على رسول الله ﷺ بالمدينة وفودُ العَرَب قاطبةً،** ودخل الناس في الدين أفواجاً، كما قال الله تعـالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[النصر: ١ ـ ٣].

* **وأسلم أهل اليمن**، وملوكُ حِمْيَر، وبعَثَ النبيُّ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب ـ كرم الله وجهـه ـ إلى اليمن، فسار إليها، وقرأ كتابَ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٠)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

على أهل اليمن، فأسلمت همدان كلُّها في يوم واحـد، وكُتِب بذلك إلى رسول الله ﷺ، ثم تتابـع أهـلُ اليمن على الإسلام، وكُتِـب بذلـك إلى رسول الله، فسجد شكراً لله تعالى، ثم أمر علياً بأخذ صدقـات نجرانَ وجِزْيتهم، ففعل، وعاد، فلقي رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع.

* **وقدم عليـه عامر بن الطفيل، وأَرْبَدُ بنُ قيس، وجبار بنُ سلمى ابنِ مالكِ بنِ جعفر،** وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء بني عامر وشياطينهم، فقدم عامرُ بن الطفيل ـ عدوُّ الله ـ على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغـدرَ به، ثم قال لأَرْبَدَ: إذا قدِمْنـا على الرَّجُل، فإني شاغلٌ عنك وجهَـهُ، فإذا فعلتُ ذلك، فَاعْلُه بالسيف، فلمَّا قَدِموا على رسول الله ﷺ، قال عامر ابن الطفيل: خالني يا محمد، قال: «لا وَاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ باللهِ وَحْـدَهُ»، وكرَّرَها مِراراً، وهو ينتظر من أَرْبدَ ما كان أَمَرَه بـه، فجعل أَرْبَدُ لا يتحرك بشيء، فلما أبى عليـه رسولُ الله ﷺ، قال عامـر: أمـا والله! لأملأنهـا عليك خيلاً ورجالاً، فلما ولَّى، قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اكْفِني عامِرَ ابْنَ الطُّفَيْلِ».

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقـه، فقتله الله تعالى، وخرج أَرْبَدُ ومعـه جَمَلٌ لـه يبيعُـه، فأرسل الله تعالى عليـه وعلى جَمَلِـه صاعقـة، فأحرقتهما[1].

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٦٠).

* **وقدم عليه الجارودُ بنُ بِشْرِ بنِ المعلَّى في وفد عبدِ القيس**، وكان نصرانياً، فأسلم، وأسلم أصحابه.

* **وقدم وفدُ بني حنيفة**، ومعهم مسيلمة الكذاب، فأتوا رسولَ الله ﷺ، وخلَّفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا، ذكروا مكانه، وأخبروا أنهم خلَّفوه يحفظ ركابهم، فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر للقوم، فلما انتهى إلى اليمامة، ارتدَّ عدُّو الله، وتنبأ، وقال: إني أُشرِكْتُ معه في الأمر، وجعل يسجَعُ لهم، ويضاهي القرآن، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ، وسنذكر خبره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* **وقدم عليه زَيْدُ الخيل بنُ مهلهل الطائيُّ في وفد طَيّ**، وهو سيدُهم، فأسلموا، وحَسُنَ إسلامُهم، ثم سمَّاه رسول الله ﷺ: زيد الخير.

* **وقدم عليه عديُّ بن حاتم**، فأسلم.

* **وقدم عليه عَمْرُو بن مَعْد يكَرِبَ الزَّبِيدِيُّ** في أناس من زَبيد، فأسلم، وأسلم قيس بعد ذلك، وله ذكر في الصحابة، وكان شجاعاً فارساً شاعراً، والله أعلم.

* **وقدم فروة بن مُسَيك**، فأسلم هو وقومُه، وكذلك الأشعثُ بنُ قيس الكنديُّ، فأسلم، وكان رئيساً مطاعاً في الجاهلية، وجيهاً في قومه في الإسلام.

* **وقدم عليه وفد همدان**، وفيهم مالك بن نمط، فأسلموا، وكان مالك بن نمط شاعراً محسناً.

وتتابعت وفودُ العرب على النبي ﷺ، وفشا الإسلام في جميع القبائل.

* **ذكر حجة الوداع:**

خرج رسول الله ﷺ حاجّاً، لخمسٍ بَقِين من ذي القعدة، وقد اختلف في حجه، هل كان قِراناً، أم تمتعاً، أم إفراداً؟

قال صاحب حماة: والأظهرُ الذي اشتهر: أنه كان قارناً[1].

وحج رسول الله ﷺ بالناس، ولقي عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه محْرِماً، فقال: «حِلَّ كَما حَلَّ أَصْحابُكَ»، فقال: إني أهللت بما أهلَّ به رسول الله ﷺ[2]، فبقي على إحرامه.

ونحر رسول الله ﷺ الهَدْيَ عنه، وعلّم رسولُ الله ﷺ الناسَ مناسكَ الحجِّ والسنن، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، فبكى أبو بكر رضي الله عنه لما سمعها، وكأنه استشعرَ أنْ ليس بعد الكمال إلا النقصانُ، وأنه قد نُعيت إلى النبيِّ ﷺ نفسُه.

وخطب رسول الله ﷺ الناسَ بعرفةَ خطبة بَيَّن فيها الأحكامَ، منها: «أَيُّها النَّاسُ! إنَّما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ في الكُفْرِ، وَإِنَّ الزَّمانَ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ

---

(١) انظر: «المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (١/ ١٠٢).

(٢) رواه البخاري (١٥٦٨).

شَهْراً»، وتمم حجَّه.

وسُميت حجَّةَ الوداع؛ لأنه لم يحجَّ بعدها.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقام بها حتى خرجت السنة.

* * *

السنة الحادية عشرة من الهجرة

دخلَتْ والنبيُّ ﷺ بالمدينة، وكان قد قدم من حجة الوداع، وأقام بها حتى خرجت سنة عشر، والمحرَّم، ومعظمُ صفر، من سنة إحدى عشرة.

* **ذكر مرض رسول الله ﷺ ووفاته:**

ولما استكمل رسول الله ﷺ مدى عمره، بعد أن قام لله بأمره؛ بإظهار الدين ونشره، والاشتمال على طاعة الله وبره، وهو مؤيَّد بالفتح المبين، والنصر والتمكين، نقله الله إلى دار كرامته، وأدناه بعد أن أعلمه - فيما أنزل عليه - أنه قادم عليه، وصائر إليه، فعهد إلى الناس، وودَّعهم، وحذّرهم وبشَّرهم، ونصحهم وعلَّمهم، ووصّاهم وأنذرهم.

ابتدأ برسول الله ﷺ مرضُه الذي مات فيه، يومَ الأربعاء، لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة في بيت ميمونةَ، ثم انتقل حين اشتدَّ وجعُه إلى بيت عائشة رضي الله عنها.

ثم غمر رسول الله ﷺ، واشتد به وجعُه.

وقال ابن مسعود: نعى إلينا نبينا وحبيبنا ﷺ نفسَه قبل موتـه بشهر، فلما دنا الفراق، جمعنَـا في بيت عائشة رضي الله عنهـا، فنظـر إلينـا، وشدد، ودمعت عيناه، وقال: «مَرْحَباً بِكُمْ، حَيَّاكُمُ اللهُ، رَحِمَكُمُ اللهُ، آواكُمُ اللهُ، حَفِظَكُمُ اللهُ، رَفَعَكُمُ اللهُ، نَفَعَكُمُ اللهُ، وَفَّقَكُمُ اللهُ، سَلَّمَكُمُ اللهُ، قَبِـلَكُمُ اللهُ، أُوصِيكُمْ بِتَقْـوَى اللهِ، وَأُوصِي اللهَ بِكُـمْ، وأَسْتَخْلِفُـهُ عَلَيْكُمْ، وَأُحَذِّرُكُمُ اللهَ، إنِّي لَكُمْ مِنْهُ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، أَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللهِ في عِبادِهِ وَبِلاَدِهِ؛ فَإِنَّه قَالَ لي وَلَكُمْ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣]، دَنَا الفِرَاقُ، وَالمنقَلَبُ إِلَى اللهِ، إِلَى جَنَّةِ المأْوَى، وإِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَإِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، وَالكَأْسِ الأَوْفَى، وَالعَيْشِ الأَهْنَى»[1].

ولما ثَقُل رسول الله ﷺ، جاءه بلال ليؤْذِنَه بالصلاة، فقال: «مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسولَ الله! إن أبا بكر رجلٌ أَسِيفٌ، وإن يقمْ مقامَك لا يُسْمِعِ الناسَ، فلو أمرتَ عمرَ، قال: «مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فقالت عائشة لحفصة: قولي لـه، فقالت له حفصة: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل أسيف، وإنـه متى يقم مقامَك، لا يُسمـع الناسَ، فلو أمرت عمـر، فقـال: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِـبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّـاسِ»، فأمروا أبا بكـر يصلي بالناس،

---

(١) رواه البـزار في «مسنـده» (٢٠٢٨)، والطبـري في «تاريخـه» (٢/ ٢٢٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٩٦)، وفي «الدعاء» (ص: ٣٦٦).

فلما دخل في الصلاة، وجد رسولُ الله ﷺ من نفسه خِفَّة، فقام يتهادى بين رجُلين، ورجـلاه تَخُطَّان في الأرض، حتى دخـل المسجـد، فلما سمع أبو بكر ﷺ حِسَّه، ذهب ليتأخر، فأومـأ إليـه رسولُ الله ﷺ: أنْ قمْ كما أنت، وجاء رسولُ الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسولُ الله ﷺ يصلِّي بالناس قاعداً، وأبو بكر قائماً، يقتدي أبـو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر[1].

وكان عند رسول الله ﷺ سبعـةُ دنانير، وضعَها عنـد عائشة، فلما كان في مرضـه، قال: «يا عائِشَةُ! ابْعَثِي بالذَّهَـبِ إِلَى عَلِيٍّ»، ثم أُغمي عليه، وشغل عائشةَ ما به، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات، كل ذلك يُغمى عليه، ويشغل عائشة ما به، فبعثت به إلى عليٍّ، فتصدق به.

ثم أمسى رسول الله ﷺ ليلةَ الاثنين في جديـد المـوت، فأرسلت عائشة رضي الله عنها إلى امـرأة من النساء بمصباحها، فقالـت: انظري لنا في مصباحنـا من عُكَك السـمن؛ فإن رسول الله ﷺ أمسى في جديد الموت[2].

وأقبلت فاطمـةُ رضي الله عنهـا كأنَّ مشيتَها مشيـةُ رسول الله ﷺ، فقال: «مَرْحَباً يا ابنتي»، ثم أجلسها عن يمينـه، أو عن شماله، ثم أسرّ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣)، ومسلم (٤١٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقـات الكبرى» (٢/ ٢٣٩)، وابن حبـان في «صحيحه» (٧١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٩٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

إليها حديثاً، فبكت، قالت عائشة: فقلت: استَخَصَّك رسولُ الله ﷺ بحديثه، ثم تبكين! ثم أسرّ إليها حديثاً، فضحكت، فقالت: ما رأيتُ كاليومِ فرحاً أقربَ من حزن، فسألتها عما قال لها؟ قالت: ما كنتُ لأُفشيَ سِرَّ رسول الله ﷺ، حتى إذا قُبض، سألتها، قالت: إنه أَسَرَّ إليَّ، فقال: «إنَّ جِبريلَ كانَ يُعارِضُني بِالقرآنِ في كُلِّ عام مَرَّةً، وإنَّهُ عارَضَني بهِ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَمَا أُرَاهُ إلاَّ قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أولُ لحوقٍ بي، ونِعْمَ السَّلَفُ أَنا لَكِ»، فبكيت لذلك، ثم قال: «أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُوني سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ ـ أَوْ: نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ ـ؟»، فضحكتُ لذلك[1].

ولما بقي من أَجَل محمد ﷺ ثلاثٌ، نزل عليه جبريلُ، فقال: يا أحمد! إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً عليك، وخاصَّة بك، يسألك عما هو أعلمُ به منك، يقول لك: كيفَ تجدُك؟ فقال: «أَجِدُني يا جِبْرِيلُ مَكْروباً، وأَجِدُني يا جِبريلُ مَغْموماً».

فلما كان في اليوم الثاني، هبط إليه جبريل، فقال: يا أحمد! إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصَّة بك، يسألك عما هو أعلمُ به منك، يقول لك: كيف تجدُك؟ فقال: «أَجِدُني يا جِبريلُ مَكْروباً، وأَجِدُني يا جِبريلُ مغموماً».

فلما كان في اليوم الثالث، نزل إليه جبريل، ونزل معه مَلَك يقال له: إسماعيل، يسكن الهوى، لم يصعد إلى السماء قَطُّ، ولم يهبط إلى

(١) رواه البخاري (٣٤٢٦)، ومسلم (٢٤٥٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

الأرض، ومعه سبعون ألفَ مَلَك، فسبقهم جبريل، فقال: يا أحمد! إن الله أرسلني يقول لك: كيف تجدك؟ فقال: «أَجِدُني يا جِبريلُ مَكْروباً، وأَجِدُني يا جِبريلُ مَغْموماً».

ثم استأذنَ عليه مَلَكُ الموت، فقال جبريلُ: يا أحمد! هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدميٍّ قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: «ائْذَنْ لَهُ»، فدخل ملك الموت، فوقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن الله أرسلني إليك، وأمرني بطاعتك في كل ما تأمرني، إن أمرتني أن أقبض نفسك، قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها، تركتها، قال: «وَتَفْعَلُ يَا مَلَكَ المَوْتِ؟»، قال: بذلك أُمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني به.

فقال جبريل: السلامُ عليك يا رسول الله، هذا آخرُ موطئي الأرض، إنما كنتَ حاجتي من الدنيا.

وتوفِّي رسولُ الله ﷺ، وجاءت التعزيةُ، يسمعون الصوتَ، ولا يرون الشخص: السلامُ عليكم يا أهلَ البيت ورحمةُ الله وبركاته، كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت، وإنما توفَّون أُجورَكم يوم القيامة، إنَّ في الله ﷻ عزاء من كل مصيبة، وخَلَفاً من كل هالك، ودَرَكاً من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المصابُ من حُرِمِ الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» =

وكان من وصيته عند الموت: «الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ»، حتى جعل يتغرغر بها في صدره، ولا يفيض بها لسانه[1].

وكانت وفاتـه ﷺ يوم الاثنين، نصف النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيـع الأول سنة إحدى عشرة وولـد يوم الاثنين وقـدم المدينـةَ يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.

وأخرجت عائشة رضي الله عنها كساءً جليداً، وكساءً غليظاً، فقالت: قُبِـض رسول الله ﷺ في هذين.

ولما مات، قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أبتاه! أجاب رَبّاً دعاه، يا أبتاه! في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريلَ أنعاه.

فلما دُفِن، قالت: يا أَنس! أطابـتْ نفوسُكم أن تَحْثُوا على نبيكم التراب؟![2].

وتوفي رسـول الله ﷺ وهـو ابنُ ثـلاث وستين، وروي: خمـس وستين، وروي: ستين، ونزل عليـه جبريل ـ عليه السلام ـ أربعة وعشرين ألف مرة.

ولما توفي، دهش الناس، وطاشت عقولهم، واختلفت أحوالهم في ذلك.

= (٢٨٩٠)، عن علي بن الحسين، عن أبيه ﷺ.

(١) رواه ابن ماجه (٢٦٩٧)، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٤١٩٣)، عن أنس بن مالك ﷺ.

ولما قبض الله نبيه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قال: إن رسول الله ﷺ مات، علَوْتُ رأسه بسيفي هذا، وإنما ارتفع إلى السماء، فقرأ أبو بكر رضي الله عنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[آل عمران: ١٤٤]، فرجع القومُ إلى قوله[١]، وبادروا إلى سَقيفة بني ساعِدَة، فبايع عُمَرُ أبا بكر، ثم بايعه الناسُ، خلا جماعةً.

وغسَّله ـ عليه السلام ـ عليٌّ، والعباس، وابناه: الفضل، وقُثَم، ومولياه: أسامة، وشقران، وحضرهم أوسُ بن خولي الأنصاري[٢].

وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب بِيضٍ سحوليةٍ، ليس منها قميصٌ ولا عمامة[٣].

وصلى عليه المسلمون أفراداً، لم يؤمَّهم أحدٌ، وفُرِش تحتَه قَطيفةٌ حمراءُ كان يتغطى بها، ودخل قبرَه العباسُ، وعلي، والفضل، وقُثم، وشقران، وأُطبِقَ عليه تسعُ لَبِنات.

ودُفِن في الموضع الذي توفَّاه الله تعالى فيه، حُوِّلَ فراشُه، وغسَّلوه وعليه قميصُه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلُكونه والقميصُ دون

---

(١) رواه البخاري (١١٨٥)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٧)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (١٢١٤)، ومسلم (٩٤١)، عن عائشة رضي الله عنها.

أيديهم، فأسندَه عليٌّ إلى صدره، والعباسُ والفضلُ وقُثم يقلبونه معه، وأسامةُ وشقرانُ يصبون الماء، وعليٌّ يغسله بيده.

واختلفوا في موضع دفنه، هل يكون في مسجده، أو مع أصحابه؟ فقال أبو بكر: ادفنوه في الموضع الذي قُبِض فيه؛ فإن الله تعالى لم يقبض روحَه إلا في مكان طيب، فعلموا أنه قد صدق.

ولما فرغ من جهازه يوم الثلاثاء، ـ وكانت وفاته يوم الاثنين كما ذكرنا ـ، قال علي: لقد سمعنا همهمة، ولم نر شخصاً، سمعنا هاتفاً يقول: ادخُلوا ـ رحمكم الله ـ، فصلُّوا على نبيكم، ثم دفن من وسط الليل، ليلة الأربعاء، وهو الأصح.

وكانت مدة شكواه ثلاثَ عشرةَ ليلة.

وقال أنس بن مالك ﷺ: لَمَّا كان اليوم الذي دخل رسولُ الله ﷺ ـ يعني: المدينة ـ، أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلمَ منها كل شيء[1].

وروي: أنه ﷺ قال: «أَنا فَرَطٌ لأُمَّتي، لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي»[2].

ورثاه جماعة، منهم: أبو بكر الصديق، وعلي، وفاطمة، وعمَّتُه صفية ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١).

(٢) رواه الترمذي (١٠٦٢)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وحفر له أبو طلحة الأنصاريُّ ﷺ[1].

* * *

فصل في ذكر صفة النبي ﷺ

كان ﷺ رَبْعَـةً من القـوم، لـه شعر يَضْرِبُ مَنْكِبيه، بعيـدَ مـا بين المَنكِبين، ليسَ بالقصير، ولا بالطويل، لا بائِناً من طول، ولا تقتَحِمُه عينٌ من قِصَـر، أبيضَ اللون مُشْرَباً بحُمْـرة، وقيل: أزهر اللون، ليس بالأمهق، ولا بالآدم، له شعر رَجِلٌ، لم يبلغ الشيبُ في رأسـه ولحيته عشرين شعرة، كأن عنقه جيدُ دُمية، في صفاء الفضة، ظاهرَ الوَضاءة، مليحَ الوجه، يتلألأ وجهُـه تلألُؤَ القمر ليلة البدر، حَسَنَ الخَلْق، معتدلَ القامة، وسيماً قَسيماً، في عينيه دَعَج، وفي بياضـها عروقٌ رِقاقٌ حُمر، وفي أَجْفانِهِ قَطَـفٌ، وفي صوتـه صَهَلٌ ـ ويروى: صَحَلٌ ـ، وفي عينيه سَطَعٌ، وفي لحيتـه كثافة، إن صَمَتَ، فعليه الوقار، وإن تكلم، سما، وعليه البهاء.

أجملُ الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنُهم من قريـب، حلوُ المنطق، كأن منطقه خرَزاتُ نظمٍ يتحـدَّرن، واسـعُ الجبين، أَزَجُّ الحواجِبِ من غيـر قَرَن، بينهما عرقٌ يدرُّه الغضب، أَقْنى العِرْنين، سهلُ

---

(1) انظر: «جوامع السيرة» لابن حـزم (١/ ٢٦٥)، و«المختصر في أخبـار البشر» لأبي الفداء (١/ ١٠٤)، و«تاريخ ابن الوردي» (١/ ١٣٠).

الخدَّين، ضليعُ الفم، أشنبُ، مفلَّجُ الأسنان، دقيقُ المَسْرَبـة من لَبَّتِه إلى سُرَّته شعرٌ يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعرٌ غيرُه، أشعرُ الذراعين والمنكبين، بادنٌ متماسكٌ، سواءُ البطنِ والصدر، مسيحُ الصدر، ضخمُ الكراديس، أنورُ المتجَرَّد، عظيمُ الصدر، طويلُ الزَّندين، رحبُ الراحة، شَثْنُ الكفَّين والقدمين، شائلُ الأطراف، سَبْطُ العصب، خمصانُ الأخمصين، مسيحُ القدمين، ينبو عنهمـا الماء، إذا زال، زال تقلُّعـاً، ويخطو تكفُّؤاً، ويمشي هوناً، ذريعُ المِشية، إذا مشى، كأنما ينحطُّ من صَبَب، وإذا التفتَ، التفتَ جميعاً، بين كتفيه خاتمُ النبوة كأنـه زِرُّ حَجَلَة، أو بيضةُ حمامة، لونُه كلونِ جسده.

وكان أبو رِمْثَةَ طبيباً في الجاهلية، فقال: يا رسول الله! إني أُداوي، فدَعْني أطبب ما بكتفيك، فقال: «يُدَاويها الَّذي خَلَقَها»[1].

كأنَّ عرقه اللؤلؤ، ريحُ عَرَقه أطيبُ من ريح المسك الأذفر.

يقول ناعتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه.

وقال أنس بن مالك: ما مَسِسْتُ ديباجـاً ولا حريـراً ألينَ من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممْتُ قَطُّ رائحةً أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ[2].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٢٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٧٨)، جميعُهم بلفظ: «يداويها الذي وضعها».

(٢) رواه البخاري (١٨٧٣)، ومسلم (٢٣٣٠).

* **فصل في تفسير معاني الكلمات ومشكلها:**

البائن: الطويل في نحافة.

ومعنى **تقتحمه**؛ أي: تزدريه.

وأزهرُ اللون: نيِّرُه.

والدمية: الصورة من الرخام.

والأمهق: هو الناصع البياض.

والآدم: هو الأسمر اللون.

والشعر الرَّجِل: الذي كأنه مُشِّط، فتكسر قليلاً، ليس بسبط، ولا جعد.

وأبلج الوجه؛ أي: مشرقه.

وسيماً قسيماً؛ أي: حسن الوجه.

والدَّعَجُ: شدة سواد العين، يقال: عين دعجاء.

والقَطَفُ: طول شعر الأجفان.

والصَّهَل: صوت الفرس.

والصَّحَل: البحوحة.

والسَّطَع: البريق.

والكثافة: الغلظ.

والحاجبُ الأَزَجُّ: المقوس الطويلُ الوافر الشعر.

والأقنى: السائل الأنف، المرتفع وسطُه.

والضليع: الواسع.

والشنب: رونق الأسنان وماؤها، وقيل: رقتها، **والفلج**: فرق بين الثنايا.

ودقيق المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرّة.

وبادن: ذو لحم.

ومتماسك: معتدل الخلق، يمسك بعضه بعضاً.

وسواء البطن والصدر: يعني: مستويهما.

ومسيح الصدر؛ أي: بادي الصدر، وقيل: عريض الصدر.

ضخم الكراديس؛ أي: رؤوس العظام.

رَحْب الراحة؛ أي: واسعها، وقيل: كناية عن سعة العطاء والجود.

وشَثْن الكفين والقـدمين؛ أي لحيمهما، سائل الأطـراف؛ أي: طويل الأصابع.

وخمصان الأخمصين؛ أي: متجافي أخمص القدم، وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم.

ومسيح القدمين؛ أي: أملسهما.

والتَقلُّع: رفع الرجل بقوة.

التكَفُّؤ: الميل إلى قصد الشيء.

والهون: الرفق والوقار.

والذريع: الواسع الخطو؛ أي: إن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة، ويمدُّ خطوه؛ خلاف مشية المختال.

وكان أبو بكر الصديق ﵁ إذا رأى النبي ﷺ، يقول:

أَمِينٌ مُصْطَفًى بِالخَيْرِ يَدْعُو
كَضَوْءِ البَدْرِ زَايَلَهُ الظَّلامُ

وكان عُمر بن الخطاب ﵁ ينشد قول زُهير بن أبي سُلمى:

لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ
كُنْتَ المُضِيءَ لِلَيْلَةِ القَدْرِ

ثم يقول عمر لجلسائه: كذلك كان رسول الله ﷺ، ولم يكن كذلك غيره.

وفيه يقول عمه أبو طالب:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

صلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم.

* * *

ذكر أسمائه عليه الصلاة والسلام

قال رسول الله ﷺ: «أنا محمـدٌ، وأنا أحمـدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يحشرُ اللهُ الخلقَ على قدمي، وأنا العاقِبُ»[1]، ولا نبيَّ بعدي، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الرحمة.

وسماه الله تعالى في كتابـه: بشيراً، ونذيراً، وسراجاً منيراً، وطـه، ويس، ومزمِّلاً، ومدَّثِّراً.

وقد ذكرت لـه أسماء كثيرة، منها: المتوكل، والفاتح، والخاتم، والأمين، والمصطفى، ورسول، والنبي الأمي، وغير ذلك ﷺ.

* * *

ذكر نَعْت رسول الله ﷺ في التوراة

قال كعب الأخبار: نجـد نعتَ رسول الله ﷺ في التوراة: محمد بن عبدالله، المختار، مولده بمكة، ومهاجَرُه إلى المدينة، لا فَظٌّ، ولا غليظٌ، ولا صخّاب في الأسواق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس، فقال: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ أَعْلَمَكُمْ»، فقالوا: عبدُالله بنُ صوريا، فخلا به رسول الله ﷺ، فناشده بدينه، وبما أنعم الله بـه عليهم، وأطعمهم من المن والسلوى، وأَظلّهم بـه من الغمام: «أتعلمُ أني رسولُ الله حَقّاً»، قال: اللهمَّ نعم،

(١) رواه البخاري (٣٣٣٩)، ومسلم (٢٣٥٤)، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وإن القـوم ليعرفـون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبيَّنٌ في التـوراة، ولكنهم حسدوك. قال: «فما يمنعُكَ أنـتَ؟»، قال: أكره خلافَ قومي، وعسى أن يتّبعوك، ويُسلموا فأُسلم[1].

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: كان الزبير بن باطا ـ وكان أعلم اليهود ـ يقول: وجدت سِفراً، كان أبي يختمه عليّ، فيه ذكر أحمد، نبيٌّ صفته كذا وكذا، فحدّث به الزبير بعـد أبيـه، والنبيُّ ﷺ لم يُبعَث، فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قـد خرج بمكة، فعمـد إلى ذلك السفر، فمحاه، وكتمَ شأنَ النبي ﷺ، وقال: ليس به شيء[2].

* * *

ذكر معجزاته ﷺ

فمن أفضل معجزاته ﷺ: القرآن الكريم، الذي أعجزَ الفصحاءَ، وأخرسَ البلغاءَ.

* **ومنها**: انشقاق الصدر والتئامه.

* **ومنها**: انشقاق القمر لـه فرقتين، حين سألته قريش آيـة، فرقة فوق الجبل، وفرقـة دونـه، فقال ﷺ: «اشهدوا»[3]، وأنزل الله تعالى:

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٤٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٩).

(٣) رواه البخاري (٤٥٨٣)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ ـ ٢].

* **ومنها**: نَبْعُ الماء من بين أصابعه، وتكثيره، وتكثير الطعام ببركته.

وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

* **ومنها**: كلام الشجرة، وشهادتها له بالنبوة، وإجابتها دعوته ﷺ، وسلام الحجر والشجر عليه.

* **ومنها**: حنين الجذع إليه، وتسبيح الحصا في كفه.

* **ومنها**: حديث الظبية: كان رسول الله ﷺ في صحراء، فنادته ظبية: يا رسول الله! فقال: «ما حاجتك؟»، قالت: صادني الأعرابي، ولي خِشْفان في ذلك الجبل، فأطلِقني حتى أذهب فأُرضَعهما، وأرجعَ، قال: «وتفعلين؟»، قالت: نعم، فأطلقها، فذهبت، ورجعت، فأوثقها، فانتبه الأعرابي، فقال: يا رسول الله! ألك حاجة؟ قال: «تُطْلِقُ هَـٰذِهِ الظَّبية»، فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله[1].

* **ومنها**: تسخير الأسد لسفينةَ مولى رسول الله ﷺ: قال سفينة: ركبت البحر، فانكسرت بي سفينة، فخرجت إلى جزيرة، فإذا الأسدُ، فقلت: أنا سفينةُ مولى رسول الله ﷺ، فجعل يغمزني بمنكبه، حتى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٥٤٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٥)، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

أقامني على الطريق[1].

* **ومنها**: أن الله تعالى أمر ليلةَ الغار شجرة، فنبتت تجاه النبي ﷺ، فسترتـه، وأمر حمامتين، فوقفتـا بفم الغـار، ونسجت العنكبوت على بابه[2]، وأعلمتـه الشاة بسُمِّها، وردَّ عينَ قتادة، وتفل في عين عليٍّ يوم خيبر، وكان رَمِداً، فأصبح بَرِيّاً.

* **ومنها**: إجابة دعائه ﷺ، وأنه كان إذا دعا لرجل، أدركت الدعوةُ ولـدَه، وولَدَ ولـدِه، ودعا لابن عباس: «اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التأْوِيلَ»[3]، فسمي: الحَبر، ترجمان القرآن.

ودعا لعلي أن يُكفَى الحرّ والقرّ[4]، فكـان يلبس في الشتـاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حر ولا برد.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٨٣٨)، والبيهقي في «دلائل النبـوة» (٦/ ٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٢٦٩).

(٢) رواه بحشل في «تاريخ واسط» (١/ ٢٥٧)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٤٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبـوة» (٢/ ٤٨٢)، عن أنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أرقم رضي الله عنهم.

(٣) رواه ابن أبي شـيبة في «مصنفـه» (٣٢٢٢٣)، والإمام أحمـد في «المسنـد» (١/ ٣٣٥)، والطبري في «تهذيب الآثار» (١/ ١٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه مختصراً: البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٤) رواه ابن ماجه (١١٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٤٠١)، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا الباب أكثرُ من أن يُحاط به.

* **ومنها**: إخبارُه بمصارع المشركين، فلم يَعْدُ أحداً منهم مصرعُه، وإخبارُه قريش عن بيت المقدس، ووصفه لهم.

* **ومنها**: أن الملأ من قريش تعاقـدوا على قتله، فخرج عليهم، فخفضوا أبصـارهم، فأقبل حتى قام على رؤوسهم، فقبـض قبضـة من تراب، وقال: «شاهَتِ الوُجُوهُ»، وحَصَبَهم بها، فما أصاب رجلاً منهم شيء من ذلك الحصا، إلا قتل يوم بدر[1].

وبالجملة: فمعجزاته ﷺ لا تُحصى، ولا يحاط بها، ولا يُستقصى، ومن ذا يحيط بالبحر الزخار، ولو أجهدَ نفسَه آناءَ الليل وأطرافَ النهار؟! زاده الله شرفاً، وغفر لنا ببركته وعفا.

* * *

ذكر أوصافه وأخلاقه وشمائله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقُه القرآن[2]، يغضب لغضبه،

---

(١) رواه الإمام أحمـد في «المسنـد» (١/ ٣٠٣)، وابن حبـان في «صحيحـه» (٦٥٠٢)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٩١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢).

ويرضى لرضاه ـ يعني : التأدب بآدابه، والتخلق بمحاسنه، والالتزام لأوامره وزواجره ـ، فهو ﷺ لا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها، إلا أن تُنتهك حُرْمَةٌ من حرمات الله، فيكون لله ينتقم.

وكان أحسنَ الناس خُلُقاً، وأرجحَهم حلماً، ولما كُسرت رَباعِيَتُه، وشُجَّ وجهُه يوم أحد، شقَّ ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوتَ عليهم، فقال: «إني لم أُبعث لَعّاناً، ولكني بُعِثْتُ دَاعِياً ورَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»[1].

وكان أعظم الناس عفواً، ولقد عفا عن اليهودية التي سمَّته بعد اعترافها على الصحيح.

وكان أسخى الناس كفاً، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه.

وكان أشجع الناس، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئاً، عُرف في وجهه، وإذا بلغه عن أحد ما يكرهه، لم يقل: ما بال فلان يقول: كذا وكذا؟ ولكن يقول: «ما بالُ أقوامٍ يصنَعون أو يقولون كذا؟»، ينهى عنه، ولا يسمي فاعله.

ولم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً، ولا صَخَّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٩)، عن أبي هريرة ﷺ مختصراً.

وكان أوسعَ الناس صدراً، وأصدَقَهم لهجة، وأليَنَهم عريكة، وأكرمَهم عِشْرة.

وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويجيب الدعوة، ويقبل الهدية، ويكافئ عليها، ويأكلها، ولا يأكل الصدقة.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر، ولا يأكل متكئاً، ولا على خِوان، منديله باطن قدميه، لم يشبع من خبزِ بُرٍّ ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى، يجيب الوليمة، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، متواضعاً، خاتمه يلبسه في خنصره الأيمن، وربما لبسه في الأيسر، يُرْدِف خلفه عبدَه، أو غيره، يركب ما أمكنه، ومرة يمشي حافياً، يمزح ولا يقول إلا حقاً.

وقالت عائشة رضي الله عنها: سابقتُه فسبقتُه، فلما كثر لحمي، سابقتُه فسبقني، ثم ضرب كتفي، وقال: «هَذِهِ بِتِلْكَ»[1].

وكان ﷺ يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح ولا يُنكره، وهو أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وإذا سئل الدعاء على أحد: مسلمٍ أو كافر، أو خاصٍّ أو عام، عدلَ عن الدعاء عليه، ودعا له، وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرَهما، إلا أن يكون فيه إثم، أو قطيعةُ رحم، فيكون أبعدَ الناس من ذلك، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكُه بالشام.

وكان من خُلُقِه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أن يبدأ من لَقِيَه بالسلام،

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٦٩١).

ومن فاوضَه لحاجة صابَرَهُ حتى يكون هو المنصرفَ.

ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي، إلا خفف صلاته، وأقبل عليه، وقال: «ألكَ حاجةٌ؟»، فإذا فرغ من حاجته، عاد إلى صلاته.

يُكرِم من يدخل عليـه، ويُؤثر الداخلَ عليـه بالوسادة، حتى التي تكون تحته، فإن أبى أن يقبلها، عَزَم عليه حتى يفعل.

وما استصغاه أحد، إلا ظن أنه أكرمُ الناس عليه، حتى يعطي كلَّ من جلس إليه نصيبه من وجهه.

أرأفُ الناسِ، وخيرُهم، لا تُرفَع في مجلسه الأصوات، إذا قام من مجلسه، قال: «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْـدِكَ، أشهدُ أن لا إلـهَ إلا أنت، أَستغفرُكَ وأتوبُ إليك»[1].

طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، ويعظُ بالجدِّ والنصيحة، ويقول: «لا تَضْرِبوا القرآنَ بعضَه ببعضٍ، فإنه أُنزلَ على وجوه»[2].

وإذا نزل به الأمر، فوّض وتبرأ من الحول والقوة.

وأَحبُّ الطعام إليـه ما كثرت عليه الأيدي، وإذا وضعت المائدة،

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦٠) عن أبي برزة الأسلمي ﷺ، والترمذي (٣٤٣٣)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديـث الإحياء» (١/ ٦٣٩): رواه الطبـراني من حديث عبدالله بن عمرو بإسناد حسن.

قال: «بسم الله، اللهمَّ اجعلْها نعمةً مشكورةً نَصِلُ بها نعيمَ الجنة»[1].

وإذا جلس يأكل، جَمَع بين ركبتيه وبين قدميه كما يصلي المصلي، إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم، ويقول: «إنما أَنا عبدٌ آكُلُ كما يأكلُ العبد، وأجلسُ كما يجلسُ العبد»[2].

ولا يأكل الحار، ويقول: «إنه غيرُ ذي بركة»[3]، و«إن الله لم يطعمنا ناراً، فأبردوه»[4].

وكان أحبُّ الفواكه إليه الرُّطَب، والبطيخ، والعنب، وأكثرُ طعامه التمر والماء، وأحبُّ الطعام إليه اللحم، ويقول: «هو يزيدُ في السَّمْع، وهو سيدُ الطعامِ في الدنيا والآخرة، ولو سألتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنيهِ كُلَّ يومٍ، لَفَعَلَ»[5].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٦٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٥٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٧١)، عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٢٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٢٠٩)، عن أبي هريرة ﷺ، والحاكم في «المستدرك» (٧١٢٥)، عن جابر بن عبدالله ﷺ.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٠١٢)، و«المعجم الصغير» (٩٣٤)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٧١)، وعزاه إلى أبي الشيخ من رواية ابن سمعان.

وكـان يحـب القـرع، ويقـول: «إنهـا شجرةُ أخي يـونس ـ عليـه السلام ـ»[1].

وكان لا يأكل الثـوم، ولا البصل، ولا الكُرَّاث. وإذا فرغ، قال: «اللهمَّ لك الحمـدُ، أَطْعَمْتَ، وسقيتَ، وآويْتَ، لكَ الحمدُ غيرَ مكفورٍ، ولا مُوَدَّعٍ، ولا مُسْتَغْنًى عنه»[2].

وكان يشرب في ثلاث دفعات، له فيها ثلاث تسميات، وفي آخرها ثلاث تحميدات.

وكان يعجبه الثياب الخضر، وكـان أكثـر ثيابـه البياض، ويقول: «أَلْبِسوها أحياءكم، وكَفِّنوا فيها موتاكم»[3].

وكان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكان ينظر في المرآة، وربما نظر في الماء في حجرة عائشة وسوَّى جبهته.

وكان يقول: «لا يُبَلِّغُني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئاً، فإني

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٧٢)، عن الحارث بن الحارث ﷺ، وروى البخاري (٥١٤٣) نحوه، عن أبي أمامة ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (٣٨٧٨، ٤٠٦١)، والنسـائي (١٨٩٦، ٥٣٢٣)، والترمذي (٩٩٤، ٢٨١٠) وابن مـاجه (٣٥٦٦)، عن عبـدالله بن عبـاس وسَمُـرة بن جُندُب ﷺ.

أحبُّ أن أخرجَ إليكُمْ وأنا سَليمُ الصَّدْرِ»[1].

وأما زهده ﷺ في الدنيا، وعبادته وخوفه من ربه: فقد توفي ﷺ ودرعُه مرهونةٌ عند يهودي في نفقة عيالـه، وما ترك ديناراً ولا درهماً، ولا شاة ولا بعيراً، وعُرض عليه أن يجعل لـه بطحاء مكة ذهباً، فقال: «لا يا ربِّ، بل أجوعُ يوماً، وأشبعُ يومـاً، فأما اليـوم الذي أجوعُ فيه، فأتضرَّعُ إليكَ وأدعـوك، وأما اليـومُ الذي أشبـعُ فيـه، فأَحْمَـدُكَ وأُثْني عليك»[2].

وكان ﷺ يستاك بالأراك، وكـان إذا قـام من النـوم، يَشُـوصُ فاه بالسواك، ويستاك في الليل ثلاث مرات: قبل النوم، وبعده، وعند القيام لورده، وعند الخروج لصلاة الصبح.

ونذكر ها هنا شيئاً من آداب السواك فإن الحاجة ماسة لذلك:

فمن فضيلته: قوله ﷺ: «لولا أن أَشُقَّ على أُمَّتي، لأَمرتُهم بالسواكِ عندَ كلِّ صلاة»[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في السواك عشرُ خصال: يُذهِـب الحُفَـر، ويجلو البصر، ويشدُّ اللّثَـة، وينقِّي البلغم، ويطيِّـب الفم، وتفـرح لـه

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٧)، والإمام أحمد في «المسنـد» (٥/ ٢٥٤)، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٨٤٧)، ومسلم (٢٥٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الملائكـة، ويرضي الربَّ ـ تبـارك وتعالى ـ، ويوافقُ السُّنَّة، ويزيد في حسنات الصلاة، ويُصِحُّ الجسمَ.

زاد الحكيم الترمـذيُّ[1]: ويزيد الحافـظَ حفظاً، ويُنبت الشـعر، ويصفِّي اللون.

وعن الشافعي ﷺ: أربعٌ تزيد في العقل: تركُ الكلام من الفضول، والسواك، ومجالسة العلماء والصالحين، والعمل بالعلم.

وعن كعب ﷺ: أنه قال: من أحبَّ أن يُحبه الله، فليكثِرْ من السواكِ والتخلُّل، والصلاةِ بهما.

ويستاك عرضاً؛ فإن الشيطان يستاك طولاً، ويبدأ من الجانب الأيمن.

ويتأكد استحبابُه عند الصلاة، والوضوء، وقراءة القرآن، والانتباه من النوم، وتغير الفم.

وكان رسول الله ﷺ يحتجم في الأخدعين، وبين الكتفين.

وهـو خـاتم النبيـن، وسـيـد المرسلين، وآتـاه الله علمَ الأولـيـن والآخرين، وفضَّلَه على سائر الخلق أجمعين، ولا يُحصي مناقبـه أحدٌ من العالمين، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهاتِ المؤمنين، وعلينا معهم يا ربَّ العالمين، صلاةً دائمة إلى يوم الدين.

* * *

(١) في الأصل: «الترمذي الحكيم».

ذكر مَثَلِه ومَثَلِ الأنبياء من قبله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال أبـو القاسم ﷺ: «مَثَلي ومَثَلُ الأنبياءِ من قَبْلي، كَمَثَلِ رجـلٍ ابتنى بيوتاً، فأَحْسَنَها وأكملَها وأجملَها، إلا موضعَ لَبِـنَةٍ من زاويةٍ من زواياهـا، فجعل الناسُ يطوفون، ويعُجبهم البنيـانُ، ويقولـون: لـو وُضِـعَتْ هاهنا لَبِـنَةٌ، فيتم بنيانُكَ»، فقـال محمدٌ ﷺ: «وكنتُ أنا اللَّبِـنَةَ» أخرجاه في «الصحيحين»[1].

* * *

ذكر مَثَلِه ومَثَلِ ما بُعِثَ به ﷺ

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: «إنما مَثَلي ومَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ به، كمثلِ رجلٍ أتى قوماً، فقال: يا قومُ! إني رأيـتُ الجيشَ بعيني، وأنا النذيرُ العُريانُ، فالنجاةَ النجاةَ، فأطاعه طائفةٌ من قومه، فَأَدْلَجوا، وانطلقوا على مهلِهم، فَنَجَوْا، وكذَّبه طائفةٌ منهم، فأصبحوا مكانهم، فصَبَّحَهم الجيشُ، فأهلَكَهم واجتاحَهُم، فذلك مَثَلُ مَنْ أطاعني، واتَّبَعَ ما جئتُ بـه، ومثلُ مَنْ عصاني، وكَـذَّبَ ما جئـتُ بـه من الحـقِّ» أخـرجـاه في «الصحيحين»[2].

* * *

(١) رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (٢٢٨٦).

(٢) رواه البخاري (٦٨٤٥)، ومسلم (٢٢٨٣).

ذكر عدد غزواته ﷺ

قال الواقدي: جميع غزواتـه بنفسه تسعَ عشرةَ غزوة، وقيل: ستٌّ وعشرون، وقيل: سبـع وعشرون، فمن قال: ستاً وعشرين، جعـل غزاة خيبر ووادي القرى واحدة، ومن فرق بينهما، جعل غزواته سبعاً وعشرين، جعل خيبر غزوة، ووادي القرى غزوة.

وأول غزوة غزاها: ودّان، وهي الأَبواء، ثم بواط بناحية رضوى، ثم العشيرة، ثم بدر الأولى، ثم الكبرى، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بنجران، ثم غزوة أحـد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غـزوة بدر الأخرى، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غـزوة بني المصطلق، ثم عمرة الحديبية، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحـد، والخنـدق، وقريظـة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

واختلف في عـدد سراياه، فقيل: كانـت خمساً وثلاثين، ما بين سرية وبعث، وقيل: ثمانياً وأربعين، والله أعلم.

* * *

ذكر حجته ﷺ

قال جابر: حجّ النبي ﷺ حجتين: حجة قبل أن يهاجر، وحجة بعد ما هاجر، معها[1] عُمرة.

وقال ابن عمر: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عُمَر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: أربع عُمَر.

* * *

ذكر أولاده ﷺ

أول من وُلِدَ لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة: القاسم ـ وبه كان يكنّى ـ، ثم وُلِدَت زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولِد له في الإسلام: عبدالله، فسمي الطيب الطاهر، وأمهم جميعاً خديجةُ بنتُ خُويلد.

فكان أول من مات من أولاده: القاسم، ثم مات عبدالله بمكة.

وقيل: إن الطيب والطاهر ابنان سواه.

وقيل: كان له الطاهر والمطهر وُلِدا في بطن.

وقيل: إنهم كلهم ماتوا قبل الإسلام.

وأما بناته، فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن، وهاجرن معه.

---

(١) في الأصل: «منها».

ثم ولَدَت له ماريةُ بنتُ شمعون القبطية إبراهيمَ.

* * *

ذكر أعمامه وعماته ﷺ

أبو طالب ـ وهو عبد مناف ـ، والزبير، وعبد الكعبة، وأم حكيم، وعاتكة، وبرّة، وأروى، وأميمة ـ وأم هؤلاء فاطمةُ بنتُ عمرِو بنِ عائذِ ابنِ عمران بن مخزوم ـ وحمزة، والمقوم، وحجل ـ واسمه المغيرة ـ، وصفية ـ وأم هؤلاء هالةُ بنتُ وهيب بن عبد مناف بن زهرة بنتُ عم آمنةَ بنتِ وهب أمِّ النبي ﷺ ـ، والعباس، وضرار ـ وأمهما نبيلة بنت خبّاب ـ، والحارث ـ وهو أكبر ولد عبد المطلب ـ، وشقيقه قُثم ـ وأمهما صفية بنت جندب ـ، وأبو لهب عبدُ العُزَّى ـ وأمه لبنى بنت مهاجر من خزاعة ـ، والغيداق ـ واسمه مصعب ـ، ولُقِّب الغيداق لجوده.

فأعمامه اثنا عشر، وعماته ست.

ولم يُسلم من أعمامه إلا حمزة والعباس، وأما العمات، فإسلام صفية معروف، وفي أروى خلاف، وكذلك اختُلِف في إسلام عاتكة.

* * *

ذكر أزواج النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «ما تزوَّجْتُ شيئاً من نسائي، ولا زَوَّجْتُ شيئاً

من بناتي، إلاَّ بوحيٍ جاءني به جبريلُ عن ربي ﷻ»[1].

١ ـ أول من تزوج ﷺ: **خديجة**.

٢ ـ ثم **سَوْدَة بنت زمعةَ بنِ قيسٍ بنِ عبد شمس**، وأصدَقَها أربعَ مئة.

٣ ـ ثم **عائشةَ بنت أبي بكر الصديق**، وأمُّها [أم] رومان بنتُ عامرِ بنِ عُويمر، ولم يتزوج بِكْراً غيرها، وفضائلُها جَمَّة، ومناقبها كثيرة.

٤ ـ ثم **حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب**، وأمها قدامةُ بنتُ مظعون، وهي شقيقة عبدالله بن عمر، وأسَنَّ منه، تزوجها رسول الله في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، وطلّق ـ عليه السلام ـ حفصة تطليقةً، ثم راجعها، وذلك أن جبريل ـ عليه السلام ـ نزل عليه، وقال له: راجعْ حفصةَ؛ فإنها صَوَّامَةٌ قَوَّامة، وإنها زوجَتُك في الجنة[2].

٥ ـ ثم **زينب بنت خزيمةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدالله**، وكانت تدعى: أم المساكين؛ لرأفتها بهم، ومكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت، وقد

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٣٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٥١)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال ابن عدي: وهذا حديث باطل بهذا الإسناد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦)، عن قيس بن زيد.

بلغت ثلاثين سنة، ودُفِنَت بالبقيع، ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة رضي الله عنهما، وفي ريحانةَ خلاف.

٦ ـ ثم **أم سلمة**، واسمها هند بنتُ أبي أمية بن المغيرة.

٧ ـ ثم **زينب بنت جحش** بنِ ربابِ بنِ صبرةَ بن مرّة بن كثير، وكان اسمها برّة، فسماها ﷺ: زينب، وأمها أميمة بنة عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه، فطلقها، فلما حلّت، زوّجها الله تعالى إياه من السماء، وأولم عليها، وأطعم المساكين خبزاً ولحماً، وفيها أُنْزِلت آية الحجاب، وكانت كثيرة الصدقة والإيثار رضي الله عنها.

٨ ـ ثم **جُوَيْرِية بنتُ الحارث بن أبي ضرار**، وكان اسمها برة، فسماها جويرية، ولأبيها صحبة.

٩ ـ ثم **ريحانةُ بنت زيد** بن عمرو بن خنافة بن شمعون من بني النضير، أعرسَ بها في المحرم سنة ست.

١٠ ـ ثم **أُمُّ حَبِيبَة رَمْلَةُ بنتُ أبي سفيانِ** صخرِ بن حربِ بن أميةَ بن أبي العاصِ بن أميةَ، أصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربع مئة دينار، وجهزها من عنده.

١١ ـ ثم **صَفِيَّة بنتُ حُيَيٍّ** بن أخطبَ بن شعبة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النحام، من سبط هارون بن عمران، وكانت عند سلام بن مشكم، ثم خَلَفَ عليها كنانةُ بنُ الربيع، فقُتل عنها

يوم خيبر، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فأعتقها، وتزوجها، وجعل عتقَها صداقَها.

١٢ ـ ثم **مَيْمونة بنتُ الحارث**، وكان اسمها برّة، فسماها: ميمونة، تزوجها في شوال سنة سبع، وهي التي وهبت نفسَها للنبي ﷺ.

ونساؤه المدخول بهن ثنتا عشرة امرأة، ومات ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن تسع منهن.

وخطب ﷺ نساء غير هؤلاء، ولم يتفق تزويجهن، فمنهن: أسماء بنت كعب الجَونية، وخمرة بنت الحارث الغطفاني، خطبها ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأبيها، فقال: إن بها سوءاً، ولم يكن بها شيء، فرجع فرآها قد بَرِصت.

ومنهن: سنا بنت الصلت، تزوجها، ثم طلقها.

وفاطمة بنت الضحاك الكلابية، تزوجها، وخَيَّرها حين نزلت آية التخيير، فاختارت الدنيا، ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقط البَعَر، وتقول: أنا الشقية، اخترت الدنيا.

وقتيلة بنت قيس بن معد يكرب أختُ الأشعث بن قيس، تزوجها قبل موته بيسير، ولم تكن قدمت عليه، ولا رآها، فأوصى أن تخير، فإن شاءت، ضُرِب عليها الحجاب، وحُرِّمت على المؤمنين، وإن شاءت، طُلِّقت، ونكحت من شاءت، فاختارت النكاح، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل.

وأمَّا سراري النبي ﷺ: فكُنَّ أربعاً: **مارية بنت شمعون القبطية**، أهداها له المقوقس صاحب مصر، **وريحانة بنت زيد**[1] النضيرية[2]، وأخرى **جميلة** أصابها في السبي، **وجارية** وهبتها له زينب بنت جحش.

* * *

ذكر خدمه ومواليه ﷺ

أنس بن مالك الأنصاري، وربيعة بن كعب الأسلمي.

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه صاحب نعليه.

وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته، يقود به في الأسفار.

وأسلع بن شريك صاحب راحلته.

وبلال بن رباح المؤذن.

وسعد مولى أبي بكر الصديق.

وأبو الحمراء هلال بن الحارث.

وذي مخمر ابن أخي النجاشي.

وبكير بن شداخ الليثي.

وأبو ذر الغفاري، وأَرْبَد بن حِمْيَر، والأسود بن مالك الأسدي

---

(١) في الأصل: «يزيد».

(٢) تقدم ذكرها قريباً في الزوجات.

اليماني، وأخوه الحدرجان بن مالك، وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري، ومهاجر مولى أم سلمة، وأبو نعيم بن ربيعـة بن كعب، وزيد بن حارثة، وابنـه أسامة، وأيمن ابن أم أيمن، وأسلم بن عبيد، وأبو رافـع أسلم، وأبـو كبشة ـ واسمه سليم ـ، وأبـو عبـدالله ثوبان، وشقران ـ واسمـه صالح ـ، ورباح أسـود، ويسار نوبي، وفضالـة، وأبـو السمح، وأبـو مويهبة، ورافع، وأفلح، ومايور، ومدعم أسـود، وكركِرَة، وزيـد جدُّ بلال بن يسار بن زيـد، وعبيد، وطهمان، وكيسان، وذكوان، ومروان، وواقد، وأبـو واقد، وسندر، وهشام، وحنين، وسعيـد، وأبو عسيب ـ واسمه أحمر ـ، وأبو لبابة، وأبو القيط، وسفينـة ـ واسمـه مهران ـ، وضميرة بن أبي ضميرة جدُّ الحنين بن عبـدالله بن ضميرة، وأبـو هند، وأبو بكرة نفيع، وأخوه نافع، وسلمان الفارسي، وعبيـدالله بن أسلم، ونبيه، وهشام، وورِدان، وباذام، وحاتم، ورويفع، وأبو ريحانة شمعون، وعبيد بن عبد الغفار، وغيلان، ومحمد بن عبد الرحمن، ومكحـول، وأبو البشير، وأبو صفية، وغير هؤلاء.

ومن النساء: أم أيمن الحبشية ـ واسمها بركـة ـ، وسلمى أم رافع، ومارية، وريحانة، وحضرة، ورضوى، وميمونة بنت سعد، وميمونة بنت أبي عُصَيب، وأم ضميرة، وأم عباس، وأميمة، وقيسر القبطية أهداها لـه المقوقس مع مارية، وسيرين وهبها لحسان بن ثابت.

* * *

ذكر كُتَّابه ﷺ

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعامر بن فهيرة، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وعبدالله بن الأرقم الزهري، وحنظلة بن الربيع الأسيدي، وأُبَي بن كعب، وهو أول من كتب له من الأنصار، وثابت بن قيس بن شمَّاس، وزيد بن ثابت، وشُرَحْبيل بن حَسَنَة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبدالله بن زيد، وجهيم بن الصلت، والزبير ابن العوام، وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمي، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبدالله بن عبدالله بن أُبَي، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري، وهو أول من كتب له من قريش، ثم ارتد، فنزلت فيه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٩٣]، ويزيد بن أبي سفيان، والأرقم بن الأرقم الزهري، والعلاء بن عتبة، وأبو أيوب الأنصاري، وبريدة بن الحصيب، والحصين بن نمير، وأبو سلمة المخزومي، وحويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، وحاطب بن عمرو.

وذكر ابنُ دحية فيهم رجلاً من الأنصار غير مسمى، قال: كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم تنصَّر، فلما مات، لم تقبله الأرض.

* * *

ذكر حرَّاسه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ

حرسه يوم بدر حين نام في العريش: سعدُ بن معاذ، ويوم أُحد:

محمدُ بنُ مسلمة، ويوم الخندق: الزبير بن العوام، وحرسه ليلة بنائه بصفية: أبو أيوب الأنصاري، وبوادي القرى: بلال، وسعد بن أبي وقاص، وذكوان بن قيس، وعباد بن بشر ممن كان على حرسه، فلما نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، ترك الحرس.

والذين كانوا يضربون الأعناق: علي، والزبير، والمقداد، ومحمد ابن مسلمة، وعاصم بن ثابت، وسعد القرظ بن عابد مولى عمار بن ياسر، وأبو محذورة.

* * *

ذكر العشرة من الأصحاب، والحواريين وأهل الصفَّة

أما العشرة: فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم.

وأما الحواريون: والحواري: الخليل، وقيل: الناصر، وقيل: الصاحب المستخلص، فكلهم من قريش، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم.

أما أصحاب الصُّفَّة: فقوم فقراء لا منزل لهم غير المسجد، وكانت صُفَّةُ المسجد مثواهم، فنسبوا إليها، وكان إذا تعشى رسول الله ﷺ، يدعو منهم بطائفة يتعشون معه، ويفرق طائفة على أصحابه ليعشوهم.

قال جابر: رأيت ثلاثين رجلاً من أهل الصُّفّة، يصلون خلف النبي ﷺ، ليس عليهم أردية، وكان من مشاهيرهم: أبو هريرة، وأبو ذر، وواثلة بن الأسقع، وقيس بن طلحة الغفاري رضي الله عنهم.

* **وقد اختلف الناس** فيمن يستحق أن يطلق عليه أنه صحابي، فكان سعيد بن المسيب لا يَعُدُّ الصحابيَّ إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنةً وأكثر، وغزا معه.

قال بعضهم: كل من أدرك الحِلْم، وأسلم، ورأى النبي ﷺ، فهو صحابي، ولو أنه صحبَ رسولَ الله ﷺ ساعة واحدة.

وقال بعضهم: لا يكون صحابياً إلا من تخصص به الرسول ﷺ، وتخصص هو بالرسول ﷺ؛ بأن يثق رسول الله ﷺ بسريرته، ويلازم هو رسول الله ﷺ في السفر والحضر.

والأكثر على أن الصحابي هو: كل من أسلم، ورأى النبي ﷺ، وصحبه، ولو أقل زمان.

وأما عددهم على هذا القول الأخير، فقد روي: أن النبي ﷺ سار في عام فتح مكة في عشرة آلاف مسلم، وسار إلى حنين في اثني عشر ألفاً، وسار إلى حجة الوداع في أربعين ألفاً، وأنهم كانوا عند وفاته ﷺ مئة ألف، وأربعة وعشرين ألفاً.

وأما ترتيبهم: فالمهاجرون أفضل من الأنصار على الإجمال، وأما على التفصيل، فسُبّاقُ الأنصار أفضلُ من متأخري المهاجرين.

وقد رتب أهل التواريخ الصحابة على طبقات:

الأولى منهم: أول الناس إسلاماً؛ كخديجة، وعلي، وزيد، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم ومن تلاهم، ولم يتأخر إلى دار الندوة.

الثانية: أصحاب دار الندوة، وفيها أسلم عمر رضي الله عنه.

الثالثة: المهاجرون إلى الحبشة.

الرابعة: أصحاب العقبة الأولى، وهم سُبّاق الأنصار.

الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

السادسة: أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين.

السابعة: المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقُباء قبل بناء مسجده.

الثامنة: أهل بدر الكبرى.

التاسعة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

العاشرة: أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة.

الحادية عشرة: الذين هاجروا بعد الحديبية، وقبل الفتح الثانية.

الثانية عشرة: الذي أسلموا يوم الفتح.

الثالثة عشرة: صبيان أدركوا النبي ﷺ، ورأوه.

الرابعة عشرة: أهل الصفّة المتقدِّم ذكرُهم.

* * *

ذكر سلاحه وأثاثه

كان لـه سيف يقال لـه: مأثور، ورثـه من أبيـه، والعَضْب، وذو الفقار، والصَّمصامة، والقلعي، والبتار، والحتف، والرسوب، والمخذم، والقضيب، فتلك عشرة أسياف.

وكان له درع يقـال له: ذات الفضـول؛ لطولـه، وذات الوشاح، وذات الحواشي، ودرعان: السعدية، وفضة، ويقال: إن السعدية كانت درع داود ـ عليه السلام ـ التي لبسها لقتال جالوت، والبتراء، والخرنق، فتلك سبع.

وله من القِسِيِّ: الروحاء، والصفراء، والزوراء، والكتوم.

وكانت له جعبة، وهي الكنانة، يجمع فيها نبله، ومنطِقة من أديم مبشور، حلقها، وإبزيمها، وطرفها فضة، وثلاثـة أتراس، كان فيها ترس عليه صورة عقاب، فوضع يده عليه، فأذهب الله ذلك التمثال.

وكان له خمسة أرماح: ثلاثة من بني قَيْنُقاع، والمثوي، والمنثني.

وكان لـه حربـة تسمى: النبعـة، وحربـة كبيرة اسمها: البيضاء، وحربة صغيرة دون الرمح شبه العكاز يقال لها: العنزة.

وكان له مِغْفَران، وراية سوداء مربّعة، يقال لها: العقاب، وراية بيضاء، يقال لها: الرينـة، مكتـوب على راياتـه: لا إله إلا الله محمـد رسول الله. وكان فُسْطاطُه يسمى: الكن.

وكان له قضيب يسمى: الممشوق، وقدح يسمى: الريان، وآخر

مُضَبَّب فيه ثلاث ضباب من فضة وحلقة، كان للسفر، وثالث من زجاج.

وكان له تور من حجارة يقال له: المِخْضَب، يتوضأ فيه، وركوة تسمى: الصادرة، ورَبعة إسكندرانية من هدية المقوقس، يجعل فيها مشطاً من عاج، ومكحلة، ومِقْراضاً، وسواكاً، ومرآة.

وكان له أربعة أزواج خفاف، أصابها من خيبر، ونعلان سبتيان، وخُفٌّ ساذج أسود من هدية النجاشي، وقصعة، وسرير، وقطيفة.

وكان له خاتم من فضة، وخاتم من ذهب لبسه ثم طرحه، وخاتم من حديد ملوي بفضة، نقشه: محمد رسول الله.

وكان يتبخر بالعود، ويطرح معه الكافور.

وترك يوم مات ثوبي حبرة، وإزاراً عُمانياً، وثوبين صحاريين، وآخر سحولياً، وجُبَّة يمنية، وكساءً أبيض، وقلانس صغاراً لاطية ثلاثاً أو أربعاً، وإزاراً طوله خمسة أشبار، وخميصة، وملحفة مُوَرَّسة.

وكان له رداء مربَّع، وفِراش من أَدَمٍ حشوُه ليفٌ، وكساء أحمر، وكساء من شعر، وكساء أسود، ومنديل يمسح به وجهه، وقدح من عيدان، يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل، وسرير ينام عليه، قوائمه من ساج، فكان الناس بعده يحملون عليه موتاهم؛ تبركاً به.

* * *

ذكر خيله وحميره وإبلـه ﷺ

أول فرس ملكه سماه: السكب، وملاوح، والمرتجز، ولِزاز هدية المقوقس، والضَّرِب هدية ابن أبي البراء، واللحيف هدية فروة بن عامر الجذامي، وسُبحة؛ من قولهم: فرس سابح: إذا كان حسنَ مَـدِّ اليدين في الجري، وأفراس غيرها، وهي: الأبلق، وذو العقال، وذو اللمَّـة، والمرتجل، والسرحان، واليعسوب، واليعبـوب، والبحر، والأدهم، والمرواح، والطرف، والنجيب، وغير هؤلاء.

وأما البغال والحمير: فكان لـه بغلة شهباء يقال لها: دُلْدُل هدية المقوقس، مع حمار يقال لـه: يعفور، وبغلة يقال لها: فضة هدية فروة، مع حمار يقال له: عفير فوهـب البغلـة لأبي بكر ﷺ، وبغلة هدية ابن العَلْماء صاحـب أيلة، وبغلـة هدية صاحـب دُومـة الجنـدل، مع جبـة من سندس.

وأما النعم: فكانت له ناقة تدعى: القصواء، وهي التي هاجر عليها، والجدعاء، والعضباء.

وأما لقاحه: فكانت له عشرون لقحـة بالغابة، يأتي لبنها أهله كل ليلة، وكـان لـه لقاح غـرر، منهن: الحسنـاء، والسمـراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، والبشيرية، ومهرة، والشقراء.

وأما منائحه: فكان لـه سبع من الغنم: عجـوة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورسة، والحلال، وإطراف.

وسبعة أَعْنُز يرعاهن ابنُ أم أيمن[1]. والله أعلم.

* * *

فصل فيمن استغاث به ﷺ فأغيث في القديم والحديث

أول من استغاث به: آدم ـ عليه السلام ـ، قال رسول الله ﷺ: «لما اقترفَ آدمُ الخطيئةَ، قال: يا ربِّ! أسألُكَ بحقِّ محمدٍ إلاَّ ما غفرتَ لي. قال الله تعالى: يا آدمُ! وكيف عرفتَ محمداً، ولم أخلقْه؟ قال: لأنك يا ربِّ لما خلقتني بيدك، ونفخْتَ فيَّ من رُوحك، رفعتُ رأسي، فرأيت على قوائمِ العرشِ مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمتُ أنك لم تُضِف إلى اسمك إلاَّ أحبَّ الخلق إليك، قال: يا آدم! وإذ قد سألتني بحقه، فقد غفرتُ لك، ولولا محمدٌ، ما خلقتُك»[2].

وعن زيد بن أرقم، قال: كنت مع النبيِّ ﷺ في بعض سِكَك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي، فإذا ظبيةٌ مشدودةٌ في الخِباء، فقالت: يا رسول الله! إن هذا الأعرابيَّ صادني، ولي خِشْفان في البرية، وقد تَعَقَّد اللبنُ في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعُني فأرجع إلى خِشْفَيّ في البرية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن تركتُك ترجعين؟»،

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٢٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠٢)، وفي «المعجم الصغير» (٩٩٢)، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٦٧٢)، عن عمر بن الخطاب ﷺ.

قالت: نعم، وإلاَّ عذبني الله عذاب العشار، فأطلقها رسول الله ﷺ، فلم تلبث أن جاءت تَلَمَّظ، فشدَّها رسول الله ﷺ إلى الخباء، وأقبل الأعرابي ومعه قربة، فقال له رسول الله ﷺ: «أتَبِيعُنِيْها؟»، قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقَها رسولُ الله ﷺ.

قال زيد بن أرقم: فأنا ـ والله ـ رأيتها تسيح في البرية، وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله[1].

* **ذكر قصة الجمل المستجير بالنبي ﷺ:**

عن تميم بن أوس الدارِيِّ، قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ فزعاً، فقال له رسول الله ﷺ: «أيُّها البعيرُ! اسْكُنْ، فإن تَكُ صادقاً، فلكَ صدقُك، وإن تَكُ كاذباً، فعليكَ كذبُك، مع أن الله تعالى قد آمَنَ عائذَنا، وليس بخائبٍ لائذُنا».

فقلنا: يا رسول الله! ما يقول هذا البعير؟ فقال: «هذا بعير همَّ أهلُه بنحره، وأكلِ لحمه، فهرب منهم، فاستغاث بنبيكم».

فبينما نحن كذلك، إذ أقبل أصحابه، فلما رآهم البعير، عاد إلى هامة رسول الله ﷺ، فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله! هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام، فلم نَلْقَه إلا بين يديك، فقال رسول الله ﷺ: «أَما إنه يشكو، فبِئْسَتِ الشِّكايةُ».

---

(١) تقدم تخريجه. وفي بعضه نكارة، كما قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ١٤٩).

فقالوا: يا رسول الله! ما يقول؟ قال: «إنه يقول: إنه رُبِّيَ في أَمْنِكم أَحوالاً، وكنتم تحملون عليه في الصيف في موضع الكلأ، فإذا كان في الشتاء، رحلتم عليه إلى موضع الدفء، فلما كبر، استفحلتموه، فرزقكم الله إبلاً سليمة، فلما أدركَتْه هذه السنةُ الخصيبة، هممتم بنحره، وأكلِ لحمه».

فقالوا: والله قد كان ذلك يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه».

قالوا: يا رسول الله! إنا لا نبيعه، ولا ننحره.

فقال رسول الله ﷺ: «كذبتُم، قد استغاثَ بكم، فلم تُغيثوه، وأنا أَوْلى بالرحمة منكم؛ لأن الله قد نزعَ الرحمةَ من قلوبِ المنافقين، وأسكَنَها في قلوب المؤمنين»، فاشتراه رسول الله ﷺ بمئة درهم، وقال: «أيها البعير! انطلق، فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى».

فرغا على هامة رسولِ الله، فقال له رسول الله ﷺ: «آمين»، ثم رغا الثانية، فقال رسول الله ﷺ: «آمين»، ثم رغا الثالثة، فقال رسول الله ﷺ: «آمين»، ثم رغا الرابعة، فبكى رسول الله ﷺ.

فقلنا: يا رسول الله! ما يقول هذا البعير؟ فقال: «قال: جزاكَ الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيراً، قلت: آمين، قال: حقن الله دمَ أمتك من أعدائها كما حقنتَ دمي، قلت: آمين، قال: سكّن الله رعبَ أمتك يومَ القيامة كما سَكَّنت رعبي، قلت: آمين، قال: لا جعلَ الله بأسَها بينها،

فبكيت، وقلت: هـذه خصالٌ سألتُ ربي، فأعطانيهـا، ومنعني هـذه، وأخبـرني جبـريل عن الله: ألا إن فنـاء أمتك بالسيف، جرى القلم بما هو كائن»[1].

*** ذكر قصة رجل فقير من القراء استغاث بالنبي ﷺ عند قبره:**

كان بعض المتصدِّرين في القراءة بالجامع العتيق بمصر، قد حلف بالطلاق الثلاث أنه لا يجيز أحداً يقـرأ عليـه القرآن مستحقاً الإجازة إلا بعشرة دنانير، فاتفق أن قرأ عليه رجل فقير، فلما أكمل، سأله الإجازة فلم يجزه بيمينه، فتألم خاطره، فاجتمع بأصحابه، فجمعوا له خمسة دنانير، فأتى بها الشيخَ، فلم يأخذها، فخرج من عنده، فرأى المحمل يُدار به، فقال: والله! لا أنفقت هذه إلا في الحج، فاشترى ما يحتاجه، وسار حتى وصل إلى مكة، فلما قضى مناسكه، رحل إلى المدينـة الشريفـة، فلما وصل إلى قبر رسول الله ﷺ، قـال: السلام عليكَ يا رسول الله، ثم قرأ عشراً جمع فيـه الأئمـة السبعة، وقال: هذه قراءتي على فلان عن فلان عنك عن جبـريل ـ عليـه السلام ـ عن الله تعـالى، وقـد سألـت شيخي الإجازة، فأبى، وقد استغثت بك يا رسول الله في تحصيلها.

---

(١) عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٤٤) إلى ابن ماجـه، ولم أجده فيه. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ١٤٢) عن أبي محمد عبدالله ابن حامد الفقيـه في «دلائل النبوة» بإسناده. ثم قال ابن كثيـر: هذا حديث غريب جـداً، لم أر أحـداً من هؤلاء المصنفين في الدلائل أورده سوى هذا المصنف، وفيه غرابة ونكارة في إسناده ومتنه أيضاً، والله أعلم.

ثم نام، فرأى النبيَّ ﷺ، فقال له: سلِّمْ على شيخك، وقل له: رسولُ الله يقول لكَ: أجِزني بلا شيء، فإن لم يصدِّقْك، فقل له: بأمارة زُمراً زُمراً.

فلما وصل الفقير إلى مصر، اجتمع بشيخه، وبلّغه الرسالة بغير أمارة، فلم يصدِّقه، فقال له: بأمارة زُمراً زُمراً، فصاح الشيخ، وخرّ مغشياً عليه.

فلما أفاق، سأله أصحابه عن ذلك، قال: كنت كثيراً ما أتلو القرآن، فمررت يوماً على قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة: ٧٨]، فحلفت أن لا أقرأ القرآن إلا متدبِّراً فهماً، فأقمتُ لا أتجاوز من القرآن إلا اليسير مدَّة طويلة، حتى نسيتُه، فكفَّرت عن يميني، وشرعت في حفظه، فبينما أنا أتلو ذات يوم، إذ مررتُ على قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[فاطر: ٣٢] الآية. فقلت: ليت شعري، من أي الأقسام أنا؟ ثم قلت: لست من الثاني، ولا من الثالث بيقين، فيعني أن أكون من القسم الأول، فنمت تلك الليلة حزيناً، فرأيت النبيَّ ﷺ، فقال لي: بشّر قُرَّاءَ القرآن أنهم يدخلون زُمَراً زُمَراً.

ثم أقبلَ على ذلك الفقير يقبِّل وجهَه، وقال: أُشهِدكم عليَّ: أنني قد أجزتُه، ليقرأ ويُقرِئ من شاء أين شاء.

وكل ذلك ببركة الاستغاثة برسول الله ﷺ[1].

وقال إبراهيمُ بنُ طريف: سمعت أبي يقول: ظهرتْ لي لُمعةُ برص في كتفي، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله! ألا ترى ما حلَّ بي؟ فمسح بيده على كتفي، فانتبهتُ وقد ذهب البرصُ عني.

* * *

ذكر أخبار الأسود العَنْسي، ومُسَيلمة الكذَّاب، وسَجاحِ، وطلحةَ

* **أما الأسود**، فاسمه عَبْهَلَة بنُ كعب، ويقال له: ذو الخِمار، وكان يُشَعْبِذ لقومه، ويُري الجهّال الأعاجيب، ويَسبي بمنطقه قلبَ من يسمعه، وقيل له: ذو الخِمار؛ لأنه كان يقول: يأتيني ذو خمار، وهو ممن ارتدَّ وتنبأ من الكذابين، وكاتَبَه أهلُ نجران، وكان هناك من المسلمين عمرُو ابنُ حَزْم، وخالد بنُ سعيد بن العاص، فأخرجهما أهلُ نجران، وسلَّموهما إلى الأسود، ثم سار الأسود من نجران إلى صنعاء، فملَكَها، وصفا له

---

(١) الاستغاثة بالميت أو الغائب وسؤاله ـ نبياً كان أو غيره ـ لم يرد عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وما يروى في هذا الباب من الأحاديث والآثار لا ترقى إلى درجات الصحة المقبولة التي يسوغ الاحتجاج بها؛ كهذه الآثار التي ذكرها المؤلف، وقد كره العلماء كمالك رحمه الله وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وكذا كرهوا أن تقصد قبور الأنبياء وغيرهم للدعاء والصلاة عندها، والله أعلم.

ملكُ اليمن، واستفحلَ أمرهُ، وجعـل يستطير استطارةَ الحريق، وكـان خليفته في مذحِج عمرُو بنُ مَعْد يكرب.

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ ذلـك، أرسل إلى نفـر من أهل اليمن: أن يحاولوا الأسود، إما غِيلةً، أو مصادمـة، وأمرهـم أن يستنجـدوا رجالاً سماهم لهم، وأرسل إلى أولئك النفر أن يُنجـدوهم، فاجتمعـوا بامرأة الأسود، وكان الأسود قد قتل أباها، فقالت: والله! إنه أبغضُ الناس إليَّ، ولكن الحرس محيطون بقصره، فانقِبوا عليـه البيت، فنَقَبوا، ودخلـوا إليه، وخالطوه فقتلوه، واحتزُّوا رأسه، فخار كخُوار الثـور، فابتـدرت الحرس الباب، فقالوا: ما هذا؟ فقالت زوجتـه: النبي يوحى إليه، وكان الشيطان قبل ذلك يأتي إليه، فيوسوس لـه، فيغطُّ، ويعمل بما قال، فلما طلع الفجر، أمروا بالمـؤذن، فقال: أشهد أن محمـداً رسول الله، وأن عبهلَة كذاب.

وأرسل أصحابُ رسول الله ﷺ إليه بخبر الأسود، فسبق خبرُ السماء إليه، فأخبـر الناسَ بذلك، وذلـك قبل وفاتـه ـ عليـه الصلاة والسلام ـ بقليل، ووصل الكتاب بقتل الأسود في خلافة أبي بكر ﷺ، فكان كما أخبر به رسول الله ﷺ، وكان قتله قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، وكان من أول خروج الأسود إلى قتله أربعة أشهر.

* **ذكر أخبار مسيلمة**: وقد ذكرنا أنـه قَدِمَ على رسول الله ﷺ في وفد بني حنيفة، فلما عاد الوفـد، ارتدَّ، وكان فيـه دهاء، فكذب لهم، وادعى النبوَّة، وتسمَّى: رحمـان اليمامـة، وخاف أن لا يتم لـه مرادُه،

فقال: إن محمداً قد أشرَكَني معه، وجعل يسجَعُ لقومه، ويضاهي القرآن، فمن قوله: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صِفاقٍ وحَشَا.

ومن قوله: سبح اسم ربك الأعلى، الذي يسر على الحبلى، فأخرج منها نسمة تسعى، من بين أضلاع وحَشَا، يا ضفدعَةُ بنتَ الضفدعين، نِقِّي فجاد ما تنقين، وسجي، فحسن ما تسجين، إلا الماء تكدرين، وإلا الشاربَ تمنعين، والليلِ الأسحم، والدبِّ الأدلم، والجدع الأزلم، ما انتهكت أسيدٌ من مَحْرَم.

ومنه: والليلِ الدامس، والذيب الهامس، ما قطعت أُسيد من رَطْب ولا يابس.

وكان يقصد بذلك نصرة أسيد على خصومهم.

ومنه: والشاة وألوانها، وأعجبها السودان وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض، وإنه لعجب محض، وقد حرم المذق، ما لكم لا تمجعون.

وكان يقول: والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، لحما وسمناً، لقد فُضِّلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر.

وكان صاحب نيروجات، ويقال: إنه أولُ من أدخلَ البيضةَ في القارورة، وأول من وصل جناحَ الطير المقصوص.

وجاءته امرأة، فقالت: ادعُ الله لنخلِنا ولمائنا؛ فإن محمداً دعا للقوم، فجاشت آبارهم، قال: كيف صنع؟ قالت: دعا بإناء فيه ماء، فتمضمض، ومجه فيه، فأفرغوه في تلك الآبار، فعمت، ففعل هو كذلك، فغارت تلك المياه.

وقال له رجل: بارك على ولدي؛ فإن محمداً يبارك على أولاد أصحابه، فلم يؤتَ بصبيٍّ مسح على رأسه، وحنّكه، إلا قرع ولثغ.

وتوضأ في حائط، وصب ماء وضوئه فيه، فلم ينبت.

وكانوا إذا سمعوا سجعه، قالوا: نشهد أنك نبي.

ثم وضع عنهم الصلاة، وأحلَّ لهم الخمر والزنا، ونحو ذلك، فتبعه بنو حنيفة إلا القليل.

وكتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمةَ رسولِ الله إلى محمد رسولِ الله، أما بعد: فإن لنا نصفَ الأرض، ولقريشٍ نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

وبعث الكتاب مع رجلين: عبدالله بن النوَّاحة، وحِجْر بن عُمير، فقال لهما رسول الله ﷺ: «أتشهدا أني رسولُ الله؟»، قالا: نعم، قال: «أَتَشْهَدا أنَّ مسيلمةَ رسولُ الله؟»، قالا: نعم، إنه قد أُشْرِكَ معك، قال: «لولا أنَّ الرسولَ لا يُقتل، لَضربْتُ أعناقَكُما»[1].

ثم كتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمدٍ رسولِ الله إلى مسيلمةَ

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٦١)، عن نعيم بن مسعود الأشجعي.

الكذَّاب، أَمَّا بعدُ: فإِنَّ الأرضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ من عبادِه، والعاقبةُ للمتَّقين»[1]، وقد أهلكتَ اليمامةَ ـ أبادَكَ اللهُ ومن ضربَ معكَ ـ.

وقُتِل مسيلمةُ الكذابُ في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر قد أرسل لقتاله جيشاً، وقدّم عليهم خالدَ بنَ الوليد، فقتله وَحْشِيٌّ بالحربة التي قتلَ بها حمزةَ عمَّ النبي ﷺ، وشاركَه في قتله رجلٌ من الأنصار.

وكان مقام مسيلمةَ باليمامة.

وقُتِل من المسلمين جماعة من القراء من المهاجرين والأنصار.

ولما رأى أبو بكر رضي الله عنه كثرةَ من قُتِل، أمرَ بجمع القرآن من أفواه الرجال، وجريد النخل، والجلود، وترك ذلك المكتوبَ عندَ حفصةَ بنتِ عمر زوجِ النبي ﷺ.

ولما تولى عثمان رضي الله عنه، ورأى اختلافَ الناس في القرآن، كتب من ذلك المكتوب الذي كان عند حفصة نسخاً، وأرسلها إلى الأمصار، وأبطل ما سواها ـ والله أعلم ـ.

* **ذِكْرُ سَجاحِ بنتِ الحارثِ بن سويدٍ التميميةِ**: كانت قد تنبأت في الرِّدَّة بعد موت رسول الله ﷺ بالجزيرة في بني تغلب، فاستجاب لها هذيل، وجماعة، واتبعها بنو تميم، وأخوالها من تغلب، وغيرهم من بني ربيعة، فقصدت قتال أبي بكر رضي الله عنه، فراسلت مالك بن نُوَيرة،

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٣١).

ودعته إلى الموادعة، فأجابها، ومنعها من قصد أبي بكر، وحملَها على أحيـاء من بني تميم، فأجابـت، وقالـت: أعدوا الركـاب، واسـتعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب، فذهبوا، فكانت بينهم مقتلة، ثم ذهبت إلى اليمامـة، فهابها مسيلمة، وخاف أن يتشاغل بحربها، فيغلبه ثُمامـةُ بنُ أثال عاملُ رسول الله ﷺ، فأهدى لها هدية، واستأمنها، وقال لأصحابه: اضربوا لها قبة، وخمروها بالطيب، لعلها تذكر الباه، ففعلوا، فلما أتتـه، قالت له: اعرضْ لي ما عندك، فقال: إني أريد أن أخلو معك حتى نتدارسَ، فلما خلت معه، قالت لـه: اقرأْ عليَّ ما يأتيك بـه جبريل، فقال: ألم تـر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفـاق وحَشَـا، فقالـت: ومـا أنـزل عليك أيضاً؟

قال: ألم تر أن الله خلق النساء أفراجـاً، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فنولج لهن إيلاجاً، ثم نخرج ما شئنا إخراجا، فينتجن لنا إنتاجاً.

قالت: صدقت، إنك نبي، فقال لها: هل لك أن أتزوجك، فيقال: نبي تزوج نبية، فقالت: نعم، فقال لها:

أَلاَ قُـومِي إِلَـى النَّيْـكِ ... فَقَـدْ هُيِّـي لَـكِ المَـضْجَعْ

فَـإِنْ شِـئْتِ فَفِـي البَيْـتِ ... وَإِنْ شِـئْتِ فَفِـي المَخْـدَعْ

فَـإِنْ شِـئْتِ فَمُلْقَـاةً ... وَإِنْ شِـئْتِ عَلَـى أَرْبَـعْ

وَإِنْ شِـئْتِ بِثُلْثَيْـهِ ... وَإِنْ شِـئْتِ بِـهِ أَجْمَـعْ

فقالت: بل به أجمع، يا رسول الله؛ فإنه للشمل أجمع.

فقال: بذلك أوحي إلي.

فأقامت معه ثلاثاً، ثم خرجت إلى قومها، فقالت: إني قد سألتـه، فوجدت نبوته حقاً، وإني تزوجتـه، فقالوا: مثلك لا يتزوج بغير مهر، فقال مسيلمة: مهرها أني قد رفعتُ عنكم صلاة الفجر والعتمة.

ولم تزل سجاح في أخوالها من تغلب، حتى نفاهم معاوية عاماً بريع فيه، فأسلمت سجاحِ، وحَسُن إسلامها، وانتقلت إلى البصرة، وماتت بها ـ والله أعلم ـ.

* **ذكر طليحة بن خويلد**: فإنه ادعى النبوة، وتبعه جماعة، وقوي أمره.

ومن كلامه: والحمام واليمام، والصرد الصوَّام، قد صمن قبلكم بأعوام، وليبلغن ملكنا العراق والشام.

وقاتله خالد بن الوليد في الردَّة، ثم أسلم، وخرج نحو مكة معتمراً في خلافة أبي بكر ﷺ، فمـر بجنبـات المدينـة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحـة، فقال: ما أصنع بـه؟ خلُّوا عنـه؛ فقد أسلم، وصحَّ إسلامـه، وقاتلَ في الفتوحات، فقُتل يوم نهاوند.

ووقعت نهاوند مع الأعجـام في سنـة إحدى وعشرين في خلافـة عمر ﷺ.

* * *

مجلس في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ، وما جاء في ذلك من الثواب والتقريب ورفع الدرجات

روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «إذا سمعتُم المؤذِّنَ، فقولوا مِثْلَ ما يقولُ، ثم صَلُّوا عَلَيَّ؛ فإنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً، صَلَّى اللهُ عليهِ بِها عَشْراً، ثم سَلُوا ليَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّها منزلَةٌ لا تَنْبغي إلاَّ لعبدٍ واحِدٍ، وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا هُوَ، فَمَنْ سأَلَ ليَ الوَسيلَةَ، حَلَّتْ لهُ الشَّفاعَةُ»[1].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الدعاء موقوفٌ بين السماء والأرض، لا يصعَدُ منه شيء حتى تصلِّي على نبيِّكَ ﷺ[2].

فإذا فعلتَ، انخرقَ الحجاب، ودخل الدعاء، وإن لم تفعل ذلك، رجع ذلك الدعاء[3].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام: أنه قال: «من صلَّى عَلَيَّ صلاةً، صلَّى اللهُ عليه عشرَ صلواتٍ، وحَطَّ عنهُ عَشْرَ خَطِيئاتٍ، ورفعَ له عَشْرَ دَرَجاتٍ»[4].

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٢) رواه الترمذي (٤٨٦).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس»، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٣٧٩٩)، عن أبي بردة رضي الله عنه.

ورواه: ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٠٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٩١)، وابن حبان في =

وفي رواية: «وكَتَبَ له عَشْرَ حَسَنَاتٍ»[1].

وعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من قالَ: اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ، وأنزِلْه المَنْزِلَ المُقَرَّبَ عندَكَ يومَ القيامةِ، وَجَبَتْ له شَفاعَتي»[2].

وعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ في كتابٍ، لم تزَلِ الملائكةُ تَستغفِرُ له ما دامَ اسمي في ذلكَ الكتابِ»[3].

وعنه ﷺ: «إنَّ أَنْجاكُمْ يومَ القِيامَةِ مِنْ أَهْوَالِها ومَوَاطِنِها، أكثرُكُمْ عَلَيَّ صَلاةً»[4].

صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم وشرَّف وكرَّم.

* * *

فصل في كيفية الصلاة على النبي ﷺ

روي عنه ﷺ: أنه سُئِل: كيف نُصلِّي عليك؟

= «صحيحه» (٩٠٤)، عن أنس بن مالك ﷺ، دون قوله: «ورفع له عشر درجات».

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧٩٠)، عن عبدالله بن عمر ﵄.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٨)، والبزار في «مسنده» (٢٣١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٨٠)، وفي «المعجم الأوسط» (٣٢٨٥)، عن رويفع بن ثابت الأنصاري ﷺ، جميعهم بلفظ: «المقعد المقرب».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣٥)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥/ ٢٧٧)، عن أنس بن مالك ﷺ.

قال: «قولوا: اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما صلَّيت على [آل] إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، اللهمَّ بارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما بارَكْتْ على [آل] إبراهيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ»[1].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام: أنه قال: «قولوا: اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ وأَزواجِه وذُرِّيَّتِهِ كما صَلَّيْتَ على [آل] إبراهيمَ، وبارِكْ على محمدٍ وأزواجِه وذُرِّيَّتِهِ كما بارَكْتَ على [آل] إبراهيمَ في العالَمين إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[2].

وروي عن علي بن أبي طالب ﵁ أنه قال: حدثني رسول الله ﷺ، وعدَّهُنَّ في يدي، قال: «عَدَّهُنَّ في يدي جبريلُ ـ عليه السلام ـ، وقال جبريل: هكذا أُنزلتُ بهنَّ من عنـدِ ربِّ العزة: اللهمَّ صَلِّ على محمـدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صَلَّيْتَ على إبراهيمَ وعَلَى آلِ إبراهيمَ إنَّـكَ حَميـدٌ مجيدٌ، اللهمَّ بارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما بارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مجيدٌ، اللَّهُمَّ وتَرَحَّمْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما ترحَّمْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَمِيـدٌ مَجِيـدٌ، اللهم وتَحَنَّنْ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما تَحَنَّنْتَ على إبرهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهمَّ وسَلِّمْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ

---

(١) رواه البخاري (٤٥١٩، ٥٩٩٦)، ومسلم (٤٠٦)، عن كعب بن عُجرة ﵁.

(٢) رواه البخاري (٣١٨٩، ٥٩٩٩)، ومسلم (٤٠٧)، عن أبي حميد ﵁.

كما سَلَّمْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[1].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنـه قال: الصلاةُ على النبيِّ ﷺ أمحقُ للذنوب من الماء البارِدِ للنار، والسلامُ عليه أفضلُ من عِتْقِ الرقاب[2].

قال ابنُ الفاكهاني: قلت: وإنما كان أفضلَ من عتق الرقاب ـ والله أعلم ـ؛ لأن عتق الرقاب في مقابلته العتقُ من النار، ودخـولُ الجنـة، والسلامُ عليه في مقابلتـه سلامُ الله تعالى، وسلامٌ من الله تعالى أفضلُ من مئة ألف ألف جنة، فناهيك بها من مِنَّةٍ.

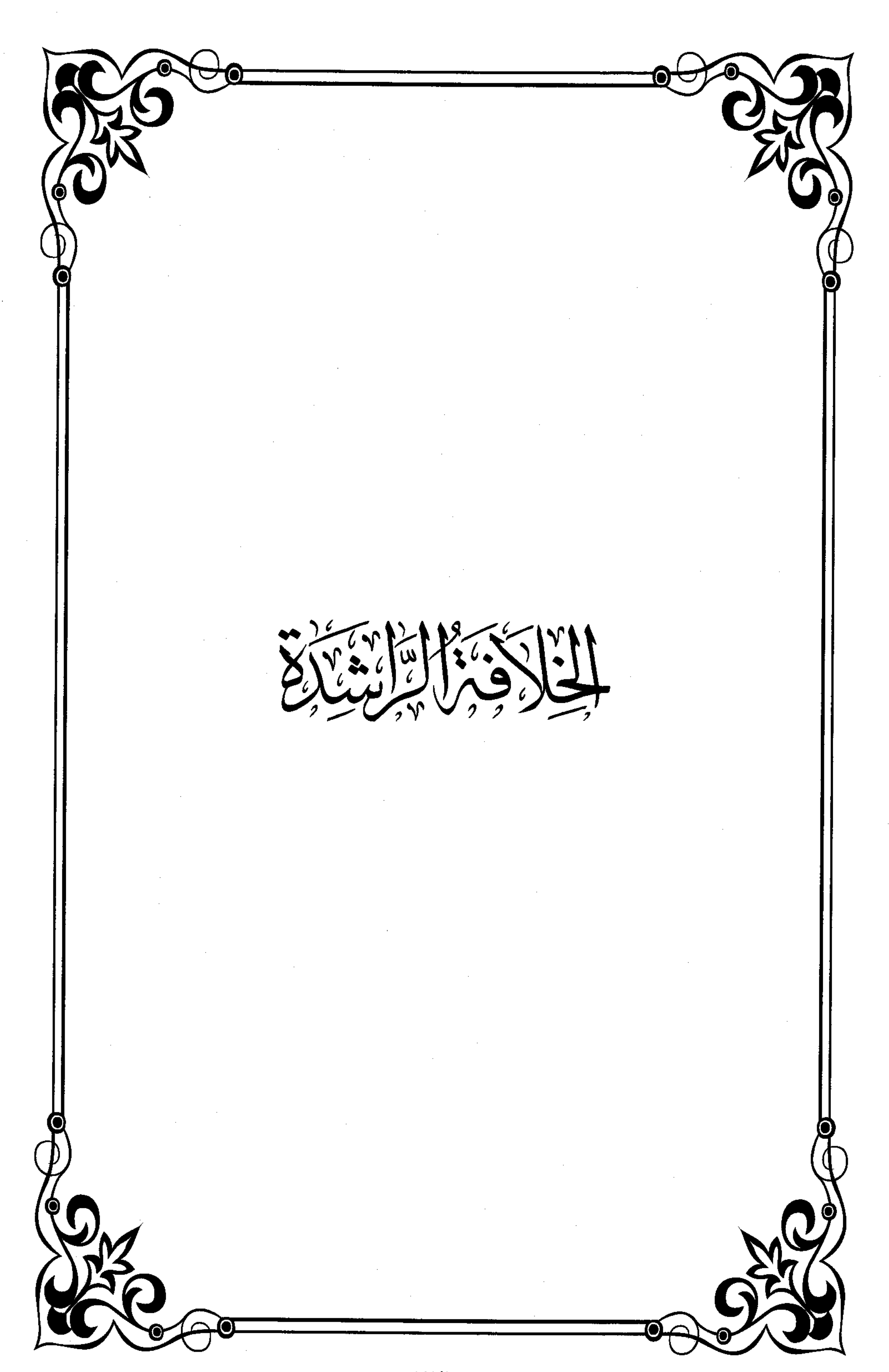
فنسأل الله أن يرزقنا مرافقته في الجنة، وأن يجعله وقاية لنا من كل شر وجُنَّة، آمين، إنـه وليُّ ذلك، والقادُر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلَّم.

❐ ❐ ❐

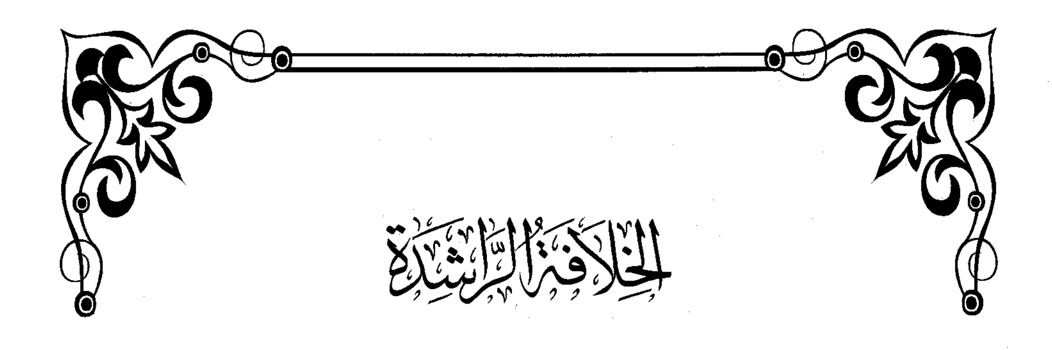
---

(١) رواه البيهقي في «شـعب الإيمان» (١٥٨٨)، وفي إسناده عمرو بن خالـد الواسطي الوضاع، كما قال ابن الملقن في «البدر المنير» (٤/ ٩٥).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٦١).



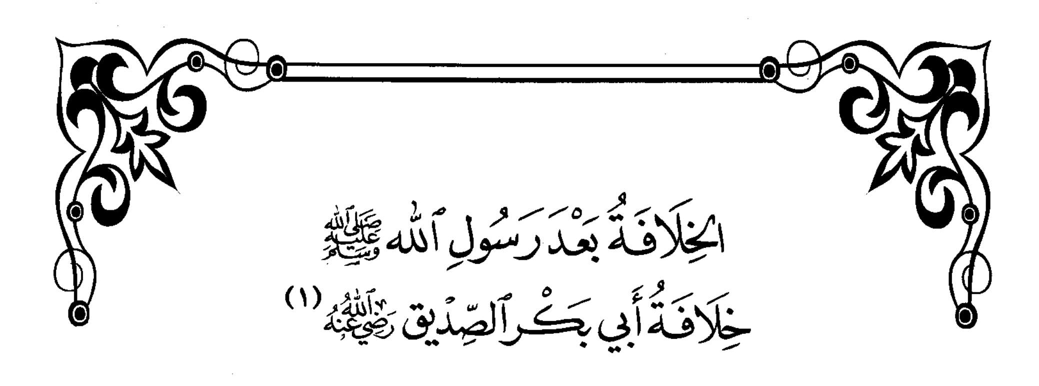
الخلافة الراشدة



الخلافة الراشدة

في المـدة التي نص عليها، وهي ثلاثـون سنة، فأوَّلُهم أبـو بكـر الصديق رضي الله عنه، وسُمي: خليفةَ رسول الله، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أول من سُمي: أميرَ المؤمنين، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان يُقال له: ذو النورين؛ لأنه تزوج ابنتي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ابنه الحسن رضي الله عنه، ثم من بعدهم صارت الخلافة مُلكاً، وسنذكر ذلك في ترجمة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، إن شاء الله تعالى.

* * *



الخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ
خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١)

هو عبدُالله بنُ أبي قُحافةَ عُثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ ابنِ تَيْمِ بنِ مُرّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غالبٍ، القُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مُرّة بن كعب، وأمُّه أمُّ الخير سلمى بنتُ صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

أسلم أبواه، واسم أبي بكر: عبدُالله، وهو الصحيح المشهور.

وقيل: اسمه عتيق، والصواب الذي عليه العلماء كافة: أنّ عتيقاً لقبٌ له لا اسم، ولُقِّب عتيقاً؛ لعتقه من النار، وقيل: لحسن وجهه.

---

(١) جاء على هامش الأصل: «كان اسم أبي بكر قبل الإسلام عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، وأما عمر وعثمان وعلي فلم يختلف في أسمائهم لا في الجاهلية ولا في الإسلام والله أعلم.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي، وأقرؤهم أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم».

واجتمعت الأُمة على تسميته الصِّدِّيق؛ لأنه بادَرَ إلى تصديق رسول الله ﷺ، ولازَمَ الصدقَ، وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة، منها: قضيته ليلة الإسراء، وثباته وجوابه للكفار في ذلك، وهجرته مع رسول الله ﷺ، ثم ثباته في وفاته عليه الصلاة والسلام، وخطبته الناس، وتسكينهم، ثم قيامه في قضية البيعة بمصلحة المسلمين، ثم قيامه في قتال أهل الردة، ثم ختم ذلك بمهمٍّ من أحسن مناقبه، وأجلِّ فضائله، وهو استخلافُه على المسلمين عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، فمَهَّد به الإسلام، وأعزَّ به الدين، وأسلم على يديه خلق من الصحابة، ومناقبه غير محصورة.

هو أعلمُ الناس، وأزهدُهم، وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه ولباسه ومطعمه، وكان لبسه في خلافته الشملة والعباءة.

وكان رضي الله عنه إذا مُدح، يقول: اللهمَّ أنتَ أعلمُ بي من نفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللهمَّ اجعلْني خيراً مما يظنون، واغفرْ لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

وهو أول خليفة في الإسلام اجتمعت الأمة على صحة خلافته، وقدّمته الصحابة رضي الله عنهم؛ لفضله[1].

---

(١) جاء على هامش الأصل: «قال في «الاستيعاب»: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً نحيفاً، أبيض خفيف العارضين أجنأ لا تستمسك أزرته تسترخي عن حِقويه، معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الأشاجع. هكذا وصفته بنته عائشة رضي الله عنها».

* **ذكر نشأته**: ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث سنين، ونشأ بمكة، وكان صفته: أبيضَ اللون، طويل، وقيل: آدم، نحيف الجسم، خفيف العارضين.

بويع له بالخلافة في اليوم الذي قُبِض فيه رسول الله ﷺ بسَقيفة بني ساعِدَةَ في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وامتنع جماعةٌ من بيعته، ومالوا مع عليٍّ رضي الله عنه.

ثم إن عمر رضي الله عنه توجه إلى عليٍّ بأمر أبي بكر، فحضر إليه، وبايعه.

وروت عائشة رضي الله عنها: أن علياً لم يبايع حتى ماتت فاطمةُ بعدَ ستة أشهر لموت أبيها ﷺ، ورضي عنها.

وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه قُتِل مسيلمة الكذاب، وعشرة آلاف رجل من قومه، وأمر بجمع القرآن ـ كما تقدم ذكره في خبر مسيلمة ـ.

ولما حضرته الوفاة، عهد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم توفي بالمدينة الشريفة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء، لثمانِ ليال بقيْنَ من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وكانت وفاته بالسُّم، فقيل: إن اليهودية سمّته في أرز، وقيل غير ذلك.

وخلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

وغسّلته زوجته أسماء بوصيته، وصلى عليه عمر بن الخطاب، وحُمِل على سرير رسول الله ﷺ، وهو سرير كان من خشب ساج وهو منسوج بالليف، ودُفِن في حجرة عائشة رضي الله عنها ليلاً، ورأسه

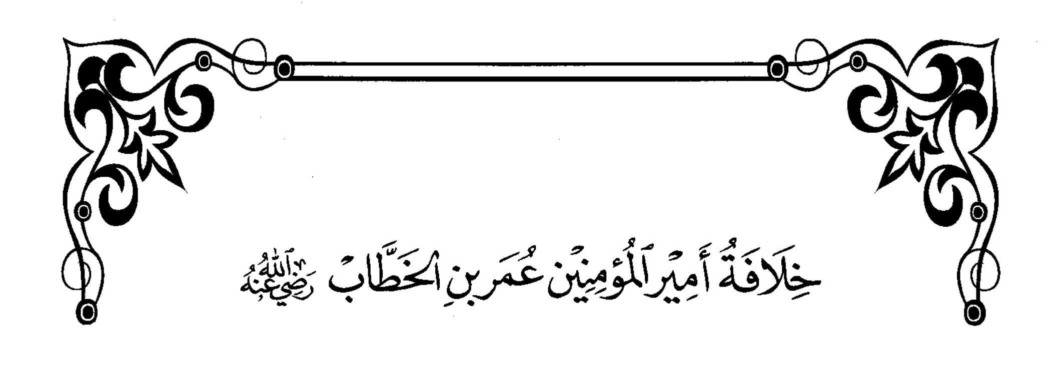
عند كتفَيْ رسول الله ﷺ، وورثه أبوه أبو قحافةَ، ولا يُعرف خليفةٌ ورثه أبوه غيره؛ فإنّ أباه توفي بعده في خلافة عمر في سنة أربع عشرة، وعمره سبع وتسعون سنة.

وكان له رضي الله عنه من الولد: عبدالله، وعبد الرحمن، ومحمد، وخَلَّف أسماء أم عبدالله بن الزبير، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ومناقبه رضي الله عنه لا يمكن استقصاؤها، ولا الإحاطة بعُشْرِ مِعشارها، فهو أفضل الصحابة على الإطلاق، وخير الناس بعد رسول الله بالاتفاق.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



خِلَافَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

هو أبو حفص عمرُ بنُ الخطابِ بنِ نُـفَيلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ رياح بنِ عبدِالله بنِ قرطِ بنِ رزاحِ بنِ عديٍّ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غالبٍ.

وفي كعب يجتمع نسبُه مع نسب رسول الله ﷺ، القرشَيُّ العدويُّ، أميرُ المؤمنين رضي الله عنه.

وأمه خيثمة بنتُ هاشم، ويقال: هشام بن المغيـرة بن عبيدالله بن عمر بن مخزوم.

وسمي بالفاروق؛ لأنه فرّق بين الحق والباطل.

وهو أول من سُمي بأمير المؤمنين، سماه عديُّ بن حاتم.

وُلِد رضي الله عنه بعـد الفيل بثلاثَ عشرةَ سنة، أسلم بعـد أربعين رجلاً، وإحدى عشرةَ امرأةً، فما هو إلا أن أسلم، فظهر الإسلام بمكة، وكان النبي ﷺ قال: «اللهمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إليكَ: عمرَ بنِ الخطابِ، أو عَمْرِو بنِ هشامٍ ـ يعني: أبا جهل ـ»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٨١)، والإمام أحمـد في «المسند» (٢/ ٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن حذيفة قال: لَمَّا أسلم عمر، كان الإسلامُ كالرجلِ المقبِلِ لا يزداد إلا قرباً، فلما قُتل عمر، كان الإسلامُ كالرجل المدبِرِ لا يزداد إلا بعداً[1].

وكان إسلامه ﷺ في السنة الخامسة من النبوة، وهاجر إلى المدينة حين أراد النبي ﷺ الهجرة، فتقدم قدامه.

وكان شديداً على الكفار والمنافقين، وهو الذي أشار بقتل أسارى بدر، فنزل القرآن على وفق قوله.

وأمّا زهده وتواضعه: فمن المشهورات التي استوى الناس في العلم بها وكان قميصه فيه أربعة عشر رقعة، أحدها من أديم.

و[أما] فضائله ﷺ الثابتةُ عن رسول الله ﷺ في الصحيح، فأكثرُ من أن تُحصر.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال لعمر بن الخطاب: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! ما لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً، إلاَّ سلكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ»[2].

وتولى عمر ﷺ الخلافة باستخلاف أبي بكر الصديق ﷺ بعد أن شاور الصحابة، فأشاروا به، ثم دعا أبو بكر عثمانَ بنَ عفان، فقال: (اكتبْ: بِسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافَة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حين

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٨٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٣٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

يؤمِن الكافر، ويوقِن الفاجر، ويَصْدُق الكاذب، إني مستخلِفٌ عليكم عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فإن عَدَل، فذلك ظنّي به، وعلمي فيه، وإن بدّل، فلكلِّ امرئٍ ما اكتسب، والخيرَ أردتُ، ولا أعلمُ الغيبَ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

ثم أمره، فختم الكتاب، وخرج به إلى الناس، فبايعوا عمر جميعاً، ورضوا به.

ولما أراد أبو بكر أن يقلِّد عمرَ الخلافة، قال له عمر: أَعْفِني يا خليفةَ رسول الله؛ فإني غنيٌّ عنها.

قال: بل هي فقيرةٌ إليك، قال: ليس لي بها حاجة، قال: هي محتاجة إليك، فقلده الخلافة على كُره منه، ثم أوصاه بما أوصاه.

فلما خرج، رفع أبو بكر يديه، ثم قال: (اللهمَّ إني لم أُرِدْ بذلك إلا صلاحَهم، وخفتُ عليهم الفتنةَ، فولَّيت عليهم خيارَهم، وقد حضرني من أمرك ما حضرني، فاخْلُفني فيهم؛ فهم عبادك، ونواصيهم في يديك، وأصلِحْ لهم وُلاتَهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدي نبي الرحمة، وأصلح له رعيته).

وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه.

وأول خطبة خطبها، قال: (يا أيها الناس! والله! ليس فيكم أحد أقوى من الضعيف عندي حتى آخذَ الحقَّ له، ولا أضعف عندي من

القوي حتى آخذَ الحقَّ منه.

ثم أولُ شيءٍ أمر به: أنْ عزل خالد بن الوليد عن الإمرةِ، وولَّى أبا عبيدة بن الجراح على الجيش والشام، وأرسل بذلك إليهما، ثم سار أبو عبيدة، ونازل دمشق من جهة باب الجابية، ونزل خالد من جهة باب توما وباب شرقي، ونزل عمرو بن العاص بناحية أخرى، وحاصروها قريباً من سبعين ليلة، وفتح خالد ما يليه بالسيف، فخرج أهل دمشق، وبذلوا الصلح لأبي عبيدة من الجانب الآخر، وفتحوا له الباب، فآمَنهم، ودخل، والتقى مع خالد في وسط البلد، وبعث أبو عبيدة بالفتح إلى عمر رضي الله عنه.

وفي أيامه فتح العراق، وأمر ببناء البصرة، فاخْتُطَّت في سنة أربعَ عشرةَ، وقيل: في سنة خمس عشرة.

ثم فُتِحَت حِمْص بعد حصار طويل على يد أبي عبيدة، ثم سار إلى حماة، وكانت في زمن داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ مدينة عظيمة، وكذلك كانت في زمن اليونان، إلا أنها في زمن الفتوح وقبلَه كانت صغيرة، فخرج الروم الذين[1] بها إليه، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم، والخراج على أرضهم، وجعل كنيستهم العظمى جامعاً، وهو الجامع بالسوق الأعلى من حماة.

ثم سار أبو عبيدة إلى شَيْزَر، فصالحه أهلها على صلح أهل حماة، وكذلك أهلُ المعرَّة.

---

(١) في الأصل: «التي».

ثم فتح اللاذقية عَنوةً، وفتح جبلة، وانطرسوس.

ثم فتح بعد ذلك حلب، وأنطاكية، ومنبج، ودلوك، وسرمين، ومرعش في سوريا.

ولما فُتِحت هذه البلاد، وهي سنة خمس عشرة، وقيل: ست عشرة، أيسَ هرقلُ من الشام، وسار إلى قسطنطينية من الرها، ولما سار هرقل علا على نَشَز من الأرض، ثم التفتَ إلى الشام، وقال: السلامُ عليك يا سوريا، سلام لا اجتماعَ بعده، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفاً حتى يولد الولد المشؤم، وليته لم يولد، فما أَجَلَّ فِعْلَهُ، وأَمَرَّ فِتْنَتَهُ على الروم.

ثم فتحت قيسارية، وصبصطية وبها قبر يحيى بن زكريا، ونابلس، ولُدّ، ويافا، وتلك البلاد جميعها.

وأمّا بيت المقدس، فطال حصاره، وطلب أهله من أبي عبيدة أن يصالحهم على صلح أهل الشام؛ بشرط أن يكون عمر بن الخطاب ﵁ متولياً أمرَ الصلح، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فتقدم عمر ﵁ إلى القدس، وفتحها، واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب ﵁، وذلك في سنة خمس عشرة من الهجرة.

ويوم فتح عمر ﵁ بيت المقدس، قال لكعب: أين ترى أن أبني مُصَلًّى للمسلمين أمامَ الصخرة، أو خلفَها؟ قال: خلفَها، فقال: يا بن اليهود! خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها؛ إنَّ لنا صدورَ المساجد.

ثم وضع الدواوين وفرض العطاء للمسلمين.

ثم فتح المسلمون تكريت، والموصل.

وفي سنة سبع عشرة اختُطَّت الكوفة، وفي هذه السنة اعتمر عمر ابن الخطاب ﷺ، وأقام بمكة عشرين ليلة، ووسَّع في المسجد الحرام، وهدم منازل قوم أَبَوا أن يبيعوها، وجعل أثمانها في بيت المال، وتزوج أمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، وأمُّها فاطمةُ رضي الله عنها.

وفتح المسلمون الأهواز.

وفي سنة ثمان عشرة كان طاعون عمواس بالشام، مات فيه أبو عبيدة بن الجراح، واسمه: عامر بن عبدالله بن الجراح الفِهْري، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة.

وفي سنة تسع عشرة فُتِحَت مصر، والإسكندرية على يد عمرو بن العاص، والزبير بن العوام.

وفي سنة عشرين توفي بلال مؤذن رسول الله ﷺ، وهو مولى أبي بكر الصديق، ولم يؤذِّن بعد رسول الله ﷺ، توفي بدمشق، ودُفِنَ عند الباب الصغير.

وفي سنة إحدى وعشرين كانت وقعة نهاوند مع الأعاجم، وانتصر المسلمون، وفُتِحَت الدينَور، والضميرة، وهمدان، وأصفهان.

وفي هذه السنة توفي خالد بن الوليد وقبرُه بحمص، وقيل: بالمدينة.

وفي سنة اثنتين وعشرين فُتِحَت أذربيجان، والري، وجرجان، وقزوين، وزنجان، وطبرستان، وطرابلس الغرب، وغير ذلك.

وفيها ـ أعني: سنة اثنتين وعشرين ـ توفي أُبَيُّ بنُ كعب بن قيس، وهو من وَلد مالك بن النجار، وكان يكنى: أبا المنذر، أحدُ كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو الذي أمر الله تعالى رسولَه ﷺ أن يقرأ القرآن على أُبَيّ بن كعب المذكور، وقال رسول الله ﷺ: «أقرأ[1] أُمَّتي أُبَيٌّ بَعْدِي»[2].

وقيل: مات سنة ثلاثين في خلافة عثمان.

* **كراماته:** من كرامات عمر رضي الله عنه: أنه كان يخطُب يوم الجمعة بالمدينة، فقال في خطبته: (يا ساريةُ، الجبلَ الجبلَ)، فالتفت الناسُ بعضُهم لبعض، فلم يفهموا مراده، فلما صلى صلاته، قال له عليٌّ: ما هذا الذي قلتَه؟ قال: أوَسمعتَه؟ قال: نعم، أنا وكلُّ مَنْ في المسجد، قال: (وقع في خَلَدي أن المشركين هزموا إخواننا، وركبوا أكتافَهم، وأنهم يمرُّون بجبل، فإن عَدَلوا إليه، قاتلوا من وجدوا، فظفروا، وإن جاوزوه، هلكوا، فخرج مني هذا الكلام)، فجاء البشير بعد شهر، فذكر

---

(١) في الأصل: «أقرأكم».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٥٦)، عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، دون قوله: «بعدي».

ورواه الترمذي (٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٢٤٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه تلفظ: «وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب».

أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة ـ حين جاوزوا الجبل ـ صوتاً يشبه صوتَ عمر: يا سارية بن حصين! الجبلَ الجبلَ، فعدلنا إليه، ففتح الله علينا.

* **فضائله** ﷺ: وفضائلُه أشهرُ من أن تُذكر، وأكثر من أن تُحصر، جاهد في الله حقَّ جهاده، فجيّش الجيوش، وفتح البلاد، ومَصَّرَ الأمصار، وأعزَّ الإسلام، وأذلَّ الكفر، وهو أولُ مَنْ جمع الناسَ لصلاة التراويح، وكان متواضعاً، يشتمل بالحياء، ويحمل القِرْبة على كتفه، وأكثرُ مركوبه الإبل.

ومن عماله: سعيد بن عامر بن حكيم على حمص.

ومن عماله على المدائن: سلمان الفارسي، وكان ناسكاً زاهداً.

* **ذكر وفاته** ﷺ: ذُكر أنه خرج لصلاة الصبح في جماعة، فضربه أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبةَ ـ لما وقف يصلِّي ـ بخنجر برأسين، فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت سُرَّته، وهي التي قتلته، وطَعَن اثني عشر رجُلاً من أهل المسجد، فمات منهم ستة، ثم نحر نفسه بخنجره، فمات ـ لعنه الله ـ.

ولما طعنه أبو لؤلؤة، وقع على الأرض، ثم قال: أفي الناس عبدُ الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يصلي بالناس، وقال لولده عبدِالله: انظر مَنْ قتلني؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قتلك أبو لؤلؤةَ غلامُ المغيرة ابن شعبة، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل قتلي على يد رجُل سجدَ لله سجدةً واحدة.

ثم بعث ابنهَ عبدَالله إلى عائشــة رضي الله عنهـا، وقال: قل لهـا: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم أميراً، ويقول لك: إنه لاحِقٌ بربه، أفتأذنين له أن يُدفَن مع صاحبيه؟

فجاء عبدالله إلى عائشة، فاستأذن عليها، فأذنت له، فبلّغها رسالة أمير المؤمنين عمر ﷺ، فتأوهت، وبكت، وقالت: لقد كنت أشمُّ رائحةَ رسول الله ﷺ في أبي بكر، فلما مات، كنت أشم رائحته في أمير المؤمنين عمر، مالي وللدنيا أفقِدُ فيها الأحبابَ واحداً بعد واحد؟!

ثم قالت له: أبلغْ أميرَ المؤمنين مني السلام، وقل لـه: ألا إنها كانت ادَّخرت ذلك لنفسها، ولكنها آثرتْكَ اليوم على نفسها.

فلما رجع عبدالله، قال لـه عمر: ما وراءك يا عبدالله؟ قال: الذي تُحبّ، قد أَذِنت لك عائشة، قال: الحمدُ لله، ما كان شيء أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قُبِضت، فارجعْ إلى عائشة، فاستأذنها ثانيـةً، فربما تكون استحيت مني وأنا حَيّ، فلا تستحيي مني وأنا ميت.

وأوصاهم أن يقتصروا في كفنه، ولا يتغالوا.

وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودُفِن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وغسّله ابنُه عبدالله، وحُمِل على سريرِ رسولِ الله ﷺ، وصُلِّي عليه في مسجده، وصلَّى بهم عليه صُهيبٌ، وكبّر عليه أربعاً، ونزل في قبره ابنه عبدُالله، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف.

وكانت خلافته ﷺ عشر سنين، وستة أشهر، وثمانيـة أيام، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين ـ على الصحيح المشهور ـ.

والصحيح: أنّ سِنَّ رسول الله ﷺ، وسنَّ أبي بكر، وعمر، وعلي، وعائشة ثلاث وستون سنة.

وعهِدَ بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهم: عليٌّ، وعثمان، وطلحـة، والزبير، وسعدٌ ﷺ، بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف، فأبى، وشرطَ أن يكون ابنُه عبدُالله شريكاً في الرأي، ولا يكون له حظٌّ في الخلافـة، وجعل لهم مدة ثلاثة أيام، وقال: لا يمضي اليـوم الرابع إلا ولكم أمير، وإن اختلفتم، فكونوا مع الذين معهم عبد الرحمن بن عوف.

وكان عمر ﷺ طُوالاً، أصلعَ، أبيضَ، يعلوه حمرة.

وقيل: كان آدمَ اللون، شديدَ الأُدمة، وعليه أكثر أهل العلم[1].

وكان له من الولد: عبدالله، وحفصة، أمُّهما زينبُ بنتُ مظعون، وعبيدُالله، أمُّه مُلَيْكَـة بنت جَرْول الخزاعية، وعاصم، أمُّه جميلـةُ بنت عاصم، وفاطمـة وزيـد، أمُّهما أمُّ كلثـوم بنـتُ علي بن أبي طالـبٍ من فاطمة ﷺ، وعبد الرحمن، وفاطمة، وبنات أُخَر.

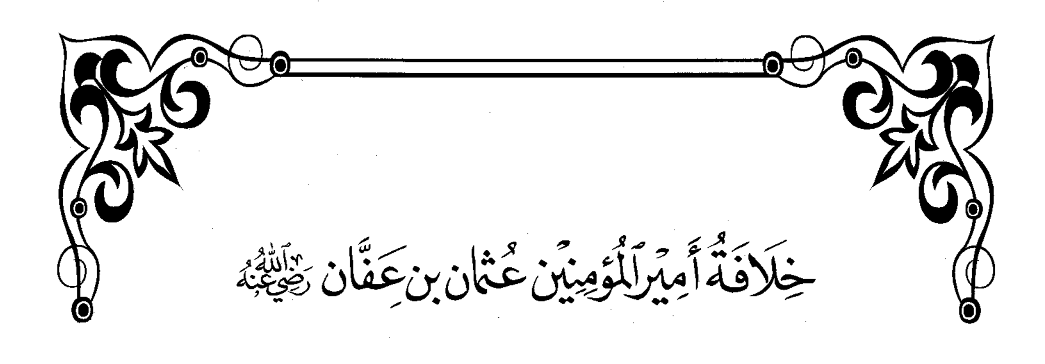
---

(١) جـاء على هامـش الأصـل: «قـال في «الاستيعـاب» في تـرجمـة عمـر بن الخطاب ﷺ: آدم شديد الأدمة، طوالاً كث اللحيـة أصلع أعسر بَسِراً، وكان يخضب بالحناء والكتم».

وكان له من الموالي: أسلم، وأبو أمية جدُّ المبارَكِ بن فضالةَ بن أبي أمية، ومهجع، استشهد يوم بدر، وذكوان وهو الذي سار من مكة إلى المدينة في يوم وليلة.

ولعمر رضي الله عنه أخبار كثيرة في أسفاره مع كثير من ملوك العرب والعجم، وما كان في أيامه من الكوائن والأحداث، وفضائلُه وأحوالُه غير محصورة رضي الله تعالى عنه.

* * *



خِلَافَةُ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ عُثمان بن عِفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أبو عَمْرٍو، ويقال: أبو عبـدالله، وأبو ليلى، عثمانُ بنُ عَفَّانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أميـةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبـدِ منـافِ بنِ قصيٍّ، الأمويُّ، القرشيُّ، المكيُّ، ثم المدني، أمير المؤمنين.

وأمُّه أَرْوى بنتُ كُرَيز ـ بضم الكاف وفتح الراء ـ ابنِ ربيعةَ بنِ حبيبِ ابنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ، وأمُّها أمُّ حكيمٍ البيضاءُ بنتُ عبد المطلب عمةُ رسولِ الله ﷺ.

ويقال لعثمان: ذو النُّورَيْن؛ لأنه تزوَّج بنتَي رسولِ الله ﷺ، إحداهما بعد الأخرى، ولا يُعرَف أحد تزوج بنتي نبي غيره، تزوج رقية قبل النبوة، وتوفيـت عنـده في أيام غـزوة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة.

ثم تزوج بأختها أم كلثوم بنـت رسول الله ﷺ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة.

وقد ولد رضي الله عنه في السنة السادسة بعد الفيل، ولما مات عمر رضي الله عنه، اجتمع أهل الشورى، وهم: علي، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف،

وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر. ومضى عليٌّ إلى العباس، وتكلم معه، فقال له: هذا الرهط لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم له غيرنا، وايم الله لا نناله إلا بِشَرٍّ لا ينفع معه خير.

ثم جمع عبد الرحمن بن عوف الناسَ بعد أن أخرج نفسَه عن الخلافة، فدعا علياً، فقال: عليك عهدُ الله وميثاقُه لتعملَنَّ بكتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة الخليفتين من بعده؟ فقال: أرجو أن أفعل وأعمل مبلغ علمي وطاقتي، ودعا بعثمان، وقال له مثلَ ما قال لعلي، فرفع عبدُ الرحمن رأسَه إلى سقف المسجد، ويدُه في يد عثمان، وقال: (اللهمَّ اسمعْ واشهد أنِّي جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان)، وبايعه.

فقال علي: ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا فيه، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وَلَّيتَ عثمانَ إلا ليردَّ الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن، فقال عبد الرحمن: يا عليُّ! لا تجعل على نفسك حجة وسبيلاً.

فخرج عليٌّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

بويع له بالخلافة ﷺ لثلاثٍ مضين من المحرم سنة أربع وعشرين، ولما بويع، رقا المنبر، وقام خطيباً، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم نزل، وأقرَّ ولاةَ عمر سنة؛ لأنه كان أوصى بذلك، ثم عزل وولّى، وجهز الجيوش للغزو.

ولما دخلت سنة ثلاثين: فيها بَلَغَ عثمانَ ﷺ ما وقع في أمر

القرآن؛ من أن أهل العراق يقولون: قرآننـا أصحُّ من قرآن أهل الشام؛ لأننا قرأنا على أبي موسى الأشعري، وأهلُ الشام يقولون: قرآننا أصحُّ؛ لأننا قرأنا على المقداد ابن الأسود، وكذلك غيرهم من الأمصار، فأجمع رأيه ورأي الصحابة، على أن يحمل الناس على المصحف الذي كُتِب في خلافة أبي بكر ﷺ، وكان مُودَعاً عند حفصـةَ زوجِ النبيِّ ﷺ، ويحرق ما سِواه من المصاحف التي بأيدي الناس، ففعل ذلك، ونسخ من ذلك، المصحف مصاحفَ، وحُمل كلٌّ منها إلى مصرٍ من الأمصار، وكـان الذي تولى نسخَ العثمانيـة بأمر عثمان: زيـد بن ثابـت، وعبـدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.

وقال عثمان: إذا اختلفتم في كلمة، فاكتبـوها بلسان قريش؛ فإنما نزل القرآن بلسانهم.

وفي هذه السنة: سقط من عثمان خاتمُ النبي ﷺ، وكان من فضة، مكتوب فيه ثلاثة أسطر: محمد، رسول، الله، وكان النبي يتختم فيه، ويختم الكتب التي كان يرسلها إلى الملوك، ثم تختَّم بعدَه أبـو بكر، ثم عمر، ثم عثمان إلى أن سقط في بئر أريس.

وفي سنة اثنتين وثلاثين: توفي عبـدالله بن مسعود، وكـان جليلَ القدر في الصحابة، وهو أحدُ القُرَّاء ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي سنة أربع وثلاثين: توفي المقداد بن الأسود، وهـو المقداد ابن عمرو بن ثعلبة، ونسب إلى الأسودِ بنِ عبدِ يغوثَ؛ لأنه كان قد حالفَ الأسودَ المذكور في الجاهلية، فتبناه، فعُرف بالمقداد ابن الأسود، فلما

نزل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[الأحزاب: ٥]، قيل له: المقداد بن عمرو، ولم يكن في يوم بدر من المسلمين صاحب فرس غيرُ المقداد - في قول -، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكان عمره نحو سبعين سنة.

ثم لما دخلت سنة خمس وثلاثين: فيها قدم من مصر جمع، قيل: ألف، وقيل: سبع مئة، وقيل: خمس مئة، وكذلك قدم من الكوفة جَمْعٌ، وكذلك من البصرة، وكان هوى المصريين مع عليٍّ، وهوى الكوفيين مع الزبير، وهوى البصريين مع طلحةَ، فدخلوا المدينة.

ولما جاءت الجمعة التي تلي دخولهم المدينة، خرج عثمان رضي الله عنه، فصلى بالناس، ثم قام على المنبر، وقال للجموع المذكورة: يا هؤلاء! الله يعلم، وأهل المدينة يعلمون: أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ.

فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال: أنا أشهد بذلك، وثار القوم بأجمعهم، فحَصَبوا الناسَ حتى أخرجوهم من المسجد، وحُصِب عثمانُ حتى خرّ على المنبر مغشياً عليه، فأُدخل دارَه، وقاتل جماعةٌ من أهل المدينة عن عثمان، منهم: سعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة رضي الله عنهم.

فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف، فانصرفوا، وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلت الجموع المذكورة في المسجد ثلاثين يوماً.

ثم منعوه الصلاة، فصلى بالناس أميرُهم الغافقيُّ أميرُ جمعِ مصر،

ولزم أهلُ المدينـة بيوتهم، وعثمانُ محصورٌ في داره، ودام ذلك أربعين يوماً، وقيل: خمسين يوماً، وآخر الحال أنهم تَسَوَّروا على عثمان ﵁ من دار لزقَ داره، ونزل عليه جماعة، فقتلوه ظلماً، فضربـه رجل بعمود على جبهته، وضربـه الآخر بسيفٍ على عاتقـه، وضربـه رجل بسيف، فاتقاها بيده، فقطعها، فقال: أما إنها أولُ كفٍّ خَطَّت في المصحف.

وقُتِل ﵁ وهو صائم، والمصحف بين يديه يتلو فيه.

وكان مقتله ﵁ يوم الأربعاء، لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين، وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة، إلا اثني عشر يوماً.

واختلف في عمره، فقيل: خمس وسبعون، وقيل: اثنان وثمانون، وقيل: تسعون، وقيل: غيـر ذلك، ومكـث ثلاثـة أيام لم يُدفـن؛ لأن المحارِبين لـه منعوا من ذلك، ثم أمر عليٌّ بدفنـه، ودُفِن ليلاً بالبقيـع، وأُخفي قبره ذلك الوقت، ثم ظهر.

وأما شمائله: فإنه كان في نهاية الجُود والكرم والسخاء، وهو الذي جهّز جيش العُسرة بجملةٍ من ماله.

وروي: أنه دخل على رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ ثوبَـه عليـه، وقال رسول الله ﷺ: «كيف لا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي منهُ ملائِكَةُ السَّماء»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠١)، عن عائشة رضي الله عنها.

وانفتح بقتل عثمان بابُ الشرِّ والفتن.

وحجَّ بالناس في خلافته عشر سنين متوالية، ويوم قُتِل كان له عند خازنه من المال مئة ألف وخمسون ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه مئه ألف دينار، وخلَّف خيلاً وإبلاً كثيرة.

وفي أيامه اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور.

وفي زمنه كانت غزاة الإسكندرية، ثم سابور، ثم إفريقية، ثم قبرص، وإصطخر الأخيرة، وفارس الأولى والأخيرة، ثم طبرستان، وسجستان، ثم الأساورة في البحر، ثم مرو.

وكان عثمان ﵁ حسنَ الوجه، رقيقَ البشرة، أسمر اللون، كثير الشعر، بين الطويل والقصير، وبشَّره رسول الله ﷺ بالجنة على بَلْوى تصيبه، وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحدُ الستة أصحابِ الشورى، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأعتق عشرين مملوكاً وهو محصور.

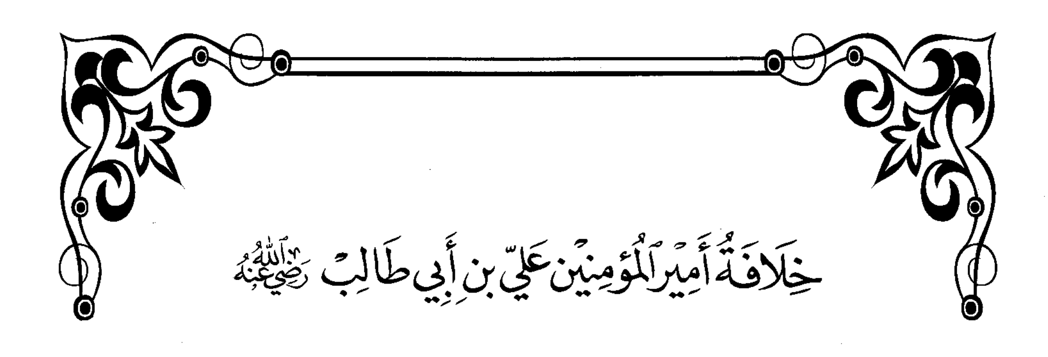
وكان له من **الأولاد**: عبدالله ـ الأكبر ـ أمُّه فاختةُ بنتُ غزوان، وعبدالله ـ الأصغر ـ أمُّه رقيةُ بنتُ رسول الله ﷺ، وعمر، وأبان، وخالد، وسعد، والوليد، والمغيرة، وعبد الملك، وأم سعيد، وأم أبان، وأم عمرو، وأم عائشة.

ومَلَكَ أموالاً جَزِيلة انتُهبت يومَ الدار.

وكان قاضيه زيد بن ثابت، وحاجبه موران مولاهُ، وكاتبه مروان بن الحكم بن العاص ابنُ عمه رضي الله عنه.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *



خِلَافَةُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو عليُّ بنُ أبي طالبِ بنِ عبد المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ، واسمُ أبي طالب: عبد مناف، القرشيُّ الهاشميُّ، المكيُّ المدنيُّ الكوفيُّ، أميرُ المؤمنين، وابنُ عمِّ سيدِ المرسلين، وأمُّـه فاطمةُ بنتُ أسدِ بن هاشمِ ابنِ عبدِ منافٍ، الهاشميةُ، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، أسلمت، وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ، وصلَّى عليها، ونزل في قبرها.

وكنيته رضي الله عنه: أبو الحسن، وكنّاه رسول الله ﷺ: أبا تراب[1]، وكانت أحبَّ إليه مِنْ كل ما يُنادى به.

وأسلم رضي الله عنه وهو ابن عشر سنين، وقيل: ابن ثمان سنين، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأحوال مذكورة، وأخباره في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة.

وأما عِلْمه، فكان من العلوم بالمحل العالي.

وأما الأحاديث الواردة في الصحيح في فضله، فغير محصورة.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٠)، ومسلم (٢٤٠٩)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

وأما زهدُه: فهو من الأمـور المشهـورة، التي يشترك في معرفتها الخاص والعام.

ومناقبه ﷺ أكثر من أن تحصى.

بويع بالخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان، يوم الجمعة، لخمـس بقيـن من ذي الحجـة، **سنة خمس وثلاثين**، جاءت الصحابـة وغيرهم إلى دار علي، فقالوا: نبايعك؛ فأنـت أحـق بها، فقال: أكون وزيراً خيرٌ من أن أكون أميراً، فأبوا عليـه، فأتى المسجد، فبايعوه، وقيل: بايعوه في بيته.

وأول من بايعه: طلحةُ بن عبدالله، وكانت يد طلحةَ مشلولةً من نوبة أحد، فقال حبيب بن ذؤيب: إنا لله، أولُ من بدأ بالبيعة يدٌ شلاَّء، لا يتمُّ هذا الأمر، وبايعه الزبير والباقون.

وامتنع من البيعة جماعة، وسُمُّوا: المعتزلة؛ لاعتزالهم بيعة علي.

ثم بعد مبايعة علي بأربعة أشهر هرب طلحة والزبير إلى مكة، وقالا: إنما بايعنا خشيةً على نفوسنا.

*** ذكر مسير عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبيرِ إلى البصرة:**

لما ولي عليٌّ بن أبي طالب الخلافة، فارقه طلحة، والزبير، ولحقا بمكة ـ كما قدمنا ـ، واتفقا مع عائشة ﷺ، وكانت قد مضت إلى الحج، وعثمانُ محصور، ولما بلغ عائشةَ قتلُ عثمان، اعتظمت ذلك، ودعت إلى الطلب بدمه، وساعدها على ذلك طلحةُ، والزبير، وعبدُالله بن عامر،

وجماعة من بني أمية، وجمعوا جمعاً عظيماً، واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها، وقالوا: معاوية بالشام قد كفانا أمرها، وكان عبدالله بن عمر قد قدم من المدينة، فدعوه إلى المسير معهم، فامتنع، وساروا، وأعطى يَعْلَى بن مُنْيَة عائشةَ الجملَ المسمى بـ: عسكر، اشتراه بمئة دينار، فركبته، فضربوا في طريقهم مكاناً يقال له: الحَوْأَب، فنبَحَهُم كلابُه، فقالت عائشة: أيُّ ماء هذا؟ فقيل: هذا ماء الحوأب، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول، وعنده نساؤه: «لَيْتَ شِعْرِي أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُهَا كِلاَبُ الحَوْأَبِ؟»، ثم ضربت عضدَ بعيرها، وقالت: ردوني، أنا ـ والله ـ صاحبة ماء الحوأب، فأناخوها يوماً وليلة، وقال لها عبدالله بن الزبير: إنه كذب ـ يعني: ليس هذا ماء الحوأب ـ، ولم يزل بها، وهي تمتنع، فقال لها: النجاء النجاء، فقد أدرككم علي بن أبي طالب، فارتحلوا نحو البصرة، واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حُنيف، وقُتِل من أصحابه أربعون رجُلاً، وأُمْسِكَ عثمان، فنُتِفَت لحيته وحواجبه، وسُجِن، ثم أُطلِق[1].

*** ذكر مسير علي ﷺ إلى البصرة:**

ولما بلغ علياً مسيرُ عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة، منهم أربع مئة ممن بايع تحت الشجرة، وثمان مئة من الأنصار، وكان مسيرُه في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين،

(١) انظر: «المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء الحموي (١/ ٢٣٧).

ولما وصل إلى ذي قـار، أتاه عثمان بن حُنيف، وقال: يا أمير المؤمنين! بعثتَني ذا لحية، وجئتك أمردَ، فقال: أصبتَ أجراً وخيراً.

* **وقعـة الجمل:**

واجتمع إلى[1] عليٍّ من أهل الكوفـة جمـعٌ، واجتمـع إلى عائشة وطلحة والزبير جمعٌ، وسار بعضهم إلى بعض، بمكان يقال له: الخريبة، في النصف من جمـادى الآخرة، ووقـع القتال، وعائشة راكبـةٌ الجمل المسمى: عسكر، في هودج، وقـد صار مثل القنفذ من النشاب، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير.

ورمى مروانُ بن الحكم طلحـةَ بسهم، فقتلـه، وكلاهما كانا مـع عائشة.

وقيل: إنه طلب بذلك أخذ ثأر عثمان منه؛ لأنه نسبه إلى أنه أعان على قتل عثمان.

وانهزم الزبير طالباً المدينة، وقطعت على خطام الجمل أيدٍ كثيرة، وقتل ـ أيضاً ـ من الفريقين خلق كثير، ولما كثـر القتل على خطام الجمل، قال علي: اعقـروا الجمل، فضربـه رجل، فسقـط، فبقيـت عائشة في هودجها إلى الليل، فأدخلها محمد بن أبي بكر أخوها إلى البصرة، أنزلها في دار عبدالله بن خلف.

وطـاف عليٌّ على القتلى من أصحـاب الجمـل، وصلَّى عليهم،

---

(١) في الأصل: «على».

ودفنهم، ولما رأى طلحةَ قتيلاً، قال: إنا لله وإنا إليـه راجعون، لقد كنتُ أكره أن أرى قريشاً صرعى.

ثم قُتل الزبير، وأتى قاتلُـه برأسـه إلى علي، فقال علي: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بَشِّرُوا قاتِلَ الزُّبيرِ بِالنَّارِ»(١).

ثم أمر علي عائشةَ بالرجوع إلى المدينة، وأن تقرَّ في بيتها، فسارت في مستهل رجب، وشيَّعها الناس، وجهَّزها عليٌّ بما احتاجت إليه، وسَيَّر معها أولادَه مسيرة يوم، وتوجَّهت إلى مكة، وأقامت للحج تلك السنة، ثم رجعت إلى المدينة.

وقيل: كانت عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف.

وسار علي إلى الكوفة، ونزلها، وانتظم لـه الأمرُ بالعراق، ومصر، واليمن، والحرمين، وخراسان، ولم يبق خارجاً عنـه إلا الشام، وفيـه معاوية، وأهلُ الشام مطيعون له، فأرسل إليهم جرير بن عبدالله البجلي؛ ليأخذ البيعة على معاوية، ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، وسار جرير إلى معاويـة، فماطله، وكـان عمرو بن العاص بفلسطين، فقدم عمرٌو على معاوية، واتفقا على قتال علي.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٤٢١)، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وروي عن علي موقوفاً بلفـظ: «واللهِ ليَدخُلَنَّ قاتلُ ابنِ صفيـةَ النارَ». رواه الطيالسي في «مسنده» (١٦٣)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٠٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨٩)، عن زر بن حبيش.

* **وقعة صِفِّين:**

ولما قدم عمرٌو على معاوية، واتفقا على حرب عليٍّ ـ كما ذكرناه ـ، قدم جريرُ بن عبدالله البجليُّ على عليٍّ، فأعلمه بذلك، فسار علي من الكوفة إلى جهة معاوية، وسار عمرو ومعاوية من دمشق بأهل الشام إلى جهة علي، وتأنى معاويةُ في مسيره، حتى اجتمعت الجموع بصفِّين، وخرجت سنة ست وثلاثين، والأمرُ على ذلك.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين: والجيشان بصفين، ومضى المحرَّم، ولم يكن بينهم قتال، بل مراسلات يطول ذكرُها، ولم ينتظم بها أمر، ولما دخل صفر، وقع بينهما القتال فيه، وكانت بينهم وقعات كثيرة، قيل: كانت تسعين وقعة، وكان مدة مقامهم بصفين مئةً وعشرة أيام.

وكان عدد القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر، وكان علي قد تقدم إلى أصحابه، أن لا تقاتلوهم حتى يبدؤوا هم بالقتال، وأن لا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم، وأن لا تكشفوا عورة.

وقاتل عمار بن ياسر ﷺ مع علي قتالاً عظيماً، وكان قد نيف عمره على تسعين سنة، ولم يزل يقاتل حتى استُشهد ﷺ، وفي الصحيح المتفق عليه: أن رسول الله ﷺ قال: «تقتلُ عَمَّاراً الفِئَةُ الباغِيَةُ»[1].

وبعد قتل عمار ﷺ انتدب عليٌّ اثني عشر ألفاً، وحمل بهم على

---

(1) رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٢٩١٥)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

عسكر معاوية، فلم يبق لأهل الشـام صفٌّ إلا انتقض، ثم تقاتلوا، وكانت ليلة الجمعة، واستمر القتال إلى الصبح، وروي أن عليًّا كَبَّر تلك الليلة أربعَ مئة تكبيرة، وكانت عادتـه أنه كلما قتل قتيلاً، كبّر، ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة.

ولما رأى عمرو ذلك، قال لمعاويـة: هَلُمَّ نرفع المصاحفَ على الرماح، ونقول: هذا كتاب الله بيننا وبينكم، ففعلوا ذلك، ولما رأى أهل العراق ذلك، قصدوا الإجابـة، فقال علي: امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم، ثم قال: ويحكم! والله! ما رفعوها إلا خديعـة ومكيدة، ثم وقع بين علي وقومه اختلاف في القول.

ولما كَفُّوا عن القتال، سألوا معاوية: لأيِّ شيء رفعت المصاحف؟ فقال: تبعثوا حكماً منكم، وحكماً منَّا، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فوقعت الإجابة من الفريقين إلى ذلك.

ووقع اختلاف في القول فيمن يكون حكماً، فاستقر الحال على أن يكون أبو موسى الأشعري من جهة علي، وأخرج معاويةُ عمرَو بنَ العاص ابنِ وائل، واجتمع الحكمان عند عليّ.

وكتبوا بحضوره: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى أميـر المؤمنين علي، فقال عمرو: هو أميرُكم، وأما أميرُنا، فلا، فقال الأحنف: لا تمسح اسمَ أمير المؤمنين، فقال الأشعث بن قيس: امحُ هذا الاسم، فأجاب عليٌّ، ومحـاه، وقال علي: الله أكبر مشبه بنبيـه، وإني ـ والله ـ لكاتبُ رسولِ الله يوم الحديبية، فكتب: محمد رسول الله، فقالوا: لستَ

برسول الله، ولكن اكتبِ اسمكَ واسم أبيك، فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه، فقلت: لا أستطيع، فقال: «فأرني»، فأريته، فمحاه بيده، فقال لي: «إِنَّكَ ستُدْعَى إلى مثِلها، فتُجيب»[1]، فقال عمرو: سبحان الله! أشبَهَنا بالكفار ونحن مؤمنون.

وكتب الكتاب، فمنه: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضَى عليٌّ على أهل الكوفة ومَنْ معهم، وقاضَى معاويةُ على أهل الشام ومَنْ معهم: أننا ننزل عند حكم الله وكتابه، ونحيي ما أحيا، ونميت ما أمات، فما وجد الحَكَمان في كتاب الله، وهما أبو موسى الأشعري عبدُالله بن قيس، وعمرو بن العاص، عَمِلا به، ومالم يجدا في كتاب الله، فبالسنَّة العادلة، وأخَذَ الحَكَمان من علي ومعاوية، ومن الجُنْدَين المواثيقَ: أنهما أمينان[2] على أنفسهما وأهلهما والأمة، فهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وأجَّلا القضاء إلى رمضان من هذه السنة، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك، أخراه، وكتب في يوم الأربعاء، لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، على أن يوافي علي ومعاوية، موضعَ الحكمين بِدُومة الجندل في رمضان، فإن لم يجتمعا لذلك، اجتمعا في العام المقبل بأَذْرُح[3].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٥٧٦) بلفظ: «أما إن لك مثلها، ستأتيها وأنت مضطر».

(٢) في الأصل: «أمضيا».

(٣) في الأصل: «بأدراج».

ثم سار علي إلى العراق، وقدم إلى الكوفة، ولم يدخل الخوارج معه، واعتزلوا عنه.

ثم في هذه السنة بعث عليٌّ للميعاد أربع مئـة رجل، فيهم أبو موسى الأشعري، وعبدالله بن عباس؛ ليصلي بالناس، ولم يحضر علي.

وبعث معاوية عمرَو بن العاص في أربع مئة رجل، ثم جاء معاوية، واجتمعوا بِأَذْرُح، وشهـد معهم عبـدالله بن عمـر، وعبدالله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة.

والتقى الحَكَمان، فدعا عمرٌو أبا موسى الأشعري أن يجعل الأمر إلى معاوية، فأبى، وقال: لم أكن لأُوَلِّيه، وأَدَعَ المهاجرين الأولين.

ودعـا أبو موسى عَمْراً إلى أن يجعل الأمر إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب، فأبى عمرو، ثم قال عمرو: ما ترى أنت؟ فقال: أرى أن نخلع علياً ومعاوية، ونجعل الأمرَ شورى بين المسلمين، فأظهر له عمرٌو أن هذا هو الرأي، ووافقه عليه، ثم أقبلا إلى الناس، وقد اجتمعوا، فقال أبو موسى: إنَّ رأْيَنا قد اتفق على أمر، نرجو به صلاح هذه الأمـة، فقال عمرو: صَدَق، تقدَّمْ فتكلم يا أبا موسى.

فلما تقدم، لحقه عبدالله بن عباس، وقال له: ويحك! والله! إني أظن أنه خدعك، إن كنتما قد اتفقتما على أمر، فقدِّمْه قبلَك، فأنا لا آمَنُ أن يخالفك، فقال أبو موسى: إنا قد اتفقنا، فحمِـدَ الله، وأثنى عليـه، وقال: يا أيها الناس! إنا لم نرَ أصلحَ لأمر هذه الأمـة من أمرٍ قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرٍو، وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة

الأمرَ، فيولوا منهم من أحبوا، وإني قد خلعتُ علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولُّوا عليكم مَنْ رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحى.

وأقبل عمرٌو، فقام مقامه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلعُ صاحبه كما خلعه، وأُثبتُ صاحبي، فإنه وليُّ عثمانَ، والطالبُ بدَمِه، وأحقُّ الناس بمقامه.

فقال له أبو موسى: ما لَكَ لا وَفَّقك اللهُ غدرتَ وفجرت؟!

وركب أبو موسى، ولحق بمكةَ حياءً من الناس، وانصرف عمرو وأهلُ الشام إلى معاوية، فسلَّموا عليه بالخلافة، ومن ذلك الوقت أخذ أمرُ عليٍّ في الضعف، وأمرُ معاوية في القوة.

ولما اعتزلت الخوارجُ علياً، دعاهم إلى الحق، فامتنعوا، وقتلوا كلَّ من أرسله إليهم، وكانوا أربعة آلاف، ووعظهم، ونهاهم عن القتال، فتفرقت منهم جماعة، وبقي مع عبدالله بن وهب جماعة على ضلالتهم، وقاتلوا، فقُتلوا عن آخرهم، ولم يُقتل من أصحاب عليٍّ سوى سبعة أنفس، أَوَّلُهم: يزيد بن نُويرة، وهو ممن شهد مع رسول الله ﷺ غزوة أحد.

ولما رجع علي إلى الكوفة، حض الناس على المسير إلى قتال معاوية، فتقاعدوا، وقالوا: نستريح، ونصلح عدتنا، فاحتاج علي لذلك أن يدخل الكوفة.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين: فيها جهز معاويةُ عمرَو بن العاص

بعسكر إلى مصرَ لقتال محمد بن أبي بكر الصديق، فقاتله، فهزمهم عمرو، وقُتِل محمدُ بن أبي بكر، وأُحرِق بالنار، ودخل عمرٌو إلى مصرَ، وبايع أهلَها لمعاويةَ، ولما بلغ عائشةَ قتلُ أخيها، جزعت عليه، وبقيت في دبر كل صلاة تدعو على معاويةَ وعمرِو بن العاص، وضمَّت عيالَ أخيها إليها، ولما بُلِّغ علي مَقْتَلَهُ، جزع عليه، وقال: عند الله نحتسبه.

ثم بعث معاوية سراياه بالغارات على أعمال علي، فتنهب الأموال، وترجع بها إليه، وتهزم الناس، وتتابعت الغارات على بلاد عليّ رضي الله عنه، وهو مع ذلك يخطب الناس الخطبَ البليغة، ويجتهد على الخروج إلى قتال معاوية، فيتقاعد عنه عسكره.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين والأمر كذلك.

ثم دخلت سنة أربعين: وعليٌّ بالعراق، ومعاويةُ بالشام، وله معها مصرُ، وكان عليٌّ يقنُت في الصلاة، ويدعو على معاوية، وعلى عمرو ابن العاص، وعلى الضحاك، وعلى الوليد بن عقبة، وعلى الأعور السلمي.

ومعاوية يقنت في الصلاة، ويدعو على علي، وعلى الحسن، وعلى الحسين، وعلى عبدالله بن جعفر.

وفي هذه السنة: سَيَّر معاويةُ بُسْرَ[1] بنَ أَرطاة في عسكر إلى الحجاز، فأتى المدينةَ، وبها أبو أيوبِ الأنصاريُّ عاملاً لعلي، فهرب،

---

(١) في الأصل: «بشر».

ولَحِقَ بعليٍّ، ودخل بُسْرٌ[1] المدينةَ، وسَفَكَ فيها الدماءَ، واستَكْرَهَ الناسَ على البيعة لمعاوية.

ثم سار إلى اليمن، فقتَل أُلُوفاً من الناس، فهرب منه عُبَيد[2] الله بن عباس عاملُ عليٍّ باليمن، فوجد لعُبيدالله ابنين صبيين، فذبحهما، وأتى في ذلك بعظيمة.

وقد وقع في هاتين الواقعتين ـ وهما: وقعة الجمل، ووقعة صفين ـ مشاجرات بين الصحابة، وأشياء لم نذكرها؛ مَسْكاً عن الخوض في ذلك؛ فإن المَسْك عن ذكر ذلك أولى.

وسئل عمر بن عبد العزيز ﵁ عن وقعة الجمل وصفين، وما كان فيهما، فقال: تلك دماء كَفَّ الله يديَّ عنها، وأنا أكره أن أغمسَ لساني فيها.

ولِعليٍّ في قتال الخوارج عجائبُ مشهورةٌ.

وفي سنة أربعين من الهجرة: اجتمع بمكة جماعة من الخوارج، فتذاكروا ما الناس فيه من الحرب والفتنة، فتعاهد ثلاثةٌ منهم على قتل: معاوية، وعلي بن أبي طالب، وعمرو بن العاص، واتفقوا على أن لا يرجع منهم أحد، إلى أن يقتل صاحبه، أو يُقتل، وهم: عبد الرحمن ابن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ، والبرك بن عبدالله التميمي، وعمرو بن

---

(١) في الأصل: «بشر».

(٢) في الأصل: «عبد».

بكير التميمي، فقال ابن ملجم: أنا أقتل علياً، وقال البرك: أنا لمعاوية، وقال عمرو: أنا لعمرو.

وتواعدوا أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من رمضان، وقيل: إحدى وعشرين، فخرج ابن مُلْجم، فلما وصل الكوفة، أتى قَطام ابنةَ عمِّه، وكان علي ﷺ قتل أباها وأخاها يوم النهر، وكانت أجمل أهل زمانها، فخطبها عبد الرحمن بن ملجم، فقالت: لا أتزوجك حتى تعطيني ما أسألك، قال: لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، قالت: ثلاثةُ آلاف، وعبدٌ، وقينةٌ، وقتلُ علي بن أبي طالب، فقال: ما سألتِ لك مهراً، إلا قتل علي، فلا تذكريه، فقالت: بلى، التمس غِرَّته، فإن أصبتَه، شفيت نفسي، ونفعك العيش معي، وإن هلكت، فما عند الله خيرٌ لك من الدنيا، فقال: قد أعطيتُك ما سألت، وخرج.

[وقال ابن جرير]:

فَلاَ مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ عَلاَ
وَلاَ فَتْكَ دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجِمِ

ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وضرب علي بالحسام المخدم

ثم أخذ سيفاً مسموماً، وجلس قبالة الباب الذي يخرج منه علي إلى المسجد، فلما خرج علي ﷺ لصلاة الصبح، فشد عليه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ، وضربه على قَرْنه بالسيف، فأوصله دماغه.

فقال علي ﷺ لما ضرب: لا يفوتنّكم الرجل، فشدَّ الناس على ابن ملجم، ورموه بالحجر، فضرب ساقه رجل من همدان، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه، فصرعه، وأقبل به إلى الحسن.

ثم دعا عليٌّ ﷺ الحسن والحسين، فأوصاهما بتقوى الله، وقول الحق.

فقال رجل من القوم: ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن أتركهم كما تركهم رسولُ الله ﷺ.

وبقي ﷺ الجمعة والسبت، ومات ليلة الأحد تاسع عشر رمضان، سنة أربعين، وكُفن في ثلاثة أثواب.

واختلف في موضع قبره، فقيل: دفن مما يلي قبلة المسجد بالكوفة، وقيل: عند قصر الإمارة، وقيل: حوّله ابنه الحسن إلى المدينة، ودفنه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة ﷺ.

والأصح، وهو الذي ارتضاه ابن الأثير وغيره: أن قبره هو المشهور بالنجف، وهو الذي يزار اليوم، وعمره ثلاث وستون سنة، ومدة خلافته أربع سنين، وتسعة أشهر.

ثم إن الحسن ﷺ صلى الفجر، وصعد المنبر، فأراد الكلام، فخنقته العَبْرة، ثم نطق، فحمد الله تعالى، واحتسب عند الله مصابه، ووعظ، ثم أطرق الحسن، فبكى الناس بكاء شديداً، ثم نزل الحسن، فجرد سيفه، ودعا بابن ملجم، ثم قام إليه فضربه بالسيف، فاتقاه ابن

ملجم بيده، ثم أسرع فيه السيف، فقتله.

وقيل: لما أراد الحسنُ قتلَ ابن ملجم، قال عبدالله بن جعفر: دعوني حتى أَشفي نفسي منه، فقطع يديه ورجليه، وأحمى مسماراً حتى صار كالجمرة، ثم أكحله به، ثم إن الناس أخذوه، فدرجوه في بواري، ثم طلوها بالنفط، وأشعلوها بالنار.

هذا ما كان من ابن ملجم.

وأما ما كان من البرك التميمي: فإنه ذهب إلى معاوية، فطعنه بخنجر في أليته، وهو قائم يصلي، فأُخذ، وأُوقف بين يديه، فقال له: ويلك! من أنت؟ وما خبرك؟ فقال له: لا تقتلني؛ فإنا ثلاثة تبايعنا على قتلك، وقتل علي، وعمرو بن العاص، فاحبسني عندك، فإن كانا قُتِلا، فخلِّ سبيلي، فأمر معاوية بقتله، فقُتِل في ذلك اليوم.

وأما عمرو بن بكير التميمي: فانطلق إلى عمرو بن العاص، فوجد خارجةَ بنَ حبيبةَ صاحبَ شرطته يصلي بالناس غداة ذلك اليوم، وتخلف عمرو عن الصلاة بالناس؛ لعارض عرض له، فظن أنه عمرو، فضربه بالسيف فقتله، فأُخذ، وأُوقف بين يدي عمرو، فسأله عن خبره، فقص عليه القصة، وأخبره أن علياً ومعاوية رضي الله عنهما قد قُتِلا في هذه الليلة، فأمر به، فقُتل في الحال، ولما قُدِّم للقتل، جزع، فقيل: أتجزع من الموت، وقد قدمت على هذا الفعل؟! فقال: لا ها والله، ولكن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية، ولا أفوز بقتل عمرو! فأمر عمرو بضرب عنقه وصلبه.

ولما مات علي رضي الله عنه، صلى عليه ابنه الحسن، وقيل: كان عنده

فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به.

* **ذكر صفاته** رضي الله عنه: كان شديد الأدمة، عظيم العينين، بَطيناً، أصلعَ، عظيمَ اللحية، كثير شعر الصدر، مائلاً إلى القِصَر، حسنَ الوجه، لا يُغير شيبته، كثير التبسم، وكان حاجبه قنبر مولاه، وصاحب شرطته نعثل بن قيسٍ الرباحي، وقاضيه شريحاً.

وأبناؤه من فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ: الحسن، والحسين، ومحسن، وزينب، وأم كلثوم.

ثم تزوج بعدها أُمَّ البنين بنتَ حزام الكلابية، فولِد له منها: العباس، وجعفر، وعبدالله، وعثمان، قُتِل هؤلاء الأربعة مع أخيهم الحسين.

وتزوج ليلى بنتَ مسعود بنِ خالد النهشلي التميمي، وولِد له منها: عبيدالله، وأبو بكر، قتلا مع الحسين أيضاً.

وتزوج أسماءَ بنتَ عميس، وولد له منها: محمد الأصغر، ويحيى.

وولد له من الصهباء بنتِ ربيعة الثعلبية: عمر، ورقية.

وتزوج أمامةَ بنتَ أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمُّها زينبُ بنت رسول الله ﷺ، وولد له منها: محمد الأوسط.

وولِد له من خولةَ بنتِ جعفر الحنفية: محمدٌ الأكبرُ المعروف بابن الحنفية.

وكان له بنات من أمهاتٍ شتى، منهن: أم حسن، ورملة الكبرى من أم سعدٍ بنتِ عروة.

ومن بناته: أم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة.

فجميعُ بنيه المذكورون أربعة عشر، لم يعقب منهم إلا خمسة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس، وعمر.

* **وأما فضائل علي ومناقبه كثيرة، منها**: مشاهدُه المشهورة بين يدي رسول الله ﷺ، وأُخُوَّةُ رسول الله ﷺ له، من سبق إسلامه، وقوله ـ عليه السلام ـ: «مَنْ كُنْتَ مَوْلاَهُ، فعليٌّ مَوْلاَهُ»[1]، وقوله: «أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ»، والقضاء يستدعي معرفة أبواب الفقه كلها؛ بخلاف قوله: «أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ، وَأَقْرَؤُكُمْ أُبَيٌّ»[2].

ودخل مرةً إلى بيت المال، فوجد الذهب والفضة، فقال: يا صفراء! اصْفَرِّي، ويا بيضاءُ! ابْيَضِّي، وغُرِّي غيري، لا حاجةَ لي فيكِ.

ومناقبه أكثرُ من أن تحصر، وأشهرُ من أن تذكر رضي الله عنه.

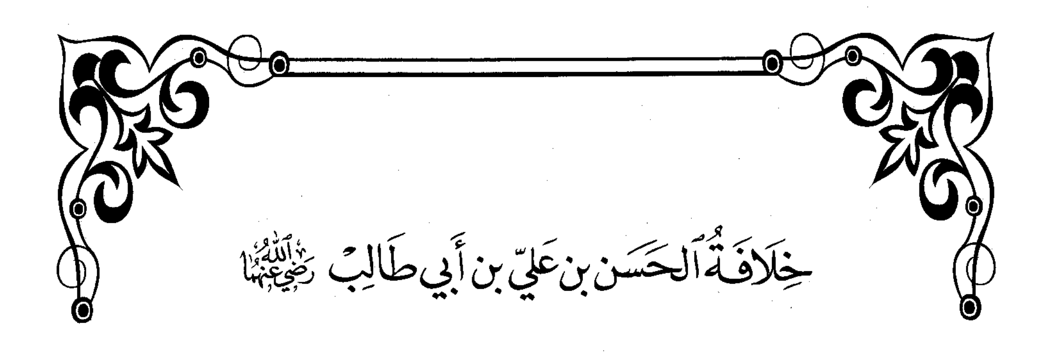
وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٧١٣)، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، وابن ماجه (١٢١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٤٥)، عن بُرَيدة بن الحصيب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٢٤٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

هو أبو محمد الحسنُ بنُ عليٍّ بنِ أبي طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ، القرشيُّ، الهاشميُّ، المدنيُّ، سبطُ رسول الله ﷺ وريحانتُه، وابن فاطمةَ الزهراء سيدةِ نساءِ العالمين.

وُلِد رضي الله عنه في نصف رمضان، سنة ثلاث من الهجرة، سماه النبي ﷺ: الحسن، وعَقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بِزِنته فضةً، وأرضعته أم الفضل امرأةُ العباس مع ابنها قُثَمَ.

بويع بالخلافة يوم مات أبوه، وكان أشبهَ الناس برسول الله ﷺ، وكان حليماً كريماً ورِعاً، دعاه ورعُه وحلمه إلى أن ترك الدنيا والخلافةَ لله تعالى.

ولي الخلافةَ بعد قتل أبيه رضي الله عنه، وبايعه أكثرُ من أربعين ألفاً، كانوا بايعوا أباه، وبقي نحو ستة أشهر خليفةً بالحجاز واليمن والعراق وخراسان، وغير ذلك.

ثم سار إليه معاوية من الشام، وسار هو إلى معاوية، فلما تقاربا، علم أنه لن تُغلب إحدى الطائفتين، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليمَ الأمر إليه، على أن تكون له الخلافةُ بعده، وعلى أن لا يطالب أحداً من

أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه، وغير ذلك من القواعد، فأجابه معاوية إلى ما طلب، واصطلحا على ذلك، وظهرت المعجزةُ النبوية في قوله ﷺ للحسن: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[1]، فسَلَّم الأمرَ إلى معاوية في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الهجرة.

وكانت مدة خلافته نحو ستة أشهر، ولما سَلَّم الأمرَ إلى معاوية، خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال:

أما بعد:

فإن أَكْيَسَ الكَيْسِ التُّقى، وأحمقَ الحمقِ الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاويةُ، إنما هو حقُّ امرئ كان أحقَّ به مني، وهو حقٌّ لي تركتُه لمعاوية، إرادةً لصلاح الأمة، وحَقْناً لدمائهم، وإن الله تعالى قد هداكم بأَوَّلِنا، وحقنَ دماءكم بآخرِنا، وإن هذا الأمر مدة، والدنيا دول.

وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[الأنبياء: ١١١].

وبخلافة الحَسَن بيانُ قوله ﷺ: «الخِلافَةُ بعدي ثلاثونَ سنةً»[2]؛

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٧)، عن أبي بكْرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٥٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢١)، عن سَفِينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ.

لأن أبا بكر رضي الله عنه تقلدها سنتين، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام، وعمر رضي الله عنه عشر سنين، وستة أشهر، وثمانية أيام، وعثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وعلي رضي الله عنه أربع سنين، وتسعة أشهر، والحسن رضي الله عنه نحو ستة أشهر، فذلك ثلاثون سنة.

روى سفينةُ: أن النبي ﷺ قال: «الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سنةً، ثم تعودُ مُلْكاً عَضوضاً»[1]، وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة؛ لأن ابتداء خلافة أبي بكر رضي الله عنه في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وانتهاء خلافة الحسن في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الهجرة.

وعاش الحسن بالمدينة إلى أن مات بها مسموماً، في شهر ربيع الأول، سنة تسع وأربعين، وله سبع وأربعون سنة.

وقيل: مات ليلة السبت لثمان خلون من المحرم سنة خمسين، وصلَّى عليه سعيدُ بن العاص، ودُفِن بالبقيع، وهو أكبر من الحسين بسنة.

وتزوج الحسن كثيراً من النساء، وكان مِطْلاقاً، وكان له خمسة عشر ولداً ذكراً، وثمان بنات، وكان يشبه جده رسولَ الله ﷺ من رأسه إلى سُرَّته، وكان الحسين يشبه رسول الله ﷺ من سرته إلى قدميه.

---

(١) تقدم تخريج الشطر الأول منه، وروى الشطر الثاني: الطيالسي في «مسنده» (٢٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨٧٣)، عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما.

ولما بلغ معاويةَ موتُ الحسن، خرَّ ساجداً، فقال بعض الشعراء:

أَصْبَحَ اليَوْمَ ابْنُ هِنْدٍ شَامِتاً
ظَاهِرَ النَّخْوَةِ إِذْ مَاتَ الحَسَنْ

يا بْنَ هِنْدٍ إِنْ تَذُقْ كَأْسَ الرَّدَى
تَكُ فِي الدَّهْرِ كَشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ

لَسْتَ بِالبَاقِي فَلا تَشْمَتْ بِهِ
كُلُّ حَيٍّ لِلمَنَايَا مُرْتَهَنْ

ومن فضائل الحسن: في الصحيح قول النبي ﷺ: «الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَبُوهُما خَيْرٌ مِنْهُمَا»(١).

وروي: أنه قال عن الحسن: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، سَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(٢).

وروي: أنه مرَّ بالحسن والحسين وهما يلعبان، فطأطأ لهما عنقَه، وحملهما، وقال: «نِعْمَ المَطِيَّةُ مَطِيَّتُهُمَا، وَنِعْمَ الرَّاكِبَانِ هُمَا»(٣).

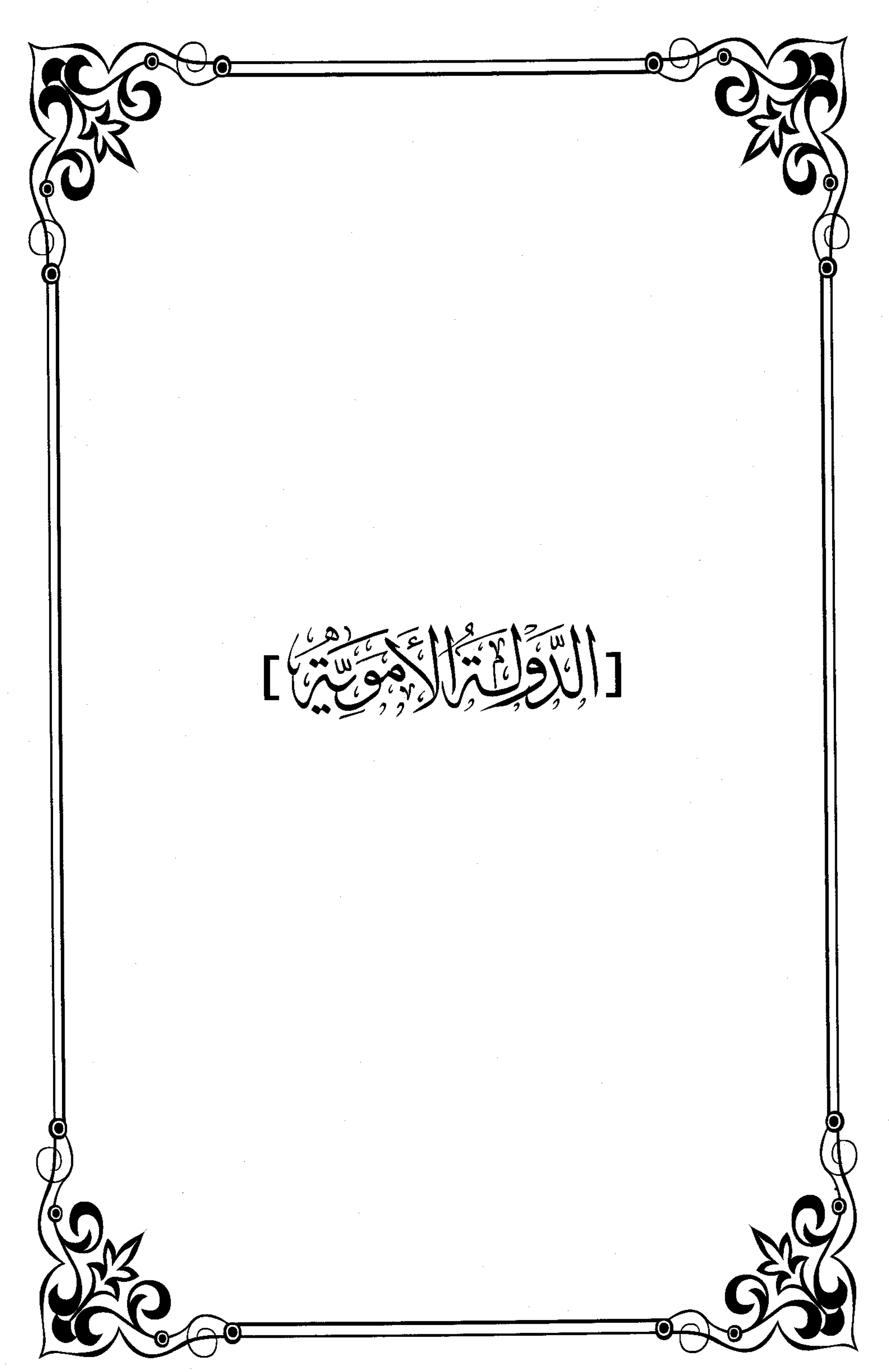
❒ ❒ ❒

---

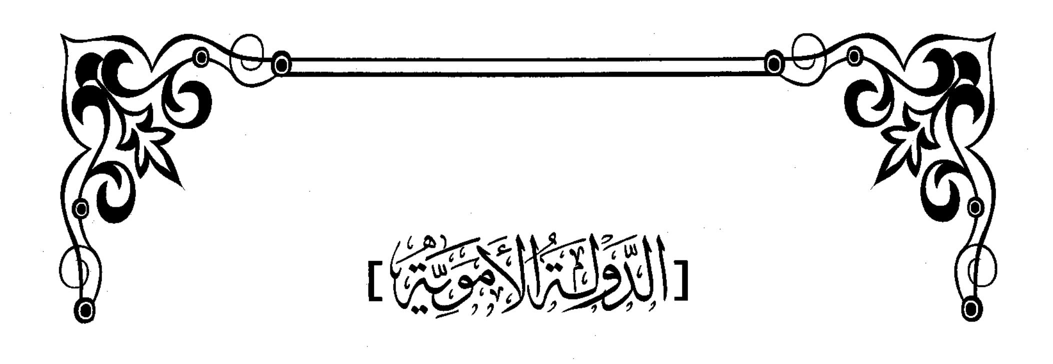
(١) رواه بهذا اللفظ ابن ماجه (١١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤٧٨٠)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٠٨)، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٧٧)، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.



[الدولة الأموية]



[الدولة الأموية]

خلفاء بني أمية

وهم أربعة عشر خليفة: أولهم: معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم: مروان الجعدي، وكان مدة ملكهم نيفاً وتسعين سنة، وهي ألف شهر تقريباً.

قال القاضي جمال الدين بن واصل ـ رحمه الله ـ: إن ابن الأثير قال في «تاريخه»: إنه لَمَّا سار الحسن من الكوفة، عرض له رجل، فقال: يا مسوِّدَ وجوهِ المؤمنين، فقال: لا تعذِلْني؛ فإن رسولَ الله ﷺ أُري في منامه: أن بني أمية يَنْزون على منبره رجلاً فرجلاً، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[الكوثر: ١]، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر: ١ ـ ٣]، يملكها بعد[ك] بنو أمية[1].

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٧٩٦).
وانظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٣/ ٢٧٤)، «والمختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (١/ ١٢٧).

ولم يكن على أحـد من خلفاء بني أمية لقب معروف، إلا أن بعض الرواة ذكر أنهم كانت لهم ألقاب، ونحن نذكر لقب كلٍّ واحد منهم، عند ابتداء ترجمته، كما نفعله في خلفاء بني العباس، وخلفاء الدولة العلوية الفاطمية؛ ليطلع على ذلك.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الناصر لدين الله معاوية بن أبي سفيان

هو أبو عبد الرحمن، معاويةُ بن أبي سفيانَ صخرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ ابنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ، يجتمع هـو والنبي ﷺ في عبد منافِ بنِ قصيٍّ، القرشيُّ، وأمُّه: هندُ بنتُ عتبةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شمس، يجتمع أبوه وأمه في عبدِ شمس.

أسلم هو، وأبوه أبو سفيان، وأخوه يزيد بن أبي سفيان، وأمـه هند في فتح مكة.

وكان معاوية يقول: إنه أسلم يومَ الحديبية، فكتم إسلامه من أبيه وأمه.

شهد مع رسول الله ﷺ حُنَيناً، وأعطاه من غنائم هوازن مئة بعير، وأربعين أوقية، وكان هو وأبوه من المؤلَّفة قلوبهم، ثم حَسُنَ إسلامُهما، وكان أحدَ الكُتَّاب لرسول الله ﷺ.

ولما بَعَث أبو بكر الجيوش إلى الشام، سار معاوية مع أخيه يزيد،

فلما مات يزيد، استخلفه على عمله بالشام، وهي دمشق، وأقره عمرُ ﷺ مكانَه، فأقام أميراً على الشام مدة خلافة عمر، ثم أَمَّره عثمان، وولي الخلافةَ بعد ذلك عشرين سنة.

بويع له البيعة التامة لما خلع الحسنُ نفسَه، وسلَّم الأمرَ إليه.

قال محمد بن سعد: بقي معاويةُ أميراً عشرين سنة، وخليفةً عشرين سنة - تقريباً -.

وقال الوليد بن مسلم: كانت خلافته تسع عشرة سنة ونصفاً.

وهو من الموصوفين بالدهاء والحِلْم، وهو أولُ من قامت له الرجال من الخلفاء، وأول من قِيْدت بين يديه الجنائب، وأول من اتخذ المقاصر في الجوامع، وأول ما عمر مقصورة جامع دمشق، وهو أول من أقام على رأسه حرساً، وأول من اتخذ الخصيان في الإسلام، وأول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة درجة، وأول من صنع المنبر في المسجد الحرام، وزاد في منبر سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن أراد نقله، فأتاه أبو هريرة وجابر، وقالا: ننشدك الله أن لا تفعل، فأجابهما، وهو أول من علق الستور، واتخذ الحرس وأرباب الشرط، واستخدم الحجاب، وركب الهماليج، ولبس الخز والوشي الخفيف، وعمل الطراز بمصر واليمن والرها والإسكندرية، واقتنى الضياع، واستكتب النصارى، وجلس على السرير والناسُ تحته، وأمر بهدايا النيروز.

وحج بالناس سنة أربع وأربعين، وسنة إحدى وخمسين، واستخلف في بقية خلافته من يحج، وكان يقول: أنا أول الملوك.

وكان معاوية كثير الحلم والعفو والكرم، وكان يجيز الحسن والحسين في كل سنة، لكل واحد ألف ألف درهم، وكذلك عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عباس، لكل واحد ألف ألف درهم.

ودخل عليه الحسن يوماً، وهو مضطجع على سريره، فسلم عليه، وأقعده تحت رجليه، وقال له: ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة تزعم أني لستُ أهلاً للخلافة؟ فقال الحسن: أوعجبٌ ما قالت؟ قال: كل العجب، قال: أعجبُ من هذا جلوسي عندَ رجليك، فاستحيا معاوية، واستوى جالساً.

ثم قال: أقسمتُ عليك أبا محمد إلاَّ أخبرتني كم عليك من الدَّين؟ قال: مئة ألف درهم، فقال: يا غلام! أعط أبا محمد ثلاث مئة ألف درهم: مئة ألف يقضي بها دينه، ومئة ألف يفرقها على مواليه، ومئة ألف يستعين بها على نوائبه، وأنجزها له الساعة، فأخذها الحسن، وانصرف.

فقال يزيد: يا أبت! ما رأيتُ كاليوم، استقبلَكَ بما تكره، وأعطيته هذا العطاء! فقال: يا بُني! وما نريد؟ إن الحق ـ واللهِ ـ لهم، وحقهم، فإذا أتوك، فأجزل لهم العطية.

وروي: أن معاوية حجَّ في سنة خمسين، وأمر بحمل منبر رسول الله ﷺ إلى الشام، فلما حُمل، كسفت الشمس، وظهرت النجوم بالنهار، فلما رأى ذلك، خاف، وجزع، وأمر بردِّه إلى موضعه، وزاد فيه ستَّ درجات.

وله أخبار كثيرة في السخاء والحلم.

وقدم عليه جماعة من الرجال والنساء في أيام خلافته، ممن استطال عليه قبل الخلافة، فيذكرهم بما وقع منهم، فيعتذرون إليه، فيعاملهم بالحلم، ويجزل لهم العطاء.

ولما أراد أن يبايع لابنه يزيد، أرسل إلى زياد يستشيره في ذلك، ويأمره بأخذ البيعة على أهل العراق، فكتب إليه زياد: كتبتَ إليَّ تأمرني أن أدعو أشراف الكوفة وأهل البصرة إلى بيعة يزيد بولاية العهد من بعدك، فما تقول الناس في يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغات، ويتجاهر بشرب الخمر، واتخاذ المعازف، وفي الناس الحسينُ بن علي بن أبي طالب، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر، وعبدُالله ابن عمر، وعبدُالله بن العباس، وعبدُالله بن الزبير، العابدون الزاهدون المتواضعون لله، الفقهاءُ في دين الله، ولكن إن تخلَّق يزيدُ بأخلاق هؤلاء القوم، يوشك أن يُمَوَّهَ أمرُه على الناس.

فغضب معاوية [وقال]: ويلي على ابن سمية، والله! لأَرُدَّنَّه إلى أبيه وأمِّه البغيِّ.

فتوفي زياد بالكوفة سنة ثلاث وخمسين.

ثم إن معاوية بعث لعبدالله بن عمر بمئة ألف درهم، وذكر له بيعة يزيد، فقال: أراد معاويةُ أن أبيع ديني، فهو إذن عندي رخيص، فامتنع من ذلك.

ثم كتب معاوية إلى عماله أن يوفدوا له الوفود من الأمصار، فحضر

إليه خلقٌ، فمنهم من أطاع، ومنهم من امتنع، ولم يزل معاوية يداري الأمر، حتى بايعه أكثرُ الناس بالعراق والشام، ثم سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة، لقيه الحسين بن علي، وابنُ الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر رضي الله عنهم، فلما نظروه، قالوا: لا مرحباً، ولا سهلاً، وأقبلوا معه، لا يلتفت إليهم، وخرجوا إلى مكة، وأقاموا بها، وخطب معاوية بالمدينة، فذكر يزيد، ومدحه، ثم دخل على عائشة، فوعظته، لما بلغها عنه من ذكر الحسين وأصحابه، وتهديدهم بالقتل.

ثم خرج إلى مكة، فلما قضى نسكه، وحمل أثقاله، وقرب مسيره، أحضرهم معاوية، وقال لهم: قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، ويزيدُ أخوكم، وابنُ عمكم، وقد أردتُ أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونون أنتم تعزلون، وتولون، وتَجْبُون المال، وتقسمونه، لا يعارضكم في شيء من ذلك، فسكتوا، فقال: ألا تجيبون؟ - مرتين -، فأجابوه بجواب لم يرضَه، قال: إني قد أحببت أن أخبركم أنه قد أحذر من أعذر[1]، إني كنت أخطب، فيقوم إلي القائم منكم، فيكذبني على رؤوس الأشهاد، فأحمل ذلك، وأصفح، وإني قائم بمقالة، وأُقسم بالله! لئن ردَّ عليَّ أحد منكم كلمةً في مثل هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها، حتى يسبقها السيف إلى رأسه.

ثم دعا بصاحب حرسه بحضرتهم، فقال له: أقم على رأس كلِّ

---

(١) في الأصل: «أحذر».

رجل من هؤلاء رجلين، مع كل واحد منهما سيف، فإن ذهب أحد منهم يردُّ عليَّ كلمة بتصديق أو تكذيب، فليضرباه بسيفيهما.

وخرجوا معه حتى رقا المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة الناس وخيارهم، لا يُقضى أمرٌ دونَهم، وإنهم قد رجعوا وبايعوا ليزيد، فبايِعوا على اسم الله، فبايع الناس، ثم ركب معاوية، وانصرف إلى المدينة، فلقي الناسُ أولئك النفرَ، فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون، فلما أُرضيتم وأُعطيتم، بايعتم، قالوا: والله! ما فعلنا، قالوا: فما منعكم أن تردُّوا على الرجل؟ قالوا: كادَنا، وخِفْنا القتل.

وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام، فأقام بها حتى حضره الموت.

وأنشد معاوية وقد تجلَّدَ للعائدين في مرضه:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ
أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَعُ

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

وكان يزيدُ عند موت أبيه غائباً بقرية حوارين من عمل حمص، وأحضر معاويةُ الضحَّاكَ، ومسلِمَ بنَ عقبة، وحَمَّلهما رسالةً لابنه يوصيه بالعدل والإحسان للرعية، خصوصاً الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وحذره من ابن الزبير.

ثم إنه أوصى أن يكفَّن في قميص كان رسولُ الله ﷺ كساه إياه، وأن يُجعل مما يلي جسدَه، وكان عنده قلامةُ أظفارِ رسول الله ﷺ، فأوصى أن تُسحق، وتُجعل في عينيه وفمه، وقال: افعلوا ذلك، وخَلُّوا بيني وبينَ أرحم الراحمين، ثم قضى نَحْبَهُ.

وكانت وفاته في النصف من رجب، **سنة ستين من الهجرة**، وعمره ثمان وسبعون سنة، وقيل: ستة وثمانون سنة، وقيل: غير ذلك، وصلى عليه الضحاك، ودُفن بمقبرة دمشق، وكان ابنه غائباً ـ كما تقدم ـ، فأرسلوا إليه البريد، فلم يدركه إلا وقد مات، فصلى على قبره.

وكان معاوية أبيضَ اللون، جميلاً، وروي: أنه قال: ما زلتُ أطمع بالخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ: «إِنْ وُلِّيتَ فَأَحْسِنْ»[1].

وروي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال لمعاوية: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً»[2].

وفي أيامه في **سنة ثلاث وأربعين** توفي عمرو بن العاص.

وفي **سنة أربع وأربعين** توفيت أم حبيبة بنتُ أبي سفيان زوجُ النبي ﷺ.

وفي **سنة خمسين** توفي دِحْية الكلبي المنسوبُ إلى كلب بن وبرة،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٣٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٦).

قال النبيّ ﷺ: «أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِجِبْرِيلَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ»[1].

وفي أيامه ـ أيضاً ـ توفيت عائشة رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين.

وتوفي أبو هريرة رضي الله عنه في سنة تسع وخمسين.

أولاده: يزيد، وعبد الرحمن، وعبدالله، وهند، ورملة، وصفية، وعائشة.

كاتبه: عبدُالله بن أوس.

قاضيه: فضَالةُ بن عبيد الأنصاري.

وطبيبه: زيدٌ مولاه، ثم صفوانُ مولاه.

نقشُ خاتمه: لكلِّ عملٍ ثواب، وقيل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله وحده.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة يزيدَ بنِ معاويةَ، ولقَّبَ نفسَه: المستنصر على أهل الزيغ

هو يزيدُ بنُ معاويـة بن أبي سفيانَ بنِ حربٍ، مولده في سنة خمس

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢٥٠)، عن ابن شهاب الزهري مرسلاً. وروى مسلمٌ نحوه (١٦٧) مرفوعاً عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

وعشرين، وأمه ميسونُ بنتُ بَحْدَلٍ الكلبيةُ، أقام يزيدُ معها في البادية، وتعلم الفصاحة ونظم الشعر هناك في بادية بني كلب، وكان سبب إرساله مع أمه هناك: أن معاوية سمع ميسون تنشد هذه الأبيات، وهي:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ
وَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأَرْيَاحُ فِيهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيفِ
وَبَكْرٌ يَتْبَعُ الأَظْعَانَ صَعْبٌ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلٍ زَفُوفِ
وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الأَضْيَافَ دُونِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هِرٍّ أَلُوفِ
وَخِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ[1]
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجٍ عَلِيفِ

فقال معاوية: ما رضيتِ يا ابنةَ بحدل، حتى جعلْتِني علجاً عليفاً؟! الحقي بأهلك، فمضت إلى بادية كلب، ويزيدُ معها.

بويع له بعد وفاة والده بيعة الولاية، وقد كان عقد له ولاية العهد

(١) في الأصل: «ثقيف».

ـ كما تقدم ـ، ولما أفضى الأمر إليه، دخل منزله، فلم يظهر للناس ثلاثة أيام، فاجتمع ببابه أشراف العرب، ووفود البلدان، ليعزوه بأبيه، ويهنوه بالخلافة، فلما كان اليوم الرابع، خرج وهو أشعثُ أغبرُ، وصَعِدَ المنبرَ، فحمِدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن معاوية كان حبلاً من حبال الله، أمدَّه الله ما شاء أن يمدَّه، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دونَ مَنْ قبله، وخيراً ممن بعده، إن يغفر الله له، فهو أهلُه، وإن يعذبه، فبذنبه، وقد وليت الأمرَ بعده، وإذا أراد الله شيئاً، كان، فاذكروا الله، واستغفروه، ثم نزل، ودخل منزله، وأذن للناس، فدخلوا عليه، وقاموا يعزونه ويهنئونه بالخلافة، وأمر لكلِّ واحد بمال على قدره.

ودخل عليه عبدُ الملك بن مروان يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين! أُرَيضةٌ لك إلى جانب أرض لي، ولي فيها سَعَة، فأَقطعنيها، قال: يا عبد الملك! إنه لا يتعاظمني كبير، ولا أُخْدَع عن صغير، أخبرني عنها، وإلا سألتُ غيرك، قال: يا أمير المؤمنين! ما بالحجاز مالٌ[1] أعظمُ منه قدراً، قال: قد أقطعتك ذلك، فشكره عبد الملك، ودعا له، فلما ولَّى، قال يزيد: الناس يزعمون أن هذا خليفة، فإن صدقوا، فقد صانعناه، وإن كذبوا، فقد وصلناه.

وكان يزيد صاحبَ طُرُد وجوارح، وكلاب وقرود، تنادمه على الشراب، وفي أيامه استُعملت الملاهي، وظهر شربُ الشراب والسماع.

---

(١) في الأصل: «مالاً».

وكان له قرد يسمَّى: أبا[1] القيس، وكان يُحضِرُه مجلسَ منادمته، ويطرح له مُتَّكأً، وكان إذا رآه، قال: شيخ من بني إسرائيل، مسخه الله قرداً، وربما وثب القرد، فقعد على عاتقه، وربما غبَّ معه في كأسه.

وربما اجتمع الناس لركوب يزيد، فيقول: قد بدا لي في الركوب، ولكن يركب أبو قيس، فيركب القرد، ويمر على أهل الشام، فيومئ لهم بالسلام، كما يفعل يزيد.

ويزيدٌ أولُ من جمع الشراب والغناء، وكان يُنْبَذُ له من عسل الطائف، وزبيبها، ويفتق له بالمسك، وكان يلعب بالكلاب، ويلبس المصبَّغات، ويتجاهر بشرب الخمر.

وروي: أن أباه أنكر عليه شربَ الخمر، فأنشد:

أَمِنْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ كَرْمٍ شَرِبْتُهَا
غَضِبْتَ عَلَيَّ الآن طَابَ لِيَ السُّكْرُ

سَأَشْرَبُ فَاغْضَبْ لاَ رَضِيتَ كِلاَهُمَا
حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي عُقُوقُكَ وَالخَمْرُ

ولما مات القرد، كفَّنه ودفنه، وأمر أهل الشام، فدخلوا عليه وعزَّوه فيه.

وذُكِر في قُبح سيرة يزيد وذمِّها، ما اتفق في أيامه من قتل الحسين

---

(١) في الأصل: «أبو».

ابن علي رضي الله عنهما، وقَتْلِ من صَحِبَهُ مِنْ أهلِهِ، وسَبْيِ حَرِيمِـهِ، وحَمْلِ رَأْسِهِ الكريمةِ على العُود، والطوافِ بها، ووضعِها بين يديه.

وسببُ قتل الحسين رضي الله عنه: أنـه لما مات معاوية رضي الله عنه، أرسل أهلُ الكوفة إلى الحسين رضي الله عنه: إنّـا قد حَبَسْنا أنفسَنا على بيعتك، ونحن نموتُ دونَك، ولسنا نحضُر جمعةً ولا جماعةً بسببك.

وطولب الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة، فسام التأخر، وخرج يتمادى بين مواليه، ولحق بمكة، وأرسل بابن عمه مسلمِ بنِ عقيل، وقال: سـر إلى أهل الكوفة، فإن كان حقاً ما كتبوا به، فأرسل عَرِّفني حتى ألحقَ بك.

فخرج مسلم من مكـة في النصـف من شهر رمضـان، حتى قـدم المدينة، فودع القبر الشريف، وقدم الكوفـة لخمس خلون من شوال، فلما شاع قدومه، بايعه من أهل الكوفـة اثنا عشر ألفاً، وقيل: ثمانية عشر ألف رجل، فكتب مسلم بن عقيل بالخبر إلى الحسين، وسأله القـدوم، فلما هم الحسين بالخروج إلى العراق، أتاه ابن عباس، ونصحه، وأمره بعدم الخروج، فلم يقبل.

واتصل الخبر بيزيد بن معاوية، فكتب إلى عبيدالله بن زياد بولاية الكوفة، فخرج ابن زياد من البصرة مسرعاً، حتى قدم الكوفة، فدخلها في أهله وحشمه، وظفر بمسلم، فضرب عنقه، وأمر بجثته، فصُلبت، وحُملت رأسـه إلى دمشق، وهو أول قتيل صُلبت جثته من بني هاشم، وأولُ رأس حُمل من رؤوسهم إلى دمشق.

ولما وصل الحسين ﷺ إلى القادسية، أُخبر بقتل مسلم بن عقيل، فهمّ بالرجوع، فلم يطعه إخوة مسلم، وقالوا: والله! لا نرجع حتى نصيب بثأرنا، أو نُقتل كلُّنا، فقال الحسين ﷺ: لا خير في الحياة بعدَكم، ثم سار حتى لقي خيل عبيدالله بن زياد، وقد غدا إلى كربلاء، ومعه خمس مئة فارس من أهل بيته، ونحو مئة رجل، فلما كثرت العساكر على الحسين، أيقن أنه لا[1] محيص له، فقال: اللهمَّ احكمْ بيننا وبين قومٍ دَعَونا لينصرونا، ثم هم يقتلوننا، اللهمَّ اشهدْ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل ﷺ، وقاتل قاتِلَه، وكان متولي قتله رجل من مذحج، فاحتز رأسَه الكريمة، وانطلق بها إلى عبيدالله بن زياد، وهو يقول:

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبَا
أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمّاً وَأَبَاً
وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسبُونَ النَّسَبَا

وأتى ذلك الرجلُ البائس بالرأس الكريمة إلى داره، فوضعها، وأكفأ عليها إناء، ونام في فراشه، فقالت له زوجته: ما الذي أتيتَ به؟ قال: أتيتك بعزِّ الأبد، وفخر الدهر، أتيتُك برأس الحسين بن علي، فقالت له: حسبُك الله! لقد خسرتَ الدنيا والآخرة، تأتي الناسُ بالذهب

(١) في الأصل: «لما».

والفضـة، وتأتيني برأس ابنِ بنـتِ رسـول الله ﷺ؟! لا جمعـتْ رأسـي ورأسَك مخدةٌ أبداً.

وبعث ابن زياد بالرأس الكريمة إلى يزيـدَ بن معاويـة، مـع ذلـك الرجل المذحجي، فدخل على يزيد، وعنده أبو بريرة الأسلميُّ، فوضع الرأسَ الشريفةَ بين يديـه، فجعل يزيدُ ينكث ثنايا الحسين ﷺ بقضيب كان في يده، ويقول:

نُفَلِّــقُ هَامــاً مِــنْ رِجَــالٍ أَعِــزَّةٍ
عَلَيْنَــا وَهُــمْ كَــانُوا أَعَــقَّ وَأَظْلَمَــا

فقال له أبو بريرة: ارفـعْ قضيبك، فوالله! لربما رأيتُ فا رسولِ الله ﷺ على فيه وهو يقبِّله.

وفي رواية: أنه قال له: ثكلتك أمُّك يا يزيـدُ! أتنكثُ ثنايـا طالما قَبَّلها رسولُ الله ﷺ؟!

وروي: أن الفاعل لذلك عبيدالله بن زياد لما جاء إليه رأس الحسين، جعل يقرع فم الحسين بقضيب في يده، فقال لـه زيـدُ بنُ أرقم: ارفعْ هذا القضيبَ، فوالذي لا إله غيرُه! لقد رأيتُ شفتَي رسولِ الله ﷺ على هاتين الشفتين، ثم بكى.

وبعث ابن زياد بالرأس، وبالنساء والأطفال إلى يزيد بن معاوية، فوضع يزيد رأس الحسين بين يديـه، واستحضر النساء والأطفال، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم، وأن يبعث أميناً معهم يوصلهم

إلى المدينة، فجهزهم إلى المدينة.

وقُتل الحسين ﷺ يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين بكربلاء، وقُتل معه جماعـة من إخوته وأولاده، وأولاد أخيه الحسن، وأولاد أعمامه: عقيل، وجعفر.

ومات الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة، ووُجد به حين قُتل ثلاثة وثلاثون طعنة، وقُتل معه من الأنصار أربعة.

واختُلف في موضع رأس الحسين، فقيل: جهز إلى المدينة، ودفن عند أمه.

وقيل: دفن عند باب الفراديس.

وقيل: إن خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأساً إلى القاهرة، ودفنوه بها، وبنوا له مشهداً معروفاً بمشهد الحسين.

ولما اشتُهر جورُ يزيدَ وظلمُـه، وقتلُ آل الرسول، والتجاهرُ بشرب الخمور، اجتمع أهل المدينـة على إخراج عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وسائر بني أمية، بإشارة ابن الزبير، فلما بلغ ذلك يزيد، سيَّر الجيوشَ إلى أهل المدينة من الشام، وعليهم مسلم بن عقبة المزني، فانتهبَ المدينةَ، وقتـل أهلَها، فبايعوه أنهم عبيدٌ ليزيد، وسمى المدينة: تَلْبَة، وقد سماها رسول الله ﷺ: طَيْبـة، فسُمِّي مسلمُ هذا: مجرم، وكانت وقعة عظيمة في الموضع المعروف بالحرّة، قُتل فيها خلائقُ من بني هاشم والأنصار وغيرِهم، وبضع وسبعون رجلاً من

سائر قريش، ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس.

ثم بايع مسلمٌ الناسَ على أنهم عبيـدٌ ليزيد ـ كما تقدم ـ، فمن لم يبايـعْ، أَمَرَ فيه بالسيف، غيـر علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب.

ثم خرج مسلم عن المدينة يريد مكة في جيوش أهل الشام، وانتهى الجيش إلى قديد، فمات مسلم بن عقبة هناك، فاستخلف على الجيش الحصين بن نمير، فسار الحصين بالجيش، فأتى مكـة، لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين.

*** ذكر حصار عبدالله بن الزبير:**

ولما قدم الحصين مكـة، حاصر عبدالله بن الزبيـر أربعين يومـاً، وعاذ ابنُ الزبيـر بالبيـت الحرام، وقـد سمَّى نفسَه بالعائـذ بالله، واشتُهر بهذا الاسم، ونصب الحصينُ المناجيق والعـرادات على مكـة والمسجد الحرام من الجبال والفجاج، وابنُ الزبير في المسجد، فتواترت أحجار المنجنيق والعـرادات على البيت، ورُمي مـع الأحجـار بالنار والنفط، ومشاق الكتان، وغير ذلك، وانهدمت الكعبة، واحترقت، ووقعت صاعقة، فأحرقت من أصحاب المناجيق أحدَ عشر رجلاً، وذلك في يوم السبت، لثلاث خلون من ربيع الأول من هذه السنة، قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوماً.

وقد اشتد الأمر على أهل مكـةَ وابنِ الزبيـر، ولمـا علم الحصينُ بموت يزيد، قال لعبدالله بن الزبير: من الرأي أن تدع دمـاء القتلى بيننا وبينكم، وأقبِـلْ لأبايعك، واقـدم إلى الشام، فامتنـع عبدالله بن الزبير من

ذلك، فارتحل الحصين راجعاً إلى الشـام، ثم ندم ابن الزبير على عدم الموافقة، وسار مع الحصين مَنْ كان بالمدينة من بني أمية، وقدموا الشام.

وليزيد أخبار عجيبة، وسير ذميمة، وكانت وفاته بحوارين من عمل حمص، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، سنة أربع وستين، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكانت مدة خلافتـه ثلاث سنين، وثمانية أشهر، وكان آدَمَ، جعداً، أحور العين، بوجهـه آثارُ جُدَرِي، حسنَ اللحية خفيفَها، طويلاً، وخلّف عدة بنين وبنات، والله أعلم.

* * *

خلافة الراجعِ إلى الله معاوية بنِ يزيدَ بنِ معاوية رضي الله عنه

هو أبـو ليلى، معاويـةُ بنُ يزيدَ بنِ معاويـةَ بنِ أبي سفيان، وهـذه الكنية للمستضعف من العرب، أمـه أمُّ هاشم، وقيل: أم خالد بنت أبي هاشم.

وكان رضي الله عنه آدمَ اللون كما نقل [. . . .][1]، ربعة، نحيفاً، استخلفه أبوه عند وفاته في رابع عشر ربيع الأول، **سنة أربع وستين**، وعمره إحدى وعشرون سنة، ولما ولي، أقام شهرين والياً، وهو محجوب لا يُرى.

ثم خرج بعد ذلك، فحمـد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنْ كانت الخلافة لمعاوية وعقبه وأهلـه، فلقد نالوا منها سَعَةً ودنيا فيما تقدم، وإن كانت لآل علي بن أبي طالب، فلقد كفى بآل معاويـة تباراً،

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

والله! لا تقلَّدْتُ أمراً بين اثنين أبداً، ثم لم يلبث أن مات بعد أيام ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

ولما حضرته الوفاة، اجتمع إليه مواليه، فقيل: اعهدْ إلى من رأيت من أهل بيتك، فجمع الناس، وقال: قد ضعفتُ عن أمركم، ولم أجد مثلَ عمرَ بنِ الخطاب لأستخلفه، ولا مثل أهل الشورى، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا مَنْ أحببتم.

وقال: والله! ماذقت حلاوة خلافتكم، فكيف أتقلد وِزْرَها؟ اللهمَّ إني بريء منها، مُتخلٍّ عنها، ثم دخل منزله، وتغيَّب فيه حتى مات ـ رحمه الله ـ، ودُفِن بدمشق إلى جانب أبيه، وصلَّى عليه الوليدُ بن عتبةَ ابنِ أبي سفيان ليكون الأمر له من بعده، فلما كبر الثانيةَ، طُعِن، فسقط ميتاً قبل تمام الصلاة، وزال الأمر عن بني حرب، فلم يكن فيهم من يرومها، وصلَّى عليه مروان بن الحكم.

ولم يكن لمعاوية هذا عَقِبٌ، وكانت خلافته ثلاثة أشهر، وقيل: أربعين يوماً، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة عائذ بيت الله عبدالله بن الزبير

لما مات يزيد بن معاوية، بايع الناسُ بمكة عبدَالله بن الزبير، وكان مروان بن الحكم بالمدينة، فقصد المسيرَ إلى عبدالله بن الزبير ومبايعتَه،

ثم توجه مع من توجَّه من بني أمية إلى الشام.

وقيل: إن ابن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن لا يترك بها من بني أمية أحداً.

ولو سار ابن الزبير مع الحصين إلى الشام، أو صانعَ بني أميةَ ومروانَ، لاستقرّ أمره، ولكن لا مردّ لما قدّره الله تعالى.

ولما بويع عبدُالله بن الزبير بمكة، وكان عبيدالله بن زياد بالبصرة، فهرب إلى الشام، وبايع أهلُ البصرة ابنَ الزبير، واجتمعت له العراقُ والحجاز واليمن، وبَعَث إلى مصر، فبايعه أهلُها، وبايع له في الشام سراً الضحّاكُ بن قيس، وبايع له بحمص النعمانُ بن بشير الأنصاريُّ، وبايع له بقنسرين زُفَرُ بن الحارث الكلابي، وكاد يتمُّ له الأمر بالكلِّية.

وكان عبدالله بن الزبير شجاعاً، كثير العبادة، وكان به البخل، وضعفُ الرأي.

ثم أرسل ابن الزبير المختارَ بن عُبيد إلى الكوفة؛ ليستخرج له من أهلها جنداً، فنزل ناحية منها، وانضاف إليه جماعةٌ من أهلها، وابتنى لنفسه داراً، واتخذ بستاناً، أنفق عليه أموالاً عظيمة، أخرجها من بيت مال المسلمين، وفرّق الأموال على الناس تفرقة واسعة، وكتب إلى ابن الزبير أن يعتد له بما أنفق من بيت المال، فأبى ابن الزبير ذلك عليه، فخلع المختارُ طاعتَه، وجحد بيعتَه، وكتب إلى عليٍّ بن الحسين يعرفه أنه يبايعه، ويبايع له الناس، ويظهر دعوته، فأبى عليُّ بن الحسين قبولَ ذلك.

فكتب المختار إلى محمد بن الحنفية في ذلك، فاستشار ابنَ عباس، فقال: لا تفعل، فأطاعه.

واشتد أمرُ المختار بالكوفة، واتبع قتلَةَ الحسين، فقتلهم، وقتل شِمْرَ بنَ ذي جَوْشَن الذي تولى قتلَ الحسين، ثم قتل عمرَ بنَ سعدِ بنِ أبي وقاص صاحبَ الجيش الذين[1] قتلوا الحسين، وهو الذي أمر أن يُداس صدرُ الحسين وظهرُه بالخيل، ثم أرسل الجنود لقتال عبيدالله بن زياد، وكان قد استولى على الموصل، وقدم على الجيش إبراهيم بن الأشتر النخعي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهُزمت أصحاب ابن زياد، وقُتل عبيدالله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر في المعركة، وأخذ رأسه، وأحرق جثته، وانتقم الله للحسين بالمختار، وإنْ لم تكن نيةُ المختار جميلة، فمال أهل الكوفة إلى المختار، وأحبوه.

وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة ـ شرفها الله ـ، وكان ذلك في سنة أربع وستين، وكانت حيطانها قد مالت من ضرب المنجنيق، فهدمها، وحفر أساسها، وشهد عنده سبعون من شيوخ قريش: أن قريشاً حين بنت الكعبة، عجزت نفقتهم، فنقصوا من سعة البيت سبعةَ أذرع من أساس إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ الذي أسّسه هو وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ، فبناه عبدالله بن الزبير، وزاد فيه السبعة أذرع، وأدخل الحِجْر فيها، وأعادها على ما كانت عليه أولاً، وجعل لها بابين: باباً يُدخل منه،

---

(١) في الأصل: «الذي».

وباباً يخرج منه .

فلم يزل البيت على ذلك حتى قَتَلَ الحجاجُ ابنَ الزبير، وبعث إلى عبد الملك بن مروان يُعْلِمُه بما زاد ابن الزبير، فأمر عبدُ الملك بهدمه وردِّه إلى ما كان عليه في حياة رسول الله ﷺ، ويجعل له باباً واحداً، ففعل الحجاج ذلك.

ويأتي ذكرُ مقتل ابن الزبير، وما فعله الحجاج في البيت الحرام في ترجمة عبد الملك بن مروان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وخلاصة الأمر: أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة، ـ وهي بيت الله الحرام ـ كما تقدم ذكره، وذكرُ ولدِه سيدنا إسماعيل ـ عليه السلام ـ بعدَ مضيٍّ مئة سنة من عمر إبراهيم، واستمر بناؤه نحو ألفي سنة، وسبع مئة سنة، وخمسة وسبعين سنة، إلى أن هدمته قريش في سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله ﷺ، وبنوه ـ كما تقدم في السيرة الشريفة ـ، وهو **البناء الثاني**، واستمر نحو اثنتين وثمانين سنة، ثم هدمه الحُصَين، وأحرقه في أيام يزيد بن معاوية ـ كما تقدم في ترجمة يزيد ـ، وذلك في سنة أربع وستين من الهجرة، ثم بناه عبدالله بن الزبير على قواعد إبراهيم، وهذا **البناء الثالث**، واستمر نحو تسع سنين، ثم هدمه الحجاج، وقتلَ ابنَ الزبير في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، ثم بناه الحجاج على ما كان عليه في حياة رسول الله ﷺ، وهو **البناء الرابع**، واستمر على ما هو عليه إلى هذا التاريخ، وهو أواخر سنة ست وتسعين وثمان مئة.

وكانت الكعبـة تُكسى القَباطِيَّ، ثم كُسيت البُرودَ، وأولَ من كساها الديباجَ: الحجاجُ بن يوسف.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

خلافة المؤتمن بالله مروان بن الحكم

هو أبو عبد الملك مروانُ بنُ الحكمِ بنِ أبي العاصِ بنِ أميـةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ منافٍ، وأمُّه آمنةُ بنتُ علقمةَ بنِ صفوانَ الكنانيةُ، ومولده سنة اثنتين من الهجرة، وأسلم أبوه الحكم عام الفتح، ونفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف، ولما توفي رسول الله ﷺ، كلّم عثمانُ أبا بكر في ردِّه؛ لأنه عمه، فلم يفعل، وكذلك سأل عمرَ، فلم يفعل، فلما ولي عثمان، ردَّه، وقال: إن رسول الله ﷺ وعدني أن يردَّه.

وتوفي الحكمُ في خلافة عثمان بن عفان.

وكان مروان قصيراً دميماً، كثير السفه في اللفظ.

بويع له في خلافة ابن الزبير بعد أن افترق الناس فرقتين: فريقاً يهوى بني أمية، وفريقاً يهوى ابن الزبير، ووقع بينهم خلاف، وجرى بينهم وقائع وحروب، ثم استقر أمر الشام إلى مروان، ودخلت مصر في طاعته في سنة خمس وستين.

أمـر مروانُ الناس بالبيعـة لابنـه عبـد الملـك، ومن بعـده لأخيه

عبد العزيز، وفي هذه السنة مات مروان بدمشق بالطاعـون، وكانت وفاته فجأة لثلاث خلون من رمضان، سنة خمس وستين، وقيل: إن زوجتـه خنقته، وقيل: إنها سمَّته.

وكانت مدة ولايته تسعة أشهر، وثمانية عشر يوماً، وعمره ثلاث وستون سنة.

أولاده: أبو الوليد عبـدُ الملك، وعبد العزيز، ومحمد، ومعاوية، وعبيدالله، وعبدالله، وداود، وعبد الرحمن، وعمر، وبشر.

كاتبه: سفيان الأحول.

وقاضيه: أبو إدريس الخولاني.

وحاجبه: أبو سهيل مولاه.

نقش خاتمه: بالله ثقتي ورجائي.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

خلافة الموفق لأمر الله عبد الملك بن مروان

هو أبو الوليد، عبدُ الملك بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ بنِ عبدِ منافٍ، وأمُّه عائشةُ بنت معاويـةَ بنِ المغيرةِ بنِ أبي العاص.

ولد سنة ست وعشرين من الهجرة في خلافـة عثمان رضي الله عنه، وكان

رجلاً رَبْعاً، أبيض، ليس بالنحيف، وهو أول من سُمي عبد الملك في الإسلام، وكان أَفْوَهَ، مفتوحَ الفم، مشبك الأسنان بالذهب، وكان يكنى: رشح الحَجَر؛ لبخله، وأبو الذباب؛ لبَخره.

بويع له في ثالث شهر رمضان، سنة خمس وستين، ووعد الناس يوم بويع خيراً، ودعاهم إلى إحياء الكتاب والسنة، وإقامة العدل.

وكان قبل ولايته مشهوراً بالعلم والصدق والدين، فلما تولى الخلافة، استهوته الدنيا، فتغير عن ذلك.

وكان يحب الفخر والمدح، فكثرت في أيامه الشعراء، وكان من فحول شعرائه: جرير، والفرزدق، والأخطل.

*** ذكر شيء مما اتفق في أيامه:**

لما استقر في الخلافة، ودخلت سنة ست وستين، فيها ابتدأ عبد الملك ببناء القبة على الصخرة الشريفة، وعمارة المسجد الأقصى، فكملت العمارة سنة ثلاث وسبعين، وذلك لأن عبد الملك منع الناسَ من الحج؛ لئلا يميلوا مع ابن الزبير، فضجُّوا، فبعث رجاءَ بنَ حيوةَ، ويزيدَ بنَ سلام بأموال جزيلة إلى بيت المقدس، فبُنيت القبة، وفُرشت بالرخام الملون وغيرِه من البُسط الملونة، وعمل فيه صورة الصراط، وباب الجنة، وقَدَمَ الرسول، ووادي جهنم؛ ليشتغل الناس بذلك عن الحج، فكان ابن الزبير يشنِّع على عبد الملك بذلك، ويأتي ذكر ذلك في ترجمة أبي المقدام رجاء بن حيوة بن جرول الكندي في حرف الراء ـ إن شاء الله تعالى ـ.

*** ذكر غير ذلك :**

قد تقدم ـ في خلافة ابن الزبير ـ تتبعُ المختار بن عبيد لقتلَةِ الحسين، وقتلهم، وقتل عُبيدالله بن زياد، ثم إن المختار أقام بالعراق إلى سنة سبع وستين فبعث إليه ابن الزبير أخاه مصعباً فقتل المختار وملك العراق إلى سنة إحدى وسبعين، فجهز عبدُ الملك الجيوش لمحاربة مصعبِ ابن الزبير، فتلاقوا بدير الجاثليق، فقُتِل مصعب، وحُملت رأسه إلى عبد الملك، وقَتل عبدُ الملك عمرَو بنَ سعيدِ بنِ العاصِ الأشدقَ.

وبعث عبدُ الملك الحجاجَ بنَ يوسفَ إلى حرب عبدالله بن الزبير بمكة، فأتى الحجاجُ الطائفَ، فأقام بها شهوراً، ثم زحف إلى مكة، فحاصر ابنَ الزبير في هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين، ودام الحصار حتى غلت الأسعار، وأصاب الناسَ مجاعةٌ.

وزاد الحَجاجُ في الحصار والقتال، ورمى الكعبةَ بالمنجنيق، فلما رمى به، أرعدت السماء وأبرقَتْ، فخاف أهل الشام من ذلك، فصاح الحَجاج بالناس: إن هذه صواعقُ تهامة، وأنا ابنها، وقام فرمى بنفسه، فزاد ذلك، حتى إن قعقعة البرق تزيد على حس الحجارة، وجاءت صاعقة تتبعها أخرى، فقتلت من أصحاب الحجاج اثني عشر رجلاً، وزاد خوفُ أهل الشام، فقال الحَجاج لأصحابه: إنهم مصيبهُم ما أصابكم، فلما أصبحوا، صعقت السماء، فقُتل بعضُ أصحاب ابن الزبير، فقال الحجاج لأصحابه: ألم أقلْ لكم إنه مصيبهُم ما أصابكم؟

وخرج ابن الزبير، فقاتل قتالاً شديداً، وتكاثر أهل الشام ألوفاً من

كل باب، فشدخوه بالحجارة، فانصرع، فانكبَّ عليه موليان لـه، فقتلوا جميعـاً، وتفرق أصحابـه، فأمر بـه الحجاجُ، فصُلب، وكان ذلك يوم الثلاثاء، لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، **سنة ثلاث وسبعين**، بعد قتال سبعة أشهر.

ولما قُتل ابن الزبير، كَبَّر أهلُ الشام؛ لفرحهم بقتله، وكان له من العمر حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة، وهو أول من ولِـد من المهاجرين بعد الهجرة، وكـان كثيـر العبادة، مكـث أربعين سنة لم ينزع ثوبـه عن ظهره، وبعـد قتله بثلاثـة أشهر توفي عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وعمره سبع وثمانون سنة.

وكانت خلافة ابن الزبير تسع سنين؛ لأنه بويع له سنة أربع وستين، وكان سلطانه بالحجاز والعراق وخراسان وأعمال الشرق، وكانت له رضي الله عنه جُمَّة مفروقة طويلة، ولما صُلب، علَّق الحجاجُ إلى جانبه كلباً ميتاً، ومنع والدتَه من دفنـه، وكان لها من العمر مئـة سنـة، ثم كتب الحجـاج إلى عبد الملك يخبره بصلبه، فكتب إليه يلومه، ويقول له: هلاَّ خلَّيت بينه وبين أمه؟ فأذن لها الحجاج، فدفنته، وماتت بعده بقليل، وهي أسماء بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت تُدعى: ذات النطاقين.

وتقدم في ترجمة ابن الزبير ذكرُ هدم الحجاج الكعبة، وإعادتها.

وفي سنة سبع وسبعين: أمر عبد الملك بضرب الدراهم والدنانير، وهو أول من أحدث ضربهـا في الإسلام، فانتفـع الناس بذلـك، وكان

النقش عليها على الجانب الواحد: الله أحد، وعلى الآخر: الله الصمد، وكانت الدنانير والدراهم قبل ذلك روميةً وكِسْرَوية.

وكان عبد الملك يسرع إلى سفك الدماء، وكذلك كان عماله، ولو لم يكن غير الحجاج بن يوسف، لكفاه في الظلم والجَور، وسفك دماء الأخيار الصالحين، وخَتَم أيدي جماعة منهم بالرصاص استخفافاً بهم، كما يفعل بأهل الذمة، منهم: جابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وسهل ابن سعد.

ويكفي في قبح سيرته قتلُ سعيد بن جبير، ولم يعش الحجاج بعدَه إلا نحو شهر أو شهرين، وما مات الحجاج حتى وقعت في جوفه الآكلة، فمات.

وعِدّة من قتله الحجاج صبراً مئة ألف، وعشرون ألفاً.

ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، وركب في يوم جمعة، فسمع ضجة المحبوسين، فالتفت إلى ناحيتهم، وقال: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨]، فلم يركب بعدها، ومات في تلك الجمعة.

وتوفي عبد الملك في يوم الخميس، لخمس عشرة ليلة مضت من شوال، سنة ست وثمانين، وعمره ستون سنة، وكانت خلافته منذ قتل ابن الزبير، واجتمع له الناس ثلاث عشرة سنة، وأربعة أشهر تنقص سبع ليال، وكان بالشام وما والاها قبل قتل ابن الزبير سبع سنين، ونحو تسعة أشهر.

أولاده: الوليد، ويزيد، وهشام، وسليمان، ومروان الأكبر، ومروان الأصغر، ومعاوية، وعبدالله، ومسلمة، والمنذر، ومحمد، وسعيد، والحَجَّاج، وغيرهم.

كاتبه: روح بن زنباع، وقبيصة بن ذؤيب.

حاجبه: يوسف مولاه، وغيره.

نقش خاتمه: أؤمن بالله مخلصاً.

والحمد لله وحده.

* * *

خلافة المنتقم لله الوليد بن عبد الملك

هو أبو العباس، الوليدُ بنُ عبدِ الملك بنِ مروان، وأمُّه ولاَّدة ابنةُ العباس بنِ مازنٍ العبسيةُ، وكان أسمر جميلاً، بوجهه آثارُ جُدَري، وكان جباراً، ذا سطوة شديدة، كثير النكاح والطلاق، يقال: إنه تزوج ثلاثاً وستين مرة.

بويع له في منتصف شوال، سنة ست وثمانين، يوم دفن أبوه بعهد منه.

والوليد هو الذي بنى جامع دمشق، قيل: إنه أنفق عليه أربع مئة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وكان فيه عشرة آلاف رجل في كل يوم، وكان فيه ست مئة سلسلة من ذهب، فلم يستطع أحد الصلاة فيه، فرُفعت في أيام عمر بن عبد العزيز، وحطت في بيت

المال، وعوضت بالحديد.

وكان في جنب الجامع كنيسة قد سلمت للنصارى، بسبب أنها في نصف البلد الذي أُخذ بالصلح، وكانت تعرف بكنيسة **مار يوحنا**[1]، فهدمها الوليد، وأدخلها في الجامع، وكان بناء الجامع في **سنة ثمان وثمانين** من الهجرة.

والوليد أولُ من اتخذ البيمارستان للمرضى، ودار الضيافة، وبنى الأميال في الطرقات، ووضع المنابر، وولى ابنَ عمه عمرَ بنَ عبد العزيز المدينةَ، فقدمها، ونزل في دار جدِّه مروان، ودعا عشرة من فقهاء المدينة، وهم: عروة بن الزبير بن العوام، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سلمان، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسالم بن عبدالله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم، وعبيدالله بن عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، فقال لهم عمر بن عبد العزيز: أريد أن لا أقطع أمراً إلا برأيكم، فما علمتم من تعدي عامل، أو من ظُلامة، فعرِّفوني به، فجزوه خيراً.

ثم في سنة سبع وثمانين: كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله ﷺ، وهدم بيوت أزواج النبي ﷺ، وأن يُدخل البيوت في المسجد؛ بحيث تصير مساحة المسجد مئتي ذراع في مئتي

---

(١) في الأصل: «ماريحان».

ذراع، وأن يضع أثمان البيوت في بيت المال، فأجاب[1] أهلُ المدينة إلى ذلك، وقدمت الفَعَلَة والصنَّاع من عند الوليد لعمارة المسجد، وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز، وشيد مسجد رسول الله ﷺ، وأدخل فيه المنازل التي حوله، ومن الحوادث في أيامه أن الزلازل دامت أربعين يوماً، وشمل الهدم الأبنية، وفي أيامه مات عبدالله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ومات أنس بن مالك الأنصاري **سنة تسعين**، وكان عمره ستاً وتسعين سنة، وقيل: مئة وست سنين.

وتوفي علي بن الحسين بن زين العابدين **سنة أربع وتسعين**.

وفي هذه السنة، وقيل: **سنة خمس وتسعين** قَتل الحجاج سعيدَ بن جبير ـ رحمة الله عليه ـ، فضرب عنقه، وكان من أعلام التابعين، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعنه روى القرآنَ أبو عمرو.

وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: قتل الحجاجُ سعيدَ بنَ جُبير، وما على وجه الأرض أحدٌ إلا وهو مفتقرٌ إلى علمه.

ومات الحجاج بنُ يوسف في شوال **سنة خمس وتسعين**، وله من العمر أربعة وخمسون سنة، وقيل غير ذلك، وكانت ولايته للعراق عشرين سنة.

---

(١) في الأصل: «فأجابوا».

وتوفي الوليد في يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين.

وكانت مدة خلافتـه تسع سنين، وسبعة أشهر، ودُفِن خارج الباب الصغير، وقيل: في مقابر الفراديس، وصلَّى عليه عمرُ بن عبد العزيز ﷺ، وكان عمر الوليد اثنتين وأربعين سنة، وستة أشهر.

أولاده: يزيد، وإبراهيم، والعباس فارسُ بني أمية، وعمرو فحلُ بني مروان، وأولاد كثيرة غير هؤلاء، يقال: إنه ركب في ستين من صلبه.

كاتبه: قرة بن شريك، ثم قبيصة بن ذؤيب، ثم يزيد بن أبي كبشة.

حجَّابُه: خالد مولاه، ثم سعيد مولاه.

نقش خاتمه: يا وليد إنك ميت ومحاسَب.

والحمد لله.

* * *

خلافة المهدي بالله الداعي إلى الله سليمان بن عبد الملك

هو أبو أيوب، سليمانُ بنُ عبدِ الملك، أمُّه ولَّادة أمُّ أخيه الوليد، وكان أبيضَ طويلاً فصيحاً، لَسِناً أديباً حليماً، متوقفاً عن الدمـاء، شديداً في بدنه، أَكولاً، جميلاً، معجَباً بنفسه، شديدَ الشَّرَه في النكاح.

بويع له يومَ وفاة أخيه بدمشق، وهو غائبٌ بالرملة، فلما وصل إليـه الخبر بعـد سبعة أيام، سار إلى دمشق، ودخلها، ثم صعد المنبر، فحمد

الله، وأثنى عليه، وصلَّى على رسول الله ﷺ، ووعظ الناس، ثم نزل، وأقـرَّ عمال من كان قبلـه على عملهم، وأحسن السيرة، وردَّ المظالم، واتخذ ابنَ عمه عمرَ بن عبد العزيز وزيراً.

وكان شرهاً في الأكل، يأكل كل يوم مئة رطل من الطعام بالعراقي، وربما أتاه الطباخ بالسفافيد فيها الدجاج المشوية، فَلِنهْمَتِهِ يُدخل يدَه في كمه حتى يقبض على الدجاجة وهي حارة، فيفصلها، ويأكلها.

وفي أيامه كثرت الزلازل، ودامت ستة أشهر.

وفي أيامه أمر ببناء المقياس بمصر، وهو الذي يقاس به اليوم.

وتوفي في أيامه عبدُالله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

ولما اشتد مرض سليمان، وثقل، عَهِدَ لعمرَ بن عبـد العزيز، ثم مات ـ رحمه الله تعالى ـ بدابق من أرض قِنَّسرين.

وقيل: كان سبب موتـه: أنـه أتاه نصراني، وهـو نازل على دابق بزنبيلين مملوءين تيناً وبيضاً، فأمر مَن يقشر له البيض، وجعل يأكل بيضة وتينـة، حتى أتى على الزنبيلين، ثم أتوه بمخ وسكر، فأكله، فانتخم، ومرض ومات[1].

وكانت وفاته يوم الجمعـة، لعشر ليال بقين من صفر، سنـة تسع

---

(١) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ١٨٠): «كان نحيفاً جميلاً، وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه، والذي اخترع هذه الأكاذيب نسي أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها، وقد قيل: إذا كنتَ كَذُوباً، فكن ذَكُوراً».

وتسعين، فكانت خلافته سنتين، وثمانية أشهر، وكان عمره خمساً وأربعين سنة، وصلى عليه عمرُ بن عبد العزيز، وترحَّم الناس عليه لاستخلافه له.

وخلف من الولد أربعة عشر ذكراً.

كاتبه: يزيد بن المهلَّب، ثم الفضل بن المهلب، ثم عبد العزيز بن الحارث.

عامله: محمد بن حزم.

حاجبه: أبو عبيدة مولاه.

نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

خلافة المعصوم بالله عمر بن عبد العزيز

الخليفة الراشد، والإمام العادل، هو: أبو حفص، عمرُ بنُ عبد العزيز بنِ مروانَ بنِ الحكمِ بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ، القرشيُّ الأمويُّ، التابعي بإحسان.

أجمع الناس على جلالته وفضله، ووفور علمه وصلاحه، وزهده وورعه، وعدله وشفقته على المسلمين، وحسن سيرته فيهم، وبذلِ وسعه في الاجتهاد في طاعة الله تعالى، وحرصه على اتباع آثار رسول الله ﷺ،

والاقتداء بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، ومناقبُه أكثر من أن تحصر.

أمُّه أمُّ عاصم حفصةُ بنتُ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطاب، واسمها ليلى.

بويع بالخلافة حين مات سليمان بن عبد الملك، في صفر سنة تسع وتسعين، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، نحو خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وسَنَّ السننَ الحسنة، وأمات الطرق السيئة.

ومن أعظم حسناته: إبطال سبِّ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر؛ فإن خلفاء بني أمية كانوا يسبونه، من سنة إحدى وأربعين، وهي السنة التي خَلع الحسن فيها نفسه من الخلافة، إلى أول سنة تسع وتسعين، آخر أيام سليمان بن عبد الملك، فلما ولي عمر، أبطل ذلك، وكتب إلى نوابه بإبطاله، ولما خطب يوم الجمعة، أبطل السبَّ في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠]، فلم يُسَب عليٌّ بعد ذلك، واستمر الخطباء على قراءة هذه الآية.

ومدحه كثير بنُ عبد الرحمن الخزاعيُّ، فقال:

وَلِيتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيّاً ولم تُخِفْ
[بَرِيّاً] وَلَمْ تَتْبَعْ سَجِيَّةَ مُجْرِمِ

وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي
فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمِ

قال سُفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز.

وقال أحمد بن حنبل ﷺ: يُروى في الحديث: «أنَّ اللهَ تعالى يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ عَامٍ مَنْ يُصَحِّحُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ دِينَهَا»[1]، فنظرنا في المئة الأولى، فإذا هو عمر بن عبد العزيز.

وكان ﷺ أسمر نحيفاً، حسن الوجه واللحية، في وجهه شَجَّة، يقال له: أَشَجُّ بني أمية، ضربَتْه دابةٌ في وجهه.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: من ولدي رجلٌ بوجهِه شَجَّةٌ، يملأ الأرضَ عدلاً.

ولما ولي ﷺ، أُتِيَ بمركب الخلافة، فقال: دابتي أوفقُ، وركب دابته، وصرفَ تلك الدواب، ولبس ثياب الصوف والقطن، وصرفَ عمال مَنْ كان قبله من بني أمية، وولَّى أصلحَ مَنْ قَدَرَ عليه، فسلك عمالُه طريقته.

وكان يردُّ المظالم إلى أهلها، وأمرَ بوضعِ المكسِ من كل أرض.

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٩٢)، عن أبي هريرة ﷺ.

وكان يغسل ثيابه، فما يخرج حتى تنشف؛ لأنه لم يكن له غيرُها، وما أحدث بناءً منذ ولي.

وكانـت فاطمـةُ بنتُ الحسن تثني على عمـر بن عبد العزيز ﷺ، وتقول: لو كان لنا عمرُ بنُ عبد العزيز، ما احتجنا بعده إلى أحد.

وكان ﷺ محمودَ السيرة، ولم يكن بعد الخلفـاء الأربعـة إلى أيامه مثلُه.

وكان ﷺ قد قسَّم عمـره على ثلاثـة أقسام: فيومٌ للقضاء، ويوم لأهله، ويوم لحوائج الناس، والليل للعبادة.

وكان إذا جَنَّـه الليل، لبس جبـة صوف، ووضع الغُلَّ في عنقـه، والقيـدَ في رجله، ونادى: يا رب! هـذا عذاب الدنيـا، فكيـف عذابُ الآخرة؟!

وأحواله ﷺ وفضائلُه غير محصورة.

ولما مرض ﷺ مرضَ موته، قالت زوجته: لما اشتد عليه المرض، سهرنا معه ليلة، فلما أصبحنا، أمرتُ وصيفاً لنا ـ يسمَّى فريداً ـ أن يكون عنده، فإن كانت له حاجة، قضاها له، ونمنا، فلما كان الفجـر، توجهت إليه، فرأيـت فريـداً خارجاً من عنـده، فقلت: ما أخرجك؟ قال: هـو أخرجني، وقال لي: إني أرى شيئاً، ما هـو بإنس ولا جـان، وسمعتـه يقرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣]، فدخلت عليه، فوجدتـه قد مات، بعد أن وجَّـه

نفسَه إلى القبلة ـ رحمه الله ـ.

ودام مرضُه الذي توفِّي فيه عشرين يوماً.

وقيـل لـه: من توصي بأهلـك؟ فقال: إن وَلِيِّيَ فيهم الذي نَـزَّل الكتابَ، وهو يتولى الصالحين.

وكانـت وفاتـه بدير سمعان، من أعمـال حمص، يوم الجمعـة، لخمس بقين من رجب، **سنة إحدى ومئة**، وقبره هناك يزار ويُتبرَّك به، وهو قريب من معرة النعمان، ولم يعرض له كما عرض لقبور بني أمية.

وكان موته بالسُّم عند أكثر أهل النقل؛ فإن بني أمية علموا أنـه إن امتدت أيامه، أخرج الأمرَ من أيديهم، وأنه لا يعهَد بعده إلا لمن يُصلح الأمر، فعاجَلوه، وما أمهلوه.

وكان مولدُه بمصر ـ على ما قيل ـ سنة إحدى وستين، وكـان عمره أربعين سنة، وشهراً.

وكان متحرياً سيرة الخلفاء الراشدين، وأوصى أن يُدفن معـه شيء كان عنده من شعر النبي ﷺ، وأظفار من أظفاره، وقال: إذا متُّ، فاجعلوه في كفني، ففعلوا ذلك.

وعن يوسفَ بن ماهك، قال: بينما نحن نسوي التراب على قبـر عمر بن عبد العزيز، إذ سقط علينا رَقٌّ من السماء فيه مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار.

رضي الله عنه وأرضاه، وجعل مثواه الجنة.

أولاده ﷺ: كان له أربعة عشر ذكـراً، منهم: عبد الملك، الولد الصالح بن الصالح، كان من أعبـد الناس وأزهدهم، توفي في خلافـة أبيه، وهو ابن سبع عشرَة سنة وستة أشهر، وكان أحد المشيرين على أبيه بمصالح الرعيـة، المُعِينِينَ على الاهتمام بمصـالح الناس، وكان وزيراً صالحاً، وبطانة خير ـ رحمه الله ـ، وكان أبرَّ أهل عصره بوالده، ودخل عليـه أبوه في مرض موتـه، فقال: يا بني! كيف تجدك؟ قال: يا أبت! أجدني في الحق، قال: يا بني! لأن تكون في ميـزاني أحبُّ إليَّ من أكون في ميزانك، فقال لـه: يا أبت! لَئِنْ يكون ما تحـب، أحـبُّ إلي من أن يكون ما أحب، فمات في مرضه ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ.

كاتبه: رجاء الكندي.

قاضيه: عبدالله بن أسعد.

حُجَّابُه: جيش، ومزاحم مولياه.

نقش خاتمه: عمر مؤمن بالله مخلصاً.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

خلافة القادر بصنع الله يزيدَ بنِ عبد الملك

هو أبو خالـد، يزيـدُ بن عبـد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميـة بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمُّه عاتكةُ بنتُ يزيدَ بن معاويةَ بنِ أبي سفيان.

بويع بالخلافة لما مات عمر بن عبد العزيز، في رجب، سنة إحدى ومئة، بعَهدٍ من سليمان بن عبد الملك إليه بعد عمر.

وفي أيامه خرج يزيدُ بن المهلَّبِ بنِ أبي صفرة، [فأرسل إليه أخاه مسلمة، فقتله وقَتَل جميع آل المهلب بن أبي صفرة،](1) وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة، وفيهم يقول الشاعر:

نَـزَلْـــتُ عَلَـــى آلِ المُهَلَّـــبِ شَــاتِياً
غَرِيباً عَـنِ الأَوْطَـانِ فـي زَمَـنِ المَحْـلِ

فَمَــا زَالَ بِـــي إِحْـسَانُهُمْ وَافْتِقَــادُهُمْ
وَبِـــرُّهُمُ حَتَّـــى حَـــسِبْتُهُمُ أَهْلِـــي

وفي أيامه في سنة اثنتين ومئة توفي عبيدالله بن عُتبة بن مسعود أحدُ الفقهاء السبعة بالمدينة.

وعبيدالله المذكور هو ابنُ أخي عبدالله بن مسعود الصحابي.

وهؤلاء الفقهاء السبعة هم الذين انتشر عنهم الفقه والفتوى.

وقد نظم بعض الفضلاء أسماءهم فقال:

أَلاَ كُـــلُّ مَـــنْ لا يَقْتَـــدِي بِأَئِمَّـــةٍ
فَقِـسْمَتُهُ ضِـيزَى عَـنِ الحَـقِّ خَارِجَـهْ

(١) ما بين معكوفتين سقط من الأصل، والمثبت من «تاريخ أبي الفداء» (١/ ١٣٩).

فَخُــــذْهُمْ عُبَيْــدُاللهِ عُــرْوَةُ قَاسِـــمٌ

سَـعِيدٌ سُـلَيْمَانٌ أَبُــو بَكْــرِ خَارِجَــهْ

ونذكرهم على ترتيبهم في النظم:

فأولهم: عبيدالله المذكور، وكان من أعلام التابعين، ولقي خَلْقاً كثيراً من الصحابة.

الثاني: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، وأبوه أحـدُ العَشَرة المشهود لهم بالجنة، وأمُّ عروةَ أسماءُ بنت أبي بكر ﷺ، وهي ذات النطاقين، وهو شقيق عبدالله بن الزبير، الذي تولى الخلافة، وتوفي عروةُ المذكور في سنة ثلاث وتسعين، وقيل: أربـع وتسعين للهجرة، وكان مولده سنة اثنتين وعشرين.

الثالث: قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وكان من أفضل أهل زمانه، وأبوه محمد بن أبي بكر الذي قُتِل بمصر.

الرابع: سعيـد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب القرشيُّ، جمع بين الحديـث والفقـه، والزهـد والعبادة، وُلِـد لسنتين مضتا من خلافة عمر ﷺ، وتوفي في سنة إحدى، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس وتسعين.

الخامس: سليمان بن سلمة، وتوفي سنة سبع ومئة، وقيل: غير ذلك، وعمره ثلاث وسبعون سنة.

السادس: أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبـد الحارث بن هشام بن

المغيرة، المخزوميُّ القرشيُّ، وكنيته اسمه، كان من سادات التابعين، وسمي: راهبَ قرشي، وأبوه الحارث، وهو أخو أبي جهل بن هشام، وتوفي أبو بكر المذكور في سنة أربع وتسعين للهجرة، وولد في خلافة عمر بن الخطاب.

السابع: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، وأبوه زيد بن ثابت، من أكابر الصحابة، الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: «أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ»[1]، وتوفي خارجة المذكور في سنة تسع وتسعين للهجرة، وقيل: سنة مئة، بالمدينة، وأدرك زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فهؤلاء السبعة المعروفون بفقهاء المدينة، وانتشرت عنهم الفتيا والفقه، وكان في زمانهم من هو في طبقتهم في الفضيلة، ولم يذكر معهم؛ مثل: سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وغيره، وتوفي سالم المذكور في سنة ست ومئة، وقيل غير ذلك، وكان من أعلام التابعين.

وكان يزيد بن عبد الملك شديدَ الكِبْر والعُجب، صاحبَ لهو وشراب، ولم يشتهر أحد من الخلفاء باللهو كاشتهاره.

وهو أول من استخفَّ بالمُلْك: يأذَنُ للندماء في الكلام والضحك واللهو في مجلسه، والردِّ عليه، وهو أول من شُتم في وجهه من الخلفاء على سبيل الهزل.

ومات يزيد بحوران، يوم الجمعة، لخمس بقين من شعبان، سنة

---

(١) تقدم تخريجه.

خمس ومئة، فكانت مدة خلافتـه أربع سنين، وشهراً، وعمره أربعون سنة، وقيل غير ذلك.

وكان أخوه هشام بالرصافة في دُويرةٍ له صغيرة، فأتاه البريد بالعصا والخاتم، وسُلِّم عليه بالخلافة، فسار حتى أتى دمشق، وولي الخلافة، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المنصور هشامِ بنِ عبد الملك بنِ مروان

هو أبو الوليد، هشامُ بن عبد الملك بن مروان، وأمُّـه فاطمةُ بنت هشامٍ المخزوميّ، وكان أبيضَ مُشْرَباً بصفرة، أحولَ، يخضب بالسواد، بويع له بعد أخيه يزيد بعهده لـه، لخمس بقين من شعبان، سنة خمس ومئة، وعمره أربعاً وثلاثين سنة، وأشهراً.

وكان أعظمَ ملكٍ في بني أمية، دانت له البلاد، وأدَّت إليه الجزيةَ الأُممُ، وكانت له سياسة حسنة، يباشر الأمور بنفسه، غير أنـه كان فَظّاً غليظاً، كثيرَ البُخل كوالدِه، وكان لـه من الطراز والستور والكسوة مالم يكن لأحد من قبله، ولما حجَّ، حمل ثيابَ بدنـه على ست مئة جمل، وكان قليل المعروف جداً، لم ير الناس زماناً أشدَّ من زمانه، وكان أحولَ ـ كمـا تقـدم ـ، فقال يومـاً لمن حضر مجلسه: من سبّني ولم يفحش،

فله هذه الحلة، فقال لـه أعرابي كان حاضراً: يا أحول! قال: خذهـا، قاتلكَ الله.

وعَرَض هشامُ الجنـدَ يوماً، فمر بـه رجل من أهل حمص، وهـو على فرس نَفور، فقال لـه هشام: ما حَمَلَك على أن تربط فرساً نفوراً؟ فقال الحمصي: لا والله يا أميـر المـؤمنين! ما هـو نفـور، ولكن نظـرَ حولَتَـك، فظن أنـك عزُّون البيطـار، فنفر، فقال هشام: تنحَّ، فعليك وعلى فرسك لعنـةُ الله، وكـان عزون نصرانياً ببلاد حمص بيطاراً، كأنه هشامٌ في حولته.

وفي أيامه بنى أخوه سعيد قبـةَ بيت المقـدس، وحجَّ بالناس سنة واحدة، وهي سنة ست ومئة.

وخرج يوماً وهو كئيب، فركب دابته، وسار ساعة، ومعه الأبرشُ الكلبي، فقال له الأبرش: يا أميـر المؤمنين! مالي أراك مغموماً؟ قال: وكيف لا أغتم؟ وقد زعم أهلُ العلم: أني ميتٌ بعد ثلاثـة وثلاثين يوماً؟ قال: فما انقضت المدة حتى مات بالرصافة.

وهو الذي بنى الرصافة، واختارها، وإليـه تنسب، فيقال: رصافة هشام، وكانت مدينة رومية، ثم خربت، وهي صحيحة الهواء.

وكانت وفاته لست مضين من ربيـع الآخر، سنة خمس وعشرين ومئة، وصلى عليه ابنه مسلم، فكانت خلافتـه تسع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وعمره يوم توفي خمس وخمسون سنة.

ولما مات، لم يوجد ما يكفَّن فيـه، ولا ما يسخَّن فيه الماء؛ لأن عياضاً كاتبَ الوليد ختم على جميـع موجوده للوليد، فاستعاروا له من الجيران قُمْقُماً لتسخين الماء، وكان له ألفُ تكَّة للسراويلات، وعشرة آلاف قميص، فكفنه خادمٌ له من ماله.

وهذه موعظة عظيمة لمن تيقظ وتبصَّر.

وكان له من الولد عشرة ذكور وبنات، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

هو أبو العباس، الوليدُ بن يزيدَ بن عبد الملك، وأمُّه بنت محمدِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ أخي الحجاجِ بن يوسف.

كان مقيماً في البرية بالأزرق؛ خوفاً من هشام، وكان في أسوأ حال في ذلك الموضع، ولما اشتد الضيق، أتاه الفرجُ بموت هشام.

وكان أبيض اللون، ربعة، قد وَخَطَه الشيب.

بويع بعد عمه هشام بعهد أبيه إليه بعـد عمه، لِستٍّ مضين من ربيع الآخر، سنـة خمس وعشرين ومئـة، بعـد أن جاوز الأربعين، ولم يـلِ الخلافة من ولد عبد الملك أكبرُ منه.

وكان شاعراً فصيحاً، مُجيداً لركوب الخيل، وكان مصروفَ الهمة

إلى الشرب واللهو والطرب.

وفي أيامه ظهر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخراسان، منكِراً للمظالم، وما عمَّ الناسَ من الجور، فبعث إليه الوليدُ نصرَ بن سَيَّارٍ المازنيَّ، فقَتَلَ يحيى بالمعركة بقريةٍ يقال لها: رعونة، ودفن هناك، وقبره مشهور رضي الله عنه.

ومن سيرته القبيحة، واستخفافه بالدين: أن جاريته ليلى حَظِيَتْ عنده، وكانت أخذت الغناء عن مَعْبَدٍ، وابنِ عائشةَ، وغيرهما، فغنته يوماً، فشرب حتى سكر، ووافاها وهو سكران، فلما تنحى عنها، أذن المؤذن للصلاة، فحلف أن لا يصلِّي بالناس غيرُها، فلبست ثيابه، وتعممت، وتلثَّمت، وخرجت فصلَّت بالناس، فما شكُّوا أنه الوليد.

وقرأ ذات يوم في المصحف: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[إبراهيم: ١٥] الآية، فنصب المصحف غرضاً للسهام، وأقبل يرميه ويقول: [الوافر]

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ

إِذَا مَا جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ
فَقُلْ يَارَبِّ مَزَّقَنِي الوليدُ[1]

---

(١) انظر: «سمط النجوم العوالي» للمكي (٣/ ٣٣٨)، قال ابن خلدون: ولقد =

ولما ظهر منه الفساد، وسلوكه غيرَ الطرائق الحميدة، رماه بنو هاشم وبنو أمية بالكفر، وغِشيانِ أمهاتِ أولاد أبيه، وكان أشدَّهم عليه يزيدُ بن الوليد، ثم إن وجوه بني أمية اجتمعوا، وسعَوا في إفساد دولته، ثم وثب عليه أهلُ دمشق، فأخرجوه وحاصروه، فقال لهم الوليد: أطلعوني في قميصي هذا، ودعوني أتوجه إلى حال سبيلي، فقالوا: لا، إلا القتل، ثم دخلوا عليه، فقتلوه، واحتزُّوا رأسه، وخرجوا بها إلى يزيد ابن الوليد، فصلبه بيده على رمح، على درج مسجدِ دمشق.

وكان قتله يومَ الخميس، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنة ست وعشرين ومئة، فكانت مدته سنة، وشهرين، واثنين وعشرين يوماً، ثم حُمل ودفن بباب الفراديس، وصلى عليه إبراهيم بن الوليد.

وكان له ثلاثة عشر ولداً، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الشاكر لأنعم الله

يزيدَ بنِ الوليد بن عبد الملك بن مروان

هو أبو خالد، يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أمُّه شاه

= ساءت المقالة فيه كثيراً، وكثيرٌ من الناس نفوا عنه ذلك، وقالوا: إنها شناعات الأعداء ألصقوها به.

فرند بنتُ فيروز بن كسرى، سباها قُتيبة بن مسلم بخراسان، وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف، فبعث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت له يزيد، ولم تلد غيره.

وكان يزيد أسمر، نحيف البدن، مربوعاً، خفيف العارِضَين، كثيرَ العُجب، فصيحاً.

بويع له لما قُتل الوليد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، **سنة ست وعشرين ومئة**، وسمي: يزيد الناقص؛ لأنه نقص الناس العشرات التي زادها الوليد، وقررهم على ما كانوا عليه أيام هشام، ولما تولى، قام خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، واعترف بالعجز، ووعد الرعية بكل جميل فبايعه الناس وفرحوا به فأحسن السيرة وعدل في الناس حتى مات رحمه الله.

وكانت وفاته بالطاعون، بدمشق بعيد الأضحى، **سنة ست وعشرين ومئة**، فكانت مدة ولايته خمسة أشهر، واثني عشر يوماً، وعمره ستاً وأربعين سنة، وقيل غير ذلك.

وله عقب كثير لم تعرف أسماؤهم.

وفي أيامه اضطرب أمر بني أمية، واختل نظامهم، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة [. . . .] إبراهيم بن الوليد

هو أبو إسحاق، إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، أمُّه اسمها نعمة.

مولده سنة ثمان وثمانين، وكان معتدل القامة، نحيفاً، خفيف العارضين، له ضفيرتان.

بويع له بعد وفاة أخيه يزيد بعهد منه، فلم يتم له الأمر، وكان مرة يُدْعى بالخلافة، ومرة بالإمارة، وتارة لا يسلَّم عليه بواحدة منهما؛ لاختلاف الكلمة، وسقوط الهيبة.

ثم إنه خلع نفسه، وسلَّم الأمر لمروان الجعدي بعد قتال وقع، وهرب إبراهيم، واختفى، ثم طلب الأمان، فآمنه، فقدم عليه، وبايعه في صفر، سنة سبع وعشرين ومئة، فكانت مدة ولايته سبعين يوماً، وقيل: أربعة أشهر، ولم يزل باقياً إلى سنة اثنتين وثلاثين ومئة، فقتله مروان، وصلبه، وقيل: غرق، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

خلافة [. . . .] مروان بن محمد

هو أبو عبد الملك، مروانُ بن محمد بن مروان بن الحكم، أمُّه لبانة جارية إبراهيم بن الأشتر، وكانت كُرديَّة، ويعرف بمروان الجعدي؛ لأن خاله الجعدُ بنُ درهم، فنسب إليه، وتعلم منه مذهبَه في القول

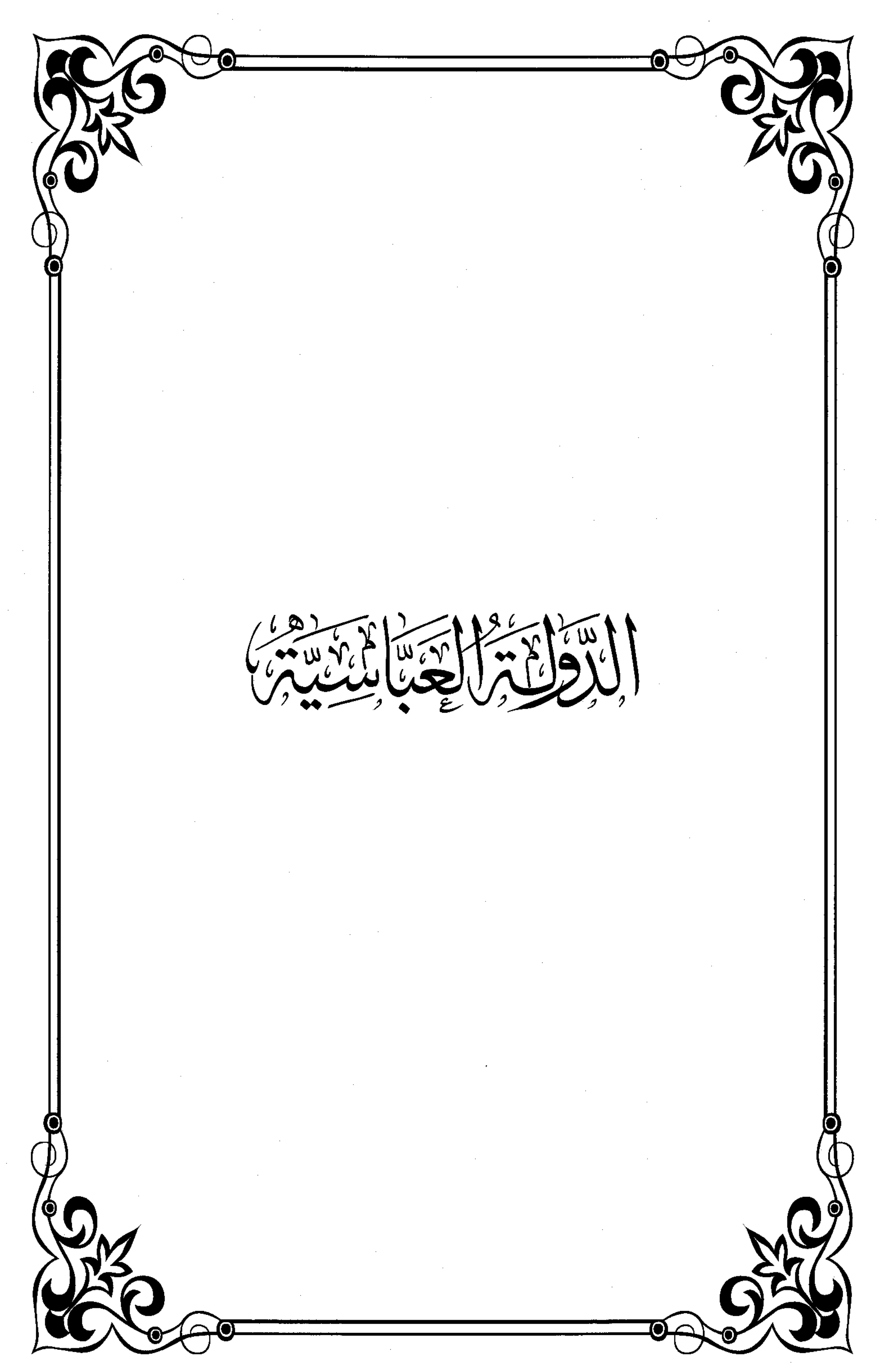
بخلق القرآن، والقدر، لقب بالحمـار؛ لأن العرب تسمِّي رأسَ كلِّ مئة سنة حماراً، وملك بني أميـة كان قـد قارب مئـة سنة في أيامه، فسمَّوه الحمار لذلك.

ومولده سنة خمس وستين، وكـان ضخم الهامـة، رَبعـة، أهدل الشفـة، أبيض اللون، كثيف اللحيـة، شجاعـاً، حازمـاً، إلا أن مدتـه انقضت، فلم ينفعه حزمه.

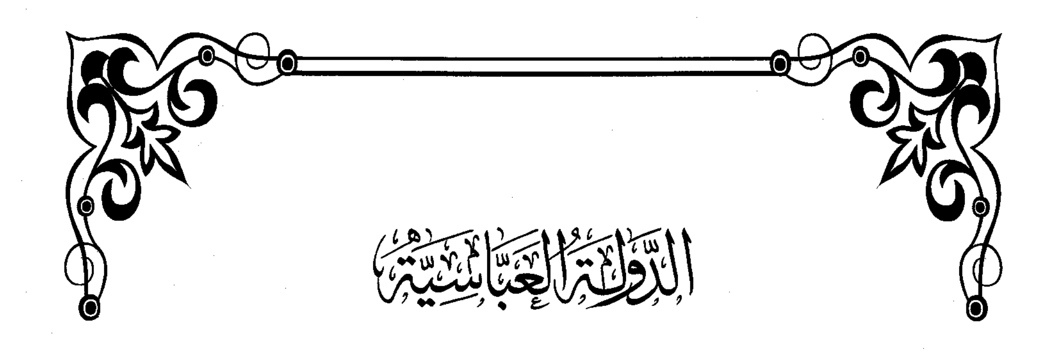
وهو آخـر الخلفـاء من بني أميـة، قُتِل على يد صالح بن علي بن عبدالله بن عباس، وكان صالح قـد هزمـه، وأخرجـه من الشام، فقتله ببوصير من حدود مصر في يوم الجمعة، لسبع بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وكان عمره يوم قُتِل سبعاً وستين سنة، فكانت مدة ولايته خمس سنين، وعشرة أشهر، وكان له وَلَدان: عبيدالله، وعبدالله، هربا بعد قتله، فأما عبيدالله، [فقد] صلبته الحبشة، وأما عبدالله، فإنـه هرب إلى الأندلس، فمُسِك، وحُبِـس، فلم يزل محبوساً إلى أيام الرشيد، فأُخرِج ضريراً، ومات ببغداد، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.





الدولة العباسية



الدولة العباسية

روي في بعض الأخبار: أن النبيَّ ﷺ أعلم العباسَ باستيلاء ولدِه على الخلافة بعدَ بني أمية، فاستأذنه العباسُ في أن يَجُبَّ مذاكيره، فقال: «لا، فإنه أمر كائن»[1].

وكان العباس أسنَّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين، وكان له من الأولاد: الفضل، وهو أكبر أولاده، وبه كان يُكنّى، وعبدالله، وهو الحبر، وأبو الخلفاء من ولده، وعبيدالله، وكان جواداً، وعبد الرحمن، وقثم، ومعبد، وغيرهم.

وأسلم العباس قديماً، وكان يكتم إسلامه، ثم أظهره يوم فتح مكة، وكان الناس إذا قحطوا على عهد عمر رضي الله عنه، خرج بالعباس، فاستسقى، وقال: اللهمَّ إنا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيك إذا قحطنا، فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيك، فاسقِنا[2].

(١) انظر: «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (٦/ ٥٦).

(٢) رواه البخاري (٩٦٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وتوفي العباس يوم الجمعة، لأربع عشرة خلت من رجب، **سنة اثنتين وثلاثين**، وكان قد كُفَّ بصرُه، ولـه ثمان وثمانون سنة، وكان من أجود قريش.

ولدُه عبدُالله بن عباس رضي الله عنهما: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وحنّكه رسول الله ﷺ بريقه المقدَّس، ولا يُعلم أن أحداً حُنِّك بريقِ النبوةِ غيره.

وكان رضي الله عنه حبر الأمة، ويسمى: البحر؛ لغزارة علمـه رضي الله عنه، قال: رأيت جبريلَ مرتين، ودعا لي رسولُ الله ﷺ بالحكمة مرتين[1].

ومن ولده علي ذو الثفنات أبـو الخلفاء رضي الله عنه، وقيل له: السَّجاد؛ لأنـه كان يصلِّي كلَّ يوم وليلة ألـف ركعـة، وكـان أزهـدَ أهل زمانـه، وأعبدَهم.

وتوفي عبدالله بن العباس بالطائف، **سنة ثمان وستين**، وهـو ابن إحدى وسبعين سنة، ولما وضـع ليُصلَّى عليـه، جاء طائـر أبيضُ حتى دخل في أكفانه، فالتُمس، فلم يوجد، فلما سُوِّي عليـه التراب، سُمِع صـوت لا يُرى شخصـه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[الفجـر: ٢٧ ـ ٣٠]، وصلَّى عليـه محمد بن الحنفية ـ رضوان الله عليهما ـ.

وابتدأ أمر بني العباس يظهر، والدُّعاة لهم في البلاد تَكْثُر إلى سنة

---

(١) رواه الإمام أحمـد في «فضائل الصحابة» (١٥٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦١٥).

ثمان وعشرين ومئة، إلى أن صفت المملكة لبني العباس.

ثم إن عبدالله بن علي عمٌّ أبي العباس، عبر الفرات، وحاصر دمشق حتى فتحها، ثم أخلاها من بني أمية، وقتلهم، وهدم سورها، ونبش قبور بني أمية، وأحرق عظامهم بالنار، فنبش قبر معاويةَ بن أبي سفيان، ونبش قبر يزيدَ ابنهِ، وقبرَ عبد الملك بن مروان، وقبر هشام بن عبد الملك، فوجِد صحيحاً، فأمر بصلبه، فصُلِب، ثم أحرقه بالنار، وذَرّاه.

وتتبع، فقتل بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، ولم يُفْلِت منهم غيرُ رضيع، أو مَنْ هرب، وكذلك قَتَل سليمانُ بن علي بن عبدالله بن عباس جماعةً من بني أمية بالبصرة، وألقاهم في الطريق، فأكلتهم الكلاب.

ثم سار [صالح] بن علي في أثر مروان، فأدركه ببوصير من حدود مصر، فقتله، وبعث برأسه إلى أبي العباس، فبعثه إلى أبي مسلم، وأمره أن يطوف به في خراسان.

وكان مروان لما أيقن بالهلَكَة، دفنَ قضيبَ رسولِ الله ﷺ؛ كيلا يعثر عليه أحد، فدلَّهم على ذلك خَصِيٌّ من خدمه، والله أعلم.

* * *

خلافة أبي العباس السفاح القائم بأمر الله

هو أبو العباس، عبدُالله بنُ محمد بنِ علي بن عبدالله بنِ العباس

ابنِ عبد المطلب، وأمُّـه رَيْطَة بنتُ عبدالله بن عبد المدان بن الديان بن زياد بن الحارث.

وكان أبو العباس رجلاً طويلاً، أبيض اللون، حسن الوجـه، ولد في أيام هشام بن عبد الملك.

بويع بالكوفة يوم الجمعة، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيـع الأول، سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

ثم إنه بنى مدينة الأنبار، وسماها: الهاشمية.

وكان كثير العقل، سامي الهمة، رفيـع السؤدد، يحب المفاوضة والمذاكرة، وأخبار الأعراب، والقراءة بالألحان، والحُداء، وغناء الركبان.

وكان أبرَّ خلق الله بأهله وأقاربه، وأحسنهم تعطُّفاً على بني عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان إذا تعادى رجلان من أصحابـه، لم يسمـع من أحدهما في الآخر شيئاً، ولم يقبله، وإن كان القائل عنـده عدلاً في شهادته، ويقول: إن الضغينة القديمة تولِّد العداوة، وتحمل على إظهار المباينة.

وكان سخياً، وكان يُقعد العلويَّ عن يمينـه، والأمويَّ عن شماله، ولم يكن أحدٌ من الخلفاء يحب مسامرة الرجال كأبي العباس، ووقع لـه لطائف ومسامرات مع الشعراء.

ولما دنت وفاة أبي العباس، نظر يوماً في المـرآة، فقال: اللهمَّ إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: أنا الملكُ الشابُّ، ولكن أقول:

اللهمَّ عَمِّرني طويلاً في طاعتك، ممتَّعاً بالعافية، فما استتمّ كلامه حتى سمع غلاماً يقول لغلام آخـر: الأجلُ بيني وبينك شهران، وخمسة أيام، فتطَيَّر، وقال: حسبي اللهُ، لا قوةَ إلا بالله، عليه توكلتُ، وبه أستعين، فما هي إلا أيام حتى أخذته الحمَّى، واتصل مرضه، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ بعد شهرين وخمسة أيام، وكانت وفاتـه بالأنبار، في يوم الأحد، في ذي الحجة، **سنة ست وثلاثين ومئـة**، وله اثنتان وثلاثون سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته أربع سنين، وتسعة أشهر من حين بويع، ومن لدن قتل مروان أربع سنين، ولمـا مات، صلى عليـه عمُّـه عيسى بن علي.

وخلّف تسع جباب، وأربعة أقمصة، وخمس سراويلات، وأربعة طيالسة، وثلاثة مطارف خز.

وقد كان له ولد يدعى: محمداً، مات صغيراً، وابنة اسمها: رَيْطَة، تزوجها المهديُّ.

وزيراه: أبو سلمةَ حفصُ بن سليمان الخلاَّل، وخالدُ بن بَرْمَك.

وكان قاضيه يحيى بن سعيد الأنصاري، وحاجبه أبو غسان.

* * *

خلافة أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي المنصور

هـو أبـو جعفر، عبدُالله بنُ محمـدِ بن علي بنِ عبدِالله بنِ عباس، وأمُّه سلامة بنت بشير.

مولـدُه سنة **ثلاث وتسـعين** من الهجـرة، في خلافـة الـوليـد بن عبد الملك.

وكان أسمر، نحيف البدن، خفيف العارضين، يخضِب بالسواد، وقيل: إنه كان يغيّر شيبه بألف مثقال من المسك في كلِّ شهر.

بويع له يوم مات أخوه، وكان يومئذ بمكة، وقام عمُّـه عيسى بن علي ببيعته، وأتته الخلافة وهو بطريق مكة.

وكان حازمَ الرأي، قد عركته الأيام والتجارب، وكان كثير اليقظة والتبصر في الأمور، قد جال في الأرض، وكتب الحديـث، وتصرَّف في الأعمال، وكان من أحسن الناس خُلُقاً ما لم يخرجْ إلى الناس، فإذا خرج، اربدَّ لونه، واحمرَّت عيناه، ولم يُر في داره لهو، ولا شيء يشبه اللهو.

وكان المنصور يجلس صدرَ نهاره في إيوانه للأمر والنهي، والولايات والعزل، والخراج، وغير ذلك، ثم يتغدى، ويصلي الظهر، ويَقيل، فإذا صلى العصر، جلس لأهل بيته، ومن أحبَّ أن يسامره، فإذا صلى العشاء، نظر فيما ورد عليه من كتـب الثغـور والآفاق، وشاور سُمّاره في بعض ذلك، فإذا مضى ثلث الليل، قام إلى فراشه، وانصرف سمّارُه، فإذا مضى ثلثا الليل، قام من فراشـه، وأسبغ الوضوء، وانتصب في محرابه حتى يطلع الفجر، فيخرج، فيصلي بالناس، ثم يدخل، فيجلس في إيوانه.

وحج غيرَ مرة، وزار بيت المقدس، ووسّع المسجدَ الحرام ناحيـةَ باب الندوة، **سنة سبع وثلاثين ومئة**، وبنى مسجد الخيف.

وفي أيامه فُتحت مدائنُ كثيرة، وبني له مجلسٌ على طاق باب خراسان من مدينته التي سماها: المنصورية، وهي مشرفة على الدجلة، وهي مدينة بغداد، وقيل: إن مقدار ما أنفق المنصور في بناء بغداد وسورها وخندقها وأسواقها ودورها أربعةُ آلاف ألف، وثمان مئة، وثلاثة وثلاثون ألف دينار.

وكان الأستاذ من الصناع يعمل يومَه بقيراط فضة، وكان يعمل في بنائها في كل يوم خمسون ألف رجل.

وكان المنصور قد استشار أصحابه، منهم: خالد بن برمك في نقض المدائن، وإيوان كسرى، ونقل نقض ذلك إلى بغداد، فقال خالد: لا أرى ذلك؛ لأنه علَم من أعلام الإسلام، وفيه مصلًّى علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، فقال له المنصور: أبيتَ يا خالدُ إلا الميلَ لأصحابك العجم، وأمر بنقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية، وحُمل نقضه، فنظروا، فإذا الذي لزمهم في ذلك أكثرُ من ثمن ما نقضوه، فدعا خالدَ بنَ برمك، فأعلمه بذلك، فقال: إني كنتُ قلتُ لمولانا أمير المؤمنين أن يتركه، والآن ما ينبغي الترك؛ لئلا يقال: عجز عنه، فأعرض عنه.

ونقَل أبوابَ واسط، فجعلها على بغداد، وباب جيء به من الشام، وباب آخر جيء به من الكوفة، كان عَمِلَه خالدُ بنُ عبدالله القَسْري.

وجعل المدينةَ مدوَّرةَ الشكل؛ لئلا يكون بعض الناس أقربَ إلى السلطان من بعض، وعمل لها سورين، الداخلُ أعلى من الخارج، وبنى

قصره في وسطها، والمسجد الجامع بجانب القصر، وكان اللَّبِـن الذي يُبنى به ذراعاً في ذراع.

ولما فرغ من بنائها، وتم، حاسب المنصورُ القواد، فألزمَ كلَّ واحد بما بقي عنـده، وأخـذه، حتى خالـدُ بنُ الصلت بقي عليه خمسةَ عشرَ درهماً، فأخذها منه.

ونُقِل عن المنصور أمورٌ تدل على الشحِّ، ونقل عنه ضدُّ ذلك من السخاء والإعطاء.

وكان الابتداء في عمارة بغداد سنة خمس وأربعين ومئة.

وأراد المنصـور أبـا حنيفـة على القضاء لمـا امتنـع منـه، وقال: لا أصلُح، فقال: أنت أبو حنيفة الفقيه، فكيف لا تصلح؟! فقال: إما أن أكون صادقاً، فيجب أن تقبل قولي، وإما أن أكون كاذباً، فقاضٍ لا يكون كذاباً، فضربه، وحبسه، ومات في حبسه، وصلى عليه المنصور، سنة خمسين ومئة.

وكان مولده سنة سبعين، وقيل: سنة ثمانين، وهو الصحيح.

وفي أيامه ولد الإمام الشافعي ﵁ بعد موت أبي حنيفة ﵁، ولِد بغزة، وأقام بها سنتين، وسار إلى مكة، فنشأ بها.

وفي أيامه تناثرت الكواكب في سنة سبع وأربعين ومئة.

وتوفي جعفر الصادق ﵁، وتوفي معن بن زائـدة، والأوزاعي، وأبو عمرو بن العلاء.

وتوفي المنصور يوم السبت، لسِت ليال من ذي الحجة، **سنة ثمان وخمسين ومئة**، وله خمس وستون سنة، عند بئر ميمونة، على أميال من مكة، وهو محرِم، وصلَّى عليه ابنُه صالح، ودُفِن بالحرم الشريف.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً.

أولاده: محمد المهدي، وجعفر، وصالح، وسليمان، وعيسى، ويعقوب، والقاسم، وعبد العزيز، والعباس.

قاضيه: عبدالله بن محمد بن صفوان، وشريك عبدالله.

حاجبه: الربيع مولاه، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المهدي

هو أبو عبدالله، محمدُ بنُ عبدِالله المنصور، الملقبُ بالمهدي، وأمُّه أمُّ موسى بنتُ منصورِ بنِ عبدِالله بنِ سهلِ بنِ زيدٍ الحميريِّ، وكان أسمر، طويلاً، بعينه اليمنى بياض، معتدل الخلق، جَعْدَ الشعر.

بويع له يوم السبت، لسِتٍّ خلَون من ذي الحجة، سنة ثمان وخمسين ومئة، بين الركن والمقام، يوم مات أبوه، وقام ببيعته الربيعُ وزيرُ المنصور، والمهديُّ ـ آنذاك ـ ببغداد، وأنفذ الربيعُ الخبرَ مع مناده مولى أبي جعفر إلى بغداد، فبايع الناسُ المهديَّ البيعةَ العامة.

ولما بويع، افتتح أمره برد المظالم، وكفِّ الأذى والقتل، وأمن

الخائف، وإنصاف المظلوم، وكان يقول: إذا جلستُ للمظالم، فأدخلوا عليَّ القضاةَ، فلو لم يكن رَدِّي للمظالم إلا للحياء منهم.

وكـان سخيـاً، وبسطَ يـدَه في العطـاء، وبنى مسجـد الرُّصافـة، وخندقها، وكان كثير الولاية والعزل بغيـر سبب، وبنى العَلَمين اللذين يُسعى بينهما.

وحجَّ بالناس **سنة ستين ومئة**، وجرَّد الكعبـة، وكساها الديباج، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها إلى أسفلها، وكانت الكعبة في جانب المسجد، لم تكن متوسطة، فهدم حيطانَ المسجـد الحرام، وزاد فيه زيادات، واشترى الدور والمنازل، وأحضر المهندسين، وصَيَّر الكعبة في الوسط، ووسَّع مسجد رسول الله ﷺ، وزاد فيه، وحمل العُمُد الرخام والذهـب، ورفـع سقفه، وألبسَ خارجَ القبـر الشريف المقدس الرخامَ.

وكانت عمارته للمسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ **في سبع وستين ومئة**، وكان قبل ذلك **في سنة إحدى وستين** أمر باتخاذ المصانع في طريق مكة، وتجديد الأميال والبُرد، وبتقصير المنابـر في البلاد، وجعلها بمقدار منبر النبي ﷺ.

ولما حج المهدي، دخل إلى مسجد النبي ﷺ، فلم يبق أحـدٌ إلا قام له، إلا ابن أبي ذؤيب، فقيل له: قم، هذا أمير المؤمنين، فقال: إنما يقوم الناس لربِّ العالمين، فقال المهدي: دعـوه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي.

توفي المهدي في يوم الخميس، لثمان بقين من المحرم، **سنة تسع وستين ومئة**، وكان ابن ثمان وأربعين سنة، وولايته عشر سنين، وشهر ونصف، وصلَّى عليه ابنُه هارون الرشيد، ودُفِن تحت شجرة جوز كان يجلس تحتها.

أولاده: هارون الرشيد، وموسى الهادي، وعلي، وعبدالله، ومنصور، ويعقوب، وإسحاق، والياقوتة، والغالية، والعباسية، وسليمة، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة موسى الهادي

هو أبو محمد، موسى بنُ المهدي، وأمُّه أمُّ الرشيد الخيزران مُوَلَّدَة، وهي أُم الخلفاء، وكان طويلاً، جسيماً، أفوه، بشفته العليا تقلص.

بويع له يوم مات أبوه، وكان غائباً بجرجان، فقدم الرشيد مدينةَ السلام، وأخذ البيعةَ للهادي.

وكان الهادي شجاعاً بطلاً أديباً، صَعْبَ المرام، جواداً، أسخى أهل عصره، أنشده مُغَنٍ أبياتاً، فطرب لها، ثم نظر إلى بُخْتِيٍّ يمشي في الدار، فقال: أَوْقِروا هذا له ذهباً، فاصطلحوا معه على ستين ألف دينار.

وله أخبار مشهورة في الجود والسخاء.

ولم يزل على جوده وسخائه حتى توفي ليلاً في يوم الجمعة، لأربع

عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، **سنة سبعين ومئة**.

وولايته سنة وشهر، وصلى عليه هارون الرشيد، وله أربع وعشرون سنة، وفي ليلة وفاته مات وهو خليفة، وولي خليفة، وهو الرشيد، وولد خليفة، وهو عبدالله المأمون.

ولم يحج الهادي في ولايته.

ولده: علي، وإسحاق، وجعفر، وعبدالله، وله بنات، منهن: أم عيسى، تزوجها المأمون.

قاضيه: أبو يوسف يعقوبُ بنُ إبراهيم.

ووزيره: الفضل بن الربيع، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة هارون الرشيد

هو أبو محمد، وقيل: أبو جعفر، هارونُ بنُ محمدٍ المهديِّ، وأمُّه الخيزران أمُّ الهادي، وكان الرشيد طويلاً، أبيض، حسن الوجه، جميلاً، سميناً، قد وَخَطه الشيب، كبيرَ العينين.

بويع له يوم الجمعة، لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول، سنة سبعين ومئة، وهو ابن أربع وعشرين سنة، وكان متضلعاً من العلم والأدب والشعر.

وفي ليلةِ توفي الهادي وُلد لهارونَ ولـدٌ سماه: عبدَالله المأمون، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة، وولي فيها خليفة، ووُلد فيها خليفة إلا هذه الليلة.

ثم إن الرشيد استوزر البرامكـةَ، وتقدَّمـوا عنـده لأرفـع درجات الإجلال، وقال ليحيى: قد وليتك أمورَ الناس، فاحكمْ في ذلك بما ترى من الصواب، واستعملْ من اخترتَ، ودفع إليه خاتمه.

وكان الرشيد يحبُّ الشعر، ويهوى السماع، وكان يشرب في يومين من الجمعة: الأحد، والثلاثاء، وما رآه أحد يشرب نبيذاً ظاهراً.

وهـو أول من جعل المغنين طبقـات ومراتـبَ على قـدر إحسـان المحسنِ منهم، وعلى قـدر طبقـاتهم ومراتبهم كانـت تخرج جوائزهم وصِلاتهم.

وكان الرشيد سخياً كريماً، جواداً شجاعاً، كثيـر الحج والغـزو، وكان يحج سنة، ويغزو سنة، حج في خلافته ثمان حِجَج، وقيل: تسعة، وغزا ثماني غزوات.

وكان يصلي في كل يوم مئـة ركعة، لا يتركها إلا لعارض شديد، حتى فارق الدنيا.

وكان يتصدق من ماله كلَّ يوم بألف درهم.

وعقد الرشيد البيعة لابنه محمد الأمين، وكان بنو هاشم تحب ولاية محمد الأمين تعصُّباً من قبل أبيه وأمه.

وكان الرشيد والوزراء يعرفون لعبـدالله المأمون مكانَـه من العقل والذكاء والدهاء، والتفوق في العلم، فلم يزل أمره ينمو في نفس الرشيد، حتى عقـد لـه البيعـةَ بعـد أخيـه الأمين، ووافـق في ذلـك اليـوم قدومُ الشافعي ﷺ إلى بغداد، فوجد الناس قد بَكَّروا ليهنئوا الرشيد، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن، وجعلوا يقولون: كيف يكون قولُنـا؟ إن دعونا لهما، كان دعـاءً على الخليفة، وإن لم ندع لهما، كان نقصاً في حقهما، فدخل الشافعي فجلس، وقال:

لاقَـــــصَّرَا عَنْهَـــا وَلاَ بَلَغَتْهُمَـــا
حَتَّـى يَطُـولَ عَلَـى يَـدَيْكَ طِوَالُهـا[1]

وحج الرشيد بالناس في سنة خمس وثمانين ومئة، وحج معه ابناه، ووليّا عهده: محمد الأمين، وعبدالله المأمون، وفرّق في أهل مكة والمدينة ما مبلغه ألفُ ألفِ دينار، وخمسون ألف دينار، وعقد بين ولديه شرطاً، وعلقه في الكعبة، فلما رُفع الكتاب ليعلَّق بالكعبة، سقط قبل أن يعلق، فقال بعض الحاضرين[2]: هذا الأمر سريعٌ انتقاضُه قبل تمامه.

واجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره من جدٍّ وهزل.

قاضيه أبو يوسف، وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمـه عم أبيه

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٦). وفيـه: إن هذا البيت لعبدالله بن مصعب ابن ثابت بن عبدالله بن الزبير.

(٢) في الأصل: «الحاضر».

العباسُ بن محمد، وحاجبه الفضلُ بن الربيع أنبهُ الناس، ومغنيه إبراهيمُ الموصليُّ أوحدُ عصره في صناعته، وزامرُه برصوما، وزوجتُه بنتُ جعفرٍ أرغبِ الناس في الخير، وأسرعِهم إلى كلِّ بِرّ، وأمُّه الخيزرانُ أمُّ الخلفاء، ووزراؤه البرامكة الذين لم يُرَ مثلُهم في الجود والسخاء، وكانت لهم عنده الرقية العلية، والمكانة المرضية، وكانوا عنده لهم الأمر والنهي، والعقد والحل، لا يقطع أمراً دونهم، ولا يقدِّم أحداً عليهم، فساسوا أمور الناس أحسنَ سياسة، وساعدَهم المقدور، وشهد بفضلهم الجمهور، ثم بعد ذلك قبض عليهم، وألبسهم بعد العز ثيابَ الذل، ونَكَّل بهم، وقتلهم وصلبهم، وقتل جعفر بالأنبار آخر يوم من المحرم، سنة سبع وثمانين ومئة، وبعث بجثته إلى بغداد، ولم يزل يحيى وابنُه الفضل في الحبس حتى ماتا.

والسبب في قتل جعفر: أن الرشيد زوَّجه أختَه عباسة؛ ليحل له النظر إليها، وشرط عليه أن لا يقربها، فوطئها، وحبلت منه، وجاءت بغلام، وقيل غير ذلك.

وتوفي الرشيد بطوس، يوم السبت، لستٍّ خلون من جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين ومئة، وصلى عليه ابنُه صالح.

وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة، وشهرين، وثمانية عشر يوماً، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر جزاء، وكان يحب الشعراء والشعر، ويميل إلى أهل الأدب والفقه.

أولاده: محمد الأمين، وعبدالله المأمون، ومحمد المعتصم، وصالح، ومحمد أبو عيسى، والقاسم، وإسحاق، وغيرهم، وبنات،

الواحدة منهن تعـد عشرة خلفاء كلهم لها محرم: هارون أبوها، والهادي عمُّها، والمهدي جدُّها، والمنصورُ جدُّ أبيها، والسفاحُ عمُّ جدِّها، والأمينُ والمأمونُ والمعتصم إخوتها، والواثقُ والمتوكل ابنا أخيها.

كاتبه: بشرٌ مولاه، ثم الفضل بن الربيع.

وكان من [. . . .] الفضلُ بن فضالة.

والحمدُ لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد

هو أبو عبدالله، وقيل: أبو العباس، محمدُ بنُ هارونَ الرشيد، أمُّه أَمَةُ العزيز بنتُ جعفرِ بن المنصور، ولقبُها زُبيدة، وكانت لها مآثرُ مشهورة، ولم يلِ الخلافةَ بعد علي بن أبي طالب مَنْ أمُّه هاشميةٌ غيرُ الأمين.

وكان أبيض اللون، سميناً، صغير العينين، جميلاً.

بويع له لسبع خلون من جمادى الآخرة، **سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة**، وله تسع وعشرون سنة، وثلاثـة أشهر، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأكملهم أدباً، وأسخاهم على درهم ودينار، وأشرف الخلفـاء أباً وأماً، وكان عالماً بالشعر، كثير البلاغة، فصيح المقال، شديد القوة، إلا أنه كان كثير اللهو، يتبع هواه، ولم ينظر في شيء من عقباه، وكان ـ مع سخائه بالمال ـ أبخلَ الناس على طعام، وكان لا يبالي أين قعـد، ولا مـع من

شرب، ولو كان بينه وبين ندمائه حجاب من حديد، لخرقه إذا طرب، وخرج إليهم، وكان كواحد منهم.

وكان كثير السفك للدماء، ضعيف الرأي، ليس عنده تبصرة في الأمور، ولا نظر في العواقب.

وتوفي الأمين لخمس بقين من المحرم، **سنة ثمان وتسعين ومئة**، ومات قتلاً، قتله طاهر بن الحسين، لما جهَّزه لقتاله المأمونُ؛ لخلاف وقع بينهما، وأخذ رأسه، وجهزه للمأمون بخراسان، وكانت خلافته أربع سنين، وسبعة أشهر، والله أعلم.

* * *

خلافة أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد

هو أبو العباس، وقيل: أبو جعفر، عبدُالله المأمونُ بنُ هارونَ الرشيد، وأمه مراجلُ أُمُّ وَلَد، وكان أبيض اللون، تعلوه صفرة، أقنى الأنف، طويل اللحية، بخده خالٌ أسود.

بويع له البيعة العامة يوم قتل أخيه، وقيل: بويع له يوم الاثنين، لخمس بقين من رجب، **سنة ثمان وتسعين ومئة**، وهو ابن ثمان وعشرين سنة.

وكان كامل الفضل، كثير العفو، جواداً، حسنَ التدبير.

وهو أول من اتخذ الأتراك للخدمة، فكان يشتري الواحد منهم بمئة ألف، ومئتي ألف.

وكان يحب أهل العلم، ويجلس مـع العلمـاء من أول النهار إلى آخره، يتناظرون بين يديـه، فيرشدهم، ويمدهم بالأموال، ويفتقدهم إذا غابوا عنه، ويزورهم في منازلهم.

وكان يحضر مع الناس على الطعام، ويخرج من الليل يطوف في عسكره، وكان يحب [أن] يسمع أخبار الناس، وكان في سخائه لا يوصف، حتى قال فيه بعضهم: إنه أجود من السحاب الحافل، والريح العاصف.

وكان قاضيه: القاضي يحيى بن أكثم، وهو من ولد أكثمَ بنِ صَيْفي حكيمِ العرب، كان عالماً بالفقـه، بصيراً بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي ﷺ، وكان يحيى سليماً من البدعـة، ينتحل مذهـب أهل السنة، وروى عنه الترمذي، والقاضي إسماعيل، وكان أحد الأئمة المجتهدين.

قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: ما عرفت فيه بدعة، وكان واسع العلم كثير الأدب.

ونقل عنه حكايات في أمر المُرْد، وكان ميلُه إليهم في الشبيبة، فلما تكهل، أقبل على شأنه، ونفيت تلك الشناعة عنه.

ولما أراد المأمون أن يوليه القضاء، دخل عليـه، فاستحقره، فعلم يحيى بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين! إن كان القصد علمي لا خَلقي، فسلني، فعرف المأمون فضله، فولاه.

وكان يحيى من أدهى الناس، وأخبرهم بالأمـور، وتوفي يحيى يوم

الجمعة، منتصف ذي الحجة، في **السنة الثانية والأربعين بعد المئتين**، وعمره ثلاث وثلاثون سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ

وكان من وزراء المأمون: الحسن بن سهل السَّرخسي، وَزَر له بعد أخيه ذي الرياستين الفضل بن سهل، وحظي عند المأمون، وتزوج المأمون ابنتَه بوران، وولاه المأمون جميعَ البلاد التي افتتحها طاهرُ بن الحسين، وكان عالي الهمة، كثير العطايا للشعراء وغيرهم، وكان الحسن أحدَ الأجواد، وقيل: إنه أنفق في وليمة ابنته بوران ـ حين تزوج بها المأمون ـ أموالاً تجلُّ عن الوصف، وأوقد الحسن بن سهل للمأمون ليلة دخوله على ابنته بوران شمعة من عنبر، وزنها أربعون مَنّاً، في شمعدان من ذهب، وكان العرس في شهر رمضان، **سنة عشر ومئتين**.

وعاشت بوران بعد المأمون إلى سنة إحدى وسبعين ومئتين، فتوفيت وعمرها ثمانون سنة، وكانت قيمة بعلم النجوم والحساب ـ رحمها الله تعالى ـ.

وكان من ندماء المأمون: إسحاقُ بن إبراهيم الموصلي النديم، وكان نديماً للرشيد قبل المأمون.

غزا المأمون الروم، وفتح منها حصوناً وقلاعاً، وكان أمره نافذاً من إفريقية الغرب إلى أقصى خراسان ووراء النهر.

وفي أيامه جاء سيل بمكة حتى بلغ الماءُ الحجر والباب، وهدم ألف دار، ومات نحو من ألف إنسان.

ومات سفيان بن عُيينة، ومعروف الكرخي في أيامه، وتوفي

الشافعي ﷺ في **سنة أربع ومئتين**، وله أربع وخمسون سنة، ومات طاهر ابن الحسين، والواقدي، والأصمعي في **سنة عشر ومئتين**، وتوفي أبو العتاهية، وتوفيت زُبيدة زوجة الرشيد، وكانت معروفة بأفعال الخير والإفضال على العلماء والفقراء، ولها آثار كثيرة في طريق الحجاز، وحجَّت، فبلغت نفقتها أربعة وخمسين ألف ألف دينار.

ولزبيدةَ جماعةُ محارمَ من الخلفاء: المنصورُ جدُّها، والمهدي عمُّها، والرشيد زوجُها، والأمينُ ابنها، والمأمون والمعتصم ولدا زوجِها، والواثق والمتوكل ابنا زوجها.

وكان المأمون حسن الأخلاق، كثير العفو، يحب العفو ويؤثره، ولما غزا المأمون بلد الروم، وعاد، نزل بعين العشيرة، فأعجبه ماءَها من برد وصفاء، فطاب له الموضع؛ لكثرة خضرته، وحسن بهجته، فأقام هناك، ثم إنه احتُضر، ومات هناك، لثمان عشرة ليلة خلون من رجب، **سنة ثماني عشرة ومئتين**، وسنُّه ثمانٍ وأربعون، ودُفن بطرسوس، فكانت خلافته عشرين سنة، وخمسة أشهر، وأياماً.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المعتصم بالله صاحب سُرَّ مَنْ رأى

هو أبو إسحاق، محمدُ بنُ هارونَ الرشيد، وأمُّه ماردةُ مولَّدَةٌ كوفية.

وكان أبيض اللون، حسن الوجه، مربوعاً، طويل اللحية، شديد البدن، يحمل ألف رطل، ويمشي بها خطوات.

بويع له يوم مات المأمون أخوه، وكان بطرسوس، ثم قدم إلى بغداد، غُرَّة شهر رمضان، سنة ثماني عشرة ومئتين.

وكان شجاعاً، مقداماً، فارساً، بطلاً، صنديداً، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وفتح عَمُّوريَّة في شهر رمضان، **سنة ثلاث وعشرين ومئتين**، لما بلغه أن الروم خرجت، فنزلت زِبَطْرَةَ، فتوجَّه المعتصم إليهم بنفسه، وفتحها، وقتل ثلاثين ألفاً، وأسر ثلاثين ألفاً.

وكان بلغَه أن صاحب عمورية أسرَ امرأة من المسلمين هاشميةً، فنادت: وامعتصماه! فقال ملك عمورية: ما يأتيك المعتصم إلا على أبلق، فلما بلغ المعتصمَ ذلك، سار إليها في سبعين ألف أبلق، فلما فتحها، ودخل من بابها، نادى: لبيكِ أيتها المنادية، فقَتَلَ من قَتَل، وأسَرَ من أَسَر.

ومن كرمه: أنه أقطع شاعراً مدينةَ الموصل، وهذا شيء لم يتقدمه فيه أحد من الأوائل، وبنى المعتصم مدينة سُرَّ مَنْ رأى، أنفق على جامعها خمس مئة ألف دينار، وانتقل إليها، وجعلها مقر خلافته، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه لما انتقل إليها بأهله وعساكره، سُرَّ كلٌّ واحد منهم برؤيتها.

وكان السبب في بنائها: شكوى العامة إليه الجند من النزول عليهم

في مساكنهم، وتولعهم بحَرَم الناس وأولادهم، فبُنيت في أسرع وقت، وارتحل من بغداد إليها.

واتسع ملك المعتصم جداً، حتى صار له سبعون ألفَ مملوك سوى الأحرار، ومن الخيل ما لا يحصى.

وهو الذي امتحنَ الإمامَ أحمدَ بن حنبل ﷺ في القول بخلق القرآن، فقال له الإمام أحمد: أنا رجل علمت علماً، ولم أعلم فيه هذا، فأحضر له الفقهاء والقضاة، فناظروه، فامتنع من أن يقول بقولهم، فضربه المعتصم، وحبسه.

وكان مدة حبسه ثمانية وعشرين شهراً، وبقي إلى أن مات المعتصم، فلما ولي الواثق، أَمَرَهُ أن لا يخرج من بيته، إلى أن أخرجه المتوكل، وأحسن إليه.

وكانت محنة الإمام أحمد ﷺ في سنة ثمان عشرة ومئتين.

وكان من وزراء المعتصم: محمد بن عبد الملك الزيات، ثم كان وزيرَ الواثق بعده، ثم إن المتوكل غضب عليه، وقتله، وكان سبب وزارته: أنه ورد على المعتصم كتابٌ من بعض العمال، وفيه ذكر الكلأ، فقرأه الوزير أحمدُ بن عمار على المعتصم، فقال له: ما الكلأ؟ قال: لا أعلم، فقال المعتصم: لا حول ولا قوة إلا بالله، خليفةٌ أُميٌّ، ووزير عاميٌّ، انظروا مَنْ بالباب، فوجدوا ابنَ الزيات، فأدخلوه إليه، فقال له: ما الكلأ؟ قال: العشب على الإطلاق، فإن كان رطباً، فهو كلأ، وإن كان يابساً،

فهـو حشيش، وشرعَ في تقسيم أنواع النبـات، فعلم المعتصم فضلَـه، فاستوزره، وحكم وبسط يده، وأمر أن لا يمرَّ بأحد إلا يقوم له، وكان القاضي أحمد بن أبي دُؤاد أرصدَ لـه غلاماً، إذا رآه مقبلاً، أعلمه، فيقوم يصلي حتى يجوزه ابنُ الزيات، فأنشد ابن الزيات:

صَـلَّى الـضُّحَى لَمَّـا اسْـتَفَادَ عَـدَاوَتِي
وَأَرَاهُ يَنْـسُكُ بَعْـدَهَا وَيَـصُومُ
لاَ تَعْـدَمَنَّ عَـدَاوَةً مَـسْمُومَةً
تَرَكَتْـكَ تَقْعُـدُ تَـارَةً وَتَقُـومُ

وكان ابنُ الزيات يقول بخلق القرآن.

وكان يقال للمعتصم: الخليفة المثمّن، وذلك أن الله ـ جلَّ وعلا ـ وفَّق له كلَّ شيء في العدد، **فأولها**: أنـه الخليفة الثامن من ولد العباس، وولي سنة ثمان عشرة، ومبلغُ ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر، وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين، وغزا ثمان غزوات، وسنه ثمان وأربعون سنة، وخلف من المال ثمانية آلاف ألف درهم، ومثلها دنانير، وكانت أولاده يوم توفي ثمانية من الذكور، وثمانية من الإناث.

وقالوا: كان الثامنَ من ولد الرشيد، وتوفي وله ثمان وأربعون سنة، وهو أولُ من أُضيف إلى لقبه اسمُ الله تعالى من الخلفاء.

وفي أيامه زلزلت فرغانـة، فمـات بها أكثر من خمسةَ عشرَ ألفاً، ورجفت الأهوازُ رجفة عظيمةً تصدَّعت منها الجبال، وهرب أهل البلد

إلى البر والسفن، وسقطت فيها دور[1] كثيرة، وتهدم نصف الجامع، ومكثت ستة عشر يوماً، ومطر أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض، فقُتِل بها ثلاثُ مئة وسبعون إنساناً.

وتوفي المعتصم بِسُرَّ من رأى يوم الخميس، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومئتين.

أولاده: ثمانية ذكور، وثمان بنات ـ كما تقدم ـ.

قاضيه: أحمد بن أبي دُؤاد.

نقش خاتمه: الله ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الواثق بالله

هو أبو جعفر، هارونُ بنُ المعتصم، وأمُّه قراطيس أُمُّ وَلَد.

وكان أبيضَ اللون، حسنَ الجسم، في عينه اليمنى نكتة بياض.

بويع له يوم الخميس، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومئتين.

وكان عالماً بكل علم يُسأل عنه، وكان له جبة صوف، وكساء

---

(١) في الأصل: «أدر».

وبرنس يلبسهم بالليل، ويقوم يصلي، ويقول: ألا يستحي بنو العباس أن لا يكون فيهم مثلُ عمر بن عبد العزيز؟!

وكان جواداً، حُكي أنه فرّق في أيامه من الأموال في الصدقة والصلة ووجوه البر ببغداد، وبسرّ من رأى، والبصرة، ومكة، والمدينة خمسةَ آلاف ألف دينار.

وقيل: إن الواثق كان يقول بخلق القرآن، وأنه ضرب الإمام أحمدَ ابن حنبل ﷺ بسبب ذلك، وجعل دارَه حبساً له.

والأصحُّ: أنه لم يضرب الإمام أحمد، وإنما ضربه المعتصم، ولما ولي الواثق، بعث إليه يقول: لا تساكنني بأرض، فصار الإمام أحمد يختفي في الأماكن، ثم صار إلى منزله، فاختفى فيه إلى أن مات الواثق، وكلُّ ذلك كان بسعاية القاضي أحمد بن أبي دؤاد، ومحمد بن عبد الملك الزيات وزيرِه.

وكان أحمدُ بن أبي دؤاد قاضيه، وولي للمعتصم قبله، وحَسَّنَ له القولَ بخلق القرآن، وأغراه على الإمام أحمد حتى فعل به ما فعل، ومات ابن دؤاد بمرضه الفالج في سنة أربعين ومئتين.

وتوفي الواثق بِسُرَّ من رأى، يوم الأربعاء، لستٍّ بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وصلى عليه المتوكل أخوه.

وكان عمره ستّاً وثلاثين سنة، وكانت مدة خلافته خمس سنين، وتسعة أشهر، وستة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة أمير المؤمنين
جعفر بن المعتصم المتوكل على الله

هو أبو الفضل، جعفرُ بنُ المعتصم، وأمه تركية، اسمها: شجاع.

وكان مربوعاً، أسمر اللون، خفيف العارِضَين.

بويع له لستٍّ بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

ولما تولى، أظهر العدل، وأحيا السنة، وأمر بالقبض على محمد ابن عبد الملك الزيات، وعلى ابن أبي دُؤاد اللذين كانا يقولان بخلق القرآن، وحبس ابنَ عبد الملك الزيات في التنور إلى أن مات، وأخذ جميع ضياع ابن أبي دؤاد وأمواله، وأطلق جميع من كان اعتُقل بسبب القول بخلق القرآن، ونهى عن الجدل، وأظهر القولَ بالسنة، وطعن على الواثق، ومَنْ كان قبله فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن، وولَّى القاضي يحيى بنَ أكثم قضاءَ القضاة، وكان القاضي يحيى بن أكثم من أئمة الدين، وعلماء السنة، ومن المعظِّمين للكتاب والسنَّة.

وكان قد ولَّى من جهته حَيَّانَ بنَ بشرٍ قضاءَ الجانب الشرقي، وسوارَ ابنَ عبدالله قضاءَ الجانب الغربي، وكلاهما كان أعور، فقال في ذلك بعضُ أصحاب ابن أبي دؤاد:

رَأَيْــتُ مِــنَ العَجَائِــبِ قَاضِــيَيْنِ
هُمَــا أُحْدُوثَــةٌ فِــي الخَــافِقَيْنِ

هُمَــا اقْتَــسَمَا العَمَــى نِــصْفَيْنِ فَــذّاً
كَمَــا اقْتَــسَمَا قَــضَاءَ الجَــانِبَيْنِ

وَتَحْــسَبُ مِنْهُمَــا مَــنْ هَــزَّ رَأْسـاً
لِيَنْظُــر فــي مَوَارِيــثٍ وَدَيْــنِ

كَأَنَّــكَ قَــدْ وَضَــعْتَ عَلَيْــهِ دَنّــاً
فَــنَحْنُ نُــرَى لَــهُ مِــنْ فَــرْدِ عَــيْنِ

لَقَــدْ قَــالَ الزَّمَــانُ بِهُلْــكِ يَحْيَــى
إِذِ افْتَــتَحَ القَــضَاءَ بِــأَعْوَرَيْنِ

وفي السنة الرابعة والثلاثين بعد المئتين: في أيامه كانت الزلازل المهولـة بدمشق، دامـت ثلاث ساعات من ارتفـاع الضحى، وسقطت الجدران، فقُتل خلق كثير، وانكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها، فلم ينجُ منهم أحد سوى رجل واحد.

وهبت ريح شديدة لم يعهَـد مثلُها، وتغير ماءُ دجلة إلى الصفرة، فبقي ثلاثـة أيام، ففزع الناس لذلك، ثم صار في لون الورد، وسمع أهل أخلاط صيحةً من السماء، فمات خلق كثير، وهاجت النجوم في السماء، وجعلت تتطاير بشرر من قبل غروب الشفق إلى قرب الفجر.

ووقع طائر أبيضُ دونَ الرخمـة، وفوقَ الغراب بحلـبَ، فصاح: يا معشر الناس! اتقوا الله الله، حتى صاح أربعين صوتاً، ثم طار، وجاء من الغد، فصاح أربعين صوتاً.

ومات إنسان في بعض كور الأهواز، فسقط طائر أبيض على نعشه، فصاح بالفارسية: إن الله قد غفر لهذا الميت، ولمن شهد جنازته.

وزلزلت بلاد المغرب، حتى تهدمـت الحصون والقناطـر، فأمـر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف ألف في اللذين أُصيبت منازلهم، وكل ذلك بأمر الله وقضائه وقدره، ولا رادَّ لأمره، ولا مُعَقِّب لحكمه.

وفي السنة الخامسة والثلاثين بعد المئتين: أمر المتوكل على الله أهلَ الذمة أن يتميزوا عن المسلمين، في لباسهم وعمائمهم، وفي دخولهم الحمام بالجلاجل، وأن لا يركبـوا الخيل ولا يسرج، ونهى أن يُستعملوا في الدواوين، وأن لا تتعلم أولادهم في مكاتب المسلمين، وأن تسوَّى قبورُهم بالأرض.

وفي أيامه حجَّت شجاع، وفعلت الخير الجزيل.

وفي السنة الحاديـة والأربعين: في أيامـه توفي الإمام أحمـد بن حنبل ﵁، وكان قد امتُحن بالقول بخلق القرآن، فلم يجب إلى ذلك، وذلك أن المأمون كان اجتمع عليه جماعة من المعتزلة، فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القولَ بخلق القرآن، واتفق خروجُ المأمون إلى طرسوس لغزو بلاد الروم، فعنّ له أن كتبَ إلى نائب بغداد إسحاقَ ابن إبراهيم بن مصعـب، أمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن،

واتفق ذلك في آخر عمره قبل موته بيسير، فاستدعى جماعةً من أئمة الحديث، فدعاهم إلى ذلك، فامتنعوا، فهددهم، فأجاب أكثرُهم مُكرَهين.

واستمر الإمام أحمد على الامتناع، فحمله على بعير، وسيّره إلى الخليفة، فلما قربوا من جيش المأمون، وأُنزلوا دونَه بمرحلة، فبلغ الإمامَ أحمدَ توعُّدُ الخليفة له بالقتل إن لم يُجبه إلى القول بخلق القرآن، فتوجَّه الإمام أحمدُ إلى الله بالدعاء، فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل، ففرح الإمام أحمد بذلك.

ثم جاء الخبر بأن المعتصم ولي الخلافة، وقد انضم إليه أحمدُ بن أبي دؤاد، وأن الأمر شديد، فردُّوه إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، فوصل بغداد وهو مريض في رمضان، فأودع في السجن نحو ثمانية وعشرين شهراً.

ثم أُخرِج إلى الضرب بين يدي المعتصم، فدُعي إلى القول بخلق القرآن ثلاثةَ أيام، بحضور جماعة أحضرهم الخليفة، وكان المعتصب عليه أحمد بن أبي دؤاد، كل ذلك والإمام أحمد يقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله، وسنةِ رسول الله ﷺ حتى أقولَ به، فما زال ابن أبي دؤاد وغيرُه يُغرون الخليفة عليه، ويقولون: هذا كافرٌ مُضِلٌّ، حتى اشتدَّ غضبُه، فأمر بضربه، فضُرِب بالسياط، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثمانين سوطاً.

ووقع له في هذه المحنة أخبارٌ كثيرة، وكرامات ظاهرة؛ من ستر عورته لمّا انحل سراويله، وغير ذلك مما هو مشهور، فلما عوفي، فرح المعتصم والمسلمون بذلك، وجعل الإمام أحمد كلَّ من سعى في أمره

في حِلٍّ، إلا أهلَ البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٢].

وقال أبو الوليد الطيالسي: لو كان هذا في بني إسرائيل، لكان أُحدوثة.

وقال المزني: أحمدُ بن حنبل يومَ المحنة، وأبو بكر يوم الردَّة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صِفِّين.

ومناقبه ﵁ أكثرُ من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، ولم يزل الإمام أحمد على ذلك مدة خلافة المعتصم، وأيام الواثق، فلما ولي المتوكل، استبشر الناس بولايته؛ فإنه كان محباً للسنة وأهلِها، ورفعَ المحنة عن الناس، وكتب إلى نائبه ببغداد ـ وهو إسحاق بن إبراهيم ـ: أن يبعث إليه بالإمام أحمد بن حنبل، فاستدعى إسحاقُ بن إبراهيم الإمام أحمد، فأكرمه، وعظَّمه، وجهزه إلى الخليفة المتوكل بِسُرَّ من رأى، فأكرمه المتوكل غايةَ الإكرام، وأمر له بخلعة سنية، فاستحى منه، ولبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه، ثم نزعها نزعاً عنيفاً، وهو يبكي ـ رحمه الله ـ، ثم أرسل إليه المتوكل مالاً جزيلاً، فأبى أن يقبله، فقيل له: إن رددتَه، وَجَدَ عليك في نفسِه، ففرَّقَه على مستحقِّيه، ولم يأخذ منه شيئاً، وجعل كلَّ يوم يرسل إليه من طعامه الخاص، ويظن أنه يأكل منه، وكان ﵁ لا يأكل منه لقمة.

وارتفعت السنَّة في أيام المتوكل جداً، وكان لا يولِّي أحداً إلا بمشورة الإمام أحمد بن حنبل، وكان مسيرُ أحمدَ إليه في سنة سبع وثلاثين

ومئتين، ثم مكث إلى حين وفاته، قَلَّ أن يأتي يوم إلا ورسالةُ المتوكل تنفذ إليه في أمور يشاوره فيها، ويستشيره.

ثم إن الإمام أحمد ﷺ مرض مرضه الذي مات فيه، وكان مرضه في أول شهر ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومئتين، ثم كتب وصيته:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى أحمد بن محمد بن حنبل:

أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسوله، أرسلَه بالهدى ودين الحق، ليظهرَه على الدين كلِّه، ولو كره المشركون، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابتـه: أن يعبدوا الله تعالى في العابدين، وأن يحمَدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين).

ثم استدعى بالصبيان من ذُرِّيته، فجعل يدعـو لهم، ثم توفي يوم الجمعـة، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومئتين.

وأخبار جنازته مشهورة، ورئي له منامات صالحة ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه، وعن جميع أئمة المسلمين ـ.

وفي السنة الثالثة والأربعين بعد المئتين: توجَّه المتوكل من العراق طالباً مدينة دمشق؛ ليجعلَها دارَ إقامته، فتأسّف أهلُ العراق على ذلك، وكان للمتوكل أربعةُ آلاف سُرِّيَّة، يقال: إنه وطئ الجميع، والله أعلم.

وقتله ولـدُه المنتصر، وهـو في خَلْوَة مع وزيره الفتحِ بنِ خاقَان، وذلك أن المتوكل قد كان بايع الخلافـة لولده المنتصر، ثم أراد عزله،

وتولية أخيه المعتز؛ لمحبته في أمه، فوجد المنتصرُ على أبيه في نفسه، واتفق مع الترك على قتل أبيه، فدخلوا عليه وهو مع وزيره في خلوة في الليل، فقطعوهما بالسيوف.

وكان من الاتفاق العجيب: أن المتوكل قد أُهدي له سيف من البحرين قاطع لم يَرَ أحدٌ مثلَه، فعرضه على جميع حاشيته، وكلٌّ يتمناه، فقال المتوكل: لا يصلح هذا السيف إلا لساعد ماعز التركي، فوهبه له دونَ غيره، فاتفق أنه كان أولَ من دخل عليه، فضربه به، فقطع حبلَ عاتقه، ثم تناولوه بالسيوف، فقطعوه هو والفتح قطعاً، حتى اختلطت لحومُهما، ودُفنا معاً.

وكانت وفاة المتوكل بِسُرَّ من رأى، ليلة الأربعاء، لثلاثٍ خلون من شوال، سنة سبع وأربعين ومئتين، وله إحدى وأربعون سنة، ودُفِن في القصر الجعفري، فكانت خلافته أربع عشرة سنة، وعشرة أشهر، وثلاثة أيام، والله أعلم.

ورآه بعضُهم في النوم وهو بين يدي الله ﷻ، فقال له: ما تصنع هاهنا؟ فقال: انتظر محمداً ابني، أخاصمُه بين يدي الله تعالى.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المنتصر محمدِ بنِ جعفر

هو أبو جعفر، محمدُ بنُ جعفرٍ المتوكلِ، وأمُّه رومية.

وكان مربوعاً، أسمر اللون، حسن الجسم، شهماً.

بويع لأربعٍ خلون من شوال، سنة سبـع وأربعين ومئتين، وخلع أخويه: المعتز، والمؤيد، وكان أبوهما المتوكلُ عقـد لهما البيعةَ، وأخذَ خَطَّيهما بخلع أنفسهما، بعد أن أهانهما، وأخافهما.

وهو أول من عدا على أبيه من بني العباس، وكان يسيء إلى العيال، ويبخل بالمال.

ورأى والـدَه في النـوم وهـو يقـول لـه: ويلك يا محمـد! قتلتني وظلمتني، والله! لا تمتعتَ بالخلافة بعدي إلا أياماً يسيرة، ثم مصيرُك إلى النار، فانتبه وهو لا يملك عينيه، فكان يُسَلّى، وهو لا يسلو، ولما اعتلَّ، أتته أمُّه تعوده، فلما رآها، بكى، وقال: يا أماه! عاجلتُ فعوجلتُ، ولم يزل منكسراً إلى أن مات، وكانت وفاته ليلة السبت، لثلاثٍ خلون من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وأربعين ومئتين، بِسُرَّ مَنْ رأى، وعمـرُه خمس وعشرون سنة، وستة أشهر، وكانت ولايته ستة أشهر.

ولما رتَّب المنتصر أسبابَ ملكه، ووضع كـل شيء موضعه، فرش له مجلس بأنواع الفرش، وكان في جملة الفرش: بساط حرير، طولـه عشرة أذرع، في عشرة أذرع منقوش بأنواع النقوش، وفي وسطه صورة الملك جالس على كرسي الملك، وعلى رأسه سطور مكتوبة بالفارسي، فقال: انظروا إلى من يقرأ هذه السطور التي على رأس الملك، فجاؤوا بمن قرأها، فإذا هي: أنا شيرويه بنُ كسرى، قتلت أبي، فلم أعشْ بعده إلا ستة أشهر، فتطَيَّر المنتصرُ من ذلك، وقام من ذلك المجلس، وأمر

الفراشين، فمزقوا ذلك الفرش بأسره، فلم يمكث بعد أبيه غيرَ ستة أشهر.

وفي أيامه توفيت شجاعُ أمُّ المتوكل، وكانت خيرةً، كثيرةَ الرغبة في الخير، وخلفت من الذهب العين خمسةَ آلاف ألف ألف دينار، وخمسين ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته ألف ألف دينار، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[1].

* * *

(١) لم يذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ خلافة المستعين، وهو أحمد بن محمد بن المعتصم، ثاني عشرهم، بويع له ليلة الاثنين، لست خلون من ربيع الآخر، وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويكنى: أبا العباس.

وفيها: ورد عليه خبر وفاة طاهر بن عبدالله بن طاهر أمير خراسان في رجب، فولى ابنه محمد بن طاهر خراسان.

وفيها: مات بغا الكبير، فولى مكانه ابنه موسى بن بغا.

وفيها: شغب أهل حمص على كيدر عاملهم، فأخرجوه.

وفيها: تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان نحو هراة.

وفيها: توفي محمد بن العلاء الهمداني من مشايخ البخاري ومسلم.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئتين، فيها التقى المسلمون والروم بمرج الأسقف، وقتل عمر بن عبدالله الأقطع مقدم العسكر، وكان شجاعاً، وانهزم الروم، وقتل منهم، فأغار الروم إلى الثغور الجزرية.

وفيها: شغب الجند الشاكرية والعامة ببغداد على الأتراك بسبب استيلائهم على الأمور يقتلون من شاؤوا من الخلفاء، ويستخلفون من شاؤوا من غير مصلحة، ثم اتفقت العامة بسامراء، وأطلقوا من في السجون، فقتلت الأتراك من العامة جماعة حتى سكنت الفتنة. =

= **وفيها**: قتلت الموالي أيامش، ونهبوا داره؛ فإن المستعين أطلق يد أيامش، فاستولى على الأموال.

وفيها: توفي علي بن الجهم الشاعر.

وفيها: توفي أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب صاحبُ إفريقية، وقام موضعه أخوه أبو محمد زيادة اللهِ.

ثم دخلت سنة خمسين ومئتين فيها، ظهر أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى ابن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في جمع، واستولى على الكوفة، ثم جهز إليه محمد بن عبداللهِ بن طاهر جيشاً، فقتل يحيى، وحمل رأسه إلى المستعين، ثم فيها ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسن بطبرستان، وكثر جمعه.

وفيها: وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن أخي مازيار، فقتلوه، فأرسل المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير، فحاربوه بين حمص والرستن، فهزمهم، فافتتح حمص، وقتل خلقاً، وأحرقها.

وفيها: توفي زيادة اللهِ من ولد الأغلب، وملك إفريقية بعده ابن أخيه أبو عبداللهِ محمد بن أحمد بن محمد المذكور.

وفيها: مات الخليع الشاعر الحسين بن الضحاك، ومولده سنة اثنتين وستين ومئة.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئتين، فيها قتل بغا الصغير، ووصيف باغر التركي، فشغب الجند، وحصروا المستعين في القصر بسامراء، فهرب هو وبغا ووصيف في حراقة إلى بغداد، واستقر بها المستعين، انتهى من «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

خلافة المعتزّ بالله

هو أبو عبدالله، محمدُ بنُ جعفرٍ المتوكل بنِ المعتصم بنِ هارونَ الرشيد.

ولد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، ولم يل الخلافة قبلَه أصغرُ منه.

بويع له عند خلع المستعين، **سنة اثنتين وخمسين**، وهو ابن تسعَ عشرةَ سنة، وكتب بذلك إلى جميع الآفاق، وكانت خلافته ثلاث سنين، وستة أشهر، وأربعة عشر يوماً، ومات عن نحو ثلاث وعشرين سنة.

ثم خَلع نفسه من الخلافة، وقُتل.

وكان سبب خلعه: أن الجند اجتمعوا، وطلبوا منه أرزاقهم، فلم يكن عنده شيء يعطيهم، فسأل أمه أن تقرضه شيئاً يدفعهم به عنه، فلم تعطه شيئاً، وأظهرت أن لا شيء معها، فاجتمع الأتراك على خلعه، ثم دخلوا عليه، فتناولوه بالدبابيس يضربونه، وما زالوا به حتى خلع نفسَه من الخلافة، ثم سلَّموه إلى من يسومه سوءَ العذاب، ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام، حتى جعل يطلب شربة من ماء البئر، فلم يُسق، ثم أدخلوه سرداباً فيه جص، فدسوه فيه، فأصبح ميتاً، فاستلُّوه من الجص سليمَ الجسد، وأشهدوا عليه جماعةً من الأعيان أنه مات، وليس به أثر، وكان ذلك اليوم الثاني من شعبان، **في السنة الخامسة والخمسين بعد المئتين**، وصلى عليه المهتدي، ودُفِن عند أخيه المنتصر، إلى جانب قصر الصوامع.

وكان طويلاً، جسيماً، وسيماً، أقنى الأنف، مدوَّر الوجه، حسنَ المضحَك، أبيضَ اللون، أسود الشعر، حسن العينين، ضيق الجبين، أحمرَ الوجنتين، ولم يُعذَّب أحدٌ من الخلفاء ما عُذِّب المعتز، على صغر سنه، وهو ثالث خليفة خُلِع من بني العباس، ورابع خليفة قُتِل منهم، وكان له من الولد جماعة، لم يشتهر منهم إلا عبدُالله.

في هذه السنة ظهر عند أمه قبيحة أموال عظيمة، وجواهر نفيسة، كان من جملة الذهب ما يقارب ألفي ألف دينار، ومن الزمرد الذي لم يُرَ مثلُه مقدارُ مَكُّوك، ومن اللؤلؤ مَكُّوك، وكَيْلَجَةُ ياقوتٍ أحمر لم يُرَ مثلها، هذا وقد كانت الأتراك طلبوا من ولدها المعتز خمسين ألف دينار تصرف في أرزاقهم، فلم يكن عنده من ذلك شيء، فطلب من أمه قبيحة ـ قبحها الله تعالى ـ أن تقرضه ذلك، فأظهرت أن لا شيء عندها، ثم ظهر عندها من الأموال ما ذكرناه، وقد كان لها من الغلات ما يعدل كل سنة عشرةَ آلاف دينار، واستمرت الخلافة للمهتدي بعد المعتز.

والمعتز هو الذي ولَّى أحمدَ بنَ طولون على مصر، ثم استولى ابن طولون على دمشق والشام، وأنطاكية والثغور، في مدة شغل الموفق بمحاربة الزنج.

وكان أبو العباس أحمدُ بنُ طولون عادلاً، شجاعاً، جواداً، متواضعاً، حسنَ السيرة، ويحبُّ أهل العلم، وبنى الجامعَ المنسوب إليه بظاهر القاهرة، قيل: إنه أنفق على عمارته مئة ألف دينار، وعشرين ألف دينار، إلا أنه كان طائش السيف، سَفَّاكاً للدماء، أُحصي من قتله صبراً،

فكان جملتهم ـ مع من مات في حبسه ـ ثمانيةَ عشرَ ألفاً، وكان من أطيب الناس صوتاً بالقراءة؛ فإنه حفظ القرآن، وأتقنه، وطلب العلم، وملك الديار المصريـة وعمره أربعون سنة، سنة أربع وخمسين ومئتين، فملكها بضع عشرة سنة.

وخلَّف أموالاً كثيرة، وثلاثة وثلاثين ولداً ذكراً وأنثى، وكان أبوه مملوكاً، أهداه نوح بن أسد الساماني إلى المأمون في جملة رقيق، ويقال: إن طولون تبنى أحمد، ولم يكن ولدَه ـ رحمه الله، وسامحه ـ.

* * *

خلافة المهتدي بالله

هو محمـدُ بنُ الواثقِ بالله بنِ المعتصمِ، الخليفـةُ الصالح، وأمُّـه رومية.

بويع له لليلة بقيت من رجب، **سنة خمس وخمسين ومئتين**، وكان أسمر اللون، رقيقاً، مليح الوجه، حميد الطريقة، ورعاً، زاهداً، عابداً، عدلاً، كثير العبادة، قوياً في أمر الدين، بطلاً شجاعاً، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً على الخير، وكـان خاشعاً ناسكاً، يكـاد يكون في الهاشميين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين، ولم يكن في ملوك بني العباس أزهدُ منه، وكان قد طرح الملاهي، وحرّم الغناء، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم، وكان له سَفَطٌ فيه جبة صوف، وكساء وبرنس، كان يلبسه بالليل، ويصلي فيه.

ولما قتله الأتراك، تضاربوا على السفط المذكور؛ ظناً منهم أن فيه ذخيرة نفيسة، فلما اطلعوا على ما فيه، أظهروا الندامة.

وكان السبب في قتله: أنه لما رأى تغلُّب الأتراك والديلم والمغاربة، علم أن سلفه أخطؤوا في تقدمتهم، وجعل يقدم الأعراب، ويأنس بهم، ثم إن الترك خرجوا عليه، فظفروا به، وعزلوه، ثم زجُّوه بالخناجر، ومَصَّ أحدُهم دمه حتى روي منه، ومات بين أيديهم - رحمه الله تعالى - لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، **سنة ست وخمسين ومئتين**، وله تسع وثلاثون سنة.

وكان له من الأولاد: سبعة عشر ذكراً، وست بنات، وأولاده أعيانُ أهل بغداد، وهم الخطباء بالجوامع، ومنهم العدول، ولم يبقَ ببغداد من أولاد الخلفاء أكثرُ من ولده.

ومن شعره:

أَمَـا وَالَّـذِي أَعْلَـى السَّمَاءَ بِقُـدْرَةٍ
وَأَبْعَـدَ مَـا بَـيْنَ الثُّرَيَّـةِ وَالثَّـرَى

لَـئِنْ تَـمَّ لِـي التَّدْبِـيرُ فِيمَـا أُرِيـدُهُ
لَتُفْتَقَـدَنَّ التُّـرْكُ يَوْمـاً فَـلاَ تُـرَى

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المعتمد على الله

هو أبو العباس، أحمدُ، وقيل: أبو جعفر، المتوكل، وأمُّه أمُّ وَلَد.

وكان حسنَ الجسم، طويل اللحية، واسع العينين، طويلاً.

بويع لـه لأربـع عشرة ليلة خلت من رجب، **سنة ست وخمسين ومئتين**، وكان يقبـل على اللذات، ويشتغل عن الرعيـة، كثيـرَ العـزل والتولية، وجعل أخـاه طلحةَ وليَّ عهده، ولقَّبه: الموفق بالله، فاستعدَّ الموفقُ لمحاربة الخبيث صاحبِ الزنج، الذي ادعى أنه علي بن محمد ابن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وليس كذلك، وإنما قيل بأنه: علي بن محمد بن أحمد بن رحيب، رجلٌ من العجم، من قريـة من قرى الري، ونشأ بسامراء، فتأدب بها، وخدم في الديوان، وقال الشعر، واستماح به.

ثم حدث في نفسه الكفر والخبث، ودعوى الإمامة، وعلم الغيب، والخروج عن الأئمة، فقدم البصرة، وأقام بهجر، ودعا الناس إلى طاعته، فمال إليه عبيدُ هجـر، وخَلْقٌ من أهـل البحرين، والتأموا عليـه، وكثر أتباعه، واستغوى مَنْ لقيه من الأعراب، وأوهم أنـه يعلم منطقَ الطير، وعمـد إلى خرقـة حرير، فكتـب فيها بالأخضر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾[التوبـة: ١١١] إلى آخـر الآية، وكتب عليها اسمه واسم أبيه، وعلَّقها، وخرج ينادي في الناس، فاجتمع عليه ألوف من الزنوج وغيـرهم، فقام فيهم خطيباً، ووعدهم أن

يملكهم الأموال، ولم يزل ينهب ويقتل، وادعى أن نساءه امتُحِنَّ بصحبته، وحرمن بعدَه على الرجال، وقال: لي بذلك أسـوة برسول الله ﷺ، وبأئمة الهدى من بعده.

فقيل له: إن أبا بكر وعمر تـزوج الناسُ بنسائهما، فقال: ليس فيهما قدوة، وأما علي، فقد أثم من تزوج نساءه بعده.

وادعى أنه عبدالله الذي قام يدعوه، وأنه أنزل فيه قرآناً.

وادعى أنه الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال: أُنزلت فيّ سورة من القرآن مجـردة، ليس فيها ذكر غيري، وهي: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[البينة: ١].

وادعى أنه تكلَّم في المهد صبياً.

ثم إن الموفق انتدب لقتاله، فوجَّه ولدَه أبا العباس في نحو عشرة آلاف فارس وراجل لقتال الزنج، فسار نحوهم، وكان بينهم من القتال والوقعات المشهورة ما يطول شرحه، فنصر الله أبا العباس، وأعلى كلمته، وفتح على يديه، وأسبغ نعمه عليه، وهذا الشابّ هو الذي ولي الخلافة بعد عمه المعتمد، ولقب بالمعتضد.

وركـب الموفَّـق من بغـداد في صفر سنة سبع وستين ومئتين في جيوش كثيفة، فدخل واسط، فتلقاه ابنه أبو العباس، وأخبره عن الجيش الذي معه، وما عملوا في حرب الزنج، فخلع عليه، وعلى الأمراء كلهم خِلَعاً سَنِيَّة.

ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج، وهو بالمدينة التي أنشأها، وسماها بالمنيعة، فقهرهم الموفق، ودخلها عَنْوة، وهدم أسوارها، وسار إلى غيرها من البلاد، وهدم ونهب.

ثم سار الموفق في جيوش عظيمة ـ نحو خمسين ألف مقاتل ـ إلى مدينة صاحب الزنج الكبرى التي بناها وسماها: المختارة، وقدّم ولده أبا العباس بين يديه، وحاصر قصرَ الملك محاصرة لم يحاصر مثلها، وتعجب الزنج من إقدامه وجرأته مع صغر سنه، فهزمهم بإذن الله، وفرّ الخبيث صاحب الزنج هارباً، وترك حلائله وأولاده، وأمواله فأخذها الموفق ـ ولله الحمد والمنة ـ، وشرحُ ذلك يطول.

ثم ركب الموفق، فأسر عامة من كان يصحبه من خاصته، وأبادهم بالقتل، وما انجلت الحرب حتى جاء البشير بقتل الخبيث صاحبِ الزنج في المعركة، وجيء برأسه إليه، فخر لله ﷻ ساجداً، ثم رجع، ودخل مدينته التي أنشأها، وسماها: الموفقية، وكان يوماً مشهوداً، وفرح المسلمون بذلك في المشارق والمغارب.

ثم قدم ولدُه أبو العباس بين يديه إلى بغداد، ومعه رأسُ الخبيث، فكان لدخوله يوم مشهود، وانتهت أيام صاحب الزنج الكذاب ـ قبحه الله تعالى ـ.

وفي سنة سبعين ومئتين: أقبلت الروم في مئة ألف مقاتل، فنزلوا قريباً من طرسوس، فخرج المسلمون إليهم، وقتلوا منهم في مقتلة واحدة نحواً من سبعين ألفاً ـ ولله الحمد ـ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة.

ولما قتل الموفق صاحبَ الزنـج، وكسر جيوشـه، تلقـب بناصر دين الله، وصار إليه الحل والعقد، والولاية والعزل، وكـان يُخطب لـه على المنابر، فيقال: اللهمَّ أصلح الأميرَ الناصرَ لدين الله أحمدَ الموفقَ بالله، وليَّ عهد المسلمين، أخا أمير المؤمنين.

وتوفي طلحةُ الموفقُ قبل أخيه المعتمد، وكان غزير العقل، حسن التدبير، كريماً، محمود السيرة، وله محاسن كثيرة، وكانت وفاته في صفر **سنة ثمان وسبعين ومئتين**.

واستمر المعتمد في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة، وستة أيام.

وتوفي المعتمـد لإحدى عشرة ليلة بقيـت من رجـب، **سنة تسع وسبعين ومئتين** ببغداد، وكان عمـره يوم مات خمسين سنة، وستة أشهر، وكان أسنَّ من أخيه الموفق بستة أشهر، وكان أول خليفة انتقل من سامراء إلى بغداد، ولم يَعُدْ إليها أحد من الخلفاء، بل جعلوا دار إقامتهم بغداد.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المعتضد

هو أبو العباس، أحمدُ بنُ طلحةَ الموفقِ بنِ جعفرٍ المتوكل، وأمـه ضرار أمُّ وَلَد، وكان نحيفاً، ربعة، خفيف العارضين.

بويع له لإحـدى عشرة ليلـة بقيت من رجـب، **سنة تسع وسبعين**

ومئتين، وكان عادلاً، ضابطاً، وأمر بردِّ المظالم، وأسقط المكوس التي كانت تؤخـذ بالحرمين، وبذل المال، وحجَّ وغزا، وجالس المحدِّثين وأهلَ الفضل والدين، وأحسن التدبير، وقمع الفجـار، وبالغ في العمارة، ورفق بالرعية، وأمر أتباعه بلزوم الطرائق الحميـدة، وعرَّفهم أن من أفسد من غلمانهم، أُخـذ بـه مولاه، فأخـذ بعضُ غلمان الأجناد حِصْرِماً من كرم، فأحضر أستاذَه الأميـر، وضرب عنقه، ثم قال لوزيره عبيدِالله بن سليمان: لعلك أنكرتَ قتلَ هذا الأمير بجرمٍ جَنَاهُ عبدُه؟ قال: هـو ذلك يا أمير المؤمنين، قال: كنتُ في خلافة المعتمد قد رأيتُ هذا الأمير قتل رجلاً بغير ذنب عمداً، ولـم يكن له وارث، فنـذرتُ لله تعالى إن ولاني الخلافة، قتلتُه به، فلما ولاني الله الخلافة، طلبتُ له العثرات حتى قتلتُه.

وهذا من فقه هذا الخليفة ودينـه، وقال: والله ما حللت سراويلي على حرام قَطّ.

ومحاسنهُ كثيرة، ولـم يل الخلافة من بني العباس بعدَ السفاح مَنْ لـم يكن أبوه خليفة إلا المستعين، والمعتضد.

وتزوج قطرَ الندى ابنةَ خمارويه بن أحمد بن طولون، **سنة إحدى وثمانين**، وأصدَقَها ألف ألف درهم.

ثم توفي المعتضد ببغداد، ليلة الاثنين، لسبعٍ بقين من شهر ربيع الآخر، **سنة تسع وثمانين ومئتين**، وعمره ست وأربعون سنة.

ويقال: إن وزيره إسماعيلَ بنَ بلبل سَمَّه.

وكانت خلافته تسع سنين، وتسعة أشهر، وأربعة أيام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المكتفي بالله

هو أبو محمد، عليُّ بن المعتضد بالله، أمُّه أم ولد، اسمها خاضع.

بويع له لسبع بقين من ربيع الآخر، **سنة تسع وثمانين ومئتين**، وكان أسمر اللون، قصيراً، حسن الوجه، أمواله جَمَّة، وعساكره كثيرة، وليس في الخلفاء مَن اسمه عليٌّ غيرُ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، والمكتفي هذا، وليس في الخلفاء من كنيته أبو محمد سوى الحسن بن علي رضي الله عنهما، والمكتفي.

وهو الذي بنى جامع البصرة، وأباد القرامطةَ الخارجين على الإمام.

وفي أيامه فتحت أنطاكية، وفي أيامه مات الزنديق أحمد بن يحيى ابن إسحاق المعروف بالراوندي، في **سنة ثلاث وتسعين ومئتين**، وهو المتكلِّم، وصنف عدة كتب في الكفر والإلحاد ومناقضة الشريعة، ووضع لليهود والنصارى كتاباً يتضمن مناقضة دين الإسلام، وكان موته ـ لعنه الله ـ برحبة مالك بن طوق، وقيل: مات سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة خمسين ومئتين، وعمره ست وثلاثون سنة.

وتوفي ببغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس

وتسعين ومئتين، وعمره إحدى وثلاثون سنة، وشهور، ومدةُ خلافته ستٌّ سنين، وستةُ أشهر، وعشرون يوماً.

وولي من أولاد المعتضد ثلاثة: المكتفي، والمقتدر، والقاهر، كما أن أولاد الرشيد ولي منهم ثلاثة: الأمين، والمأمون، والمعتصم.

* * *

خلافة المقتدر بالله

هو أبو الفضل، جعفرُ بنُ المعتضد، أُمه أُم ولد.

بويع له لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، **سنة خمس وتسعين ومئتين**، ولم يل الخلافة أصغرُ منه سناً.

وكان ربع القامة، أحور العين، وأفضت الخلافة إليه وله ثلاثَ عشرةَ سنة، وشهران إلا أياماً، فدبر الوزراء والكتاب الأمور، وغلب النساءُ على أمره، حتى إن جارية لأمه تعرف بثمل القهرمانة، كانت تجلس للمظالم، وتحضُرها القضاة والفقهاء والوزراء.

وبطل الحج في أيامه، فلم يحج أحد **سنة سبع عشرة وثلاث مئة**؛ لدخول سليمان القرمطي صاحبُ البحرين مكة، وأخذ الحجر الأسود، في يوم الاثنين، لسبعٍ خلون من ذي الحجة، وأخذ الحجر يوم الأحد، لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وأقام بمكة ثمانية أيام، وقتل مَنْ كان بمكة من الحجاج وغيرهم قتلاً ذريعاً، ورمى القتلى في زمزم، وأخذ الحجر، وعَرَّى الكعبةَ، وخلع بابها، وبقي الحجر الأسود عندهم

اثنتين وعشرين سنة إلا أشهراً، ثم رده الله تعالى، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنة.

ويأتي ذكر ذلك في ترجمة المهدي بالله العلوي.

واستوزرَ اثني عشر وزيراً، يولِّي هذا اليوم، ثم يعزله غداً، إلى أن قتله بعضُ البربر بالسيف، في الحرب بينه وبين مؤنس الخادم، وأخذ رأسه، وخلع ثيابه وسراويله، فمر به رجل من الأكراد، فستر سوءته بحشيش، ثم حفر له ودفنه، وعَفَّى أثره.

ولما ولي المقتدر الخلافة، اجتنى من الأموال سبع مئة ألف ألف دينار، وخمسين ألف ألف دينار، خارجاً عما وجده في بيوت الأموال، فأنفق ذلك كله، ومات في أيامه خمسةَ عشرَ ألفَ أمير ومتقدم ومذكور، فكانت والدته تطوي عنه الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه، فأدى ذلك إلى انتشار الفساد في مملكته، وكان الناس قد مَلُّوا أيامه لطولها، حتى إذا تصرمت، تمنوا ساعة منها، فأعوزتهم، وتعاقبتهم الحوادث.

وفي أيامه ظهرت الدولة العلوية الفاطمية ـ كما سيمرُّ بك في ترجمة المهدي بالله أول خلفائهم ـ.

وقُتل المقتدر يوم الأربعاء، لثلاثٍ بقين من شوال، **سنة عشرين وثلاث مئة**، وعمره ثمانٍ وثلاثون سنة، وشهر وأيام.

وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً، وأربعة عشر يوماً.

وماتت أمه بعده بسبعة أشهر وثمانية أيام، بعد مصادرات ونوازل، ولم يكن لامرأة من الخير ما كـان لزبيدةَ ولها بعدَها، وكانت مواظبة على صلاح شأن الحج، وإنفاذ خزانة الطب والأشربة إلى الحرمين، وإصلاح المصانع والحياض، وكان يرتفع لها من ضياعها ألف ألف دينار في كل سنة تتصدق بأكثرها.

وكان له من الأولاد: اثنا عشر ولداً ذكوراً.

وكان من وزرائه: أبو الحسن بن الفُرات، وكان كريمـاً، ثم عُبيدالله ابن خاقان، وكان جواداً كريماً، ثم عليُّ بن عيسى بن داود بن الجراح، وكان موصـوفـاً بالعلم والدين، خدم الخلفاء سبعين سنة، لم يُزل فيها نعمةَ أحد، ولم يقتل أحداً، ولم يسعَ في دمه، فبقيت عليه نعمتُه، وعلى ولده، بعد أن شُحِذَت له المُدى، فدفـع الله عنه، ولم يهتك قَطُّ لأحدٍ حرمة، فلم يهتك الله له حرمة.

وقيل مكتوب على خاتمه: لله صنعٌ خفي في كل أمر تخاف.

ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

خلافة القاهر بالله أبي منصور

هو محمدُ بنُ المعتضد، وأمه قبول أُمُّ وَلَد.

بويع له يوم الخميس، لليلتين بقيتا من شوال، سنة عشرين وثلاث مئة، بعد أن بقيت بغداد يومين بغير خليفة.

وكان موصوفاً بالظلم، مقداماً على سفك الدماء، محباً لجمع المال، قبيح السياسة، صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر وأولاده، وضرب أمَّ المقتدر، وعلَّقها بفرد رجل في حبل البرادة، حتى ماتت، وحلَّ وقفَها على الحرمين والثغور، وباعه.

وزاد بطشه وقتلُه لأرباب الدولة، فخاف وزيره أبو علي بنُ مُقْلَةَ منه، وبذل لمنجِّمٍ ـ كان يخدم بعض قواده ـ مئتي دينار حتى قال للقائد من طريق النجوم: إني أخاف عليك من القاهر، فاجتمعوا عليه، وخلعوه، وسَمَلُوه، وارتكبوا منه أمراً لم يُسمع بمثله في الإسلام، وذلك لستٍّ خلون من جمادى الأولى، سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

وكان أولَ من سُمل من الخلفاء، فكانت ولايته سنة، وستة أشهر، وثمانية أيام، وتوفي لثلاثٍ خلون من جمادى الأولى، سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، ودُفن إلى جنب أبيه المعتضد بالله، وعمره اثنتان وخمسون سنة.

ويقال: إنه بعد أن سُملت عيناه، وخُلع، أقام مدة، ثم خرج إلى جامع المنصور، وقام، فعرف الناس بأمره، وسألهم أن يتصدقوا عليه، فقام إليه ابن أبي موسى الهاشمي، فأعطاه ألف درهم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

والحمدُ لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الراضي بالله

هو محمدُ بنُ المقتدر، وأمُّه ظَلومُ أُمُّ وَلَد.

بويـع لـه بعـد عمه القاهر يوم الأربعاء، لستٍّ خلون من جمادى الأولى، سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

وكان أسمر اللون، خفيف العارضين، وكان أديباً شاعراً، وهو آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة.

ولما أراد الخطبةَ، أرسل إلى الفقيه إسماعيل بن علي، وقال له: قد عزمتُ على أن أصلي بالناس غداً صلاة الجمعة، فكيف أقول إذا بلغتُ الدعاء لنفسي؟ قال: تقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[النمل: ١٩] الآيـة، فقـال: حسـبك وهزء بقوله.

وأفسد دولته أبو علي بنُ مُقْلَة؛ فإنه كتب إلى بجكم التركي، يُطمعه في بغداد، فكان من أعلمَ الخليفة بذلك، فأمر بقطـع يده، وقال: هذا سعى في الأرض الفساد، فكان ابن مقلة ينوح على يده، ويقول: خدمت بها ثلاثة خلفـاء، وكتبت بها القرآن مرتين، وتُقطع كما تقطع اللصوص، ولم يكن في زمانه من يساويه في حسن الخط واللباقة.

ولما غضب الخليفة على ابن مقلة، وأمر بقطع يده، لم يأت أحد إليه متوجعاً، ثم في أثناء ذلك رضي الخليفة، وخلع عليه، فأتته الناس يهنونه أفواجاً فأنشد:

تَحَـــالَفَ النَّـــاسُ وَالزَّمَـــانُ
فَحَيْـــثُ كَـــانَ الزَّمَـــانُ كَـــانُوا

عَـــادَانِيَ الـــدَّهْرُ نِـــصْفَ يَـــوْمٍ
فَانْكَـــشَفَ النَّـــاسُ لِـــي وَبَـــانُوا

يَـــا أَيُّهَـــا المُعْرِضُـــونَ عَنَّـــا
عُـــودُوا فَقَـــدْ عَـــاوَدَ الزَّمَـــانُ

وتوفي الراضي بالله في منتصف ربيع الأول، **سنة تسع وعشرين وثلاث مئة**.

* * *

خلافة المتقي لله

هو أبو إسحاق، إبراهيمُ بنُ المقتدر، بويع لـه يوم الأربعاء، لعشر بقين من شهر ربيع الأول، **سنة تسع وعشرين وثلاث مئة**، وكان أبيض، أشهل العينين، أشقر الشعر، وكان في أيامه غلاء وشدة، وكان عابداً، كثيرَ الصلاة والصوم، ولم يشرب النبيـذ قـط، وكان يقول: المصحف نديمي، ولذلك لقبه الصولي: المتقي لله، ولـم يغدر بأحد قط، إلا أن الله لـم يوفق له أصحاباً، غدر به الترك، وسملوه في صفر، **سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة**، فكانت خلافته ثلاث سنين، وأحد عشر شهراً، وعاش بعـد ذلـك أربعـاً وعشرين سنـة، وتوفي ليلة النصف من شعبان، **سنـة سبع**

وخمسين **وثلاث مئة**، وعمره ستون سنة، وأيام، والله أعلم.

* * *

خلافة المستكفي بالله

هو أبو القاسم، عبدُالله بن المكتفي بالله، بويع لـه لعشرٍ بقينَ من صفر، **سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة**، وسنُّه إحدى وأربعون سنة، وسبعة أيام، في سن المنصور حين ولي الخلافـة، وكان مليح الوجه، قد وَخَطَه الشيب، وتلقَّب بهذا اللقب، وبإمام الحق.

وقبض عليه معزُّ الدولة أبو الحسن بنُ بويه الديلميُّ في يوم الخميس، لسبع بقين من جمادى الآخرة، **سنة أربع وثلاثين وثلاث مئـة**، وسُمل بعد خلعه، وحُبِـس، وتوفي في محبسه ليلة الجمعة، لأربعَ عشرةَ ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة أربع[1] وثلاثين وثلاث مئة.

وخلافته سنة واحدة، وأربعة أشهر، وثلاثة أيام، والله أعلم.

* * *

خلافة المطيع لله

هو أبو القاسم، الفضلُ بنُ المقتدر، بويع لـه لثمان بقين من جمادى الآخرة **سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة**، وهو أولُ من طال عمره من خلفاء

---

(١) في الأصل: «ثمان».

بني العباس على من تقدم؛ لأنه بقي في الخلافـة إلى ذي القعدة، **سنة ثلاث وستين وثلاث مئـة**، فكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة، وأربعة أشهر، وواحـداً وعشرين يوماً، ولـم يكن لـه من الخلافـة سوى الاسم، والمدير للأمور والحاكم على الجمهور معزُّ الدولة أحمدُ بن بويه الديلمي، وحمل الخليفةَ معه إلى البصرة، ولـم يدخل البصرة خليفة محارب إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب، والمطيع لله، وكان كريماً، حليماً، سخياً على قلة ذات يده.

وكان يُجـري على ثلاثـة خلفـاء خُلعـوا وسُملوا، وهـم: القاهـر والمستكفي، والمتقي، لكل واحد منهم في كل شهر مئـة دينـار، ولـم يتعرض لأحد من قرابته بسوء، وخلع نفسه في منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الطائع لله

هو أبو بكر، عبدُ الكريم بنُ الفضل، أُمُّه أُمٌّ وَلَد.

بويع له يوم الأربعاء، في منتصف ذي القعدة، **سنة ثلاث وستين وثلاث مئة**، وعمره ثمان وأربعون سنة، وأقام خليفة سبع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وستة أيام، ولـم يتقلد الخلافة مَنْ له أبٌ حيٌّ إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والطائع لله، وكلاهما يكنى بأبي بكر.

وخُلع الطائع من الخلافة، ورُمي من فوق السرير، وقَبض عليه بهاءُ الدولة بنُ عضد الدولة؛ بسبب طمعه في مال الطائع، ولما أراد ذلك، أرسل إلى الطائع، وسأله الإذنَ ليجدد العهد به، فجلس الطائع على كرسي، ودخل عليه بعض الديلم، وقد كان مد يده ليسلم عليه، فجذبه عن سريره، والخليفة يقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، ويستغيث فلا يُغاث، وحُمِل إلى دار بهاء الدولة، وأشهد عليه بالخلع، وذلك في داره، بموضع المدرسة النظامية، ونهبتِ الدَّيلمُ دار الخلافة، وكان خلعه في شعبان، **سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة**.

ولمّا تولى القادر، حُمل إليه الطائع، فبقي عنده مكرماً، إلى أن توفي في ليلة عيد الفطر، **سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة**.

ورثاه الشريفُ الرضيُّ بقصيدة أولها:

مَـا بَعْـدَ يَوْمِـكَ مَـا يَـسْلُو بِـهِ الـسَّالِي
وَمِثْـلُ يَوْمِـكَ لَـمْ يَخْطُـرْ عَلَـى بَـالِي

والحمد لله وحده.

* * *

خلافة القادر بالله

هو أبو العباس، أحمدُ ابن الأمير إسحاق بنِ المقتدر بالله بنِ المعتضد.

بويع له لسبع بقين من شعبان، **سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة**، وكان مقيماً بالبطيحة، فأرسل إليه بهاءُ الدولة خواصَّ أصحابه ليُحضروه، ولما قرب من بغداد، خرج بهاءُ الدولة وأعيانُ الناس لملتقاه، ودخل دار الخلافة، ثاني عشر رمضان، وبايعه الناس، وخُطب له ثالث عشر رمضان.

وكان من حسن الدين والتهجد والورع على طريقة مشهورة، وكان امرأً صالحاً ورعاً تقياً، حسنَ الخليقة، حميدَ الطريقة، صلفَ النفس، كثير المعروف، بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة، وتسعة أشهر، وأياماً، وأقام خليفة إحدى وأربعين سنة، وثلاثة أشهر، وواحداً وعشرين يوماً.

وتوفي في الحادي عشر من ذي الحجة، **سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة**، ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله مدةَ ولايته، ولا طولَ عمره، وفي أيامه فُتحت السند والهند، والله أعلم.

وكُتب ببغداد محضر بأمر القادر يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر، وكتب فيه جماعة من العلويين والقضاة، وجماعة من الفضلاء، وأبو عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة.

ونسخة المحضر المذكور: هذا ما شهد به الشهود: أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذي تنسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم ـ حكم الله عليه بالبوار والدمار ـ ابن معد بن إسماعيل بن

عبد الرحمن بن سعيد ـ لا أسعده الله ـ، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس ـ عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ـ أدعياءُ خوارجُ، لا نسبَ لهم في ولد علي بن أبي طالب ﷺ، وأن ما ادعـوه من الانتساب إليه زورٌ وباطل، وأن هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفارٌ وفساق زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحـوا الفروج، وأحلُّوا الخمور، وسَبوا الأنبياء، وادَّعوا الربوبية.

وتضمن المحضر المذكور نحو ذلك.

وفي آخره: وكتب في شهر ربيع الآخر، **سنة اثنتين وأربع مئة**.

والحمد لله.

* * *

خلافة القائم بأمر الله

هو أبو جعفر، عبدُالله بنُ القادر بالله، كان أبوه قـد عهِد إليه، وبايعه بالخلافة، فجددت له البيعة، وكان كريماً حليماً، حسنَ السيرة، قد اجتهد في صلاح الدين.

وزال في أيامـه ملكُ العجم الذين كانـوا يحجُرون على الخلفاء، واستقلَّ هو بالأمر، ودُعي له بإفريقية، أقام دعوته بها المعزُّ بن باديس.

وفي أيامـه قتـل البساسيري كبيرُ التـرك ببغداد، لما ظهر منـه من المخالفة والعصيان، قتله طغرلبك، وأرسل رأسه إلى الخليفة، فصُلب قبالة الباب النوبي، في سنة إحدى وخمسين وأربع مئة.

وكان سخياً، وكان كثير الصلاة والصيام، وكان سبب كثرته الصيام: أن الخطيب كان يخطب يوم الجمعة فيقول: اللهم أصلح عبدك وخليفتك الإمام الصوام القوام، فقال مجيباً له: والله لا كذبتُكَ، فكان يصوم النهار، ويقوم الليل ولا يمسك من المال إلاَّ قوته خاصة وقوت عياله.

وفي أيامه غرقت بغداد حتى خرج الماء على الخليفة من تحت سريره، فنهض إلى الباب، فلم يجد طريقاً، فحمله خادمٌ على ظهره حتى أخرجه، وأخذ الخليفة بُردةَ رسولِ الله ﷺ، فلبسها، ثم أخذ القضيبَ بيده، ووقف يصلِّي ويتضرع إلى الله تعالى، وهو صائم يومه، ولم يطعم ليلته، ففرَّج الله عن الناس.

وتوفي في ليلة الخميس، ثالث عشر شعبان، **سنة سبع وستين وأربع مئة**، وعمره أربع وسبعون سنة، وثمانية شهور، وثمانية أيام، وخلافته أربع وأربعون سنة، وثمانية أشهر، ويومان.

* * *

خلافة المقتدي بأمر الله

هو أبو القاسم، عبدُالله بنُ محمد الذخيرة بنِ القائم.

بويع له بالخلافة لما توفي القائم، وحضر مؤيدُ الملك بنُ نظام الملك والوزير ابنُ جهير، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وابن الصباغ، ونقيب النقباء طَرَّاد الزينبي، والقاضي أبو عبدالله الدَّامغاني، وغيرهم من الأعيان، فبايعوا بالخلافة، ولم يكن للقائم ولد ذكرٌ سواه؛ فإن محمد بنَ

القائم، وكان يلقب يعني الخليفة ذخيرة الدين، توفي في حياة أبيه القائم.

وكان لمحمد بن القائم لما توفي جارية اسمها أرجوان، فلما توفي محمد، ورأت أرجوان ما نال القائمَ من المصيبة بانقطاع نسله، ذكرت أنها حامل من محمدٍ ابنِه، فولدت عبدالله المقتدي إلى ستة أشهر من موت محمد، فاشتد فرحُ القائم به، وعظُم سروره، فلما بلغ المقتدي الحلمَ، جعله القائمُ وليَّ عهده، وتوفي المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبدُالله فجأة، يوم السبت، خامس عشر المحرم، سنة **سبع وثمانين وأربع مئة**، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة، وثمانية أشهر، وأياماً، وخلافته تسع عشرة سنة، وخمسة أشهر، وأمُّه أمُّ ولد أرمنية تسمى: أرجوان، أدركت خلافته، وخلافةَ ابنه المستظهر بالله، وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله.

وكان المقتدي قوي النفس، عظيم الهمة ـ رحمه الله ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستظهر بالله

هو أبو العباس، أحمدُ بنُ المقتدي بأمر الله.

بويع له بالخلافة لما توفي المقتدي، وكان عمره ست عشرة سنة، وشهرين.

وفي أيامه، **في سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة** أخذ الفرنج بيت المقدس ـ على ما يأتي ذكره في ترجمة المستعلي بأمر الله العلوي ـ.

وتوفي المستظهر بالله في سادس عشر ربيع الآخر سنة **اثنتي عشرة وخمس مئة**، وكان عمره إحدى وأربعين سنة، وستة أشهر، وأياماً، وخلافته خمساً وعشرين سنة، وثلاثة أشهر ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

خلافة المسترشد بالله

هو أبو منصور، فضلُ بنُ أحمدَ المستظهرِ.

أخذ البيعة على الناس للمسترشد القاضي أبو الحسن الدامغاني لما توفي المستظهر.

ثم وقع الحرب بين المسترشد، وبين السلطان مسعود، وسببه: أن جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغاضبين، واتصلوا بالخليفة، وهوّنوا عليه قتال السلطان مسعود، فاغتر بكلامهم، وسار من بغداد لقتاله، فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود، وانهزم الباقون، وأُخذ الخليفة أسيراً مع مسعود.

ثم سار به من همدان إلى مراغة، وهو معه في خيمة منفردة، وكان اتفق مع الخليفة على مال يحمله الخليفة إليه، وأن لا يعود يخرج من بغداد، واتفق وصول رسول السلطان سنجر أبي مسعود، فركب مسعود لملتقاه، فوثبت الباطنية على المسترشد وهو في تلك الخيمة، فقتلوه، ومثّلوا به، فجدعوا أنفه وأذنيه، وقُتل معه نفر من أصحابه.

وكان قتل المسترشد يومَ الأحد، سابع عشر ذي القعدة، **سنة تسع وعشرين وخمس مئة**، بظاهر مراغة، وكان عمره لما قتل ثلاثاً وأربعين سنة، وثلاثة أشهر، وكانت خلافته سبع عشرة سنة، وستة أشهر، وعشرين يوماً.

وأمُّه أم ولد، وكان فصيحاً، حسن الخط، شهماً.

وفي أيام المسترشد في **سنة ثلاث عشرة وخمس مئة** ظهر قبر إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ، وقبرا ولديه إسحاق ويعقوب بالقرب من بيت المقدس، ورآهم كثير من الناس لم تَبْلَ أجسادُهم، وعندهم في المغارة قناديلُ من ذهب وفضة.

ويأتي ذكرُ ذلك في ترجمة الآمر بأحكام الله العلوي.

والحمد لله وحده.

* * *

خلافة الراشد بالله

هو أبو جعفر، المنصورُ بنُ المسترشد بالله.

بويع له لما قتل والده، وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد في حياته، ثم بعد قتله جُددت له البيعة، في يوم السابع والعشرين من ذي القعدة، **سنة تسع وعشرين وخمس مئة**، وكتب مسعود إلى بغداد بذلك، فحضر بيعته واحد وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء.

ثم خلع الراشد، وسببه: أنه اتفق مع بعض ملوك الأطراف؛ مثل: عماد الدين زنكي وغيره، على خلاف السلطان مسعود، وطاعة داود ابن السلطان محمود، فلما بلغ مسعوداً ذلك، سار إلى بغداد، وحاصرها، فلم يظفر بها، فارتحل، وسار الخليفة الراشدُ من بغداد مع عماد الدين زنكي إلى الموصل، فلما سمع مسعود بمسير الخليفة مع زنكي، سار إلى بغداد، واستقر بها في ذي القعدة، **سنة ثلاثين وخمس مئة**، وجمع مسعود القضاة وكبراءَ بغداد، وأجمعوا على خلع الراشد؛ بسبب أنه كان قد عاهد مسعوداً على أنه لا يقاتله، ومتى خالف ذلك، فقد خلع نفسه، وبسبب أمور كبيرة ارتكبها، فخُلع، وحُكم بفسقه وخلعه.

وكانت مدة خلافة الراشد أحدَ عشر شهراً، وأحد عشر يوماً.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المقتفي لأمر الله

هو أبو عبدالله، محمدُ بن المستظهر.

لما خلع الراشد، استشار السلطان مسعود فيمن يقيمه في الخلافة، فوقع الاتفاق على محمد بن المستظهر، فأُحضر، وجلس في الميمنة، ودخل إليه السلطان مسعود، وتحالفا، ثم خرج السلطان، وأَحضر الأمراء وأربابَ المناصب، والقضاةَ والفقهاء، وبايعوه، ولقبوه: المقتفي لأمر

الله، والمقتفي عمُّ الراشد المذكور، هو والمسترشد ابنا المستظهر وَلِيا الخلافة، وكذلك السفاحُ والمنصورُ أخوان، وكذلك المهدي والرشيدُ أخوان، وكذلك الواثقُ والمتوكل.

وأما ثلاثة إخوة ولوا الخلافة، فالأمين، والمأمون، والمعتصم أولادُ الرشيد.

وكذلك المكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر.

وأما أربعة إخوة ولوها، فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان، لا يعرف غيرهم.

وعُمل محضر بخلع الراشد، وأرسل إلى الموصل، وزاد المقتفي في إقطاع عماد الدين زنكي وألقابه، وأرسل المحضر، فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل، وخُطب للمقتفي في الموصل في رجب، **سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة**.

وفي سنة خمس وثلاثين وخمس مئة وصل رسولُ السلطان سنجر، ومعه بردةُ النبي ﷺ، والقضيب، وكانا قد أُخذا من المسترشد، فأعادهما إلى المقتفي.

وفي سنة اثنتين وخمسين: خلع المقتفي الخليفة بابَ الكعبة، وعمل عوضه باباً مصفحاً بالفضة المذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً يدفن فيه.

وتوفي المقتفي لأمر الله في ثاني ربيع الأول، **سنة خمس وخمسين وخمس مئة** بعلة التراقي[1].

وكان مولده ثاني ربيع الآخر، سنة تسع وثمانين وأربع مئة، وأُمُّه أم ولد.

وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، وستة عشر يوماً، وكان حسن السيرة، وهو أول من استبدّ بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد، حتى كان لا يفوته منها شيء.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

خلافة المستنجد بالله

هو أبو المظفر، يوسفُ بنُ المقتفي لأمرِ الله محمدٍ، وأمُّه أمُّ وَلَد، تدعى طاوس.

بويع له لما توفي والده المقتفي، ولقب: المستنجد بالله، ولما بويع المستنجد بالخلافة، بايعه أهله وأقاربه، فمنهم: عمُّه أبو طالب، ثم أخوه أبو جعفر بن المقتفي، وكان أكبر من المستنجد بالله، ثم بايعه الوزير ابن هبيرة، وقاضي القضاة، وغيرهم.

---

(١) في الأصل: «المراقيا».

وتوفي في تاسع ربيع الآخر، **سنة ست وستين وخمس مئة.**

ومولده مستهل ربيع الآخر، سنة عشرٍ وخمس مئة.

وكان أسمر، تام القامة، طويل اللحية.

وكان سبب موته: أنه مرض، واشتد مرضه، وكان قد خاف منه أستاذ داره عضدُ الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء، وقطب الدين قيماز المقتفوي، وهو حينئذ أكبر أمراء بغداد، فاتفقا ووصَّيا الطبيب، أن يصف له ما يُهلكه، فوصف له دخول الحمام، فامتنع منه لضعفه؛ ثم إنه دخلها، وأغلق عليه الباب، فمات ـ رحمه الله ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستضيء بأمر الله

هو أبو محمد، الحسنُ بن المستنجد بالله.

ولما مات المستنجد، أحضر عضدُ الدين وقطب الدين المستضيءَ بأمر الله، وشرطا عليه شروطاً: أن يكون عضدُ الدين وزيراً، وابنُه كمال الدين أستاذ الدار، وقطبُ الدين أميرَ العسكر، فأجابهم إلى ذلك.

ولم يلِ الخلافة من اسمُه حسن غيرُ الحسن بن علي، والمستضيء، فبايعوه بالخلافة يوم مات أبوه بيعة خاصة، وفي غده بيعة عامة.

وكان المستضيء بأمر الله حسنَ السيرة، أطلق كثيراً من المُكُوس،

وكان شديداً على أهل العبث والفساد.

وفي أيامه كان انقطاع الدولة الفاطمية من المملكة في أول سنة سبع وستين وخمس مئة ـ كما يأتي ذكره في ترجمة الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب إن شاء الله تعالى ـ.

وتوفي المستضيء في ثاني ذي القعدة، سنة خمس وسبعين وخمس مئة، وأمه أمُّ ولد أرمنية، وكانت خلافته نحو تسع سنين، وسبعة أشهر.

وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمس مئة.

وكان عادلاً، حسن السيرة، وكان قد حكم في دولته ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار بعد قتل عضد الدين الوزير، والله أعلم.

* * *

خلافة الناصر لدين الله

هو أبو العباس، أحمدُ بنُ المستضيء بأمر الله بنِ المستنجد بالله يوسف بنِ المقتفي محمد بنِ المستظهر أحمد بنِ المقتدي عبدالله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد بنِ القائم عبدالله بن القادر أحمد ابنِ الأمير إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد ابن الأمير الموفق.

قيل: اسمه طلحة، وقيل: محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبدالله بن محمد ابن علي بن عبدالله ابن عمِّ النبي ﷺ العباسِ بن عبد المطلب بن هاشم.

بويع له بالخلافة لما مات المستضيء.

قام ظهير الدين بن العطار، وأخذ البيعة لولده الإمام الناصر لدين الله، ولما استقرت البيعـة للإمام الناصر، حكم أُستاذ الدار مجدُ الدين أبو الفضل، فقبض في سابع القعدة على ظهير الدين بن العطار، ونقل إلى التاج، وأخرج ظهير الدين المذكور ميتاً على رأس حمال ليلة الأربعاء، ثاني عشر ذي القعـدة، فثارت بـه العامـة، وألقـوه عن رأس الحمال، وشدوا في ذكره حبلاً، وسحبوه في البلد، وكانوا يضعون في يده مغرفة يعني: أنها قلم، وقد غمس تلك المغرفة في العذرة ويقولون: وقِّع لنا يا مولانا، هذا فعلُهم به مع حُسن سيرتـه فيهم، وكفِّه عن أموالهم، ثم خُلّص منهم، ودفن.

وتوفي الإمام الناصر لدين الله في أول شوال، **سنة اثنتين وعشرين وست مئة**.

وكانت خلافته نحو سبع وأربعين سنة، وعَمي في آخر عمره، وكان موته بالدوسنطاريا، وكان عمره نحـو سبعين سنة، وكان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً لهم، خرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وكان يتشيع، وكان مُنْصَرِفَ الهمة إلى رمي البندق.

وقد نُسب الإمام الناصر أنه هـو الذي كاتـب التتر، وأطمعهم في البلاد، بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة؛ ليشتغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الظاهر بأمر الله

هو أبو نصر، محمدُ ابنُ الإمام الناصر لدين الله.

بويع له لما توفي والده، فأظهر العدل وحسن السيرة، وأزال المكوس، وأخرج المحبسين، وظهر للناس، وكان الناصر ومَنْ قبله لا يظهرون إلا نادراً.

ولم تطل به مدته في الخلافة سوى تسعة أشهر، وتوفي في رابع عشر رجب، **سنة ثلاث وعشرين وست مئة**.

وكان متواضعاً، محسناً إلى الرعية جداً، وأبطل عدة مظالم، منها:

أنه كان بخزانة الخليفة صنجة زائدة، يقبضون بها المال، ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس، وكان زائد الصنجة في كل دينار حبة، فخرج توقيع الخليفة الظاهر بإبطال ذلك، وأولُه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣]، وعمل صنجة المخزن مثلَ صنجة المسلمين.

وكان مضادداً لأبيه في كثير من أحواله، منها: أن مدة خلافة أبيه كانت طويلة، ومدة خلافته كانت قصيرة، وكان أبوه متشيعاً، وكان الظاهر سُنِّياً، وكان أبوه ظالماً جَمَّاعاً للمال، وكان الظاهر في غاية العدل،

وبذل الأموال للمحبوسين على الديون، وللعلماء ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستنصر بالله

هو أبو جعفر، المنصورُ بنُ الظاهرِ بأمرِ الله محمد.

ولي الخلافة لما توفي والده الظاهر، وكان للظاهر ولد آخر يقال له: الخفافي في غاية الشجاعة، وبقي حياً حتى أخذت التتر بغداد، وقتل مع من قُتل، والمستنصرُ هو الأكبر.

ولما تولي الخلافة، سلك في العدل والإحسان مسلكَ أبيه الظاهر، توفي المستنصر بُكْرة الجمعة، لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة، سنة أربعين وست مئة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً.

وكان حسنَ السيرة، عادلاً في الرعية، وهو الذي بنى المدرسة ببغداد المسماة بالمستنصرية على دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة، وجعل لها أوقافاً جليلة على أنواع البر ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستعصم بالله، وهو آخرهم

هو أبو أحمد، عبدُالله بنُ المستنصرِ بالله منصورٍ.

لما مات المستنصر، اتفق آراءُ أرباب الـدولـة؛ مثل: الـدوادار، والسراي على تقليد الخلافة ولدَه عبدالله، ولقبوه: المستعصم بالله.

وكان ضعيف الرأي، فاستبد كبراءُ دولته بالأمر، وحَسَّنوا له قطعَ الأجناد، وجمع المال، ومداراة التتر، ففعل ذلك، وقطعَ أكثرَ العساكر، والله سبحانه أعلم.

* * *

ذكر استيلاء التتر على بغداد، وانقراض الدولة العباسية

في أول سنة ست وخمسين وست مئـة قصـد هولاكـو ملكُ التتر بغداد، وملكها في العشرين من المحرم، وقتل الخليفة المستعصمَ بالله.

وسبب ذلك: أن وزير الخليفة مؤيدَ الدين بنِ العلقمي كان رافضياً، وكان أهلُ الكرخ ـ أيضاً ـ روافض، فجرت فتنة بين السنة والشيعة ببغداد على جاري عادتهم.

فأمر أبو بكر بنُ الخليفـة، وركـنُ الدين الدوادار العسكرَ، فنهبوا الكرخ، وقتلوا النساء، وركبوا منهن الفواحش، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي، وكاتبَ التترَ، وأطمعَهم في ملك بغداد.

وكان عسكر بغداد يبلـغ مئـة ألـف فارس، ففضَّهم المستعصم؛

ليحمل إلى التتر متحصلَ إقطاعاتهم، وصار عسكرُ بغـداد دون عشرين ألـف فارس، وأرسـل ابنُ العلقمي إلى التتـر أخاه يستدعيهم، فساروا قاصدين بغداد في محفل عظيم، وخرج عسكر الخليفة لقتالهم، ومقدمهم ركن الدين الدوادار، وانصفُّوا على مرحلتين من بغـداد، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الخليفة، ودخل بعضهم بغداد، وسار بعضهم إلى جهة الشام، ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقي، ونزل باجو ـ وهو مقدم كبير ـ في الجانب الغربي على القرنة قبالة دار الخلافة.

وخرج مؤيدُ الدين الوزيرُ العلقمي إلى هولاكو، فوثق منه لنفسه، وعاد إلى الخليفة المستعصم، وقال: إن هولاكو يُبقيك في الخلافة؛ كما فعل بسلطان الروم، ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر، وحَسَّن لـه الخروجَ إلى هولاكو، فخرج إليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه، فأُنزل في خيمة، ثم استدعى الوزيـرُ الفقهـاء والأماثل، فاجتمـع هناك جميع سادات بغداد، والمدرسون، وكـان منهم محيي الدين بن الجوزي وأولاده، وكذلك بقي يُخرج إلى التتار طائفة بعد طائفة، فلما تكاملوا، قتلهم التتر عن آخرهم، ثم مدوا الجسر، وعدَّا[1] باجو ومن معه، وبذلوا السيف في بغداد، وهجموا [على] دار الخلافة، فقتلوا كلَّ من فيها من الأشراف، ولم يسلَمْ إلا من كان صغيراً، فأُخذ أسيراً، ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوماً، ثم نودي بالأمان.

---

(١) أي: اجتاز.

وأما الخليفة، فإنهم قتلوه، ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله، فقيل: خنق، وقيل: وضع في عِدْل، ورفسوه حتى مات، وقيل: غرق في دجلة، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وكان هذا المستعصم، وهو أبو أحمد عبدُالله بن المستنصر، ضعيفَ الرأي، قد عَلَتْ عليه أمراء دولته؛ لسوء تدبيره، تولى الخلافة بعد موت أبيه المستنصر بالله في سنة أربعين وست مئة، وكانت خلافته نحو ست عشرة ـ سنة تقريباً ـ، وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد.

وكان ابتداء دَولتهم في سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وهي السنة التي بويع فيها السفاح بالخلافة، وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية.

وكانت مدة ملكهم خمسَ مئة سنة، وأربعاً وعشرين سنة ـ تقريباً ـ، وعدةُ خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة.

وحكى القاضي جمالُ الدين بنُ واصل، قال: لقد أخبرني مَنْ أثق به: أنه وقف على كتاب عتيق، فيه ما صورته: أن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بلغَ بعضَ خلفاء بني أمية عنه: أنه يقول: إن الخلافة تصير إلى ولده، فأمر الأموي بعلي بن عبدالله، فحُمل على جمل، وطيف به، وضرب، وكان يقول عند ضربه: هذا جزاءُ من يفتري، ويقول: إن الخلافة تكون في ولده.

وكان علي بن عبدالله ـ رحمه الله ـ يقول: أي والله! لتكونَنَّ الخلافة في ولدي، لا تزال فيهم حتى يأتيهم العِلْج من خراسان، فينزعها منهم،

فوقع مصداقُ ذلك، وهو ورودُ هولاكو، وإزالته ملك بني العباس.

وخُتمت خلافتهم ببغداد بعبدالله المستعصم من بني العباس، كما افتتحت بعبدالله السفاح منهم.

وقد تقدم أن جملة أيام بني العباس من السفاح إلى هذه السنة خمس مئة سنة، وأربع وعشرون سنة، والخلافة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين سنة؛ كما نطق بها الحديث الصحيح[1]، وكان فيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم ابنه الحسن ستة أشهر.

ثم كانت مُلكاً، فكان أول ملوك الإسلام معاوية، ثم ابنه يزيد، ثم معاوية بن يزيد، وانقرض هذا البطن المفتتح بمعاوية، المختتم بمعاوية.

ثم ملك مروانُ بنُ الحكم بن أبي العاص بن أمية، وملك بعده الأمويون واحداً بعد واحد، وآخرُهم مروانُ الحمار، فكان أولهم مروان، وآخرهم مروان.

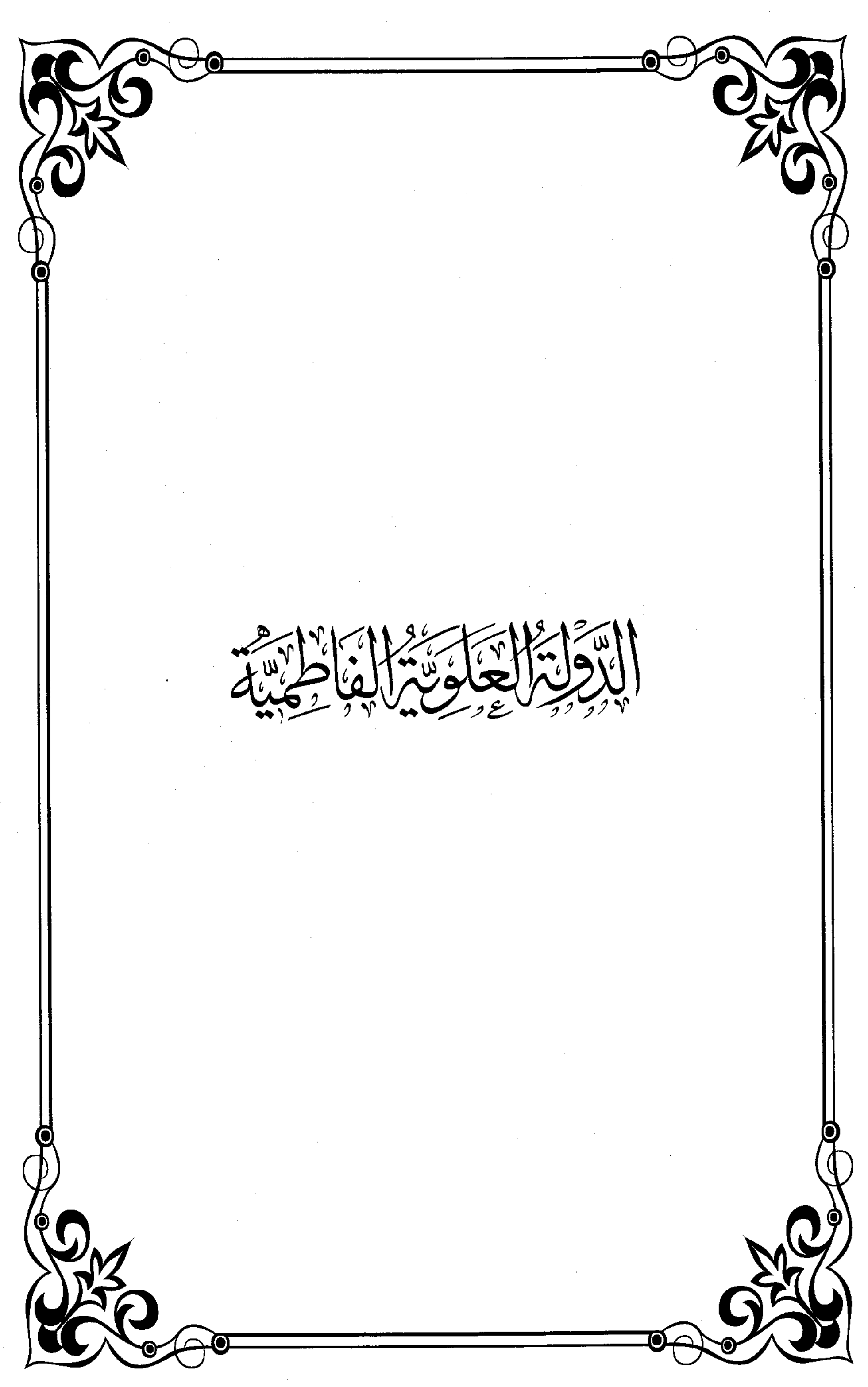
وكذلك الدولة العلوية الفاطمية، كان أول خلفائهم عبيدالله المهدي، وآخرهم عبدالله العاضد، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

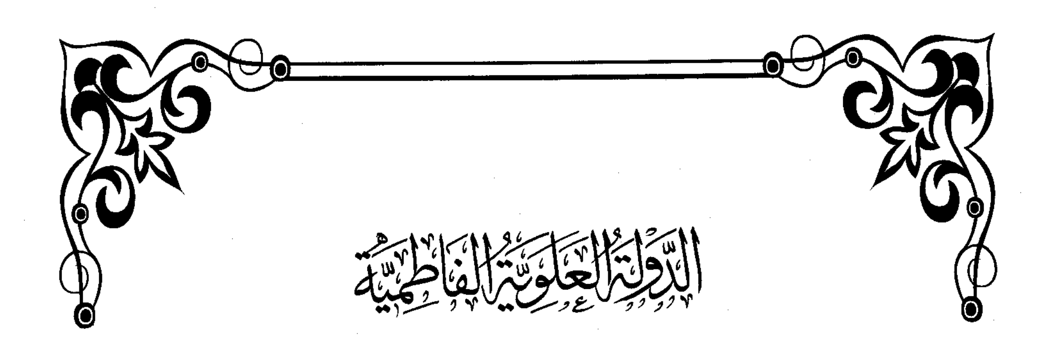
❒ ❒ ❒

---

(١) تقدم تخريجه.



الدولة العلوية الفاطمية



الدولة العلوية الفاطمية

وهم أربعة عشر خليفة: أولهم المهدي بالله، وآخرُهم العاضد لدين الله، استولوا على الخلافة بإفريقية والمغرب، ثم وصل استيلاؤهم إلى الديار المصرية والشام، وما والاهما، ومكة واليمن وبيت المقدس، وكان مدة ملكهم مئتين وسبعين سنة، ونحو شهر تقريباً.

وابتداء مدتهم في أيام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد العباسي خليفة بغداد في أواخر سنة ست وتسعين ومئتين، وانقراض دولتهم على يد الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول سنة سبع وستين وخمس مئة في أيام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد ـ كما سيمر بك ذلك في تراجمهم، وفي ترجمة الملك صلاح الدين إن شاء الله تعالى ـ.

خلافة عبيدالله المهدي

هو أبو محمد، عبيدالله، الملقب بالمهدي، وفي نسبه اختلاف كبير، فقيل: هو عبيدالله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقيل: هو عبيدالله بن التقي بن الوفي بن الرضي، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم: المستورون في ذات الله، واستتروا خوفاً على أنفسهم؛ لأنهم كانوا مظلومين من جهة الخلفاء من بني العباس؛ لأنهم علموا أن فيهم من يروم الخلافة؛ أسوة غيرهم من العلويين، وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة، والمحققون ينكرون دعواه في النسب، حتى بالغ بعضهم، وذكر أن في نسبه يهود، وادعى الخلافة بالمغرب بعد رجوعه من سجلماسة.

وقد جرى لـه فيها ما جرى من المحن بواسطة الخلفـاء من بني العباس وكان ظهوره بها يوم الأحد، لتسعٍ خلون من ذي الحجـة، **سنـة ست وتسعين ومئتين**، وخرجت بلاد المغرب من ولايـة بني العباس، وكان الخليفة ببغداد حينذاك المقتدر بالله أبو الفضل جعفرُ بن المعتضد، ودُعي للمهدي بالخلافة على منابر رقادة(١)، والقيروان، يومَ الجمعة، لتسعٍ بقين من ربيع الآخر، سنة [سبع] وتسعين ومئتين.

وبنى المهدية بإفريقية، وكان الابتـداء في بنائهـا في يوم السبت، لخمسٍ خلون من ذي القعدة، سنة ثلاث وثلاث مئة، وفرغ من بنائها في شوال، **سنة ثمان وثلاث مئة**، وهي على ساحل البحر، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند، فبناها، وجعلها دار ملكه، وجعل لها سوراً محكَماً، وأبواباً عظيمـة، وزنُ كل مصراع مئة قنطار، ولما تم بناؤها، قال

---

(١) في الأصل: «رماك».

المهدي: الآن أمنتُ على الفاطميات بحصانتها.

وبنى سور تونس، وأحكم عمارتها، وجدَّد فيها مواضع، فنسبت إليه.

وملك بعده ولـدُه القائم، ثم المنصور، ثم المعز، وهو الذي سَيَّر القائد جوهرًا، وملك الديار المصرية، وبنى القاهرة.

واستمرت دولتهم حتى انقرضت على يـد السلطـان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ، ولأجـل نسبتهم إلى عُبيدالله المذكـور يقال لهم: العُبيديون.

*** ذكر ما قتله القرامطة بمكة:**

وفي أيامه في **سنة سبع عشرة وثلاث مئة** وافى أبو طاهر القرمُطي مكةَ يومَ الترويـة، وكان الحُجاج قـد وصلوا مكـة سالمين، فنهـب أبو طاهر[1] أموالَ الحجـاج، وقتلَهم، حتى في المسجـد الحرام، وداخلَ الكعبة، وقلعَ الحجر الأسود من الركن، ونقله إلى هَجَر، وقتل أمير مكة ابن محلب[2] وأصحابه، وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب، فسقط فمات، وطَرح القتلى ببئر زمزم، ودَفن الباقين في المسجد الحرام، وحيث قتلوا، وأخذ كسوة البيت، فقسمها بين أصحابه، ومكث الحجرُ الأسود عنـدهم اثنتين وعشرين سنة، ثم أعادوه إلى مكـة في **سنة تسع**

---

(١) في الأصل: «أبو طالب».

(٢) في الأصل: «فجلى».

وثلاثين وثلاث مئة.

وتقدم ذلك في ترجمة المقتدر بالله العباسي.

وتوفي المهـدي بالله في ليلة الثلاثاء، منتصف ربيـع الأول، سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة بالمهدية.

* * *

خلافة القائم بالله

هو أبو القاسم، محمدُ بنُ عُبيدالله المهديُّ العلويُّ.

لما توفي والده المهدي، أخفى موته سنة لتدبيرٍ كان، ولما أظهر ابنُه القائمُ وفاته، بايعه الناس، واستقرت ولايته.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة سَيَّر جيشاً من إفريقية في البحر، ففتحوا مدينة جنوة، وأوقعوا بأهل سردانية، وعادوا سالمين.

وتوفي القائم لثلاثَ عشرةَ مضـت من شوال، سنة أربـع وثلاثين وثلاث مئة.

* * *

خلافة المنصور

هو أبو الطاهر، إسماعيلُ بن القائم بن المهـدي صاحب إفريقية، الملقب بالمنصور.

بويع له يوم وفاة أبيه القائم، وكان بليغاً فصيحاً، يرتجل الخطبة.

وذكر أبو جعفر المروزي، قال: خرجت مع المنصور يوم هدمَ [أبو] يزيد القيسارة، ومعه ريحان، فسقط أحدهما مراراً، فمسحته، وناولته إياه، وتفاءلت به، وأنشدت:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ مُسَافِرُ

فقال: ألا قلتَ ما هو خيرٌ من هذا وأصدقُ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾[الأعراف: ١١٧]؟ فقلتُ: أنتَ يا بنَ رسول الله قلتَ ما عندَك من العلم.

ولما حاصر المنصور أبا يزيد بن مخلد بسوسة، وهزمه، وأسره، ومات من جراحة أصابته، وأمر بسلخه، وأن يحشى جلده قطناً، وصلبه، وبنى مدينة موضع الوقعة، وسماها المنصورية: واستوطنها، وخرج في شهر رمضان، **سنة إحدى وأربعين** منها إلى مدينة جلولاء يتنزه بها، ومعه حظيته قضيب، وكان مغرماً بها، فسلَّط الله عليهم برقاً ورياحاً، فخرج منها إلى المنصورية، فاشتد عليهم البرد، وأوهن جسمه، ومات أكثرُ من كان معه، فاعتلَّ بها، ومات يوم الجمعة، آخر شوال، **سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة**، ودفن بالمهديَّة.

وكان مولده بالقيروان، سنة اثنتين، وقيل: إحدى وثلاث مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

خلافة المعزّ لدين الله

هو أبو تميم، مَعَـدٌّ، الملقب بالمعزّ لدين الله بنِ المنصور بنِ القائم ابنِ المهدي عُبيدالله.

وكان المعز المذكور قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور، ثم جُددت له البيعة بعد وفاة أبيه، ودبر الأمور، وساسها، وأجراها على أحسن أحكامها، إلى يوم الأحد، سابع ذي الحجة، **سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة**، جلس على سرير ملكه يومئذ، ودخل عليه الخاصةُ، وكثير من العامة، وسلَّموا عليـه بالخلافـة، وسُمِّي بالمعـزّ، ولم يُظهـر على أبيه حزناً.

ثم خرج إلى بلاد إفريقية؛ ليمهد قواعدها ويطوف بها، وانقاد له العُصاة من أهل تلك البلاد، ودخلوا لطاعته، وعقـد لغلمانه وأتباعه على الأعمال، وأسند في كل ناحيـة من يعلم كفايتـه وشهامتـه، وضمَّ إلى كل واحد منهم جمعاً كثيراً من الجند وأرباب السلاح.

ثم جهَّـز أبا الحسن جوهراً القـائـد، ومعـه جيـش كبيـر؛ ليفتح ما استعصى عليـه من بـلاد المغـرب، وسـار إلى فـاس، ثـم منهـا إلى سجلماسة، وفتحها، ثم توجـه إلى البحر المحيط، وصاد من سمكه، وجعله في قِلال الماء، وأرسله إلى المعز.

ثم رجع إلى المعز، ومعـه صاحـب سجلماسة، وصاحـبُ فاس أسيرين في قفصي حديد، ولم يرجع القائد جوهر إلى مولاه المعز إلا وقد

وطّأ لـه البلاد، وحكم على أهل الزيغ والعناد، من باب إفريقية إلى البحر المحيط، ومن جهة المشرق من باب إفريقية إلى أعمال مصر، ولم يبق بلد من هذه البلاد إلا أقيمت فيه دعوته، وخُطب له في جمعته وجماعته، إلا مدينة سبتة، فإنها بقيت لبني أمية أصحابِ الأندلس.

ولما وصل الخبر إلى المعز بموت كافور الأخشيديِّ صاحبِ مصر، تقدم المعز إلى القائد جوهر المذكور؛ ليتجهز للخروج إلى مصر، فخرج أوّلاً إلى جهـة المغرب لإصلاح أموره، وكـان معـه جيش عظيم، وجمع قبائل العرب الذين توجـه بهم إلى مصر، وجبي القطائـع التي كانت على البربر، فكانت خمس مئة ألف دينار.

وخرج المعز بنفسه في الشتاء إلى المهديَّة، وأخرج من قصور آبائه مئـة ألف حِمل دنانير وأمتعـة وسلاح، وعاد إلى قصره، ثم عاد جوهر بالرجال والأموال، وكان قدومه على المعز يوم الأحد، لثلاثٍ بقين من المحرم، **سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة**.

وأمر المعزُّ بالخروج إلى مصر، فخرج ومعـه أنواع القبائـل، وأنفق المعز في المسير صحبته أموالاً عظيمة، حتى أعطى ألف دينار إلى عشرين، وغمـر الناسَ بالعطاء، وانصرفوا إلى القيـروان وغيـره في شراء جميـع حوائجهم، ورحلوا ومعهم ألفُ حمل من المال والسلاح، ومن الخيل والعدد ما لا يوصف، وكان في مصر تلك السنة غلاء عظيم ووباء، حتى مات في مصر وأعمالها في تلك السنة ستُّ مئة ألف إنسان ـ على ما قيل ـ.

ولما كان منتصف شهر رمضان، سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة،

وصلت البشارة إلى المعز بفتح الديار المصريـة، ودخول عساكره إليها، ثم وصلت النجب بعد ذلك بصورة الفتح، وكانـت كتب جوهر تتردد إلى المغرب باستدعائـه إلى مصر، وتحث المعزَّ على ذلك، ثم أرسل إليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز، وإقامـة الدعوى لـه بهذه المواضع، فسُرَّ المعز بذلك سروراً عظيماً.

ولما ثبت قواعدَه بالديار المصرية، استخلف على إفريقية بكتكين الصماخي، وخرج المعز متوجهـاً إليها بأموال جليلة المقدار، ورجال عظيمة الأخطار، وكان خروجه من المنصوريـة دار ملكه لثمان بقين من شوال، **سنة إحدى وستين وثلاث مئة**، وانتقل إلى سودانية، وأقام بها ليجمع رجاله وأتباعه، ومَنْ يستصحبه معه، وفي هذه المنزلة عقد العهدَ لبكتكين، ورحل عنها يوم الخميس، خامس صفـر، سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، ولـم يزل في طريقـه، يقيم بعض الأوقات في بعض البلاد أياماً، ويجد المسير في بعضها، ودخل الإسكندرية لست بقين من شعبان من السنة، وركب فيها، ودخل الحمام، وقدم عليه قاضي مصر، وهو أبو طاهر محمد بن أحمد، وأعيـان أهل البـلاد، وسلَّمـوا، وجلس لهم، وخاطبهم خطاباً طويلاً يخبرهم فيه: أنـه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه، ولا مالٍ، وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد، وأن يختم عمره بالأعمال الصالحـة، ويعمل ما أمره به جده رسول الله ﷺ، ووعظهم، وأطال حتى بكى بعض الحاضرين، وخلع على القاضي وبعض الجماعة، وودعوه، وانصرفوا.

ثم رحل منها في أواخر شعبان، ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان على ساحل مصر بالجزيرة، فخرج إليه القائد جوهر، وترجَّل عند لقائه، وقبَّل الأرض بين يديه.

وبالجزيرة ـ أيضاً ـ اجتمع به الوزير الفضل جعفر بن الفرات، وأقام المعز هناك ثلاثة أيام، وأخذ العسكر في التعدية بأثقالهم إلى ساحل مصر، ولمّا كان يوم الثلاثاء، لخمسٍ خلون من رمضان من السنة، عَبَر المعز النيل، ودخل القاهرة، ولم يدخل مصر، وكانت قد زينت، فظنوا أنه يدخلها، وأهلُ القاهرة لم يستعدوا؛ لأنهم بنوا الأمر على دخوله مصر أوّلاً، ولما دخل القاهرة، دخل القصر، ودخل مجلساً منه، وخر ساجداً، ثم صلى ركعتين، وانصرف الناس عنه.

وهذا المعز هو الذي تنتسب إليه القاهرة، فيقال: القاهرة المعزيَّة؛ لأنه بناها القائد جوهر له.

وفي يوم الجمعة، لثلاثَ عشرةَ ليلة بقيت من المحرم، سنة أربع وستين عَزَل المعزُّ القائد جوهراً عن دواوين مصر، وجباية أموالها، والنظر في سائر أموره.

وكان المعز عاقلاً حازماً، حسنَ النظر، ينسب إليه من الشعر:

لِلـــهِ مَـــا صَـــنَعَتْ بِنَـــا	تِلْكَ المَحَـاجِرُ فـي المَحَـاجِرْ
أَمْـــضَى وَأَقْـــضَى فَتْكهـــا	حِقْـدَ النُّفُـوسِ مِـنَ الخَنَاصِـرْ
وَلَقَـــدْ بَقِيـــتُ لِبَيْـــنِكُمْ	تَعـبَ المَهَـاجِرِ فـي الهَـوَاجِرْ

وتوفي المعزُّ يوم الجمعة، السابع عشر من ربيع الأول، **سنة خمس وستين وثلاث مئة** بالقاهرة، ومولدُه بالمهديَّة من أفريقية، حادي عشر رمضان، سنة تسع عشرة وثلاث مئـة، فيكون عمره خمساً وأربعين سنة، وستة أشهر تقريباً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة العزيز بالله

هو أبو المنصور، نزارٌ، الملقب: العزيزُ بالله بنُ المعزِّ بنِ المنصور ابنِ القائمِ بن المهديِّ العُبيدي صاحب مصر وبلاد الغرب.

ولي العهد بمصر يوم الخميس، في شهر ربيع الأول، **سنة خمس وستين وثلاث مئـة**، واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه، وستر وفاةَ أبيه، ثم أظهرها في عيد النحر من هذه السنة، وسُلِّم عليه بالخلافة، وكان كريماً شجاعاً، حسنَ العفو عند المقدرة.

وهو الذي اختط أساسَ الجامع بالقاهرة، مما يلي[1] باب الفتوح، وحفره، وبدأ بعمارته **سنة ثمانين وثلاث مئة** في شهر رمضان.

وفي أيامـه بُني قصرُ البحر بالقاهرة، الـذي لم يبنَ مثلُه في شرق ولا غرب، وقصرُ الذهب، وجامعُ القرافة، والقصور بعين شمس.

---

(١) في الأصل: «يصلى».

وكان أصهبَ الشعر، أشهلَ العين، عريضَ المنكبين، حسنَ الخلق، قريباً من الناس، لا يؤثر سفك الدماء، يصيد بالخيل والجارح من الطير، محباً للصيد، مغرًى بصيد السباع، ويفرق الجوهرَ والدر، وكان أديباً فاضلاً.

وزادت مملكته على مملكة أبيه، وفتحت له حمص، وحماة، وسيجر، وحلب، وخُطب له بمكة، وخَطب له ابنُ المقلد بن المسيب العقيلي صاحبُ الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم، **سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة**.

وضُرب اسمُه على السكة والبنود، وخُطب له باليمن، ولم يزل في سلطانه، وعظمِ شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجِّهاً إلى الشام لغزو الروم، فابتدأت به العلة في العشرين من رجب، سنة ست وثمانين وثلاث مئة، ولم يزل مرضه يزيد وينقص، حتى ركب يوم الأحد، لخمسٍ خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس، وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبي الفرج بن جواف، وكان صاحب خزانته بالقصر، فأقام عنده، وأصبح يوم الاثنين وقد اشتد به الوجع يومه ذلك ونهاره، وكان مرضه من حمى وقولنج، فاستدعى القاضيَ محمدَ بنَ النعمان، وأبا محمد الحسنَ بنَ عمار الكنانيَّ الملقب: أمين الدولة، وكان شيخَ كنانة وسيدَها، وخاطبهما في أمر ولده، ولم يزل العزيز في الحمّام، والأمر يشتدُّ به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار، وهو الثلاثاء، الثامن والعشرون من شهر رمضان، **سنة ست وثمانين وثلاث مئة**، وتوفي

في مسلخ الحمَّام.

وقيل: إن الطبيب وصف له دواء ليشربه في حوض الحمام، فغلط فيه، وشربه، فمات من ساعته.

ولم ينكتم موته ساعة واحدة، وترتب موضعه ولدُه الحاكم أبو علي المنصور، وبلغ الخبر أهلَ القاهـرة، فخرج الناس غداةَ الأربعاء لتلقي الحاكم، فدخل البلد، وبين يديـه البنود والرايات، وعلى رأسه المظلة يحملها زيدان الصِقِلي، فدخل القصر بالقاهـرة عنـد اصفرار الشمس، ووالدُه العزيزُ بين يديه في عمارية، وقـد خرجت قدماه منها، وأدخلت العمارية القصر، وتولَّى غسلَه القاضي محمد، ودفن عند أبيه المعز في حجرة بر القصر، وكـان دفنـه عنـد العشاء الآخرة، وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر، والأحوال مستقيمة، وقد نودي في البلد: أنْ لا كلفة ولا ظلم، وقـد أمنكم الله على أنفسكم وأموالكم، فمن عارضكم، أو نازعكم، فقد حلَّ ماله ودمه.

وكانت ولادة العزيز يوم الخميس، رابع عشر المحرم، سنة أربع وأربعين وثلاث مئة بالمهدية من أرض إفريقية.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وخمسة أشهر، ونصف شهر، ومات وعمره اثنان وأربعون سنة، وثمانية أشهر.

وكان العزيز قد ولَّى كتابتـه رجـلاً نصرانيـاً، يقال لـه: عيسى بن نسطورس، واستناب بالشام رجلاً يهودياً اسمه: ميشا، فاستطالت النصارى

واليهود بسببهما على المسلمين، فعمد أهل مصر إلى قراطيس، فعملوها على صورة امرأة ومعها قصة، وجعلوها في طريق العزيز، فأخذها العزيز، وفيها مكتوب: بالذي أعزَّ اليهودَ بميشا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذلَّ المسلمين بك إلا كشفتَ عنا.

فقبض على عيسى النصراني المذكور، وصادره.

وكان العزيز يحب العفو، ويستعمله، انتهى.

* * *

خلافة الحاكم بأمر الله

هو أبو عليٍّ، المنصورُ، الملقب: الحاكم بأمر الله بنُ العزيزِ بالله ابنِ المعزِّ بنِ المنصورِ بنِ القائم بنِ المهديِّ صاحب مصر.

وتولى الحاكم المذكور بعهد من أبيه في حياته، وذلك في شعبان، **سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة**، ثم استقل بالأمر يوم وفاة أبيه، وعمرُه إحدى عشرة سنة.

وكان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً من أماثل أهل دولته وغيرِهم صَبْراً.

وكانت سيرتُه من أعجب السير، يخترع كلَّ وقت أحكاماً يحمل الناسَ على العمل بها، منها:

أنه أمر الناس في **سنة خمس وتسعين وثلاث مئة** بسبِّ

الصحابة رضي الله عنهم، وأمر أن يكتب ذلك على حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى أعمال الديار، وأمرهم بالسبِّ، ثم أمرهم بقلع ذلك، ونهى عنه، وعن فعله في **سنة سبع وتسعين**، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة ضرب من سبَّ الصحابةَ وأشهره.

* **ومنها**: أنه أمر بقتل الكلاب في **سنة خمس وتسعين وثلاث مئة**، فلم يُر كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قليل.

* **ومنها**: أنه نهى عن بيع الفقَّاع، والملوخية، والترمس، والجرجير، والسمك الذي لا قشر له، وكتب بالتشديد والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه، وظهر على جماعة أنهم باعوا شيئاً من ذلك، فضُربوا بالسياط، وطِيف بهم، ثم ضربت أعناقهم.

وفي **سنة إحدى وأربع مئة** خطب قرواش أميرُ بني عقيل للحاكم بأمر الله بأعماله كلها، وهي: الموصل، والأنبار، والمدائن، والكوفة، وغيرها.

وكان ابتداء الخطبة بالموصل: الحمد لله الذي انجلَتْ بنوره غمراتُ الغضب، وانهدَّت بعظمته أركانُ الغضب، وأطلع بقدرته شمسَ الحق من الغرب.

فكتب بهاءُ الدولة إلى عميد الجيوش بالمسير إلى حرب قرواش، فسار إليه، فقطع قرواش الخطبة، وأرسل يعتذر.

* **ومنها**: أنه في **سنة اثنتين وأربع مئة** نهى عنه بيع الزبيب، قليلِه

وكثيره، على اختلاف أنواعـه، ونهى التجار عن حمله إلى مصر، ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة، وأحرقـه، ويقال: إن مقدار النفقة التي غرموا على إحراق ذلك خمس مئة دينار.

وفي هذه السنة: منع من بيع العنب، وأنفذ الشهود، حتى قطعوا كثيراً من كرومها، ورموها في الأرض، وداسوها بالبقر.

وجمع ما كان في مخازنها من جرار العسل، وكانت خمسة آلاف جرة، وحملت إلى شاطئ النيل، وكُسرت، وقلبت في بحر النيل.

* **وفيها ـ أيضاً ـ**: أمر اليهود والنصارى والسامرة بلبس العمائم السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم الصلبان، يكون طولـه ذراع، ووزنـه خمسة أرطـال، وأن يحمل اليهـود في أعناقهم قرامي خشب على وزن حمل النصارى، ولا يركبـون شيئاً من المراكـب المحـلاَّة، وأن يكون مركوبهم من الخشب، وأن لا يستخدموا أحداً من المسلمين، ولا يركبوا حمارَ مسلم ولا سفينة يتولى أمرها مسلم، وأن يكون في أعناق النصارى إذا دخلوا الحمَّام الصلبان، وفي أعناق اليهود الجلاجل؛ ليتميزوا بها عن المسلمين، ثم أفردَ حماماتٍ لليهود، وحمامات للنصـارى من حمامات المسلمين، وحط على حمامات اليهـود صورَ القرامي، وحمامات النصارى الصلبان، وذلك في **سنة ثلاث وأربع مئة**.

* **ومنها**: أنه أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة، وجميع الكنائس بالديار المصرية، ووهـب جميع ما فيها من الآلات، وجميعَ ما لها من

الأوقاف لجماعة من المسلمين، وتتابع إسلامُ جماعة من النصارى.

وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الأرض له، وعن الدعاء والصلاة عليه في الخطبة، والمكاتبات، وأن يُجعل ذلك السلامُ لأمير المؤمنين.

وفي سنة أربع وأربع مئة: أمر أن لا ينجِّم أحد، ولا يتكلَّم في صناعة النجوم، وأن يُنفى المنجِّمون من البلاد، فحضر جمعُهم إلى القاضي مالك بن سعد الحاكم كان، وعقد عليهم توبة، وأُعفوا من النفي، وكذلك أصحابُ الغناء.

وفي[1] هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً، ومنع الأساكفةَ عملَ الأخفاف للنساء، ومُحيت صورة النساء من الحمامات، ولم يزلن ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر، وكانت مدة منعهن سبعَ سنين، وسبعة أشهر.

وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربع مئة تنصَّر جماعة ممن كان أسلم، وأمر ببناء ما هدم من كنائسهم، وردِّ ما كان أُخذ من آلاتها.

وكان الحاكم جالساً في مجلسه العام، وهو حَفِل بأعيان الدولة، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]، والقارئ في أثناء ذلك كله يشير بيده إلى الحاكم، فلما فرغ، قرأ شخص يعرف بابن المشجر، وكان رجلاً صالحاً قولَه

(١) في الأصل: «من».

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٧٣ ـ ٧٤]، فلما انتهى من[١] قراءته، تغير وجه الحاكم، ثم أمر لابن المشجر بمئة دينار، ولم يطلق للأول شيئاً.

ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال: أنت تعلم خُلُق الحاكم، وكثرة استحالاته، وما تأمن أن يحقد عليك، ثم يؤاخذك بعد هذا، فتتأذّى منه، ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه، فتجهَّز ابنُ المشجر إلى الحج، وركب البحر، فغرق، فرآه صاحبه في النوم، وسأله عن حاله، فقال: ما قصَّر الربان معنا، أرسى بنا على باب الجنة، وذلك ببركة نيته، وحسن صدقه.

والحاكم هو الذي بنى الجامع الكبير بالقاهرة، بعد أن كان شرع فيه والده العزيز بالله، وبنى جامع راشدة بظاهر مصر، وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين، سابع عشر ربيع الأول، سنة تسعين وثلاث مئة، وكان متولي خطابته الحافظ عبد الغني بن سعيد، والمصحح لمحرابه أبو الحسن علي ابن يونس المنجم.

وأنشأ عدة مساجد بالقرافة وغيرها، وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات الفضة والستور والحُصُر الشاميات ما لَهُ قيمة طائلة،

---

(١) في الأصل: «في».

وكان يفعل الشيء، وينقضه.

وكانت ولادته بالقاهرة، ليلة الخميس، الثالث والعشرين من ربيع الأول، سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

وكان يحب الانفراد.

واتفق أنه خرج ليلة الاثنين، الرابع والعشرين من شوال، سنة إحدى عشرة وأربع مئة إلى ظاهر مصر، وطاف ليلته كلها، وأصبح عند قبر الفقاعي، ثم توجه إلى شرقي حلوان، ومعه ركابان، فعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين، ثم عاد الركاب الثاني، وذكر أنه خلَّفه عند القبر، وبقي الناس على رسلهم يلتمسون رجوعَه، ويخرجون ومعهم دوابُّ الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور.

ثم خرج يوم الأحد، ثاني ذي القعدة مظفر الدين صاحب المظلة، وحطي الصقلي، ونسيم المتولي السير، وابنُ مسكين التركي صاحب الزنج، وجماعة، فبلغوا دير القصر المعروف بسلوان، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل، فبينما هم كذلك، وإذا بحماره الأشهب الذي كان راكباً عليه المدعو بالقمر، وهو على قرنة الجبل، وقد ضُربت يداه بالسيف، فأثر فيهما، وعليه سرجُه ولجامه، فتبعوا الأثر، فإذا أثر الحمار في الأرض، وأثر راجل خلفه، وآخرَ قدَّامه، فلم يزالوا يقصُّون هذا الأثر، حتى انتهوا إلى البركة في شرقي حلوان، فنزل إليها بعض الرجال، فوجد فيها ثيابه، وهي سبع جُبَّات، ووُجدت مزرورة لم تُحلَّ أزرارُها، وفيها آثار السكاكين.

فأُخـذت، وحملت إلى القصر بالقاهرة، ولـم يشكّ في قتله، مع أن جماعة من المغالين في حبه السخيفي العقول يظنون حياته، وأنه لا بدَّ أن يظهر، ويحلفون بغيبة الحاكم، وتلك خيالات هذيانية.

ويقال: إن أخته دسَّت عليه مَنْ يقتله لأمر يطول شرحه.

وكان عمر الحاكم ستاً وثلاثين سنة، وتسعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة، وأياماً.

وحُلْوان ـ بضم الحـاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعدهـا نون ساكنة ـ: قرية مليحـة كثيرة النُّزَه، فوق مصر بمقدار خمسة أميال، كان يسكنها عبـد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي لما كان والياً بمصر نيابةً عن أخيه عبد الملك أيام خلافته، وبها توفي، وبها وُلد ولده عمرُ ابن عبد العزيز رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الظاهر لإعزاز دين الله

هو أبو الحسن، عليُّ بنُ منصورٍ الحاكمِ بأمرِ الله.

بويع لـه بالخلافـة في اليوم السابع من قتل أبيـه الحاكم، ولُقب: الظاهر لإعزاز دين الله، وهـو إذاك صبي، وكتب الكتب إلى بلاد مصر

والشام بأخذ البيعـة، وجمعت عمتـه ـ أخـتُ الحاكم، واسمُها: ستُّ الملك ـ الناسَ، ووعدتهم، وأحسنت إليهم، ورتبت الأمـور، وباشرت تدبيرَ الملك بنفسها، وقويت هيبتُها عنـد الناس، وعاشت بعد الحاكم أربع سنين.

ومات الظاهر المذكور بمصر وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته خمس عشرة سنة، وتسعة أشهر، وأياماً، وكان له مصر والشام، والخطبة بإفريقية.

وكان جميل السيرة، منصفاً للرعية، ووفاتـه في منتصف شعبان، **سنة سبع وعشرين وأربع مئة**.

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

خلافة المستنصر بالله

هو أبو تميم، مَعَـدٌّ، الملقبُ: المستنصر بالله بنُ الظاهـرِ لإعزاز دين الله بنِ الحاكم بنِ العزيز بنِ المعزِّ لدين الله.

بويع بالأمر بعد موت أبيه الظاهر، وذلك يوم الأحد، نصف شعبان، **سنة سبع وعشرين وأربع مئة**.

وجرى على أيامه ما لم يجرِ على أيام غيره من أهل بيته ممن تقدمه، ولا تأخره.

* **منها**: قصد أبي الحارث أرسلان البساسيري، فإنها لما عظم أمره، وكبر شأنه ببغداد، قطعَ خطبة الإمام القائم العباسي، وخطب للمستنصر المذكور في **سنة خمسين وأربع مئة**، ودعا له على منابرها مدة سنة.

* **ومنها**: أنـه ثار في أيامـه علي بن محمد الصلحي، وملكَ بلادَ اليمن، ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة، وهو مشهور.

* **ومنها**: أنه أقام خليفة ستين سنة، وهذا شيء لم يبلغه أحد منذ قام جدُّهـم المهدي.

* **ومنها**: أن دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدي إلى أيام المعز، فلما توجه المعز إلى مصر، استخلف بكتكين، وكانت الخطبة في تلك النواحي جاريـة على عادتها لهذا البيت، إلى أن قطعها المعـز بن باديس في أيام المستنصر المذكـور، **في سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة**.

وقيل: إن ذلك سنة خمس وثلاثين.

وفي **سنة تسـع** قُطـع اسمه واسمُ آبائـه من الحرمين، وذكـر اسم المقتدي العباسي خليفة بغداد.

* **ومنها**: أنه هادنَ ملكَ الروم على أن يطلق خمسة آلاف أسير؛ ليمكن من عمارة قمامة، التي كان خرَّبها جدُّه الحاكمُ في أيام خلافته، فأطلق الأسرى، وأرسل مَنْ عَمَّر قمامة، وأخرج ملكُ الروم عليها أموالاً عظيمة، والذي يظهر: أن تخريبها لم يكن تخريباً كلياً، بل كان في البعض؛

فإن آثار البناء القديم موجود إلى الآن، والله أعلم.

* **ومنها**: أنه حَدَث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عُهد مثلُه منذ زمن يوسف ـ عليه السلام ـ، أقام سبع سنين، وأكل الناسُ بعضُهم بعضاً، حتى قيل: إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً.

وكان المستنصر في هذه المدة يركب وحدَه، وكلُّ مَنْ معه من الخواصِّ مترجلون، ليس لهم دواب، وكانوا إذا مشوا، تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحبِ ديوان الإنشاء دابةً ليركبها صاحبُ مِظَلَّته.

ويقال: إن وزيره كان له بغلة، فركبها يوماً إلى خَدَمة المستنصر، فسرقوها، فأكلوها في الحال، فَمَسك منهم جماعة، وأمر بصلبهم، فأخذهم الناس عن الخشب، وأكلوهم، وأكلوا الحمير والكلاب والبغال.

وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناتها إلى بغداد من فرط الجوع، وذلك في سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وتفرق أهل مصر في البلاد، وتشتتوا.

ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدرٌ الجماليُّ والدُ الأفضل أمير الجيوش من عكا، وركب البحر، وهو أنه كان متولياً سواحل الشام، فأرسل إليه المستنصر يشكو حاله، واختلال دولته، فركب البحر في قوة الشتاء، في زمنٍ لا يُسلك البحر، فمنَّ الله عليه بالسلامة، ووصل بدرٌ إلى مصر في سنة سبع وستين وأربع مئة، وقبض على الأمراء والقواد الذين

كانوا تغلَّبوا، وأخذ أموالهم، وحملها إلى المستنصر، وأقام منار الدولة، وشيَّـد من أمرهـا ما كان قـد دَرَسَ، وقـرر قواعـد البلاد، وأحسنَ إلى الرعيـة، فعمرت البلاد، وعادت مصـر وأعمالها إلى أحسن مـا كانـت عليـه.

وتوفي المستنصر في ثامن ذي الحجة، **سنة سبع وثمانين وأربـع مئة**، ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً أخرجَ فيها أمواله وذخائره، حتى لم يبق له غيرُ سجادتـه التي يجلس عليها، وهو مع هذا صابر غيرُ خاشع. والله أعلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستعلي بأمر الله

هو أبو القاسم، أحمدُ المنعوتُ بالمستعلي بن المستنصرِ بنِ الظاهر ابنِ الحاكم بنِ العزيز بنِ المعزِّ بنِ المنصورِ بنِ القائم بنِ المهديِّ.

ولي الأمر بعد أبيه بالديار المصرية والشامية، وفي أيامه اختلفت دولتهم، وضعف أمـرهم، وانقطعـت من أكثـر مدن الشـام دعـوتُهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج؛ فإنهم دخلوا الشام، ونزلوا أنطاكية في ذي القعدة، **سنة تسعين وأربع مئة**، وأخذوا مَعرَّة النعمان سنة اثنتين وتسعين.

* **ذكر استيلاء الفرنج على بيت المقدس:**

ثم قصد الفرنج بيتَ المقدس، وحصروه نيفاً وأربعين يوماً، وملكوه في ضحى نهار الجمعة، لسبعٍ بقين من شعبان، **سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة**، ولبث الفرنج يقتلون في المسلمين أسبوعاً، وقتل في الأقصى ما يزيد عن سبعين ألفاً، منهم العلماء والزهـاد، وفي البلد من المسلمين خلق كثير، وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهـب والفضة ما لا يضبطه الوصف، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء.

ووصل المستنفرون إلى بغداد في رمضان، فاجتمع أهل بغداد في الجوامع، واستغاثوا وبكوا، وندب الخليفةُ ببغداد ـ وهو المستظهر بالله العباسي ـ الفقهاءَ إلى الخروج إلى البلاد؛ ليحرضوا الملوك على الجهـاد، فخرج ابنُ عقيل، وغيرُ واحد من أعيان الفقهاء، فساروا في الناس، فلم يفد ذلك شيئاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ووقع الخلف بين السلاطين السلجوقية، فتمكن الفرنجُ من البلاد، وانزعج المسلمون في سائر بلاد الإسلام بسبب أخذه غاية الانزعاج.

ثم استولى الفرنج على أكثر بلاد الساحل في أيامه، واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الفرنج إلى أن فتحه السلطان صلاح الدين ـ تغمده الله برحمته ـ في شهور سنة **ثلاث وثمانين وخمس مئة**، على ما سيمر بك ذلك في ترجمته ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وكان مولـد المستعلي في العشرين من شعبان، سنة سبـع وستين

وأربع مئة، وكانت خلافتـه سبع سنين، وقريب شهرين، وكان المدبِّرُ لدولته الأفضلَ بنَ بدر الجمالي أمير الجيوش.

وتوفي المستعلي بأمر الله بمصر، في يوم الثلاثاء، لسبع عشرة ليلة خلت من صفر، **سنة خمس وتسعين وأربع مئة**.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الآمر بأحكام الله

هو أبو علي، المنصورُ، الملقب: الآمر بأحكام الله بنُ المستعلي ابنِ المستنصر بنِ الظاهر بن الحاكم.

بويع بالأمر يوم موت أبيه، وكان عمرُ الآمرِ لما بويع خمس سنين، وشهراً، وأياماً، وقام بتدبير دولتـه الأفضلُ شاهنشاه بنُ بدر الجمـالي أمير الجيوش، وكان وزيرَ والده، ولما اشتد الأمر، فطن لنفسه، وقتل الأفضل، واستوزر المأمونَ أبا عبدالله محمدَ بنَ أبي شجاع البطائحي، فاستولى هذا الوزير عليه، وقبحت سمعتُه، فقبض عليـه في رابع شهر رمضان، **سنة تسع عشرة وخمس مئة**، واستصفى جميعَ أمواله، ثم قتلَه في رجب سنة إحدى وعشرين، وصُلب بظاهر القاهرة، وقتل معه خمسة من إخوته، أحدهم يقال له: المؤتمن، وكان متكبراً متجبراً، خارجاً عن طوره، وله أخبار مشهورة.

وكان الآمرُ سيئ الرأي، جائر السيرة، مشهوراً باللهو واللعب.

وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا، في شعبان، **سنة تسع وتسعين وأربع مئة**، وملك الفرنج طرابلس بالسيف يوم الاثنين، لإحدى عشرةَ ليلة خلت من ذي القعدة، **سنة اثنتين وخمس مئة**.

وقيل: في حادي عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وخمس مئة، والله أعلم.

ونهبوا ما فيها، وأسروا رجالها، وقتلوا نساءها وأطفالها، وحصل في أيديهم من أمتعتها وما كان في خزائن أربابها ما لا يُحَدُّ عددُه ولا يُحصر، وعوقب من بقي من أهلها، واستُصفيت أموالهم، ثم وصلتها نجدةُ المصريين بعد فوات الأمر.

وفي هذه السنة ملكوا غزنة وبانياس.

ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين، لسبع بقين من جمادى الأولى، **سنة ثمان عشرة وخمس مئة**، وكان الوالي بها من جهة الأتابك ظهير الدين طغتكين، وكان يومئذ صاحبَ دمشق وما والاها، فلما ملكوا، ضربوا السكة باسم الأمير المذكور ثلاثَ سنين، ثم قطعوا ذلك.

وأخذوا بيروت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شوال، **سنة ثلاث وخمس مئة** بالسيف، وأخذوا صيدا لعشرين بقين من جمادى الآخرة، **سنة أربع وخمس مئة**.

وفي سنة إحدى عشرة وخمس مئة قصد بردويل الفرنجي الديار

المصرية ليأخذها، فانتهى إلى غـزة، ودخلها، وأخربها، وأحرق مساجدها، ورحل عنها وهو مريض، فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش، فشق أصحابُه بطنه، ورمَوْا حشوتَه هناك، فهي تُرْجَم إلى اليوم، ورحلوا بجثته، فدفنوها بقمامة، وسبخة بردويل التي هي في سبخة الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور، والحجارة الملقاة هناك، والناس يقولون: هذا قبر بردويل، وإنما هو هذه الحشوة، وكان بردويل صاحبَ بيت المقدس وعكا ويافا، وعدَّةٍ من بلاد السّاحل، وهو الذي أخذ هذه البلاد من المسلمين.

*** ذكر ظهور قبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ:**

وفي أيام الآمر، **في سنة ثلاث عشرة وخمس مئة** ظهر قبر سيدنا إبراهيم الخليل، وقبرا ولديه إسحاق، ويعقوب ـ عليهم السلام ـ بالقرب من بيت المقدس، ورآهم كثير من الناس، لم تبل أجسادهم، وعندهم في المغارة قناديلُ من ذهب وفضة، وتقدم ذكر ذلك في ترجمة المسترشد بالله العباسي خليفة بغداد، والله أعلم.

وكانت وفاة الآمر قتلاً من جماعة كَمَنوا له عند الجيزة، وكان في جماعة قلائلَ من غلمانه وبطانته، في نهار الثلاثاء، ثالث ذي القعدة، **سنة أربع وعشرين وخمس مئة**، ولم يعقِّب، وهو العاشر من الخلفاء العلويين.

وكان قبيح السيرة، ظلمَ الناس، وأخذ أموالهم، وسفك الدماء،

وارتكب المحذورات، واستحسن القبائح المحظورات، فابتهج الناس بقتله.

وكان ربعة، شديد الأدمة، جاحظ العين، حسن الخط.

وكانت مدته تسعاً وعشرين سنة، وخمسة أشهر، وخمسة عشر يوماً، وعمره أربعاً وثلاثين سنة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الحافظ لدين الله

هو أبو الميمون، عبدُ المجيد بنُ أبي القاسم بنِ المستنصر بالله.

ولم يُبايع أولاً بالخلافة، بل كان على صورة نائب، لانتظار حمل يظهر للآمر.

ولما تولى الحافظ، استوزر أبا علي أحمدَ بنَ الأفضل بن بدر الجمالي، فاستبدَّ بالأمر، وتغلب على الحافظ، وخطب لنفسه، وحجر عليه، ونقل أبو علي ما كان بالقصر من الأموال إلى داره.

ولم يزل الأمر كذلك إلى سنة ست وعشرين وخمس مئة، فقُتل أبو علي الوزير المذكور، وكان قد قطع خطبةَ الحافظ، وخطب لنفسه خاصة، وقطع من الأذان: حيّ على خير العمل، فنفرت منه قلوب شيعة العلويين، وثار به جماعة المماليك وهو يلعب بالكرة، فقتلوه، ونهبوا

داره، وخرج الحافظ من الاعتقال، ونقل ما بقي في دار أبي علي إلى القصر.

وبويع للحافظ في يوم قتل أبي علي بالخلافة، واستوزر أبا الفتح يانس الحافظ، فمات، فاستوزر الحافظُ ابنَه الحسن، وخطب له بولاية العهد.

ثم قُتل حسن سنة تسع وعشرين؛ لأن حسناً المذكور تغلب على الأمر، واستبدَّ به، وأساء السيرة، وأكثرَ من قتل الأمراء وغيرهم ظلماً وعدواناً، وأكثرَ مصادرات الناس، فأراد العسكر الإيقاع به وبأبيه، فعلم أبوه الحافظ ذلك، فسقاه سماً، فمات.

واستوزر تاج الدولة بهرام النصراني، فتحكم، واستعمل الأرمن على الناس، وأهانهم، فأنف من ذلك شخص يسمى: رضوان بن الوكخشي، وجمع جمعاً، وقصد بهرام، فهرب بهرام إلى الصعيد، ثم عاد، وأمسكه الحافظ، وحبسه في القصر، ثم إن بهرام المذكور ترهَّب، وأطلقه الحافظ.

واستوزر رضوانَ المذكور، ولقَّبه: الملك الأفضل، وهو أولُ وزير للمصريين لُقِّب بالملك، ثم إنه فسد ما بين رضوان والحافظ، فهرب رضوان، ثم إن الحافظ ظفر به، وقتله، ولم يستوزر بعده أحداً، وباشر الأمورَ بنفسه إلى أن مات.

وتوفي الحافظ في جمادى الآخرة، سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وسبعة أشهر، وكان عمره نحو سبع وسبعين سنة، ولم يكن من العلويين المصريين مَنْ أبوه غيرُ خليفة سوى الحافظ، والعاضد.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الظافر بأمر الله

هو أبو منصور، إسماعيلُ ابنُ الحافظِ عبدِ المجيد.

بويع الظافر بأمر الله بعد وفاة أبيه الحافظ، واستوزر ابن مصال، ثم قتلَه عباسٌ ربيبُ العادلِ بن السلاَّر، واستقر العادل في الوزارة، وتمكن، ولم يكن للخليفة معه حكم، وبقي العادل كذلك إلى **سنة ثمان وأربعين وخمس مئة**، فقتله ربيبه عباسٌ المذكور، وتولى الوزارة.

وقُتل الظافر في المحرم **سنة تسع وأربعين وخمس مئة**، قتله وزيره عباسٌ الصنهاجيُّ المذكور.

وسببه: أنه كان لعباس ولد حسن الصورة، يقال له: نصر، فأحبه الظافر، وما بقي يفارقه، فقدم من الشام مؤيد الدولة أسامةُ بنُ منقِذٍ الكنانيُّ، فقال لعباس: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول؟ فقال له عباس: ما هو؟ فقال: إن الناس يقولون: إن الظافر يفعل بابنك نصرٍ، فأَنِفَ عباسٌ، وأمر ابنَه نصراً، فدعا الظافر إلى بيته، وقتلاه، وقتلا كلَّ من كان معه، وسلم خادمٌ صغير، فحضر إلى القصر، وأعلمهم بقتل الظافر.

ثم حضر عباسٌ إلى القصر، وطلب الاجتماع بالظافر، وطلبه من أهل القصر، فلم يجدوه، فقال: أنتم قد قتلتموه، فأحضر أخوَي الظافر: يوسف، وجبريل، وقتلهما عباسٌ المذكور ـ أيضاً ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الفائز بنصر الله

هو أبو القاسم، عيسى بنُ الظافر إسماعيل.

استقر الفائز بنصر الله في الخلافة ثاني يوم قتل أبيه، وله من العمر ثلاثُ سنين، وقيل: خمس، فحمله عباسٌ الصنهاجيُّ الوزير على كتفه، وأجلسه على سرير الملك، وبايع له الناس، وأخذ عباسٌ من القصر من الأموال والجواهر النفيسة شيئاً كثيراً.

ولما فعل عباس ذلك، اختلفت عليه الكلمة، وثار عليه الجند والسودان، وكان طلائع بن رزبك في منية خصيب والياً عليها، فأرسل إليه أهلُ القصر من النساء والخدام يستغيثون به، وكان فيه شهامة، فجمع جمعه، وقصد عباساً، فهرب عباس إلى نحو الشام بما معه من الأموال والتحف التي لم يوجد مثلها، ولما كان في أثناء الطريق، خرجت الفرنج على عباس المذكور، فقتلوه، وأخذوا ما كان معه، وأسروا ابنه نصراً.

وكان قد استقر طلائعُ بنُ رزبك بعد هرب عباس في الوزارة،

ولُقب: الملك الصالح، فأرسل الصالحُ بن رزبك إلى الفرنج، وبذل لهم مالاً، وأخذ نصرَ بن عباس، وأحضره إلى مصر، وأُدخل القصر، فقُتل، وصُلب على باب زويلة.

ولما استقر أمر الصالح بن رزبك، وقع في الأعيان بالديار المصرية، فأبادهم بالقتل، والهروبِ إلى البلاد البعيدة.

وتوفي الفائز في سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وكانت خلافته ستَّ سنين، ونحوَ شهرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة العاضد لدين الله

هو أبو محمد، عبدُالله، الملقب: العاضدُ لدين الله ابنُ الأمير يوسف بنِ الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بنِ أبي القاسم محمد بنِ المستنصر بالله بنِ الظاهر لإعزاز دين الله بنِ الحاكم بأمر الله ابنِ العزيز بالله بنِ المعزِّ لدين الله بنِ المنصور بالله بنِ القائم بأمر الله بنِ المهدي بالله، هو آخر خلفاء مصر من العُبَيديين.

ولي المملكة بعد وفاة ابن عمه الفائز، والسبب في ولايته: أنه لما مات الفائز، دخل الصالح بن رزبك القصر، وسأل عمن يصلح، فأُحضر منهم إنسان كبير السن، فقال بعض أصحاب الصالح له سراً: لا يكون عباسٌ أحزمَ منك؛ حيث اختار الصغير، فأعاد الصالحُ الرجلَ

إلى موضعه، وأمر بإحضار العاضد لدين الله، ولم يكن أبوه خليفة.

وكان العاضد ذلك الوقت مراهقاً، فبايع له بالخلافة، وزوَّجه الصالحُ ابنته، ونقل معها من الجهاز ما لا يُسمع بمثله، وكان العاضد شديد التشيع، متغالياً في سبِّ الصحابة ﵃، وإذا رأى سنيّاً، استحلَّ دمه.

واحتكر وزيرُه الصالحُ في أيامه الغَلاَّت، فارتفع سعرُها، وأضعفَ حال الدولة المصرية، وقتل أمراء الدولة خشيةً منهم، وأفنى ذوي الآراء والحزم منها، وكان كثير التطلع إلى ما في أيدي الناس من الأموال، وصادر أقواماً ليس بينهم وبينه تعلق.

وكان العُبيديون في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء: اكتبْ لنا ألقاباً في ورقة تصلُح للخلفاء، حتى إذا تولى واحد منهم، لقبوه منها بلقب، فكتب لهم ألقاباً كثيرة، وكان آخرها ذكر العاضد، فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقَّب بالعاضد، وهذا من عجيب الاتفاق، و- أيضاً - العاضد في اللغة هو القاطع، يقال: عضدت الشيء، فهو عاضدٌ له: إذا قطعه، فكأنه عاضدٌ لدولتهم، وكذا كان؛ لأنه قطعها.

ومما قيل أن أحد علماء مصر نقل: أن العاضد في أواخر دولته رأى في منامه وهو بمصر، قد خرجت إليه عقرب من مسجد معروف بها، فلدغته، فلما استيقظ، ارتاع لذلك.

فطلب بعض معبِّري الرؤيا، وقص عليه المنام، فقال: ينالك مكروه من شخص مقيم في هذا المسجد، فتطلب ذلك بعد جهد، وإذا هو

رجل صوفي، وهو الشيخ نجم الدين الحبوساني، فأُحضر إليه، فلما رآه وسأله وأجابه، ظهر له منه ضعفُ الحال والصدق، والعجزُ عن إيصال المكروه إليه منه، فأعطاه شيئاً، وقال له: يا شيخ! ادع لنا، وأطلقَ سبيله، فتوجه إلى مسجده.

فلما استولى الناصر صلاح الدين، وعزم على قبض العاضد، واستفتى الفقهاء، فأفتوه بحل دمه؛ لما كان عليه من انحلال العقيدة، وفساد الاعتقاد، وكثرة الوقوع في الصحابة، والاستهزاء بهم، وكان أكبرهم في الفتيا الصوفي المقيم في المسجد؛ فإنه عدد مساوئ هؤلاء القوم، وسلب عنهم الإيمان، وأطال الكلام في ذلك، فصحَّت رؤيا العاضد بذلك.

وكانت وفاته في يوم عاشوراء، **سنة سبع وستين وخمس مئة**.

وسنذكر شيئاً من ذلك في ترجمة السلطان صلاح الدين ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقيل: إنه سم نفسه، فمات.

وكانت مدة خلافة الفاطميين من حين ظهور المهديِّ بسجلماسة في ذي الحجة، **سنة ست وتسعين ومئتين**، إلى أن توفي العاضد في التاريخ المذكور: مئتين، وسبعين سنة، وشهراً تقريباً ـ.

وهذا دأبُ الدنيا، لم تعط إلا واستردَّت، ولم تحلُ إلا وتمررت، ولم تصفُ إلا وتكدَّرت، بل صفوُها لا يخلو من الكدر.

وانقرضت دولتهم في خلافة المستضيء بالله أبي محمد الحسنِ بنِ المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

الدولة العباسية بمصر

قد تقدم ذكرُ انقراض الدولـة العباسية من بغـداد، واستيلاء التتـر عليها، وقتل أمير المؤمنين المستعصم بالله في **سنة ست وخمسين وست** مئة، ثم استمرت المملكة بغير خليفة نحو ثلاث سنين ونصف سنة، إلى أن استقر الحال في **سنة تسع وخمسين وست مئة** باستقرار الخلفاء بالديار المصريـة، وذلك في دولـة الملك الظاهر بيبرس ـ تغمده الله برحمته ـ على ما سنذكره.

* * *

خلافة المستنصر بالله

وفي **سنة تسـع وخمسين وست مئـة**، في شهر رجـب، قدم إلى مصر جماعـة من العرب، ومعهم شخص أسمرُ اللون، اسمه أحمـد، زعموا أنه ابن الإمام الظاهر بالله محمدِ ابنِ الإمام الناصر، وأنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر، فعقد الملكُ الظاهر بيبرسُ مجلساً، أحضر فيه جماعة من الأكابر، منهم: الشيخ عز الدين بن عبـد العزيز بن

عبد السلام، والقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز، فشهد أولئك العرب أن هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمدِ ابنِ الإمام الناصر، فيكون عمَّ المستعصم، وأقام القاضي جماعة من الشهود، واجتمعوا بأولئك النفر، وسمعوا شهادتهم، ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة، فأثبت القاضي تاجُ الدين نسبَ أحمد المذكور، ولقِّب: المستنصر بالله، أبو القاسم، أحمدُ بنُ الظاهرِ بالله محمد.

وبايعه الملك الظاهر والناسُ بالخلافة، واهتم الملك الظاهر بأمره، وعمل له الدهليز والجمدارية وآلات الخلافة، واستخدم له عسكراً، وغرم على تجهيزه حملاً طائلةً، قيل: إن قدر ما غرم عليه ألف ألف دينار.

ثم في يوم الاثنين، الرابع من شعبان، ركب الخليفةُ والسلطان والقضاة والأمراء إلى خيمة عظيمة ضُربت ظاهر القاهرة، فجلسوا فيها، فألبس الخليفةُ للسلطان بيده خلعة سوداء، وطوقاً في عنقه، وقيداً، وهما من ذهب، وقَوَّى تقليدَ السلطان بالسلطنة، ثم ركب، وشق القاهرة، وكان يوماً مشهوداً.

وبرز الملك الظاهر والخليفةُ المذكور في رمضان من هذه السنة، وتوجَّها إلى دمشق، وكان في كل منزلة يمضي الملك الظاهر إلى دهليزه الخاص به، والخليفة إلى دهليزه الخاص به.

ولما وصلا إلى دمشق، نزل الملك الظاهر بالقلعة، ونزل الخليفة في جبل الصالحية، ونزل حول الخليفة أمراؤه وأجناده.

ثم جهز الخليفة بعسكره إلى جهة بغداد؛ طمعاً في أنه يستولي على بغداد، ويجتمع عليه الناس، فسار الخليفة بعسكره من دمشق، وركب الملك الظاهر، وودعه، ووصاه بالتأني في الأمور.

ثم عاد الملك الظاهر إلى دمشق من توديع الخليفة، ثم سار إلى الديار المصرية، ودخلها في سابع عشر ذي الحجة من هذه السنة، ووصلت إليه كتب الخليفة بالديار المصرية: أنه قد استولى على عانة، والحديثة، وولى عليهما، وأن كُتَبَ أهل العراق وصلت إليه، يستحثونه على الوصول إليهم.

ثم قبل أن يصل إلى بغداد، وصلت إليه التتر، وقتلوا الخليفة المذكور قريباً من الأنبار، وقتلوا غالب أصحابه، وجاءت الأخبار بذلك.

فأقام في الخلافة نحو ستة أشهر ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

والحمدُ لله وحده.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الحاكم بأمر الله

وفي يوم الخميس، في أواخر ذي الحجة، **سنة ستين وست مئة**، وقيل: في أول المحرم منها، جلس الملك الظاهر بيبرس مجلساً عاماً، وأحضر شخصاً كان قد قدم إلى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين وست مئة من نسل بني العباس يسمى: أحمد، بعد أن أثبت نسبه، وبايعه

بالخلافة، ولُقِّب أحمد المذكور: الحاكمُ بأمر الله، أبو العباس، أحمدُ أمير المؤمنين.

وقيل: اختلف في نسبه، فالذي هو مشهور بمصر عند نسَّابة مصر: أنه أحمد بن حسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي الفتى ابن الأمير حسن ابن الراشد بن المسترشد بن المستظهر.

وأما عند الشرفاء العباسيين السلمانيين في درج نسبتهم الثابت، فقالوا: هو أحمد بن أبي علي بن أبي بكر بن أحمد ابن الإمام المسترشد الفضلِ بنِ المستظهر.

ولما أثبت الملكُ الظاهر نسبَ المذكور، تركه في برجٍ محترزاً عليه، وأشرك له الدعاء في الخطبة حسب لا غير.

وتوفي المذكور في ثامن عشر جمادى الأولى، **سنة إحدى وسبع مئة**، ودفن بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها، واستمر خليفةً أربعين سنة، وعاصر من السلاطين: الملك الظاهر بيبرس، وولدَه الملكَ السعيد محمد بركة، والملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، والملك المنصور قلاوون، والملك الأشرف خليل بن قلاوون، والملك القاهر بيدرا، والملك الناصر محمدَ بن قلاوون في سلطنته الأولى، والملك العادل كتبغا، والملك المنصور لاجين، ثم الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية، وفيها توفي ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المستكفي بالله

هو أبو الربيع، سليمانُ بنُ الحاكم بأمر الله أحمدَ المذكور قبله.

كان والده أوصى بولاية العهد إليه، وعمره عشرون سنة، فلما توفي والده، قُرِّر في الخلافة، ولُقِّب: المستكفي بالله، وخلع عليه وعلى أخيه وأولاد أخيه، وبايعه السلطان والأمراء والقضاة والعلماء وأعيان الدولة.

وفي ثالث عشر ذي القعدة، **سنة ست وثلاثين وسبع مئة**، رسم السلطانُ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون بانتقال الخليفة من الكبش إلى القلعة، ومُنِعَ من الاجتماع بالناس.

وفي ربيع الآخر، **سنة سبع وثلاثين وسبع مئة**، أُفرج عن الخليفة المستكفي، وأُطلق من البرج، ولزم بيته، ثم أخرجه السلطان، وأخرج أهلَه إلى قوص، وكانوا قريباً من مئة نفس، ورتب لهم هناك ما يقوم بهم.

وتوفي وليُّ العهد القائمُ بأمر الله محمدُ ابنُ أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بقُوص، في ذي الحجة، **سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة**، عن أربع وعشرين سنة.

وتوفي الخليفة المستكفي بالله في شعبان، **سنة أربعين وسبع مئة**، واستمر خليفةً نحو تسعٍ وثلاثين سنة.

وعاصر الملكَ الناصرَ محمدَ بن قلاوون في سلطنته الثانية، والملك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم الملك الناصر محمدَ بن قلاون في سلطنته

الثالثة، وبها توفي ـ رحمه الله ـ.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الواثق بالله

هو إبراهيمُ ابنُ أخي المستكفي بالله المذكور قبله.

ولي الخلافة بعد وفاة عمه، وأقام إلى أن خُلع في أول المحرم، **سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة**، واستمر خليفة سنة، ونحو خمسة أشهر.

عاصر الملكَ الناصرَ محمدُ بن قلاوون في أواخر سلطنته الثالثة، والملكُ المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون في أوائل دولته، وفيها خُلع من الخلافة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الحاكم بأمر الله

هو أمير المؤمنين أبو العباس، أحمدُ بنُ المستكفي بالله أبي الربيع سليمانَ العباسي.

بويع بالخلافة بعد خلع ابن عمه الواثق بالله في أيام الملك المنصور سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولبس السواد، وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة، في **سنة اثنتين وأربعين**

وسبع مئة، وأقام إلى أن توفي سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة، واستمر خليفة نحو إحدى عشرة سنة.

وعاصره الملكُ المنصورُ أبو بكر بن محمد بن قلاوون، والملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون، والملك الناصر أحمدُ ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، والملكُ الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ابن قلاوون، والملكُ الكاملُ شعبانُ بنُ الناصر محمد بن قلاوون، والملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون، والملك الناصر حسن في سلطنته الأولى، والملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون، وفي سلطنته توفي ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المعتضد بالله

هو أبو الفتح، أبو بكر بنُ المستكفي بالله سليمانَ بنِ الحاكم بأمر الله أحمد.

ولي الخلافة بعهد من أخيه الحاكمِ بأمر الله أميرِ المؤمنين أحمدَ.

وبويع له بالخلافة في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة، وأقام إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وسبع مئة، واستمر خليفة عشر سنين.

وعاصره الملكُ الصالح بنُ محمد بنِ قلاوون، والملكُ الناصر

حسن في سلطنته الثانيـة، والملكُ المنصور محمدُ بنُ المظفر حاجي، وفي سلطنته توفي ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

والحمد لله وحدَه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة المتوكل على الله

هو أبو عبدالله، محمدُ بنُ المعتضد بالله أبي بكـر بنِ المستكفي بالله سليمان بنِ الحاكم بأمر الله.

ولي الخلافة بعهد من والده، واستقر فيها سنة **وثلاث وستين وسبع** مئة، وأقام إلى أن خُلع في سنة **خمس وثمانين وسبع مئة**، واستمر خليفة في هذه المرة نحو اثنتين وعشرين سنة.

وعاصره الملكُ المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي، والملكُ الأشرف شعبان بن حسين، والملكُ المنصور علي بنُ الأشرف شعبان، وحاجي بن الأشـرف شعبان في سلطنتـه الأولى الملقـب فيهـا بالملك الصالح، والملك الظاهرُ برقوق في سلطنته الأولى، وفيها خلع.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

خلافة الواثق بالله

هو أمير المؤمنين ركنُ الدين، عمرُ بن إبراهيم.

استقر في الخلافة بعد خلع ابن عمه المتوكل على الله، وأقام بها إلى أن توفي سنة **ثمان وثمانين وسبع مئة**، واستمر خليفة نحو ثلاث سنين، وعاصره الملكُ الظاهر برقوق في سلطنته الأولى، وفيها ولي الخلافة، وتوفي ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة المعتصم بالله

هو أمير المؤمنين، زكريا بنُ إبراهيم.

استقر في الخلافة بعد وفاة أخيه الواثقِ بالله، وأقام بها إلى أن خلع في **سنة إحدى وتسعين وسبع مئة**، واستمر خليفة نحوَ ثلاث سنين.

وعاصره الملكُ الظاهر برقوق في سلطنته الأولى، وعاصره حاجي ابن الأشرف شعبان في سلطنته الثانية، الملقب فيها بالملك المنصور، وكان خلعُه في سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، وتوفي سنة إحدى وثمان مئة.

* * *

خلافة المتوكل على الله

لما خُلع المعتصمُ بالله زكريا من الخلافة، أُعيد بعدَه المتوكل

على الله محمدُ بنُ المعتضد بالله إلى الخلافة، وأقام بها إلى أن توفي في رجب، **سنة ثمان وثمان مئة**، واستمر خليفـة في هذه المرة سبع عشرة سنة، فكانت خلافته في المرتين نحو تسع وثلاثين سنة.

وعاصـره في خلافتـه الثانيـة الملكُ الظاهـر برقـوق في سلطنتـه الثانية، وولده الملك الناصر فرج في سلطنته الأولى، والملك المنصور عبد العزيز بن برقوق، ثم الناصر فرج في أول السلطنة الثانية، وفيها توفي ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة المستعين بالله

هو أبو الفضل، العباسُ بنُ المتوكل على الله محمدِ بنِ المعتضد بالله أبي بكر.

ولي الخلافـة بعد والده، فأقام بها ست سنين، ونصفَ سنة، ثم تسلطن في المحرم **سنة خمس عشرة وثمان مئة**، بعد خلع الناصر فرج ابن برقوق ـ على ما يأتي ذكره في ترجمته بين السلاطين ـ، ثم خُلع من السلطنة في شعبان من السنة المذكورة، وسجن بالإسكندرية.

وعاصـره في خلافتـه الملكُ الناصر فرج بن برقـوق في سلطنتـه الثانية، وتوفي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة بالإسكندرية ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

خلافة المعتضد بالله

هو أبو الفتح، داودُ بنُ المتوكل على الله محمـدِ بنِ المعتضد بالله أبي بكر بنِ المستكفي بالله سليمان بنِ الحاكم بأمر الله أحمدَ.

بويع له بالخلافة في [ذي] الحجة من سنة خمس عشرة وثمان مئة، لما قبض المؤيد شيخ على أخيه المستعين بالله، وسجنه بالإسكندرية.

ولد في سنة تسعين وسبع مئة، أو التي قبلها، وسمع بمصر على البرهان الشامي، والعـراقي، والبلقيني، وابن الملقن، وتلك الطبقـة، وأُحضروا له إلى دار الخلافة، فسمع عليهم متفرقين هو وإخوته في زمن والدهم المتوكل على الله، وأقام إلى أن توفي في خامس من ربيع الأول، سنة خمس وأربعين وثمان مئة بعد تعلُّل طويل.

وكان شكلاً حسناً، أسمر اللون، مهيباً، بوجهه أثر جُدري، عليه جلالـة، ووقار، وحشمة، ولديـه فضيلة، وبـر، وإحسان إلى الناس، جيـداً، خيِّراً، عالماً، فاضلاً، بشوشاً، واستمر خليفـة المسلمين نحو ثلاثين سنة.

وعاصره من السلاطين الملكُ المؤيد شيخ، وولدُه الملك المظفر أحمد، والملك الظاهر ططر، وولـده الملك الصالح محمد، والملك الأشرف برسباي، وولده الملك العزيز يوسف، والملك الظاهر جقمق، وفي سلطنته توفي ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

خلافة المستكفي بالله

هو أمير المؤمنين، أبو الربيع سليمانُ بنُ المتوكل على الله محمد.

مولده في حدود التسعين وسبع مئة، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المعتضد بالله في يوم الخميس، تاسع شهر ربيع الأول، **سنة خمس وأربعين وثمان مئة**، بعهد منه، وشهد له أنه ما ارتكب كبيرة ولا صغيرة في عمره، فكتب في تقليده: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦].

وكان رجلاً جيداً، خَيِّراً، ديِّناً، عليه سكينة ووقار، وحسنُ سمت وهدي، سكوناً، وقوراً، كثير الصلاة والتلاوة، والخوف والمراقبة والخشوع، لينَ العريكة، سهلَ الانقياد، من خيار المسلمين، رقيق الوجه، خفيفَ العارضين، ربعةً.

وسمع مع أخيه على مشايخه المتقدم ذكرهم في ترجمته، وهم: البرهان الشامي، والزين العراقي، والبلقيني، والهيثمي، وطبقتهم.

أقام إلى أن توفي يوم الجمعة، ثاني المحرم، سنة خمس وخمسين، وقيل: في أواخر ذي الحجة، **سنة أربع وخمسين وثمان مئة**، واستمر خليفة نحو عشر سنين، وعاصره في خلافته الملكُ الظاهر جقمق، وفي سلطنته توفي، ولم يعهد بالخلافة لأحد ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة القائم بأمر الله

هو أمير المؤمنين أبو البقاء، حمزةُ بنُ المتوكل على الله محمدٍ.

مولـده في سنة سبـع وثمانين وسبـع مئـة ـ تقريباً ـ، وسمع على البـرهـان الشـامي، والعـراقي، والبلقينـي، وابن الملقـن، والهيثمي، وطبقتهم.

وكان رجلاً جيداً، عالماً، خَيِّراً، فاضلاً، ديِّناً، يستحضر ويذاكر بكثير من العلوم، وكان من خيار أهل هذا البيت.

بويع له في الخلافة بعد وفاة أخيه المستكفي بالله، وكانت مبايعته في يوم الاثنين، خامس المحرم، **سنة [خمس] وخمسين وثمان مئة**.

وأقام إلى سلطنة الملك الأشرف أينال، فتسلَّط عليـه جماعـة من المماليك، وألزموه بالركـوب على الأشرف أينال، وأن يستقر هـو في السلطنة؛ كما وقع لأخيه المستعين بالله، فامتنع من ذلك، فألزموه به، فركب، فقدر الله بنصرة الأشرف أينال.

فقبض على الخليفة، وأحضره بين يديـه، وانتشر الكلام بينهما، فقال الخليفـة للسلطان: أنا ما ركبتُ عليك إلا مكرهاً، كما أكرهتني أنت على سلطنتك، فخلعـه من الخلافـة، وسجنـه، وذلك في **سنـة تسـع وخمسين وثمان مئة**، فكانت مدة خلافته نحو خمس[1] سنوات.

---

(١) في الأصل: «خمسين سنة».

وعاصر[ه] الملك الظاهر جقمق، وولدُه المنصور عثمان، والملكُ الأشرف أينال، وخُلع في سلطنته ـ رحمه الله ـ.

* * *

خلافة المستنجد بالله

هـو أميـر المـؤمنين أبـو المظفـر، يوسـفُ بنُ المتـوكل على الله محمدٍ.

استقر في الخلافة بعد خلع أخيه القائم بأمر الله حمزةَ، وأقام إلى أن توفي في **سنة أربع وثمانين وثمان مئـة**، واستمر خليفة نحـو خمس وعشرين سنة.

وعاصره من السلاطين الملكُ الأشرف أينال، وولده الملك المؤيدُ أحمد، والملكُ الظاهر خشقدم، والملكُ الظاهر بلباي، والملكُ الظاهر تمربغا، ومولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ـ نصره الله نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً ـ، وهو الذي قلّده للسلطنة، بعد خلع الظاهـر تمربغا في شهر رجـب، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئـة**، على ما سنذكره في ترجمة مولانا السلطان المشار إليه ـ إن شاء الله تعالى ـ، وتوفي في سلطنته في التاريخ المذكور ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* * *

خلافة أبي العز عبد العزيز بن يعقوب

هو مولانا الإمامُ الأعظم، والخليفةُ المكرم، أمير المؤمنين، وابن عمٍّ سيد المرسلين، ووارث الخلفاء الراشدين، أبو العزّ، عبد العزيز ابن يعقوب العباسي الهاشمي ـ أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ـ.

مولده في سنة ثمان عشرة وثمان مئة، سمع على شيخ الإسلام ابنِ حجر، وغيرِه، وأجاز له جماعة.

بويع له في الخلافة بعد وفاة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ـ تغمده الله برحمته ـ ثم تولى الخلافة بقلعة الجبل المنصورة، بحضرة مولانا المقام الشريف، السلطانِ المالك، الملكِ الأشرفِ سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، خادم الحرمين الشريفين، أبي النصر قايتباي ـ جدَّد الله له في كل يوم نصراً، وملَّكه بساطَ البسيطة براً وبحراً ـ، وذلك بالحوش، بحضور أهل الحل والعقد بين يدي السادة الموالي قضاة القضاة ذوي المذاهب الأربعة، وهم: قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة شمس الدين الأمشاطي الحنفي، وقاضي القضاة برهان الدين اللقّاني المالكي، وقاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي، والعلماء والأمراء.

وكان المتولي لاسترعاء البيعة صاحب ديوان الإنشاء المقر الزيني، أبو بكر بن مُزْهِرٍ الأنصاري الشافعي ـ تغمده الله برحمته ـ، وأُلبس تشريف

الخلافة، واسترعى عليه الإشهاد باستمرار مولانا السلطان المشار إليه في سلطنته على عادته، ثم كُتب له بذلك عهد شريف، ونزل أميرُ المؤمنين، والناسُ في خدمته إلى دار الخلافة، وكان يوماً مشهوداً، ولعل ذلك في أحد الربيعين، سنة أربع وثمانين وثمان مئة، بعد وفاة المستنجد بأيام قلائل.

وكان قد امتنع من قبول الخلافة، وقال: أنا لي عادة بزيارة الصالحين، ولا أقدر على الحصر، فقال له السلطان ـ نصره الله تعالى ـ: أنا لا أمنعك من زيارة الصالحين، ولكن لا تَبِتْ في غير القلعة، فقُلِّد الخلافة، وأقام بداخل القلعة، بالمنزل الذي كان فيه المستنجد بالله، واستمر به معظَّماً مبجَّلاً من السلطان ـ نصره الله تعالى ـ، والناس يترددون إليه.

وفي كل أول شهر يدخل إليه قضاة القضاة، والعلماء والفقهاء يهنئونه بالشهر بعد تهنئة السلطان، وإذا ولَّى السلطان ـ نصره الله تعالى ـ قاضياً من القضاة، يأمره بالتوجه لأمير المؤمنين، وهو لابسٌ لتشريف الولاية، وغير ذلك من أنواع التعظيم والتبجيل.

وأمّا أمير المؤمنين المشار إليه ـ أفاض الله نعمه عليه ـ، فلا شكَّ أنه من الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وهو من أهل العلم والعمل، والدين والصلاح، والزهد والتواضع، عليه جلالة ووقار، ولديه بر وإحسان إلى الناس، بشوشاً، شكلاً حسناً، ومحاسنه أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

وقد تمثلت في حضرته الشريفة، وسمعت قراءة «صحيح البخاري» بقراءة الشيخ برهان الدين النعماني بين يديه، وأجازني به، وأذن لي في عقود الأنكحة بالمملكة الإسلامية، وكتب لي خطه الشريف بذلك مرتين، وحصل لي منه غاية الجبر، وترددت إلى حضرته الشريفة مراراً، وتحملت عليه الشهادة، وكان يأذن لي في الجلوس قريباً منه، ويكرمني غاية الإكرام.

وكان ابتداء تمثلي في حضرته الشريفة في شهر شعبان، سنة ثمان وثمانين وثمان مئة، ولا زلت أتردد إليه إلى حين ودَّعته للسفر في يوم الخميس، ثالث عشر جمادى الأولى، سنة تسع وثمانين وثمان مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

ذكر ملك أتابك عماد الدين الزنكي

قد تقدم في ترجمة المستعلي بأمر الله العلوي: أن في أيامه اختلفت دولتهم، وضعُف أمرهم، وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتُهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج، ونزلوا أنطاكية في ذي القعدة، سنة تسعين وأربع مئة، ثم استولى على الشام جماعة، وملكوها، وأقاموا الحكم فيها، وتداولوها واحداً بعد واحد، إلى أن ملكها جمال الدين محمد بن بوري، وكان صاحب بعلبك بعد قتل شهاب الدين

محمود بن بوري بن طغتكين صاحبِ دمشق، وكان قتلُ محمـود المذكور في شوال، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

[ثم في] **سنة أربع وثلاثين وخمس مئة** سار عماد الدين أبو الجود زنكي ملكُ الموصل إلى دمشق، وحصرها، وزحف عليها، بعـد أن كان ملك حلب وحماة وحمص وبعلبك، وغير ذلك.

وكان ابتـداء ملكـه لحلب في **سنة اثنتين وعشرين وخمس مئـة**، فلما سار إلى الشام، وزحف عليها في سنة أربع وثلاثين المذكورة، بذل لصاحبها جمال الدين محمـد بعلبكَّ وحمصَ، فلم يأمنوا إليـه؛ بسبب غدره بأهل بعلبك، وكان نزوله على داريًا في ثالث عشر ربيـع الأول، واستمر ملازماً لدمشق، فمرض في تلك المدة جمالُ الدين محمد بوري صاحـبُ دمشق، ومات في ثامن شعبان، فطمع زنكي حينئـذ في ملك دمشق، وزحف عليها، واشتد القتال، فلم ينل غرضاً.

ولمّا مات جمال الدين محمد، أقام معين الدين أنز في الملك ولده مجير الدين أرتـق بن محمـد بن بوري بن طغتكين، واستمر أنـز يدبـر الدولة، فلم يظهر لموت جمال الدين محمدٍ أثر.

ثم رحل زنكي، ونزل بعذرا من المرج في سادس شوال، وأحرق عدة من قرى المرج، ورحل عائداً إلى بلاده، وملك عدة أماكن، منها: شهرزور، ومنها: قلعة است، وكانت من أعظم حصون الأكراد الهكارية، ثم سار إلى ديار بكـر، ففتح منها طبـرة، وأسعرد، وحيـراز، وحصن

الروق، وحصن تطليس، وحصن ناياسا، وحصن ذي القرنين.

وأخذ من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج حملين، والمورر، وتل مورز من حصون شبختان، وملك عانة من أعمال الفرات، وفتح الرها من الفرنج بالسيف، ثم تسلم مدينة سروج، وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات.

ثم في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة: سار عماد الدين زنكي، ونزل على قلعة جعبر، وحصرها، وصاحبُها عليُّ بنُ مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسبب العُقَيلي، وأرسل عسكراً إلى قلعة فنك، وهي تجاور جزيرة ابن عمر، فحصرها ـ أيضاً ـ، وصاحبُها حسامُ الدولة الكردي البشنوي.

*** ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكيُ، وشيء من سيرته:**

ولما طال على زنكي منازلةُ قلعة جعبر، أرسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج، يقول لصاحب قلعة جعبر: قل لي: من يخلصك مني؟ فقال صاحب قلعة جعبر لحسان: يخلصني منه الذي خلصك من بلك بن بهرام بن أرتق.

وكان بلك محاصراً لمنبج، فجاءه سهم، فقتله.

فرجع حسان إلى زنكي، ولم يخبره بذلك، فاستمر زنكي منازلاً قلعة جعبر، فوثب عليه جماعة من مماليكه، وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه السنة بالليل، وهربوا إلى قلعة جعبر، فصاح مَنْ بها على

العسكر، وأعلموهم بقتل زنكي، فدخل أصحابه إليه، وبه رمق.

وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة، أسمر اللون، مليح العينين، قد وَخَطَه الشيب، وكان قد زاد عمرُه على ستين سنة، ودُفن بالرقة، وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمَها، كان له الموصل وما معها من البلاد، وملك الشامَ خلا دمشقَ، وكان شجاعاً، وكانت الأعداء محيطة بمملكته من كل جهة، وهو ينتصف منهم، ويستولي على بلادهم ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل

نورِ الدين محمود الزنكي صاحب دمشق الملقب بالشهيد

هو نور الدين، أبو القاسم، محمودُ ابنُ الملك المنصور عماد الدين أبي الجود زنكي، بن أقسنقر، المدعو بالشهيد.

لما قُتل والده عماد الدين زنكي، كان نور الدين معه حاضراً عنده، فأخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه، وسار إلى حلب، فملكها، وبلغ سيفَ الدين غازي بنَ عماد الدين زنكي قتلُ والده، فسار إلى الموصل، واستقر ملكُ سيف الدين غازي للموصل وبلادها.

ثم بعد قتل عماد الدين زنكي قصد صاحبُ دمشق مجيرُ الدين حصنَ بعلبك، وحصره، وكان به نجم الدين أيوب بن شادي مستحفظاً،

فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم اتخاذه بالعاجل، فصالحه، وسلم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعاً ومالاً، وملَّكه عدة قُرى من بلاد دمشق، وانتقل أيوب إلى دمشق، وسكنها، وأقام بها.

ثم في سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحبُ حلب بلاد الفرنج مصاف بأرض يغرى، ففتح منها مدينة أرتاح بالسيف، وحصن مامولة، وبصرفوت، وكفر لاثا، وكان بين نور الدين وبين الفرنج مصاف بأرض يغرى من العمق، فانهزم الفرنج، وقتل منهم وأسر جماعة، وأرسل جماعة من الأسرى والغنيمة إلى أخيه سيف الدين غازي صاحبِ الموصل.

وفي سنة أربع وأربعين وخمس مئة حصر نورُ الدين محمود بن زنكي حصنَ حارم، فجمع البرنسُ صاحبُ أنطاكية الفرنج، وسار إلى نور الدين، واقتتلوا، فانتصر نور الدين، وقُتل البرنسُ، وانهزم الفرنج، وكثر القتل فيهم، ثم غزاهم نور الدين غزوة أخرى، فهزمهم، وقتل فيهم وأسر.

وفي سنة سبع وأربعين وخمس مئة: جمعت الفرنج، وساروا إلى نور الدين، وهو محاصرٌ دلوك، فرحل عنها، وقاتلهم أشد قتال رآه الناس، وانهزمت الفرنج، وقُتل وأُسر كثير منهم، ثم عاد نور الدين إلى دلوك، فملكها.

وفي سنة تسع وأربعين وخمس مئة: ملك نور الدين دمشق، وأخذها من صاحبها مجير الدين أرتق بن محمد بن بوري بن طغتكين.

وكان الفرنج قد تغلبوا بتلك الناحيـة بعـد ملكهم عسقلان، حتى إنهم استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من النصارى، وأطلقوا قهراً كلَّ من أراد منهم الخروجَ من دمشق، واللحـوقَ بوطنه، شـاء صاحبـه أو أبى.

فخشي نور الدين أن يملكوا دمشق، فكاتبَ أهلَ دمشق، واستمالهم من الباطن، ثم سار إليها، وحصرهـا، ففُتح لـه الباب الشرقي، فدخل منه، وملك المدينة، وكان نزوله عليها ثالث صفر، وملكها يوم الأحد، تاسع الشهر المذكور، **سنة تسع وأربعين وخمس مئة**.

وحصَر مجير الدين في القلعة، وبذل له إقطاعاً، من جملته: مدينة حمص، فسلم مجير الدين القلعة إلى نور الدين، وسار إلى حمص، فلم يعطه إياها نورُ الدين، وأعطاه عوضها بالس، فلم يرضها مجير الدين، وسار عنها إلى العراق، وأقام ببغداد، وابتنى داراً بقرب النظَّاميـة، وسكنها حتى مات بها.

ثم في هذه السنة أو التي بعدها: ملك نور الدين قلعـة تل باشر، وأخذها من الفرنج، واستولى على بلاد الشام، من حمص وحماة وبعلبك والرحبة، وبنى بمدينة الموصل الجامعَ النـوريَّ، وبحماةَ الجامعَ الذي على نهر العاصي، وجامـع الرها، وجامـع منبج، وبيمارستان دمشق، ودار الحديث بها.

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمس مئـة، في رجـب: كان بالشام زلازل قوية، فخربَـتْ بها حماة، وشيزر، وحمص، وحصن الأكراد،

وطرابلس، وأنطاكيـة، وغيرهـا من البلاد المجاورة لها، حتى وقعـت الأسوار والقـلاع، فقام نـور الـدين محمـود بن زنكي في ذلك المقـامَ المرضي؛ من تداركها بالعمارة، وإغارته على الفرنج؛ ليشغلهم عن قصد البلاد، وكان الفرنج يخافون من نور الدين خوفاً شديداً؛ لسلاطته عليهم، وهلك تحت الهدم ما لا يحصى.

وفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة: كبس الفرنجُ نورَ الدين وهو نازلٌ بعسكره في البقيعـة تحـت حصن الأكـراد، فلم يشعـر نور الدين وعسكره إلا وقد أطلَّت عليهم صُلبان الفرنج، وقصدوا خيمة نور الدين، فلسرعة ذلك، ركب نور الدين فرساً، وفي رجله الشجَّة، فنـزل إنسان كردي، نقضها، فنجا نور الدين، وقُتل الكردي، فأحسنَ نورُ الدين إلى مخلَّفيه ووقـف عليهم الوقـوف، وسار نور الدين إلى بحيـرة حمص، فنزل عليها، وتلاحقَ به مَنْ سلم من المسلمين.

وفي سنة تسع وخمسين: فتح نور الدين قلعة حارم، وأخذها من الفرنج بعد مصافٍّ جرى بين نور الدين والفرنج، انتصر فيه نور الدين، وقتل وأسـر من الفرنج عالمـاً كثيـراً، وكان في جملة الأسـرى البرنس صاحبُ أنطاكيـة، والقومصُ صاحبُ طرابلس، وغنم منهم المسلمون شيئاً كثيراً.

وفي هذه السنة ـ أيضاً ـ في ذي الحجة سار نور الدين إلى بانياس، وفتحها، وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة إلى هذه السنة.

وفي سنة إحدى وستين وخمس مئة: فتح نور الدين حصن المنيطرة من الشام، وكان بيد الفرنج، وفتح صافيتا، والغربية.

وفي سنة أربع وستين وخمس مئة: ملك نور الدين قلعة جعبر.

ولنور الدين ـ رحمه الله تعالى ـ المناقبُ والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف.

ومما روي عنه ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه اشترى مملوكاً بخمس مئة دينار، جميل الصورة، ودفعه إلى رجل كبير من جماعته كان رباه، ويعرف أموره، وهو واثق به، وأمره أن يُلبسه أفخرَ الملبوس، ويوقفه في الخدمة على العادة، ففعل.

ثم أمره أن يصعد به كل يوم، ففعل، ثم أمره في يوم من الأيام أن يطلعه ليلاً، ويبيت معه على باب المكان الذي هو فيه، فأنكر عليه ذلك غايةَ الإنكار، وقال: هذا ما اشترى مملوكاً بمئة دينار أبداً، ونسبه إلى القبيح، وتعجب من ذلك غاية العجب، وقال: الشيطان لعب به، بعد تقدمه في السّن، وعبادته وإخلاصه في العمل والجهاد، وما تقدم منه من الخير، لئن وقع منه به فاحشة، لأقتلنَّه.

ثم أخذ كبَّارة، وأصلح رأسها، وحمله إلى المكان الذي ذكره له، وبات عند رأسه ينتظر وقوع ما وقع في نفسه، فلما كان نصف الليل، وإذا بالغلام أخذته الحمى الشديدة إلى طلوع الفجر، ومات من يومه، فبعد دفنه طلب السلطان نورُ الدين الرجل المذكور، وقال له: ما حملك على اتخاذ الكبارة؟ أردت قتلي، والله! إن الموت عندي أهونُ من الوقوع

فيما ظننته بنا، ولكن تعلق بالنفس هوى الغلام المذكور، فاشتريتُه بما تعلم، فطالبتني نفسي برؤيته في كل أسبوع مرة، ففعلت، ثم في كل يوم مرة، ففعلت، ثم طلبت النومَ معه، والدنو منه، لذا أمرتُك بذلك، فلما دخل عليَّ الليل، وأنت وإياه على باب المكان، كشفتُ رأسي، وفتحت يدي، وقلت:

إلهي وسيدي! عبدُك محمودٌ المجاهدُ في سبيلك، الذابُّ عن دينِ نبيك، الذي انقضى عمره في الجهاد، وبناء المساجد والمدارس والرُّبُط طلباً لمرضاتك، يختم أعمالَه بذلك؟! وبكيت، فإذا بهاتف يقول لي: قد كفيناك ذاك يا محمود، فعلمت أن الغلام قد نزل به أمرٌ، وأما أنت، فجزاك الله عني كلَّ خير على قصدك الجميل بي.

ورأيت في «تاريخ المدينة الشريفة» للشيخ الإمام الحافظ صدرِ العلماء أقضى القضاة جمالِ الدين أبي عبدِالله محمدٍ الخزرجيِّ السعديِّ العبادي المدني، عرف بالمطري ـ تغمده الله برحمته ـ ما نصُّه:

ونقل قاضي القضاة شمسُ الدين بنُ خلكان: أن هذا السور القديم بناه عضد الدولة ابن بُويه بعد الستين وثلاث مئة من الهجرة في خلافة الإمام الطائع لله بن المطيع، ثم تهدم على طول الزمان، وخرب لخراب المدينة، ولم يبق إلا آثاره ورسمه، حتى جدد لها الوزير جمالُ الدين محمدُ بن علي بن أبي منصور الأصبهانيُّ سوراً محكماً حول مسجد رسول الله ﷺ على رأس الأربعين وخمس مئة من الهجرة، ثم كثر الناس من خارج السور، ووصل السلطانُ الملكُ العادل نورُ الدين محمود بن

زنكي بن أقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمس مئة إلى المدينة الشريفة، بسبب رؤيا رآها، ذكرها بعض الناس، وسمعتُها من الفقيه عَلَمِ الدين يعقوبَ بن أبي بكر المحترقِ أبوه ليلةَ حريق المسجد، عمَّن حدثه عن أكابر ممن أدرك: أن السلطان محموداً المذكورَ رأى النبيَّ ﷺ ثلاثَ مرات في ليلة واحدة، وهو يقول له في كل واحدة منها: يا محمود! أَنقذني من هذين، ويشير لشخصين أشقَرين تجاهه، فاستحضرَ وزيرَه قبل الصبح، فذكر له ذلك، فقال: هذا أمرٌ حدث في مدينة النبي ﷺ، ليس له غيرُك، فتجهَّز، وخرج على عَجَل بمقدار ألف راحلة، وما يتبعها من خيل، وغير ذلك، حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها، والوزيرُ معه، وزار، وجلس في المسجد لا يدري ما يصنع. فقال له الوزير: أتعرفُ الشخصين إذا رأيتَهما؟ قال: نعم، فطلب الناس علة الصدقة، وفرق عليهم ذهباً كثيراً وفضة، وقال: لا يبقينَّ أحدٌ بالمدينة إلا جاء، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس، نازلان في الناحية التي تلي قِبْلَة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد، عند دار آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي تعرف الآن بدار العشرة، فطلبهما للصدقة، فامتنعا، وقالا: نحن على كفاية، ما نقبل شيئًا، فجدَّ في طلبهما، فجيءَ بهما، فلما رآهما، قال للوزير: هما ذان، فسألهما عن حالهما، وما جاءَ بهما، فقالا: لمجاورة النبي ﷺ، فقال: اصدُقاني، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما، فأقرا أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكي ينقلا مَنْ في هذه الحجرة الشريفة المقدسة، باتفاق من ملوكهم، ووجدهما قد حفرا نقباً

تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة، ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه.

هكذا حدثني عمَّن حدثه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد، ثم أُحرقا بالنار آخر النهار، وركبَ متوجِّهاً نحو الشام، فصاح به من كان نازلاً خارج السور، واستغاثوا، وطلبوا أن يَبني عليهم سوراً يحفظ أبناءَهم وماشيتهم، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم، وذلك في سنة ثمان وخمسين، وكتب اسمه على باب البقيع، فهو باق إلى اليوم. انتهى كلام المطري ـ رحمه الله تعالى ـ، وقال في تاريخه المذكور قبل ذكر هذه الحادثة: إن تأليفه في آخر سنة أربعين وسبع مئة.

وفي «تاريخ المدينة الشريفة» للسيد الشريف نور الدين علي السمهودي: أن الملك العادل نور الدين أمر بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة كلها، وأُذيب ذلك الرصاص، وملئ به الخندق، فصار حول الحجرة رصاصاً إلى الماء رحمه الله، ورضي عنه.

وتوفي الملك العادل نور الدين صاحبُ الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الأربعاء، حادي عشر شوال، سنة تسع وستين وخمس مئة بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة[1].

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ١٨٧).

ولقِّب بالشهيد؛ لما حصل لـه في حلقه من الخوانيق، وكذا يقال لأبيه: الشهيد، ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول: القسيم بن القسيم.

ونقل عن جماعة من الصوفية ممن يعتمـد على قولهم: أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ الفرنج القدس، فسمعهم يقولون: إن القسيم لـه مع الله سر؛ فإنه ليس يظفر ويُنصر علينا بكثرة جنـده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل.

وكان يقول: تعرضت للشهادة غيـر مرة، فلم يتفق لي ذلك، ولو كان فيّ خيرٌ، أو لي عند الله قيمة، لرزقنيها، والأعمال بالنية.

وقال لـه يوماً قطـبُ الدين النيسابـوري: بالله يامولانـا السلطان! لا تخاطر بنفسك؛ فإنك لو قتلتَ نفسك، قتلتَ جميع مَنْ معك، وفسد حال المسلمين، فقال له: اسكت يا قطب الدين، قولُك إساءةُ أدب على الله، ومن هو محمود؟! من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غيرُ الله الذي لا إله إلا هو، ومن هو محمود؟ فبكى من كان حاضراً[1].

وكان قد شرع يتجهز للدخول إلى مصر لأخذها من صلاح الدين، وكان يريد أن يخلي ابن أخيـه سيف الدين غازي بن مودود في الشام قبالة الفرنج، ويسير هو بنفسه إلى مصر، فأتاه أمرُ الله الذي لا مَرَدَّ له[2].

وكان نور الدين أسمر، طويل القامة، ليس له لِحية إلا في حنكه،

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ٥٦).

حسنَ الصورة، وكان قد اتسع ملكُه جداً، وخُطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بنُ أيوب، وكذلك كان يُخطب له بمصر، وخُطب له في الدنيا على جميع منابر الإسلام، وبنى السُّبُل والمكاتب، ووقف على الحرمين وعلى عُربان درب الحجاز، وأقطع لهم الإقطاعات؛ كيلا يتعرضوا للحاج، وأكمل سور المدينة الشريفة، وأجرى لها العين التي تأخذ من أُحد عند قبر حمزة ﷺ، وطبّق ذكرُه الأرض بحسن سيرته وعدله.

وكان من أهل الزهد والعبادة على قدم عظيم، وكان يصلي كثيراً من الليل.

كما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع لربه

ما أحسن المحراب في المحراب

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ﷺ، وليس عنده فيه تعصُّب، وهو الذي بنى أسوار المدن لما هدمت بالزلازل ـ كما تقدم ـ، وبنى المدارس الكثيرة: الشافعية، والحنفية.

ومحاسنه كثيرة لا تُحصى، وفضائله لا تُعد ولا تُحد ولا تُستقصى.

ولد عند طلوع شمس يوم الأحد، سابع عشر شوال، سنة إحدى عشرة وخمس مئة.

ولما مات دفن في بيت القلعة الذي كان يلازم الجلوس فيه، ثم

نقل إلى تربتـه بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخـواصين، وأهل دمشق يقولون: إن الدعاء عند قبره مستجاب، وقد جرب ذلك، فصح رحمه الله وعفا عنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

ذكر الملك الصالح

إسماعيل ابن السلطان نور الدين الشهيد

لما توفي الملك العادل نور الدين، قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بالملك بعده، وعمـره إحدى عشرة سنة، وحلف لـه العسكرُ بدمشق، وأقام بها، وأطاعه صلاحُ الدين بمصر، وخطب له بها، وضربت السكَّة باسمه، وكان المتوليَ لتدبيـره وتدبير دولتـه الأميرُ شمس الدين محمد ابن عبد الملك المعروف بابن المقدم.

ولما مات نور الدين، وتملك ابنه الملك الصالح، سار من الموصل سيفُ الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، وملكَ جميـعَ البلاد الجزريـة، واستمر الملكُ الصـالح بدمشق إلى أن حضـر صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر، وملكَ دمشقَ وحمص وحماة في سلخ ربيـع الأول، سنة سبعين وخمس مئـة ـ على ما يأتي شـرحـه في ترجمته ـ.

فسار الملك الصالح إلى حلب، فتبعه صلاح الدين، ووقع بينهم

وقائـع، ثم حصل الصلح، واتفـق الحـال على أن يكون لصلاح الدين ما بيده من الشـام، وللملك الصالح ما بقي بيده، فصالح صلاح الدين على ذلك، ورحل عن حلب في العشـر الأول من شوال، **سنـة سبعين وخمس مئـة**، واستقر الملك الصالح بحلب إلى حين وفاتـه، وأخذها عمه العزيز مسعود صاحبُ الموصل، ثم ملكها صلاح الدين، وسنذكر ذلك في ترجمته ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وتوفي الملك الصالح صاحبُ حلب في رجب، سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وعمره نحو تسعَ عشرةَ سنة، ولما اشتد به مرض القولنج، وصف له الأطباء الخمر، فمات، ولم يستعمله.

وكان حليماً، عفيفَ اليد والفرج واللسان، ملازماً لأمور الدين، لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الشباب، ووقع في قلوب الناس بسببه أمر عظيم، وتأسفوا عليه؛ لأنه كان محسناً محمود السيرة ـ رحمه الله ـ.

* * *

ذكر السلطان الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب وهو أول الملوك في الدولة الأيوبية

هو أبـو المظفـر، يوسفُ بنُ أيـوبَ بنِ شادي، صاحـبُ الديـار المصرية، والبلاد الشامية والفراتية والهيتية.

ولد بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئـة، لما كان أبوه وعمـه بها، وكان خروجهم منها في الليلة التي ولد فيها، فتشاءموا

به، وتطيَّروا منه، فقال بعضهم: لعل فيه الخيرة، وما تعلمون.

فكان كما قال، ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع.

ولما ملك نورُ الدين محمودُ بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المتقدم ذكره في ترجمته، لازم نجمُ الدين أيوبُ خدمته، وكذلك ولدُه صلاحُ الدين يوسف، ولم تزل محامل السعادة عليه لائحة، والنجابة له ملازمة، تقدمه من حالة إلى حالة، ونور الدين يرى له، ويؤثره، ومنه تعلم صلاحُ الدين طرائقَ الخير، وفعلَ المعروف والجهاد.

* **ذكرُ ملكِ أسدِ الدين مصر:** في شهور سنة أربع وستين وخمس مئة، في ربيع الأول، سار أسد الدين شيركوه بن شادي إلى ديار مصر، ومعه العساكر النورِيَّة، وسبب ذلك: تمكُّن الفرنج من البلاد المصرية، وتحكمهم على المسلمين بها، حتى ملكوا بلبيس قهراً في مستهل صفر من هذه السنة، ونهبوها، وقتلوا أهلها وأسروهم، ثم ساروا من بلبيس، ونزلوا على القاهرة عاشر صفر، وحصروها، فأحرق شاور وزيرُ العاضد مدينةَ مصر؛ خوفاً أن يملكها الفرنج، وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة، فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً.

فأرسل العاضد الخليفةُ إلى نور الدين يستغيث به، وأرسل في الكتب شُعورَ النساء، وصانعَ شاوَرُ الفرنجَ على ألف ألف دينار يحملها إليهم، فحمل إليهم مئة ألف دينار، وسألهم أن يرحلوا عن القاهرة؛ ليقدر على جمع المال وحمله، فرحلوا.

وجهَّز نورُ الدين العسكر مع شيركوه، وأنفق فيهم المال، وأعطى شيركوه مئتي ألف دينار، سوى الثياب والدواب وغير ذلك، والأسلحة، وأرسل معه عدة أمراء، منهم: ابن أخيه صلاح الدين يوسفُ بنُ أيوب على كُره منه.

أحبَّ نور الدين مسيرَ صلاح الدين، وفيه ذهابُ الملك من بيته، وكره صلاحُ الدين المسيرَ، وفيه سعادتُه وملكُه، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢١٦].

ولما قرب شيركوه من مصر، رحل الفرنج من ديار مصر على أعقابهم إلى بلادهم، فكان هذا لمصر فتحاً جديداً، ووصل أسدُ الدين شيركوه إلى القاهرة في رابع ربيع الآخر، واجتمع بالعاضد، وخلع عليه، وعاد إلى خيامه بالخلعة العاضدية، وأجرى عليه وعلى عساكره الإقامات الوافرة.

وشرع شاوَرُ يماطل شيركوه فيما كان بذله لنور الدين من تقرير المال، وإفراد ثلثي البلاد له، ومع ذلك، فكان شاورُ يركب كل يوم إلى أسد الدين شيركوه، ويَعِده، ويمنيه، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النساء: ١٢٠]، ثم إن شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه، ويقبض عليهم، فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك.

ولما رأى عسكر نور الدين في شاور ذلك، عزموا على الفتك بشاور، واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف، وعز الدين جرديك، وغيرهما، وعَرَّفوا شيركوه بذلك، فنهاهم عنه، واتفق أنَّ شاورَ قصدَ

شيركوه على عادتـه، فلم يجده في المخيم، وكان قد مضى لزيارة قبـر الشـافعي ﷺ، فلقي صـلاحُ الـدين وجرديكُ شـاورَ، وأعلمـاه برواح شيركوه إلى زيارة الشافعي، فساروا جميعاً إلى شيركوه، فوثب صلاح الدين وجرديك ومَنْ معهما على شاوَرَ، وألقوه إلى الأرض عن فرسه، وأمسكوه في سابع عشر ربيـع الآخر، **سنة أربع وستين وخمس مئـة**، فهرب أصحابه عنـه، وأرسلوا أعلموا شيركوه بما فعلوه، فحضر، ولم يمكنه إلا تمام ذلك.

وسمع العاضد الخبر، فأرسل إلى شيركوه يطلب منـه إنفاذ رأس شاور، فقتله، وأرسل رأسه إلى العاضد، ودخل بعد ذلك شيركوه إلى القصر عند العاضد، فخلع عليه خِلَعَ الوزارة.

ولُقِّب: الملكَ المنصورَ أميـرَ الجيـوش، وسـار بالخلـع إلى دار الوزارة، وهي التي كان فيها شاوَرُ، واستقر في الأمر، وكُتب له منشور بالإنشاء الفاضلي، أولـه ـ بعد البسملة ـ: من عبدالله ووليـه أبي محمد الإمامِ العاضدِ لدين الله أميرِ المؤمنين إلى السيد الأجلِّ الملكِ المنصورِ سلطانِ الجيوش، وليِّ الأئمة، مجيرِ الأمة أسدِ الدين أبي الحارث شيركوه العاضدي ـ عَضَدَ الله به الدين، وأمتعَ ببقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته ـ.

سلام عليك؛ فإنا نحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هـو، ونسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، والأئمة المهديين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

ثم ذكر أمور تفويض الخلافة إليه، ووصايا.

وكتب العاضد بخطه على طرة المنشور: هذا عهدٌ لم نعهد لوزير بمثله، فتقلَّدْ أمانـةً رآك أميـرُ المؤمنين أهلاً لحملها، فخـذْ كتاب أميـر المؤمنين بقوة، واسحبْ ذيلَ الفخار بأن اعتزتْ خدمتُك إلى بُنُوة النُّبوة.

ومدح الشعراءُ أسد الدين، ووصل إليـه من الشـام مديح العمـاد الكاتب:

بِالجِـدِّ أَدْرَكْـتَ مَـا أَدْرَكْـتَ لا اللَّعِـبِ
كَـمْ رَاحَـةٍ جُنِيَـتْ مِـنْ دَوْحَـةِ التَّعَـبِ

يَا شِيرْكُوهُ بْنَ شَادِي المُلْكِ دَعْـوَةَ مَـنْ
نَـادَى فعـرف خَيْـرَ ابْـنٍ لِخَيْـرِ أَبِ

جَـرَى المُلُـوكُ وَمَاحَـازُوا بِرَكْـضِهِمُ
مِنَ المَدَى في العُلاَ مَا حُـزْتَ بِالخَبَـبِ

تَمَـلَّ مِـنْ مُلْـكِ مِـصْرَ رُتْبَـةً قَـصُرَتْ
عَنْهَـا المُلُـوكُ فَطَالَـتْ سَـائِرَ الرُّتَـبِ

قَـدْ أَمْكَنَـتْ أَسَـدَ الـدِّينِ الفَرِيـسَةُ مِـنْ
فَـتْحِ البِــلاَدِ فَبَـادِرْ نَحْوَهَـا وَثِـبِ

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقي:

لَقَــدْ فَــازَ بِالْمُلْـكِ العَقِـيمِ خَلِيفَــةٌ
لَـــهُ شِـــيركُوهُ العَاضِـــدِيُّ وَزِيـــرُ

هُوَ الأَسَدُ الـضَّارِي الَّـذِي جَـلَّ خَطْبُـهُ
وَشَـــاوَرُ كَلْـــبٌ لِلرِّجَـــالِ عَقُـــورُ

بَغَـى وَطَغَـى حَتَّـى لَقَـدْ قَـال صَـحْبُهُ
عَلَـــى مِثْلِهَـــا كَـــانَ اللَّعِـــينُ يَـــدُورُ

فَـــلاَ رَحِـــمَ الـــرَّحْمَنُ تُرْبَـــةَ قَبْـــرِهِ
وَلاَ زَالَ فِيهَـــــا مُنْكَـــــرٌ وَنَكِيـــــرُ

وأما الكاملُ بنُ شاور، فلما قُتل أبـوه، دخل القصر، فكان آخـر العهد به.

ولما لم يبق لأسد الدين شيركوه منازعٌ، أتاه أَجله، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾[الأنعام: ٤٤].

وتوفي يوم السبت، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، سنة أربع وستين وخمس مئة، فكانت ولايته شهرين، وخمسة أيام.

* * *

ذكر مُلك صلاح الدين مصر

وكان شيركـوه وأيـوبُ ابنا شـادي من بلـد دُوين، وأصلُهمـا من

الأكراد، وكانا قصدا العراق، وخدما مهروز شحنة السلجوقية ببغداد، وجعل مهروزُ شيركوه مستحفظاً قلعة تكريت، ثم خدما عمادَ الدين زنكي، ثم ولدَه نور الدين محمود، وبقيا معه إلى أن أرسل شيركوه إلى مصر مرة بعد أخرى حتى ملكها، وتوفي في هذه السنة ـ على ما ذكرناه ـ.

ولما توفي شيركوه، كان معه صلاحُ الدين يوسفُ ابنُ أخيه أيوبَ ابنِ شادي، وكان قد سار معه على كره.

قال صلاح الدين: أمرني نور الدين بالمسير مع عمي شيركوه، وكان قد قال شيركوه بحضرته لي: تجهزْ يا يوسفُ، فقلت: والله! لو أُعطيت ملكَ مصر، ما سرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندرية ما لا أنساه أبداً، فقال لنور الدين: لا بدَّ من مسيره معي، فأمرني نورُ الدين، وأنا أستقيل، فقال نور الدين: لا بدَّ من مسيرك مع عمِّك، فشكوتُ الضائقة، فأعطاني ما تجهزتُ به، فكأنما أُساق إلى الموت[1].

فلما مات شيركوه، طلب جماعة من الأمراء النورية التقدم على العسكر، وولاية الوزارة العاضدية، منهم: عين الدولة الياروقي، وقطب الدين ينال المنبجي، وسيف الدين عليُّ بنُ أحمد المشطوب الهكاري، وشهاب الدين محمود الحازمي، وهو خال صلاح الدين، فأرسل العاضد، [و]أحضر صلاح الدين، وولاَّه الوزارة، ولقَّبه: الملك الناصر، فلم يُطعه الأمراء المذكورون، وكان مع صلاح الدين الفقيهُ عيسى الهكاري،

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ١٧).

فسعى مع المشطوب حتى أماله إلى صلاح الدين، ثم قصد الحازمي، وقال: هذا ابنُ أختك، وعزُّه وملكُه لك، فمال إليه ـ أيضاً ـ، ثم فعل بالباقين كذلك، فكلهم أطاع، غير عين الدولة الياروقي؛ فإنه قال: أنا لا أخدم يوسف، وعاد إلى نور الدين بالشام، وتثبت قدمُ صلاح الدين على أنه نائبٌ لنور الدين، يخطب له على المنابر بالديار المصرية.

وكتب إليه نورُ الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية، فلم يلتفت الناصر لذلك، وكان نور الدين يكاتب صلاحَ الدين بالأمير الأسفر سلار، ويكتب علامته على رأس الكتاب؛ تعظيماً عن أن يكتب اسمه، وكان لا يفرده بكتاب، بل إلى الأمير صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا.

وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أباه أيوبَ وأهلَه؛ ليتم له السّرور، وتكون قضيته مشاكلة لقضية يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ، فأرسلهم إليه نور الدين، فوصل والده إليه في جمادى الآخرة، سنة خمس وستين وخمس مئة، وسلك مع والده من الأدب ما جرت به عادته، وألبسَه الأمرَ كله، فأبى أن يلبسه، وقال: يا ولدي! ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفؤ له، ولا ينبغي تغيير موضع السعادة، فحكَّمه في الخزائن كلها، ولم يزل وزيراً حتى مات.

وكان من إخوة صلاح الدين: شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وهو أكبر من صلاح الدين، فلما أراد أن يسيره إلى مصر، قال له نور الدين: إن كنت تنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان في خدمتك وأنت

قاعـد، فلا تَسِرْ؛ فإنك تفسـد البلاد، فأحضرك حينئـذ، وأعاقبك بمـا تستحقـه، وإن كنت تنظر إليـه صاحـبَ مصـر، وقائمـاً مقامي تخدمـه بنفسك كما تخدمني، فسرْ إليـه، واشدُدْ أصره، وساعـده على ما هـو بصدده، فقال: أفعل معهُ من الخدمة والطاعة ما يتصل بك، فكان معه كما قال.

وأعطاهم صـلاح الدين الإقطاعـات بمصـر، فتمكن من البلاد، وضعف أمر العاضد، ولما فوض الأمر إلى صلاح الدين، تاب عن شرب الخمر، وأعرض عن أسباب اللهو، وتقمّص لباس الجـدّ، وداوم على ذلك إلى أن توفاه الله تعالى.

وفي سنة خمس وستين وخمس مئـة: سـار الفرنج إلى دميـاط، وحصروها، وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر، وأخرج على ذلك أموالاً عظيمة، فحصروها خمسين يوماً، وخرج نور الدين، فأغـار على بلادهم بالشام، فرحلوا عائدين على أعقابهم، ولم يظفروا بشيء منها.

قال صلاح الدين: ما رأيت أكرمَ من العاضد، أرسل إليَّ مدةَ مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية، سوى الثياب وغيرها[1].

وفي سنة ست وستين وخمس مئة: سار صلاح الدين عن مصر، فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة، وعاد إلى مصر، ثم خرج إلى

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ٢٣).

أيلة، وحصرها، وهي للفرنج على ساحل البحر الشرقي، ونقل إليها المراكب، وحصرها براً وبحراً، وفتحها في العَشر الأول من ربيع الآخر، واستباح أهلها وما فيها، وعاد إلى مصر.

ولمّا استقر صلاح الدين بمصر، كان بها دار للشحنة تسمى: دار المعرية يحبس فيها، فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية، وكذلك بنى دار العزل مدرسة للشافعية، وعزل قضاة المصريين، وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة.

وكذلك اشترى تقيُّ الدين عمر ابن أخي صلاح الدين منازل العز، وبناها مدرسة للشافعية.

وتوفي القاضي ابن الجلال من أعيان الكتاب المصريين وفضلائهم، وكان صاحب ديوان الإنشاء بها.

*** ذكر إقامة الخطبة العباسية بمصر، وقُطعت خطبة العاضد لدين الله، وانقرضت الدولة العلوية الفاطمية:**

وكان سبب الخطبة العباسية بمصر: أنه لما تمكن صلاح الدين من مصر، وحكم على القصر، وأقام فيه قراقوش الأسدي، وكان خصيّاً أبيض، وبلغ نورَ الدين ذلك، أرسل إلى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع خطبة العلويين، وإقامة الخطبة العباسية، فراجعهُ صلاح الدين في ذلك خوفَ الفتنة، فلم يلتفت نور الدين إلى ذلك، وأصرَّ عليه.

وكان العاضد قد مرض، فأمر صلاحُ الدين الخطباء أن يخطبوا

للمستضيء، ويقطعوا خطبة العاضد، فامتثلوا ذلك، ولم ينتطح فيها عنزان، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر من سنة تسع وخمسين وثلاث مئة في خلافة المطيع العباسي، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمي باني القاهرة إلى هذا الآن، وذلك مئتا سنة وثمان سنين.

وكان العاضد قد اشتد مرضه، فلم يُعلمهُ أحدٌ من أهله بقطع خطبته، فتوفي العاضد يوم عاشوراء، سنة سبع وستين وخمس مئة، ولم يعلم بقطع خطبته.

ولما توفي العاضد، جلس صلاح الدين للعزاء، واستولى على قصر الخلافة، وعلى جميع ما فيه، وكان كثرتهُ تخرج عن الإحصاء، وكان فيه أشياء نفيسة من الأعلاق المثمنة، والكتب والتحف، فمن ذلك الحبل الياقوت، وكان وزنهُ سبعةَ عشرَ درهماً، أو سبعةَ عشرَ مثقالاً.

وقيل: أنه كان بالقصر طبلٌ للقولنج، إذا ضرب الإنسان به، ضرط، فكسر، ولم يعلموا به إلا بعد ذلك.

ونقل صلاح الدين أهل العاضد إلى موضع من القصر، ووكل بهم من يحفظهم، وأخرج جميع من فيه من عبد وأمة، فباع البعض، وعتق البعض، ووهب البعض، وخلا القصر من سكانه كأن لم يغن بالأمس.

ولما اشتد مرض العاضد، أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه، فظن ذلك خديعة، فلم يمض إليه، فلما توفي، علم صدقه، فندم؛ لتخلفه عنه.

ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر إلى بغداد، ضربت لها البشائر عدة أيام، وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل، وهو من خواص الخدم المقتفوية إلى نور الدين، وصلاح الدين، والخطباء، وسيرت الأعلام السود.

وجرى بين نور الدين وصلاح الدين [من] الوحشة في الباطن:

وكان الحادث: أن نور الدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره أن يجمع العساكر المصرية، ويسير بها إلى الفرنج، والنزول على الكرك، ويحاصره؛ ليجمع هو ـ أيضاً ـ، عساكره ويسير إليه، ويجتمعا هناك على حرب الفرنج، والاستيلاء على بلادهم.

فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم، **سنة سبع وستين وخمس مئة**، وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر، وكان نور الدين قد جمع عساكره، وتجهز، وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل.

فلما أتاه الخبر بذلك، رحل عن دمشق عازماً على قصد الكرك، فوصل إليه، وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه، فأتى منه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد، وأنه يخاف عليها من البعد عنها، فعاد إليها، فلم يقبل نور الدين عذره.

وكان سبب تقاعده: أن أصحابه وخواصه خَوَّفوه من الاجتماع بنور الدين، فحيث لم يمتثل أمر نور الدين، شق ذلك عليه، وعظم عنده،

وعزم على الدخول إلى مصر، وإخراج صلاح الدين عنها، فبلغ صلاحَ الدين الخبر، فجمع أهله، وفيهم والده نجمُ الدين أيوب، وخاله شهابُ الدين الحازمي، ومعهم سائر الأمراء، فأعلمهم ما بلغه عن نور الدين، وعزمه على قصده، وأخذِ مصر منهُ، واستشارهم، فلم يجبهُ أحد منهم بشيء، فقام تقيُّ الدين عمر ابن أخي صلاح الدين، وقال: إذا جاءنا، قاتلناه، وصددناه عن البلاد، ووافقه غيرُه من أهله، فشتمهم نجم الدين أيوب، وأنكر عليهم ذلك، واستعظمه، وكان ذا رأي وفكر وعقل، وقال لتقي الدين: اقعد، وشتمه وسبه، وقال لصلاح الدين: أنا أبوك، وهذا شهاب الدين خالك، انظر لعل في هؤلاء من يحبك مثلنا، ويريد لك الخير مثلنا؟ قال: لا، فقال: والله! لو رأيت أنا وخالك هذا نورَ الدين، لم يمكنا إلا الترجُّلُ له، وتقبيل الأرض بين يديه، ولو أمرنا أن نضرب عنقَك بالسيف، لفعلنا، فإذا كنا نحن هكذا، فكيف يكون غيرنا؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نورَ الدين وجده، لم يتجاسر على الثبات في سرجه، وما وسعه إلا النزولُ وتقبيل الأرض بين يديه، وهذه البلاد له، وقد أقامك فيها، وإن أراد عزلك، فأي حاجة له إلى المجيء بنفسه يأمرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته، ويولي بلاده من يريد.

وقال للجماعة كلهم: قوموا عنا، ونحن مماليكُ نور الدين وعبيدُه، يفعل بنا ما يريد، فتفرقوا على هذا، وكتب أكثرهم إلى نور الدين يعلمه بالخبر.

ولمَّا خلا نجمُ الدين أيوب بولده صلاح الدين، قال له: أنت جاهل قليل المعرفة، تجمع هذا الجمع الكثير، وتطلعهم على ما [في] نفسك! فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه البلاد، جعلك أهم الأمور إليه، وأولاها بالقصد، فلو قصدك، لم تر معك أحداً من هذا العسكر، وكانوا يسلموك إليه، وأمّا الآن بعد هذا المجلس، فسيكتبون إليه، ويعرفونه قولي، فتكتب إليه أنت، وترسل في المعنى، وتقول: أي حاجة إلى قصدي يجيء نجاب يأخذني بحبل في عنقي، فهو إذا سمع هذا، عدل عن قصدك، واستعمل ما هو أهم عنده، والأيام تندرج، والله ﷻ كلَّ يوم هو في شأن.

ففعل صلاح الدين ما أشار به والده، فلما رأى نور الدين الأمر هكذا، عدل عن قصده، وكان الأمر كما ذكر نجم الدين والدُه، ومات نورُ الدين ولم يقصده، وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها(١).

وفي سنة ثمان وستين وخمس مئة: سار صلاح الدين من مصر إلى الكرك، وحصرها، وكان قد وعد نورَ الدين أن يجتمعا على الكرك، وسار نور الدين من دمشق حتى وصل إلى الرقيم، وهو بالقرب من الكرك، فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين، فرحل عن الكرك عائداً إلى مصر، وأرسل تحفاً إلى نور الدين، واعتذر أن أباه أيوبَ مريض، ويخشى أن يموت، فتذهب مصر، فقبل نور الدين عذره في

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٠/ ٣٦).

الظاهر، وعلم المقصود.

ولما وصل صلاح الدين إلى مصر، وجد أباه أيوب قد مات، وكان سبب موته: أنه ركب بمصر، فنفرت به فرسه، فوقع، وحُمِل إلى قصره، وبقي أياماً، ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة، **سنة ثمان وستين وخمس مئة**.

وكان أيوب خيِّراً عاقلاً، حسن السيرة، كريماً، كثير الإحسان، وكان يُلَقَّب نجم الدين أبو شاكر أيوب ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ ودفن إلى جانب أخيه شيركوه، ثم نُقلا بعد سنتين إلى المدينة الشريفة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ.

وفي سنة تسع وستين وخمس مئة: وكان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين، فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر؛ بحيث إن قصدهم نور الدين، قاتلوه، فإن هزمهم، التجؤوا إلى تلك المملكة، فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه إلى النوبة، فلم تعجبهم بلادها.

ثم سيَّره في هذه السنة بعسكر إلى اليمن، وكان صاحبها عبد النبي، فجرى بينهما قتال، وانتصر توران شاه، وهزم عبد النبي، وهجم زَبيد، وملكها، وأسر عبد النبي، ثم قصد عدن، فملكها، واستولى على بلاد اليمن، واستقرت في ملك صلاح الدين.

وفي هذه السنة صَلب صلاح الدين جماعة من المصريين، وقتلهم؛ فإنهم قصدوا الوثوب عليه، وإعادة الدولة العلوية، طلبهم، وصلبهم

عن آخرهم، منهم: عبد الصمد الكاتب، والقاضي العويرس، وداعي الدعاة، وعمارة بن علي اليمني الشاعر الفقيه، وغيرهم من أعيان المصريين.

وفي هذه السنة: توفي الملك العادل نور الدين ـ رحمه الله تعالى ـ كما تقدّم في ترجمتهِ.

وخَلَفه بعده في الملك ولدُه الملكُ الصالح إسماعيل ـ كما تقدّم في ترجمته أيضاً ـ، فقصد الملك صلاحُ الدين دمشق، وكان الملك الصالح قد توجه لحلب؛ ليكون مقامه بها، فلما وصل صلاح الدين إلى دمشق، خرج كلُّ مَنْ بها من العسكر، والتقوه وخدموه، ونزل بدار والده المعروفة بدار العقيقي، وعصت عليه القلعة، وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم يسمى: ريحان، فراسله صلاح الدين، واستماله، فسلم القلعة إليه، فصعد إليها صلاح الدين، وأخذ ما فيها، وثبت قدمه، وقرر أمر دمشق، وكان دخوله إليها في سلخ ربيع الأول، **سنة سبعين وخمس مئة**.

وسار إلى حمص في مستهل جمادى الأولى، وملكها في حادي عشر جمادى الأولى، ورحل إلى حماة، فملك مدينتها في مستهل جمادى الآخرة، وكان بقلعتها الأمير جرديك أحدُ المماليك النورية، فامتنع في القلعة، فذكر له صلاح الدين أنهُ ليس لنا غرض سوى حفظ بلاد الملك الصالح عليه، وإنما هو نائبهُ، ثم مَلَكَ القلعة.

ثم سار صلاح الدين إلى حلب، وحصرها، وبها الملك الصالح

ابن نور الدين، فجمعَ أهلَ حلب، وقاتلوا صلاح الدين، وصدّوه عن حلب، واستمر صلاح الدين محاصراً لحلب إلى مستهل رجب، ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص، ووصل صلاحُ الدين إلى حماة ثامن رجب، وسار إلى حمص، فرحل الفرنجُ عنها، ثم سار إلى بعلبك، فملكها.

فلما تمَّ ملكُ صلاح الدين لهذه البلاد، أرسل الملكُ الصالح إلى ابن عمه سيف الدين غازي صاحبِ الموصل يستنجده على صلاح الدين، فجهَّز جيشاً صحبة أخيه عز الدين مسعود، وانضم إليهم عسكر حلب، وساروا إلى صلاح الدين، فأرسل صلاح الدين يبذل حمص وحماة، وأن تُقر بيده دمشق، ويكون فيها نائباً للملك الصالح، فلم يجيبوه إلى ذلك، وساروا إلى قتاله، واقتتلوا عند قرون حماة، فانهزم عسكر الموصل وحلب، وغَنِمَ صلاح الدين وعسكره أموالهم، وتبعهم حتى حصرهم في حلب، وقطع صلاح الدين حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين، وأزال اسمه عن السكة، واستبدَّ بالسلطنة، فراسلوا صلاح الدين في الصلح، على أن يكون له ما بيده من الشام، وللملك الصالح ما بقي بيده منه، فصالحهم على ذلك، ورحل عن حلب في العشر الأول من شوال، **سنة سبعين وخمس مئة**.

ثم غزا صلاح الدين قلعة بازين، وأخذها من صاحبها، وملك بزاعة، وتسلمها، ثم سار إلى مَنْبج، فحصرها، وفتحها عَنوة.

ثم عاد صلاح الدين إلى مصر، فوصل إليها في **سنة اثنتين وسبعين**

وخمس مئة، وأمر ببناء السور على مصر والقاهرة، والقلعة التي على جبل المقطَّم، ودور ذلك تسعة وعشرون ألف ذراع، وثلاث مئة ذراع بالذراع الهاشمي، ولم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين.

وفي هذه السنة أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على قبر الشافعي بالقرافة بمصر، وعمل بالقاهرة بيمارستان[1].

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة: في جمادى الأولى، سار السلطان صلاح الدين من مصر إلى ساحل الشام لغزو الفرنج، فوصل إلى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر، فنهب، وتفرق عسكره في الإغارة، وبقي السلطان في بعض العسكر، فلم يشعر إلا بالفرنج قد طلعت عليه، فقاتلهم أشدَّ قتال، فمضى منهزماً إلى مصر على البرية، وأخذت الفرنج العسكر الذين تفرقوا، وأُسر الفقيه عيسى، وكان من أكبر أصحاب السلطان صلاح الدين، فافتداه من الأسر بعد سنتين بستين ألف دينار، ووصل السلطان إلى القاهرة في نصف جمادى الآخرة.

وسار الفرنج، وحصروا حماة في جمادى الأولى، وطمعوا بسبب بُعد السلطان بمصر وهزيمته، ثم جد المسلمون في القتال حتى رحل الفرنج من مدينة حماة.

وفي سنة سبع وسبعين وخمس مئة: توفي الملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين صاحبُ حلب، وأوصى بملك حلب إلى عمه عز الدين

---

(١) في الأصل: «المرستان».

مسعود، فاستقر به، ثم استقر بحلب عماد الدين زنكي بن مودود صاحبُ سنجار، واستقر مسعود بسنجار بتراضيهما.

ثم في سنة ثمان وسبعين وخمس مئة: في خامس المحرم، سار الملك صلاح الدين عن مصر إلى الشام.

ومن عجيب الاتفاق: أنه لما سار، برز من القاهرة، وخرجت أعيان الناس لوداعه، أخذ كل منهم يقول شيئاً في الوداع وفراقه، وفي الحاضرين معلِّم لبعض أولاد السلطان، فخرج من بين الحاضرين وأنشد:

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

فتطير صلاحُ الدين، وانقبض بعد انبساطه، وتنكَّد المجلس على الحاضرين، فلم يَعُدْ صلاح الدين بعدها إلى مصر طولَ المدة.

وسار صلاح الدين في طريقه على بلاد الفرنج، وغنم، ووصل إلى دمشق في حادي عشر صفر من السنة المذكورة.

*** ذكر ما وقع للسلطان صلاح الدين بعد وصوله إلى دمشق في هذه السنة:**

سار السلطان صلاح الدين من دمشق في ربيع الأول، ونزل قرب طبرية، وسَيَّر الإغارةَ على بلاد الفرنج؛ مثل: بَيسان، وجنين، والغور، فغنم، وقَتل، وعاد إلى دمشق.

ثم سار إلى بيروت، وحصرها، وأغار على بلادها، ثم عاد إلى دمشق.

ثم سار إلى بلاد الجزرية، وعبر الفرات من البيرة، ونازل الرها، وحصرها، وملكها.

ثم سار إلى الرقة، وأخذها من صاحبها.

ثم سار إلى الخابور، وملك فرقيسا، وماليسين، وعريان، والجابور.

ثم سار إلى نصيبين، وحاصرها، وملك المدينة والقلعة، ثم حاصر سنجار، وملكها.

وفي سنة تسع وسبعين وخمس مئة: ملك السلطان صلاح الدين حصن آمد بعد قتال وحصار في العشر الأول من المحرم.

ثم سار إلى الشام، وقصد تلَّ خالد من أعمال حلب، وملكها.

ثم سار إلى عين تاب، وحصرها وملكها، بتسليم صاحبها.

ثم سار إلى حلب، وحصرها، وبها صاحبها عمادُ الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن أَقْسنقر، فأجاب السلطانَ صلاح الدين إلى تسليم حلب، على أن يعوض عنها سنجار، ونصيبين، والخابور، والرقة، وسروج، واتفقوا على ذلك، وسلم حلب إلى السلطان في صفر من هذه السنة، فكان يُنادي[1] أهل حلب على عماد الدين زنكي المذكور: يا حمار، بعتَ حلب بسنجار!

---

(١) في الأصل: «ينادون».

ومن عجيب الاتفاق: أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح السلطان بقصيدة، منها:

وَفَتْحُكُمْ حَلَباً بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ
مُبَشِّرٌ بِفُتُوحِ القُدْسِ فِي رَجَبِ

فكان فتحُ القدس في رجب، سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة.

ولما فرغ السلطان من تقرير أمر حلب، جعل فيها ولدَه الملكَ الظاهر غازي.

ثم تجهز إلى الكرك، وأرسل إلى نائبه بمصر، وهو أخوه الملك العادل أبو بكر أن يلاقيه إلى الكرك، فسار إليها، ثم رحل عنها في منتصف شعبان.

وأرسل السلطانُ ابنَ أخيه الملكَ المظفر تقيَّ الدين عمر إلى مصر نائباً عنه موضعَ الملك العادل، وأعطى أخاه أبا بكر العادلَ مدينة حلب وقلعتَها وأعمالها، وأحضر ولده الظاهر منها إلى دمشق.

ثم في سنة ثمانين وخمس مئة: غزا السلطان الكَرَك، وضيَّق على من به، وملك رَبَضَ الكرك، وبقيت القلعة، وحصل بين المسلمين والفرنج القتال، فرحل عنها، وسار إلى نابلس، وأحرقها، ونهب ما بتلك النواحي، وقتل وأسر وسبى، وعاد إلى دمشق.

وفي سنة إحدى ثمانين وخمس مئة: ملك السلطان صلاح الدين مَيَّا فارقين.

وفي سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة: أحضر السلطان ولدَه الملك الأفضل من مصـر، وأقطعـه دمشق، ثم أحضر أخاه العادل من حلب، وجعل ولدَه العزيزَ عثمان نائباً عنه بمصر، واستدعى تقيَّ الدين من مصر، وزاده على حمـاة: منبج، والمعرَّة، وكفر طاب، وميَّـا فارقين، وجبل جوز بجميع أعمالها، واستقر العزيز عثمان والعادل في مصر، ولما أخذ السلطان حلب من أخيه العادل، أقطعه عوضَها حرانَ، والرها.

ثم دخلت سنة **ثلاث وثمانين وخمس مئة**:

*** ذكر غزوات السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته في هذه السنة:**

جمع السلطان العساكر، وسار بفرقة من العسكر، وضايق الكرك؛ خوفاً على الحاجِّ من صاحب الكَرَك، وأرسل فرقة أخرى مـع ولده الملكِ الأفضل، فأغاروا على بلد عكا وتلك النواحي، وغنموا شيئاً كثيراً، ثم سار السلطان، ونزل على طبريَّة، وحصر مدينتها، وفتحها عنوة بالسيف، وأخرب القلعة.

*** ذكر وقعة حطين:**

وهي الوقعة العظيمة التي فتح الله بها الساحل، وذلك أنه لما فتح السلطان مدينـة طبرية، اجتمع الفرنج في ملوكهم بفارسهم وراجلهم، وساروا إلى السلطان، فركب السلطان من عنـد طبريـة وسار إليهم يوم السبت، لخمسٍ بقين من ربيـع الآخـر، والتقى الجمعـان، واشتد بهم

القتال، ونصر الله المسلمين، وأحدقوا بالفرنج من كل ناحية، وأبادهم قتلاً وأسراً، وما أصيب الفرنج من حين خرجـوا إلى الشام في سنة إحدى وتسعين وأربع مئة وإلى الآن بمصيبة مثل هذه الوقعة.

ثم عاد السـلطان إلى طبريـة، وفتح قلعتها بالأمان، ثم فتح عكـا بالأمان، ثم أرسل أخاه الملك العادل، فنازل مجدل يابا[1]، وفتحها عنوة بالسيف، ثم فرق السلطان عسكره، ففتحوا الناصرة، وقيسارية، وحيفا، وصفورية، ومعلثا، والفُولة، وغيرها من البلاد، وغنموا وقتلوا وأسروا.

وأرسل فرقة إلى نابلس، فملكوا قلعتها بالأمان.

ثم أرسل الملك العادل إلى يافا، وفتحها عنوة بالسيف، ثم سار إلى صيدا، فأخلاها صاحبُها، وتسلمها السلطان ساعةَ وصوله، لتسع بقين من جمادى الأولى.

ثم سار إلى بيروت، فحصرها، وتسلَّمها في التاسع والعشرين[2] جمـادى الأولى بالأمـان، وتسلم جبيل، وأطلق صـاحبَهـا، ولم تـك عاقبـةُ إطلاقـه حميـدة؛ فإنـه كان من أعظم الفـرنج، وأشـدِّهـم عداوة للمسلمين.

ثم سار السلطان إلى عسقلان، وحاصرها أربعة عشر يوماً، وتسلمها بالأمان سلخ جمادى الآخرة.

---

(١) في الأصل: «مجد اليابا».

(٢) في الأصل: «تاسع عشرين».

ثم بث السلطان عسكره، ففتحوا الرملة، والداروم، وغزة، وبيت لحم، وبيت جبريل، والبطرون، وغير ذلك.

ثم سار السلطان، ونازل القدس، وبه من النصارى عددٌ يفوت الحصر، وضايق السلطان السور بالنقَّابين، واشتد القتال، وعلَّقوا الستور، وطلب الفرنج الأمان، فلم يجبهم السلطان إلى ذلك، وقال: **لا آخذها إلا بالسيف، مثل ما أخذها الفرنج من المسلمين،** فعاودوه في الأمان، وعرَّفوه ما هم عليه من الكثرة، وأنهم إن أيسوا من الأمان، قاتلوا خلاف ذلك، فأجابهم السلطان إليه بشرط أن يؤدي كلٌّ من بها عشرة دنانير عشرة دنانير من الرجال، وتؤدي النساء خمسة خمسة، ويؤدى عن الطفل دينارين، وأي من عَجَز عن الأداء كان أسيراً، فأجيب إلى ذلك، وسلِّمت إليه المدينة يوم الجمعة، في السابع والعشرين من رجب، سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، وكان يوماً مشهوداً، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره، ورتب السلطان على أبواب البلد من يقبض منهم المال المذكور.

وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مُذَهَّب، وتسلق المسلمون وقلعوه، فسُمع لذلك ضجة لم يُعهد مثلُها من المسلمين للفرح والسرور.

وكان بيت المقدس في أيدي الفرنج من يوم الجمعة، لسبعٍ بقين من شعبان، سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة ـ كما تقدم في ترجمة المستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر ـ وكان الفرنج قد عملوا في غربي الجامع الأقصى هرباً ومستراحاً، فأمر السلطان بإزالة ذلك، وإعادة الجامع إلى ما كان عليه.

وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عمل منبراً بحلب، وتعب عليه مدة، وقال: هذا لأجل القدس الشريف، فأرسل السلطان صلاح الدين [مَنْ] أحضر المنبر من حلب، وجعله في الجامع الأقصى.

وأقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره إلى الخامس والعشرين من شعبان، يرتب أمور البلد وأحواله، وتقدم بعمل الربُط والمدارس الشافعية.

ثم رحل السلطان إلى عكا، ثم إلى صور، وحاصرها، وطال الحصار، فرحل السلطان، وأقام بعكا، وأعطى العساكر الدستور، فسار كل واحد إلى بلده، وبقي السلطان بعكا، وأرسل إلى هوبين، ففتحها بالأمان.

وفي سنة أربع وثمانين وخمس مئة: شنَّ الغارات على بلاد الفرنج، وسار إلى جَبْلة، وتسلَّمها، وسار إلى اللاذقية، ولها قلعتان، فتسلم القلعتين، ثم سار إلى صِهْيَون، فتسلمها بالأمان، ثم فرق عساكره، فملكوا حصن بلاطنس، وحصن العبد، وحصن الجماهرتين، ثم سار إلى قلعة بكاس، وأخذها، وهدم الحصن، ثم سار إلى برزية، وملكها بالسيف، وسبى وأسر، وقتل أهلها، ثم سار إلى دربساك، وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى بغراس، وتسلمها بالأمان، وأخذ أنطاكية، وكان صاحبها أعظم ملوك الفرنج، وأهل طرابلس سلموها إليه، وأرسل أهلُ الكرك يطلبون الأمان، وكان خَلَّى أخاه الملك العادل في تلك الجهات،

فأمـر الملكُ العادل المباشرين لحصارها بتسلمها[1]، فتسلموا الكرك، والشوبك، وما بتلك الجهات من البلاد.

ثم سار السلطان من دمشق إلى صفد، فحصرها، وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى كوكب، وتسلمها بالأمان.

ثم سار السلطان إلى القدس، فعيَّد فيه عيد الأضحى، ثم سار إلى عكا، فأقام بها حتى انسلخت السنة.

ثم وقـع للسلطان بعـد ذلك غزوات ووقعـات مـع الفرنج يطـول شرحها.

وفي سنة سبع وثمانين وخمس مئة: رأى السلطان تخريـب عسقلان مصلحة؛ لئلا يأخذها الفرنج، فسار إليها، وأخلاها، وأخربها، فدكها إلى الأرض، ثم رحـل عنهـا ثاني عشـر رمضـان إلى الرملـة، فخـرب حصنها، وخرب كنيسة لُدّ، ثم سار إلى القدس، وقرر أموره، وعاد إلى مخيمه بالبطرون، ثم سار إلى القدس، لسبعٍ بقين من ذي القعدة، ونزل داخل البلد، واستراحوا مما كانوا فيه، وأخذَ السلطان في تعمير القدس وتحصينه، وأمـر العسكر بنقل الحجارة، وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه؛ ليقتدي بـه العسكر، فكان يُجمـع عند العمال[2] في اليوم الواحد ما يكفيهم لعدة أيام.

---

(١) في الأصل: «بتسليمها».

(٢) في الأصل: «العمالين».

وتوفي تقيُّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في بلاد الأكراد، في يوم الجمعـة، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضـان، سنة سبع وثمانين وخمس مئة، فأخفى ولدُه المنصور وفاته، ووصل به إلى حماة، ودفنه بظاهرها، واتفـق أن في ليلة تلك الجمعـة توفي حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، وأمُّـه ستُّ الشام بنتُ أيوب أخـتُ السلطان، فأصيب السلطان في تاريخ واحد بابن أخيه، وابن أخته، واستقر الملك المنصور بيده حماة بشفاعة الملك العادل.

وفي سنة ثمان وثمانين وخمس مئـة: سار الفرنج إلى عسقلان، وشرعوا في عمارتها في المحرم، والسلطان بالقدس، ثم حصل الصلح والمهادنـة بين السلطان وبين الفرنج بسفارة جماعـة من أعيان جماعـة السلطان، وعقـدت هدنـة عامة في البحر والبـر، وجُعلت مدتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر، أولها أيلول الموافق لحادي وعشرين شعبان.

وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وعملها، وقيسارية، وأرسوف، وعكا، وأعمال ذلك، وأن تكون عسقلان خرابـاً، واشترط السلطان دخول بلاد الإسماعيلية في عقد هدنته، واشترط الفرنج دخول صاحب أنطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم، وأن تكون لُدّ والرمْلَة مناصفة بينهم وبين المسلمين، فاستقرت القاعدة على ذلك.

ثم رحل السـلطان إلى القـدس، في رابـع شهر رمضان، وتفقـد أحوالـه، وأمـر بتشييد أسـواره، وزاد في وقـف المدرسـة التي عملها

بالقدس، وهذه المدرسة كانت قبل الإسلام تعرف بصندحَنَّة، يذكرون أن فيها قبر حَنَّة أُمِّ مريم، صارت في الإسلام دارَ عِلم، وهي المعروفة بالمدرسة الصلاحية، بالقرب من باب الأسباط، وله بالقدس ـ أيضاً ـ خانقاه، وهي المعروفة بدار البطرك، مركبة على ظهر كنيسة قمامة، وبيمارستان بالقرب من قمامة، وغير ذلك من الأوقاف والخيرات.

ثم رحل السلطان عن القدس؛ لخمسٍ مضين من شوال، ودخل إلى دمشق يوم الأربعاء، لخمس بقين من شوال، سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، وفرح الناس به؛ لأن غيبته كانت عنهم مدة أربع سنين، وأقام العدل والإحسان بدمشق، وفرق العساكر، وودَّعه أقاربه، وتوجه كل إلى وطنه.

ومحاسن السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ ومناقبه كثيرة لا يمكن حصرها.

*** ذكر وفاة السلطان صلاح الدين وبعض سيرته:**

فحصل للسلطان توعُّك، وهو أنه لحقه ليلةَ السبت سادس عشر صفر كسلٌ عظيم، وغشيه نصفَ الليل حُمَّى صفراوية، وأخذ المرض في التزايد، وحدث به في السابع رعشة، وغاب ذهنه، واشتد الإرجاف في البلد، وغشي الناسَ من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن شرحه، واشتد به المرض ليلة الثاني عشر من مرضه، وهي ليلة السابع والعشرين من صفر، وتوفي السلطان في الليلة المذكورة، وهي المسفِرة عن نهار

الأربعاء سنة تسع وثمانين وخمس مئة، بعدَ صلاة الصبح .

وغسله الفقيه الدولعي خطيبُ دمشق، وأُخرج بعد صلاة الظهر من نهار الأربعاء المذكـور في تابوت مسجًّى بثوب، وجميع ما احتاجه من الثياب في تكفينه، أحضره القاضي الفاضل من جهة حِلّ عَرَفَه، وصلى عليه الناس، ودفن في قلعة دمشق، في الدار التي كان مريضاً فيها، وكان نزوله إلى قبره وقت صلاة العصر من النهار المذكور.

وأرسل الملك الأفضل الكتبَ بوفاة والده إلى أخيه العزيز عثمان بمصر، وإلى أخيه الظاهـر غازي بحلب، وإلى عمـه العـادل أبي بكـر بالكرك.

ثم إن الملك الأفضل عمل لوالده تربة قرب الجامع، وكانت داراً لرجل صالح، ونقل إليها السلطان يوم عاشوراء، سنة اثنتين [وتسعين] وخمس مئة، ومشى الأفضل بين يدي تابوتـه، وأخرج من باب القلعـة على دار الحديـث إلى باب البريد، وأُدخل الجامع، ووضع قُدَّام النَّسْر، وصلى عليـه القـاضي محيي الدين ابن القاضي زكي الدين، ثم دفـن، وجلس ابنه الملكُ الأفضل في الجامع ثلاثـة أيام للعزاء، وأنفقت ستُّ الشام بنتُ أيوبَ أختُ السلطان في هذه النوبة أموالاً عظيمة.

وكان عمر السلطان حين وفاته قريباً من سبع وخمسين سنة.

وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة، وملكه الشام قريباً من تسع عشرة سنة.

وكان له سبعةَ عشرَ ولداً ذكراً، وبنتاً واحدة.

وكان أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين علي بن يوسف، ولد بمصر سنة خمس وستين وخمس مئة، وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين، وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما، وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر.

ولم يخلِّف السلطان صلاح الدين في خزائنه غير سبعة وأربعين درهماً، وصورياً واحداً ذهباً، وهذا من رجل له الديارُ المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليلٌ قاطع على فرط كرمه، ولم يخلِّف داراً ولا عقاراً، ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب، أو موعود به، ولم يؤخر صلاة عن وقتها، ولا صلى إلا في جماعة.

وكان إذا عزم على الأمر، توكل على الله، وكان كثير سماع الحديث النبوي، وقرأ مختصراً في الفقه تصنيف سُلَيم الرازي، وكان حسن الخلُق، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعلمه بذلك، ولا يتغير عليه.

وكان يوماً جالساً، فرمى بعض المماليك بعضاً بسر موزة، فأخطأته، ووصلت إلى السلطان، فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى؛ ليتغافل عنها.

وكان طاهر المجلس، فلا يُذكَر أحدٌ في مجلسه إلا بالخير، وطاهر اللسان، فما يولع بشتم قط.

وقال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال، وفات بفواته الاتصال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادلهمت الآفاق، وفجع الزمان بواحده وسلطانه، ورُزِئ الإسلام بمشيد أركانه، رحمه الله وعفا عنه.

والحمد لله وحده.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

*** ذكر حال أهله وولده بعده:**

استقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الأكبر الأفضل نور الدين علي الأكبر، وبالديار المصرية ولده الملك العزيز عمادُ الدين عثمان، وبحلب ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب، وبحماة وسلمية والمعرّة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصرُ الدين محمد ابن الملك المظفر، تقيُّ الدين عمر، وببعلبك الأمجد مجدُ الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وبحمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي، وبيد الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين بُصْرى، وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل، وبيد جماعة من أمراء الدولة بلادٌ وحصون، والله أعلم.

فلنذكر الآن ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان صلاح الدين،

فنذكر ما استقر عليه الحال في ملكها بعـد الملك صلاح الدين، ونذكر ترجمة ولده الملك العزيز المتقدم ذكرُه، ومن ولي الملكَ بعده واحداً بعد واحد على الترتيب إلى آخر وقت [. . . .]، وبالله التوفيق.

* * *

سلطنة الملك الأفضل علي ابن السلطان صلاح الدين

هو الأكبر من أولاد السلطان صلاح الدين، والمعهودُ إليه بالسلطنة، واستوزر ضياءَ الدين نصرَ الله بنَ محمد بن الأثير، فبعد وفاة الملك صلاح الدين، في **سنة تسع وثمانين وخمس مئة**، قدم الملك العادل من الكَرَك إلى الشام، وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه، ثم توجه إلى بلاده التي وراء الفرات.

ثم **في سنة تسعين وخمس مئة**: استحكمت الوحشةُ بين الأخوين العزيز والأفضلِ ابني السلطان صلاح الدين، فسار العزيز، وحصر الأفضلَ بدمشق، فاستنجـد عمَّـه العادل، وأخاه الظاهـر، وابن عمـه المنصور صاحبَ حماة، فساروا إليه، وأصلحوا بين الأخوين، وتوجه كلُّ ملك إلى مملكته، ثم توجـه العادل، وأقـام بمصر عنـد العزيز؛ ليقرر أمـور مملكته، بعد أن جرى بين العزيز [وبين الأفضل] وقائع يطول شرحها.

وفي سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة: اتفق العادل والعزيز على أن يأخذا دمشق، وأن يسلمها العزيز إلى العادل؛ لتكون الخطبـة والسلطة للعزيز بسائر البلاد كما كانت لأبيه، فخرجا، وسارا من مصر إلى دمشق،

وأخذاهـا في ضحى يوم الأربعـاء، السـادس والعشرين من رجـب من هذه السنة.

وكان الملك الظافر خِضْرُ ابن السلطان صلاح الدين صاحبُ بُصرى مع أخيـه الملك الأفضل، ومعاضداً له، فأخذت منه بُصرى ـ أيضاً ـ، فلحق بأخيه الملك الظاهر، فأقام عنده بحلب، وأُعطي الملك الأفضل صرخد، فسار إليها بأهله، واستوطنها، وسلّم العزيز دمشق لعمه العادل على حكم ما وقـع عليـه الاتفاق، ورحل العزيز عن دمشق، عشيةَ يوم الاثنين، تاسع شعبان، فكانت مدة الأفضل بدمشق ثلاث سنين وشهراً.

ولما استقر الملك الأفضل بصرخد، كتب إلى الخليفة الإمام الناصرِ يشكو من عمه أبي بكر، وأخيه العزيز عثمان، ومن شعره:

مَـــوْلاَيَ إِنَّ أَبَـــا بَكْـــرٍ وصَـــاحِبَهُ
عُثْمَانَ قَـدْ غَـصَبَا بِالـسَّيْفِ حَـقَّ عَلِـي

وَهْــوَ الَّــذِي كَــانَ قَــدْ وَلاَّهُ وَالِــدُهُ
عَلَيْهِمَــا فَاسْــتَقَامَ الأَمْــرُ حِـينَ وَلِــي

فَخَالَفَـــاهُ وَحَـــلاَّ عَقْـــدَ بَيْعَتِـــهِ
وَالأَمْــرُ بَيْنَهُمَــا وَالــنَّص فِيــهِ جَلِــي

فَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الاسْـمِ كَيْـفَ لَقِـي
مِــنَ الأَوَاخِــرِ مَــا لاَقَــى مِــنَ الأُوَلِ

فكتب الإمام الناصر إليه يقول:

وَافَى كِتَابُكَ يَا بْنَ يُوسُفَ مُعْلِناً
بِالصِّدْقِ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ
غَصَبُوا عَلِيّاً حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ
بَعْدَ النَبِيِّ لَهُ بِيَثْرِبَ نَاصِرُ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَداً عَلَيْهِ حِسَابُهُمْ
وَابْشِرْ فَنَاصِرُكَ الإِمَامُ النَّاصِرُ

وكانت ولادةُ الأفضل يومَ الفطر وقتَ العصر، سنة خمس وستين وخمس مئة بالقاهرة، ووالده يومئذ وزيرُ المصريين.

وتوفي في صفر، سنة اثنتين وعشرين وست مئة فجأة بسميساط، ونقل إلى حلب، ودفن بتربته بظاهر حلب، وسميساط قلعة في بر الشام على الفرات، في ناحية بلاد الروم، بين قلعة الروم وملطية.

وأما ابنه عثمان، فاستقر بمصر إلى حين وفاته في المحرم سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وملك بعده ولدُه الملكُ المنصور محمدٌ إلى أن خلع، وملك مكانه عمُّ والده الملكُ العادل أبو بكر بن أيوب في شوال سنة ست وتسعين وخمس مئة، على ما يأتي ذكر ذلك في تراجمهم، إن شاء الله تعالى.

وفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة: كان الملك العادل أبو بكر ابن أيوب بالديار المصرية، وهو صاحبها، وعنده ابنه الملك الكامل

محمد، وهو نائبه بها، وبدمشق كان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل المذكور، وهو نائب أبيه بها، وبالشرف الفائز إبراهيم ابن الملك العادل، وبميافارقين الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل، وقد خرج الملك العادل في السنة المذكورة إلى دمشق.

وفي سنة ثمان وتسعين وخمس مئة: سار الملك العادل من دمشق إلى حماة، ونزل على تل صفرون، وتسلم الملك العادل حران وما معها لولده الأشرف مظفر الدين موسى، وسيَّره إلى الشرق، وكان بقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن الملك العادل.

وفي سنة تسع وتسعين وخمس مئة في المحرم توفي فلك الدين سلطان أخو الملك العادل لأمه، وهو الذي تنسب إليه المدرسة الفلكية بدمشق.

وفي سنة ثلاث وست مئة: ملك الملك الأوحد أيوب خلاط.

وفي سنة ست وست مئة: توفي الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي سنة سبع وست مئة: توفي الملك الأوحد أيوب صاحب خلاط، فسار أخوه الملك الأشرف، وملك خلاط، واستقل بملكها، مضافاً لما بيده من البلاد الشرقية، فعظم شأنه، ولقب شاهرمن.

وفي هذه السنة[1] أعطى الملك العادل ولده المظفر شهاب الدين

(١) يعني: سنة ثمان وستة مئة، كما في «تتمة المختصر» لابن الوردي (٢/ ١٩٤).

غازي الرها مع مَيَّافارِقين.

وفي سنة تسع وست مئـة: في المحرم عُقـد عَقـد الملك الظاهر غازي صاحب حلب على ضيفة خاتون بنت الملك العادل، وكان المهر خمسين ألف دينار.

وفي سنة اثنتي عشرة وست مئة: استولى الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب على اليمن، وكان صاحبها سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب، وكان ملأها ظلماً وجوراً، فظفر به، وبعثه معتقلاً إلى مصر.

وفي سنة ثلاث عشـرة وسـت مئـة: توفي الملك الظاهـر غازي صاحب حلب في ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة، وكان مولده بمصر في نصف رمضان، سنة ثمان وستين وخمس مئة، وكان عمره أربعاً وأربعين سنة وشهوراً، وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له والده إحدى وثلاثين سنة، وكان فيه بطش وإقدام على سفك الدماء، ثم قصر عنـه، وكان عَهِد بالملك بعـده لولده الصغير الملك العزيز محمد، ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازي، وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين، فلما توفي، ترتـب في المملكـة الملكُ العزيـز، وعمره سنتان وأشهر، ومرجـع الأمـور كلها إلى شهاب الدين طغريل الخادم، فدبَّر الأمـور، وأحسن السياسة، وكان عمـر أخيه الملك الصالح نحو اثنتي عشرة سنة.

وفي سنة أربع عشرة وست مئة: توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل[1].

وفي سنة سبع عشرة وست مئة: كان صاحب مصر الملك الكامل محمد، وفيها توفي الملك المنصور محمد المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة بقلعتها في ذي القعدة، ولما توفي، كان ولده المظفر المعهود إليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بديار مصر في مقابلة الفرنج، فاستولى على السلطنة صلاح الدين قليج أرسلان ابن الملك المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة آنذاك؛ لأن مولده سنة ست مئة.

وفي هذه السنة استولى الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل على خلاط، وميافارقين، وكانا بيد أخيه الملك الأشرف، وأخذ الأشرف منه الرها، وسروج.

* * *

ذكر سلطنة الملك المعظم ابن العادل

هو شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب

---

(١) انظر: «تتمة المختصر» لابن الوردي (٢/ ٢٠٠)، وفيه: «في سنة خمس عشرة وست مئة».

دمشق، استقل بملكها بعد موت أبيـه في سنة خمس عشرة وست مئة، وتوفي بقلعتها وعمره تسع وأربعون سنة، وكانت مدة ملكه دمشقَ تسعَ سنين وشهوراً، وكان شجاعاً، وكان عسكره في غايـة التجمُّـل، وكان يجامل أخاه الكامل ويخطب له ببلاده، ولا يذكر اسمه معه وكان الملك المعظم قليل التكلف جـداً، في غالـب الأوقـات لا يركـب بالـسناجق السلطانية، وكان يركب وعلى رأسه كلوته صفراء، بلا شاش، ويتخرَّق الأسواق من غير أن يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك، فلما كثر هذا منه، صار الإنسان إذا فعل أمراً لا يتكلف له يقال: قد فعله المعظَّمي.

وكان عالماً فاضلاً في الفقه والنحـو، وكان شيخه في النحـو تاج الدين زيد بن الحسن الكندي، وفي الفقه جمال الدين الحصيري، وكان حنفياً متعصباً لمذهبه، وخالف جميع أهل بيته؛ فإنهم كانوا شافعية.

وكانت مملكته متسعة في حدود بلد حمص إلى العريش، يدخل في بلاد السواحل الإسلامية منها، وبلاد الغور وفلسطين والقدس، وبنى بـه المدرستين الكائنتين بـه لـه للحنفية، ومن أعمالـه الكرك والشوبك وصرخد، وغير ذلك.

تخريب أسوار بيت المقدس: وفي سنة ست عشرة وست مئة أرسل الملك المعظم عيسى الحجَّارين والنقـابين إلى القـدس، فخرَّب أسواره، وكانت قد حصنت إلى الغاية، وانتقل منـه عالم عظيم، وكان سبب ذلك: أنـه لما رأى قـوة الفرنج، وتغلبهم على دمياط، خشي أن يقصدوا القدس، فلا يقدر على منعهم، فخربه لذلك، ولما غـاب عن

القدس، كتب إليه بعض أصدقائه فخر القضاة ابن بصاقة:

غِبْتَ عَنِ القُدْسِ فَأَوْحَشْتَهُ
لَمَّا غَدَا بِاسْمِكَ مَأْنُوسَا
وَكَيْفَ لاَ تَلْحَقُهُ وَحْشَةٌ
وَأَنْتَ رُوحُ القُدْسِ يَا عِيسَى

توفي عيسى يوم الجمعة، مستهل ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وست مئة، ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى جبل الصالحية، ودفن في مدرسته هناك المعروفة بالمعظمية، وكان نقله ليلة الثلاثاء، مستهل المحرم [سنة] سبع وعشرين وست مئة رحمه الله، وعفا عنه.

ولما توفي الملك المعظم، ترتب في مملكته بعدَه ولدُه الملك الناصر صلاح الدين داود، وقام بتدبير مملكته مملوكُ والدِه وأستاذُ داره الأمير عزُّ الدين أيبك المعظَّمي، وكان لأيبك صرخدُ وأعمالها.

وفي سنة ست وعشرين وست مئة: استولى الملك الكامل على دمشق، وانتزعها، وعوض الناصر داود عنها بالكرك، والشوبك، والبلقاء، والسلط، والأغوار، وأخذ الكاملُ لنفسه البلاد الشرقية التي كانت عينت للناصر، وهي: حران، والرها، وغيرهما، التي كانت بيد الملك الأشرف، ثم نزل الملك الناصر عن الشوبك، وسأل عمه في قبولها، فقبلها وسلم الكامل دمشق لأخيه الملك الأشرف موسى، وتسلم الكامل من الأشرف البلاد الشرقية المذكورة، ولمَّا كان الناصر داود

في الحصار لانتزاع دمشق منه، أجاب الملك الكامل الأنبرطون الفرنجي إلى تسليم القدس، فتسلَّمها في ربيع الآخر ـ كما يأتي ذكره في ترجمة الكامل ـ.

وفي هذه السنة توفي الملك المسعود بن الكامل صاحب اليمن، وكان قد مرض، فكره المقام باليمن، وعزم على مفارقته، وسار إلى مكة، وهي له، فتوفي بمكة، ودفن بالمعلى، وعمره ست وعشرون سنة، وكانت مدة ملكه اليمن أربع عشرة سنة، وخلَّف ولداً صغيراً اسمه ـ أيضاً ـ يوسف، مات في سلطنة الصالح أيوب صاحب مصر، وخلف يوسفُ ولداً صغيراً اسمه موسى، ولقب: الملك الأشرف، وهو الذي تسلطن بمصر فيما بعد، وأقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل المعظم ابن الصالح بن الكامل، وكان الأشرف موسى المذكور هو آخر ملوك مصر من بني أيوب.

وفي هذه السنة، وهي سنة ست وعشرين وست مئة استولى الملك محمود ابن الملك المنصور محمد على حماة، وانتزعها من أخيه الملك الناصر قليج أرسلان بعناية الملك الكامل، وكان ذلك في العشر الأخير من رمضان، وكان مدة ملك الناصر حماة تسع سنين إلا نحو شهرين، وفيها ملك الملك المظفر حماة، كان عمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة؛ لأن مولده سنة تسع وتسعين وخمس مئة، وكان أخوه الناصر أصغر منه بسنة.

ثم إن الملك الكامل رسم للملك المظفر أن يعطي أخاه الناصر

بارين بكمالها، فامتثل ذلك، وسلم قلعة بارين لأخيه الناصر.

وفي سنة سبع وعشرين وست مئة: استولى الملك الأشرف موسى على بعلبك، سلمها له الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه ابن أيوب؛ لطول الحصار عليه، وعوضه الملك الأشرف عنها الزبداني، وقصير دمشق الذي هو شماليها، ومواضع أخر، وتوجه الملك الأمجد، وأقام بداره التي داخل باب النصر بدمشق، المعروفة بدار السعادة، التي ينزلها النواب، ثم قتل ـ رحمه الله ـ، قتله بعض مماليكه، ودفن بمدرسة والده التي على الشرف، وكان مدة ملكه بعلبك تسعاً وأربعين سنة؛ لأن عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملكه بعلبك سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، لما مات أبوه فرخشاه، وانتزعت منه هذه السنة، وذلك خمسون سنة إلا سنة، وكان الملك الأمجد أشعر بني أيوب، وشعره مشهور.

وفي سنة ثلاثين وست مئة: استولى الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي على شَيْزَر، وأخذها من صاحبها شهاب الدين يوسف بن مسعود ابن سابق الدين عثمان بن الداية.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وست مئة: توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين، وملك البيرة بعده ابنُ أخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب.

وفي سنة أربع وثلاثين وست مئة توفي الملك العزيز في ربيع الأول، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً، وكان حسن السيرة في

رعيته، ولما توفي، تقرر في الملك بعـده ولدُه الملك الناصر يوسف، وعمره نحو سبع سنين، وقام بتدبير الدولة شمس الدين لؤلؤ الأميني، وعز الدين عمر بن مجلي، وجمال الدولة إقبال الخاتوني، والمرجع في الأمور إلى والدة العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل.

* * *

ذكر الملك الأشرف ابن الملك العادل

هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب: كان مفرط السخـاء، يطلق الأموال الجليلـة، وكـان حسن العقيدة، وبنى بدمشق قصوراً ومتنزهات حسنة، وكان منهمكاً في اللذات، وسماع الأغاني، فلمـا مرض، أقلع عن ذلك، وأقبل على الاستغفار إلى أن توفي، وكان بدمشق بالعقيبـة خان يعرف بابن الزنجاري، يجتمـع فيـه أرباب الفِسْق والملاهي، فعمَّره جامعاً، وغرم عليـه جملة مستكثـرة، وسمي: جامع التوبة، كأنه تاب إلى الله تعالى، وتاب مَنْ كان فيه.

وتوفي بدمشق في ثاني المحرم سنة خمس وثلاثين وست مئـة، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى التربة التي بنيت له بالكلاَّسة، وكان مدة ملكه دمشق ثمـان سنين وشهوراً، وعمـره نحـو ستين سنة، ولم يخلف من الأولاد غير بنت واحـدة، تزوجها الملك الجـواد يونس بن مودود ابن الملك العادل.

وتملك دمشق أخوه الملك الصالح إسماعيل بعهد منـه، ثم سار

الملك الكامل من الديار المصرية إلى دمشق، ومعه الناصر داود صاحب الكرك، وهو لا يشك أن الملك الكامل يسلم دمشق إليه؛ لما كان قد تقرر بينهما، فنزل الكامل على دمشق في جمادى الأولى من هذه السنة، وهي **سنة خمس وثلاثين وست مئة**: في قوة الشتاء، وأخذها، وعوض الصالح عنها بعلبك، والبقاع، مضافاً إلى بُصرى، ومات الكامل عقب ذلك بدمشق، في رجب من السنة المذكورة، واستقر بعده في الملك ولده الملك العادل أبو بكر وسنذكر ذلك في ترجمتهما إن شاء الله تعالى.

واستقر بالشام الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب نائباً عن العادل ابن الكامل صاحب مصر.

وفي سنة ست وثلاثين وست مئة: استولى الملك الصالح أيوب ابن الكامل على دمشق في جمادى الآخرة بتسليم الملك الجواد يونس، وأخذ العوض عنها سنجار، والرقة.

ثم قصد الملك الصالح أيوب التوجه إلى ديار مصر؛ ليأخذها من أخيه العادل، وجعل نائبه بدمشق ولده الملك المغيث فتح الدين عمر، وسار الملك الصالح أيوب من دمشق **سنة سبع وثلاثين وست مئة**، فلما كان في صفر، سار الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك، ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما، وهاجموا دمشق، وحصروا القلعة، وتسلَّمها الصالح إسماعيل، وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب، وكان الملك الصالح أيوب بنابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر، فلما بلغه ذلك، رحل إلى الغور، فسار إليه الناصر داود،

وأمسكه، وأرسله إلى الكرك، واعتقله بها، فأرسل العادل يطلبه، فلم يسلمه الناصر داود، فأرسل العادل يهدد الملك الناصر داود بأخذ بلاده، فلم يلتفت إلى ذلك، واستمـر في الاعتقال إلى أن خرج، وقبض على أخيه، وملك ديار مصر على ما يأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى.

ولما اعتقل الناصرُ داودُ الصالحَ أيوبَ بالكرك، توجه الناصر داود إلى بيت المقدس، وفتحه، وانتزعه من الفرنج كما يأتي ذكره في ترجمة العادل ابن الكامل إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة، **وهي سنة سبع وثلاثين وست مئة**: توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادي، وكانت مدة ملكه لحمص نحو ست وخمسين سنة؛ لأن صلاح الدين ملَّكه حمص سنة إحـدى وثمانين وخمس مئـة، بعـد موت أبيـه محمد بن شيركوه، وكان عمره يومئذ اثنتي عشرة سنة، وكان شيركوه المذكور عسوفاً لرعيته، وملك حمصَ بعده ولدُه الملك المنصور إبراهيم ابن شيركوه.

وفي هذه السنة استولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار، وأخذها من الملك الجواد يونس بن مودود ابن العادل، والله أعلم.

[. . . .] كان صاحب مصر الملك الصالح أيوب بعد أخيه العادل، على ما يأتي ذكره في ترجمته.

وفي هذه السنة توفي الملك الجواد يونس، قتله الصالح إسماعيل صاحب دمشق.

وفي سنة أربعين وست مئة: توفيت ضيفة خاتون صاحبة حلب، وهي والدة الملك العزيـز، في ليلة الجمعـة، لإحدى عشرة ليلة خلت من جمـادى الأولى، وكـان مولـدهـا سنـة إحدى، أو اثنتين وثمـانين وخمس مئة.

وفي سنة إحدى وأربعين وسـت مئـة: اتفق الناصر داود صاحب الكرك مع الصالح إسماعيل المستولي على دمشـق على الملك الصالح أيوب صاحب مصر، واعتضدا بالفرنج، وسلما لهم القدس بما فيها من المزارات، فنصره الله عليهم، وانتزع القدس وغيرَها من الفرنج في سنة **اثنتين وأربعين وست مئة** كما سيأتي ذكر ذلك في ترجمة الصالح أيوب إن شاء الله تعالى.

وفي سنة اثنتين وأربعين المذكورة: توفي الملك المظفر صاحب حماة تقي الدين محمـود ابن الملك المنصـور ناصـر الدين محمـد ابن الملك المظفر تقي [الدين] عمر بن شاهنشاه بن أيوب جد الملك المؤيد صاحب حماة مصنف «التاريخ» يوم السبت، ثامن جمـادى الأولى، وكانت مدة ملكه لحماة خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وعشرة أيام، كان منها مريضاً بالفالج سنتين وتسعة أشهر وأياماً، وكانت وفاته وهـو مفلوج بحمى حادَّة عرضت لـه، وكـان عمـره ثلاثاً وأربعين سنة؛ لأن مولـده سنة تسع وتسعين وخمس مئـة، وكان شهماً شجاعاً فطناً ذكياً، وكان يحب أهل الفضل والعلوم، ولما مات، ملك بعـده ولـده الملك المنصور محمد، وعمره حينئذ عشر سنين، وشهر واحد، وثلاثة عشر

يوماً، والقائمُ بتدبير المملكة سيفُ الدين طغرلبك، أستاذُ الدار، مملوكُ المظفر، ومشاركة الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد، المعروف بشيخ الشيوخ، والطواشي مرشد، والوزير بهاء الدين بن التاج، ومرجعُ الجميع إلى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل.

وفي هذه السنة بلغ الملكَ الصالح نجمَ الدين أيوب صاحبَ مصر وفاةُ ابنه المغيث فتح الدين عمر في حبس عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، فاشتد حزنه عليه، وحَنَقَه على الصالح إسماعيل.

* **وفيها**: توفي الملك الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين، واستقر بعده في ملكه ولده الكامل ناصر الدين محمد بن غازي.

وفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة: استولى الملك الصالح أيوب صاحبُ مصر على دمشق، وتسلَّمها عساكره من الصالح إسماعيل ابن الملك العادل.

وفي سنة أربع وأربعين وست مئة: توفي الملك المنصور إبراهيم ابن شيركوه بدمشق، ونقل إلى حمص، ودفن بها، وملك بعده ولده الأشرف مظفر الدين موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه.

* **وفيها**: استولى الملك الصالح أيوب على بعلبك، وحُمل إليه ولدا الصالح إسماعيل، وهما المنصور إبراهيم، والسعيد عبد الملك إلى ديار مصر، فاعتقلا هناك، واستمرا في الاعتقال إلى أن أفرج عنهما أيبك

التركماني في سنة ثمان وأربعين وست مئة، وزينت القاهرة ومصر، ودقت البشائر بهما لفتح بعلبك.

وفي سنة سبع وأربعين وست مئة: استولى الملك الصالح أيوب على الكرك، وأخذها من الناصر داود، وتسلمها يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، وكان الناصر داود قد خرج منها لما ضاقت عليه الأمور، وسار إلى الناصر صاحب حلب مستجيراً به، وكان قد بقي عند الناصر داود من الجوهر مقدار كثير يساوي مئة ألف دينار إذا بيع بالهوان، فلما وصل إلى حلب، سير الجوهر المذكور إلى بغداد، وأودعه عند الخليفة المستعصم، ووصل إليه خط الخليفة بتسليمه، فلم تقع عينه عليه بعد ذلك، وكان استناب بالكرك ابنه عيسى، ولقبه المعظم، وكان له ولدان آخران أكبر من عيسى المذكور، هما الأمجد حسن، والظاهر شادي، وله ولد أيضاً يلقب الناصر يوسف، وكان من أهل الفضل، وله رواية في الحديث، وبنى له تربة بالقدس الشريف بباب حِطَّة أحدِ أبواب المسجد الأقصى الشريف على يمنة الداخل، وهي المشهورة بالأوحدية.

وفرح الملك الصالح أيوب بالكرك فرحاً عظيماً، مع ما هو فيه من المرض حين بلوغه الخبر؛ لما كان في خاطره من صاحبها.

[. . . .]: كان صاحب مصر الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح أيوب.

وفي هذه السنة استقر الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك

العادل أبي بكر ابن الكامل محمـد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بالكرك والشوبك.

* **وفيها**: استـولى الملك السعيـد ابن الملك العزيـز عثمان على مملكته الصُّبيبة بعد أن كان سلمها للصالح أيوب.

* **وفيها**: استولى الملك الناصر يوسف صاحب حلب على دمشق، وبعلبك، وعجلون، وسلم جميع ذلك إليه.

* **وفيها في مستهل شعبان**: قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك، وبعث به إلى حمص، فاعتقل بها، وذلك لأشياء بلغت للناصر يوسف المذكور خاف منها.

* **وفيها**: قتل صاحب اليمن الملك فتح الدين عمر، واستقر بعده ولده المظفَّر يوسف، وصفا له ملك اليمن، وطالت أيام مملكته.

وفي سنة إحدى وخمسين وست مئـة: استقر الصلح بين الملك الناصر يوسـف صاحـب دمشق، وبين البحريـة بمصـر، على أن يكون للمصريين إلى نهر الأردن، وللملك الناصر ما وراء ذلك.

وكان نجم الدين البادراني رسولُ الخليفة هو الذي حضر من جهة الخليفة، وأصلح بينهم على ذلك، ورجع كلٌّ إلى مقره، وكان الخليفة يومئذ المعتصم بالله العباسي.

[. . . .] وصاحب مصر الأشرف موسى.

[. . . .].

* **وفيها**: أفرج الملك الناصر يوسف عن الناصر داود الذي كان صاحب الكرك من قلعة حمص، وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم، وأمره أن لا يسكن في بلاده، فرحل الناصر داود إلى جهة بغداد، فلم يمكنوه من الوصول إليها، وطلب وديعته الجوهر، فمنعوه إياها، وكتب الملك الناصر يوسف إلى ملوك الأطراف أنهم لا يأووه، ولا يميروه، فبقي في جهات عانة، والحديثة، وضاق به الحال، وكان يتصيد الغزلان، وكان يمضي له ولأصحابه أيام لا يطعمون غير لحوم الغزلان، ثم نزل بالأنبار، وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام، والناصر داود مع ذلك يتضرع للخليفة المستعصم، فلا يجيب ضراعته، ويطلب وديعته، فلا يرد لهفته، ولا يجيبه إلا بالمماطلة والمطاولة، ثم بعد ذلك أرسل الخليفة، وشفع فيه عند الملك الناصر، فأذن له في العَوْد إلى دمشق، ورتب له شيئاً يصل إليه من جهة من الجهات.

وفي سنة ثلاث وخمسين وست مئة: طلب الملك الناصر داود من الناصر يوسف دستوراً إلى العراق لسبب طلب وديعته من الخليفة، وهي الجوهر المتقدم ذكره، وأن يمضي إلى الحج، فأذن له في ذلك، فسار إلى كربلاء، ثم مضى منها إلى الحج، ولما رأى قبر النبي ﷺ، تعلق في أستار الحجرة الشريفة بحضور الناس، وقال: اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله ﷺ داخلاً عليه مستشفِعاً به إلى ابن عمه المستعصم في أن يرد عليَّ وديعتي، فأعظمَ الناس ذلك، وجرت عَبراتهم، وارتفع بكاؤهم.

وكُتب بصورة ما جرى مشروح، ودفع إلى أمير الحاج، وذلك

في يوم السبت، الثامن والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، فتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي، وأقام ببغداد، فلما أقام بها بعد وصوله من الحجاز، واستشفاعِه بالنبي ﷺ في ردِّ وديعته في سنة أربع وخمسين وست مئة، أرسل الخليفةُ المستعصمُ مَنْ حاسبَ الناصر على ما وصله في تردداه إلى بغداد من المضيف؛ مثل: اللحم والخبز والحطب والعليق والتبن، وغير ذلك بأعلى الأثمان، وأرسل إليـه شيئاً نَزْراً، وألزمـه أن يكتب خطه بقبض وديعته، وأنه ما بقي يستحق عند الخليفة شيئاً، فكتب خطه بقبض وديعتـه وأنـه ما بقي يستحق عنـد الخليفة شيئاً فكتب خطه بذلك كرهاً، وسار عن بغداد، وأقام مـع العرب، ثم أرسل إليه الناصر يوسف بن العزيز صاحـب الشـام، فطيَّب قلبه، وحلف لـه، وقدم إلى دمشق، وأقام بالصالحية، ثم توجه إلى جهة بغداد.

وفي سنة خمس وخمسين وست مئة: ظهرت نار بالحَرَّة عند مدينة الرسول ﷺ، وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيـدة جداً، ولعلها النار التي ذكرها رسول الله ﷺ من علامات الساعة، فقال: «نَارٌ تَظْهَرُ بِالحِجَازِ تُضِـيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإِبـِلِ بِـبُصْرَى»[1]، ثم إن الخدام بحرم النبي ﷺ وقـع منهم في بعض الليالي تفريط، فاشتعلت النار بالمسجـد الشريف، وأحرقت سقوفه، ومنبرُ النبي ﷺ، وتألم الناس لذلك.

وفي سنة ست وخمسين وسـت مئـة: في ليلة السبت، السادس

---

(١) رواه البخاري (٦٧٠١)، ومسلم (٢٩٠٢)، عن أبي هريرة ﷺ.

والعشرين من جمادى الأولى مات الملك الناصر داود بن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب بالطاعون بظاهر دمشق، في قرية يقال لها: البويضة شرقي دمشق، ومولده سنة ثلاث وست مئة، وكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة، بعد محن كثيرة حصلت له، وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضة، وأظهر عليه الحزن والتأسف، ونقله، ودفن في الصالحية في تربة والده المعظم عيسى.

وكان الناصر داود فاضلاً، ناظماً ناثراً، قرأ العلوم العقلية، وله أشعار جيدة رحمه الله، وعفا عنه.

* **وفيها**: توفيت الصاحبة غازية خاتون، والدة الملك المنصور صاحب حماة.

وفي سنة ثمان وخمسين وست مئة: قتل الملك الكامل محمد بن المظفر غازي صاحب ميافارقين حين استيلاء التتر على مملكته.

ولما دخلت سنة تسع وخمسون وست مئة: كان صاحب مصر الملك الظاهر بيبرس.

في هذه السنة قتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب صاحب دمشق وحلب في بلاد توريز من ملك العجم، قتله هولاكو ملك التتر، وقتل مَنْ كان معه، وهم: أخاه الظاهر، والملك الصالح صاحب حمص، والجماعة المأسورون الذين كانوا معهم ـ رحمهم الله تعالى ـ، وعقد عزاءه بجامع دمشق، في سابع جمادى

الأولى حين ورود خبره.

وكان سبب ذلك: ورود عسكر التتر، واستيلاؤهم على حلب، وخروج الملك الناصر من دمشق، وقصدهُ ديار مصر، ثم قصد المسيرَ إلى هولاكو وقتاله، فقبض عليه كتبغا نائب هولاكو، وبعث به إليه، فقتله، وكان قد عظُم شأن الملك الناصر، وغلب على الديار المصرية لولا هزيمته حين مسيره إليها.

وكان حليماً، وكثر طمع العرب والتركمان في أيامه، وكثرت الحرامية والمفسدين، وكان إذا حضر القاتل بين يديه يقول: الحي خير من الميت، ويطلقه، فأدى ذلك إلى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية، وكان على ذهنه شيء كثير من الأدب والشعر، وبنى بدمشق مدرسة قريب الجامع تعرف بالناصرية، ووقف عليها وقفاً جليلاً، وكان مولده سنة سبع وعشرين وست مئة، فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريباً.

وفي سنة ستين وستمائة: سار الملك الظاهر بيبرس إلى الشام، ونزل بها، واستولى عليها، وولَّى بها القضاة.

وفي سنة إحدى وستين وست مئة: استولى الملك الظاهر بيبرس على الكرك، وقتل صاحبها الملكَ المغيثَ فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب.

* **وفيها**: مات الملك الأشرف موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص، وأرسل الملك الظاهر بيبرس مَنْ تسلَّم حمص في ذي القعدة من هذه السنة، وهذا الملك

الأشرف موسى آخر من ملك حمص من بيت شيركوه.

ولما دخلت سنة اثنان وثمانون وست مئة: كان صاحب مصر الملك المنصور قلاوون.

وفي هذه السنة توفي الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماة ـ رحمه الله تعالى ـ، توفي بكرة حادي عشر شوال، وكانت ولادته في الساعة الخامسة من يوم الخميس، لليلتين بقيتا من ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، فيكون عمره إحدى وخمسين سنة، وستة أشهر، وأربعة عشر يوماً.

وكان ذلك يوم السبت، ثامن جمادى الأولى، سنة اثنتين وأربعين وست مئة، وهو اليوم الذي توفي فيه والده الملك المظفر محمود، فيكون مدة ملكه إحدى وأربعين سنة، وخمسة أشهر، وأربعة أيام، واستقر في الملك بعده ولده الملك المظفر محمود، بتقليد الملك المنصور قلاوون، في العشر الآخر من شوال، سنة ثلاث وثمانين وست مئة، وأرسل إليه وإلى عمه الملك الأفضل التشاريف، وركب بشعار السلطنة.

وفي سنة اثنتين وتسعين وست مئة: توفي الملك الأفضل نور الدين علي ابن الملك المظفر محمود، وهو والد الملك المؤيد صاحب حماة مصنّف «التاريخ»، توفي في ذي القعدة بدمشق، ونقل إلى حماة.

ولما دخلت سنة ثمان وتسعين وست مئة: كان صاحب مصر المنصور لاجين إلى ربيع الآخر، واستقر بعده الملك الناصر محمد بن

قلاوون في جمادى الأولى.

وفي هذه السنة، في ثاني عشر ذي القعدة توفي الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ، ومولده في ليلة الأحد، خامس عشر المحرم، سنة سبع وخمسين وست مئة، فيكون عمره إحدى وأربعين سنة، وعشرة أشهر، وسبعة أيام، ويكون ملكه حماة من حين توفي والده خمس عشرة سنة وشهراً ويوماً واحداً.

وأعطي قراسنقر النيابة بحماة لاختلاف الكلمة بين أسد الدين عمر، وبدر الدين حسن ابني الملك الأفضل؛ فإنهما حضرا إلى حماة من حلب بعد وفاة الملك المظفر، واختلفا فيمن يكون صاحب حماة، ولم ينتظم في ذلك حال، ثم في سنة عشر وسبع مئة عادت حماة إلى البيت التقوي باستقرار الملك المؤيد صاحب حماة مصنف «التاريخ» المشهور؛ فإنه تقدم له الوعدُ بها من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان السلطان حريصاً على إنجاز وعده بإقامته فيها، فأعطيت له في هذه المرة على قاعدة النواب، وكان تاريخ التقليد في ثامن عشر جمادى الأولى، سنة عشر وسبع مئة.

ثم أنعم في رمضان الملك الناصر محمد بن قلاوون على الملك المؤيد المذكور بمملكة حماة، والمعرة، وبارِين تمليكاً، وهو الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين علي ابن

السلطان الملك المظفر تقي الدين، ولد السلطان الملك المنصور، ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة.

وكتب له التقليد، فمنه بعد البسملة الشريفة: الحمد لله الذي عَضَدَ الملكَ الشريف بعماده، وأورث الجد السعيد سعادة أجداده، وبلغ ولينا من مباها ثنائه ملوك بني الإمام غاية مراده.

ومنه نحمده على أن صان بنا الملكَ وحماه، وكفَّ بكفِّ بأسنا يدَ المتطاول إلى استباحة حِماه.

ومنه: ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

أما بعد:

فإن أولى من عُقد له لواءُ الولاء، وتشرَّفت باسمه أَسِرَّة الملك وذُرا المنابر، وتصرفت أحكامه فيما يشاء من نَوَاهٍ وأوامر، وتجلى في سماء السلطنة، فقام في دَسْتها مقام مَنْ سلف، وأخلف في أيامنا الزاهرة من أسلافه؛ إذ هو ببقائنا ـ إن شاء الله ـ خيرُ خلف، من ورث السلطنة لا عن كَلالة واستحقها بالأصالة والأثالة والجلالة، وأشرقت الأيام بغرة وجهه المنير، وتشرفت به صدور المحافل، وتشوق إليه بطنُ السرير، ومن أصبح لسماء المملكة الحَمَوية وهو زين أملاكها، ومطلع أفلاكها وهو المقام العالي العمادي ابن الملك الأفضل نور الدين علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين، ولد السلطان الملك المنصور، ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وهو الذي ما بَرِحت

عيون مملكته إليه مُتَشَوِّفة، والسلطنة لمواعيد ملكه مسخرة، والأقدار إلى أن يبلغ الكتاب أجله مسوّفه، ولسان الحال يتلو في ضمير الغيب: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾[آل عمران: ٢٦]، إلى أن أظهر الله ما في غيبه المكنون، وأنجز له في أيامنا الوعود وصدق الظنون، وشيده الله منه بأرفع عماد، ووصل ملكه بملك أسلافه، وسيبقى في عقبه - إن شاء الله تعالى - إلى يوم التناد، فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري، لا زالت الممالك من عطائه، والملوك تسري من ظل كنفه تحت مسبول غطائه، أن يستقر في يد المقام العالي العمادي المشار إليه جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها، وما هو منسوب إليها، ومناشيرها التي يعرضها قلمه وقسمه، ومنابرها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه، وكثيرها وقليلها، وحقيرها وجليلها، على عادة الشهيد المظفر تقي الدين محمود إلى حين وفاته.

ومنه: وقلدناه ذلك تقليداً، تضمَّن للنعمة تخليداً، وللسعادة تجديداً.

ومنه في آخره: والله يؤهل بالنصر مغناه، ويجمل ببقائه صورة دهر هو معناه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.

كتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة اثنتي عشرة وسبع مئة، حسب المرسوم الشريف.

الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

ثم سار الملك المؤيد في إخراج المعرة عنه، وأن يُعفى منها،

فأجيب إلى ذلك، وكتب له مرسوماً شريفاً بما استقر عليه، من جملة ألفاظه: أن يستقر بيده حماة، وبارِين بجميع حدودهما، وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع، وقرايا وجهات، وأموال ومعاملات، وغير ذلك مما ينسب إلى هذين الإقليمين، ويدخل في حكمهما، يتصرف في الجميع كيف يشاء، من تولية[1]، وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند، وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهم، ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته، ويجري في ذلك على عادة الملك المظفر صاحب حماة رحمه الله تعالى.

مؤرخ ذلك في تاسع عشر المحرم، سنة ثلاث عشرة وسبع مئة.

وتوفي الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة في ثامن عشر المحرم، سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، ومولده في بكرة السبت، سابع جمادى الأولى، سنة اثنتين وسبعين وست مئة.

وكان فيه مكارم أخلاق وفضيلة؛ من فقه وطب وغير ذلك، ونظم «الحاوي» في الفقه، وصنف التاريخ المشهور المسمى بـ «المختصر في أخبار البشر» ومصنفاتٍ غيرِه ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وقد انتهى ما اخترنا ذكره من أخبار بني أيوب ملوكِ المملكة الشامية وغيرها.

* * *

(١) في الأصل: «روكية».

ذِكْرُ سَلَاطِينِ الأَيُوبِيِّين وما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمة الله عليه ـ

* [ذكر تراجم ملوك الأيوبيين] كما تقدم الوعد به، فنحاول ترجمة ملوك بني أيوب، فنقول، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل:

* * *

سلطنة الملك العزيز عثمان

هو عماد الدين أبو الفتح عثمان العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان نائباً عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، وتوفي والده بدمشق، فاستقل بمملكتها باتفاق من الأمراء كما هو مشهور، وكان مباركاً، كثير الخير، واسع الكرم، محسناً إلى الناس، معتقداً في أرباب الخير والصلاح، وسمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ السلفي، وسمع من مشايخ كُثُر[1] غيره.

وكان والده يؤثره على بقية أولاده، ولما ولد له الملك المنصور ناصر الدين محمد، كان والده بالشام، والقاضي الفاضل بالقاهرة، فكتب إليه يهنئه: المملوك يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر، زاد

---

(١) في الأصل: «كثيرة».

سعدُه وإسعاده، وكثرت أولياؤه وعبيده وأعداده، واشتد أعضادَه فيهم اعتضادُه، وأنمى الله عدده، حتى يقال: هذا آدمُ الملوك، وهذه أولاده.

ويُنهي: أن الله تعالى ـ وله الحمد ـ رزق الملك العزيز ـ عز نصره ـ، ولداً مباركاً عليّاً، ذكراً سريّاً، زكياً تقياً نقياً، من ذرية كريمة بعضُها من بعض، وبيت شريف كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء، ومماليكه ملوكاً في الأرض.

وكانت ولادة الملك العزيز بالقاهرة، في ثامن من جمادى الأولى، سنة سبع وستين وخمس مئة، وكان قد توجه إلى الفيوم، فطرد فرسه وراء صيد، فتقنطر به، فأصابته الحمى، وحُمل إلى القاهرة، وتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء، الحادي والعشرين من المحرم، سنة خمس وتسعين وخمس مئة، ودفن في القرافة الصغرى، في قبة الإمام الشافعي، وقبره هناك معروف، وكانت مدة مملكته ست سنين إلا شهراً، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة وأشهراً، وكان في غاية السّماحة والكرم، والعدل والرفق بالرعية والإحسان إليهم، ففجعت الرعية بموته رحمه الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان

هو ناصر الدين محمد ابن الملك العزيز عثمان، استقر في السلطنة

بعد وفاة والده، واتفقت الأمراء على إحضار أحـد من بني أيوب ليقوم بالملك، وعملـوا مشـورة بحضـرة القـاضي الفاضـل، فأشـار بالملك الأفضل، وهو حينئذ بصرخد، فأرسلوا إليـه، فسار مجِدًّا، ووصل إلى مصر على أنـه أتابك الملك المنصور بن العزيـز، وكان عمـر المنصور حينئـذ تسع سنين وشهوراً، فخرج المنصور للقائـه، فترجَّـل لـه عمُّـه الأفضل، ودخل بين يديه إلى دار الوزارة، وكانت مقر السلطنة.

ثم برَزَ الأفضل من مصر، وسار إلى الشام ليأخذها؛ لاشتغال عمه الملك العـادل بحصار ماردين، فبلغ العـادل ذلك، فسـار إلى دمشق، ودخلها قبل نزول الأفضل عليها بيومين، ثم حصل بينهما قتال، وكـاد الأفضلُ يأخذ دمشق، لولا ما حصل بينه وبين أخيه الظاهر صاحبِ حلب من الخلف، ثم سار الأفضل إلى مصر، فخرج الملك العادل في أثـره إلى مصر، فخرج إليه الأفضل، وضرب معه مصافاً، فانكسر الأفضل، وانهزم إلى القاهرة، ونازل العادل القاهرة ثمانيـة أيام، فأجاب الأفضل إلى تسليمهـا على أن يعـوض عنهـا مَيَّافارقين، وحـامي، وسميساط، فأجابه العادل إلى ذلك، ولم يفِ له به.

وكان دخول العادل إلى القاهـرة في الحـادي والعشرين من ربيـع الآخر، سنة ست وتسعين وخمس مئة، ثم سافر الأفضل إلى صرخد، وأقام العادل بمصر على أنـه أتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة، ثم أزال الملك المنصور محمد، واستقل هو في السلطنة على ما يأتي شرحه في ترجمته.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك العادل أبو بكر محمد بن أبي الشكر

هو سيف الدين أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شادي بن مروان الملقب: الملك العادل، أخو السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى.

[دخل] في السلطنة، وخطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شوال، سنة ست وتسعين وخمس مئة.

ثم إن الملك الظاهر صاحبَ حلب كاتبَ عمه الملك العادل، وصالحه، وخطب له بحلب وبلادها، وضرب السكة باسمه، وانتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه، وخطب له على منابرها، فضربت السكة فيها باسمه.

وفي سنة إحدى وست مئة: كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج، وسلم إلى الفرنج يافا، ونزل عن مناصفات لُدّ، والرملة.

وفي سنة ثلاث وست مئة: سار الملك العادل من مصر إلى الشام، ونازل في طريقه عكا، فصالحه أهلها على إطلاق جميع مَنْ بها مِنَ الأسرى.

وفي سنة أربع وست مئة: لما استقر الملك العادل بدمشق، وصل إليه التشريف من الخليفة الإمام الناصر صحبة الشيخ شهاب الدين

السّهروردي، فبالغ الملك العادل في إكرام الشيخ، والتقاه إلى القصير، ووصل من صاحبي حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل إذا لبس الخلعة، فلبسها، ونثر ذلك الذهب، وكان يوماً مشهوداً.

والخلعة جبةُ أطلسٍ أسودَ بطراز مذهب، وعمامة سوداء بطراز مذهب، وطوق ذهب مجوهر تطوق به الملك العادل، وسيف جميعُ قرابه ملبس ذهباً تقلّد به، وحصان أشهب، ونُشر على رأسه علمٌ أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة، ثم خلع رسولُ الخليفة على كل واحد من الملك الأشرف، والملك المعظم ابني الملك العادل عمامة سوداء، وثوباً أسود واسع الكم، وكذلك على الوزير صفي الدين بن شكر.

وركب الملكُ العادل وولداه ووزيره بالخلع، ودخل القلعة.

ووصل مع الخلعة تقليد بالبلاد التي تحت حكمه، وخوطب الملك العادل فيه: شاهنشاه ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين.

ثم توجه الشيخ شهاب الدين إلى مصر، فخلع على الملك الكامل، وجرى فيها نظير ما جرى في دمشق من الاحتفال.

ثم عاد الشيخ شهاب الدين السهروردي إلى بغداد مكرماً معظماً.

وفي هذه السنة: اهتم الملك العادل بعمارة القلعة بدمشق، وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها.

وفي سنة ست وست مئة: سار الملك العادل من دمشق، وقطع الفرات، ثم عاد إلى دمشق، وسار إلى الديار المصرية، وأقام بدار الوزارة في سنة سبع وست مئة.

ثم في **سنة ثمان وست مئة**: عاد الملك العادل إلى الشام، ثم رجع إلى الديار المصرية، ثم نزل بسبب وصول الفرنج إلى عكا، ووقع لهم وقائع في **سنة أربع عشرة وست مئة**.

ثم إنه كان نازلاً مرج الصفر، وقد أرسل العساكر إلى ولده الملك الكامل بالديار المصرية، ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر إلى عالقين: قرية ظاهر دمشق، وهي عند عقبة أَفِيقٍ، فنزل بها، ومرض، واشتد مرضه، ثم انتقل هناك إلى رحمة الله تعالى في سابع جمادى الآخرة، سنة خمس عشرة وست مئة، وكان مولده سنة أربعين وخمس مئة، فكان عمره خمساً وسبعين سنة.

وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثاً وعشرين سنة، ولمصر نحو تسع عشرة سنة، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ حازماً متيقظاً، غزير العقل، سديد الآراء، ذا مكر وخديعة، صبوراً حليماً، يسمع ما يكره، ويُغضي عنه، وأتته السعادة، واتسع ملكه، وكثرت أولاده، ورأى فيهم ما يحب، وخلَّف ستة عشر ولداً ذكراً غيرَ البنات، ولم يكن عنده حاضراً أحد من أولاده، فحضر إليه ابنه الملك المعظم عيسى، وكان بنابلس، فكتم موته، وأخذه ميتاً في مِحَفَّة، وعاد به إلى دمشق، واحتوى على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح، فلما وصل إلى دمشق، حلف الناس، وأظهر موت أبيه، وكتب إلى الملوك من إخوته وغيرهم يخبرهم بموته.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين

هو أبو المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب: استقل بالسلطنة بالديار المصرية بعد وفاة والده، وكان والده قد خرج عليه الفرنج بالساحل، فأدركته المنية، وعاد الفرنج لجهة القاهرة، وملكوا دمياط، وهجموها في عاشر رمضان، سنة ست عشرة وست مئة، وأسروا من بها، وجعلوا الجامع كنيسة، واشتد طمعهم في الديار المصرية، فابتنى الملك الكامل مدينة سماها: المنصورة، عند مفترق البحرين، ونزل فيها بعساكره

وفي **سنة ثمان عشرة وست مئة** ظهر الفرنج من دمياط إلى جهة مصر، ووصلوا إلى المنصورة، واشتد القتال بين الفريقين، وكُتُبُ السلطان الملك الكامل متواترة إلى إخوته وأهل بيته، يستحثهم على إنجاده، فسار إليه المعظَّم عيسى صاحبُ دمشق بعسكر دمشق، والأشرفُ صاحب البلاد الشرقية بعساكره، واستصحب عسكرَ حلب، والملكُ الناصر قليج أرسلان صاحب حماة، والأمجد صاحب بعلبك، وشيركوه صاحب حمص، ووصلوا إلى الملك الكامل وهو في قتال الفرنج على المنصورة، فقويت نفوس المسلمين، وضعفت نفوس الفرنج؛ لِما شاهدوه من كثرة العساكر، ونصر الله المسلمين، وسُلمت دمياط إليهم في تاسع عشر رجب، **سنة ثمان عشرة وست مئة**، ثم توجه كل ملك إلى بلاده.

[. . . .] **لما دخلت سنة ست وعشرين وست مئة**: استهلت، وملوك بني أيوب متفرقون مختلفون، قد صاروا أحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً أصحاباً، فقويت الفرنج بذلك، وبموت المعظم عيسى، وبمن وفد إليهم من البحر، فطلبوا من المسلمين أن يردُّوا إليهم ما كان صلاح الدين فتحه، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملك الكامل على أن يرد عليهم بيت المقدس وحدَه، وتستمر أسواره خراباً، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة، ولا إلى المسجد الأقصى، ويكون الحكم في الرستاق إلى والي المسلمين، فتسلم الإنبرطون القدسَ على الشرط المذكور في ربيع الآخر.

ومعنى أنبرطون: ملك الأمراء.

فلما بلغ ذلك المسلمين، عظم عليهم جداً، وحصل بذلك وهن شديد، وإرجاف في الناس.

ولما وقع ذلك، كان الناصر داود في الحصار لانتزاع دمشق منه، فأخذ الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك، وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبطُ أبي الفرج ابن الجوزي، وكان واعظاً، له قَبول عند الناس، فأمره الناصر داود أن يعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس، وما حل بالمسلمين من تسليمه إلى الفرنج، ففعل ذلك، وكان مجلساً عظيماً.

ومن جملة ما أنشد قصيدة تائية، ضمنها بيت دُعبل الخزاعي:

مَـــدَارِسُ آيَـــاتٍ خَلَـــتْ مِـــنْ تِـــلاَوَةٍ
وَمَنْـــزِلُ وَحْـــيٍ مُقْفِـــرُ العَرَصَـــاتِ

وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك.

وفي سنة خمس وثلاثين وست مئة: توجه الملك الكامل إلى دمشق، واستولى عليها، وقصدَ أخذَ حمص من صاحبها، ثم بعد استقراره بدمشق، لم يلبث غير أيام حتى مرض، واشتد مرضه، فمات لتسع بقين من رجب، سنة خمس وثلاثين وست مئة، وعمره نحو ستين سنة.

وكانت مدة ملكه مصر ـ من حين مات أبوه ـ عشرين سنة، وكان نائباً بها قبل ذلك قريباً من عشرين سنة، فحكم في مصر نائباً وملكاً نحو أربعين سنة، وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان؛ فإنه حكم في الشام نائباً نحو عشرين سنة، وملكاً نحو عشرين سنة.

وكان الملك الكامل ملكاً جليلاً مهيباً، حسن التدبير، أمنت الطرق في أيامه، وعُمرت ديار مصر، وكان محباً للعلماء ومجالستهم، وله المدرسة الكاملية، وقبة الشافعي ﵁، وأجرى له ماء النيل رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل

هو أبو بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

توفي والده بدمشق، وهو يومئذ نائبه بمصر، فاتفق رأي الأمراء على تحليف العسكر له، واستقر في السلطنة.

فلما كان في **سنة ست وثلاثين وست مئة**: استولى الملك الصالح أيوب بن الكامل على دمشق، وأخذها بتسليم الملك الجواد يونس نائب الملك العادل ـ كما تقدم في ترجمة بني أيوب ـ، ثم قصد الملك الصالح أيوبُ التوجه إلى ديار مصر، وأخذها من أخيه العادل، فوصل محيي الدين بن الجوزي رسولُ الخليفة يصلح بين الأخوين: العادل صاحب مصر، والصالح أيوب المستولي على دمشق، وهذا محيي الدين هو الذي حضر ليصلح بين الكامل والأشرف.

ثم إن الصالح إسماعيل صاحب بعلبك سار هو وشيركوه صاحبُ حمص بجموعهما، وهجموا دمشق، وأخذوها، وقبض على المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب بنابلس؛ لقصد التوجه إلى مصر وأخذِها، فلما بلغه ذلك، رحل إلى الغور، فسار إليه الناصر داود صاحبُ الكَرَك، وأمسكه، وأرسله إلى الكرك، واعتقله بها، فأرسل العادل يطلبه، فلم يرسله إليه الناصر داود ـ وتقدم ذكر ذلك في ترجمة بني أيوب في سنة سبع وثلاثين وست مئة ـ.

* ذكر الحوادث التي وقعت في بيت المقدس:

ثم بعد اعتقال الملك الصالح أيوب بالكرك، قصد الناصر داود القدس، وكان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل، فحاصرها، وفتحها، وخرب القلعة، وخرب برج داود ـ أيضاً ـ؛ فإنه لما خربت القدس أولاً، لم يخرب برج داود، فخربه في هذه المرة، وذلك في سنة سبع وثلاثين وست مئة.

فأنشد فيه جمال الدين بن مطروح، وكان فاضلاً:

المَسْجِدُ الأَقْصَى لَهُ آيَةٌ ... سَارَتْ فَصَارَتْ مَثَلاً سَائِرَا

إِذَا غَدَا لِلْكُفْرِ مُسْتَوْطَناً ... أَنْ يَبْعَثَ اللهُ لَهُ نَاصِرَا

فَنَاصِرٌ طُهُورُهُ أَوَّلاً ... وَنَاصِرٌ طُهُورُهُ آخِرَا

* * *

واستمر الملك العادل في السلطنة إلى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، وكانت مدة ملكه نحو سنتين، وخُلع ـ كما يأتي شرحه في ترجمة الصالح أيوب ـ، وحبس إلى أن مات في سنة خمس وأربعين وست مئة، وكان عمره نحو ثلاثين سنة رحمه الله تعالى.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل

هو نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد.

تقدم في ترجمة أخيه العادل، وفي ترجمة بني أيوب: أن الناصر داود صاحبَ الكرك اعتقله بالكرك، واستمر في الاعتقال إلى أواخر رمضان، سنة سبع وثلاثين وست مئة، ثم أفرج عنه، واجتمعت عليه مماليكه، وكاتبه البهاء زهير، وسار الناصر داود وصحبته الملك الصالح إلى قبة الصخرة ببيت المقدس، وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح أيوب، ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود، ولم يف له بذلك، وكان يتأول في يمينه أنه كان مُكْرَهاً.

ثم سار إلى غزة، فلما بلغ الملكَ العادل صاحبَ مصر ذلك، عظُم عليه وعلى والدته، وبرز على بلبيس بعسكر مصر، واستنجد بعمه الصالح إسماعيل المستولي على دمشق، فسار إليه بعساكر دمشق، فبينما الناصرُ داود، والصالحُ أيوب في هذه السنة، وهما بين عسكرين قد أحاطا بهما، إذ ركب جماعة من المماليك الأشرفية، ومقدمهم أيبك الأسمر، وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبي بكر بن الكامل وقبضوا عليه، وجعلوه في خيمة صغيرة، وعليه من يحفظه، وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يستدعونه، ففرح بذلك فرحاً لم يسمع بمثله، وسار إلى مصر، وبقي يلتقي الملكَ الصالح في كل يوم فوجٌ بعد فوج من الأمراء والعساكر، وكان القبض على العادل ليلة الجمعة، ثامن ذي القعدة، سنة سبع وثلاثين وست مئة.

ودخل الملك الصالح أيوب إلى قلعة الجبل يوم الأحد بُكرة، لستٍّ بقين من الشهر المذكور، وزُينت له البلاد، وفرح الناس بقدومه.

ولما استقر في السلطنة، خاف الناصر داود أن يقبض عليه، فطلب دستوراً، وتوجه إلى بلاده الكرك، وكذلك خاف الصالح إسماعيل من ابن أخيه الصالح أيوب.

وفي **سنة إحدى وأربعين وست مئة**: اتفق الصالح إسماعيل المستولي على دمشق مع الناصر داود صاحب الكرك، واعتضدا بالفرنج، وسلَّما إلى الفرنج طبرية، وعسقلان، فعمر الفرنج قلعتهما، وسلما ـ أيضاً ـ إليهم القدس بما فيه من المزارات.

قال القاضي جمال الدين بن واصل: ومررت إذ ذاك بالقدس متوجهاً إلى مصر، ورأيت القُسوس قد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلما دخلت **سنة اثنتين وأربعين وست مئة**: استدعى الملك الصالح أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ الخوارزمية؛ لينصروه على عمه الصالح إسماعيل، فكان المصاف بين عسكر مصر، ومعهم الخوارزمية، وبين عسكر دمشق، ومقدَّمهم الملكُ المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحبُ حمص، ومعهم الفرنج وعسكرُ الكَرَك، ولم يحضر الناصر داود ذلك.

والتقى الفريقان بظاهر غزة، فولَّى عسكرُ دمشق وصاحبُ حمص إبراهيمُ والفرنجُ منهزمين، وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً.

واستولى الملك الصالح أيوب صاحب مصر على غزة، والسواحل، والقدس الشريف ـ ولله الحمد ـ، ووصلت الأمراء والرؤوس إلى مصر،

ودُقت بها البشائر عدة أيام.

ثم استولى الصالح أيوب على دمشق في سنة ثلاث وأربعين وست مئة، واستولى على بعلبك في سنة أربع وأربعين، واستولى على الكرك في سنة سبع وأربعين، قبل وفاته بيسير ـ كما تقدم ذكر ذلك في ترجمة بني أيوب ـ.

وتوفي الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب في ليلة الأحد، لأربعَ عشرةَ ليلةً مضت من شعبان، سنة سبع وأربعين وست مئة.

وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين، وثمانية أشهر، وعشرين يوماً، وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة.

وكان مهيباً، عالي الهمة، عفيفاً، طاهر اللسان، شديد الوقار، كثير الصمت، وكان غاوياً بالعمارة، بنى قلعة الجزيرة، وبنى الصالحية، وهي بلدة بالسالح، وبنى قصراً عظيماً بين مصر والقاهرة يسمى بالكبش.

وكانت أم الملك الصالح أيوب جارية سوداء تسمى: ورد المنى، غشيها السلطان الملك الكامل، فحملت بالملك الصالح.

وكان للملك الصالح ثلاثة أولاد، أحدهم: فتح الدين، توفي في حبس الصالح إسماعيل ـ كما تقدم في ترجمة بني أيوب ـ، وكان قد توفي ولده الآخر قبله، ولم يكن قد بقي له غير المعظم توران شاه بحصن كيفا، ومات الملك الصالح، ولم يوص إلى أحد ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

سلطنة الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح

لما توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب، أَحضرتْ شجرُ الدرِّ جاريتُه فخرَ الدين ابن الشيخ، والطواشي جمال الدين محسن، وعرَّفتهما بموت السلطان، فكتموا ذلك خوفاً من الفرنج، وجمعت شجر الدر الأمراء، وقالت لهم: السلطان أمركم أن تحلفوا له، ثم من بعده لولده الملك المعظم توران شاه المقيم بحصن كيفا، وللأمير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية العسكر، فحلف الأمراء والأجناد والكبراء بالعسكر على ذلك، في العشر الأوسط من شعبان، سنة سبع وأربعين وست مئة، وكانت بعد ذلك تُخرج الكتب والمراسيم، وعليها علامة الملك الصالح، يكتبها خادم يقال له: السهيلي، فلا يشك أحد أنه خط السلطان.

وأرسل فخر الدين قاصداً للملك المعظم، فسار من الحصن، ووصل دمشق في رمضان، وَعَيَّدَ بها عيدَ الفطر، ووصل إلى المنصورة يوم الخميس، لتسعٍ بقين من ذي القعدة، سنة سبع وأربعين وست مئة، والقتال مشتد بين المسلمين والفرنج براً وبحراً، ونصر الله المسلمين، وبلغت عدة القتلى من الفرنج ثلاثين ألفاً، وأُسر ملكهم، ورحل الملك المعظَّم بالعساكر من المنصورة، ونزل بغار سكور.

وقتل في يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم، سنة ثمان وأربعين وست مئة، وسببه: أنه طرح جانب أمراء أبيه ومماليكه، وهددهم، واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كَيْفا، وكانوا أطرافاً أراذل،

فاجتمعوا على قتله بعد نزولـه بغار سكور، وهجموا عليه بالسيوف، وكان أول من ضربه: ركن الدين بيبرس الذي صار سلطاناً فيما بعـد، فهرب الملك المعظم منهم إلى البـرج الخشب الذي نصب لـه بغـار سكور، فأطلقوا في البرج النار، فخرج المعظم من البرج هارباً طالباً البحـر ليركب في حَرَّاقته، فحالوا بينه وبينها بالنشاب، فطرح نفسه في البحر، فأدركوه، وأتموا قتله.

وكانت مدة إقامته في المملكة من حين وصولـه إلى الديار المصرية شهرين وأياماً رحمه الله، وعفا عنه.

* * *

أخبار شجر الدر

لما جـرى ما ذكـر من قتل الملك المعظم توران شاه، اجتمعـت الأمراء على أن يقيموا شجر الدر زوجةَ الملك الصالح في المملكة، وأن يكون عـز الدين أيبك الجاشنكير الصالحي المعروفُ بالتركماني أتابكَ العسكر، وحلفوا على ذلك.

وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها، وكان نقش السكة: المستعصمية الصالحية ملكـة المسلمين والدة الملك المنصور خليل.

وكانت شجر الدر قد ولدت للملك الصالح ولداً مات صغيراً، وكان اسمه خليل، فسميت والدة خليل، وكانت تعلم وتكتب على المناشير

والتواقيع: والدة خليل.

ولمّا استقر الأمر على ذلك، وقع الحديث مع ملك الفرنج الذي أُسر في حياة الملك المعظم، وهو افرنسيس في تسليم دمياط للمسلمين بالإفراج عنه، فأجاب لذلك، وتقدم إلى نوابه بتسليمها، فسلموها، وصعد إليها العَلَم السلطاني يوم الجمعة، لثلاثٍ مضين من صفر، **سنة ثمان وأربعين وست مئة**، وأطلق المذكور، فركب البحر بمن معه نهار السبت غداة الجمعة، وأقلعوا إلى عكا.

ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار، ثم عادت العساكر، ودخلت القاهرة يوم الخميس، تاسع صفر المذكور، وأرسل المصريون رسولاً إلى الأمراء الذين بدمشق في موافقتهم على ذلك، فلم يجيبوا إليه.

* * *

سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركماني

لما جرى ما ذُكر من أخبار شجر الدر، حصل الكلام بين كبراء الدولة: أنه إذا استقر أمر المملكة على امرأة على ما هو عليه الحال، تفسد الأمور، واتفقوا على إقامة عز الدين أيبك التركماني الجاشنكير الصالحي في السلطنة، ومعنى الجاشنكير: مشد الشربخانة، فأقاموه، وركب بالصناجق السلطانية، وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت، آخر ربيع الآخر، سنة ثمان وأربعين وست مئة، ولقب: الملك المعز، وأبطلت

السكة والخطبة التي كانت باسم شجر الدّر، فأقام على ذلك خمسة أيام، وخلع.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الأشرف موسى بن يوسف

هو الملك الأشرف موسى بن يوسف بن يوسف صاحبُ اليمن، المعروف باقسيس ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب.

لما جرى ما ذكر من سلطنة المعز أيبك التركماني، اجتمعت الأمراء، واتفقوا على أنه لا بد من إقامة شخص من بني أيوب في السلطنة، واجتمعوا على إقامة موسى المذكور، ولقبوه: الملك الأشرف، وأن يكون أيبك التركماني أتابِكَه، وأُجلس الأشرف في دَسْت السلطنة، وحضرت الأمراء في خدمته يوم الخميس، لخمس مضين من جمادى الأولى، سنة **ثمان وأربعين وست مئة**.

ثم حصل بينه وبين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وقعات، وسار الناصر يوسف إلى الديار المصرية ليأخذها، وكُسِر وانهزم.

وفي سنة اثنتين وخمسين وست مئة: اغتال الملكُ المعزُّ أيبك التركماني المستولي على مصر خوشداشَه أقطاي الجمدار، وأوقفَ له

في بعض دهاليـز الدور التي بقلعـة الجبل ثلاثـةَ مماليك، فلما مر بهم فارسُ الدين أقطـاي، ضربـوه بسيوفهم، وقتلوه، وكان الفارس أقطاي يمنع أيبك من الاستقلال بالسلطنة، وكان الاسم للملك الأشرف موسى، فلما قُتل أقطاي، أبطل المُعزُّ أيبك الأشرفَ موسى المذكور من السلطنة بالكلية، وبعث به إلى عماته القطبيات.

وموسى المذكـور هو الذي أقام الترك في مملكة مصر، وهو آخر من خُطب له من بيت أيوب بالسلطنة في مصر، وكان انقراض دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة، وهي سنة اثنتين وخمسين وست مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة المعز أيبك التركماني

لما قُتل أقطاي، استقل المعز أيبـك التركماني بالسلطنـة، وأبطل الأشرفَ موسى ـ كما تقدم ـ، وتزوج المعز أيبك شجرَ الدر أمَّ خليل التي خطب لها بالسلطنة في ديار مصـر، وقُتل المعـز أيبك في يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين من ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وست مئة، قتلته امرأته شجر الدر المذكورة، وكان سبب ذلك: أنه بلغها أنه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ويريد أن يتزوجها، فقتلته في الحمَّام بعد عَوده من لعب الأكرة في النهار المذكور، وكان الذي قتله: سنجر الجوهري مملوك الطواشي محسن، والخدم، حسبما اتفقت معهم عليه

شجر الدر، وأرسلت في تلك الليلة أصبع المعز أيبك وخاتمه إلى الأمير عز الدين الحلبي الكبير، وطلبت منه أن يقوم بالأمر، فلم يجسُر على ذلك، ولمَّا ظهر الخبر، أراد مماليك المعز أيبك قتلَ شجر الدر، فحماها المماليك الصالحية.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك

لما قُتل الملك المعزُّ أيبك، اتفقت الكلمة على إقامة نور الدين علي ابن المعز أيبك، ولقبوه: الملك المنصور، وعمره يومئذ خمس عشرة سنة.

ونُقلت شجر الدر من دار السلطنة إلى البرج الأحمر، وصَلبوا الخدَّام الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيبك، وهرب سنجر الجوجري ثم ظفروا به، وصلبوه.

وفي سادس عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة قُتلت شجر الدر، وأُلقيت خارج البرج، فحُملت إلى تربة كانت قد عملتها، وكانت تركية الجنس، وقيل: أرمنية، وكانت مع الملك الصالح في الاعتقال في الكرك.

واستمر المنصور في السلطنة إلى أواخر سنة سبع وخمسين وست مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك المظفر قُطُز

لما كان في أوائل [ذي] الحجة، **سنة سبع وخمسين وست مئة**: قبض سيف الدين قطز على ولد أستاذه الملك المنصور نور الدين علي ابن المعز أيبك، وخلعه من السلطنة، واستقل قطز في ملك الديار المصرية، وتلقب بالملك المظفر.

ثم عزم على الخروج إلى الشام، بسبب قتال التتر لما استولوا على المملكة الشامية، فسار من الديار المصرية في أوائل رمضان، **سنة ثمان وخمسين وست مئة**، فدخل إلى الشام، وانهزم التتر هزيمة قبيحة، وقتل مقدمهم كتبغا، وانتصر عسكر الإسلام.

ثم قرر الملك المظفر قطز أمر الشام، وسار إلى جهة البلاد المصرية.

وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحي مع أنص مملوكِ نجم الدين الرومي الصالحي، والهاروني، وعلم الدين طغان أوغلي على قتل المظفر قطز، وساروا معه يتوقعون الفرصة، فلما وصل قطز إلى القصير بطرف الرمل، وبينه وبين الصالحية مرحلة، وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية، فبينما قطز يسير، إذ قامت أرنب بين يديه، فساق عليها، وساق هؤلاء المذكورون معه، فلما أبعدوا، تقدم إليه أنص، وشفع عند

الملك المظفر قطز في إنسان، فأجابه إلى ذلك، فأهوى ليقبل يده، وقبض عليها، فحمل عليه بيبرس البندقداري حينئذ، وضربه بالسيف، واجتمعوا عليه، ورموه عن فرسه، ثم قتلوه بالنشاب، وذلك في سابع عشر ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين وست مئة، فكانت مدة ملكه أحد عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً، وسار بيبرس وأولئك بعد مقتله حتى وصلوا الدهليز بالصالحية.

* * *

سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري

هو ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحيُّ النجميُّ، لما وصل هو والجماعة الذين قتلوا الملك المظفر قطز إلى الدهليز المتقدم بالصالحية، جلس الظاهر بيبرس في مرتبة السلطنة، واستدعيت العساكر للتحليف، فحلفوا له في اليوم الذي قتل فيه قطز، واستقر في السلطنة، وتلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحي، ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر، وتلقب بالملك الظاهر؛ لأنه بلغه أنه لقب غير مبارك، ما تلقب به أحد فطالت مدتُه، وكان الملك الظاهر قد سأل من قطز النيابة بحلب، فلم يجبه إليها؛ ليكون ما قدره الله تعالى.

ولما حلف الناس للملك الظاهر بالصالحية، ساق في جماعة من أصحابه، وسبق العسكر إلى قلعة الجبل، ففتحت له، ودخلها، واستقرت قدمه في المملكة، وكانت قد زينت مصر والقاهرة لمقدم قطز، فاستمرت

الزينة لسلطنة بيبرس، وكان مقتل قطز وسلطنة بيبرس في سابع عشر ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين وست مئة.

وكان علم الدين سليمان الحلبي قد استنابه الملك المظفر قطز بدمشق، فلما جرى ما ذكر من قتل قطز، وسلطنة الظاهر بيبرس، تسلطن سنجر المذكور، بالشام وهو أنه جمع الناس، وحلفهم بالسلطنة لنفسه، وذلك في العشر الأول من ذي الحجة، فأجابه الناس إلى ذلك، وحلفوا له، ولم يتخلف عنه أحد، ولقب نفسه: الملك المجاهد، وخطب له بالسلطنة، وضربت السكة باسمه، وكاتب الملك المنصور صاحبَ حماة، فلم يجبه، وقال: إنا مع ملك الديار المصرية كائناً من كان.

ثم في سنة تسع وخمسين وست مئة: جهز الملك الظاهر بيبرس صاحبُ مصر عسكراً مع علاء الدين البندقداري، وهو أستاذ الملك الظاهر لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق، فوصلوا دمشق في ثالث عشر صفر، وخرج لقتالهم، واقتتل معهم، فهزموه، وهرب لجهة بعلبك، فتبعه العسكر، وقبضوا عليه، وحُمل إلى الديار المصرية، فاعتُقل ثم أُطلق، واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس، وأقيمت له الخطبة بها، وبغيرها من الشام؛ مثل: حماة، وحلب، وحمص، وغيرها.

وفي سنة تسع وخمسين وست مئة: كان ابتداء الخلفاء العباسية بالديار المصرية في أيام الملك الظاهر بيبرس ـ على ما تقدم شرحه في ترجمة الخليفة المستنصر بالله ـ.

وفي سنة إحدى وستين وست مئة : سار الملك الظاهر إلى جهة الشام، واستولى على الكرك، وأغار على عكا وبلادها، وهدم كنيسة الناصرة، وهي من أكبر مواطن عبادات النصارى؛ لأن منها خرج دين النصرانية.

ثم في سنة ثلاث وستين وست مئة : سار من الديار المصرية بعساكره إلى جهاد الإفرنج، ونازل قيسارية الشام، وضايقها، وفتحها، وهدمها، وسار إلى أرسوف، وفتحها.

وفي سنة أربع وستين وست مئة : سار بعساكره من الديار المصرية إلى الشام، وجهز عسكراً إلى ساحل طرابلس، ففتحوا القليعات، وحلب، وعرقا.

ونزل على صفد ثامن شعبان، وضايقها بالزحف وآلات الحصار، وفتحها في تاسع عشر شعبان بالأمان، ثم قتل أهلها عن آخرهم، ثم بعد فتوح صفد جهز العسكر إلى بلاد الأرمن، فدخلوا إلى بلاد سيس، وداسوهم وأفنوهم قتلاً وأسراً، ثم عاد إلى البلاد المصرية.

وفي سنة ست وستين وست مئة : توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره إلى الشام، وفتح يافا، وأخذها من الفرنج، ثم سار إلى أنطاكية، فملكها، ثم عاد إلى الديار المصرية.

وفي سنة تسع وستين وست مئة : توجه الملك الظاهر بيبرس إلى الشام، ونازل حصن الأكراد، وحاصره، وملكه بالأمان، ثم سار إلى حصن القرين، ونازله، وتسلمه بالأمان، وهدمه، ثم عاد إلى مصر.

وفي سنة خمس وسبعين وست مئة: توجه الملك الظاهر بعساكره إلى الشام، وسار إلى بلاد الروم، واستولى على قيسارية، ثم عاد إلى دمشق، فوصل إليها في خامس المحرم، سنة ست وسبعين وست مئة، ونزل بالقصر الأبلق.

وتوفي في يوم الخميس، السابع والعشرين من المحرم، **سنة ست وسبعين وست مئة** وقت الزوال، وكتم مملوكُه ونائبه بدر الدين تتليك المعروف بالخزندار موته، وصبره، وتركه بقلعة دمشق إلى أن بنيت تربته بدمشق قرب الجامع، فدفن بها، وهي مشهورة معروفة، وارتحل بدر الدين بالعساكر ومعهم المحفَّة، مظهراً أن الملك الظاهر فيها، وأنه مريض، وسار إلى ديار مصر، وكان الملك الظاهر قد حلف العسكر لولده بركة بن بيبرس، ولقَّبه: الملك السعيد، وجعله وليَّ عهده، فوصل تتليك الخزندار بالعساكر والخزائن إلى الملك السعيد بقلعة الجبل، وعند ذلك أظهرَ موت الملك الظاهر، وجلس ابنُه السعيد للعزاء.

وكانت مدة مملكة الملك الظاهر نحو سبعَ عشرةَ سنة، وشهرين وعشرة أيام، وكان ملكاً جليلاً، شجاعاً عاقلاً مهيباً، ملكَ الديار المصرية والشام، وفتح الفتوحات الجليلة؛ مثل: صفد، وحصن الأكراد، وأنطاكية، وغيرها، وحكم وعدل، وأبطل المظالم وأسقط تشفع الأملاك، وكان جملة ما يحمل منها إلى الديوان ألف ألف دينار، مع عدة مظالم.

واهتم بعمارة الحرم الشريف النبوي، وجهز إليه أصناف الآلات والصنَّاع والمهندسين في البر والبحر، والزيت والشمع، وزاد فيه كثيراً.

واهتم بكسوة الكعبة المشرفة، وطيف بها بالقاهرة، وعدل في الرعية، وله محاسن كثيرة ـ تغمده الله برحمته ـ.

وكان أسمر، أزرق العينين، جهوري الصوت، وكان مملوك أيدكين البندقدار الصالحي، ثم أخذه الملك الصالح من البندقدار، فانتسب إليه دون أستاذه، وكان يخطب له، وينقش على الدراهم والدنانير: بيبرس الصالحي.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك السعيد محمد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس

كان والده أركبه بشعار السلطنة، وخرج بنفسه في ركابه، وحمل الغاشية بين يديه في ثالث عشر شوال، سنة اثنتين وستين وست مئة، ثم اشتغل والده بالجهاد، وتجهيز العساكر، فلما توفي بدمشق، وكتم مملوكه بدرُ الدين موته، وحضر إلى الديار المصرية إلى الملك السعيد، وأظهر موت الظاهر، استقر الملك السعيد في السلطنة في أوائل ربيع الأول، **سنة ست وسبعين وست مئة**.

ثم إن الملك السعيد خَبَّط، وأراد تقديم الأصاغر، وأبعد الأمراء الكبار، ففسدت نيات الأمراء الكبار عليه.

ثم في **سنة سبع وسبعين وست مئة**: سار الملك السعيد إلى الشام، وصحبته العساكر، وجرَّد العسكر، ودخلوا إلى بلاد سيس، وشنوا

الإغارة عليها، وغنموا.

ثم عادوا إلى جهة دمشق، واتفقوا على خلاف الملك السعيد، وخلعِه من السلطنة؛ لسوءِ تدبيره، وعبروا على دمشق، ولم يدخلوها، فأرسل إليهم، واستعطفهم، ودخل عليهم بوالدته، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وأتموا السير، فركب، وساق، فسبقهم إلى مصر، وطلع إلى قلعة الجبل، فوصلت العساكر الخارجون عن طاعته إلى الديار المصرية في ربيع الأول، وحصروا الملك السعيد بقلعة الجبل، فخامر عليه غالبُ من كان معه، فلما رأى الملك السعيد ذلك، أجابهم إلى الانخلاع من السلطنة، وأن يُعطى الكرك، فأجابوه إلى ذلك، وأنزلوه من القلعة، وخلعوه في ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين وست مئة، وسفَّروه من وقته إلى الكرك، فوصل إليها، وتسلمها بما فيها من الأموال، وكانت شيئاً كبيراً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش

لما جرى ما ذكرناه من خلع السعيدِ بركة، وإعطائه الكَرَك، اتفق أكابر الأمراء الذين فعلوا ذلك على إقامة بدر الدين سلامش في المملكة، ولقبوه: الملك العادل، وعمره إذ ذاك سبع سنين وشهور، وخُطب له، وضُربت السكة باسمه، وذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين وست مئة، وصار الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي أتابكَ العساكر،

وجهز الأميرَ شمسَ الدين سنقر الأشقر إلى دمشق، وجعله نائب الشام، ثم إن الأمير سيف الدين قلاوون خلع سلامش، وعزله في يوم الأحد، الثاني والعشرين من رجب، سنة ثمان وسبعين وست مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي

هو سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي، وجنسه قفجاقي، كان مملوكاً للأمير علاء الدين الساقي الصالحي، وهو أول مملوك بيع بألف دينار في مصر، جلس للسلطنة بعد خلع سلامش في يوم الأحد، الثاني والعشرين من رجب، **سنة ثمان وسبعين وست مئة**، وأقام منار العدل، وأحسن سياسة الملك، وقام بتدبير السلطنة أحسن قيام.

ثم إن الأمير شمس الدين سنقر والي دمشق جلس للسلطنة في الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وسبعين وست مئة، وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق، وتلقب: الملك الكامل.

وفي هذه السنة توفي الملك السعيد بركة بالكرك بعد وصوله إليها بمدة، وحمل إلى دمشق، فدفن في تربة أبيه الظاهر، ولما توفي السعيد، اتفق مَنْ في الكرك، وأقاموا موضعه أخاه نجم الدين خضر، واستقر في الكرك، ولقبوه: الملك المسعود.

ثم في سنة تسع وسبعين وست مئة: جهز الملك المنصور قلاوون عساكر ديار مصر مـع علم الدين سنجر الحلبي الذي تقدم ذكر سلطنته بدمشق عقيب قتـل قطـز؛ لقتـال سنقر الأشقر المستولي على الشـام، فسارت العساكر إلى الشام، وبرز سنقر الأشقر إلى ظاهر دمشق، والتقى الفريقان في تاسع عشر صفر، فولى الشاميون وسنقر الأشقر منهزمين، ونهبت العساكر المصرية أثقالهم، وهرب سنقر إلى الرحبة، ثم سار إلى صِهْيَون، واستولى عليها، وعلى برزيه، وبلاطنس، والشغر، وبكاس، وعكار، وشيزر، وفامية، فصارت هذه الأماكن لسنقر الأشقر.

وفي سنة أربع وثمانين وست مئة: سار الملك المنصور قلاوون بالعساكر المصرية والشامية إلى حصن المرقَب، ونصب عليه عدة مناجنيق كباراً وصغاراً، فطلب أهله الأمان، فأجابهم إلى ذلك، وصعدت الصناجق السلطانية عليه، وتسلَّمه في نهار الجمعة، تاسع عشر ربيع الأول، وكان يوماً مشهوداً.

وفي سنة ست وثمانين وست مئة: جهز السلطان عسكراً كثيفاً مع نائبه حسام الدين طرنطاي إلى صهيـون، فحاصرها، وأخذها من سنقر الأشقر، ثم سار إلى اللاذقية، وكان فيها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته، فحاصره، وتسلمه بالأمان، وهدمه، ثم توجه إلى الديار المصرية، وصحبته سنقر الأشقر، فلما وصلا إلى قلعة الجبل، ركـب الملك المنصور قلاوون، والتقى مملوكه حسام الدين، وسنقر الأشقر، وأكرمه، ووفى له بالأمان، وبقي سنقر الأشقر مكرَّماً محترماً مع السلطان

إلى أن توفي السلطان في سنة ثمان وثمانين وست مئة.

[. . . .]، وذلك أن السلطان الملك المنصور قلاوون خرج بالعساكر المصرية في المحرم، وسار إلى الشام، ثم سار ونازل طرابلس يوم الجمعة، مستهل ربيع الأول، ويحيط البحر بغالب هذه المدينة، وليس عليها قتال في البر إلا من جهة الشرق، وهو مقدار قليل، ونصب عليها عدة كثيرة من المناجنيق، ولازمها بالحصار، واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء، رابع ربيع الآخر بالسيف، ودخلها العسكر عَنوة، وقتل غالب رجالها، وسُبيت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة.

وكان الفرنج قد استولوا على طرابلس في سنة ثلاث وخمس مئة، في حادي عشر ذي الحجة، فبقيت في أيديهم إلى أوائل سنة ثمان وثمانين وست مئة، فتكون مدة لبثها مع الفرنج نحو مئة سنة، وخمس وثمانين سنة، وشهور.

وتوفي الملك المنصور قلاوون في سادس ذي القعدة، سنة تسع وثمانين وست مئة، في يوم السبت، وكانت مدة ملكه نحو إحدى عشرة سنة، وثلاثة شهور، وأيامٍ.

وكان مَلِكاً مُهاباً حليماً، قليلَ سفك الدماء، كثير العفو، شجاعاً، فتح الفتوحات الجليلة؛ مثل: المرقب، وطرابلس، الذي لم يجسر أحد من الملوك مثل صلاح الدين وغيره على التعرض إليهما، وكسر جيش

التتر على حمص، وكانوا في جمع عظيم، لم يطرق الشام قبله مثلُه ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

* * *

سلطنة الملك الأشرف

صلاح الدين ابن الملك المنصور قلاوون

هو صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون: جلس في الملك بعد والده في سابع ذي القعدة، **سنة تسع وثمانين وست مئة**، صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده.

ولما استقر في السلطنة، قبض على حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة، وكان آخر العهد به، وفوض نيابة السلطنة إلى بدر الدين بيدرا.

وفي سنة تسعين وست مئة: سار الملك الأشرف بالعساكر المصرية إلى عكا، وحاصرها، واشتد عليها القتال، وفتحها الله تعالى في يوم الجمعة، السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف، ونصر الله المسلمين، وغنموا من عكا شيئاً يفوت الحصر من كثرته، ثم استنزل السلطان جميع من عصا بالأبرجة، وأمر بهم فضُربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا، وأمر بمدينة عَكَّا، فهدمت إلى الأرض، ودُكَّت دكّاً.

ولما فتحت عكا، ألقى الله الرعب في قلب الفرنج الذين بساحل الشام، فأخلَوْا صيدا، وبيروت، وتسلمهما الشجاعي، وكذلك هرب أهل مدينة صور، فأرسل السلطان، وتسلمها، وتسلم عدة أماكن بغير قتال ولا تعب.

ولما تكاملت هـذه الفتوحات العظيمـة، عاد السلطان إلى الديار المصرية.

وفي سنة إحدى وتسعين وست مئة: سار الملك الأشرف بالعساكر إلى الشام، وتوجه إلى قلعة الروم، ونازلها، ونصب عليها المناجنيق، واشتد مضايقتها، ودام حصارهـا، وفتحـت بالسيف في يوم السبـت، حادي عشر رجـب، وقتل أهلها، ونُهبـت ديارهم، ثم سار إلى الديار المصرية.

وتوفي الملك الأشرف خليل في ثاني عشـر المحرم، **سنة ثلاث وتسعين وست مئة**، وسببه: أنه سار من قلعة الجبل إلى الصيد، ووصل إلى تروجة، فقصـده مماليك والـده، وهـم: بيـدرا، نائـب السلطنـة، ولاجين، وجماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليه، فأولُ مَنْ ضربه بيدرا، ثم لاجيـن حتى فـارق، وتركـوه مرميـاً على الأرض، فحملـه أيدمري الفخري والي تروجـة إلى القاهـرة، فدفن في تربتـه، ولا جـرم أن الله تعالى انتقم من قاتليه المذكورين عاجلاً وآجلاً.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك القاهر بيدرا

لما قتل الملك الأشرف خليل، اتفـق الجماعـة الذين قتلوه على سلطنة بيدرا، وتلقب: الملك القاهر، وسار نحو قلعة الجبل ليملكها،

واجتمعت مماليك السلطان الملك الأشرف، وانضموا إلى زين الدين كتبغا المنصوري، وساروا في أثر بيدرا ومن معه، فلحقوهم على الطرانة في خامس عشر المحرم، سنة ثلاث وتسعين وست مئة، واقتتلوا، وانهزم بيدرا وأصحابه، وتفرقوا في الأقطار، وتبعوا بيدرا وقتلوه، ورفعوا رأسه على رمح للقاهرة، واستتر لاجين، وقراسنقر، ولم يطلع لهما خبر، فكانت مدة بيدرا يوماً واحداً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون

هو الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي، أمه بنت سكباي بن قراجين بن جنغان، وسكباي المذكور ورد إلى الديار المصرية هو وأخوه قرمشي سنة خمس وسبعين وست مئة، صحبة بيغار الرومي في الدولة الظاهرية، فتزوج السلطان الملك المنصور قلاوون ابنة سكباي المذكور في سنة ثمانين وست مئة، بعد موت أبيها بولاية عمها قرمشي، ووردت البشائر على الملك المنصور بمولد السلطان الملك الناصر محمد، وهو نازل على بحيرة حمص، عند عوده من فتح المرقَب، في سنة أربع وثمانين وست مئة، فتضاعف سرورُه به، وضربت البشائر فرحاً لمولده السعيد.

ولما جرى ما ذكرناه من قتل السلطان الملك الأشرف صلاح الدين

خليل، ثم قتل بيدرا، ووصول زين الدين كتبغا والمماليك السلطانية إلى قلعة الجبل، وبها علم الدين سنجر الشجاعي نائباً، اتفقوا على سلطنة الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، فأجلسوه على سرير السلطنة في باقي العشر الأوسط من المحرم، **سنة ثلاث وتسعين وست مئة**، وعمره يومئذ نحو تسع سنين، وتقرر أن يكون الأمير زينُ الدين المنصوري نائبَ السلطنة، وعلمُ الدين سنجر الشجاعي وزيراً، وركنُ الدين بيبرس البرجي الجاشنكير أستاذَ الدار، وتتبعوا الأمراء الذين اتفقوا مع بيدرا على ذلك، فظفروا أولاً ببهادر رأس النوبة، وآقوش الموصلي الحاجب، فضربت رقابهما، وأحرقت جثتهما، ثم ظفروا بطرنطاي الساقي، والساق، وبغية، وأروس السلحدارية، ومحمد خواجه، والطنبغا الجمدار، وآقسنقر الحسامي، فاعتقلوا بخرابة البنود أياماً، ثم قطعت أيديهم وأرجلهم، وصلبوا على الجمال، وطيف بهم وأيديهم معلقة في أعناقهم، جزاء بما كسبوا، ثم وقع قجقار الساقي، فشنق، واستمر الملك الناصر في الملك إلى تاسع المحرم، سنة أربع وتسعين وست مئة، فكانت مدة ولايته نحو السنة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري

لما كان تاريخ يوم الأربعاء، تاسع المحرم، سنة أربع وتسعين

وست مئة: جلس الأمير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير الملك، ولقب نفسه: الملك العادل، واستحلف الناس على ذلك، وخُطب لـه بمصـر والشـام، ونُقشت السكة باسمه، وجعل السلطانَ الملك الناصر محمد بن قلاوون في قاعة بقلعة الجبل، وحجب عنه الناس.

ولما استقر ذلك، جعل نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين الذي كان مشيراً بسبب قتل الملك الأشرف ـ على ما تقدم ذكره ـ، وذلك بعد أن كان زين الدين كتبغا أظهر حسام الدين لاجين، وقراسنقر من الاستتار، وأخذ لهما من الملك الناصر الأمان، وأقطعهما، وأعزَّ جانبهما، واستقر الحال على ذلك.

وفي شوال سنة خمس وتسعين وست مئة: خرج العادل كتبغا من الديار المصريـة، ووصل إلى الشـام، ثم سـار إلى حمص، وعـاد إلى الشام، وولى مملوكه غرلو نيابة الشام.

فلما دخلت **سنة ست وتسعين وست مئة**: في أوائل المحرم سار من دمشق متوجهـاً إلى مصر، فلما وصـل إلى نهـر العوجـاء، واستقر بدهليـزه، وتفرقـت مماليكه إلى خيـامهم، ركـب حسام الدين لاجين المنصوري نائب الملك العادل كتبغا بصنجق، وانضم إليـه جماعة من الأمراء المتفقين معه، وقصدوا العادل، وبغتوه عند الظهر في دهليزه، فلم يلحق أن يجمع أصحابه، فركـب في نفـر قليل، فحمل عليـه نائبُه لاجين، وقتل مملوكه بكتوت الأزرق، فولَّى العادلُ كتبغا هارباً راجعاً إلى دمشق عند مملوكه، فركب غرلو، والتقاه، ودخل قلعة دمشق، واهتم

في جمع العساكر، والتأهب لقتال لاجين، فلم يوافقه عسكر دمشق على ذلك، ورأى منهم التجادل، فخلع نفسه من السلطنة وقعد بقلعة دمشق، وأرسل إلى حسام الدين لاجين يطلب منه الأمان، وموضعاً يأوي إليه، فأعطاه صرخد، فسار إليها، واستقر فيها.

وكانت مدة ولايته نحو سنتين، ثم في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون استقر في نيابة حماة في سنة تسع وتسعين وست مئة، وتوفي في ليلة الجمعة، عاشر ذي الحجة، سنة اثنتين وسبع مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري

لما جرى ما تقدم ذكره من انهزام الملك العادل كتبغا، نزل حسام الدين لاجين بدهليزه على نهر العوجاء، واجتمع معه الأمراء الذين وافقوه، وشرطوا عليه شروطاً، فالتزمها، منها: أن لا ينفرد عنهم برأي، ولا يسلط مماليكه عليهم؛ كما فعل بهم كتبغا، فأجابهم لذلك، وحلف عليه، فعند ذلك حلفوا له، وبايعوه بالسلطنة، ولُقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري، وذلك في شهر المحرم، سنة ست وتسعين وست مئة.

ثم رحل بالعساكر إلى الديار المصرية، ووصل إليها، واستقر بقلعة الجبل، وأعطى العادل كتبغا صرخد ـ كما تقدم ـ، وأرسل إلى دمشق

سيف الدين قبجق المنصوري، وجعله نائب السلطنة بالشام، وأُخرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من القلعة التي كان فيها بقلعة الجبل إلى الكرك، وسار معه سَلاَّر، فأوصله إليها، ثم عاد سلاَّر.

ثم في سنة سبع وتسعين وست مئة: جرد حسام الدين لاجين جيشاً من الديار المصرية مع جماعة من الأمراء، فساروا إلى الشام، وصحبوا معهم عسكر الشام، وشنوا الغارات على بلاد سيس، وكسبوا وغنموا، ومن جملة العسكر الشامي: ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجالق، ثم عادوا إلى سيس ثانياً، وفتحوا حموص، وغيرها من بلاد الأرمن.

ثم في سنة ثمان وتسعين وست مئة: وثب على السلطان الملك المنصور لاجين جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه، فقتلوه وهو يلعب بالشطرنج في ليلة الجمعة، حادي عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

والحمد لله وحده.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية

لما جرى ما ذكر من قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين، اجتمع الأمراء، واتفقت آراؤهم على إعادة الملك الناصر محمد بن قلاوون المقيم بالكرك إلى مملكته، فتوجه سيف الدين ابن الملك، وعلم

الدين الجاولي إلى الكرك، وأحضراه إلى الديار المصرية، فصعد إلى قلعة الجبل، واستقر على سرير ملكه في يوم السبت، رابع عشر جمادى الأولى، **سنة ثمان وتسعين وست مئة**، وعمره يومئذ نحو خمس عشرة سنة.

وفي سنة تسع وتسعين وست مئة: استولى التتر على الشام، وسار السلطان والعساكر الإسلامية، ووقع مصاف عظيمة.

ثم في سنة سبع مئة: أدرك الله المسلمين بلطفه، وردَّ التتر على أعقابهم بقدرته، فعادوا إلى بلادهم.

وفي سنة إحدى وسبع مئة: جرد من مصر بدر الدين بكتاش أمير سلاح، وأيبك الخازندار، ومعهما العساكر، وحصلت إغارة على بلاد سيس.

وفي سنة اثنتين وسبع مئة: فتحت جزيرة أرواد، وهي جزيرة في بحر الروم قبالة انطرطوس، قريباً من الساحل، يجتمع فيها كثير من الفرنج، وجرى فيها قتال شديد، ونصر الله المسلمين، وملكوها، وقتلوا وأسروا أهلها، وخربوا أسوارها، وعادوا إلى الديار المصرية بالأسرى والغنائم.

ثم في هذه السنة عاودت التتر قصد الشام، وحصل مصاف بينهم وبين العسكر الإسلامي، وكسر التتر مرةً بعد أخرى، وحصل للمسلمين النصرة العظيمة.

وفي سنة ثمان وسبع مئة: في يوم السبت، الخامس والعشرين من رمضان خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً إلى الحجاز الشريف، وسار في خدمته جماعة من الأمراء، ووصل إلى الصالحية، وعَيَّد بها عيد الفطر، ثم سار إلى الكرك، فوصل إليها في عاشر شوال، فلما استقر بقلعة الكرك، أمر نائبها والأمراء الذين حضروا معه في خدمته بالمسير إلى الديار المصرية، وأعلمهم أنه إنما جعل السفر إلى الحجاز وسيلةً إلى المقام بالكرك.

وكان سبب ذلك: استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة، واستبدادُهما بالأمور، وتجاوزهما الحد في الانفراد بالأمر والنهي، ولم يتركا للسلطان غير الاسم، مع ما كان من محاصرة السلطان في القلعة، وغير ذلك مما لا تنكبس النفس له، فأنف السلطان من ذلك، وترك الديار المصرية، وأقام في الكرك.

وكانت مدة ملكه في السلطنة الثانية عشر سنين، وأربعة أشهر، وعشرة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير

لما وصل الأمراء الذين كانوا في خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك إلى الديار المصرية، وأَعلموا من بها بإقامة السلطان

بالكرك، وفراقِه الديار المصرية، اشتوروا فيما بينهم، واتفقوا على أن تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير، ومعناه: مشد الشربخانة، وأن يكون سلار مستمراً على نيابة السلطنة كما كان عليه، وحلفوا على ذلك، وركب بيبرس الجاشنكير من داره بشعار السلطنة إلى الإيوان الكبير بِقُلَّة قلعة الجبل، وجلس على سرير الملك في يوم السبت، الثالث والعشرين من شوال، **سنة ثمان وسبع مئة**، وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري، وأرسل إلى نواب السلطنة بالشام، فحلفوا لـهُ عن آخرهم، وكتب تقليداً للملك الناصر محمد بن قلاوون، بالكرك، ومنشوراً بما عينه له من الإقطاع بزعمه، وأرسلهما إليه، واستقر الحال على ذلك.

[. . . .] المنصوري نائب حلب، شرع في الباطن يستميل الناس إلى طاعة الملك الناصر محمد بن قلاوون، ويفسخ عندهم طاعة بيبرس الجاشنكير.

وفي سنة تسع وسبع مئة: سار جماعة من المماليك من الديار المصرية مفارقين طاعة بيبرس، ووصلوا إلى الملك الناصر بالكرك، وأعلموه بما الناس عليه من طاعته ومحبته، فأعاد الملك الناصر خطبته بالكرك، ووصلت إليه مكاتبات عسكر دمشق يستدعونه، وأنهم باقون على طاعته، ووصل إليه ـ أيضاً ـ مكاتبات من حلب، فسار الملك الناصر بمن معه من الكرك في جمادى الآخرة، ثم بلغه كلام، فرجع إلى الكرك، واستمرت العساكر على طاعته واستدعائه ثانياً، وانحلت دولة بيبرس الجاشنكير، وجاهره الناس بالخلاف، فلما تحقق الناصر صدق طاعة

العناصر الشامية، وبقاءهم على طاعته ومحبته، عاود المسير إلى دمشق، وخرج من الكرك ثانياً، ووصل إلى دمشق في يوم الثلاثاء، ثامن عشر شعبان من السنة المذكورة، ونزل بالقصر الأبلق، ولمَّا تكاملت للسلطان عساكر الشام، أمرهم بالتجهيز للمسير إلى ديار مصر، وأرسل إلى الكرك وأحضر ما بها من الحواصل، وأنفق في العسكر، وسار بهم من دمشق في يوم الثلاثاء، تاسع رمضان، ووصل إلى غزة في يوم الجمعة، تاسع عشر رمضان، فقدم إلى طاعته عسكر مصر أوّلاً فأوّلاً.

وكان يلتقيه في كل يوم وهو سائر طلبٌ بعد طلب من الأمراء والمماليك والأجناد، ويقبلون الأرض، ويسيرون صحبته، فلما تحقق بيبرس الجاشنكير ذلك، خلع نفسه من السلطنة، وأرسل يطلب الأمان، وأن يتصدّق عليه، ويعطيه إمّا الكرك، أو حماة، أو صهيون، وأن يكون معهُ ثلاث مئة مملوك من مماليكه، فوقعت إجابة الملك الناصر إلى مئة مملوك، وأن يعطيه صهيون، وأتمّ الملك الناصر السير، وهرب الجاشنكير من قلعة الجبل إلى جهة الصعيد، وكانت مدة ولايته أحد عشر شهراً. والحمد لله وحده.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون

لمّا وصل الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى قريب القاهرة، خرج سلار نائب السلطنة إلى طاعته، والتقاه في يوم الاثنين، التاسع والعشرين

من رمضان، قاطع بِرْكة الحجاج، وقبَّل الأرض، وضرب للملك الناصر الدهليز بالبركـة، وأقام بها يوم ثلاثاء سلخ رمضان، وعَيَّد يوم الأربعاء بالبركة، ودخل السلطان في نهاره، والعساكر المصرية والشامية سائرون في الخدمة، وعلى رأسه الجنز، ووصل إلى قلعة الجبل، وصعد إليها، واستقر على سرير ملكـه بعد العصر من نهار الأربعاء، مستهل شوال، **سنة تسع وسبع مئة**، وعمره يومئذ نحو ستة وعشرين سنة، وهي سلطنته الثالثة.

[. . . .] الجاشنكير قصد المسير إلى صهيون حسب ما كـان قـد سأله، ففوّز من أطفيح إلى السويس، وسار إلى الصالحية ثم سـار منها حتى وصل قريب الداروم من أعمـال غـزة، وكان قراسنقر متوجهاً إلى دمشق نائباً بها، فوصل إليه المرسوم بالقبض على بيبرس الجاشنكيـر، فركب، وكبسه في المكان الذي هو فيه، وقبض عليه، وسار به إلى جهة مصر حتى وصـل إلى الحطـارة، فوصل من الأبواب الشريفـة أسندمـر الكرجي، فتسلم بيبرس، وعاد قراسنقر للشام، فوصل بيبرس إلى قلعة الجبل، واعتُقـل في يـوم الخميـس، رابـع عشـر ذي القعـدة من السنة المذكورة، وكان آخر العهد به.

وفي سنة اثنتي عشرة وسبع مئة: حجّ السلطان إلى بيت الله الحرام، وعاد من الحجـاز إلى دمشـق المحروسـة في يوم الثلاثـاء حادي عشر المحرم، سنة ثلاث عشرة وسبع مئة، بعد أن أقام في الكرك أياماً.

وفي سنة خمس عشرة وسبع مئة: جهّـز السلطان عسكراً ضخماً

من الديار المصرية، ورسم لجميع عساكر الشام بالمسير معهم، وجعل على الكل مقدّماً الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب السلطنة بدمشق، وساروا إلى ملطية، وفتحوها، ونهبوا جميع ما فيها، واسترقُّوا النصارى عن آخرهم.

وفي سنة تسع عشرة وسبع مئة: توجه السلطان إلى الحجاز الشريف، وخرج من قلعة الجبل إلى الدهليز المنصور بُكْرَةَ السبت، ثاني ذي القعدة، ووصل إلى مكة المشرفة، وقضى مناسكه؛ بحيث إنه حافظ على الأركان والواجبات والسنن محافظة لم ير مثلها، وأحسنَ وتفضَّل على من كان بخدمته، وقدم إلى مقر ملكه، واستهل المحرم في القصب، ودخل قلعة الجبل بكرة نهار السبت، ثاني عشر المحرم، سنة عشرين وسبع مئة.

وفي السنة المذكورة: سارت العساكر من الشام وحلب وحماة بمرسوم السلطان، وأغاروا على بلاد سيس، وغنموا منها، وأحرقوا البلاد والزرع، وساقوا المواشي، ثم عادوا.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبع مئة: حج تنكز نائب الشام.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة: حج السلطان إلى بيت الله الحرام، ودخل إلى القاهرة في ثامن عشر المحرم، سنة ثلاث وثلاثين سبع مئة.

وتوفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ـ رحمهُ الله تعالى ـ يوم الأربعاء، تاسع عشر ذي الحجة الحرام، سنة إحدى وأربعين وسبع

مئة بالقلعة، وصلى عليه عز الدين بن جماعة إماماً، وأنزل ليلة الخميس إلى المدرسة المنصورية، ودفن بها مع أبيه قلاوون ـ رحمهما الله تعالى ـ.

وكانت مدة ملكه هذه اثنتين وثلاثين سنة، وشهرين، وتسعة عشر يوماً، وهذه السلطنة الثالثة التي صفا له الوقت فيها، فكانت مدة مملكته في ولاياته الثلاثة ثلاثة وأربعين سنة، وسبعة أشهر، وتخللت بين ولاياته ولاية كتبغا، ولاجين، وبيبرس نحو خمس سنين وشهرين، فكانت المدة من حين ابتداء سلطنته إلى حين وفاته تسعاً وأربعين سنة، وتوفي وعمره ثمان وخمسون سنة.

وكان ملكاً معتبراً، أخباره مشهورة، وكان راتبهُ من اللحم في كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل بالمصري، وبالغ في شراء الخيل، فاشترى فرساً بمئتي ألف درهم ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، جلس على سرير الملك ثاني يوم وفاة والده، وكان عمره نحواً من عشرين سنة، واستمر إلى أواخر صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، وخُلع لمَّا صدر

عنه من الأفعال التي ذكر أنه تعاطاها ؛ من شرب المسكر، وغشيان المنكرات، وجُهِّز إلى قوص، فكانت مدته شهرين وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة علاء الدين كجك

هو علاء الدين كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعد أخيه المنصور أبي بكر، وعمره يومئذ ست سنين، وناب له الأمير سيف الدين قوصون الناصري، واستمر إلى يوم الأحد، تاسع شوال، **سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة**، وخُلع، واعتلُّوا بصغره، فكانت مدته سبعة أشهر، وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر
أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، جلس على سرير الملك يوم الاثنين، عاشر شوال، **سنة اثنتين وأربعين وسبع** مئة هو والخليفة الحاكم، فخطب الخليفة، وخلع الأشرفَ وولَّى الناصر، وكان مولده سنة ست عشرة وسبع مئة، وفي سلخ ذي القعدة، سنة اثنتين

وأربعين وسبع مئة خرج السلطان إلى الكرك، ومعه أموال جزيلة، فدخلها ثامن [ذي] الحجة، فوردت الأخبار عنه إلى مصر بما لا يرضي الناس؛ من اللعب، والاجتماع بالأراذل، وقتله لطشتمر، والفخري، وتقريبه للناصري، فخُلع وهو بالكرك في المحرم، سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة، وحوصر إلى أن مُسك بها في صفر، سنة خمس وأربعين وسبع مئة، وذُبح، وأحضر الأمير سيف الدين منجك رأسَه إلى القاهرة، وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر، وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الصالح أبو الفداء إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان أجود إخوته، جلس علىِ سرير الملك بعد خلعِ أخيه الناصر أحمد في يوم الخميس، ثاني عشر المحرم، **سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة**، وكانت أيامه صالحة طيبة، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع ربيع الآخر، **سنة ست وأربعين وسبع مئة**، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين، وشهرين، وأياماً.

والحمد لله وحده.

* * *

سلطنة الملك الكامل سيف الدين
شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعهد من أخيه الملك الصالح إسماعيل، وهو شقيقه.

واتفق أنه ركب من باب القصر إلى الإيوان يوم الاثنين، تاسع ربيع الآخر، سنة ست وأربعين، ليحضر دار العدل، فلعب بـه الفرس، فنزل ومشى، فتطير به الناس، ثم خُلع بعد سنة ودون الشهر؛ لأنه كان مكثراً من مسك الأمراء بغير سبب، وكان قد قبض على أخيه حاجي، وسجنه هو وأخوه حسين والـد الأشرف شعبان في جمادى الأولى، سنة ست وأربعين وسبع مئة، وكان قد قَتل قبل ذلك أخاهما يوسف، فلما زالت دولته يوم الاثنين، أول جمادى الآخرة، سنة سبع وأربعين وسبع مئة، أُمسك، وسُجن مكان أخيه حاجي، ونُقل حاجي إلى تخـت السلطنة، وأكل سماط الكامل، وأكل الكامل سماطه بالسجن، وعدم من ذلك اليوم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

* * *

سلطنة الملك سيف الدين
حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو سيف الدين حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولد وأبوه بالحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، وجلس على تخت الملك

أول يوم من جمادى الآخرة، سنة سبع وأربعين وسبع مئة، واستمر إلى ثاني شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبع مئـة، فوقع بينه وبين الأمراء، فخرجوا، فتبعهم في طائفة قليلة، فأمسكوه، وقتلوه في التاريخ المذكور.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر
حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، مولده سنة خمس وثلاثين وسبع مئة، وكان: اسمه قمارى، فبعد أن تسلطن، سمى نفسه بحسن، وكانت سلطنته في رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبع مئة، واستمر إلى أن خلع في ثامن عشرين جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة، وكانت مدته ثلاث سنين، وتسعة أشهر، ونصف.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك الصالح
صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هـو الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو ابن بنت تنكز نائب الشام، تسلطن بعـد خلع أخيـه حسن في ثامن عشرين جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة، واستمر إلى أن

خلع في شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة. وكان مولده في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة، لم يكمل أربعاً وعشرين سنة، وكانت مدته ثلاث سنين وربع سنة وأيام.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

سلطنة الملك الناصر حسن

في يوم الاثنين، ثاني شوال، **سنة خمس وخمسين وسبع مئة**: اتفق شيخون، والأمراء على خلع الملك الصالح، وإعادة الملك الناصر حسن، فجلس على سرير الملك، وشرع في عمارة مدرسته المشهورة بالرميلة تجاه قلعة الجبل ولم تكمل، وذلك أنه همَّ بمسك يلبغا، فالتقيا، وانهزم السلطان، ولجأ إلى القلعة، ثم هرب على هَجينٍ لجهة الكرك، فأُمسك، وأُحضر إلى يلبغا، فأعدمه وذلك في يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى، **سنة اثنتين وستين وسبع مئة**، وكانت مدة مملكته الثانية ست سنين، وسبعة أشهر، وأياماً، ولم يعلم له مكان، وخلف عشر بنين، فكانت ولايته في المرتين عشر سنين، وأربعة أشهر، وأياماً.

* * *

سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي

هو الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي، استقر في

السلطنة بعد قتل عمه الملك الناصر حسن في يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى، سنة اثنتين وستين وسبع مئة، ثم خُلع يوم الثلاثاء، خامس عشر شعبان، **سنة أربع وستين وسبع مئة**، وكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر، وستة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الأمجد حسين

هو الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الأمجد حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، مولده سنة أربع وخمسين وسبع مئة، استقر في الملك بعد خلع المنصور باتفاق الأمراء في النصف من شعبان، سنة أربع وستين وسبع مئة، وله من العمر عشر سنين، واستمر في الملك أربع عشرة سنة.

وقُتل في يوم الاثنين، خامس ذي القعدة، **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة**، اجتمع عليه جماعة من الأمراء، فاختفى عنهم، فظفروا به، وخنقوه، وجعلوه في قفة، ورموه داخل بئر، ثم أخرجوه بعد أيام، ودفنوه في الكيمان عند السيدة نفيسة، ثم نقله خُدَّامه في ليلته إلى تربة والدته.

وكان ـ رحمه الله ـ من حسنات الدهر، ليناً حليماً، محباً لأهل الخير، مقرِّباً للعلماء والفقراء، مقتدياً بالأمور الشرعية.

وخلف سبع بنين وسبع بنات ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان

استقر الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان بن حسين في السلطنة بعد قتل أبيه في يوم الخميس، ثامن ذي القعدة، **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة**، وهو ابن ثمان سنين، وقبل له البيعة الأميرُ أقتمر الصاحبي الحنبلي النائب، وأُلبس خلعة الخلافة، واستمر بها إلى أن توفي في يوم الأحد، ثالث عشر صفر، سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، وكانت مدة مملكته أربع سنين، وثلاثة أشهر، ونصف.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان

استقر الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين في السلطنة بعد وفاة أخيه الملك المنصور علي، وأُركب من باب الستارة بخلعة الخلافة إلى الإيوان في صفر، **سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة**، وأقام بالملك سنة ونصف سنة وأياماً، وخُلع في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى وهو أول الجراكسة

هو أبو سعيد برقوق بن أنس بن عبدالله، الجهاركسي الأصل، وهو القائم بدولة الجراكسة، وهو أولهم، وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك ممن ملك الديار المصريـة، والثالث والعشرون ممن ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، والثامن ممن ملك مصر ممن مسَّه الرق، وهو من مماليك يلبغا العمري الناصري حسن ابن الملك الناصر محمـد بن قلاوون، ولي المملكة في الساعة السادسة من يوم الأربعاء، تاسع عشر رمضان، **سنة أربـع وثمانين وسبع مئـة**، وعمّر مدرسته بين القصرين، واستمر يدبر الأمر على أحسن الوجوه إلى أن قام عليه يلبغا الناصري، وخلعه من الملك، وسجنه بالكرك في شهر جمادى الآخرة، **سنة إحدى وتسعين وسبع مئة**، فكانت مدة سلطنته ست سنين، وثمانية أشهر، وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آلـه وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

* * *

سلطنة الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان[1]

استقر الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين

---

(١) كذا في الأصل، وقد سبق ذكر سلطنته قبل قليل بحروفها كما هنا.

في السلطنة بعد وفاة أخيه الملك المنصور علي، وأُركب من باب الستارة بخلعة الخلافة إلى الإيوان في صفر، سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، وأقام بالملك سنة، ونصف سنة، وأياماً، وخُلع في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية

قد تقدم أن الملك الظاهر برقوق لما خلع من السلطنة، جُهِّزَ إلى الكرك، وسُجن بها، ثم إنه أُطلق من السجن، وتوجه إلى دمشق، ووقع له أمور يطول شرحها، ثم إن الله تعالى نصره، وقوي أمره، ثم توجه نحو الديار المصرية، ودخلها يوم الثلاثاء، رابع عشر صفر، سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة، وجددت له البيعة، وجلس على تخت الملك الشريف، وأفرج عن يلغبا الناصري، وهو الذي أمسكه أَوَّلاً حين اختفى، وقابل إساءته بإحسانه، ثم حصل منطاش في قبضته، فقتله، وجرّس رأسه بالقاهرة، وعُلق بباب زويلة، وأبطل مكوساً كثيرة، وعمّر الجسر على الشريعة، وكان ذا غور ومكر، ودهاءٍ وذكاء وفطنة.

وتوفي بقلعة الجبل، ليلة الجمعة، خامس عشر شوال، **سنة إحدى وثماني مئة** عن ستين سنة، أو قريب منها، وكانت مدته في المرة الثانية تسع سنين، وثمانية أشهر، فكانت مدته في ولايته ست عشرة سنة،

وأربعة أشهر، وأياماً، ودفن بالحوش الذي بناه الخليلي عنـد أرجل الفقراء والفقهاء المدفونين بالصحراء بوصيته، وأوصى لها بثمانين ألف دينـار تُعَمَّر منها، ومهما فضل، يُشترى به لها أوقاف، وأن تعمل خانقاه وجامعاً ـ رحمه الله تعالى وسامحه، وعفا عنه ـ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الأولى

هو أبو السعادات فرج ابن الملك الظاهر برقوق، لما مرض والده، أوصى أن يكون السلطان بعده ولده أمير فرج المشار إليـه، فلما توفي في التاريخ المتقدم ذكره، طلع الخليفة والقضاة والأمراء إلى القلعة، وبويع له بالسلطنة، وجلس على سرير الملك، وعمـرُه اثنتا عشرة سنة، ولقب بالملك الناصر أبي السعادات في صبيحة يوم الجمعة، النصف من شوال، سنة إحدى وثماني مئة، وخطب باسمه في ذلك اليوم، ولما فرغوا من أمر السلطنة، جهزوا الملك الظاهر، وصلوا عليه، ودفنوه حيث أوصى به، واستقر الملك الناصر فرج في السلطنة.

* * *

ذكر وقعة تمرلنك

لما دخلت **سنة ثلاث وثمان مئة**: شاعت الأخبار أن تمرلنك حين عاد من بلاد الهند، بلغه وفاة الظاهر برقوق، فانسرّ لذلك، وأنعم على

مخبره بجملة كثيرة، وكان في نفسه من قتلِه رُسُلَه، ومن أَخْذِ ابن عثمان سيواس وملطية، وأَخْذِ السلطان أحمد بغداد.

فقصد بلاد الشام، ومعه من العساكر ما لا يحصى، فحضر إلى مصر مملوكُ نائب الشام، وأخبر بأن تمرلنك وصل إلى سيواس، وأن علي بن أبي يزيد بن عثمان صاحب الروم توجه هو وقرا يوسف بن قرا محمد، وأحمد بن إدريس إلى برصا، وتركوا البلاد لـه، فأخـذ سيواس، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً.

ثم تتابعت الأخبار بأن أوائل عسكر تمرلنـك وصل إلى عَيْنتاب، فاستدعى السلطانُ فرج ابن الملك الظاهر برقوق الخليفةَ والقضاة، وحضر أعيانُ الأمراء وأرباب الدولة، وذكر أن تمرلنك أخذ سيواس، وأن مقدمته وصل إلى مَرْعَش وعينتاب، والقصد أن يؤخذ من التجار ما يُستعان بـه على النفقة في الجيوش.

فقال القاضي كمال الدين: أنتم أصحاب اليد، وليس لكم معارض فيما تفعلوه، وإن كان القصـد الفتوى، فلا يجـوز لنـا أن نفتي بذلك، وهؤلاء فقراء، ويَدْعون للعساكـر، ومتى أُخـذ منهم شيء، تشوّشوا، ودَعَوا على الجيش، فقيل: نصيب الأوقاف نأخذه، ونستخدم به الأجناد البطالة.

فتكلم القاضي كمال الدين ـ أيضاً ـ كلاماً نافعاً، وجرى بينهم كلام كثير، وحاصل الأمـر أنهم اتفقوا على إرسـال الأميـر أسنبغا الدوادار؛ لكشف الأخبـار، وتجهيـز الجيوش الشامية لملاقاة من يأتي من جهـة

تمرلنك، ويمنعوهم من تعدية الفرات.

وأما أهل دمشق، فإنهم وطنوا على أهل الصالحية والقبيبات والقابون.

وفي [. . . .] منها، وصل الأمير أسنبغا إلى دمشق بأن تتجهز العساكر إلى بلاد الشمال، وعلى يده كتاب إلى الرعية بالقيام على تمرلنك، والتأهُّب لقتاله، وأنه بلغنا ما فعل بالمسلمين من القتل والأسر ودفن الأحياء، وأنا واصلون عقيب ذلك، فقرئ بالجامع على الناس بحضور القضاة والعلماء وحاجب الحجاب.

وفيه وصل إلى دمشق من حلب رسولُ تمرلنك، ومعه كتاب منه افتتحه بعد التسمية، وذكر أسماء المشايخ والأمراء والقضاة: يعلمون أنَّا قصدنا عام أول المجيء لأخذ القصاص ممن قتل رُسُلَنا بالرحبة، فلما وصلنا إلى بغداد، وبلغنا موته ـ يعني: الظاهر ـ، فرجعنا، وقصدنا الهند لمَّا بَلَغَنا عنهم ما ارتكبوه من الفساد، فأظفرنا الله بهم، ثم قصدنا الكُرُج، فقتلناهم كذلك، ثم قصدنا لمّا بلغنا قلةُ عقل هذا الصبي أبي يزيد ـ يعنى: ابن عثمان ـ أن نُفَرِّك بأذنه، ففعلنا بسيواس وبلادها ما بلغكم، ثم قصدنا بلاد مصر؛ لنضرب بها السكة، ويُذكر اسمُنا بها في الخطبة، ثم نرجع بعد أن نفني سلطان مصر منها.

وقال: إنا أرسلنا إليكم عدة كتب، ولم[1] ترسلوا لنا جواباً، ونحن

---

(١) في الأصل: «لا».

نعلم أنها تصل إليكم، فأرسلوا الجواب من كل بُدّ. هذا معنى الكتاب.

[. . . .] منها وصل إلى دمشق كُتُب النواب ورُسلهم مُجِدِّين إلى مصر، وأخبروا بأن تمرلنك نزل على قلعة بهسنا، وجاوزها إلى جهة حلب.

وفي يوم السبت حادي عشره كانت الوقعة، وكانوا قبل ذلك قد اقتتلوا يوم الخميس، وكان مع عسكر الشام عوام كثيرة مشاة، فانتصفوا منهم، وقاتلوهم يوم الجمعة، فقتلوا منهم وأسروا، فلما كان يوم السبت، اقتتلوا يداً واحدة، وحملوا على العسكر، فاقتتلوا يسيراً، وولَّوا الأدبار، ورجع العسكر إلى البلد، ودخل أولهم في آثارهم البلد، وكان العسكر لما رجعوا، داسوا مَنْ قُدَّامَهم من المشاة، وصعِد النواب والأعيان القلعة، ومنهم من لم يدرك، فدُلِّيت لهم الحبال من السور، ومنهم من هرب راجعاً على وجهه لا يدري أين يذهب، ولما دَخل التتار البلد، أخذوا في النهب والحريق والأسر، وصار من هرب من العسكر يجيئون في أسوأ حال؛ قد نقبت أقدامهم من المشي، وأُخذت ثيابهم، ودخلوا البلد على هذه الحالة.

وقال بعضهم: ورأيت في تواريخ المصريين: أنه وصل أقبعا دوادار الأمير أسنبغا الدوادار، وأخبر بأن تمرلنك ترك على الباب حراساً، وأن نائب طرابلس خرج، ومعه نحو سبع مئة فارس، فخرج إليه من عسكر تمرلنك تقدير ثلاثة آلاف فارس، فرموا عليهم بالنشاب، فأخذوه في طوارقهم، وزحفوا عليهم، فرجعوا القهقرى إلى مَدًى بعيد، ثم إن أحد

الفرسان من الشاميين برز بين الصفين، فخرج إليه واحد من التتار وعليه زردية، واعترك الفارسان ساعـة على الخيل إلى أن وقعا على الأرض، فحمل العساكر الشامية، فقتلوا التتري، وخلَّصوا صاحبهم، فحمل التتر، واعتركوا هم وإياهم، فقبضوا من التتر أربعة أنفس، ورجعت كل طائفة إلى مكانها، وربطوا التتر الأربعة، وعلقوهم.

وأخبر بعضُ من حضر الوقعة: أن الأمير أزدمر أخا أينال اليوسفي، وولـده أشبك حملا في عسكر التتار، وشوهد من شجاعتهما وقوتهما وصبرهمـا أمـر عظيم، حتى قيل: إنهما وصـلا إلى قريـب من مكـان تمرلنك.

فأما الأمير أزدمر، ففُقد، ولم يُعلم خبره، وأما ولده، فإنـه أبلى فيهم بلاء عظيماً، ولما أُثخن بالجراحات، وقع إلى الأرض، وفيه ستة وثلاثون ضربة.

ولما انقضت الحرب، أُخبر تمرلنك بمكان أشبك بن أزدمر، فأمر بإحضاره، فوجدوه وقـد أشرف على الموت، فأمر بملاطفتـه ومداواة جراحاته، فلما برئ، قَرَّبه تمرلنك، وأدنـاه؛ لما رأى من شجاعتـه، واشتهر عنده وعند جماعته، ثم إنه هرب منه، ورجع إلى الشام، ووصل إلى مصر.

وكان لما نزل تمرلنك عينتاب، أرسل إلى دمرداش نائب حلب يَعِدُه بالاستمرار على نيابته، ويأمره بمسك نائـب الشـام، فقدِم الرسول إلى حلب، وأحضر بين يدي نواب البلاد، وكان معهم من العساكر نحو ثلاثة

آلاف فارس، وكان عسكر الشام نحو ثمان مئة فارس، والآراء مغلولة، والعزائم مجلولة، فبلَّغ الرسول الرسالة إلى نائب حلب، فأنكر ذلك، وزعم أن ذلك حيلة دبرها تمرلنك ليفسد بينهم، وضرب عنق الرسول.

وفي يوم الخميس تاسع الشهر نزلوا على حلب، وأحاطوا بها وسألوا القتال، فلما طلعت الشمس يوم السبت، برز عسكر حلب ومن اجتمع إليهم من العساكر، ومعهم خلق كثير من العامة، وهم مجتمعون في الظاهر، ولكن قلوبهم متفرقة، وأمراؤهم مختلفة، فوقف نائب الشام في الميمنة، ودمرداش في الميسرة، وبقية النواب في القلب، وركب تمرلنك، وأقبلت جموعه حتى بهر الأبصارَ كثرتُها، وسدَّت الآفاق عِدَّتُها، فاقتتلوا يسيراً، ودافع نائب دمشق وطرابلس مدافعة كبيرة، فلم يغن شيئاً بالنسبة إلى من دهمهم من العساكر، فما كان غير ساعة حتى دهمها خلق كأمواج البحر المتلاطم، فولَّوا على أدبارهم ناكِصين، وأقبلوا نحو البلد منهزمين، وقتلوا في رجوعهم خلقاً كثيراً من المشاة، حتى صارت القتلى على الأبواب ما يزيد ارتفاعه على قامة، ودخل النواب إلى القلعة، ودخل معهم كثير من الناس، ودخل التتار المدينة، وحصل بهم فساد كبير سفكاً وأسراً، وأضرموا فيها النار، وكان قد نزل بالجامع والمساجد الجمُّ الغفير من النساء والمخدَّرات، فربطوهن بالحبال، وأسرفوا في قتل الأطفال، وكانوا لا يستحيون من الزنا في المساجد بحضرة الجمِّ الغفير، وانتُهكت الحرمات حتى صار المسجد كالمجزرة؛ لكثرة ما فيه من القتلى، وأكثروا من شرب الخمر والزنا بالأحرار العفائف، وشرعوا

في نقب القلعة، ورَدْمِ خندقها.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر نزل دمرداش في طائفة يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، وخلع عليهم أقبية وتيجاناً على عادتهم، وأرسل خلقاً من أصحابه، فاستنزلوا من بالقلعة كل نائب وطائفته، فوضعوا كل رجلين في قيد، ووكلوا بهم من يحفظهم، وأشخص النواب بين يديه، فعنفهم، وأشبعهم توبيخاً وتقريعاً، ثم وكل بهم، وقدمت إليه النساء والصبيان وطرائف الأموال، ففرقها، وأقام بحلب نحواً من شهر، وأصحابه يُفسدون ما أمكنهم، ثم رحل عنها، وجعلها دكًّا.

وفي الأربعاء نصفه، وصل الخبر إلى دمشق، فنادى الحاجب بذلك، وأمر الناس بالتحول إلى البلد، والاستعداد للعدو، فاختبطت البلد، ثم نودي بخروج السلطان من القاهرة، وتطييب خواطر الناس، ووصول بعض العسكر، وانجفل أهل حماة وتلك النواحي إلى دمشق، ومُنع الناس من السفر من دمشق، وكان ذلك من أسوأ الآراء، واستعدوا للحصار.

وفي الأربعاء ثاني عشرينه وصل الخبر إلى دمشق بأخذ قلعة حلب، وأن رسول تمرلنك واصلٌ معه كتبُ النواب بتسليم دمشق، وأن لا يقاتلوا، فهمَّ الحاجب بالهرب، فقام عليه العوام، وهموا بقتاله، فأقام، وسافر جماعة من الناس خفية، ونادى نائب الغيبة بأن أحداً لا يشهر سلاحاً، وتسلم البلد للتتار بالأمان، ونادى نائب القلعة بالاستعداد لقتاله، ومن أراد سلاحاً، فليأخذ من القلعة.

ووصل الأمير أسنبغا إلى دمشق، ومعه جماعة، وقاصد تمرلنك، وأخبر عن كيفية الوقعة وأخذِ القلعة، وأنه نزل نائب حلب من القلعة إلى تمرلنك، وأخذ الأمان للنواب.

وفي يوم السبت خامس عشرينه وصل الخبر إلى القاهرة، فركب القضاة والشيخ سراج الدين البلقيني، والأميران: إقبال حاجب الحجاب، ومبارك شاه الحاجب الثاني، وبادرا بالتأهب لقتال تمرلنك، وذكروا ما حلَّ بأهل حلب.

وفي يوم رابع ربيع الآخر وصل إلى القاهرة الأمير أسنبغا الدوادار، وأخبر بالوقعة، وأخذِ حلب وقلعتِها باتفاق مع دمرداش نائب حلب، وذكر كثرة العساكر الذين مع تمرلنك، فنسبوه إلى الميل إلى تمرلنك؛ لأن أصله أعجمي، وكان أسنبغا لما رجع إلى دمشق، قال للحاجب: خلِّ الناس يسافروا، ومن قدر على ثمن متاع يمشي به، يخرج، فلم يسمع الحاجب منه، ونسبوه إلى غرض أيضاً.

ويوم الأحد المذكور خرج السلطان إلى الريدانية متوجهاً إلى قتال تمرلنك، وخرج معه الخليفة والقضاة ـ خلا الحنفي؛ فإنه كان ضعيفاً، والقاضي ولي الدين بن خلدون وهو معزول، والشيخ محمد المغيربي ـ، واستقر نائب الغيبة الأمير تمراز، فأقام عنده جماعة من الأمراء، وكان منهم الأمير أرسطاي بعد أن أفرج عنه مع الأمير سودون قريب السلطان، وتمراز اختار المقام بالإسكندرية بطالاً، فلما توفي الأمير فرج ابن الأمير سالم الحلبي، رسم السلطان ـ وهو بالريدانية ـ أن يستقر

المذكور في نيابتها.

وفي يوم خامس عشره صح وصول تمرلنك إلى حماة، وأرسل طائفة من جيشه إلى حمص، فدخلوها بالأمان، وخلع السلطان في الطريق على تغري بردي بنيابة دمشق، وأقبغا الجمالي بنيابة طرابلس، وتمربغا المحلي بنيابة صفد، وطولوا بن علي شاه بنيابة غَزَّة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وصل إلى دمشق مبارك عبد القصار مخبراً باقتراب السلطان، ورجع معه جماعة ممن كان انجفل إلى الرملة وغيرها، فلما وصل الشاليش إليها، اطمأنت خواطرهم، ورجعوا.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه وصل إلى دمشق نائب حلب دمرداش فاراً من تمرلنك في جماعة يسيرة، ولاقاه الحاجب، وتوجه إلى السلطان.

وفي اليوم المذكور وصل إلى دمشق كثير من أهل بعلبك والزبداني بنسائهم وأولادهم ودوابهم، وأخبروا بوصول ابن تمرلنك إلى بعلبك.

ثم عاد تمرلنك إلى حمص، وفي أول جمادى الأولى وصل مبادي الجاليس المصري.

وفي يوم رابعه بكرة النهار لم يفجأ الناس إلا شاليش تمرلنك، وقد أشرفوا على البلد من قبة سَيَّار، وقبة الشيخ خضر، فلما رآهم الناس، انذهلوا، وازدحموا على الدخول من باب النصر ـ ولم يكن باب مفتوح غيره ـ، فمات في الزحمة جماعة، وخرج إليهم حاجب الحجاب،

والأمير أسنباي، وقاضي القضاة، ومعه خلق قد استخدمهم، فلما رأوهم، رجعوا هاربين.

وفي يوم سادسه دخل شاليش السلطان إلى دمشق مع ستة مقدمين: بيبرس قريب السلطان، ونوروز الحافظي، وبكتمر الركبي، وأقباي الطريفاي، وأينال باي من قجماس، ويلبغا الناصري، ودخل معهم الأمير تغري بردي وهو مخلوع عليه بنيابة الشام

وفي يوم ثامنه وصل السلطان إلى قبة يلبغا، وقد ملؤوا الأرض، وهم في غاية الكفاية من الملبوس والخيول، فنزل السلطان بقبة يلبغا إلى قرب المغرب، ودخل إلى القلعة، وبات بها، وكان يوم الخميس بعد أن دخل غالب العسكر إلى دمشق، نزل من تمرلنك جماعة إلى السلطان، فركب العسكر إليهم، فقتلوا من التتار جماعة، وأسروا جماعة، ورجع التتار في أسوأ حال.

وفي يوم الأحد طلعت العساكر إلى قبة يلبغا، وأرسلوا يكشفون خبر تمرلنك أين هو نازل؟ حتى يركبوا عليه، فوجدوه نازلاً عند قطنا، وقد حفر حول عساكره خندقاً، وبنى سوراً قريب قامة ونصف، فبقي العسكر كل يوم يركبوا إلى قبة يلبغا من بكرة النهار إلى المغرب، ثم يرجع السلطان والمماليك، وكل ليلة الكشف على أمير من الأمراء إلى بكرة [ثم] يدخل، وتطلع العساكر.

وفي يوم ثاني عشره جاء من جماعة تمرلنك شاب أمرد حسن الشكل اسمه حسين بهادر، فقال: إنه ابن بنت تمرلنك، وقيل: إنه مقدم

ألف، وعلى رأسه تاج جاء طائعاً، فعظَّمه السلطان تعظيماً كثيراً، ونزل عند ناظر الجيش ابن غراب، وأخبرهم عن تمرلنك وعن عساكره ما أزعجهم؛ من كثرة العساكر، وعدة الطوائف الذين معه، وكان إرسال المذكور خديعة من تمرلنك.

وفي يوم ثامن عشره نزل جماعة مستكثرة نحو ألف فارس من عسكر تمرلنك، فتقدم إليهم بعض المماليك، والأمير أسنباي، ومعهم جماعة دون المئة، ووقعت بينهم حرب شديدة، وقُتل وأُسر من التمرية جماعة، وحصل في قلوب التمريَّة منهم الرعب، لما رأوا واقعة المماليك الذين واقعوهم، وما حصل بينهم من الشر.

وفي يوم تاسع عشر الشهر توجه العدوّ المخذول، وقطع الدرب صوب البرية، فتبعه بعض العساكر، وكان السلطان نازلاً بقبة يلبغا، فرجع العدو المخذول، واتفقوا، وانكسرت العساكر إلى أن رجعوا إلى السلطان عند قبة يلبغا، فأمد الله تعالى السلطان ومماليكه، وكسروهم إلى أن طالعوهم إلى العقبة، وحال الليل بين العسكرين، وقتل في ذلك اليوم خلائق من العوام والفرسان، وجرح في هذا اليوم القاضي برهان الدين الشاذلي، وبات ملقى على الأرض بقبة يلبغا تلك الليلة، ثم حمل من الغد إلى دمشق، فمات بها.

[. . . .] المذكور نزل العدو المخذول بعساكره على قبة يلبغا، وأصبح السلطان والعسكر طلعوا إلى بئر الأعمى، وبقيت القبة بينهم، واستمروا ذلك اليوم يرى بعضهم بعضاً، ولا يقرب أحد منهم إلى الآخر،

إلى أن أمسى المسـاء، ودخـل السلطان القلعـة، وبقي بعـض الأمـراء والعساكر مكانهم، فلما كان ثلث الليل الأخيـر، خرج السلطان، ومن عَلم به من الأمراء والمماليك، ومن التجار والعوام، واختلفوا في الدروب، وأحس بهم العـدو المخذول، فتخطفوهم، وذهـب السلطان على قبـة سيار، وأحاطت التمريَّة بالبلد، وهم كالجراد المنتشر، فخرج من كان بدمشق من المماليك؛ ظناً منهم أن العساكر خرجـت تدور من خلفـه، وخرجت العوام، وقاتلوهم، وقتلوا منهم جماعـة، وقاتل أهل البلدين على الأسوار، ثم اجتمع رأي الناس على أن يخرج إليه الشيخ تقي الدين ابن مفلح، والشيخ أبو يزيد البسطامي المجاور بالزاوية بالغزالية، فخرجا إليه، ومعهما المصاحـف، وجماعـة من الناس خرجـوا من سور باب الصغير، فتلقوهم بالقبول والوجه الطلق، وفرح ولد تمرلنك الكبير فرحة عظيمة، وقال: الحمد لله الذي حقنتم دم أهل دمشق، وقال لهم: غداً اطلعوا إليه بضيافة.

فأصبحوا [. . . .] عملوا ضيافة: شواء، وحلوى، وبقج قماش، وبقج فرو، من كل صنف تسعة، وقالوا: عادة الملوك أن يقدم لهم من كل شيء تسعة تسعة، فلما طلعوا بالتقدمة، أعجبته، وكتب أماناً لأهل دمشق، قرؤوه على السدة، وفيـه: أنهم آمنـون على أنفسهم وأموالهم وحريمهم، ونحو ذلك، وكان ممن خرج إليه ذلك اليوم: القاضي شمس الـدين النابلـسي الحنبـلي، والقـاضي محيي الـدين بن العِـزّ الحنفي، والقاضي تقي الدين بن مفلح، ورجعوا وعليهم الخِلَع.

وحكى قاضي القضاة ابن العِزّ الحنفي: أن تمرلنك أحضر إليه القاضي شمس الدين المناوي ممسوكاً، فأهانه إهانة عظيمة، ومنعه من القعود، ونقم عليه أنه نادى بقتاله، وعظَّم القاضي وليَّ الدين بن خلدون؛ لأنه ماشى تمرلنك في فتوحاته، وغير ذلك، وطلب منه أن يكتب له صفة بلاد المغرب ومياهها، ومن بها من قبائل العرب.

[. . . .] بُكرة النهار أرادوا أن يفتحوا باباً من أبواب البلد، فقال لهم نائب القلعة: لا تفتحوا باباً قريباً من القلعة، فاتفقوا على فتح باب الصغير، وكان تمرلنك أرسل مراراً إلى السلطان يطلب الصلح.

وأن سبب رجوع السلطان: اختلاف الأمراء والمماليك عليه، وأن [. . . .] تاسع عشره اختفى جماعة من الأمراء ومماليك السلطان، فمن الأمراء: سودون الناصري الطيار، وقاني بيه العلائي، وجمق أمراء دمشق وغيرهم، وجماعة من الخاصكية، فوقع الاختلاف بين الأمراء والمماليك، وأُشيع بينهم أن الأمراء اختلفوا، ومن معهم من المماليك توجهوا إلى الديار المصرية ليأخذوها، فوقع الوهن في العسكر بسبب ذلك.

فأشير على السلطان بالرجوع، فذهب على عقبة دمر، وذهب إلى صفد، فأخذوا نائب صفد معهم، وذهبوا إلى غزة، فلحقوا الأمراء الهاربين: سودون الطيار، ورفقته، ثم إن السلطان أقام بغزة أياماً حتى تلاحق به بعض المنقطعين، ثم توجه إلى مصر.

ولما فتح باب الصغير، نودي في السقطية أن يكفوا عن القتال، وعسكر تمرلنك فيه خراسانية، وهم أهل المدن: سمرقند، وهمدان،

وأصبهان، وغيرها، وشقطية، وتركمان البلاد، والدشارية، وغيرهم، وأرسل إلى دمشق نائباً يقال لـه: شـاه ملك، فجـاء، ونزل خارج باب الصغير، وولَّوا صدقةَ بن خليل الحسامي حاجبَ الحجاب، وعبد الرحمن التكريتي شـاد الـدواوين، وعبـد الملك ولايـة المدينـة، وخلع عليهم تمرلنك، وكذلك على قاضي القضاة محيي الدين بن العزّ بقضاء القضاة، والخطابة، ومشيخة الشيوخ، والأنظار المضافة إلى القضاء؛ فإن تمرلنك يعظم الحنفية، وكذلك خلع على القاضي شمس الدين النابلسي بقضاء الحنابلة، وعلى القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب بكتابة السر، وعلى شهاب الدين بن الشهيد بالوزارة، وسكن صدقة بدار الذهب، والقاضي الحنفي بدار الخطابة.

[. . . .] كان عسكر تمرلنك يدخلون البلد، ويخرجون ويشترون، وتضاعـف على الناس ما كـان طلب منهم، وكان ذلك الوفا قصـر عن ضبطها الحوادث الجزئية، وأما الكلية، فأمرٌ اشترك في معرفته الخاص والعام، من حضر وغاب.

وفي الثاني من الشهر المذكور وصل بريدي إلى مصر: أنّ الأمراء والمماليك بينهم اختـلاف، وأنهم رجعـوا إلى مصـر هاربين، فخـرج الأستادار إلى لقاء السلطان، وأخـذ معـه خيولاً وخياماً وقماشاً، وغير ذلك.

وفي يوم الخميس خامسه وصـل السـلطان إلى مصـر، وصحبتـه الخليفة والأمراء، ونائب الشـام، وحاجب الحجاب، ونائـب صفـد،

ونائب غزة، ووصل مع السلطان تقدير ألـف مملوك، وحضر الأمراء، ومع كل أمير مملوك واحدٌ أو اثنان، وبعضهم وحـده ليس معـه أحـد، وليس معهم قماش ولا خيام، ولا برك ولا عـدة؛ فإنهم تركـوا جميـع ما كان معهم بدمشق، ونجوا بأنفسهم

وفي يوم الجمعة سادسه حضر القاضي محيي الدين بن العزّ الحنفي بالخانقاه السُّميساطية على قاعدة القاضي الشافعي، وحضر معـه القاضي الحنبلي، وحاجب الحجاب، ومن كان في دمشق من الحنفية، ثم عاد إلى بيت الخطابة، وخطب يومئذ بالجامع، ودعا للسلطان محمد قان، ثم للأمير تمر، ثم لولي العهـد محمـد سلطان، وأقام القاضي الحنفي ببيت الخطابة، وباشر نظر الأوقاف المتعلقة بالقاضي الشافعي.

هذا والتمريَّـة محاصرون القلعـة، ونهبوا بَرَّ المدينـة، وأحرقوه، واستأسروا من الأولاد والحريم والرجال خلقاً كثيراً، وأحرق باب القلعة إلى حائط العادلية الكبرى، إلى نصف الطريق بين السورين، وبين الناحية الأخرى إلى الصمصاميـة إلى المارستان وحـارة الغربـاء، ونصبوا على القلعة مناجنيق، وحذَافات، ومدافع كثيرة، وشرعوا في النقوب، وبنوا قلاعاً مقابل القلعـة، وطلب جميـع ما في دمشـق من الخيـل والجمال والبغـال التي للمصـريين والغيـاب، ونـودي: أن من أخفـى من ذلـك شيئاً، شنق.

ثم إن المباشرين طلبوا أعيان أهل البلد، وقالوا لهم: اشترينا البلد بمال، وشرعوا يجبون من الناس، ويعاقبونهم ثم أضعف ذلك أضعافاً

كثيرة وأخذ المباشرون لأنفسهم أموالاً كثيرة وضربوا الناس حتى تعدى ذلك إلى الفقراء وأهل العلم، ومن امتنع مما وجب عليه، رسم بشنقه.

وكان تمرلنك في تلك الأيام ينادي بالأمان، ومنع أحداً من الشقطية أن يدخل البلد، بل كان يمسك أراذل الشقطية ممن يفسد، ويفكر في موضع من البلد عالٍ بظهر يظهر أنه مشنوق.

وكان تمرلنك قد أرسل شخصاً من جهته، فكان يتسلم الأموال من المباشرين، وكان صدقة بن الحسامي في هذه المدة قاعداً في دست النيابة؛ فإنه كان يقعد على حافة الإيوان، ويقعد قدامه كاتب السر، وعن يمينه القاضي الحنفي، وتحته الحنبلي، والوزير والموقعون في بقية الحلقة.

ثم انتشر الجور، وتناهوا في الظلم، وفقد الناس القوت، ولم يَر أحد بعد توجه السلطان خبزاً في فرن يباع، وغلا القمح والشعير؛ فإنهم لما تسلموا البلد، ختموا على جميع الحواصل التي بأيدي الناس الغائبين والحاضرين، وكان القمح يُباع الغرارةُ بثلاث مئة وستين، ثم وصل في مدة يسيرة إلى ألف وأربع مئة، واستمر الأمر على ذلك، ولا يجسر أحد يبيع هذا إلا بالليل، أو في خفية، وهم يأخذون حواصل، ويبيعون ذلك، وغالباً البضائع لا توجد، وصارت الفلوس تقبض الخمسة بدرهم فضة، وهلك الفقراء، وبقي الإنسان لا يقدر يمشي من كثرة الأموات، وعجز الناس عن دفنهم.

وكبسوا الخانات والأسواق والمدارس، وغيرها، وسلموا كل حارة

لواحد من أمراء التتار، ودخلوا يعاقبون الناس لاستخلاص ما في أيديهم، وذلك في [. . . .]، وكان نائب الشام قد نزل بالجامع، وانتهك هو وجماعته حرمته، وفعل فيه ما لا يفعل في الكنائس، وأغلقوا أبوابه غيرَ باب الزيادة، يخرج فيه ويدخل.

وفي يوم الأربعاء آخر رجب عمَّ الحريق والأسر والنهب، وكان تسليم القلعة إلى تمرلنك يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة، ولم تقم الجمعة في الجامع الأموي إلا مرة واحدة، وهي الجمعة الأولى من استيلاء التتار على البلد، ثم نزل فيه نائب الشام، وفي أوائل مقامه بالجامع أُقيمت جمعتان في شمالي الجامع، شهدهما القليل من الناس، ثم تعطلت الجمعة بعد ذلك من الجامع، وكان أهل القلعة سلموا بأمان بعد تسعة وعشرين يوماً من الاستيلاء على البلد.

وفي يوم سلخ رجب دخل البلد من عسكر التتار خلق لا يحصى عددهم، فنهبوا ما بقي من المتاع، وسبوا النساء والصبيان، وأسروا الرجال، وألقوا الأطفال، وأضرموا في البلد النار، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، ورحلوا، وكانوا قد وصلوا إلى بلاد أذرعات، وحاولوها إلى طرف بلاد السواد، ووصلوا إلى جبل بني هلال، وحاصروا الناس في الحصون والمحامي، وهلك في المحامي من الحراس نحو أربع مئة وخمسين نفساً، وبموضع آخر خلق، وأخذوا الدواب والخبايا.

وجاء مماليك السلطان الذين تأخروا عنه إلى مصر جماعةً بعد جماعة، حفاةً عراة، وجاء منهم جماعة في البحر من السواحل، وكان

مَنْ جاء منهم إلى نائب غزة منهم يعطيه ما يستتر به على قدر حاله، وأعطى السلطان لكل من المماليك الذين حضروا ألف درهم، وحضر - أيضاً - قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي.

[. . . .] من السنة كبس نائب غزة المذكور بيت نوبا وغيرها على العشران الذين نهبوا الرملة، فوسط منهم ستين نفساً.

وفي الشهر المذكور وقع بَرَدٌ قدر الجوز والبيض لم يُر مثلُه قط، ووُزِنَتْ منه واحدة، فكانت سبعاً وعشرين درهماً.

[. . . .] ثالث شعبان توجه تمرلنك راجعاً إلى بلاده، وتأخر بقايا من عسكره بعده بيومين، وكان من تأخر، يمر على جمع كثير، فيأخذ ما أراد من النساء والصبيان، ولا يقدر أحد على دفعه؛ مما حصل عندهم من الخوف والجبن، وخرج الناس من هذه الوقعة كالأموات الذين خرجوا من قبورهم، ولم يجدوا ما يأكلون، فأكلوا الجراد، وكسدت الفلوس، فكان يصرف الدرهم بثلاثة أو أربعة، واحترق كثير من البلد بعد رحيلهم؛ لعجز الناس عن طفيه.

[. . . .] شعبان وصل إلى القاهرة الأمير سيف الدين شيخ، الذي كان نائب طرابلس، وكان قد وقع في أسر تمرلنك، ثم هرب منه، ووصل إلى طرابلس، ثم ركب في البحر إلى مصر، فخرج الأمراء إليه، وتلقوه، وأرسلوا إليه الخيل بالسّروج المغرقة، والقماش والذهب والفضةِ، وغير ذلك.

[. . . .] شعبان وصل دقماق المحمدي نائب حماة، وكان وقع

أيضــاً في الأسر، ثم تخلص، ثم وصل من القاهــرة تغري بردي نائــب دمشق، وبقية النواب إلى محل ولاياتهم، والأمراء والأجناد، لما تحققوا رحيل تمرلنك وعساكره من البلاد الشامية.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعــدة أخــذ تمرلنك بغداد، وكان قد وصل إليها في أواخر شوال، وحاصرها إلى أن أخذها، وبذل السيف فيها ثلاثة أيام، يقتلون الرجال، ويأسرون النساء والصبيان، ثم بعد ثلاثة أيام رسم تمرلنك لقومه أن يأتيه كل واحد برأس، فشرعوا في قتل الأسارى ومن وجـدوا، فأحضروا نحـو مئـة ألـف رأس، فلما حضرت الرؤوس، بنوها مواذن نحو الأربعين، وثبتوها بالحجارة والآجر، وجعلوا الرؤوس دائرة عليها، ثم أمر بهدمها، فهدمـت، وخربوا كثيراً من بغداد.

وكان أصل تمرلنك المذكور من سمرقند، ولد بضواحي كش من أعمال سمرقند، مسيرة يوم عنها، وقيل: كان أبوه أحد وزراء تلك البلاد، فنشأ لبيباً حازماً جَلْداً، وصار معه رفقة لـه يقطع الطريق، وجاءه سهم في رجله، وآخر في كتفه، فبطل نصفه، ولم يزل تتنقل به الأحوال إلى أن استولى على مملكـة خراسان، ثم قصد سجستان وأخربهـا؛ بحيث لم يُبق بها حجراً ولا مدراً، ثم استولى على عراق العجم، وقتل في ساعة واحدة من ملوك العجم سبعة عشر نفساً، واستولى على بلاد فارس، ثم قصد مدينة أصفهان، وهي من أكبر المدن، فقاتله أهلها، فقتل في يوم واحد منهم نحو مئة ألف، أو يزيدون، وجمع الأولاد في مكان، وداسهم

بالخيل، ثم قصد بلاد الدشت، وتختَ مملكتها، فواقعـوه، فكسرهـم، وخرَّب بلادهم، ثم توجه إلى بغداد، واستولى عليها، وأخربها، ثم ذهب إلى بلاد الهند، وكسرهـم، وقتلهم، واستولى على بلاده، ثم إن صاحبها أرسل إليه، وطلب رضاه، فلم يخرب من بلاده شيئًا، وجاءَ الخبر بموت الملك الظاهر برقـوق، فرجـع، وتوجـه إلى بلاد الشام، فأخربها، ثم ذهـب إلى بلاد الـروم، فكسر عسكرهـا، وأسـر ابن عثمان، وأخرب بلاد الروم.

وبالجملة: فقد قتـل من الخلق، وأخـذ من الأمـوال، وأخـرب وأحرق من البلاد ما لا يعلمه إلا الله.

وقيل: إن بين استقلاله بالإمرة ووفاتـه نيفاً وثلاثين سنة، وقيل: إن بعض جداتـه رأت مناماً، فعبر لها بأنها تلد رجلاً يملك البلاد، ويقهـر العباد.

وتوفي بسمرقند في رابع رمضان، سنة سبع وثمان مئة.

وتيمور هو: الحديد بالتركي.

[. . . .] الملك الناصر فرج بن برقوق أنه استمر سلطاناً مدة، ونزل الشام مراراً، ووصل لحلب مرتين، واستمر سلطاناً إلى **سنة ثمان وثمان مئة**، ففتك في مماليك أبيـه، فاختلفوا عليـه، واتفق مَنْ بالقاهرة على خلعه، فخُلع، واختفى بالقاهرة في السنة المذكورة.

* * *

سلطنة الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق

لما خلع الملك الناصر فرج بن برقوق، تسلطن أخوه عبد العزيز، ولقب بالملك المنصور، وأقام في السلطنـة نحواً من شهرين وتسعة أيام، ثم ظهر أخوه، وانتصر، وأمسك أخاه وغيره، وكان آخر العهد بهم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية

عاد الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق إلى السلطنة الشريفة يوم الاثنين، سابع جمادى الآخرة، سنة ثمان وثمان مئة، ثم امتد أمره إلى أن وقع الخلف بينـه وبين الأمير شيخ ومَنْ معـه، وهو يومئـذ بدمشق، واضمحل أمره، وتحصن بقلعة دمشق، ثم لما ضاق عليه الأمر، واشتد الحصار، طلب منهم الأمان، فأمنـوه، فلمـا نـزل إليهم، اعتقلـه شيخ ونوروز، وذلك في صفر، **سنة خمس عشرة وثمان مئة**، واستفتوا عليه، وقتلوه في ليلة السبت سابع عشر صفر المذكور، ودفن بمقابر المسلمين بدمشق.

وكانت مدته الأولى إلى أن خلع ستَّ سنين، وأربعة أشهر، وثلاثة عشر يوماً، والثانية إلى حين وفاتـه ست سنين، وثمانية أشهر، وعشرة أيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي الفضل بن المتوكل على الله العباسي

أبو الفضل العباس ابن المتوكل على الله العباسي، اجتمع عليه الأمراء بعد هروب الملك الناصر، وبايعوه بدمشق في يوم السبت، خامس عشر من المحرم، **سنة خمس عشرة وثمان مئة**، وتوجه إلى مصر في ربيع الأول منها، ثم خلع في مستهل شعبان من السنة المذكورة، فكانت مدته ستة أشهر، وخمسة أيام، وتوفي بالإسكندرية بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

سلطنة الملك المؤيد شيخ بدمشق

هو أبو النصر سيف الدنيا والدين، شيخ الملوك والسلاطين، قدم من بلاده إلى مصر سنة اثنتين وثمانين وسبع مئة صحبة أنس والد السلطان الملك الظاهر برقوق، وعمره ثلاث عشرة سنة، وخالط الفقهاء، وسمع من الشيخ سراج الدين البلقيني «صحيح البخاري»، وغيره، وتنقَّل عند أستاذه إلى أن صار أمير طبلخانة، وحج بالناس سنة إحدى وثمان مئة، ولما عاد، أُعطي تقدمة، وتولى طرابلس وهو شاب، ووقع بعد ذلك بمدة يسيرة في أسر تمرلنك، ثم هرب منه من دمشق، وذهب إلى مصر،

فأعيد إلى نيابة طرابلس، ثم ولي نيابة دمشق في ذي الحجة، سنة أربع وثمان مئة، ووقع لـه وقائع كثيرة إلى أن توجه إلى مصر مع الخليفة في ربيع الأول، سنة خمس عشرة وثمان مئة، وتمكن وتسلطن في شعبان من السنة المذكورة.

وكان نوروز بالشام، فأظهر الخلاف، فقدم المؤيـد شيخ دمشق في أوائل سنة سبع عشرة، فكسر نوروز ومَنْ معـه، وحصرهم بالقلعة، ثم نزلوا إليه طائعين، فقتل غالبهم، وتوجه إلى حلب، ثم عاد إلى مصر، وشرع في عمارة المؤيدية بباب زويلة في سنة ثمان عشرة، ثم سافر إلى دمشق بعد ذلك مراراً، وذهب إلى بلاد سيس، وفتح مدناً وقلاعاً.

وكان يحب العلماء، شجاعاً مقداماً، شكلاً حسناً، وأعجله الشيب، وكان يحب سماع كلام العلماء بين يديه في العلم، ويفهم جداً، ويسأل، وكان السبب في عمارة دمشق وطريق الحجاز، وكان يتصدق على الفقهاء والفقراء كثيراً، مع أنه كان ماسكاً.

وبالجملة: فكان خليقاً بالمُلك، ولكن كان فيه طمع، وتطلُّع إلى أموال الناس، توفي في يوم الاثنين، تاسع المحرم، **سنة أربع وعشرين وثمان مئة**، ودفن بالمؤيدية، وكانـت مدة ملكـه ثمان سنين، وخمسة أشهر، وأياماً ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

سلطنة أبي السعادات أحمد ابن الملك المؤيد

هو أبو السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ، استقر في السلطنة يوم وفاة أبيه وعمره سنة واحدة، وثمانية أشهر، وسبعة [أيام]، ثم خُلع في شعبان سنة أربع وعشرين وثمان مئة، فكانت مدته سبعة أشهر، وستة عشر يوماً، وتوفي بالإسكندرية بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الظاهر ططر بن عبدالله الظاهري

هو سيف الدين أبو الفتح ططر بن عبدالله الظاهري، كان من مماليك الملك الظاهر برقوق، استقر في السلطنة بعد الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ في يوم الجمعة، تاسع عشرين شعبان، سنة أربع وعشرين وثمان مئة، واستمر بها إلى أن مرض، وتوفي يوم الأحد، رابع ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وثمان مئة، وكان ملكاً خيِّراً، يحب العلماء ويكرمهم، ويشاركهم في الفقه، ويميل إلى العدل، وكانت مدته ثلاثة أشهر وأياماً.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الصالح محمد ابن الملك الظاهر ططر

هو محمد ابن الملك الظاهر ططر، استقر في السلطنة في يوم موت أبيه، وعمره يومئذ نحو عشر سنين، ثم خُلع، فكانت مدته ثلاثة أشهر وأياماً، وتوفي بقلعة الجبل بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة الملك الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري

هو أبو النصر برسباي بن عبدالله الدقماقي الظاهري، من عتقاء الملك الظاهر برقوق، استقر في السلطنة بعد الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر في يوم الأربعاء، ثامن عشر شهر ربيع الأول من شهور سنة خمس وعشرين وثمان مئة.

وكان ملكاً عظيماً، ما اتفق بعد لملك ما اتفق له؛ من تمكن الدولة، واستمرار السعادة، وبنى مدرسته المشهورة بالقاهرة، وسافر إلى آمد في شهر رجب، سنة ست وثلاثين وثمان مئة، وعاد منها، ودخل القاهرة في المحرم سنة سبع وثلاثين وثمان مئة، وفي أوائل دولته عُزل الشيخ ولي الدين العراقي من قضاء الشافعية بالديار المصرية، وولي عوضه قاضي القضاة علم الدين صالح البُلْقيني، ثم عَزَله، وولَّى قاضي القضاة شيخَ الإسلام شهابَ الدين بنَ حَجَر العسقلاني ـ تغمدهم الله برحمته ـ.

وكان قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي من أخصائه وجلسائه، وهو الذي ولاه القضاء بالديار المصرية عوضاً عن القاضي زين الدين عبد الرحمن التفهني.

وللملك الأشرف محاسنُ كثيرة، وعدل في أحكامه ـ تغمدهم الله برحمته ـ.

توفي في يوم السبت، ثالث عشر ذي الحجة، **سنة إحدى وأربعين وثمان مئة**، مدته ست عشرة سنة، وتسعة أشهر وأيام.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي المحاسن يوسف ابن الملك الأشرف برسباي

هو أبو المحاسن يوسف ابن الملك الأشرف برسباي، استقر في السلطنة يوم وفاة أبيه، والمتصرفُ في المملكة أتابكُ العساكر جقمق العلائي الظاهري، وفي أيامه استقر قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي في قضاء الديار المصرية في شهر المحرم، **سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة**، وخُلع في تاسع عشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، فكانت مدته أربعة وثمانين يوماً، واعتقل عليه بالإسكندرية، بعد أن استدعى الملك الظاهر جقمق الخليفة والقضاة وأرباب الدولة، وأثبت عدمَ أهليته، وأنه لا يحسن التصرف، فخلعه الخليفة، وفوض السلطنة

إلى جقمـق، واستمر إلى أن توفي بها في العشر الأول من المحرم سنة ثمان وستين وثمان مئة.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

سلطنة الملك الظاهر جقمق العلائي

هو أبو سعيد وأبو السعادات وأبو الفتوح، جقمق العلائي الظاهري؛ نسبة إلى الملك الظاهر برقوق، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشـر من ملوك الجراكسـة، وكان يعـرف من الأمراء بأخي جركس المصارع، تسلطن، وجلس على سريـر الملك في يوم الأربعاء، تاسع عشر ربيع الأول، سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة، وكان على قدم عظيم من الصيانة والديانة، والصدقة والإحسان، والعفاف والشجاعة، والعبادة ومحبة العلماء، وله محاسن جزيلة.

وفي أيامـه توفي قاضي القضـاة شهاب الـدين بن حَجَـر الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة، وكان يعظِّم قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، ويكرمه، وهو الذي كان السبب في ولايته في أيام العزيز يوسف، لمَّا كان هو المتصرف في المملكـة، وولى قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي قضاء الشافعية بالديار المصرية، ولما مرض مرض المـوت، خلع نفسه من السلطنـة في يوم الخميسْ، الحادي والعشرين من شهر الله المحرم، سنة سبع وخمسين وثمان مئة،

وتوفي في ليلة يسفر صباحهـا عن يوم الثلاثاء، ثالث صفـر، ودفن في صبيحة ذلك اليوم بتربة مملوكه قاني باي الجهركسي، وكانت مدته أربع عشرة سنة، وعشرة أشهر، وأياماً، وحُسب مولده، فوجد في سنة ثمان وسبعين وسبع مئـة، فكان عمـره نحـو تسـع وسبعين سنة ـ تغمـده الله وإيانا والمسلمين برحمته ـ.

* * *

سلطنة أبي السعادات عثمان ابن الملك الظاهر جقمق

هو أبو السعادات عثمان ابن الملك الظاهر جقمق، استقر في السلطنة بحكم خلع والده نفسَه من المملكة، ونزوله عنها لـه، بحضرة الخليفة أمير المؤمنين، والقضاة الأربعة، وهم: قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي، وقاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، وقاضي القضاة ولي الدين السنباطي المالكي، وقاضي القضاة بدر الدين محمد البغدادي الحنبلي، وكان المسترعى له قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي، فقال لـه: نشهد عليكم أنكم فوضتم لولدكم سيدي عثمان ما فوضه لكم أميـر المؤمنين شرقاً وغرباً، فقال: نعم، وركـب الملك المنصور بشعار السلطنة في يوم الخميس، الحادي والعشرين من شهر الله المحرم، **سنة سبع وخمسين وثمان مئة**، وكان يوماً مشهوداً، ثم جددت لـه البيعة يوم مات والده، واستمر سلطاناً إلى أن ركب عليه الأميـر أينال الأتابكي الناصري، وخلع نفسه، وجُهز معتقلاً عليـه إلى

الإسكندرية، وكانت مدته أربعين يوماً. والحمد لله.

* * *

سلطنة الملك الأشرف أينال الأتابكي

هو أبـو النصر أينال الناصري، نسبة إلى الناصر فرج بن برقـوق، ركب على المنصور عثمـان، واستمر يحاصره ثمانيـة أيام إلى أن قبض عليه، وجلس على تخـت الملك يوم الاثنين، ثامن ربيـع الأول، **سنة سبع وخمسين وثمان مئة**، وكان أمياً لا يقرأ، وكان مباشروه يكتبون له على المراسيم والمناشير العلامة بقلم رفيع، ثم يعيد عليها بخطـه، وفي أيامه وقع الوباء في أواخر سنة ثلاث، وأوائل سنة أربـع وستين وثمـان مئة، واستمر سلطاناً إلى أن خَلع نفسه من السلطنة، وعهِد إلى ولده، ثم توفي في تاسع جمادى الأولى، سنة خمس وستين وثمان مئة، فكانت مدته ثمان سنين، ونحوَ شهرين.

* * *

سلطنة الملك أحمد ابن الملك الأشرف أينال

هو أبو الفتح أحمد ابن الملك الأشرف أينال، جلس على تخـت الملك الشريف في تاسع جمـادى الأولى، **سنة خمس وستين وثمان مئة**، وكانت أيامه غرة في وجه الزمان، إلى أن أُمسك في ثامن عشر رمضان من السنة المذكورة، فكانـت مدتـه أربعـة أشهر، وتسعة أيام، واعتقل

بالإسكندرية، وتوفي بها في سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة.

* * *

سلطنة أبي سعيد خشقدم المؤيدي

هو أبو سعيد خشقدم المؤيدي، جلس على تخت الملك الشريف يوم الأحد، ثامن عشر رمضان، **سنة خمس وستين وثمان مئة**، وفي أيامه حدث بيع الوظائف الدينية والإمارات، وحصل التظاهر والتجاهر بأخذ الرشوة والبراطيل، وقطع المصانعات نهاراً جهاراً من غير نكير، وفوَّض الأمر إلى غير أهله، وجمع المال من حله وغير حله.

وفي أول **سنة سبع وستين وثمان مئة**: عزل نفسه قاضي القضاة سعدُ الدين الديري باختياره، وتوفي في ربيع الآخر منها، ودفن في تربة السلطان خشقدم، وولي عوضه قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة بعد عزل نفسه، وشق ذلك على القاضي سعد الدين، وعظم عليه، وفي أيامه توفي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي في سنة ثمان وستين وثمان مئة، واستمر سلطاناً إلى أن توفي في ربيع الأول **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، فكانت مدة سلطنته ست سنين، وخمسة أشهر، وثلاثة وعشرين يوماً.

وفي أيامه ولي الأمير ناصر الدين محمد بن الهمام نظر الحرمين الشريفين بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ عوضاً عن الأمير عبد العزيز بن العلاق، ثم عزل، وولي مكانه الأمير حسن

الظاهري، ثم عزل، وولي مكانه الأمير بردبك التاجي، واستمر إلى أن ولي مكانه الأمير ناصر الدين النشاشيبي ـ على ما يأتي ذكره في ترجمة السلطان الملك الأشرف قايتباي عز نصره ـ.

* * *

سلطنة أبي سعيد بلباي المؤيدي

هو أبو سعيد بلباي المؤيدي، جلس على تخت الملك الشريف يوم السبت، حادي عشر ربيع الأول، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، وقويت في أيامه شوكة جلبان الملك الظاهر خشقدم، وتصرفوا على حسب اختيارهم في الوظائف والآمريات والسلطنة؛ بحيث طمعت نفوسهم فيها، واستمر في السلطنة ستة وخمسين يوماً، وأُمسك، وحبس بثغر اسكندرية، وتوفي بها بعد مدة يسيرة، وكان مسكه على يد الأمراء الظاهرية.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي سعيد تمربغا الظاهري

هو أبو سعيد تمربغا الظاهري؛ نسبة إلى الملك الظاهر جقمق، جلس على تخت الملك الشريف في يوم السبت، سابع جمادى الأولى، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، فازداد طغيان الجُلُبَّان، وتمردوا عليه،

وزادوا في تمـردهم إلى أن قـامـوا عليـه في ليلة الاثنين، سادس شهـر رجب منها، وأمسكوه، وسجنوه عندهم، فكانت مدته ثمانية وخمسين يوماً.

* * *

سلطنة العادل خشقدم خير بك

الظاهري الخشقدمي، أحـدُ رؤوس الجُلُبَّان، وجلس بنفسه على تخت الملك من غير مبايعة ولا عقـد، فركب العسكر آخر تلك الليلة، فحين أحسَّ الجلبان، ورأسهم خايربك الذي تسلطن بذلك، أفرَجَ عن السلطان تمربغا، وأجلسه على تخت الملك، فصار يشير بكرة بالمنديل للأتابك الأمير قايتباي لقيامه في نصرته، وملكوا القلعـة بكرة اليوم التالي لتلك الليلـة، وأُمسك المذكـوران همـا: تمربغـا، وخايربك، وسجن خايربك بالإسكندرية، وتمربغا بدمياط، ثم إن تمربغا تسحب من دمياط، وفرّ هارباً إلى أن وصل قريب غزة، وأُمسك، واعتقل عليه بالإسكندرية، واستمر بها إلى أن مات، ثم أخرج خايربك من الإسكندرية، وتوجه إلى مكة، وأقام بها إلى أن توفي في سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وسمي: سلطانَ ليلة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

سلطنة أبي النصر قايتباي الظاهري

هو أبو النصر قايتباي الظاهري؛ نسبة إلى الملك الظاهر جقمق، بويع له بالسلطنة بحضرة أمير المؤمنين، وأصحاب الحل والعقد، وجلس على تخت الملك الشريف بعد طلوع الشمس بعشر درج من يوم الاثنين، سادس شهر رجب الفرد الحرام، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، وقبض على تمربغا وخايربك ـ المشار إليهما فيما تقدم ـ، وكان من أمرهما ما سبق شرحه، واستمر الملك الأشرف في المملكة، وثبت قدمه في السلطنة، ونشر العدل في الرعية، واطمأن الناس بولايته، وبرز أمره الشريف بإحضار الأمير أزبك من نيابة الشام، واستقر به أتابك العساكر بالديار المصرية، وقد رسم للملك الظاهر تمربغا بعد خلعه بإقامته بدمياط، وعدم التضييق عليه، وسيره إليها، فأقام بها أياماً، ثم وسوس إليه الشيطان، وحَسَّن له الفرارَ منها، وكأنّ نفسه حدثته بالعود إلى السلطنة، فخرج منها قاصداً نحو البلاد الشامية، فجهز السلطان خلفه جماعة، فأدركوه بالقرب من مدينة غزة، فقبض عليه، ورسم السلطان بتجهيزه إلى الإسكندرية، فتوجه إليها، واستمر بها إلى أن مات.

ثم في أواخر السنة المذكورة، وهي سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة أنعم السلطان على القاضي غرس الدين خليل الكناني الشافعي أخي الشيخ أبي العباس باستقراره في وظيفة مشيخة الصلاحية، وقضاء الشافعية بالقدس الشريف عوضاً عن الشيخ نجم الدين بن جماعة، وحضر إلى القدس في أواخر ذي القعدة منها.

ثم دخلـت سنة ثلاث وسبعين وثمان مئـة : فيها جهـز السـلطان العساكر لقتال شَهْسِوار، وفيها حصل غلاء عظيم، ثم حصل الوباء في أواخر السنة حتى عم جميع المملكة.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمان مئة : فيها سيَّر السلطان الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبي الكشف على أوقاف الحرمين الشريفين : القدس، والخليل، وتحرير أمرهما، وإصلاح ما اختل من نظامهما في أيام الأمير بردبك الناجي ناظر الحرمين، فحضر إلى القدس الشريف، ونظر في مصالح الأوقاف، وعمر المسجد الأقصى، وصرف المعاليم، ثم توجه إلى البواب الشريفة.

* **وفيها :** استقر الأمير يشبك الجمالي في نيابة القدس الشريف عوضاً عن دمرداش العثماني، ودخل إليها في يوم خروج الحاج في شهر شوال.

ثم دخلت سنة خمسة وسبعين وثمان مئـة : فيها استقر الأمير ناصر الدين النشاشيبي المشار إليـه في وظيفة نظر الحرمين الشريفين استقلالاً، وحضر إلى القدس الشريف في أوائل السنة، وحصل به السرور.

* **وفيها :** سار الأمير يشبك من مهدي الدوادار الكبير بالعساكر لقتال شَهْسِوار، واستبشر الناس بالنصر، وكان تقدم قبله تجهيـز العساكر مرة بعد أخرى، ولم يحصل المقصود، وقُتل من العسكر جماعة، ولم يكن الأمير يشبك المشار إليه توجه قبل ذلك لقتاله، فلما توجه في هذه المرة، علم الناس أنه صاحب سعد، وتدبيره حسن، ورأيه سديد، وأنه لا بد أن يحصل المقصود والنصر بسفره وكان كذلك.

* **وفيها**: وقعت حادثة بالقدس الشريف في شهر رمضان، وهي أن القاضي غرس الدين الكناني شيخ الصلاحية، وقاضي القدس الشريف حضر عند القاضي شرف الدين الأنصاري وكيل المقام الشريف، وهو نازل بالمدرسة الجوهرية بخط باب الحديد أحدِ أبواب المسجد الأقصى؛ ليسلم عليه، فصادف حضوره عنده حضور الشيخ شهاب الدين العُمَيري، فقصد الشيخ شهاب الدين الجلوس فوق القاضي، فحصل بينهما تشاجر، وحصل فتنة عظيمة، انتهى الحال فيها إلى أن بعض العوام اغتضب للشيخ شهاب الدين، وتوجهوا إلى منزل القاضي بالمدرسة الصلاحية، وهجموا على حريمه، ونهبوا له بعض أمتعة من منزله، واتصل الأمر بالسلطان، وكانت فتنة فاحشة أوجبت عزل القاضي من وظائفه.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمان مئة: فيها ركب السلطان وصحبته الأمير أزبك أمير كبير لجهة الخانقاه السّرياقوسيّة، فرفست فرس الأمير أزبك السلطان في رجله، فكُسر، وحُمل إلى القاهرة في مَحَفَّة، واستمر أياماً، ثم عوفي، وذلك في شهر المحرم.

* **وفيها**: ابتدأ السلطان بعمارة تربته بالصحراء بظاهر القاهرة المحروسة.

* **وفيها**: أنعم السلطان على شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بمشيخة الصَّلاحية بالقدس الشريف، وعلى القاضي شهاب الدين أحمد ابن عتبة بقضاء الشافعية عوضاً عن القاضي غرس الدين خليل الكناني، وعلى القاضي خير الدين بن عمران الحنفي بقضاء الحنفية، عوضاً عن

القاضي جمال الدين عبدالله الديري الحنفي، وعلى الشيخ شهاب الدين العُمَيري بمشيخة مدرسته القديمة التي هُدمت، وبُني مكانها المدرسة السلطانية الموجودة الآن بالمسجد الأقصى الشريف، وكان ذلك في شهر صفر عقب عافية السلطان من الكسر الذي كان من فرس الأمير أزبك أمير كبير ـ كما تقدّم ذكره ـ، وأُلبس الثلاثةُ، وهم: شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف، والقاضي الشافعي، والقاضي الحنفي التشاريفَ على العادة، وألبس الشيخ شهاب الدين العميري جنده صوفاً خضراء على سنجاب، وحصل لهم منه الجبرُ والإكرام، وتوجهوا إلى محل وطنهم في شهر ربيع الأول.

* **وفيها** في أواخر السنة: قبض الأمير يشبك الدوادار على شَهْسِوار، واعتقل عليه، واستولى على ما كان بيده من المملكة التي تغلب عليها.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمان مئة: في أوائلها وردت البشائر إلى المملكة بالقبض على شَهْسِوار، ثم حضر الأمير يشبك الدوادار، وصحبته شَهْسِوار معتقلاً عليه هو وجماعة، ودخل إلى القاهرة في شهر ربيع الأول، فصلب هو ومَن معه على باب زويلة في يوم دخولهم القاهرة.

ثم في سنة سبع المذكورة تحرك حسن باك ملك الشرق، وجردت إليه العساكر، فكفى الله المسلمين أمرهم، ورجع إلى بلاده ولم يحصل منه ضرر.

* **وفيها**: استقر الأمير دقماق الأينالي في نيابة القدس، ودخل إليها في ربيع الأول، فأقام نحو ثلاثة أشهر، وتوفي، ودفن في الزاوية القلندرية

بتربة ماملا ظاهر القدس الشريف من جهة الغرب، وكان قد أظهر حرمة وشهامة، واستقر بعده الأمير جمق في النيابة، ودخل إلى القدس الشريف في شهر رمضان، وكان يوم دخوله كثير المطر.

* **وفيها**: وقع ببيت المقدس مطر كثير هدمت منهُ أماكن كثيرة، ومن جملتها: زاوية سيدنا ولي الله تعالى الشيخ محمد القرمي بخط مرزبان، وكان هدم الزاوية في مستهل رمضان، ولم يحصل لأحدٍ من هدم الأماكن ضرر، سوى امرأة واحدة ماتت من بيت هدم عليها.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمان مئة: فيها أنعم السلطان على الشيخ نجم الدين بن جماعة بمشيخة الصلاحية، وعلى أخيه الخطيب محب الدين بنصف وظيفة خطابة المسجد الأقصى، ونصف وظيفة مشيخة الخانقاه الصلاحية، ووظائف أخر بالمدارس، وعلى القاضي جمال الدين الديري بقضاء الحنفية، وذلك في أوائل السنة، ثم في شوال أنعم على القاضي علاء الدين بن المزوار بقضاء المالكية بعد وفاة القاضي نور الدين البدرشي.

* **وفيها**: وقعت حادثة بمدينة سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وهي فتنة بين الطائفتين بها، حصل بها نهب البلد وتخريبها، وكانت فتنة فاحشة، ورُفع الأمر للسلطان، فسير الأمير علي باي الخاصكي للكشف على ذلك وتحريره، فحضر إلى القدس الشريف، وتوجه وصحبته ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين النشاشيبي، والنائب الأمير جقمق، والقضاة بالقدس الشريف، ورسم على أكابر بلد الخليل، وأخذهم صحبته حتى

وصل إلى غزة، فركب فرساً وساقها، فوقعت عليه حائط، فتوفي هناك.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وفيها وقعت حادثة بالقدس الشريف، وهي: أن جماعة اعتصبوا، وأنهوا أن كنيسة اليهود محدَثة في دار الإسلام، وورد في ذلك مراسيم شريفة، وعقد فيها مجالس بالقاهرة وبالقدس، ومَنع القاضي بهاء الدين بن عبية قاضي القدس الشافعي اليهودَ من اتخاذها كنيسة، بعد إقامة بينة شهدت عنده أنها محدَثـة، ثم في شهر رجب حضر من القاهرة السيد الشريف عفيف الدين، وثار معه جماعة من المتعصبين بالقدس، وهُدمـت الكنيسة، واتصل الأمـر بالسلطان، فطلب الجماعةَ الذين تكلموا في ذلك، منهم: القاضي، والشهود الذين شهدوا عنده، والشيخ برهان الدين الأنصاري الخليلي، وضربهم لافتئاتهم بالهدم بغير إذن شريف، وكان ذلك في أواخر شعبان، وعزل القاضي، وأمَر بإخراجه هو والشيخ برهان الدين من القدس، وعدم سكناهما به.

ثم عقد مجلساً بمنزل الأمير يشبك الدوادار بحضور العلماء والقضاة بالديار المصرية، ورجع القاضي شهاب الدين بن عبية عن حكمه الصادر منه بالقدس الشريف بعد أن استخلفه قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي بالديار المصرية، وأذن له في الرجوع عن حكمه، ونفـذ على خلفاء الحكم العزيز من المذاهب الأربعـة، وأفتى العلماء من الشافعية والحنفيـة بمصر بجـواز إعادة الكنيسـة، ومن جملة مَن أفتى، وأظهـر التعصب: القاضي شهاب الدين المغربي قاضي الجماعة بالغرب المالكي فأنشد فيه بعضهم:

تُفْتِــــي بِعَـــوْدِ كَنِــــيسٍ   وَكَــــانَ ذَلِــــكَ جَهْــــلاَ

وَتَـــــدَّعِي فَـــرْطَ عِلْـــمٍ   وَاللهِ مَـــــا أَنْـــــتَ إِلاَّ

وكانت فتنة فاحشة.

* **وفيها**: حج أتابك العساكر أزبكي إلى بيت الله الحرام، خرج من القاهرة في ثاني شوال، وقصد المدينـة الشريفة، وأقام بها ثمانية أيام، ثم توجه إلى مكة.

* **وفيها**: حجت الآدر الشريفة خوند جهة المقام الشريف إلى بيت الله الحرام، وكان شيخ الإسلام أمين الدين الأقصرائي من جملة المساعدين للمسلمين في أمر كنيسة اليهود بالقدس، فتوجه إلى الحجاز الشريف من شدة ما حصل له من الحنق بسبب ما وقـع بحق المسلمين من الضـرب والإهانة بسبب اليهود، فتوفي ولدُهُ سعد الدين بدرب الحجاز الشريف، وحضر هو إلى القاهرة صحبة الحاج، وتوفي عقب ذلك.

* **وفيها** ـ أعني: **سـنة تسع وسبعين وثمان مئـة** ـ: استقر الأميـر جارقطلي في نيابـة القدس الشريف عوضاً عن جمـق، ودخل إليها في شوال، وأقام الحكم بحرمة وشهامة.

ثم دخلت سنة ثمانين وثمان مئـة: في أوائلها كانـت وفاة الشيخ أمين الدين الأقصرائي ـ كما تقدم ـ.

* **وفيها**: حضر السلطان إلى القـدس الشريف في شهر رجـب، وجلس بقبة موسى تجاه باب السلسلة بالمسجد الأقصى الشريف، ونظر

في حال الرعية، وحكم بالعـدل، وسمع الشكوى على النائب بالقدس الشريف المسمى جارقطلي.

ثم توجـه إلى الرملة، وعاد إلى القاهـرة، ودخـل إليهـا في يـوم الخميس، الثاني والعشرين من شعبان

* وفيها: أُعيدت كنيسة اليهود بالقدس، وحضر من القاهرة القاضي شهاب الدين الحزمي الشافعي المشهـور بابن حيلات، والقاضي علاء الدين الميمـوني الحنفي، وأذن الحنفي في إعادتهـا بآلاتهـا القديمـة، فأعيدت، وكان القاضي شهاب الدين الحزمي حصل له توعك بالقدس، فرجع إلى القاهرة، ولم يتكلم في أمرها، واستغفر الله تعالى مما وقع منه من السفر في هذه الحادثة.

وحُكي لي بالقاهـرة أن السبـب في رجوعـه من القدس بسرعـة، وعدم تكلمه في أمر الكنيسة: أنـه لما حصل لهُ التوعك بالقدس، كان بخلوة بالمدرسة الجوهرية، وإذا باليهود قد حضروا بالمدرسة، وجلسوا على باب الخلوة التي هو بها، وتكلموا في أمـر الكنيسة، فقال بعضهم لبعض: هـذا عيـدٌ مبارك بإعـادة هذه الكنيسة، فما نسمي هذا العيـد؟ فقالوا: نسميه: عيـد النصر، فلما سمـع القاضي ذلك، اقشعـر جسدُهُ من ذلك، وانزعج، وبادر بالخروج من القدس، وتوجـه إلى القاهرة، واستغفر الله مما وقع منه.

وأمّا الحنفي، فأقام بالقـدس إلى أن كملت عمارتها، ثم عاد إلى القاهرة، وقد أسكن الله تعالى مقته في قلوب العباد.

وفي سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة: حصلت له محنة من السلطان بسبب حُكم حَكم به من أيام قاضي القضاة سعد الدين الديري، فضربه السلطان، وأمر بنفيه إلى حلب، فخرج من القاهرة إلى أن وصل إلى الخانقاه، فوقعت فيه شفاعة، فأعيد إلى القاهرة، وعزَلهُ السلطان من نيابة الحكم عزلاً مؤبداً، وصار فقيراً حقيراً، واجتمعتُ به بعد ذلك، وتكلمتُ معه، ولمُته على ما صدر منه في أمر الكنيسة المذكورة، فأشهدني عليه أن الإذن الصادر منهُ في إعادتها قصد به الفتوى، ولم يقصد به الحكم الشرعي الرافع للخلاف، والله متولي السرائر.

ثم في أواخر السنة: طُلب قاضي القضاة قطب الدين الخيضري من الشام إلى القاهرة، ورسم له بالإقامة فيها.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثمان مئة: فيها تزوج القاضي قطب الدين الخيضري الشافعي بابنة أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بأمر السلطان.

* **وفيها:** حصل الوباء في المملكة كلها، وكان ابتداؤه من شهر رجب، وكثر بالقاهرة من شوال إلى آخر السنة.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة: فيها قبض على القاضي برهان الدين بن ثابت النابلسي وكيلِ السلطان، وصودر، وعوقب إلى أن مات، وكذلك ولده بالشام عوقبَ إلى أن مات، كل ذلك في مدة يسيرة نحو الشهر.

* **وفيها:** وُسِّعت شوارع القاهرة، وهُدم جميع ما فيها من الأماكن

الخارجـة في الشوارع التي ضيقـت قارعـة الطريق بإشارة الأمير يشبك الدوادار الكبير.

* **وفيها**: تكاملت عمارة الأزبكية، التي عمرها المعز الأتابكي أزبك أمير كبير، واختطها بخرائـب عنتر، وكمل جامعها المستجد، والقصر الذي بداخل الحوش، واستوطنها بعيالـه، ثم عمّر البركـة، والرصيف الدائـر عليها، والقصر المطل على البركـة في سنة ثلاث، وسنة أربع، وتكامل ذلك في سنة خمس وثمانين وثمان مئـة، ثم بنى الناس حولها الأملاك، وكان ابتداء عمارتها في سنة ثمانين وثمان مئة.

* **وفيها ـ** أعني: سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة ـ: توجه السلطان من القاهرة في أول جمادى الآخرة في عسكر قليل دون المئة نفس إلى حلب، ووصل إلى الفرات، وحصل له توعك في السفر، ودخل إلى دمشق وهو متوعك، ثم عوفي، وعاد إلى القاهرة، ودخلها في يوم الخميس، رابع شوال من السنة، بعـد أن زُينت لـه، وكان يومـاً مشهوداً، وحصـل من السلطان تغيظ على القاضي قطب الدين الخيضري بسبب ولده.

* **وفيها**: استقر الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير حسن بن أيوب في نيابة القدس الشريف عوضاً عن جارقتلي عند حلول الركاب الشريف بغزة المحروسة.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمان مئـة: في المحرم منها أُلبس القاضي علاء الدين الصابوني وكالة السلطان عوضاً عن البرهان النابلسي، وألبس القاضي قطب الدين الخيضري خلعة الرضا.

* **وفيها**: تزوج الأمير جانم ناظر الجوالي قريب المقام الشريف ابنة الأمير علاء الدين بن خاصبك أخت الآدر الشريفة جهة المقام الشريف، وعُقد عقده عليها بعد صلاة الجمعة في شهر ربيع الآخر بجامع القلعة المنصورة، بحضور المقام الشريف، والأمراء، وقاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي، ولم يحضر الحنفي والمالكي؛ لضعفهما، وكان المتولي للعقد الشافعي، وأُلبس خلعة بعد فراغه، ثم حُمل إلى بيت والد الزوجة الفاكهة والحلوى، وكان عدة الحمالين لذلك مئتين وخمسةً وثمانين رجلاً، وقد عاينتُ ذلك، ودخل بها في شهر رجب، ولمّا ركب من منزله إلى منزل والدها ليلة دخوله بها، مشى في خدمتهِ جميع الأمراء المقدَّمين، ما عدا أمير كبير، وكان الأمير يشبك الدوادار الكبير، والأمير أزدمر الطويل حاجب الحجاب ماسكين رأس فرسه، وكان فرحاً عظيماً.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمان مئة: فيها استقر الأمير يشبك الدوادار الكبير أمير سلاح عوضاً عن جاني بك الفقيه المتوفَّى بالقدس الشريف، مضافاً إلى الدوادارية، ولم يعهد إضافة الوظيفتين المذكورتين لأحد قبله.

* **وفيها في ربيع الآخر**: توفي الأمير جانم ناظر الجوالي، وجزع السلطان عليه، وتأسف عليه الناس، وكان شكلاً حسناً ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

* **وفيها**: أحضر الملك المؤيد أحمد بن أينال إلى القاهرة، وتوجه

السلطان الملك الأشرف قايتباي ـ نصره الله تعالى ـ الإسكندرية في عاشر جمادى الأولى، وترك المؤيد أحمد بن أينال بالقاهرة، واستمر غائباً عشرين يوماً، ثم حضر، فبلغهُ أن جماعة من المماليك الأينالية تكلموا في أمر الملك المؤيد، فغضب عليهم، ونفاهم، وأفحش في حقهم، ويُقال: إن الملك المؤيد هو الذي أرسل أعلمه بذلك خشية على نفسه، ثم توجه المؤيد إلى الإسكندرية.

* **وفيها**: استقر الأمير سنطباي النحاسي في نيابة القدس الشريف عوضاً عن الأمير ناصر الدين بن أيوب.

* **وفيها**: حج السلطان إلى بيت الله الحرام، وزار النبي ﷺ في الذهاب، وأقام بالمدينة الشريفة أربعة أيام، ثم عاد إلى القاهرة.

* **وفيها**: احترق الجامع الأموي بدمشق، فاهتم السلطان بعمارته، وأعاده أحسن ما كان.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمان مئة: في يوم الاثنين، ثاني عشر المحرم منها دخل السلطان إلى القاهرة من الحجاز الشريف، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها**: قَتَل السلطان القاضيَ تاجَ الدين بن المقسي ناظرَ الخواص الشريفة ومَنْ معه في شهر ربيع الآخر.

* **وفيها في الشهر المذكور**: سار الأمير يشبك الدوادار الكبير، وصحبته العساكر المنصورة للتجريدة على يعقوب باك بن حسن باك،

فحصل القتال بين العسكرين بأرض الرها في شهر رمضان، فقُتل الأمير يشبك، واحتُزَّ رأسُه، والمتولي لقتله بيندور باش عسكر يعقـوب باك، وحمل رأسهُ إلى توريز، وقيل: إن جثته حُملت ودفنت بتربته بالصحراء بظاهر القاهرة، وتواردت الأخبـار بقتله في شوال، واستقر الأمير أقبردي قريبُ المقام الشريف عوضه في الدوادارية، ثم تزوج الأمير أقبردي أخت الآدر الشريفة التي كانت زوجاً للأمير جانم ناظر الجوالي، وأخذ ما كان بيده من الإقطاع والبَرْك.

* **وفيها**: استقر الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب في نيابة القدس الشريف عوضاً عن سنطباي البجاسي في المحرم عنـد حضور السلطان من الحجاز، ثم عُزل، واستقر مكانه بعده الأمير أحمد بن مبارك شاه في أواخر السنة.

ثم دخلت سنة ست وثمانون وثمان مئة: في يوم الجمعة، مستهل المحرم منها صُليت الجمعة بالمدرسة القجماسية بخط الدرب الأحمر بالقاهرة بعد كمال عمارتها، وحكم القاضي شرف الدين بن عيد الحنفي بصحة إقامة الجمعة فيها بحضور واقفها، والقضاة، والخاصِّ والعام، وكان الخطيب إمام السلطان ناصر الدين الأخميمي ـ الذي صار قاضي القضاة الحنفي فيما بعد ـ، وكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الأحد بعد العصر سابع عشر المحرم: وقعت زلزلة عظيمة بمصر والمملكة، فتوفي القاضي شرف الدين بن عيد الحنفي، وسبب وفاته: أنـه وقعت عليـه شرافة من الإيوان البحري بالمدرسة الصالحية

ـ وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته في حرف الميم ـ.

وفي صبيحة ذلك اليوم، وهـو نهار الاثنين: استقر الأمير قانصوه خمس مئة الدوادار الثاني أمير أخور كبير؛ بحكم شغور الوظيفة عن الأمير قجماس باستقراره في نيابة الشام.

* **وفيها** في صفـر: استقر القاضي شمس الدين الغـزي في قضاء الحنفية بالديار المصرية عوضاً عن ابن عيد.

* **وفيها**: في يوم الأحد، مستهل رجب الفرد: عزل السلطان قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشـافعي، وقاضي القضـاة برهـان الدين اللقاني المالكي، والقاضي زين الدين بن مزهر كاتـب السـر الشريف؛ بسبب واقعة أوجبت ذلك، وكنت حاضراً مجلس عزلهم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث رجب: ولي قاضي القضاة الشيخ زكريا قضاء الديار المصرية على كُره منهُ.

وفي يوم الاثنين تاسع رجـب: ولي قاضي القضاة المالكي محيي الدين عبد القادر بن تقي، وأعاد القاضي زين الدين بن مزهر إلى وظيفته.

* **وفيها**: غضب السلطان على إمامه برهان الدين الكركي، وعزله من مشيخة الأشرفيـة، وقرر فيها الشيخ صلاح الدين الطرابلسي، وقرر في قراءة «البخاري» في القلعة الشريفة الشيخ جمال الدين يوسف سبط قاضي القضاة ابن حجر.

* **وفيها** في مستهل شعبان: دخـل القاهـرة جُمْجُمـة بن عثمان،

وأوكب السلطان لهُ، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها في ليلة الثالث عشر من شهر رمضان**: وقعت صاعقة بالمدينة الشريفة، احترق منها الحرم الشريف النبوي، والحجرة الشريفة، وجميع ما بالحرم الشريف من المصاحف والكتب، ووردت الأخبار بذلك والمحاضر المكتتبة بالمدينة الشريفة في أسرع وقت، وجزع الناس لذلك، ثم اهتم السلطان بعمارته، وقام في ذلك أعظم قيام، وأنشأه في غاية الحسن ـ ولله الحمد ـ.

* **وفيها**: أخرجت وظيفة قضاء الشافعية بدمشق عن القاضي قطب الدين الخيضري، واستقر بها القاضي شهاب الدين بن الفرفور.

* **وفيها**: استقر القاضي علاء الدين بن الصابوني في وظيفة نظر الخواص الشريفة، مضافاً لوكالة السلطان.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمان مئة: وفيها تكاملت عمارة المدرسة التي أنشأها مولانا السلطان بالمسجد الأقصى الشريف بجوار باب السلسلة، وهي مدرسة عظيمة لم يوجد مثلها، ومن أعظم محاسنها: كونها في هذه البقعة الشريفة.

* **وفيها في شهر شعبان**: وقع بمكة المشرفة السيل العظيم، ودخل إلى المسجد الحرام، وغرق فيه من أهل مكة والمجاورين خلق كثير، وأمره مشهور، وكان قبل ذلك في سنة ست وثمانين وقع الحريق بالحرم الشريف النبوي ـ كما تقدم ـ، فجزع الناس لوقوع هاتين الحادثتين بالحرمين الشريفين في سنتين متواليتين، فالحكم لله العلي الكبير.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمان مئة: فيها رتب السلطان أوقافاً للمدينة الشريفة، وجعل لها في كل سنة قمحاً يحمل إليها، ويفرَّق على أهلها المقيمين بها، والمجاورين والواردين إليها، وقوي الوقف بحضرته في يوم قراءة المولد الشريف في شهر ربيع الأول بحضور القضاة والأمراء، والخاص والعام في الحوش بالخيمة المنصوبة لقراءة المولد الشريف، وكنت حاضراً ذلك المجلس، فقرأ القاضي زين الدين بن مزهر كاتبُ السرِّ الشريف خطبةَ كتاب الوقف، وهو جالس بين يدي السلطان، ثم تأخر، فحضر القاضي أبو البقاء بن الجيعان، وقرأ وهو واقفٌ أسماء الجهات الموقوفة في قائمة بيده، ثم تأخر، فحضر القاضي أبو الطيب الأسيوطي موقع المقام الشريف في المستندات الشرعية، وقرأ وهو واقف ملخصَ الوقف وشروطَه في قائمة بيده، ومن جملة الشروط: أن يكون النظر لمولانا السلطان الواقف المشار إليه، ثم من بعده لمن يكون سلطاناً بالديار المصرية سلطاناً بعد سلطان، وأن تكون القضاة الأربعة بالديار المصرية شهود الوقف تشريفاً لهم، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها**: استقر الأمير جانم في نيابة القدس الشريف عوضاً عن أحمد بن مبارك شاه.

* **وفيها في جمادى الأولى**: وقعت حادثة بالقاهرة المحروسة أوجبت أن المماليك وثبوا على الأمير برسباي قراراس نوبة النوب، وأحرقوا منزله، ونهبوه، وكادت تقع فتنة كبيرة، ثم أخمدها الله تعالى، وحصل الصلح.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمان مئة: فيها كان ابتداء الفتنة بين السلطان وبين أبي يزيد بن عثمان، فتوجه الأمير تمراز أمير سلاح بالعساكر لقتاله، وكان خروجه من القاهرة في شهر جمادى الأولى.

* **وفيها**: استقر القاضي شمس الدين بن المزلق في قضاء دمشق عوضاً عن ابن الفرفور.

* **وفيها**: وقعت بمدينة الرملة حادثة، وهي: أن شخصاً يقال له: ابن دبور خَتَنَ ولده، وعمل له زفة على العادة، فاقتتل جماعة من أهل حارة الباشقردي مع جماعة من أهل حارة التركمان، فقتل بينهما رجل، واتصل الأمر بالحكام بمصر والشام، ووردت قُصّادٌ من الجهتين، وتكلف أهل البلد مبلغاً له صورة، وكان وقوع الفتنة والقتل في شهر شعبان، وكانت حادثة فاحشة.

ثم دخلت سنة تسعين وثمان مئة: فيها تتابع العسكر صحبة جماعة من الأمراء، وتوجهوا خلف الأمير تمراز لقتال السلطان بايزيد بن عثمان.

* **وفيها** في شهر رجب: حضر القاضي أبو البقاء بن الجيعان، والمهتار رمضان لترتيب الوظائف وتقريرها بالمدرسة الشريفة بالقدس الشريف، وحضر صحبتهما شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف، وقد استقر في مشيختها بحكم وفاة الشيخ شهاب الدين العُميري ـ وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته في حرف الميم ـ، وحضر ـ أيضاً ـ صحبة القاضي أبي البقاء القاضي شهابُ الدين بن الفرفور، وقد استقر في قضاء دمشق عوضاً عن ابن المزلق.

* **وفيها** في شوال: توجه المقر الأتابكي أزبك أمير كبير بالعساكر، ولحق الأمير تمراز.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثمان مئة: فيها في أواخر ربيع الأول: حصل للسلطان عارض، وهو أنه ركب فرساً في الحوش، فرماه، ووقع فوقه، فكسر فخذه، واستمر نحو الشهرين، وعوفي.

وفي الشهر المذكور قبل حصول العارض للسلطان: توجه الأمير أقبردي الدوادار الكبير إلى جهة نابلس، وجهز الرجال للتجريدة، ثم عاد إلى القاهرة في شهر شعبان، ونصر الله عسكر الإسلام، وقبض على شخص من أكابر دولة ابن عثمان، يقال له: ابن هرسك، وأُحضر للسلطان في أواخر السّنة المذكورة، فأحسن إليه، وأفرج عنه، وأذن له في التوجه إلى بلاده.

* **وفيها**: استقر الأمير خضر بك في نيابة القدس الشريف عوضاً عن الأمير جانم، ودخل إليها في يوم الثلاثاء، تاسع ذي القعدة الحرام.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة: فيها توجه ابن هرسك إلى بلاده بعد الإحسان إليه من السلطان ـ كما تقدم ـ، ولم يحصل لعسكر السلطان في كل مرة إلا الخير والنصر، كلُّ ذلك والسلطان ابن عثمان على عناده ـ.

* **وفيها**: حصل الغلاء في سائر الممالك، ورأى الناس من ذلك شدة.

* **وفيها**: أفرج السلطان عن الأمير قانصوه اليحياوي من القدس الشريف، ورسم له بالحضور إلى القاهرة بعد إقامته بالقدس من أواخر سنة ست وثمانين وثمان مئة، فتوجه من القدس في يوم عيد الفطر.

* **وفيها**: توفي الأمير قجماس نائب الشام في شهر رمضان، وفيما كان الأمير قانصوه اليحياوي بغزة متوجهاً إلى الأبواب الشريفة، ورد عليه وفاة الأمير قجماس، فتباشر بولاية نيابة الشام على عادته، فلما قدم إلى القاهرة المحروسة، أقام بها أياماً، ثم استقر في نيابة الشام في أواخر السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة: فيها في المحرم قدم الأمير قانصوه اليحياوي إلى الرملة متوجهاً إلى محل ولايته.

* **وفيها**: استعفى الأمير ناصر الدين النشاشيبي من نظر الحرمين، فعفي بعد توقف السلطان في إغوائه مراراً، فادعى العجز، فأعفي، واستقر عوضه الأمير دقماق في النظر، وفي النيابة ـ أيضاً ـ في شهر صفر.

* **وفيها**: حضر الأمير أقبردي الدوادار الكبير، وصحبته القاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر من القاهرة إلى جهة نابلس؛ لتجهيز الرجال للتجريدة لقتال السلطان ابن عثمان، وتجهز العسكر إلى بلاد الروم، [وكان] قدومهما إلى الرملة في يوم السبت، الحادي والعشرين من جمادى الأولى، وجهزت الرجال من جبل نابلس، ثم توجه القاضي زين الدين بن مزهر في شهر رجب وهو متوعك، ومعه الدوادار الكبير في شعبان، فدخل القاضي زين الدين بن مزهر إلى القاهرة، واستمر في

التوعك إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى في يوم الخميس، سادس شهر رمضان، واستمر في كتابة السر الشريف ولده القاضي بدر الدين محمد ابن مُزْهِر، وأُلبس التشريف الشريف، ونزل من القلعة المنصورة، والناس في خدمته في يوم الخميس ثالث عشر رمضان المذكور، وسنذكر ذلك في ترجمة القاضي زين الدين بن مزهر في حرف الهمزة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمان مئة: فيها نزل الأمير أقبردي الدوادار الكبير بجهة نابلس، وتوجه الأغوار؛ بسبب القبض على بني إسماعيل مشايخ جبل نابلس، وعاد إلى القاهرة في جمادى الأولى، ووقعت حادثة أوجبت غضب السلطان من مماليكه، فخلع نفسه من الملك، وقصد الخروج من الديار المصرية، فجزع الناس لذلك، ثم استُعطف خاطره، واستُرضي، واجتمع الناس بالقلعة، وجلس أمير المؤمنين المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وأصحاب الحل والعقد، وجُددت له البيعة بالسلطنة، وأُلبس الخلعة السوداء على العادة، وكان يوماً مشهوداً.

ثم دخلت سنة خمس وتسعون وثمان مئة: فيها توجه الأمير أزبك أمير كبير، وصحبته الأمراء والعساكر لقتال السلطان ابن عثمان، فوصلوا إلى بلاد الروم، وأخربوا غالب تلك البلاد، وأحرقوها، ثم عادوا في أواخر السنة، وهم منصورون مؤيدون.

* **وفيها:** احتبس المطر ببيت المقدس، فصام الناس ثلاثة أيام،

ثم استسقوا في صبيحة يوم الأحد، خامس عشر ربيع الآخر بالصخرة الشريفة، ثم انصرفوا من الصلاة، ولم يُسْقَوا في يومهم، فجزع الناس لذلك، وتضرعوا إلى الله تعالى، فلما مضى النهار وأقبلت ليلة الاثنين، أغاث الله عباده بالمطر الغزير، فامتلأت الآبار، ورَوِيت الأرض، وأظهر الله تعالى إجابة دعاء عباده الضعفاء، فاطمأن الناس، وحمدوا الله تعالى، وأثنوا عليه، وله الحمد والمنة.

وفي يوم السبت ثاني شهر رجب الفرد: هُدمت القبة التي كانت أُحدثت بالقرب من دير صِهْيَون ظاهر القدس، وكان إحداثها في صفر، سنة أربع وتسعين وثمان مئة، فورد مرسوم شريف لشيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف جواباً لمكاتبته الواردة على الأبواب الشريفة بمعنى ذلك، والمرسوم الشريف على يد الأمير أزبك الخاصكي، الذي حضر للكشف على الأمير دقماق ناظرِ الحرمين ونائب القدس بهدمها، فهدمت بحضور الشيخ كمال الدين المشار إليه، وحضور الخاصكي، والنائب، وشيخ الصلاحية، وقضاة الإسلام الأربعة، والخاص والعام، وكان يوماً مشهوداً، وبقي بعض آثارها، فورد مرسوم شريف ثانٍ للشيخ كمال الدين بإكمال هدمها، ومحو أثرها فمحيت، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الآتية، وهي سنة ست وتسعين وثمان مئة، بحضور ناظر الحرمين الأمير الأجل خضر بك، ومشايخ الإسلام والقضاة، وكان يوماً مشهوداً أعظمَ من اليوم الأول.

* وفيها: ـ أعني: سنة خمس وتسعين وثمان مئة ـ: حضر الأمير

أقبردي الدوادار الكبير إلى القدس الشريف متوجهاً لجهة الغور، وكان دخوله القدس في يوم الأحد، سابع عشر ذي الحجة، ونزل بخان الملك الظاهر بيبرس إلى يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر المذكور، ثم توجه إلى الغور.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمان مئة: في أوائل شهر ربيع الآخر منها حضر قانصوه من مخيم الأمير الدوادار الكبير بمرسومه برمي الزيت المتحصل من جبل النابلس على أهل بيت المقدس، الخاص والعام من المسلمين، واليهود والنصارى، كل قنطار بخمسة عشر ديناراً ذهباً، فرسَّم على الناس، وضربهم، وانتهك حرمهم، وكانت حادثة فاحشة امتُحن الناس فيها محنة لم يُعهد مثلها في بيت المقدس، بل ولا في غيره من بلاد المسلمين، والسبب في ذلك: الضغينة التي في صدر دقماق النائب، لما حصل عنده من الكشف عليه في سنة خمس وتسعين وثمان مئة، واستمر الناس في الضرب والترسيم والمحنة وهتك الحرم شهر ربيع الآخر بكماله، وباع الناس أمتعتهم وثيابهم بأبخس الأثمان، وبيع كل مثقال من الذهب الطيب بدون الخمسين درهم، وبقي الناس يأخذون الزيت كل قنطار بخمسة عشر ديناراً ذهباً، ويبيعونه بمئتي درهم، وخمسين درهماً فضة، فكانت الخسارة أكثر من الثلثين، وكانت محنة شديدة فاحشة، فالحكم لله العلي الكبير.

ثم توجه دقماق وقانصوه المذكورَيْنِ بالمبلغ المقبوض ثمناً عن الزيت، وهو نحو عشرين ألف دينار إلى مخيم الأمير الدوادار بظاهر

مدينة الرملة، فانتقم الله من دقماق لما فعله بالمسلمين، وعزلـه الأمير دوادار الكبير واستقر عوضه الأميـر خضر بك نظر الحرمين الشريفين، والنيابة في يوم الثلاثاء رابـع جمادى الأولى، وهو اليوم الذي سافر فيه الأميـر دوادار من الرملة قاصـداً الأبواب الشريفـة، ودخل إلى القدس الشريف في يوم الاثنين، عاشـر جمـادى الأولى، وكـان يوماً مشهـوداً لدخوله.

* **وفيها**: في شهر ربيع الآخر برز الأمر الشريف بإخراج مدينة الرملة عن نائب الشام الأمير قانصوه اليحياوي، وإضافتها إلى ملك الأمراء أقباي نائب غزة المحروسة، ولم تجر بذلك عادة قبل ذلك، فلما أضيف إلى ملك الأمراء المشار إليه، عمـرت البلاد، وحصلت الطمأنينـة للرعيـة والمسافرين بأمن الطرقات، وردع المناحيس والمفسدين ـ ولله الحمد ـ.

* **وفيها**: حضر قصَّاد السلطان بايزيد بن عثمان، وقاضي مدينة برصا بطلب الصلح مع مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي، فأحسن إليهم، وأكرمهم، وعاد القصاد والقاضي المشـار إليـه، فدخلوا بيت المقدس في شهر رمضان، وركـب للقائهم ناظـرُ الحرمين، ومشايخ الإسـلام، والقضاة، والخاص والعام، ودخلوا إلى القـدس الشريف، وكان يوماً مشهوداً، وتوجهوا في الشهر المذكور قاصدين بلاد الروم.

وجهز السلطان الملك الأشرف قايتباي قاصده الأميـر جان بلاط للسلطان بايزيد بن عثمان، لعـود الجواب عن الصلح، وحصل للرعية الطمأنينة بوقوع الصلح بين هذين الملكين.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمان مئة والخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز يعقوب ـ أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ـ، والسلطان بالديار المصرية الملك الأشرف أبو النصر قايتباي.

* **وفيها**: توفي الشيخ الصالح شمس الدين محمد خليفة المغربي الأصل ـ الآتي[1] ذكرُ جده في حرف الخاء ـ، وكان عبداً صالحاً، وأهلُ بيت المقدس يعتقدونه، ورئي له بعض كرامات، وكانت وفاته في ليلة الخميس، وصُلِّي عليه بعد الظهر من يوم الخميس السابع والعشرين من صفر بالمسجد الأقصى، ودفن بتربة ماملا عند جده الشيخ خليفة، وكان لجنازته مشهد عظيم، شهده العام والخاص، وكانت وفاة والده الشيخ شمس الدين في جمادى الآخرة، سنة تسع وثمانين وثمان مئة.

* **وفيها**: في شهر ربيع الأول عاد الأمير جان بلاط قاصد المقام الشريف من الروم بعد أن حصل له الجبر من ملك الروم السلطان أبي يزيد، وبالغ في إكرامه، وأكمل الله الصلح بين سلطاننا وبينه، واطمأن الناس ـ ولله الحمد ـ.

وكان ابتداء الفتنة وتجهيز العساكر لقتال السلطان ابن عثمان من أوائل سنة تسع وثمانين وثمان مئة إلى أن لطف الله تعالى بعباده، ووقع الصلح، وتكامل في هذا التاريخ بعد وقوع الحرب والفتن نحو ثمان

(١) في الأصل: «المتقدم».

سنين، وصرف في التجاريد ما لا يحصى كثرة.

* **وفيها**: في شهر ربيع الأول ـ أيضاً ـ، الموافق لكانون الثاني وقع هدم فاحش بكنيسة قمامة بالقدس الشريف في الليل من المطر، وهلك تحته رجلان من الحبشة.

* **وفيها**: ورد مرسوم شريف على شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بالتوجه إلى مدينة غزة، وصحبته السيفي خضر بك ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة بالقدس الشريف، وإيقاع الصلح بينه وبين ملك الأمراء المقر الأشرف السيفي أقباي كافل المملكة الغزية، والمعاهدة بينهما، وزوال الكدر والوحشة من بينهما، وكتابة صورة بذلك، وعرضها على المسامع الشريفة، فتوجه من القدس الشريف إلى غزة المحروسة، وامتثل ما برزت به المراسيم الشريفة، وحصل الصلح بين المشار إليهما على أحسن وجه، وكان ذلك في جمادى الآخرة.

* **وفيها**: دخل الوباء بالطاعون حتى عمَّ جميع المملكة بالديار المصرية، والممالك الشامية، وكانت قوته بالقاهرة في الجمادَيْن، وتواترت الأخبار بزيادته وتفاحشه إلى أن بلغ بالقاهرة في كل يوم أكثر من عشرين ألفاً، وفي مدينة غزة أربع مئة في كل يوم، وقيل: أكثر من ذلك، ثم ابتدأ بالقدس الشريف والرملة في أواخر جمادى الآخرة، وتزايد أمره بالرملة في شهر رجب إلى أن بلغ في كل يوم نحو مئة وعشرين، وكان في بيت المقدس في شهر رجب إلى آخره، في كل يوم أربعين وثلاثين، وبلغ في يوم الجمعة حادي عشري رجب نحو الخمسين، وهي أول

جمعة ظهر فيها كثرة الأموات.

* **وفيها:** في ثامن عشري شهر رجب المذكور توفي الشيخ الإمام العالم العلامة عبد السلام بن الرضا الكركي الحنفي ـ تغمده الله برحمته ـ، وكان من أهل العلم والفضل، وعليه السكينة والوقار، وكان يكتب على الفتوى كتابة حسنة، والناس سالمون من يده ولسانه، وكان في ابتداء أمره على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، ثم انتقل عنه، وقلد الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه، وتفقه على الشيخ ناصر الدين محمد بن حسني الشهير بابن الشنتير، وبرع في المذهب، وأفتى ودرَّس، وانتفع به الناس في الفتوى، وتوفي في اليوم المذكور، وصُلي عليه بالمسجد الأقصى الشريف بعد صلاة العصر في يوم الجمعة، وحمل تابوته على الرؤوس، ودفن بماملا ظاهر القدس الشريف، ومات فقيراً لم يترك من الدنيا سوى نحو عشرة دنانير، ولما انتقل من مذهب الإمام الشافعي إلى مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، لامه بعض الناس على ذلك، فأنشد:

أَخَذَ السَّفِيهُ يَلُومُنِي بِجَهَالَةٍ ... لِمْ لا ثَبَتَّ عَلَى الطَّرِيقِ الأَعْرَفِ

فَأَجَبْتُهُ دَعْ عَنْكَ لَوْمِي يَافَتَى ... وَاسْلُكْ طَرِيقَةَ ذَا الإِمَامِ الأَشْرَفِ

إِنَّ المَذَاهِبَ خَيْرُهَا وَأَصَحُّهَا ... مَا قَالَهُ النُّعْمَانُ حَقًّا فَاقْتَفِ

إِنْسَانَ عَيْنٍ لِلأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ ... فَالكُلُّ عَنْهُ لِلطَّرِيقَةِ مُقْتَفِ

فَاخْتَرْتُ مَذْهَبَهُ وَقُلْتُ بِقَوْلِهِ ... وَجَعَلْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُسْعِفِي

ـ رحمه الله، وعفا عنه، وعوضه الجنة ـ.

* **وفيها**: دخل الوباء من القاهرة وما والاها، ومن غـزة في شهر رجب، ودخل إلى مدينة دمشق في أواخر رجـب، بعـد أن عم جميـع المملكة الشامية بحلب وحماة وحمص، وورد الخبر أنه وصل في مدينة حلب في كل يوم نحو ثمان مئة، ثم وصل فيها إلى الألف وخمس مئة، وتناقص بمدينة الرملة في أوائل شعبان إلى أن بقي في كل يوم ثلاثة أنفار أو أربعة، ووصل العدد بمدينة سيدنا الخليل ـ عليـه السلام ـ في اليوم دون الخمسين، واستمر بالقدس الشريف بعد ارتفاعـه من غزة والرملة وكانت قوته في شهر شعبان، ووصل العدد منـه إلى فوق المئة في اليوم، وقيل: إنه بلغ إلى مئة وثلاثين.

وتوفي الأمير خضر بك ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليـه السلام ـ في ليلة الأحد، الحادي والعشرين من شعبان، وكان دخوله إلى القدس متولياً يوم الاثنين، عاشـر جمـادى الأولى، سنة سـت وتسعين وثمان مئـة، وحصل بولايته عمارة البلاد، واطمأن الناس في الطرقات باعتبار حرمته وشهامته ـ رحمه الله، وعفا عنـه ـ، وكان قبل ذلك تولى النيابـة فقط، ودخل إلى القدس في تاسع ذي القعدة، سنة إحدى وتسعين وثمان مئة، وساءت سيرتـه، وورد المرسوم الشريف بالكشف عليـه على يد الأمير تغري ورمش دوادار المقر الأشرف أقبردي أميـر داودار كبيـر، فكشف عليه في شهر ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين، وكتب الجواب للسلطان بسيرته، وما هو عليه، فعزله في أوائل سنة ثلاث وتسعين.

ولمَّا استقر في هذه الولاية في النيابة والنظر، باشر مباشرة حسنة، وأظهر العدل في الرعيـة، واستعطف خواطر الناس، وشرع في سلوك طريق الرئاسة، ثم لما دخل الوبـاء، تطيّـر من ذلك، وطلع من القدس الشريف إلى ظاهرها، وأقام بالكروم أياماً، فأنكر الناس عليه ذلك، فدخل إلى المدينة، فأقام بعض أيام، فتوفيت ابنـة لـه، ثم بعد يومين أو ثلاثة توفيت زوجته، ثم بعد وفاة زوجتـه بنحو ستة أيام توفي هو، وصُلي عليه بالمسجد الأقصى بعـد صلاة الظهر من يوم الأحـد، ودفن بتربـة ماملا ظاهر القدس الشريف.

وكان أسند وصيته لشيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف ـ أمتع الله بحياته ـ، فتوجه إلى التربـة، وتولى أمره، ووقف على دفنه، وصحبته جماعة من الأعيان، وقضاة الشرع الشريف.

واستمر الوباء بالقـدس الشريف في قوتـه إلى سلخ شهر شعبان، وأفنى خلقاً كثيراً من الأطفال والشبان، وأفنى طائفة الهنود عن آخرهم، وكذلك طائفة الحبشة.

وفيها توفي عدد من الأخيار الصالحين:

منهم: الشيخ جبريل الكردي الشـافعي، وكـان من أهل الفضل، وكان معظماً عند شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف.

ومنهم: الشيخ الصالح الفاضل يوسـف السليماني الحنفي نائـبُ إمام الصخرة الشريفة، وكان من أهل الخير والصلاح والفضل في مذهب

الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وكان يصلي إماماً بالصخرة الشريفة، وعلى قراءته الأنس.

ومنهم: الشيخ الصالح المقرئ علي الجزولي المغربي، نائب إمام المالكية بالمسجد الأقصى، وكان من أهل الخير والصلاح، حافظاً لكتاب الله، وكان يؤم بجامع المغاربة، ويؤدي الصلاة على أوضاعها من الطمأنينة في الركوع والسجود.

ومنهم: الشيخ الصالح موسى المغربي، وكان عبداً صالحاً، وكان مقيماً بالخلوة التي تحت سور الصخرة الشريفة القبلي سفل التاريخ، وكان يجلس على باب الخلوة، ويجتمع عنده أهل الخير يتلون كتاب الله، وكان يجلس غالباً ورأسه مكشوف، والصلاح ظاهر عليه.

ومنهم: الشيخ الصالح الناسك إسحاق الجبرتي، وكان عابداً زاهداً، منقطعاً إلى الله تعالى في الخلوة التي بصدر جامع النساء بداخل المسجد الأقصى، والناس يترددون إليه، ويتبركون به، ولقد ظهر له كرامات ومكاشفات ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ.

وتناقص من أول شهر رمضان، وتوفي الخطيب جلال الدين محمد ابن الخطيب محب الدين أحمد ابن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، خطيبُ المسجد الأقصى الشريف، وشيخُ الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، وكان شاباً حسناً، بلغ من العمر نحو اثنتين وعشرين سنة، ولم يحصل منه ضرر لأحد، وكان متأدباً سالكاً طريق الحشمة،

لم يصدر منه ما يَشينه، وتأسف الناس عليه، وكانت وفاته يوم الاثنين، سابع شهر رمضان، ودفن بماملا عند الشيخ شهاب الدين بن أرسلان بتربة أسلافه ـ رحمه الله، وعفا عنه، وعوضه بشبابه الجنة ـ.

واستمر الوباء بهجومه إلى مدينة دمشق في أول شعبان سنة، وتزايد بها وتفاحش من نصف شعبان، وارتفع من القدس في أواخر شهر شوال، وتناقص من دمشق في العشر الأول من شوال، بعد أن بلغ العدد فيها في كل يوم ثلاثة آلاف، وارتفع من دمشق في أواخر شهر ذي القعدة.

وحضر شخص من القاهرة، وأخبر أنه كُتب ارتفاعٌ[1] بعِدَّة من مات بالطاعون بالقاهرة، وعُرض على السلطان، فضبَط عدَّة من مات، فكانت العدة ألف ألف، وست مئة ألف، وثمان مئة وسبعة وتسعين نفراً، كذا ورد الخبر على كاتبه من مدينة الرملة، والله أعلم بحقيقة الحال.

* **وفيها**: استقر القاضي عز الدين عبد العزيز ابن القاضي شمس الدين محمد الديري الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بالقدس الشريف.

* **وفيها**: استقر القاضي كمال الدين أبو البركات محمد ابن الشيخ خليفة المالكي في وظيفة قضاء المالكية بالقدس الشريف، ووصلت الولاية إليهما معاً على يد سعد الدين قاصد المعز البدري بن مُزْهِر صاحب ديوان الإنشاء الشريف في صبيحة يوم الخميس، خامس عشر شوال، وحصل الجمع بين يدي شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «أرقاع».

في المدرسة الأشرفية بعد صلاة العصر من اليوم المذكور، وقرئ توقيعاهما بين يديه بحضور قضاة الشرع الشريف، وجماعة من طلبة العلم الشريف، والخاص والعام، فكان تاريخ توقيع المالكي في خامس عشري رمضان، وتوقيع الحنفي في خامس شوال.

واستقر الحنفي عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد بن المهندس، وهو الذي أخذ عن والده، وكان استقراره في الثامن والعشرين[1] رمضان، سنة خمس وتسعين وثمان مئة، ودخوله إلى القدس في يوم الخميس خامس المحرم سنة ست وتسعين، واستمر بها إلى أن انفصل في التاريخ المذكور.

واستقر المالكي بعد شغور الوظيفة عن المرحوم القاضي شمس الدين بن الأزرق الأندلسي ـ الآتي[2] ذكره في حرف الميم ـ من شهر ذي الحجة سنة ست وتسعين ـ ونسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه ـ.

* **وفيها**: حج إلى بيت الله الحرام سيدنا ولي الله تعالى الشيخ شمس الدين أبو العون محمد الغزي القادري نزيل جلجولية ـ أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته، ونفعنا ببركة علومه وصالح دعواته ـ، فدخل إلى القدس الشريف من جلجولية في يوم السبت، سابع عشر شوال، وتوجه منها لبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ قاصداً مكة المشرفة بعد

---

(١) في الأصل: «ثامن عشرين».

(٢) في الأصل: «المتقدم».

الظهر من يوم الاثنين تاسع عشر شوال.

* **وفيها**: استقر الأمير جان بلاط أخو الأمير خضر بك في وظيفة نظر الحرمين الشريفين، ونيابة السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ عوضاً عن أخيه الأمير خضر، ووصل إلى القدس الشريف المرسوم الشريف بولايته في شهر رمضان، ودخل إلى القدس الشريف في بكرة يوم السبت، ثامن شهر ذي القعدة الحرام، وكان يوماً مشهوداً.

* **وفيها**: ثارت فتنة عظيمة بالقاهرة من المماليك السلطانية في شهر شوال بسبب إقطاعات من توفي في الوباء، وتهجم المماليك إلى القلعة بسبب عدم إعطاء السلطان لهم الإقطاعات، فطلع إليهم الأمير تمراز أمير سلاح، وعنفهم بالكلام، ووعدهم بكل جميل، وأخمد الفتنة.

* **وفيها**: توفي قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن يونس النابلسي الشافعي قاضي نابلس، وكان ولي قديماً قضاء نابلس، ثم أضيف إليه قضاء الرملة، ثم استقر في قضاء القدس، عوضاً عن القاضي شهاب الدين بن عتبة في أواخر سنة، لرسمه، وعزل في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وثمان مئة، واستمر سبع سنين معزولاً، ثم استقر في قضاء نابلس في سنة ثمان وثمانين وثمان مئة، وتولى الرملة على ضربين، وعزل عنها، واستمر بنابلس، ثم استوطن دمشق وصفد، مع استمراره في الولاية، ثم توجه إلى الحج إلى بيت الله الحرام، فقضى مناسكه، وخرج صحبة الحاج وهو ضعيف، فتوفي ببطن مرو، وأُعيد إلى مكة،

ودفن بها في شهر ذي الحجة، وهذا دليل على حسن الخاتمة ـ رحمه الله تعالى، ورحم جميع أموات المسلمين ـ.

* **وفيها**: توفي يونس بن إسماعيل شيخ جبل نابلس في شهر ذي القعدة، وكانت سيرته غير حسنة؛ مما ينسب إليه من الفسق، وتعاطي المحرمات، واستقر عوضه في مشيخة جبل نابلس أزبك بن قانصوه من بني عم يونس المذكور، ووردت المراسيم الشريفة لملك الأمراء أقباي نائب غزة ولملك الأمراء جان بلاط نائب القدس الشريف، وناظر الحرمين الشريفين بالتوجه إلى جبل نابلس، وتسليمه له، فتوجها حسب المراسيم الشريفة، واستقر في محل مشيخته في أواخر شهر ذي الحجة الحرام، سنة سبع وتسعين وثمان مئة، وكانت سنة شديدة.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمان مئة والخليفة المتوكل على الله أمير المؤمنين عبد العزيز بن يعقوب، والسلطان الملك الأشرف قايتباي.

* **وفيها في شهر الله المحرم**: تعين قانم الخاصكي للتوجه إلى المملكة الشامية؛ لكشف الأوقاف والمدارس على عادة من تقدمه في ذلك، وكان تقدَّمَه في الكشف الأميرُ جانم قريبُ المقام الشريف في شهور سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، ثم كشف الأوقات الأمير جان بلاط الأشرفي في شهور سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة، ودخل قانم الخاصكي المذكور إلى القدس الشريف في عشية يوم السبت ثالث صفر، وجلس في بكرة يوم الأحد بالمدرسة السلطانية بحضور شيخ الإسلام الكمالي بن أبي

شريف، وشيخ الإسلام النجمي[1] بن جماعـة، والأمير جان بلاط ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة الشريفة، وقضاة الشرع الشـريف، وقرئ المرسـوم الشـريـف الوارد على يـده بمعنى كشـف الأوقـاف، وما تحصل من التِّرك المخلفة عن الأموات في الوباء المختصة بجهة بيت المال المعمور، واستخرج من الأوقاف أموالاً نحو ألف وخمس مئة دينار، وحصل الضرر بسبب ذلك للفقراء والفقهاء، فالحكم لله العلي الكبير.

وتوجه من القدس في صبيحة يوم السبت، عاشر صفر.

* **وفيها** في العشر الأوسط من صفر: حضر الأمير أقبردي الدوادار الكبير من الديار المصرية على حين غفلة، ولم يعلم به حتى دخل مدينة غزة، ثم توجه إلى الرملة، ووضع أثقاله بها، ثم توجه من فوره هو ومَنْ معه على الخيـول إلى جهة نابلس، ثم عاد إلى الرملة، وأقام بداخل البلد هو وجماعته، ولم ينصب مخيمه بظاهرها على ما جرت به العادة، ونادى بالأمان، وأمر جماعته بعدم التعرض لأحد، ولا تشويش على الرعية.

* **وفيها**: توفي الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع شرفُ الدين موسى ابن الشيخ شهاب الدين أحمـد ابن الشيخ الصالح القدوة جمال الدين عبدالله بن الصامت القادريُّ الحنفيُّ شيخ الفقراء القادرية، وكان من أهل الخير والصلاح، وله عبادة وملازمة على ذكر الله تعالى، وكان مقيماً بالمدرسة الصيبيـة شمالي المسجد الأقصى، ويقيم فيها الأوقات

---

(١) أي: نجم الدين.

المشهودة بالذكر، خصوصاً ليالي الجمع، وكان يذكر الله تعالى في المسجد الأقصى بصدر جامع النساء عقب صلاة كل جمعة، وعليه الأنس والخشوع، وهو معتزل عن الناس، لا يخالط أبناء الدنيا، ولا يتردد إليهم، وكان جده من أكابر الصالحين، ووالده ـ أيضاً ـ كان رجلاً صالحاً، وهو من بيت قوم صالحين، وكان الشيخ موسى أضرّ في بصره، وضعف بدنه قبل وفاته بسنين، وهو ـ مع ذلك ـ لا يفتر عن ذكر الله تعالى، ولا عن ملازمة الطاعة على عادته، وكان الناس سالمين من يده ولسانه، والصلاح ظاهراً عليه.

وكان ذلك ليلة الأحد، وصُلي عليه بعد الظهر من يوم الأحد بالمسجد الأقصى في سادس عشر صفر الأغر، وحمل تابوته على الرؤوس، ودفن بتربة الساهرة ظاهر القدس الشريف من جهة الشمال، وكانت جنازته حافلة، حضرها خلق لا يحصون كثرة، ولم ير مثل جنازته في هذه الأزمنة، وشيَّعه شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاة الشرع والعلماء، والخاص والعام، وبلغ من العمر نحو ثلاث وسبعين سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

قد تقدم أن الأمير أقبردي الدوادار الكبير حضر من الأبواب الشريفة، وأقام بالرملة بداخل البلد، وكان مقامه بدار الأمير منصور بن قرابغا يبيت بها ليلاً، وجلوسه في النهار بدار ابن باكيش المعدة للحكام، وجماعته من الخدم وغيرهم نزلوا عند الناس في منازلهم متفرقين.

ثم في عشية يوم الأحد عاشر ربيع الأول حضر إلى القدس الشريف

قانصـوه، وعلى يده مرسـوم الدوادار برمي الزيـت المتحصل من جبل نابلس على التجار المعتادين بعمل الصابون كل قنطار بخمسة عشر ديناراً، بعد أن خُتم على ما اشتروه من القلي، ونودي في البلد بالأمان للعوام، وأن الزيت لا يأخذه إلا أربابه، فمن الناس من لم يصدق هذه المناداة، وخرج هارباً، ومنهم من اطمأن، ثم شرع قانصوه في كتابة أسماء التجار، ومَنْ لـه عادة بعمـل الصابون حتى اطمأن الناس، وشَرع يقبض عليهم واحداً بعد واحد، من التجار وغيرهم، ويلزمهم بشراء الزيت على حكم ما فعـل بهم في سـنة سـت وتسعين وثمـان مئـة، ورمي على اليـهـود والنصارى، وطلب بعض نساء الغائبين[1]، ولكنـه في هذه المرة أخـفُّ وطأة من المرة الأولى التي كانت في سنة ست، بمقتضى أن ناظر الحرمين ونائـب السلطنة بالقدس الأميـر جان بلاط اعتنى بأهل بيـت المقدس، وظهر منـه التلطف بالرعيـة، فلم يقع فيهم الإفحاش كما تقدم في زمن دقماق النائب.

وكان الزيت المرسوم برميه على القدس وبلد الخليل ألف وخمس مئة قنطار، من ذلك مئة وستون قنطاراً مختصة بأهل الخليل، وعلى أهل غزة ألف قنطـار، ثم رمي على أهـل الرملـة، وضيـق عليهم بالضـرب والحبس وإخراج بعض الحريم؛ كما وقـع لأهل القدس في سنة سـت وتسعين، فالحكم لله العلي الكبير.

---

(١) في الأصل: «وطلب بعض نساء بسبب الغائبين».

وسافر قانصوه من القدس صحبةَ ناظر الحرمين بالمال المقبوض بعد صلاة الجمعة، العشرين من ربيع الآخر، بعد إقامته بها أربعين يوماً، وحضر إلى الأمير أقبردي الدوادار النواب والأمراء إلى الرملة من طرابلس وحماة وصفد والبيرة، وأُهدي إليه من الأموال والمواشي ما لا يحصى، ثم حضر إليه ملك الأمراء قانصوه اليحياوي كافل المملكة الشامية، والأمير يونس حاجب الحجاب بالشام، وغيرُهما، وحضر الأمير قانصوه اليحياوي إلى القدس الشريف لقصد الزيارة، ونزل في تربته التي أنشأها بظاهر باب الأسباط في عشية يوم الخميس، رابع جمادى الأولى، وتوجه في صبيحة يوم الأحد سابع الشهر قاصداً إلى دمشق المحروسة، وتوجه الأمير أقبردي الدوادار من الرملة لجهة الغور لقتال العرب، وتوجه إليه الأمير جان بلاط ناظرُ الحرمين، وناظر القدس الشريف في بكرة يوم الاثنين من جمادى الأولى، [وتوجه إلى] بلاد حوران وما والاها من البلاد، ونهب أذرعات وغيرها، وحصل من الأموال والمواشي ما لا يحصى كثرة، وحضر إليه عامر بن مقلد شيخ العرب، فقبض عليه، وحضر إلى مدينة الرملة في يوم السبت، تاسع عشر شهر جمادى الآخرة، وتوجه منها قاصداً الأبواب الشريفة في ليلة الجمعة، خامس عشر جمادى الآخرة، وصحبته من المواشي ما لا يحصى كثرة، فهلك منها في الطريق غالبها، ولم يصل معه منها إلى القاهرة إلا الأقل.

* **وفيها**: توفي القاضي غرس الدين خليل الكناني أخو الشيخ أبي العباس الواعظ بمكة المشرفة، وكان ولي قضاء نابلس، وقضاء صفد،

وباشر نيابة الحكم بالديار المصرية، ثم ولي قضاء الشافعية بالقدس الشريف، ومشيخة المدرسة الصالحية، وأضيف إليه قضاء بلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، والرملة، وكان دخوله للقدس الشريف في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة، وعزل في أوائل سنة ست وسبعين وثمان مئة، وتقدم طرف من أخباره في ترجمة السلطان الملك الأشرف قايتباي، واستمر معزولاً مقيماً بغزة ومجدل حمامة، ثم توجه للحج في سنة سبع وتسعين وثمان مئة، وجاور بمكة، فمات بها في شهور سنة **ثمان وتسعين وثمان مئة**، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها**: في شهر شوال حل ركاب الأمير قانصوه نائب قلعة الجبل المنصورةَ بالديار المصرية إلى مدينة الرملة متوجهاً إلى ملك الشرق من الأبواب الشريفة، وأوقع الصلح بين أخيه الأمير جان بلاط ناظر الحرمين الشريفين، ونائب القدس الشريف، وبين ملك الأمراء المقر السيفي أقباي كافل المملكة الغزيّة؛ بسبب ما كان بينهما من التنافس.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمان مئة والخليفة والسلطان على عادتهما.

* **وفيها**: توجه الأمير جان بلاط نائب القدس الشريف إلى الأبواب الشريفة، وكان سفره من القدس في ليلة السبت، تاسع عشرين المحرم، ولم يعلم أحد بسفره إلا بعد يومين أو ثلاثة، فوصل إلى القاهرة.

* **وفيها**: توفي الأمير أزدمر نائب حلب، وكان ظالماً عَسوفاً للرعية، وحصل منه لأهل حلب الضرر الكثير، وكان كثير الإساءة لطائفة

الفقهاء، وامتهان أحكام الشريعـة المطهـرة، وكان أمير مجلس بالديار المصرية، ثم ولي نيابة حلب.

* **وفيها**: توفي الأمير أزدمر نائب صفد المعروف بالمسرطن، وكان أحد الأمراء المقدمين بالديار المصريـة، ثم ولي نيابـة صفـد، فأحسن السيرة، وعدل في الرعية؛ بخلاف ما كان عليه نائب حلب، فهو يوافقه في الاسم، ويخالفه في الفعل، وكانت وفاتهما في مدة متقاربة، فطلع سيف كل واحد منهما للسلطان، وكان ذلك في شهر صفر.

* **وفيها**: استقر القاضي شرف الدين يحيى العيزري في وظيفة قضاء الشافعية بغزة، عوضاً عن القاضي شمس الدين بن المحاسن، بعد محن حصلت له، وصودر وحبس بعد الكشف عليه وكتابـة محاضر في حقه بمال أُنهي أنه في جهته من الناس في مدة ولايته، وكان ابتداء ولايته في أوائل سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وعزل مرات بالقاضي محيي الدين ابن جبريل، وبالقاضي شرف الدين العيزري المقدَّم ذكرُه، ثم استقر في الولاية من سنة تسعين وثمان مئة، واستمر بها إلى أن قدر الله تعالى بمحنته في هذه المرّة، واستقر عوضـه القاضي شرف الدين العيـزري، وأُلبس التشريف الشريف في دار السعادة بغـزة، بحضـور ملك الأمراء السيفي أقباي، في شهر الله المحرم الحرام.

* **وفيها**: في يوم الثلاثاء تاسع عشري ربيع الأول الموافق لسابع كانون الثاني: وقع الثلج بالقدس الشريف، واستمر ينزل من ظهر الثلاثاء إلى عشية يوم الخميس مستهل ربيع الآخر، ليلاً ونهاراً حتى امتلأت الشوارع

والأسطحة والأماكن، ورُئي منـه ما لم يُعْهَـد في هذه الأزمنـة من نحو سبعين سنة، حتى كان حجمـه فوق الأرض في بعض الأماكن أكثر من أربعة أذرع، وأخبرت أنـه بلغ في بعض الأماكن أكثر من خمسة أذرع، وتقطعت السُّبل وسُدَّت الشوارع، وأصبح الناس في يوم الجمعـة ثاني ربيع الآخر في شدة شديدة، وأقيمت صلاة الجمعـة بالمسجد الأقصى الشريف، فلم يحضرها من أهل بيت المقدس النصف، بل ولا الثلث.

ووقع الثلج بمدينة الرملة، ولم يعهد وقوعه بها في هذه الأزمنة، إلا ما يحكى أنه من مدة طويلة من نحو ثمانين سنة وقع بها مرّة في سنة من السنين، فسماها أهل الرملة: سنة الثلجة، ولم يُعلم أنه بلغ قدر ما بلغ في هذه المرة، حتى قيل: إنـه وصل إلى البحر، [واستمر] في شوارع القدس أكثر من عشرين يوماً، وقد اشتد حتى صار كالحجارة، ثم وقع البرد الشديد بعد وقوع الثلج بنحـو خمسة عشر يوماً، حتى جمد الماء وصار جليداً، ثم في عشية الخميس ليلة الجمعة، السادس عشر من ربيع الآخر عاود الثلج، ونزل حتى عمَّ الأرض، لكنه كان خفيفاً.

ومن الاتفاق: أن الثلج كان وقع بالقدس في السنة الماضية، وهي سنة ثمان وتسعين، في يوم تاسع عشرين ربيـع الأول، ثم وقع في هذه السنة في تاسع عشرين ربيع الأول، لكنه في العام الماضي كان في يوم الجمعة، وفي هذا العام في يوم الثلاثاء، فسبحان القادر على كل شيء.

ثم وقع الثلج بغزة المحروسة، ولم يعلم وقوعه بها قبل ذلك.

قد تقدم قبل ذلك: أن الأمير جان بلاط ناظرَ الحرمين الشريفين،

ونائبَ السلطنة بالقـدس الشريف توجَّـه إلى الأبواب الشريفة في تاسع عشرين المحرم، فلما وصل إلى الخدم الشريفة، بقي هناك مدة، وحصل له الإنعام الشريف باستمراره في وظيفته، وأُلبس التشريف، ودخلها في بكرة يوم الخميس، ثاني عشرين ربيع الآخر، وكان يوماً كثير المطر لم يُر مثلُه في شتاء هذا العام، وركب الناس للقائـه من القضاة والأعيان، واستمر المطر ينزل عليهم من عند خان الملك الظاهر بيبرس وإلى دار النيابة، ودخل صحبته القاضي برهان الدين الجوهري، وعليه خلعة كاملية بفرو سمور، ولم يعهد دخول حاكم لبيت المقدس في مثل هذا اليوم إلا في سنة سبع وسبعين وثمان مئـة لما توفي الأمير دقماق الأينالي نائـب القدس الشريف ـ المتقدم ذكره في ترجمة مولانا السلطان ـ، واستقر بعده في النيابـة جقمق الظالم العاجز، فدخل إلى القدس الشريف في شـهر رمضان من السنة المذكورة، في يوم كثير المطر كهذا اليوم.

وفي ثاني يوم دخول الأمير جان بلاط إلى القدس الشريف، وهو نهار الجمعـة، الموافق لآخر يوم من كانون الثاني، وقع الثلج بالقدس الشريف مرّة ثالثة، واستمر ينزل من وقت صلاة الجمعة إلى بعد الظهر من يوم السبت، حتى بقي حجمه فوق الأرض أكثر من ذراع، وامتلأت الشوارع والأسطحة منه، وانزعج الناس لذلك خشية الضرر منه، وأصبح إلى يوم الأحد، وأغاث الله عباده بنزول الغيث الغزير من بعد الظهر من يوم الأحد إلى آخر ليلة الاثنين، فأزال الثلج، حتى لم يبق منـه إلا القليل، ثم وقع الهدم في الأماكن، فسقط كثير من الدور والأبنية.

* **وفيها**: استقر الأمير أقباي نائب غزة المحروسة في نيابـة صفد عوضاً عن الأمير أزدمر المسرطن، وتوجه إليها في شهر ربيع الآخر.

واستقر في نيابة غزة الأمير قاني بك، ودخـل إليها في شهر جمادى الآخرة، وكان قدومه من حلب.

واستقر في نيابة حلب الأمير أينال نائب طرابلس.

* **وفيها**: أضيف كشف الرملة لملك الأمراء بالشام، وجهز كاشفة إليها الأمير إسكندر، فأقام بها مـدة يسيره نحـو شهر، ثم ورد مرسـوم شريف لملك الأمراء بغزة الأمير قاني بك بأن يكون متكلماً على الرملة على عادة الأمير أقباي نائب صفد حين كان نائباً بغزة، وأن يقوم لملك الأمراء بالشام بما جرت بـه عادته، وجهز متسلمه إليها، فتسلمها في عشية يوم الأربعاء ثالث رجب، ثم ورد ملك الأمراء قاني بك للرملة في يوم الثلاثاء ثامن شعبان، وحضر إليه ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة بالقدس الشريف الأمير جان بلاط، وصحبتـه قضاة بيت المقدس في يوم السبت ثاني عشر شعبان.

* **وفيها**: استقر القاضي شهاب الدين بن المهندس الحنفي في قضاء الحنفية بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليـه السلام ـ، والرملة، وورد توقيعه مؤرخاً في ثامن عشر رجب، وأُلبس التشريف الشريف من ظاهر مدينـة القدس في يوم الاثنين سابع شعبان، وكانت ولايتـه لبيت المقدس عوضاً عن القاضي عز الدين الديري ـ المتقدم ذكر ولايتـه في سنة سبع وتسعين وثمان مئة ـ، وللرملة عوضاً عن القاضي كمال الدين

محمد بن الأحزم النابلسي، وحضر إلى محل ولايته بالرملة صحبة ناظر الحرمين السيفي جان بلاط ـ في التاريخ المتقدم ذكره قريباً ـ.

* **وفيها**: توفي شيخ الإسلام صلاح الدين محمد الطرابلسي الحنفي، شيخُ المدرسة الأشرفية بالديار المصرية، وكان من أهل العلم والدين، وتقدم في ترجمة السلطان: أنه استقر في مشيخة الأشرفية عوضاً عن برهان الدين الكركي في سنة ست وثمانين وثمان مئة، وقد عظم شأنه، وصار المرجع إليه في الفتوى، وكانت وفاته في يوم الاثنين، خامس عشر رجب ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* **وفيها**: استقر قاضي القضاة محب الدين محمد بن القَصيف الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بدمشق المحروسة، عوضاً عن القاضي برهان الدين بن القطب، بعد وفاته بالقاهرة المحروسة، ووصلت الولاية إليه في شهر رجب.

* **وفيها**: استقر حسن بن إسماعيل في مشيخة جبل نابلس عوضاً عن أزبك بن إسماعيل في شهر شعبان.

* **وفيها**: استقر محمد بن إبراهيم الوديات في إمرة جرم عوضاً عن ثابت الرميني، وقدم إلى مدينة غزة، فورد مرسوم شريف لنائب غزة الأمير قاني بك، وقرينه مرسوم شريف لناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف الأمير جان بلاط يعلمهما: أن مكاتبة ملك الأمراء بغزة وردت للأبواب الشريفة تتضمن: أن أمير جرم محمد الوديات لا يصلح للإمرة؛ لعجزه عن القيام بالقود، وما هو مقرر عليه للخزائن

الشريفـة، وأن نائـب القـدس الشريف يتوجـه وصحبتـه قضـاة القدس الشريف، وأركان الدولة بها لمدينة غزة، والاجتماع لملك الأمراء بغزة وقضاتها، وأركان الدولة بها، وجميع أمراء جرم، ومن كان يصلح للولاية ممن ترضى به الرعية، ويقدر على ما هو مقرر، يُكتب له محضر شرعي، ويُعرض على المسامع الشريفة.

فتوجه ناظر الحرم، وصحبتـه قضاة القدس الشريف الأربعـة من القدس الشريف، في ليلة الأحد، سابع عشرين شعبان، ووصلوا غزة في بكرة الاثنين، وحصل الاجتماع بنائب غزة وقضاتها بدار النيابـة بغزة بعد العصر في يوم الثلاثاء، ودار الكلام بينهم فيمن يصلح، فنائب غزة قصد أن يستقر أبو العُوَيس بن أبي بكر، ونائب القدس قصد استقرار محمـد الوديات؛ لكونه هـو الذي سعى في توليته، ثم التزم ناظر الحرمين بما على محمد الوديات من القود والعادة في مدة ولايتـه، وبمبلغ خمس مئة دينار زيادة على ما هو مقرر عليه، فلم يحصل اتفاق بين نائب غزة ونائب القدس، وانفصل المجلس على غير رضا، وكل من النائبين كتب للسلطان بما يختاره، وتوجـه نائب القدس وقضاتها من غزة في بكرة نهار الأربعاء سلخ شعبان، وصحبتهم محمد الوديات أمير جرم، ومكَّنه نائب القدس من الإمرة، وألبسه خلعة السلطان، وقام في نصرته بكل ممكن.

* **وفيها**: استقر الشيخ برهان الكركي في مشيخة المدرسة الأشرفية بالديار المصرية عوضاً عن الشيخ صلاح الدين الطرابلسي بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، وأُلبس الخلعة من الحضرة الشريفة في مستهل شهر

شعبان، واستقر ـ أيضاً ـ في قراءة الحديث الشريف بالقلعة الشريفة عوضاً عن الشيخ جمال الدين سبط قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، وشرع في قراءة الحديث في الأشهر الثلاثة الشريفة، وكان قبل ذلك حصل الرضا عليه من المقام الشريف، وأقره في إمامته على حالته، وعاد إلى ما كان عليه من الحشمة، ونفاذ الكلمة، والإقبال من السلطان ـ وقد تقدم في ترجمة السلطان ما كان وقع من إخراج وظائفه عنه في حوادث سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ، والآن فقد مَنّ الله عليه بإعادة وظائفه بعد وفاة مَنْ أخذها عنه، فسبحان القادرِ على ما يشاء.

* **وفيها**: في شهر رمضان وقع بدمشق فتنة فاحشة، وهي أن رجلاً يسمى: الشيخ مبارك، أسود اللون سلك[1] طريق الفقراء، وتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان تسلط على أرباب المنكرات في كَبِّ الخمر، ونحوه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحمل منه حكام الشام الأتراك، فوقعت حادثة أوجبت أن قُبض عليه، وأُحضر إلى نائب الشام الأمير قانصوه اليحياوي، فلما حضر بين يديه، ضربه ضرباً فاحشاً، وضرب رجلين من جماعته بالمقارع، وحبسهم فثار جماعة لنصرة الشيخ مبارك، وحضر قاضي القضاة شهاب الدين بن فرفور الشافعي لمجلس النائب، وتكلم معه في إطلاق الشيخ مبارك، فلما خرج

---

(١) في الأصل: «سالك».

من السجن، اعتصب معه جماعة بسبب الرجلين المحبوسين من جماعته، وتوجهوا للسجن، وفتحوه، وأطلقوا مَنْ به من المسجونين، فلما علم النائب بذلك، أركب جماعة من مماليكه، وأمرهم بالقبض على الشيخ مبارك ومَنْ معه على هيئة الحرب، وحضروا إلى الجامع الأموي، وحصل البطشُ منهم في الناس بالضرب والقتال والنهب فيمن عرفوه ومن لم يعرفوه، حتى قُتل من الناس خلق كثير نحو مئة وثلاثين نفساً، قتل عمد بغير حق، فبعضهم قُتل خارج الجامع، وبعضهم بداخله في محل العبادة والصلاة، وتفاحش الحال في القتلى حتى صاروا كالجيف الملقاة، وكان ذلك في النهار من شهر رمضان، وأُخبرت أنه حصل فسق، وأفطر ـ أيضاً ـ من المماليك، فالحكم لله العلي الكبير.

ثم كتب نائب الشام يُعلم السلطان بذلك، وتوجه الشيخ مبارك ـ أيضاً ـ للسلطان، ومعه مكاتبات من أهل دمشق بما وقع، والله تعالى المتصرف في عباده كيف يشاء.

* **وفيها**: في شهر رمضان ـ أيضاً ـ وقع بحلب فتنة بين العوام وبعض المتصرفين من أعوان الشرطة، وقتل جماعة من الناس في نهار رمضان، نظير ما وقع بالشام، وكانت حادثة فاحشة.

* **وفيها**: في شهر رمضان توفي الأمير علاء الدين علي بن خاص بك، صهرُ المقام الشريف، وكان رجلاً عاقلاً، حصلت له الرياسة، فلم يحصل له ما حصل لغيره من الطغيان، فإنه صاهر الملوك بتزويج أخته للملك الأشرف أينال، وابنته للسلطان الملك الأشرف قايتباي، وكان

مقيماً بمنزله بخط بين القصرين، لا يتكلم بين اثنين، ولا يظهر التجوُّهَ ولا الفخر بمصاهرة الملوك، ولا تحصل منه شفاعة عند أحد من أرباب الولايات في أمر من الأمور، واستمر على ذلك إلى حين وفاته، وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها**: استقر الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد ابن الشيخ نور الدين علي الشيشيني الحنبلي أحدُ علماء الحنابلة بالديار المصرية في وظيفة قضاء الحنابلة بالحرمين الشريفين: مكة المشرفة، والمدينة الشريفة ـ على الحالِّ بها أفضلُ الصلاة والسلام ـ، عوضاً عن السيد الشريف قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر الحسني الحنبلي ـ رحمه الله تعالى ـ بحكم وفاته، بعد شغورها عنه أكثر من سنة، فإنه توفي بالمدينة الشريفة في نصف شعبان، سنة ثمان وتسعين وثمان مئة، مباشرته لقضاء الحرمين الشريفين نحو خمسة وثلاثين سنة، وكان من أهل العلم والدين، عفيفاً في مباشرته ـ رحمه الله ـ.

* **وفيها**: حضر الأمير قاني بك نائب غزة المحروسة إلى القدس الشريف، حسب المرسوم الشريف الوارد عليه في ذلك، وكان دخوله للقدس في ضحى يوم الثلاثاء، عاشر شهر ذي القعدة الحرام، وحصل الاجتماع بينه وبين الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين الشريفين، ونائبِ السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، بحضور شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بمنزله بالمدرسة التنكزية، ووقع الصلح بينهما، وحصلت الموافقة والمعاهدة على زوال ما بينهما من التنافر.

وتوجه نائب غزة من القدس في عشية نهار الأربعاء.

* **وفيها**: توفي الأمير يشبك بن حيدر نائب حماة، وكان باشر الولاية بالقاهرة المحروسة مدة طويلة تقرب من عشرين سنة، ثم ولي حماة، واستمر إلى أن مات بها.

* **وفيها**: توفي الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ نجم الدين أحمد الخطيب الحنبلي من ذرية الشيخ أبي عُمَر ابن قدامة، مولده بصالحية دمشق، في عشية عيد الفطر، سنة خمس وثمان مئة، وكان من أهل الفضل، ومن القدماء، باشر نيابة القضاء بالديار المصرية عن قاضي القضاة محب الدين بن نصر الله البغدادي، ومن بعده إلى أيام قاضي القضاة عز الدين الكناني، وكان في دولة الأشرف أينال تُكُلِّم له في قضاء الديار المصرية، فلم ينبرم ذلك، ثم لما توفي قاضي القضاة عز الدين الكناني، تطاول للولاية، فلم يقدَّر ذلك، واستمر خاملاً إلى أن توفي، وكانت وفاته في نهار الأربعاء، خامس عشرين ذي القعدة بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ثم دخلت سنة تسع مئة، الخليفة والسلطان على عادتهما.

* **وفيها**: توفي الأمير يونس حاجب الحجاب بالشام المحروس، وكان خصيصاً بالسلطان، وله عنده وجاهة، وكلامه مقبول عنده، وكان قد رأس بالشام، وتَرِدُ إليه المراسيم الشريفة في الأمور المهمة، وكانت وفاته في يوم السبت، رابع المحرم ـ عفا الله عنه ـ.

* وفيها: في العشر الثالث من المحرم، لما عاد ركب الحج الشامي من مكة المشرفة، وزار النبي ﷺ، وسار إلى أن وصل إلى قريب من مدينة الكرك في مكان يعرف بـ: معان، والركب سائر، ظهر عليه عرب بني إبراهيم، ومعهم جماعة من عرب بني لام، وحصل النهب من العرب في الحج، فأخذ بعضه، فلما وصل ركب الحج إلى الحسا، حصل بين أمير الركب الشامي ومن معه من الحجاج، وبين العرب أمور يطول شرحها، وجُمع من الحجاج مال، ودُفع للعرب، وحصل الأمان بينهم، فشرع الحجاج في التحميل والسير، فظهر العرب عليهم، وأُخذ ركب الحج عن آخره، ونُهبت الأموال نهباً فاحشاً، وكانت عِدّة جمال الحجاج ثلاثة عشر ألف جمل، لم يسلم من ذلك سوى ستة عشر جملاً عرايا من غير أحمال، وكان في الحج جماعة من الأعيان بدمشق، وأُخذ قاضي القضاة شمس الدين بن المزلق الشافعي، وجماعة من أعيان التجار من أولاد القاري وغيرهم، ومعهم من الأموال ما لا يحصى كثرة، فأُخذ جميع ذلك عن آخره، وهلك من الرجال والنساء والأطفال خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى، وسار جماعةٌ حفاةً عراةً إلى أن وصلوا إلى مدينة الكرك، وبعض الحجاج استمر ملقًى في البرية، وتشتت شملُ الحجاج وتفرق، وقُبض على أمير الحاج، وأُخذ جميع ما معه، وكانت حادثة فاحشة، لم يُسمع بمثلها في هذه الأزمنة، واغتصب جماعة من أهل الكرك، وجماعة من أهل سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وتوجهوا إلى جهة الأغوار وغيرها، وأحضروا جماعة من الحجاج إلى بلد سيدنا الخليل ـ عليه

السلام ـ، وإلى القدس الشريف، فالحكم لله العلي الكبير.

والسبب في ذلك: أن أمير الركب الشامي هو أركماس دوادار السلطان بالشام، كان لما كان متوجهاً إلى الحجاز الشريف، قَبض على شخص من العرب، وضيق عليه، ثم هرب منه، فنهب أميرُ الحاج مالاً لبعض العرب وحصل منه التشوفُ عليهم، فلما عاد ركب الحج الشريف، تحالف عليه جماعةُ العربان من بني إبراهيم وبني لام، ووقعت هذه الحادثة، والله سبحانه هو المتصرف في عباده.

* **وفيها**: توفي قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن التادفي الحنبلي قاضي مدينة حلب، وكان من أهل الفضل، حسن الشكل، وخَطُّه حسن، وله مروءة وشهامة، وكانت ولايته لمنصب القضاء بحلب في دولة الملك الأشرف أينال في حدود الستين وثمان مئة، عوضاً عن قاضي القضاة علاء الدين بن مفلح، ووقع له العزل والولاية مرات بالقاضي علاء الدين بن مفلح، ثم لما نزل السلطان إلى المملكة الشامية، في شهور سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، واجتمع به بمدينة حلب، أنعم عليه باستقراره في كتابة السر، ونظرِ الجيش، ونظرِ القلعة بحلب، مضافاً لمنصب القضاء، فباشر الوظائف مدةً، فتجمد عليه مال للديوان الشريف، وطُلب إلى القاهرة، وحُبس بالسجن المعروف بالقشرة مدة طويلة، وعزل من وظائفه، واستقر فيها غيره، وهو رجل شريف من أهل حلب، فباشرها مدة، وحصل له فيها محنة بسبب تجمد المال عليه، كما وقع للقاضي جمال الدين التادفي، ثم أُفرج عن القاضي جمال الدين من

السجن، وحصل له الجبر من السلطان، وولاه وظيفة قضاء الحنابلة بحلب على عادته، وتوجه إليها، وأقام بها إلى أن توفي بها في شهر المحرم ـ غفر الله تعالى له، وسامحه ـ.

* **وفيها**: استقر الأمير قايتباي نائب صفد في نيابة السلطنة بحماة المحروسة، عوضاً عن الأمير يشبك بن حيدر، وتوجه إليها في شهر صفر، فكانت إقامته بصفد دون السنة.

* **وفيها**: توفي القاضي تقي الدين أبو بكر بن شمس الدين محمد العجلوني المعروف بابن البيدق الحنبلي، أحد خلفاء الحكم العزيز بدمشق، وكان من أهل الفضل، ومن أعيان جماعة الحنابلة بدمشق ـ رحمه الله ـ، وكانت وفاته في أوائل هذا العام ـ غفر الله تعالى له ـ.

* **وفيها**: استقر القاضي عز الدين عبد العزيز الديري الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بالقدس الشريف، عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد ابن المهندس ـ المتقدِّم ذكرُ ولايته في السنة الخالية ـ، وقد تقدم أنه استقر في قضاء القدس، وبلدِ سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، والرملةِ، وأن توقيعه مؤرخ في ثامن عشر رجب، سنة تسع وتسعين وثمان مئة، فعزل عن قضاء بلد الخليل ـ عليه السلام ـ في ثامن عشرين شعبان منها، فكان استمرار ولايته بالخليل أربعين يوماً، ثم عزل عن قضاء الرملة في يوم الأربعاء، مستهل المحرم من هذه السنة، وهي سنة تسع مئة، فكان استمرار ولايته بالرملة خمسة أشهر، واثني عشر يوماً، ثم عزل عن قضاء القدس الشريف، وورد خبر ولاية القاضي عز الدين السري، وجلس

للحكم في يوم السبت، ثامن عشرين ربيع الأول، فكان استمراره في قضاء القدس من يوم ولايته وإلى هذا اليوم ثمانية أشهر، وعشرة أيام بالنسبة إلى تاريخ توقيعه، وبالنسبة إلى لبسه التشريف، وتمكنه من الحكم في سابع شعبان، كانت مدته سبعة أشهر، وعشرين يوماً.

وفي يوم الثلاثاء، ثاني شهر ربيع الآخر: دخل الأمير جان بلاط ناظر الحرمين الشريفين، ونائبُ السلطنة بالقدس الشريف وبلدِ سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ إلى مدينة القدس، وهو لابس خلعة الشتاء الواردة إليه من الأبواب الشريفة، ودخل معه القاضي عز الدين السري، وهو لابسٌ تشريف الولاية.

* **وفيها**: برز الأمر الشريف بإضافة التكلم على كشف مدينة الرملة المحروسة، للمقر الأشرف الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين الشريفين، ونائبِ السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وأُخرجت عن المقر الأشرف الأمير قاني باي نائبِ غزة المحروسة، وتسلمها الأمير جان بلاط في شهر جمادى الأولى، وحصل لأهل الرملة السرور بذلك.

* **وفيها**: ورد السيفي علان من الأبواب الشريفة، وعلى يده مراسيمُ شريفة برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل القدس الشريف، وبلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، وغزة، والرملة، على ما جرت به العادة في سنة ست، وسنة ثمان وتسعين وثمان مئة، فرمي عليهم كل قنطار بالكيل الرملي بخمسة عشر ديناراً ذهباً، فالذي رمي على القدس

الشريف والخليل تسع مئة قنطار، وعلى أهل الرملة مئتا قنطار، وحصل لأهل البلاد المذكورة الرفقُ من الأمير جان بلاط نائبِ الحرمين ونائب القدس والخليل والرملة؛ فإنه تلطف بهم، ولم يحصل منه ضرر ولا تشويش لأحد منهم، بل استعطف خواطرهم، وأخذهم بالتي هي أحسن، فجزاه الله خيراً، ولكن تضرر الفقراء من ذلك؛ كونهم يخسرون كثيراً؛ فإن كل قنطار بخمسة عشر ديناراً، وكلفته نحو دينار، فأبيع بتسعة دنانير فما دونها، فكانت الخسارة نحو النصف، والله لطيف بعباده.

* **وفيها**: في شهر رجب حضر رجل من بلاد الفرنج، زعم أنه أخو مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي، وأنه لما أسر هو وإياه من بلاد الجركس، وأُحضر السلطان إلى الديار المصرية حتى وصل إلى ما منّ الله عليه من الملك، أُخذ هو إلى بلاد الفرنج، واستمر عندهم إلى أن بقي شيخاً، ورزق الأولاد، وهو على دين النصرانية، وذكر أنه قدم إلى القاهرة مراراً، وأنه كان ينظر أخاه السلطان، ولا يجسُر أن يتعرف به، فلما وصل علمهُ للسلطان، أحضره من بلاد الفرنج، فقدم إلى مدينة طرابلس، ثم توجه إلى الديار المصرية، فتمثل بالحضرة الشريفة، وذكر أمره للسلطان، فسأله السلطان عن حقيقة أمره، فذكر له أَمارات دلَّت على صدقه، فعند ذلك صدَّقه السلطان على أُخُوَّته وأحسن إليه، وأسلم هو وأولاده، وسمي: [....]، وأقام بالقاهرة مكرَّماً، فسبحان المتفضل على من يشاء بما شاء.

* **وفيها**: وقعت فتنة عظيمة بين الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين،

ونائبِ القدس والرملة، وبين الأمير قاني بك نائب غزة، وهو: أن الأمير جان بلاط لما قدم إلى الرملة بسبب رمي الزيت المتقدم ذكره قريباً؛ امتثالاً للمرسوم الشريف الوارد عليه بمعنى ذلك، فدخل إلى الرملة في يوم الأحد سادس عشر رجب، فلما كان في صبيحة يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب، أمر كاشفه بالرملة، وهو الجمالي يوسف بالركوب هو وجماعته، والمشي في معاملة الرملة؛ لحفظها من المناحيس، والذَّبِّ عن الرعية؛ لأنه كان ـ قبل ذلك ـ حضر جماعة من العرب، ونهبوا أبقاراً لأهل الرملة، ولأهل نيعان من أعمالها، فلما ركب الكاشف بجنده، ركب ناظر الحرمين، وصحبته دواداره برسباي، ونحو أربعة أنفس، وخرج إلى ظاهر الرملة للمسايرة، فطلع على الكاشف جماعة، فطردهم وطردوه إلى أن حصروه بالبرج الكائن بقرية خلدا من أعمال الرملة، فتحصن به، فأخذوا خيوله، وقتلوا جماعة ممن معه، وكان ناظر الحرمين بالقرب من قرية تل الجزر، فسمع الصوت، فسار بمن معه من دواداره برسباي، والأربعة أنفس الذين معه نحو الصوت، فطلع عليهم العرب، وتواقعوا، فقتلوا برسباي الدوادار ومن معه، حتى لم يبق سوى الأمير جان بلاط بمفرده، فثبت لهم، وقاتلهم أشد قتال بمفرده حتى تخلص منهم، ونجا ولله الحمد، فكان عدة القتلى في ذلك اليوم عشرة أنفس، منهم شخص شريف، فحُملوا إلى الرملة ودفنوا، وتوجه قضاةُ الرملة إلى جهة تل الجزر، وعاينوا بعض القتلى بأرضها، وكُتب محضرٌ بذلك، وجُهِّز إلى الأبواب الشريفة مع مكاتبته.

ثم كتب نائب غزة إلى السلطان يتشكى من ناظر الحرمين بكلمات مهملة لا حقيقة لها، فبرز الأمر الشريف بتجهيز الأمير قانصوه الساقي الخاصكي، وعلى يده مراسيم شريفة لشيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاة غزة والقدس والرملة بالتوجه إلى المكان الذي وقعت به الفتنة، وتحرير ذلك، وإعادة الجواب على المسامع الشريفة.

فحضر شيخ الإسلام المشار إليه، وصحبته قضاة القدس الشريف إلى الرملة في يوم الأربعاء، عاشر رمضان، واجتمع به الخاصكي، وقضاة الرملة، وتوجهوا إلى قرية تل الجزر، وحرروا الأمر في ذلك، فتبين لهم أن الحق بيد ناظرِ الحرمين، وأن القتل والفتنة كانا في معاملته، وحضر قضاة غزة إلى تل الصافية بأطراف معاملة غزة، وامتنعوا من الحضور إلى الرملة، والاجتماع بشيخ الإسلام وقضاةِ القدس والرملة، وأظهروا التعصب لنائب غزة.

وكتب شيخ الإسلام وقضاةُ القدس والرملة محضراً، وكتبوا خطوطهم عليه بما يقتضي أن الحق بيد ناظر الحرمين، ثم كتب قضاة غزة محضراً بما اختاروه، وملخصه: أن ناظر الحرمين كان هو المتعدي بدخوله معاملة غزة، وجُهز كلٌّ من المحضرين للأبواب الشريفة، ثم حضر الخاصكي إلى القدس الشريف للزيارة، ثم توجه لزيارة سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، ثم توجه إلى غزة ليقيم فيها لانتظار الجواب بما يرد عليه من المراسيم الشريفة.

* **وفيها**: توفي قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن شمس

الدين محمد الحموي الشيبي المعروف بابن إدريس، وبابن العطار الحنبلي قاضي طرابلس، وكان من أهل الفضل، وباشر القضاء بطرابلس أكثر من عشرين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث ناصر الدين محمد ابن الشيخ عماد الدين أبي بكر، المشهور بابن زريق، من ذرية الشيخ أبي عُمر بن قُدامة الحنبلي، وكان من أهل الفضل، ومن بيت كبير، ومن أعيان المحدِّثين، وكان ناظراً على مدرسة جده الشيخ أبي عمر بصالحية دمشق، وقد عُمِّر رحمه الله.

* **وفيها**: توفي الشيخ الإمام العالم العلامة المحدِّث علاءُ الدين علي ابن البهاء البغدادي الحنبلي، أحدُ مشايخ الحنابلة بدمشق، قدم من بلاده إلى مدرسة أبي عُمر في سنة سبع وثلاثين وثمان مئة، وهو بالغ، أو قاربَ البلوغ، وأقام بها، وصار من أعيان الجماعة، وصنف «شرح الوجيز»، ثم لما ولي قضاءَ دمشق قاضي القضاة نجمُ الدين بن مفلح، استخلفه في الحكم، فباشر عنه إلى حين وفاته، وتوفي في سن الثمانين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وتوفي الشيخ الإمام العالم المحدث برهان الدين إبراهيم الناجي الشافعي محدِّثُ دمشق وواعظها، وكان في ابتداء أمره حنبليَّ المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ﷺ، وصار له القبول في الوعظ، وأحبه الناس، وترددوا إليه، وأخذوا عنه، وكان مقيماً بالقبيبات وتوفي في شهر رمضان، وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وفيها: يوم الاثنين ثاني عشرين رمضان المعظم خُتم كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» على شيخ الشيوخ الجلالي أبي الفرح عبد الرحمن بن أبي شريف الشافعي شيخ الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، أخي شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الكريم الموقت الخليلي المقرئ الشافعي، وكان الختم بالمدرسة الشريفة الأشرفية بالمسجد الأقصى الشريف، بحضور شيخ الإسلام الكمالي، وأخيه شيخ الإسلام البرهاني ـ أمتع الله الأيام بوجودهما ـ، وبحضور جمع من القضاة والفقهاء والأعيان، وكان يوماً مشهوداً.

وقد ألف الشيخ أبو البركات المغربي المالكي قصيدة في معنى الختم المشار إليه، امتدح بها الشيخ جلال الدين، وتعرض فيها لمدح أخويه شيخي الإسلام: الكمالي، والبرهاني، المشار إليهما، ومنها:

شِفَاءٌ خَتْمُهُ فَتْحُ المَعَالِي ... وَرَسْمٌ بِالعِنَايَةِ لِلجَلاَلِ
فُتُوحُكَ بِالشِّفَا فَتْحٌ مُبِينٌ ... يَدُلُّ عَلَى العُلاَ حَالٌ بِحَالِ
فَمِنْهُ إِلَى مُنَاوَلَةِ البُخَارِي ... وَلِلْفُتْيَا وَإِدْرَاكِ المَعَالِي
أَلَسْتَ مُعَرِّفاً بِحُقُوقِ مَنْ لاَ ... تَخِيبُ لَدَيْهِ رَاحَاتُ الأَمَالِ
نَبِيٌّ مَدْحُهُ كَهْفٌ مَنِيعٌ ... وَذُخْرٌ عِنْدَ حَادِثَةِ اللَّيَالِي
رَسُولٌ شَأْنُهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ ... وَقَدْرٌ كَامِلُ الأَجْزَاءِ عَالِ

أَيَا ابْنَ أَبِي شَرِيفٍ نِلْتَ حَظّاً ظَفِرْتَ بِمَا تَشَاءُ فَلاَ تُبَالِ

أَتَيْتَ بِكُلِّ ذِي مَعْنًى لَطِيفٍ تُعَبِّرُ عَنْهُ بِالسِّحْرِ الحَلاَلِ

بِدَايَتُكُمْ نِهَايَةُ كُلِّ حَبْرٍ تَدُلُّ عَلَى التَّفَرُّدِ[1] بِالخِصَالِ

جَلاَلَ الدِّينِ بِالبُرْهَانِ تَسْمُو عَلَى أَعْلَى مَقَامَاتِ الكَمَالِ

فَثِقْ وَصِلِ الصَّلاَةَ عَلَى نَبِيٍّ كَرِيمٍ مَاجِدٍ بِالخَيْرِ آلِ

عَلَيْهِ وَآلِهِ أَزْكَى صَلاَةٍ وَخَيْرُ تَحِيَّةٍ مِنْ ذِي الجَلاَلِ

* **وفيها**: ورد مرسوم شريف على شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف بأن يكون متكلماً على الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، ينظر في أمرها، وعملِ مصالحها، فحضرها في عشية يوم الاثنين، سادس شوال، وجلس بالجمع مع الصوفية في مجلس للشيخ، وحصل للخانقاه وأهلها الجمالُ بحضوره، ثم بعد فراغ الحضور جلس على تفرقة الخبز على عادة مشايخها، وتصرف فيها بإجارة الوقف، والنظرِ في أمره، وشرع في عمارة الخانقاه، وإصلاح ما اختل من نظامها ـ أثابه الله الجنة ـ.

* **وفيها**: وقعت فتنة فاحشة بمدينة حماة، وهي: أن نائبها الأمير أقباي لما دخل إليها، حصل منه العسف، وشرع في التشديد عليهم، وقتل منهم جماعة، وأحرق منازلهم، فثاروا عليه، وجمعوا الجموع الكثيرة، وحصروه في منزله، وشرعوا في أسباب انتهاك حرمته، فكتب

---

(١) في الأصل: «الفرد».

للسلطان يُعْلمه بما هو فيه، فبرز أمر السلطان إلى نائب حلب، ونائب طرابلس، ونائب حمص، ومن أُضيف إليهم من مشايخ العربان بالركوب إلى حماة، والقيام في نصرة الأمير أقباي، وحرق حماة، ونهبها، وقتل أهلها، فركب النواب المذكورون ومَنْ معهم من العساكر والجمع، وحضروا إلى حماة، ونازلوها في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المعظم، وحرقوا منها الجانب القبلي من الجسر إلى باب العميان إلى جانب السجن، وهي محلة كبيرة نحو ثلث المدينة، ونهبوا ما فيها من الأموال مما لا يدخل تحت الحصر، وقتلوا من الرجال وغيرهم نحو خمس مئة نفر، واستمر الحرق والنهب والقتل ثلاثة أيام متوالية، وحصل فيها من الفسق والفساد وسبي الحريم ما لا يكاد يوصف، ثم تفرق النواب ومن معهم إلى محل أوطانهم، واستمر نائب حماة بها، وكانت حادثة فاحشة، لم يُسمع مثلها في هذه الأزمنة.

* **وفيها**: وقعت فتنة بالقاهرة المحروسة، وهي: أن السلطان حصل له توعك في شهر رمضان، وأُشيع في المدينة وفاته، ووقع الإرجاف في الرعية والعسكر، فبادر الأمير قانصوه خمس مئة أمير أخور كبير، وحَصَّن القلعة، وأُشيع عنه أنه تطاول لأخذ السلطنة، وكثر الكلام بسبب ذلك، ثم إن الأمير قانصوه قصد الدخول إلى السلطان، ومشاهدة حاله، فحضر إلى باب الحريم، فلقيه بعض الخدام، وقال: إن السلطان متوعك، ولا يمكنك الاجتماع به، فنهر الخادم، وضربه، ودخل هجماً إلى السلطان، فوجد عنده الأمير جان بلاط أحدَ الأمراء المقدَّمين بالديار

المصرية، والأمير ماماي الدوادار الثاني، وهما جالسان عند رجلي السلطان، وهو نائم في فراشه، فلما وقع نظره عليه، شرع الأمير قانصوه يكلم السلطان بكلام لطيف، معناه: أنه حصل له الانزعاج بسبب توعك السلطان، وأنه قصد التمثل لحضرته الشريفة لمشاهدة ذاته الشريفة ليطمئن قلبه، ثم انصرف من عنده، فأُخبر السلطان بما فعله من تحصين القلعة، ودخوله إليه هجماً، فأجاب السلطان عنه بجواب يقتضي الاعتذار عنه، ولم يُظهر الغضب عليه، فتحرك العسكر على الأمير قانصوه، وقصدوا انتهاك حرمته، فأمره السلطان بالتوجه من القاهرة إلى ذلك البر لإخماد الفتنة، فتوجه، واستمر غائباً بقية شهر رمضان، فلما دخل شهر شوال، ركب المماليك، وتوجهوا إلى منزل الأمير قانصوه بقناطر السباع، ونهبوه وحَرَقوه وحُرق عدة أماكن ونُهبت، وحصل للناس في ذلك الضرر الكثير، وقتل في الحريق خلق من الناس، واستمر ذلك نحو ستة أيام، وطلب العسكر من السلطان إخراج الأمير قانصوه إلى القدس الشريف، فأظهر لهم السلطان أنه يجيبهم إلى ذلك، ثم تكلم الأمير أزبك أتابكُ العساكر، والأمير تمراز أميرُ سلاح مع السلطان في أمر الأمير قانصوه أمير أخور كبير، وأن إخراجه إلى القدس الشريف لا فائدة فيه، وشَرَعا في إخماد الفتنة، فطلب السلطان أكابر المماليك، وتلطف بهم في الكلام، واسترضاهم على الأمير قانصوه، ووعدهم بكل جميل، فرضوا بذلك امتثالاً لأمره، وأُحضر الأمير قانصوه إلى الحضرة الشريفة، وأُلبس خلعة من حضرة السلطان، ونزل إلى المدينة والناس في خدمته من الأمراء

والخاصكية والمماليك السلطانيـة، ونودي في المدينـة للرعية بالأمان والطمأنينة، والله سبحانه يلطف بعباده.

* **وفيها**: في شهر رمضان في أواخره وقع حريق فاحش بدمشـق المحروسة، فاحترق سوق جسر الزلابية، وجسر الحديد، وانتهى الحريق إلى المدرسة المؤيدية تحت القلعة، وعُدم للناس من الأموال والأمتعة ما لا يحصى، وهلك فيها خلق كثير.

* **وفيها**: وصل مرسوم السلطان إلى الأمير جان بلاط نائب القدس الشريف؛ بأن يرمي على أهل القدس الشريف من زيت الذخيرة الشريفة ثلاث مئة قنطار، كل قنطار بخمسة عشر ديناراً، على حُكْمِ ما تقدم في حوادث هذه السنة.

فطلب التجار والناس، وأُلزموا بأخذ الزيت، ثم كتب الأمير جان بلاط إلى كاشفـه بالرملة بطلب التجـار بها، وأن يرمي عليهم من زيت الذخيرة الشريفة، فطُلبوا، وأُلزموا بذلك.

وحصل لأهل القـدس الشريف والرملة الضررُ من ذلك؛ لكونهم تقدم لهم أخذ الزيت، ثم رُمي عليهم مرة ثانية؛ فإنه لما رمي الزيت في سنة ست وتسعين، وفي سنة ثمان وتسعين رمي مرة واحدة، وفي هذه السنة تكرر عليهم مرة ثانيـة، فانزعج الناس لذلك، فلا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم.

* **وفيها**: في العشر الثالث من شهر شوال ورد مرسوم السلطان إلى

شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف الشافعي، ومرسوم شريف مطلق لقضاة غزة والقدس الشريف بسبب الحادثة الواقعة بين الأمير جان بلاط ناظرِ الحرمين الشرفين ونائبِ السلطنة بالقدس الشريف، وبين الأمير قاني بك نائب غزة المحروسة ـ المتقدم ذكرها قريباً في حوادث هذه السنة ـ، وقد تقدم الكلام: أن شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاة القدس الشريف والرملة كتبوا خطوطهم بما ظهر لهم من الكشف، وبما وقع في حق نائب القدس الشريف من قتل جماعته، ونهب خيولهم وما معهم، وكتب قضاةُ غزة محضراً يتضمن أن نائب القدس هو المتعدي على نائب غزة، وجُهز كلٌّ من المحضرين إلى الأبواب الشريفة.

فلما عُرضا على السلطان، أَنكر ذلك غاية الإنكار، وكتب لشيخ الإسلام الكمالي، ولقضاة غزة والقدس يُعلمهم أنه لما جهز الأمير قانصوه الساقي الخاصكي لكشف هذه الماجرية وتحريرها، وكتابة محضر بقضاة غزة والقدس بما يتضح به الحق، وأن كلاً من النائبين كتب محضراً بما يختاره، ولم يتضح للمسامع الشريفة الحقُّ في ذلك، وأن المرسوم الشريف الوارد على يد الخاصكي إنما برز بكتابة محضر واحد لا محضرين، وبرز أمر السلطان أن شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف يتوجه بنفسه، وصحبته قضاة القدس الشريف والرملة إلى مدينة غزة المحروسة، ويجتمعوا هم وقضاة غزة، وتُحرَّر هذه الواقعة من أولها إلى آخرها، وكتابة محضر واحد، وتجهيزه للأبواب الشريفة، بما يتضح من الحق، وإن لم يحرر ذلك، تبرز المراسيم الشريفة لقضاة غزة والقدس الشريف

بإلزامهم بالقيام للخزائن الشريفة بعشرة آلاف دينار، مؤرخ المرسوم في ثالث عشر شوال، فعند ذلك قابل شيخُ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، وقضاةُ القدس الشريف أمرَ السلطان بالسمع والطاعة، وتوجهوا إلى مدينة غزة المحروسة.

وهذه الواقعة من العجائب؛ لأن شيخ الإسلام رجل عظيم الشأن، وهو بركة الوجود، وعالم الممالك، وهو شيخ كبير سنه نحو الثمانين، وبنيته ضعيفة، والسفر يشق عليه، فكُلف إلى ما لا طاقة له، في زمن الحر الشديد؛ بسبب واقعة حدثت من العرب المفسدين المحاربين، الذين لاإسلام لهم ولا إيمان، ولما توجه من القدس الشريف، حُمل في محارة على جمل، وكان لا يركب الفرس إلا قليلاً؛ لضعف بدنه إلى مدينة غزة في عشية يوم الخميس، مستهل ذي القعدة، وأصبح في يوم الجمعة حضر بين يديه قضاةُ غزة وأكابرها للسلام عليه، ثم عقب صلاة الجمعة جلس بالجامع المنسوب لمولانا السلطان، وجلس معه قانصوه الخاصكي، وقضاةُ غزة والقدس الشريف، ومن تيسر من قضاة الرملة، ودار الكلام بينهم في تحرير هذه الحادثة، وكتبوا محضراً واحداً، ملخصه: ما كتب في المحضر الأول من قتل جماعة نائب القدس الشريف، ونهب خيولهم، غير أنه زيد في هذا المحضر: أن الجمالي يوسف كاشفَ الرملة لما خرج من الرملة، ووصل إلى آخر معاملتها، وجد ثلاثة أنفار من العرب العواسة، فطردهم إلى أرض عموريا من عمل غزة المحروسة، وقُتل منهم فرسان، ثم طردوه إلى أن وصل إلى معاملة الرملة عند قرية

خلدا، وقرية تل الجزر، وحصل ما حصل من القتل والنهب ـ كما تقدم شرحه ـ.

وكتب شيخ الإسلام، وقضاةُ غزة والقدس والرملة خطوطَهم بالمحضر المذكور، وجُهز للأبواب الشريفة، وقرينه مكاتبةُ شيخ الإسلام، واستمر الخاصكي بغزة لانتظار الجواب، ثم عاد شيخ الإسلام وقضاة القدس إلى أوطانهم.

* **وفيها**: حج إلى بيت الله الحرام المقر الأشرف بدرُ الدين محمد ابن مُزْهِر صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية ـ عظم الله شأنه ـ.

* **وفيها**: توفي الشيخ الصالح الورع الزاهد وليُّ الله الشيخ نعمة بصفد، وكان صالحاً، له كرامات مشهورة، وكانت وفاته في [ذي] الحجة ـ نفعنا الله ببركته ـ.

* **وفيها**: وقعت بالقاهرة فتنة فاحشة، بسبب ما تقدم ذكره من أمر الأمير قانصوه خمس مئة أمير آخور كبير، وقد تقدم: أن السلطان كان طَلب منه إخراج الأمير قانصوه من القاهرة، وأنه استرضى العسكر على الأمير قانصوه، وتلطف بهم، وأنه خلع على الأمير قانصوه، ونزل إلى منزله في موكب عظيم، وكان هذا الحال والأمير أقبردي الدوادار الكبير في جهة الصعيد، ولم يحضر هذه الوقائع، فلما حضر إلى القاهرة في شهر ذي القعدة، واجتمع بالسلطان، سعى في إخراج الأمير قانصوه من القاهرة، وشرع في أسباب امتهانه، فبرز أمرُ السلطان للأمير قانصوه أن

يخرج من القاهرة، فإن شاء، يتوجـه إلى القدس، أو مكة، أو أي مكان أراد من غير ترسيم، فبادر الأمير قانصوه، وتوجه إلى إخوانه المتعصبين لـه، منهم: الأمير قانصـوه الألفي، والأمير قانصـوه الشـامي، والأمير مصرباي، وغيرهم، وتكلم معهم، فشدوا أزره، وقالوا له: لا سبيل إلى إخراجك، وكلنا عَضُدُك، وفي خدمتك، فتوجه الأمير قانصوه إلى المقر الأشرف أزبك أمير كبير أتابك العساكر المنصورة، وتكلم معه، فوافق الجماعة المتعصبين له، وشد عضده، وأخذ في أسباب نصرته، فاجتمع الأمراء بمنزل المقر الأتابكي، وتكلموا فيما هم فيـه، وتشاوروا في تدبير الأمور، فبلغ السلطان ذلك، فاحتفل الأميـر أقبردي الدوادار الكبيـر، وطلع إلى القلعـة، واشتد الأمـر، فانتهى الحـال إلى أنّ السلطان أمـر بالنداء: أن كل من هو في طاعة السلطان، فليطلع إلى القلعة، فبادر الأمير تمراز أمير سلاح، والأمير أزبك رأس نوبة النوب، وغيرهما من الأمراء المقدمين، وطلعوا إلى القلعـة، ثم أرسل السـلطان بعض الأمـراء إلى المقر الأتابكي، وتكلم معـه في طلوع القلعة، فأغلظ الأميـر كبيـر في القول على القاصد، ولم يطلع إلى القلعة، لا هو، ولا الأمراء المجتمعون عنده، فأعيد الجواب على السلطان، فاشتد غضبه، وأمر بإحضار الوالي، فقيل له: إن الوالي بمنزل أمير كبير، فبادر وقلد الولاية لبعض مماليكه، وألبسه الخلعة، وجهزه، وصحبته جماعـة كثيرة من المماليك، وأمـره بالتوجه إلى منزل أمير كبير، وإعلامه بأن السلطان رسم لمن أطاعه بالتوجه إلى القلعة، وإشهار النداء بذلك، فحضر الوالي الجديد إلى منزل أمير

كبير، وأعلمه بذلك، فبادر الأمير كبير من حينه، وركب وتوجه إلى القلعة، ومعه الأمير يشبك الجمالي أحدُ مقدمي الألوف والزردكاش، وطلعا إلى القلعة، واجتمعا بالسلطان، فأما الأمراء الذين كانوا بمنزل أمير كبير، ففروا عن آخرهم، وتشتت شملهم، فلما طلع الأمير كبير، والأمير يشبك الجمالي إلى القلعة، حصل ما لا خير فيه من الكلام السيئ، والترسيم عليها، ثم رسم السلطان بإخراج أمير كبير إلى مكة المشرفة، فتوجه إليها، ورسم بإخراج الأمير يشبك الجمالي إلى القدس، فحضر إليها في أواخر ذي الحجة، وشرع يتتبع بقية الأول الذين اختفوا، فأمسك قانصوه الألفي، ومصر باي، وقيت، وحبسوا بقلعة صفد، وكذلك جماعة من الأمراء نُفُوا في أماكن متفرقة، وأما الأمير قانصوه خمس مئة أمير آخور كبير، وقانصوه الشامي، فاختفى أمرهما، ولم يعلم أين توجها، فيقال: إن الأمير قانصوه خمس مئة توجه نحو الطور، واختلفت الأقوال فيه وفي قانصوه الشامي.

وانقضت سنة تسع مئة والأمر على ذلك، وكانت سنة شديدة، كثيرةَ الفتن والحروب بين الحكام وغيرهم، والله لطيف بعباده.

ثم دخلت سنة أحد وتسع مئة والخليفة المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب، والسلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي على عادتهما.

* **وفيها:** حصل الرضا على الأمير أينال الخسيف أحدِ الأمراء بالديار المصرية، وأُفرج عنه بعد الترسيم عليه، وأما الأمير قانصوه الشامي،

فوقعت فيه شفاعة من المقام الناصري محمد نجلِ المقام الشريف، وظهر من الاستتار، وولي نيابة حماة المحروسة، وخلع عليه بذلك في نهار الخميس، ثالث عشر المحرم، وعزل الأمير جان بلاط من نيابةِ القدس الشريف ونظرِ الحرمين، واستقر في أمره ميسرة بحلب المحروسة، وعزل الأمير قاني بك من نيابة غزة المحروسة، وطلب إلى القاهرة، واستقر ملك الأمراء المقر الأشرف السيفي أقباي نائب حماة في نيابة السلطنة الشريفة بغزة المحروسة والقدس الشريف، وبلدِ سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، ونظر الحرمين الشريفين، وكشف الرملة، وكُتب له بذلك مرسوم شريف في ثالث عشري المحرم، وحضر من مدينة حماة المحروسة إلى محل ولايته، فوصل إلى مدينة الرملة في يوم الاثنين، رابع عشر صفر، ودخل إلى غزة المحروسة في يوم الخميس، سابع عشر صفر، وكان يوماً مشهوداً لدخوله، ثم حضر إلى بلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ في يوم الأحد، خامس شهر ربيع الأول، ثم حضر إلى القدس في صبيحة يوم السبت، ثامن عشر ربيع الأول، وكان دخوله إليها وقت طلوع الشمس، فدخل إلى المسجد الأقصى، وقرئ توقيعه بحضور المشايخ والقضاة، ثم زار الصخرة الشريفة، ومُدَّ له السماط عند باب الناظر، وكان يوماً حافلاً.

* **وفيها**: في عاشر شهر صفر استقر الأمير تمراز أمير سلاح في الإمرة الكبرى، عوضاً عن الأمير أزبك المتوجه إلى مكة المشرفة، واستقر الأمير قاني بك الجمالي أمير سلاح.

واستقر الأمير أزبك الخازندار أمير مجلس، واستقر الأمير قاني بك قراراس نوبة النُّوَب، واستقر الأمير أينال الخسيف حاجبَ الحجاب، واستقر الأمير ماماي مقدَّم ألف عوضاً عن قانصوه الشامي الذي ولي نيابة حماة، واستمر أمر الأمير قانصوه خمس مئة موقوفاً، ولم يعلم أين هو.

* **وفيها**: توفي الأمير يشبك الجمالي بالقدس الشريف بالمدرسة الخاتونية في ليلة الاثنين، سادس ربيع الأول، وصُلي عليه بالمسجد الأقصى، ودُفن بالقلندرية بتربة ماملا ـ عفا الله عنه ـ.

* **وفيها**: توفي الشيخ علي الجبرتي بالقاهرة المحروسة، وصلي عليه بالنية بالمسجد الأقصى في شهر صفر.

* **وفيها**: احتبس المطر حتى دخل في كانون الثاني أياماً، فصام الناس ثلاثة أيام، ثم استسقوا في صبيحة يوم السبت، ثالث عشري شهر ربيع الآخر الموافق لتاسع كانون الثاني، وخطب للاستسقاء الخطيبُ العلامة شرف الدين موسى بن جماعة بالصخرة الشريفة، وكانت خطبة بليغة، ودعا الناس وابتهلوا، وتضرعوا إلى الله، وانصرفوا ولم يُسْقَوا، وطلعت الشمس حارة، واشتد الحر حتى كأنه من أيام الصيف، واستسقى أهل الرملة في ذلك اليوم ـ أيضاً ـ، واستمر المطر محتبساً إلى ليلة الاثنين ثاني جمادى الأولى، ثم أغاث الله تعالى عباده في تلك الليلة، ووقع المطر في يوم الاثنين المذكور، [و]حصلت الرحمة بفضل الله وكرمه بعد أن جزع الناس، وساءت ظنونهم، فسبحان من لا يُسأل عما يفعل.

* **وفيها**: استقر الأمير شادبك أمير آخور كبير، عوضاً عن الأمير

قانصوه خمس مئة، وأُلبس الخلعة من الحضرة الشريفة في يوم الاثنين، ثامن عشر ربيع الآخر، وأنعم في ذلك اليوم على جماعة من الأمراء باستقرارهم في وظائف بالمملكة الشريفة، واستمر الأمير قانصوه خمس مئة في الاستتار، ولم يُعلم خبره.

* **وفيها**: توفي القاضي عبد الغني بن الجيعان كاتبُ الخزانة الشريفة، ووفاته في يوم السبتُ، ثاني شعبان، ودفن يوم الأحد ثالثه ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **وفيها**: حصل للسلطان توعك، وانقطع أياماً، وكان قد انزعج خاطره من المماليك بسبب طغيانهم وعنادهم، ثم منّ الله بعافيته، وجلس على سرير الملك.

وفي نهار الثلاثاء، رابع شهر رمضان أنفق على الأمراء والمقدمين والمماليك مالاً؛ لحصول السرور بعافيته، والرضا على عسكره، وكان جملة المال المصروف في النفقة أربع مئة ألف دينار، وحصل الأمن للرعية، واطمأنت الخواطر، فنسأل الله أن يختم بخير.

[. . . .]: لما جرى ما تقدم شرحه في حوادث سنة تسع مئة، وهذه السنة، من الفتن والحروب بين العساكر بالديار المصرية، وغضب السلطان الملك الأشرف على مماليكه، وإخراجهم من الديار المصرية، وولاية بعضهم المناصب بالمملكة الشامية، والديار المصرية ـ كما تقدم ذكره مفصلاً ـ، واستمر الحال على ذلك إلى شهر شوال.

واشتغل الناس بالقاهرة بأمر الحج إلى بيت الله الحرام، وحصل في العرب تخبيط في عجرود ونخل بدرب الحجاز الشريف، فأرسل السلطان الدوادار الثاني بعمارة المكانين المذكورين قبل خروج الحجاج بعشرة أيام، وتأخر المحمل إلى عشرين شوال، وحصل على الحُجَّاج شدة من العطش، وخرج عليهم جماعة من العرب، وأخذوا منهم جمالاً، وبيعت القربة [من] الماء بدينارين، وشربة[1] الماء بخمسة أنصاف فضة، وهي عشرة دراهم شامية.

ورجع جماعة من الحجاج إلى القاهرة صحبة الدوادار الثاني، ثم مَنَّ الله تعالى على الحجاج المتوجهين إلى مكة المشرفة، فوصلوا سالمين، ولم يحصل لهم ضرر، وكانت الأسعار بأرض الحجاز مرخصة، والأقوات متيسرة.

ولماَّ كان يوم الأربعاء، ثاني شهر ذي القعدة، ركب العسكر بمصر، واستمر إلى آخر النهار، ثم في اليوم الثاني كان الأمر أعظم من اليوم الأول، وأُرمي على العسكر بالنشاب والبارود من مماليك السلطان، ومماليك الأمير أقبردي الدوادار الكبير.

ثم في ليلة الجمعة ويوم الجمعة: نُقُب منزل الدوادار من الرميلة، واحترق سوق القماش، ونُهب ما كان فيه وفي سوق السلاح، حتى أصبح التجار بالسوقين فقراء، واشتد الأمر وتفاحش، ثم حصل التراضي

(١) في الأصل: «والشربة».

والاتفاق على إحضار جميع من أخرجهم السلطان من الديار المصرية من المقيمين بغزة، وصفد، والشام، وطرابلس، والأمير قانصوه الشامي من حماة، وكُتبت المراسيم بذلك في يوم الجمعة، رابع ذي القعدة، وسافر القصاد يوم السبت خامِسِه، وأما الأمير أزبك أمير كبير، فإنه لم يُذكَر، ولم يُرسَم بإحضاره.

[. . . .] بعد المغرب ركب الوالي بالقاهرة، ومعه جماعة من المماليك بالأسلحة، وأُجهر النداء: أن الأمير قانصوه خمس مئة يظهر، وله الأمان، وفي بكرة نهار السبت طلع الأمير أقبردي الدوادار الكبير إلى القلعة، وأُلبس خلعة الاستمرار على عادته، وكذلك الأمير شادبك أمير آخور كبير، ونزلا من السبع حدرات بالقلعة، وألبس الأمير كرتباي خلعة باستمرار في كشف البحيرة، والدوادار الثاني، ونزلا من الباب المدرج، وكان يوماً مشهوداً.

ولمّا كان يوم الخميس، عاشر ذي القعدة ركب العسكر، وتفاحش الأمر، وتحدث الناس بظهور الأمير قانصوه خمس مئة، فأكمن جماعة من المماليك، منهم مئة بالسبع حدرات، ومئة في درب نُكَر، وثلاث مئة في الرميلة، وهم لابسون معتدون، فلم يظهر، فبلغ السلطان ذلك، فأحضر الأمير شادبك أمير آخور كبير، وعزله من الإمرة، واستمر مقدَّمَ ألفٍ على عادته الأولى، ثم حصل خلف وتخبيط بين الأمير أقبردي الدوادار، والأمير جان بلاط، والأمير ماماي، وكادت تقع فتنة فاحشة، ثم رسم السلطان، وأجهر النداء بأن المماليك السلطانية تطلع إلى طباقها

بالقلعة، وأن الأمراء المقدمين يتوجهون إلى منازلهم، وأن أحداً لا يتكلم فيما لا يعنيه.

ولمَّا كان يوم السبت، ثاني عشر ذي القعدة ظهر الأمير قانصوه خمس مئة، وطلع إلى القلعة، وألبس خلعة، وهي كاملية، وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله، ولم يحصل لأحد في أيام الملك الأشرف قايتباي نظيره، وتزايد توعُّكُ السلطان الملك الأشرف، واشتد ضعفه، وشرع الأمير أقبردي الدوادار الكبير في التأهُّب لعمل الأسلحة، وتحصين منزله، والأمور بينه وبين الأمير قانصوه خمس مئة في الباطن غير مسددة، والأحوال غير منتظمة.

وكان الأمير قانصوه الألفي المسجون بصفد قد تَسَحَّب من سجن قلعة صفد، وخرج هارباً مختفياً، فلما شاع ذكر ما رسم به الملك الأشرف من حضوره هو وغيره إلى القاهرة، وحصول الرضا عليهم، اجتمع الأمير قانصوه الألفي وبقية الأمراء المقيمين بالمملكة الشامية بنائب حماة الأمير قانصوه الشامي، وساروا متوجهين إلى جهة الديار المصرية، فوصلوا إلى مدينة الرملة في يوم الاثنين، ثامن عشرين ذي القعدة، وتوجهوا إلى غزة، وساروا منها ليلة الأربعاء مستهل ذي الحجة، ولم يعلموا بما وقع بالديار المصرية، وتوجه صحبتهم ملكُ الأمراء السيفي أقباي نائبُ غزة والقدس الشريف، وناظرُ الحرمين الشريفين وكاشفُ الرملة، وكان من أمرهم ما سنذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وفي نهار الاثنين، رابع عشر ذي القعدة رسم الملك الأشرف بطلب

الأمير أزبك أمير كبير من مكة المشرفـة، وكتب المرسوم بذلك، فطلع الدوادار الكبير، وتسبب في إبطال ذلك، ثم إن الأميـر تمراز أمير كبير ألبس الأمير قانصوه خمس مئة خلعة عظيمة، وأركبـه فرساً ثمينة، وكان السلطان رسم للأمير قانصوه بالتوجـه إلى الدوادار الكبير، فلما توجـه إليه، ألبسه كاملية قيمتُها ألف دينار، وأركبه فرساً ثمينة، ثم اشتد مرض السلطان وأخذ في النزع، واستمر ثمانية أيام، ثم أفاق، وحصل الخلف بين الأمراء والعسكر، وصـاروا فـريقين، واختلفت الآراء والأقـوال، وكثـر القيل والقال، وكل أحـد من الأمراء والأكابـر بالقاهرة يتكلم بما يوافق هواه.

ولما كان نهار الأحد عشرين ذي القعدة، الموافق لسابع مسري، أوفى الله النيل المبارك، وكان السلطان في شدة مرضه، وله ثلاثة أيام لم يجتمع بأحد، فنزل الأمير تمراز أميـر كبير، وكسر النيل، وصحبته الأمير يشبك قمر الوالي، وطلعا إلى القلعة، وأُلبسا الخلع بالحوش من غيـر أن يعلم بها السلطان.

ثم في نهار الاثنين، حادي عشرين ذي القعدة أرجف الناس بموت السلطان، فاجتمع بالأمير قانصوه خمس مئة جماعةٌ من الأمراء، منهم: جان بلاط، وماماي، وكرتباي الأحمر، وتاني بك الجمالي وغيـرهم من الربعينات والخاصكية والمماليك، وصار العسكر فرقتين.

ففي نهار الجمعة خامس عشرين ذي القعدة وقع بين الفريقين وقعة لطيفة قبل الصلاة، وحصل الاتفاق بين الأمير تمراز أمير كبير، والأمير

أقبردي الدوادار الكبير: أن الأمير تمراز يطلع إلى القلعة للسلام على السلطان، ويأخذ ولد السلطان، وينزل به إلى الحراقة بباب السلسلة، وأن الدوادار الكبير يركب بعد الصلاة، ويفتح له باب السلسلة، فبلغ ذلك الأمير قانصوه خمس مئة ومَنْ معه، فركبوا جميعاً من الميدان الذي عند بركة الناصرية، وترتبوا طلباً بعد طلب، ومعهم عامة مصر، وحملوا على باب السلسلة، فرمي عليهم من القلعة، فتوجه منهم فرقة من باب القرافة، وكسروا باب الميدان، ونزلوا من السبع حدرات، فوجدوا الأمير تمراز أمير كبير وهو جالس بالحراقة، فأمسكوه وضربوه، ووضعوه في الحديد، وفتح باب السلسلة، ودُقت الكُوس، وأشيع أن ولد السلطان قد تسلطن، واستمر القتال بينهم إلى المغرب من يوم الجمعة.

فلما كان يوم السبت، سادس عشرين ذي القعدة، أصبح الناس، فوجدوا الدوادار الكبير قد اختفى هو ومن معه، ولم يُعلم خبرهم، وكان قد بنى برجاً على الرميلة، فرُمي عليه وهُدم، ونُهب بيته في لحظة، حتى لم يبق فيه شيء من المال، ولا من الأسلحة، ولا من الخيول، فقيل: إن الذي أُخذ له يساوي ألف ألف دينار، غير الغنم والبقر والجمال.

ثم في اليوم المذكور، وهو يوم السبت جلس أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب العباسي ـ أعز الله به الدين ـ، وقضاة القضاة الأربعة بالديار المصرية، وهم: شيخ الإسلام زين الدين أبو محمد زكريا الأنصاري الشافعي، وشيخ الإسلام ناصر الدين أبو الخير محمد الأخميمي الحنفي، وشيخ الإسلام تقي الدين أبو الفضل

عبد الغني بن تقي المالكي، وشيخ الإسلام بدر الدين أبو المعالي محمد السعدي الحنبلي، وأركان الدولـة من أهل العقد والحل، وتوقف أمير المؤمنين في الأمر، فتوجه ثلاثـة من قضاة القضاة، والمقر البـدري بن مزهـر الأنصاري صاحـب ديوان الإنشاء إلى الملك الأشرف، فوجـدوه في حكم الأمـوات، والروح في صـدره، فرجعـوا إلى أمير المؤمنين، وأعلموه بذلك، **فبايـع الملك الناصر بالسلطنـة**، وهـو أبـو السعادات محمـد ابن الملك الأشرف أبي النصـر قايتبـاي، ولبـس شـعار الملك والسلطنة، وجلس على تخـت الملك الشريف، وانقـاد لأمره الخاص والعام، وهو يومئـذ شابٌّ في سن البلوغ، وكان يومـاً مشهوداً، وكتب علامته على المراسيم الشريفة: محمد بن قايتباي.

واستقر الأمير قانصوه خمس مئة أتابك العساكر، والأمير تاني بك الجمالي على عادتـه أميـرَ سلاح، ومشيرَ المملكة، والأمير جان بلاط دوادار كبير.

فلما كان يوم الأحد، سابع عشري ذي القعدة، أفاق الملك الأشرف بما وقع، فأرسل في الحال طلب النجارين، وعمل تابوتاً جديداً، ودكة للغسل، وبيَّض الطاسات النحاس، وعمل مقعداً، وجهز لنفسه الكفن، ووضعت له زوجته الآدُر خوند الخاصبكية مئة مثقال مسك، وما يلائم ذلك، وجُهز ذلك جميعه، وفرغ منـه بعـد العصر من يوم الأحـد، ثم دخلت له زوجته خوند، فوجدته قد أفاق من النزع، فذكرت لـه جميع ما وقـع من سلطنة ولده، والقبض على الأتابك تمراز، واختفاء الأمير

أقبردي الدوادار، ونهب منزله، فكان آخر كلامه: لا إله إلا الله، أَخْرَبوا المملكة.

فلما كان آخر نهار الأحد، قبل المغرب بنحو ثلاث درج، توفي الملك الأشرف قايتباي ـ رحمه الله تعالى ـ، وفي بكرة يوم الاثنين، ثامن عشري ذي القعدة، غُسِّل، وصُلي عليه، ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء، وكان يوماً مشهوداً لجنازته، وامتد الخلق من باب المدرج إلى تربته، حتى قيل: إنه لم يُر لأحد جنازة مثل هذه من بعد جنازة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ.

ومات وله خمس وسبعون سنة؛ فإن مولده في سنة ست وعشرين وثمان مئة، ودخل إلى القاهرة في سنة ثمان وثلاثين وثمان مئة، فاشتراه الملك الأشرف برسباي، وكان من مماليكه، ثم انتقل إلى ملك الملك الظاهر جقمق، وأعتقه، فنسب إليه، وكانت سلطنته في يوم الاثنين، سادس شهر رجب الفرد سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة، فكانت مدة سلطنته من حين ولايته إلى حين ولاية ولده الملك الناصر محمد المشار إليه تسعاً وعشرين سنة، وأربعة أشهر، وعشرين يوماً، وكان جلوسه على سرير الملك في ضحى يوم الاثنين المذكور، ونزوله إلى قبره في ضحى يوم الاثنين.

وكان شيخاً طُوالاً، أبيض اللون، حسن الشكل، فصيح اللفظ، وكان من معتبري ملوك الديار المصرية، وله شهامة وحرمة وافرة عند ملوك الأرض، وتوفي وهو على ذلك، والمأمول من كرم الله وعفوه أن

يتجاوز عن سيئاتنا وسيئاته، ويتغمدنا وإياه والمسلمين برحمته الوافرة التي وسعت كل شيء.

وقد انتهى ما أوردناه في هذا الجامع من التاريخ، على حكم ما تقدم الوعد به، مما تيسّر ذكره من قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وأخبار الخلفاء الراشدين، والملوك والسلاطين إلى سنة إحدى وتسع مئة، إلى ثامن عشري ذي القعدة الحرام منها[1].

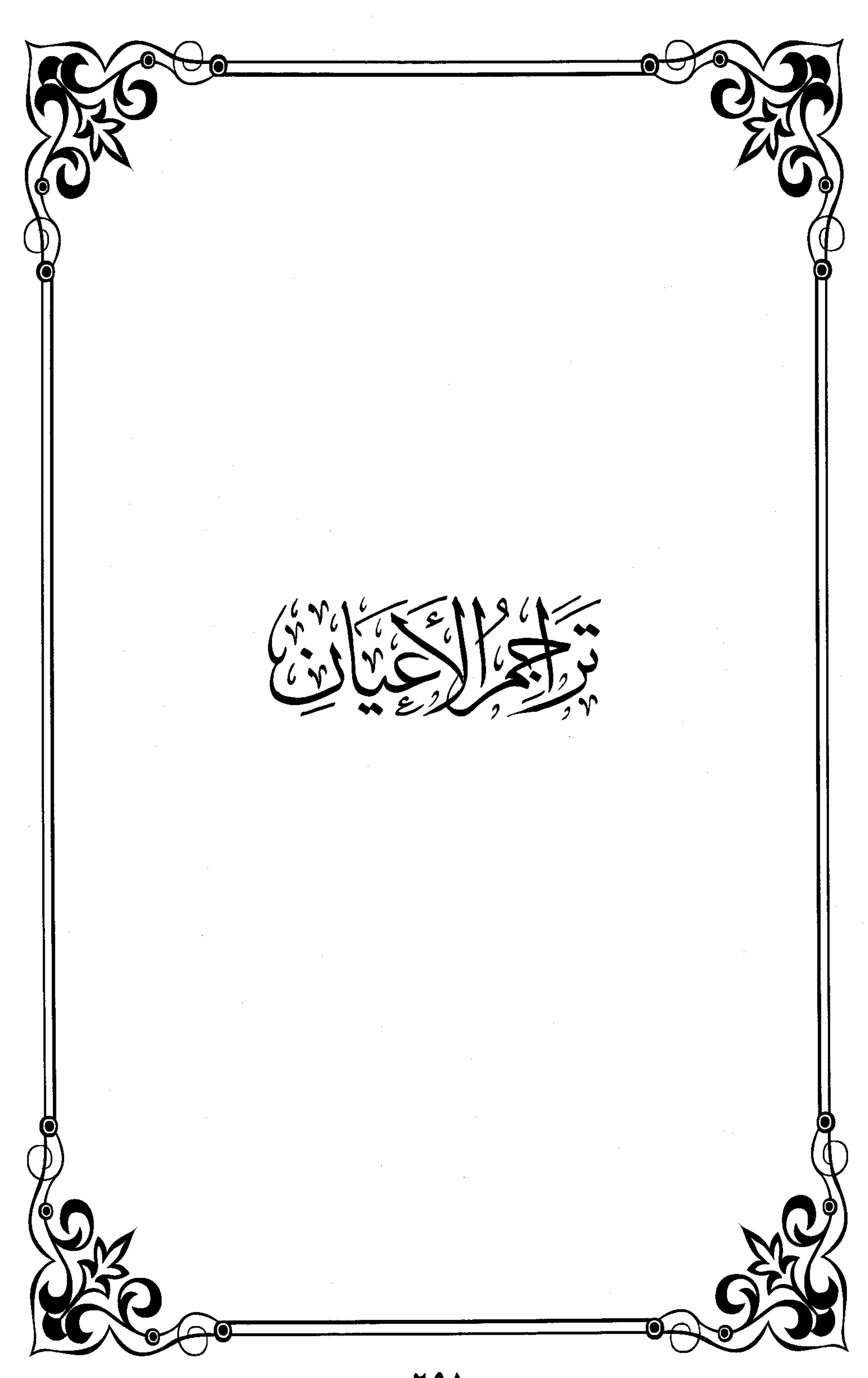


---

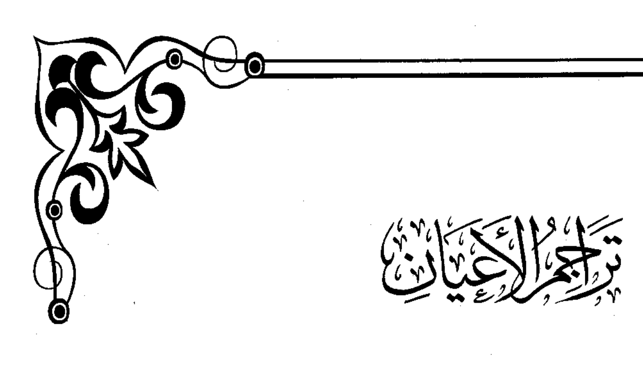
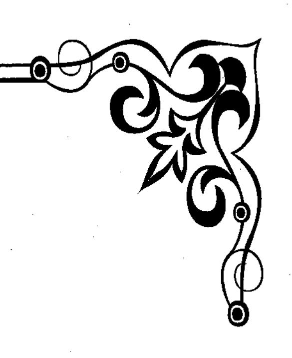
(١) جاء في آخر النسخة الخطية من الجزء الأول: «وكتبت هذه النسخة من نسخة المؤلف التي بخطه في ثالث شهر ربيع الثاني، سنة خمس وأربعين وتسع مئة بمدينة إستنبول، غفر الله لكاتبه، ولمؤلفه، ولمن كتب برسمه، ولوالديهم، ولجميع المسلمين أحياءً وأمواتاً.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

يتلوه في الجزء الثاني: تراجم الأعيان على حروف العجم».



تراجم الأعيان

تراجم الأعيان

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قال جامع هذا المختصر ـ غفر الله تعالى له وللمسلمين ـ:

لما فرغتُ من ذكر الأنبياء عليهم السلام، وختمتهم بسيد الأنام محمدٍ ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وذكرت الخلفاء من بعده، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحسن ابنُه رضي الله عنهم، ومَنْ بعدهم من الخلفاء الأموية، والعباسية بإقليم العراق، والدولة العلوية الفاطمية، والخلفاء من بني العباس بالديار المصرية، وأخبار الملوك والسلاطين بالمملكة الإسلامية، وما تيسر من ذكر أخبارهم وأحوالهم إلى عصرنا هذا، وهو سنة إحدى وتسع مئة، فرأيت أن أذكر ما تيسر من أسماء ساداتنا أئمة الإسلام، وهم: الأئمة الأربعة، وغيرهم من التابعين، والعلماء الأعلام، والرؤساء والوزراء والشعراء والأعيان، وقضاة الشرع الشريف، وطلبة العلم، وحملة القرآن.

[. . . .] في ذكر تراجمهم على وجه الاختصار، وترتيبهم على حروف المعجم، من غير التزام لترتيب الأسماء ولا الوفيات، بل بحسب

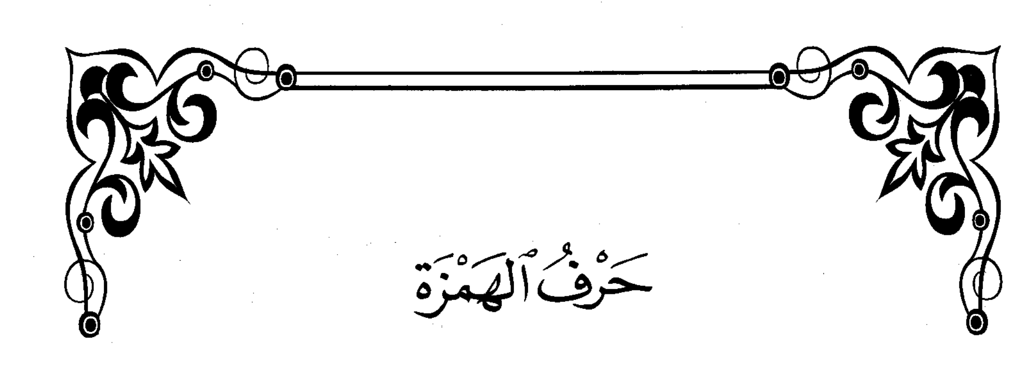
ما تيسر لي من الاطلاع على أسمائهم، ويلهمه الله من الترتيب لتراجمهم.

فإن بعض المؤرخين التزم أن يذكر في أول كل حرف أسماء معينة، فيذكر في حرف الهمزة أولاً: كلَّ من اسمه إبراهيم، ثم كل من اسمه أحمد، وفي حرف الميم يبدأ بكل من اسمه محمد، ثم يذكر كل من اسمه موسى، وهلم جَرّاً في كل حرف، بجعل كل نوع من الأسماء على حدة.

ولم أر في هذا كبير فائدة، فلم ألتزمه، بل إذا ذكرت الحرف، ذكرت فيه من تيسر ممن أول اسمه ذلك الحرف، من غير مراعاة لترتيب الأسماء.

وليس الغرض في هذا المختصر ذكرُ الحوادث والأخبار، وإنما الغرض الإحاطةُ بمعرفة اسم من ذكر فيه، وتاريخ وفاته، والعصر الذي كان موجوداً فيه [....]، وبالله التوفيق، وأسأله المعونة بفضله.

* * *



حَرْفُ ٱلْهَمْزَة

١ ـ ذكرُ ما تيسر من مناقب الإمام البارع، المجمَع على جلالته وأمانته، وورعه وزهادته، وحفظه ووفور عقله، وعلمه وسيادته، إمام المحدثين، والناصر للدين، والمناضل عن السنة، والصابر في المحنة، إمام الأئمة، رباني الأمة، **أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال** ابن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدّ بن أُدَدْ بن الهَمَيسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم ـ صلوات الله عليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ـ.

وهذا النسب فيه منقبة عظيمة، ورتبة جليلة من وجهين:

أولهما: حيث يلاقي فيه نسب رسول الله ﷺ؛ لأن نزاراً كان له أربعة أولاد، منهم: مضر، ونبينا محمد ﷺ من ولده، ومنهم: ربيعة، وإمامنا أبو عبدالله أحمد من ولده.

والوجه الثاني: أنه عربي صحيح النسب، وقد قال النبي ﷺ: «أَحِبَّ العَرَبَ لِثَلاَثٍ: لأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ»[1]، ذكره ابن الأنباري في كتاب «الوقف والابتداء».

ولد الإمام أحمد ببغداد، بعد حمله بمرو، في شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين ومئة.

وكان من أصحاب الشافعي وخواصِّه.

قال الشافعي رضي الله عنه: خرجت من بغداد، وما خلَّفت فيها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

وقال الربيع بن سليمان: قال لنا الشافعي: أحمدُ إمامٌ في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة.

وصدق الإمام الشافعي في هذا الحصر.

أما قوله: إمام في الحديث، فهذا ما لا اختلاف فيه ولا نزاع، حصل به الوفاق والإجماع.

وأما قوله: إمام في الفقه، فالصدق فيه لائح، والحق فيه واضح.

وأما قوله: إمام في اللغة، فهو كما قاله. قال المرُّوذي: كان أبو

---

(١) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٩٩٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٤١)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

عبدالله لا يلحن في الكلام.

وأما قوله: إمام في القرآن، فهو واضح البيان، لائح البرهان؛ فإنه صنف في القرآن، وهو مئة ألف، وعشرون ألف حديث، والناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر في كتاب الله، وجوابات القرآن، وغير ذلك.

وأما قوله: إمام في الفقر، فيا لها حلّةً مقصودة، وحالة محمودة، منازل السادة الأنبياء، والصفوة الأتقياء.

وأما قوله: إمام في الزهد، فحاله في ذلك أشهر وأظهر، أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها.

وأما قوله: إمام في الورع، فصدق في قوله وبرع.

ومن بعض ورعه:

كانت لأم ولدِه عبدالله دار يأخذ منها أحمدُ درهماً بحق ميراثه، فاحتاجت إلى نفقة تصلح بها، فأصلحها ابنه عبدالله، فترك أبو عبدالله أخذَ الدرهم الذي كان يأخذه، وقال: قد أفسده عليَّ، تورَّع عن أخذ حقه من الأجرة؛ خشية أن يكون ابنه أنفق على الدار مما يصل إليه من الخليفة.

وأما قوله: إمام في السنة: فلا تختلف الأوائل والأواخر أنه في السنة الإمامُ الفاخر، والبحر الزاخر. أُوذي في الله تعالى، فصبر، ولكتابه نصر، ولسنة رسوله ﷺ انتصر، أبان حَقّاً، وقال صدقاً، وزان نطقاً

وسَبْقاً، ظهر على العلماء، وقهر العظماء، ففي الصادقين ما أوجهه! وبالسابقين ما أشبهه! وعن الدنيا وأسبابها ما كان أنزهه!

جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، فهو للسنة كما قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف: ١٣].

قال علي بن المديني: أيّد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

ومناقبه ﷺ أكثرُ من أن تحصر، وأشهرُ من أن تذكر.

توفي ـ رحمه الله ـ في صدر النهار من يوم الجمعة، الثاني عشر من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومئتين، وله سبع وسبعون سنة، ودفن بباب حرب.

وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس، ووقع النوح في الطوائف كلها من سائر الملل.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: بيننا وبينهم يوم الجنائز ـ يعني: أهل البدع ـ، فأظهر الله صدقَ مقالته، وأوضح ما منحه من كرامته.

وتقدم طرف من أخباره ومحنته في تراجم الخلفاء: المعتصم، والواثق، والمتوكل ـ عفا الله عنهم ـ.

* * *

٢ ـ إبراهيم النخعي أبو عمران، وأبو عمار، إبراهيم بن يزيد بن

الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثـة[1] بن سعد بن مالك، النَّخَعيُّ، الفقيهُ الكوفيُّ: أحد الأئمة المشاهير، تابعيٌّ رأى السيدة عائشة رضي الله عنها، ودخل عليها، ولم يثبت له منها سماع.

ونسبته إلى النَّخَع ـ بفتح النـون والخاء المعجمـة، وبعدها عين مهملة ـ، وهي قبيلة من مَذْحِج باليمن.

توفي سنة ست، وقيل: **خمس وتسعين** للهجرة، وله تسع وأربعون سنة ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ.

* * *

٣ ـ أبـو ثـور إبـراهيم بن خالـد بن أبي اليمـان الكلبـي، الفقيـهُ البغداديُّ: صاحب الشافعي، وناقل الأقوال القـديمة عنـه، وكان أول اشتغاله بمذهـب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق، فاختلف إليه، ورفض مذهبه الأول.

توفي لثلاث بقين من صفر سنة [ست و] **أربعين ومئتين** ببغداد.

* * *

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمـد بن إسحاق المروزي، الفقيـهُ الشافعيُّ: إمام عصـره في الفتـوى والتـدريس، وانتهـت إليـه الرياسـة بالعراق، ثم ارتحل إلى مصر في آخر عمره، فأدركه أجله بها لسبع خلون

---

(١) في الأصل: «ربيعة بن ذهل بن حارثة بن ذهل».

من رجـب، سنة أربعين وثلاث مئـة، ودفن بالقرب من مدفـن الإمـام الشافعي رضي الله عنه.

* * *

٥ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الملقب: ركن الدين، الفقيـهُ الشافعيُّ الأصوليُّ: أقر لـه بالعلم أهـلُ العراق وخراسان، وبنيت لـه المدرسة المشهـورة بنيسابور، وتوفي بها يوم عاشوراء، سنة ثمان عشرة وأربع مئة.

* * *

٦ ـ أبـو إسـحـاق إبـراهيـم بـن علـي بـن يـوسـف الشـيـرازي الفيروز[أ]بادي، الملقب: جمال الدين، الشافعيُّ، مؤلف «التنبيـه»: الورعُ الناسك.

ولـد في سنـة ثلاث وتسعين وثلاث مئـة بفيـروز[أ]باد، وتـوفي ببغداد، ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، سنة ست[1] وسبعين وأربع مئة، ودفن من الغد بباب أبرز[2].

* * *

(١) في الأصل: «سبع».

(٢) في الأصل: «باب أبرد».

٧ ـ **أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور بن[1] جعفر بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشميُّ**: أخو هارون الرشيد، كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي.

وكان أسود اللون؛ لأن أمه جارية سوداء اسمها شكلة، وكان عظيم الجثة، [و]كان فصيحاً غزير [الأدب، وافر] الفضل، وبويع له بالخلافة ببغداد بعد المئتين، والمأمونُ يومئذٍ بخراسان، وأقام خليفة بها مقدار سنتين، وكانت مبايعته يوم الثلاثاء، لخمسٍ بقين من ذي الحجة، سنة إحدى ومئتين، بايعه العباسيون خفية، ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومئتين، وخلعوا المأمون، فلما كان يوم الجمعة، لخمسٍ خلون من المحرم، أظهروا ذلك، فلما توجّه المأمون من خراسان إلى بغداد، خاف إبراهيم على نفسه، واستخفى ليلة الأربعاء، لثلاثَ عشرةَ ليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ثلاث ومئتين، وجرى أمور يطول شرحها، ثم إن المأمون عفا عنه.

وكانت ولادته في عشر ذي القعدة، سنة اثنتين وستين ومئة، وتوفي يوم الجمعة، لتسعٍ[2] خلون من رمضان، **سنة أربع وعشرين ومئتين**، وصلى عليه ابن أخيه المعتصم بِسُرَّ مَنْ رأى.

* * *

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٩): «أبي».

(٢) في الأصل: «لسبع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٤١).

٨ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان، ويقال له ـ أيضاً ـ: ميمون بن بهمن[١]**، التميميُّ الأرجانيُّ:** المعروف بالنديم الموصِلي، ولم يكن منها، وهم من بيت كبير في العجم، ولم يكن في زمانه مثله في الغناء، واختراع الألحان، وكان إذا غنّى، وضرب أخو زوجته[٢] زُلزُلُ، اهتز لهما المجلس.

مولده بالكوفة، سنة خمس وعشرين ومئة، وتوفي ببغداد، سنة ثمان وثمانين ومئة بعلة القولنج.

* * *

٩ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله بن خفاجة الأندلسيُّ الشاعرُ: ولد ببلاد الأندلس سنة خمسين وأربع مئة، وتوفي بها يوم الأحد، لأربعٍ بقين من شوال، سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة.

فمن شعره، وهو معنى حسن:

مَـا لِلعِـذَارِ وَكَـانَ وَجْهُـكَ قِبْلَـةً
قَـدْ خَـطَّ فِيـهِ مِـنَ الـدُّجَى مِحْرَابَـا

---

(١) في الأصل: «لقمان» والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٤٢).

(٢) في الأصل: «وضربت أختُ زوجته زلزل»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٤٢).

وَأَرَى الــشَّبَابَ وَكَــانَ لَــيْسَ بِخَاشِــعٍ
قَــدْ خَــرَّ فِيــهِ رَاكِعــاً وَأَنَابَــا
وَلَقَــدْ عَلِمْــتَ بِكَــوْنِ[1] تَغْــرِكَ بَارِقــاً
أَنْ سَــوْفَ يُزْجِــي لِلعِــذَارِ سَــحَابَا

* * *

١٠ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الغزيُّ، الشاعرُ المشهورُ، ومن جيد شعره المشهور:

قَالُوا: هَجَرْتَ الشِّعْرَ، قُلْتُ: ضَـرُورَةً
بَــابُ الــدَّوَاعِي وَالبَوَاعِــثِ مُغْلَــقُ
خَلَــتِ الــدِّيَارُ فَــلاَ كَــرِيمٌ يُرْتَجَــى
مِنْــهُ النَّــوَالُ وَلاَ مَلِــيحٌ يُعْــشَقُ
وَمِــنَ العَجَائِــبِ أَنَّــهُ لا يُــشْتَرَى
ويُخَــانُ فِيــهِ مَــعَ الكَــسَادِ وَيُــسْرَقُ

ولد بغزة، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمس مئة ما بين مرو وبلخ[2] من خراسان، ودفن ببلخ.

* * *

(١) في الأصل: «بأن»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٥٦).
(٢) في الأصل: «مروقه بلخ»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٦٠).

١١ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور: من كورة بلخ، كان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيِّداً، وأثار ثعلباً أو أرنباً، وهو في طلبه، فهتف به هاتف: ألهذا خُلِقتَ، أم بهذا أُمِرتَ؟ ثم هتف به من قربوس سرجه: والله! ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فنزل عن دابته، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جُبَّة الراعي من صوف، فلبسها، وأعطاه فرسه وما معه، ثم دخل البادية، ثم دخل مكة، وصحب بها سفيان الثوري، والفضيلَ بنَ عياض، ودخل الشام، ومات بها.

وقبره مشهور بمدينة جبلة من أعمال طرابلس، وله من الكرامات ما هو مشهور، وكان يأكل من عمل يده؛ مثل: الحصادة، وحفظ البساتين، وغير ذلك.

وكان يحفظ اسمَ الله الأعظم، وكان صدِّيق وقته، وحجَّة أهل زمانه، وكان مقبولاً عند جميع المشايخ والأكابر، وصحب الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ﷺ، وكان في ابتداء حاله سلطانَ بلخ، وكانت تلك المملكة تحت حكمه وسلطانه، وكان يُحمل أربعون ترساً، وأربعون مقمعةً من ذهب أحمر بين يديه وخلفه، فتنزه عن ذلك كله، وانقطع إلى ربه، فكان من أمره ما اشتهر ﷺ.

توفي سنة إحدى وستين ومئة ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

* * *

١٢ ـ أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج الشافعي: من عظماء

الشافعية، وكان يقال له: الباز الأشهب، ولي القضاء بشيراز، وكان يفضَّل على جميع أصحاب الشافعي، حتى المزني، وكان له نظم حسن.

توفي ببغداد، لخمسٍ بقين من جمادى الأولى، **سنة ست وثلاث مئة**، ودفن بحجرته بسويقة غالب، بالجانب الغربي، بالقرب من محلة الكرخ، وعمره سبع وخمسون سنة، وستة أشهر، وكان جده سُريج مشهوراً بالصلاح، وهو بضم السين.

* * *

١٣ ـ أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص، الطبريُّ الفقيهُ الشافعيُّ: إمام وقته في طبرستان، وكان يعظ الناس، فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس، وقيل: إنه تولى القضاء بها، فعقد له مجلس وعظ، فأدركته رِقَّةٌ وخشية من ذكر الله، فخر مغشيّاً عليه، ومات **سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة**، وعرف والده بالقاصِّ؛ لأنه كان يقصُّ الأخبار والآثار.

* * *

١٤ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد، المعروف بابن القطان، البغداديُّ الشافعيُّ: من كبار أئمة الأصحاب، وكانت الرحلة إليه بالعراق، مات **سنة تسع وخمسين وثلاث مئة**، وله مصنفات في أصول الفقه وفروعه ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

١٥ ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، الأزديُّ الطَّحاويُّ الفقيهُ: انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، وكان شافعيَّ المذهب، يقرأ على المزني، وصنف كتباً مفيدة، وله تاريخ كبير.

مولده سنة تسع[1] وعشرين ومئتين، ونسبته إلى طَحَا ـ بفتح الطاء ـ: قرية بصعيد مصر، والأزد: قبيلة من قبائل اليمن.

* * *

١٦ ـ الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، الفقيه الشافعيّ، انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد، وقال الناس: لو رآه الشافعي، لفرح به.

ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة، وقدم بغداد، وتوفي ليلة السبت، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال، سنة ست وأربع مئة ببغداد، ودفن بباب حرب، وكان يوم موته يوماً مشهوداً بكثرة الناس، وإسفراين: بلدة بخراسان بنواحي نيسابور.

* * *

١٧ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل ابن محمد بن إسماعيل، المحامليُّ الفقيهُ الشافعيُّ: برع في الفقه،

(١) في الأصل: «سبع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٧٢). وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة.

وصنف كتباً كثيرة، ولد سنة ثمان وستين وثلاث مئة، وتوفي يوم الأربعاء، لتسعٍ بقين من ربيع الآخر، **سنة خمس عشرة وأربع مئة**.

والمحاملي: منسوب إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر.

* * *

١٨ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الفقيهُ الشافعيُّ الحافظُ المشهور، ومن مشهور مصنفاته: «السنن الكبرى»، و«الصغرى»، و«دلائل النبوة»، و«شعب الإيمان»، و«مناقب الشافعي»، و«مناقب أحمد» رضي الله عنهما، وكان على سيرة السلف.

وقال إمام الحرمين في حقه: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه مِنَّةٌ، إلا أحمد البيهقي؛ فإن له على الشافعي مِنَّة؛ فإنه كان أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي.

ولد في شعبان، سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى، **سنة ثمان وخمسين وأربع مئة** بنيسابور.

* * *

١٩ ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان النسائي: الحافظُ، إمامُ عصره في الحديث، له «السنن»، سكن بمصر، ولما امتُحن بدمشق، قال: احملوني إلى مكة، فحُمِل إليها، ودفن بين الصفا والمروة. وقيل: مات بالرملة، وكانت وفاته في شعبان **سنة ثلاث**

وثلاث مئة، ولما داسوه بدمشق، مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول[1]، لمَّا سئل عن معاوية، وما روي من فضله.

ونسبته إلى نَسَا ـ بفتح النون ـ: مدينة بخراسان، خرج منها جماعة من الأعيان.

* * *

٢٠ ـ أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، الفاسيُّ الأصل، الملثَّم: السيد الجليل المعروف بالبدوي.

ولد سنة ست وتسعين وخمس مئة، عُرف بالبدوي؛ لملازمته اللِّثام، فيلبس لِثامين لا يفارقهما، وعُرض عليه التزويج، فامتنع؛ لإقباله على العبادة، وكان يقرأ القرآن، وقرأ شيئاً من الفقه على مذهب الشافعي.

اشتهر بالعَطَّاب؛ لكثرة ما كان يقع لمن يؤذيه من الناس، ثم إنه لازم الصمت، حتى كان لا يتكلم إلا بالإشارة، ولازم الصيام، وأدمن عليه، كان يطوي أربعين يوماً.

حج أبوه في سنة سبع وست مئة وهو معه، فمات أبوه بمكة في سنة سبع وعشرين، ودخل العراق صحبة أخيه حسن، ثم سار إلى مصر في سنة أربع وثلاثين، فوصل إلى طندتا من الغربية، فأقام بها على سطح دار لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، وإذا عرض له الجلل، يصيح، وكان يُكثر من الصياح.

---

(١) في الأصل: «مقتول»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٧٧).

وكان طويلاً، غليظ الساقين، كبير الوجه، ولونه بين البياض والسمرة، ووقع له كرامات كثيرة، وخوارق مشهورة.

توفي في ثاني عشر من شهر ربيع الأول، **سنة خمس وسبعين وست مئة**، وعُظِّم قبره، وبني عليه، وقام بأمر أتباعه صاحبُه عبد العال، فسمَّوه: خليفة الشيخ أحمد، واشتهر أتباعه بالسطوحية، وعُمِّر بعده مدة طويلة حتى مات في **سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة**، وحدث لهم بعد مدة عملُ المولد النبوي، فصار يوماً مشهوراً، يُقصد من النواحي البعيدة، وله شهرة في الديار المصرية ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

* * *

٢١ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيهُ المعروفُ بالقُدُورِيِّ:

انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق، ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وتوفي يوم الأحد، الخامس من رجب، **سنة ثمان وعشرين وأربع مئة** ببغداد، ودفن بداره، ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور.

ونسبته إلى القُدُور التي هي جمع قِدْر.

* * *

٢٢ ـ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الثعلبيُّ النيسابوريُّ:

المفسِّر المشهور، صنف «التفسير الكبير» الذي فاق غيره من التفاسير،

ويقال له: الثعالبـي، وهو لقب، وليس بنسب، توفي في **سنة سبع وعشرين وأربع مئة**، وقيل: سنة سبع وثلاثين.

* * *

٢٣ ـ أبو عبدالله أحمـد بن أبي دُؤاد الإياديُّ القاضي: كان معروفاً بالمروءة والعصبية، وكان شاعراً فصيحاً، وكان يقول: ثلاثـة ينبغي أن يُبجَّلوا، وتُعـرف أقدارُهم: العلمـاء، وولاة العـدل، والإخوان، فمن استخفَّ بالعلماء أهلكَ دينه، ومن استخف بالولاة، أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان، أهلك مروءته.

وكان ابن أبي دؤاد المذكور معتزلياً، ولما ولي المعتصم الخلافة، جعل ابنَ أبي دؤاد قاضي القضاة، وعزل يحيى بنَ أكثم.

وابن أبي دؤاد هو الذي كان سبباً لمحنة الإمام أحمد، وألزمه بالقول بخلق القرآن، وذلك في رمضان، سنة عشرين ومئتين.

ثم حصل لابن أبي دؤاد محن كثيرة، وصودر في أيام المتوكـل، وعُـزل، وابتلي بالفالج، ومات بـه في المحرم، **سنـة أربعين ومئتين**، وتوفي ولده محمد قبله بعشرين يوماً.

* * *

٢٤ ـ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بالخطيب: صاحـب «تاريخ بغداد» وغيرِه، كان من الحفَّاظ والعلماء، صنف قريباً من مئة مصنَّف.

ولد في جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، وتوفي في يوم الاثنين، في السابع من ذي الحجة، **سنة ثلاث وستين وأربع** مئة ببغداد، والعجب أنه كان في وقته حافظَ الشرق، وأبو عمر يوسفُ ابنُ عبد البَرِّ حافظ الغرب، وماتا في سنة واحدة، ودفن إلى جانب قبر بِشْرٍ الحافي.

* * *

٢٥ - أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسيُّ الغزاليُّ الشافعيُّ: كان واعظاً صاحبَ كرامات وإشارات، واختصر كتاب أخيه «الإحياء» في مجلد واحد، وسماه: «لباب الإحياء». توفي **سنة عشرين وخمس مئة**.

* * *

٢٦ - أبو الفضل أحمد ابن الشيخ كمال الدين موسى بن رضيِّ الدين يونس، الإربليُّ الأصل، من بيت الرئاسة بإربل، الفقيهُ الشافعيُّ، كان إماماً فاضلاً، شرح «التنبيه»، واختصر «إحياء علوم الدين» مختصرين: كبيراً، وصغيراً.

ولد بالموصل سنة خمس وسبعين وخمس مئة، وتوفي يوم الاثنين، الرابع والعشرين من ربيع الآخر، **سنة اثنتين وعشرين وست مئة**.

* * *

٢٧ ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير ابن سالم القرطبيُّ: مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، وكان من العلماء، وله ديوان شعر، ومنه:

يَـا ذَا الَّـذِي خَـطَّ العِـذَارُ بِخَـدِّهِ
خَطَّـيْنِ هَاجَـا لَوْعَـةً وَبَـلا بـلا

مـا صَـحَّ عِنْـدِي أَنَّ لَحْظَـكَ صَـارِم[1]
حَتَّـى رَأَيْـتُ مِـنَ العِـذَارِ حَمَـائِلا

ولد في عاشر رمضان، سنة ست وأربعين ومئتين، وتوفي في ثامن عشر جمادى الأولى، **سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة**، ودفن بقُرطبة في مقبرة بني العباس، من فالجٍ أصابه قبل ذلك بأعوام.

* * *

٢٨ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، الرازيُّ اللغويُّ: كان إماماً في علوم كثيرة، خصوصاً اللغة، وله مصنّفات عديدة، ومنه اقتبس الحريريُّ صاحب «المقامات» ذلك الأسلوب، وله أشعار جيدة، منها:

إِذَا كُنْـتَ فِـي حَاجَـةٍ مُرْسِـلاً
وَأَنْـتَ بِهَـا كَلِـفٌ مُغْـرَمُ

(١) في الأصل: «صارماً»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١١٠).

فَأَرْسِـــلْ حَكِيمـــاً وَلا تُوصِـــهِ
وَذَاكَ الحَكِـــيمُ هُـــوَ الـــدِّرْهَمُ

توفي سنة تسعين وثلاث مئة بالرَّيِّ.

* * *

٢٩ ـ أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الجعفيُّ الكوفيُّ: المعروف بالمتنبي، الشاعرُ المشهور، قدم الشام في صباه، وجال في أقطاره، ومن شعره:

أَبِـــعَيْنِ مُفْتَقِـــرٍ إِلَيْـــكَ نَظَرْتَنِـــي
فَـــأَهَنْتَنِي وَقَـــذَفْتَنِي مِـــنْ حَـــالِقِ
لَـــسْتَ المَلُـــومَ أَنَـــا المَلُـــومُ لأَنَّنِـــي
أَنْزَلْـــتُ آمَـــالِي بِغَيْـــرِ الخَـــالِقِ

وإنما قيل له: المتنبي؛ لأنه ادَّعى النبوة في بادية السَّماوة، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أميرُ حمص، فأسره، وحبسه طويلاً، ثم استتابه، وأطلقه.

وكان قد قصد بلاد فارس، ومدح عضدَ الدولة، وأجزل جائزته، ولما رجع من عنده قاصداً بغداد، عرض له فاتكُ بنُ أبي الجهل الأسديُّ في عِدّة من أصحابه، وكان مع المتنبي جماعة من أصحابه، فقاتلوهم، فقُتل المتنبي، وابنه محسَّد، وغلامه مفلِح، بالقرب من النعمانية، في

موضع يقال له: الصافية، من الجانب الغربي من سواد بغداد، عند دير العاقول، فلما فرّ حين رأى الغلبة، قال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار، وأنت القائل:

فَالخَيْـلُ وَاللَّيْـلُ وَالبَيْـدَاءُ تَعْرِفُنِـي
وَالحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالقِرْطَـاسُ وَالقَلَـمُ

فكرَّ راجعاً حتى قُتل، وكان سبب قتله هذا البيت، والله أعلم.

وذلك يوم الأربعاء، لستٍّ بقين، وقيل: لثلاث، وقيل: لليلتين[1] من رمضان، سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

ومولده سنة ثلاث وثلاث مئة بالكوفة.

* * *

٣٠ ـ أبو العباس أحمد بن محمد، الدارميُّ المصيصيُّ، المعروف بالنامي، الشاعر المشهور: له مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد، ومن شعره:

أَتَـانِي فِـي قَمِـيصِ الـلاَّذِ يَـسْعَى
عَـدُوٌّ لِـي يُلَقَّـبُ بِالحَبِـيبِ

وَقَـدْ عَبَـثَ الـشَّرَابُ بِمُقْلَتَيْـهِ
فَـصَيَّرَ خَـدَّهُ كَـسَنَا اللَّهِيـبِ

---

(١) في الأصل: «لثلاثين»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٢٣).

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا اسْتَحْسَنْتُ هَذَا
لَقَدْ أَقْبَلْتَ فِي زِيٍّ عَجِيبِ

أَحُمْرَةُ وَجْنَتَيْكَ كَسَتْكَ هَذَا
أَمَ انْتَ صَبَغْتَهُ بِدَمِ القُلُوبِ

توفي سنة تسع وتسعين وثلاث مئة بحلب، وعمره تسعون سنة.

* * *

٣١ ـ أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزديُّ، الملقَّب: نفطويه، النحويُّ الواسطيُّ: له التصانيف الحِسان في الآلات، وكان عالماً بارعاً، ولد سنة أربع وأربعين ومئتين بواسط، وسكن بغداد، وتوفي في صفر، **سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة**، يوم الأربعاء، لستٍّ خلون منه، بعد طلوع الشمس بساعة، ودفن بباب الكوفة، وليس في العلماء من اسمه إبراهيم، وكنيته أبو عبدالله، سوى نفطويه، ومن شعره:

قَلْبِي أَرَقُّ عَلَيْكَ مِنْ خَدَّيْكَا
وَقُوَايَ أَوْهَى مِنْ قُوَى جَفْنَيْكَا

لِمَ لاَ تَرِقُّ لِمَنْ يُعَذِّبُ نَفْسَهُ
ظُلْماً وَيَعْطِفُهُ هَوَاهُ عَلَيْكَا

وفيه يقول أبو عبدالله محمد الواسطي:

مَـــنْ سَـــرَّهُ أَنْ لاَ يَـــرَى فَاسِـــقاً
فَلْيَجْتَهِـــدْ أَنْ لاَ يَـــرَى نِفْطَوَيْـــهِ

أَحْرَقَـــهُ اللهُ بِنِـــصْفِ اسْـــمِهِ
وَصَـــيَّرَ البَـــاقِي صُـــرَاخاً عَلَيْـــهِ

ونفطويـه ـ بفتح الواو، وكسر النـون وفتحها، والكسر أفصح ـ، وهو لقب له.

* * *

٣٢ ـ أبـو القاسم أحمـد بن محمـد بن إسماعيـل بن إبـراهيم[1] طباطبـا بن إسماعيل بن إبـراهيم بن الحسن بن [الحسين بن] علي بن أبي طالب: الشريفُ الحسنيُّ الرسيُّ المصريُّ، نقيب الطالبيين بمصر.

وكان من أكابر رؤسائها، وله شعر مليح، ومن شعره:

خَلِيلَـــيَّ إِنِّـــي لِلثُّرَيَّـــا لَحَاسِـــدٌ
وَإِنِّـــي عَلَـــى رَيْـــبِ الزَّمَـــانِ لَوَاجِـــدُ

أَيَبْقَـــى جَمِيعـــاً شَـــمْلُهَا وَهْـــيَ سِـــتَّةٌ[2]
وَأَفْقِـــدُ مَـــنْ أَحْبَبْتُـــهُ وَهْـــوَ وَاحِـــدُ

---

(١) في الأصل زيادة: «بن».

(٢) في الأصل: «سبعة»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٢٩).

توفي سنة خمس وأربعين وثلاث مئة بمصر، وطَباطَبا ـ بفتح الطاءين ـ: لقب جدِّه إبراهيم؛ لأنه كان يلثغ، فيجعل القاف طاء، وطلب يوماً ثيابه، فقال غلامُه: أجيء بدرَّاعة؟ قال: لا، طباطبا؛ يريد: قَبا، وكرر لفظه.

* * *

٣٣ ـ أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون، المخزوميُّ الأندلسيُّ القرطبيُّ الشاعرُ: كان في غاية في المنثور والمنظوم، وخاتمةَ شعراء بني مخزوم، ومن بديع قلائده: نظمُه القصيدةَ الطنانة، التي من جملتها:

بِنْـتُمْ وَبِـنَّا فَمَـا ابْتَلَّـتْ جَوَانِحُنَـا
شَـوْقاً إِلَـيْكُمْ وَلاَ جَفَّـتْ مَآقِينَـا

تَكَـادُ حِـينَ تُنَـاجِيكُمْ ضَـمَائِرُنَا
يَقْـضِي عَلَيْنَـا الأَسَـى لَـوْلاَ تَأَسِّـينَا

حَالَـتْ لِبُعْـدِكُمْ أَيَّامُنَـا فَغَـدَتْ
سُـوداً وَكَانَـتْ بِكُـمْ بِيـضاً لَيَالِينَـا

بِـالأَمْسِ كُنَّـا وَمَـا يُخْـشَا تَفَرُّقُنَـا
وَالْيَـومَ نَحْـنُ وَمَـا[1] يُرْجَـى تَلاَقِينَـا

---

(١) في الأصل: «لا»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٤٠).

وهي طويلة، وكانت وفاته في صدر رجب، **سنة ثلاث وستين وأربع مئة**، بمدينة إشبيلية، وكان له ولد يقال له: أبو بكر، تولى وزارةَ المعتمد بنِ عبّاد، وقُتل يوم أخذ يوسفُ بنُ تاشفين قرطبةَ، يوم الأربعاء، ثاني صفر، سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وأخذها الفرنج من المسلمين في شوال، سنة ثلاث وثلاثين وست مئة.

* * *

٣٤ ـ أبو جعفر أحمد بن محمد، الخولانيُّ الأندلسيُّ، المعروف بابن الأَبَّار، الشاعرُ: كان من شعراء المعتضد عباد بن محمد اللخمي صاحبِ إشبيلية، وكان عالماً، [فجمع] وصنَّف، وله الشعر الرائق، توفي **سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة**.

* * *

٣٥ ـ أبو العباس أحمد بن هارون الرشيدِ الهاشميُّ، المعروف بالسّبتيِّ: كان عبداً صالحاً، ترك الدنيا في حياة أبيه وهو خليفةُ الدنيا، وإنما قيل له: السبتي؛ لأنه كان يتكسب بيده يوم السبت شيئاً ينفقه في بقية الأسبوع، ويتفرغ للعبادة، فعُرف بهذه النسبة، ولم يزل كذلك إلى أن مات **سنة أربع وثمانين ومئة**، قبل موت أبيه.

* * *

٣٦ - **أبو العباس أحمد بن أبي الحسن**[1] **علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي**: كان رجلاً صالحاً فقيهاً، شافعي المذهب، وأصله من العرب، وسكن بالبطائح بقرية يقال لها: أم عبيدة، وانضم إليه خَلْق من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه، وتبعوه الطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية، وله شعر، منه:

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكُمْ
أَنُوحُ كَمَا نَاحَ الحَمَامُ المُطَوَّقُ

[....]، وهو مشهور، توفي يوم الخميس، ثاني عشري من جمادى الأولى، **سنة ثمان وسبعين وخمس مئة**[2] بأم عبيدة، وهو في عشر التسعين.

والرفاعي - بكسر الراء - نسبة إلى رجل من العرب[3] يقال له: رفاعة، وأم عبيدة والبطائح: قرى مشهورة بين واسط والبصرة، ولها شهرة بالعراق.

* * *

(١) في الأصل زيادة: «بن»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١٧١).

(٢) في الأصل: «ثمانين وخمس مئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٢).

(٣) في الأصل: «رجل بالمغرب»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٢).

٣٧ ـ **الأمير أبو العباس أحمد بن طولون**: صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، وكان المعتـز بالله ولاَّه مصر، ثم استولى على الشام أجمـع، وأنطاكية، والثغور، وكان شجاعاً، حسن السيرة، يحـب أهل العلم، ويتصدق كثيراً، وكان مع ذلك كله طائشَ السيف، وكان يحفظ القرآن، ورُزق حسنَ الصوت، وبنى الجامع المنسوب إليـه بين القاهرة ومصر، سنة تسع وخمسين ومئتين، وأنفق على عمارته مئة ألف دينار، وعشرين ألف دينار.

توفي طولون سنة أربعين ومئتين، وقيل: إن أباه طولون تبناه، ولم يكن ابنه.

وكان مولده ثالث عشري من رمضان، سنة عشرين ومئتين، وتوفي ليلة الأحد، لعشرٍ خلون من ذي القعدة، **سنة سبعين ومئتين**، وطُولون ـ بضم الطاء ـ: اسم تركي.

* * *

٣٨ ـ **أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بُوَيْـه بن [فناخسرو بن تمام ابن كوهي بن] شيرزيل**: لقبُه: مُعِزُّ الدولة، وهو عم عضد الدولة أحدِ ملوك الديلم، كان صاحبَ العراق والأهواز، وكان يقال لـه: الأقطع؛ لأن يده اليسرى مقطوعة، وبعض أصابع اليمنى من ضربـةٍ أصابتـه في الحرب، وملكَ العراق وبغداد.

مولـده سنـة ثـلاث وثـلاث مئـة، وتـوفي **سنـة سـت وخمسين**

وثلاث مئـة ببغـداد، ودفـن بمقـابـر قريش.

* * *

٣٩ ـ أبـو العباس أحمـد بن عبد السيد بن شعبان بن محمـد بن جابر بن قحطان، الإربليُّ، الملقَّب: صلاح الدين: وهو من بيت كبير بإربل، وكان حاجباً عند الملك المعظَّم مظفرِ الدين صاحب إربل، ثم انتقل إلى الديار المصرية، وخدم الملك الكامل، فعظمت منزلته عنده، وكان الصلاح ذا فضيلة، وله ديوان شعر.

ولد في ربيع الآخر، سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة بإربل، وتوفي وهو مـع الملك الكامل عند قصده بلادَ الروم، قبل دخولـه الرها، في الخامس والعشرين من ذي الحجـة، **سنة إحدى وثلاثين وسـت مئـة**، ودفن بظاهرها، ثم نقله ولده إلى الديار المصرية، فدفنه بتربته بالقرافة في أواخر شعبان سنة سبع وثلاثين وست مئـة، وكان تقدير عمـره يوم وفاته ستين سنة.

* * *

٤٠ ـ أبو بكر أزهـر بن سـعد السمَّان، الباهليُّ البصـريُّ: روى الحديث عن حُمَيدٍ الطويل، وروى عنه أهل العراق، وكان يصحب أبـا جعفر المنصور قبل الخلافـة، ثم جاء إليه بعد الخلافـة، ووقع له معه وقائع، وأحسن إليه.

ولد سنة إحدى عشر ومئة، وتوفي في **سنة ثلاث ومئتين**.

والبصري: نسبة إلى البصرة، وهي إسلامية، بناها عمر بن الخطاب في سنة أربع عشرة من الهجرة على يد عتبة بن غزوان، وهي أشهر مدن العراق، والبصرة: الحجارة الرخوة.

* * *

٤١ ـ أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر، الكنانيُّ الكلبيُّ الشَّيْزَرِيُّ[١]، **الملقب: مؤيد الدولة، مجد الدين**: من أكابر بني مُنْقِذ أصحابِ قلعة شَيْزَرَ، وعلمائِهم وشجعانهم، له تصانيف عديدة في فنون الأدب.

سافر إلى الديار المصرية والشامية، ثم أقام بحصن كَيْفا إلى أن ملكَ صلاح الدين دمشق، فاستدعاه، فجاءه وهو شيخ قد جاوز الثمانين، ومن شعره:

لاَ تَسْتَعِرْ جَلَداً عَلَى هِجْرَانِهِمْ
فَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمُ
طَوْعاً، وَإِلاَّ عُدْتَ عَوْدَةَ رَاغِمِ

ولد يوم الأحد، السابع والعشرين من جمادى الآخرة، سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، وتوفي في الثالث والعشرين من رمضان، سنة **أربع**

---

(١) في الأصل: «الشيرازي»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ١٩٦).

وثمانين وخمس مئة بدمشق، ودفن من الغد في شرقي جبل قاسيون، وتوفي والده سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة.

* * *

٤٢ ـ أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبدالله بن مرة، الحنظليُّ المروزيُّ، المعروف بابن راهويه: أحد أئمة الإسلام، جمع بين الحديث والفقه والورع، روى عن الشافعي، وناظره.

وقال الإمام أحمد عنه: عندنا إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسرَ أفقهُ منه.

ولد سنة إحدى، وقيل: ثلاث، وقيل: ست وستين ومئة، وسكن آخر عمره بنيسابور، ومات بها ليلة النصف من شعبان، سنة ثمان، وقيل: سبع وثلاثين ومئتين.

وراَهوَيه: لقب أبيه؛ لأنه وُلد بطريق مكة، والطريق بالفارسية: راه، وويه معناها: وجد، فكأنه وجد في الطريق.

* * *

٤٣ ـ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان، التميميُّ بالولاء، الأرجانيُّ الأصل، المعروف بابن النديم[1]: وقد سبق ذكر أبيه، وكان

---

(١) في الأصل: «بالنديم» بدل «بابن النديم».

وكان من ندماء الخلفاء[1]، وله الظرف المشهور، والغناء، وكان عالماً باللغة والأشعار، وله يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام، ومن شعره: ما كتبه إلى هارون الرشيد ـ رحمه الله تعالى ـ:

أَرَى النَّـاسَ خُـلاَّنَ الجَـوَادِ وَلاَ أَرَى
بَخِـيلاً لَـهُ فِـي العَـالَمِينَ خَلِيـلُ

وَإِنـيِّ رَأَيْـتُ البُخْـلَ يُـزْرِي بِأَهْلِـهِ[2]
فَأَكْرَمْـتُ نَفْـسِي أَنْ يُقَـالَ بَخِيـلُ

وَمِـنْ خَيْـرِ حَـالاَتِ الفَتَـى لَـوْ عَلِمْتَـهُ
إِذَا نَـالَ شَـيْئاً أَنْ يَكُـونَ يُنِيـلُ

وَكَيْـفَ أَخَـافُ الفَقْـرَ أَوْ أُحْـرَمُ الغِنَـى
وَرَأْيُ أَمِيـرِ المُـؤْمِنِينَ جَمِيـلُ

وكان قد عمي في آخر عمره.

مولده سنة خمسين ومئة، وهي التي ولد فيها الشافعي ﷺ، وتوفي في رمضان، سنة خمس وثلاثين ومئتين.

* * *

(١) في الأصل: «الخليفة»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٢).

(٢) في الأصل: «بنفسه»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٤).

٤٤ ـ **القاضي الأسعد أبو المكارم مماتي بن الخطير أبي سعيد مهذب، المصريُّ الكاتبُ الشاعرُ:** كان ناظرَ الدواوين بالديار المصرية، وفيه فضائل، وله ديوان شعر، ومن شعره:

وأهيفٌ أَحْدَثَ لِي نَحْوُهُ
تَعَجُّباً يُخْبِرُ عَنْ ظُرْفِهِ
عَلاَمَةُ التَّأْنِيثِ فِي لَحْظِهِ
وَأَحْرُفُ العِلَّةِ فِي لَفْظِهِ

وكان هو وجماعة من النصارى أسلموا في ابتداء الملك الصالحي.

توفي بحلب في سلخ جمادى الأولى سنة ست وست مئة، وعمره اثنان وستون سنة.

ولقب بمماتي، لأنه وقع بمصر غلاء، وكان كثير الصدقة والإطعام، خصوصاً لصغار المسلمين، وكانوا إذا رأوه، ناداه كل واحد منهم: مماتي.

* * *

٤٥ ـ **أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز، السلميُّ السنجاريُّ الفقيهُ الشاعرُ المنعوتُ بالبهاء:** أجاد في الشعر، وخدم به الملوك، وأخذ جوائزهم، وكان له صاحب، فانقطع عنه، فسير إليه يطلبه، فكتب إليه صاحبه:

لاَ تَـزُرْ مَـنْ تُحِـبُّ فِـي كُـلِّ شَـهْرٍ
غَيْـرَ يَـوْمٍ وَلاَ تَـزِدْهُ عَلَيْـهِ
فَـاجْتِلاَءُ الهِـلاَلِ فِـي الـشَّهْرِ يَـوْمٌ
ثُـمَّ لاَ تَنْظُـرُ العُيُـونُ إِلَيْـهِ

فكتب إليه البهاءُ من نظمه:

إِذَا حَقَّقْـتَ مِـنْ خِـلٍّ وِدَاداً
فَـزُرْهُ وَلاَ تَخَـفْ مِنْـهُ مَـلاَلاَ
وَكُـنْ كَالـشَّمْسِ تَطْلُـعُ كُـلَّ يَـوْمٍ
وَلاَ تَكُـنْ فِـي زِيَارَتِـهِ هِـلاَلاَ

وله أشياء حسنة.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة بإربل، وتوفي في **سنة اثنتين وعشرين وست مئة بسنجار.**

* * *

٤٦ ـ أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، المزنيُّ، صاحبُ الشافعيِّ رضي الله عنه: وهو من أهل مصر، وكان عالماً مجتهداً، وهو إمام الشافعيين[1].

---

(١) في الأصل: «التابعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢١٧).

قال الشافعي: المزني ناصرُ مذهبي.

وكان إذا فرغ من مسألة، وأودعَها «مختصره»، قام إلى المحراب، وصلى ركعتين شكراً لله.

وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتَّبوا، وهو الذي تولى غسلَ الشافعي.

ومناقبُه كثيرة، توفي لستٍّ بقين من رمضان، **سنة أربع وستين ومئتين**، ودفن بالقرب من تربة الشافعي، وعاش تسعاً وثمانين سنة، وصلى عليه الربيع.

ونسبته بالمزني ـ بضم الميم ـ: هذه مُزَينة بنتُ كلب، وهي قبيلة مشهورة.

* * *

٤٧ ـ أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، العنزيُّ بالولاء، معروف بأبي العتاهية، الشاعر المشهور.

ولد بعين التمر: بُليدة بالحجاز قرب المدينة، ونشأ بالكوفة، وسكن بغداد، وكان يبيع الجِرار، فقيل له: الجرَّار، واشتُهر بمحبة عُتبة جاريةِ الإمام المهديِّ، وأكثرَ تشبيبه فيها.

وبعث مرة إلى المهدي، وعرَّض بطلبها، يقول:

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ

اللهُ وَالقَائِمُ المَهْدِيُّ يَكْفِيهَا

إِنِّـــي لأَيْــأَسُ مِنْهَــا ثُــمَّ يُطْمِعُنِـــي

فِيهَــا احْتِقَــارُكَ لِلــدُّنْيَا وَمَــا فِيهَــا

وَهمَّ أمير المؤمنين أن يدفع عُتبة إليه، فجزعت، وقالت: يا أمير المؤمنين! حرمتي وخدمتي، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر يبيع الجِرار؟ فأعفاها، وأمر له بمال.

وأنشد في حضرة الخليفة:

أَتَتْـــــهُ الخِلاَفَـــــةُ مُنْقَـــــادَةً

إِلَيْــــهِ تَجُــــرُّ بِأَذْيَالِهَــــا

فَلَـــمْ تَــــكُ تَــــصْلُحُ إِلاَّ لَـــهُ

وَلَـــمْ يَـــكُ يَـــصْلُحُ إِلاَّ لَهَـــا

فَلَـــوْ رَامَهَـــا أَحَـــدٌ غَيْـــرُهُ

لَزُلْزِلَـــــتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَـــــا

فلم ينصرف أحد من ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية.

ولد سنة ثلاثين ومئة، وتوفي في يوم الاثنين، ثامن جمادى الآخرة سنة إحـدى عشرة وقيل: **ثلاث عشرة ومئتين** ببغداد، وقبـره على نهـر عيسى.

ولما حضرته الوفاة، قال: أشتهي أن يجيء مخارق المغني يغني عند رأسي هذين البيتين:

إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي
فَإِنَّ عَزَاءَ البَاكِيَاتِ قَلِيلُ

سَيُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي
وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ

* * *

٤٨ ـ **الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانيُّ**: كان نادرة الدهر، وأعجوبةَ الزمان في فضائله ومكارمه، وهو أولُ من لقِّب بالصاحب من الوزراء؛ لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له: صاحبُ ابن العميد، ثم أُطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارةَ بعده، وبقي عَلَماً عليه، ثم تسمَّى به كلٌّ من وَلي الوزارة بعده.

قال أبو سعيد الرستمي في حقه:

وَرِثَ الوِزَارَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ
مَوْصُولَةَ الإِسْنَادِ بِالإِسْنَادِ

يَرْوِي عَنِ العَبَّاسِ عَبَّادٍ وِزَا
رَتَهُ وَإِسْمَاعِيلُ عَنْ عَبَّادِ

وكتب بعضهم إليه ورقة، أغار فيها على رسائله، وسرق فيها جملة من ألفاظه، فوقَّع فيها: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[يوسف: ٦٥].

وحبس بعضَ غلمانه في مكان ضيق بجواره، ثم صعِد السّطح يوماً، فاطلع فرآهُ، فناداه المحبوس بأعلى صوته: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، فقال الصاحب: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

ولد لأربعَ عشرةَ ليلة بقيت من ذي القعدة، سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة بإصطخر، وتوفي ليلة الجمعة، العشرين أو الرابع والعشرين من صفر، سنة خمس وثمانين وثلاث مئة بالري، ثم نقل إلى أصفهان، وله نوادر كثيرة، ورسائل بديعة ونظم جيد، فمنه قوله:

وَشَادِنٍ جَمَالُهُ
تَقْصُرُ عَنْهُ صِفَتِي

هَوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي
فَقُلْتُ قَبِّلْ شَفَتِي

ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٤٩ ـ أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، المالكيُّ المصريُّ: تفقه على الإمام مالك.

قال الإمام الشافعي: ما رأيت أفقهَ من أشهب لولا طيشٌ فيه.

ولد بمصر سنة خمسين ومئة، وتوفي سنة أربع ومئتين، بعد الشافعي بشهر، ودفن بالقرافة الصغرى، ويقال: إن اسمه

مسكين، وأشهب لقبه.

ودعا على الشافعي بالموت، فبلغه ذلك، فقال مُتَمَثِّلاً:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِوَاحِدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى
تَزَوَّدْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

وكان أشهب يخضب عَنْفَقَتَه ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٠ ـ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، الأندلسيُّ الدانيُّ: كان فاضلاً في علوم الأدب، عارفاً بفن الحكمة، انتقل من الأندلس، وسكن ثغر الإسكندرية، ومن شعره:

إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ فَكُلُّهَا
بِلَادِي وَكُلُّ العَالَمِينَ أَقَارِبِي
وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَسْأَلَ العَيْشَ جَاهِداً
لِنَفْسِي عَلَى شُمِّ الذُّرَا وَالغَوَارِبِ[1]

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٤٤):

«ولابد لي أن أسأل العِيسَ حاجةً تشُقُّ على شُمِّ الذرى والغـوارب»

وشعره كثير، وانتقل إلى المهدية، وتوفي بها يوم الاثنين، مستهل سنة تسع وعشرين وخمس مئة.

ومولده في دانية من بلاد الأندلس، سنة ستين وأربع مئة، ولما اشتد مرضه، قال لولده عبد العزيز:

عَبْـــدُ العَزِيـــزِ خَلِيفَتِـــي
رَبُّ الـــسَّمَاءِ عَلَيْـــكَ بَعْـــدِي

أَنَـــا قَـــدْ عَهِـــدْتُ إِلَيْـــكَ مَـــا
تَدْرِيـــهِ فَـــاحْفَظْ فِيـــهِ عَهْـــدِي

فَلَـــئِنْ عَمِلْـــتَ بِـــهِ فَإِنَّـــ
ـــكَ لاَ تَـــزَالُ حَلِيـــفَ رُشْـــدِ

وَلَـــئِنْ نَكَثْـــتَ لَقَـــدْ ضَـــلَلْتَ
وَقَـــدْ نَـــصَحْتُكَ حَـــسْبَ جُهْـــدِي

* * *

٥١ ـ أبو واثلة إياس بن معاوية بن قُرَّة بن إياس بن هلال المزنيُّ: وهو اللَّسِنُ البليغ، والألمعيُّ المصيب، كان مشهوراً بفرط الذكاء، وإيّاه عنَى الحريريُّ في المقامة السابعة بقوله:

فإذا ألمعيتي ألمعيةُ ابن عباس، وفراستي فراسة إياس.

وكان عمر بن عبد العزيز ولاه قضاء البصرة.

وقيل لأبيه معاوية: كيف ابنُك لك؟ فقال: نِعْم الابنُ! كفاني أمر دنياي، ففرَّغني لآخرتي.

ويحكى من فطنته: أنه كان في موضع، فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوة، لم يعرفهن، فقال: هذه ينبغي أن تكون حاملاً، وهذه مرضعاً، وهذه عذراء، فكُشف عن ذلك، فكان كما تفرّس، فقيل له: من أين لك ذلك؟ فقال: عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعزِّ ما له، وما يخاف عليه، ورأيت الحاملَ قد وضعت يدَها على جوفها، فاستدللت بذلك على حملها، والمرضع وضعت يدها على ثديها، فعلمت أنها مرضع، والبكر وضعت يدها على فرجها، فعلمت أنها بكر.

وروي عنه: أنه قال: ما غلبني أحد قطُّ سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجل، فشهد عندي أن البستان الفلاني ـ وذكر حدوده ـ هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكتَ، ثم قال: منذ كم سيدُنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عددت خشب سقفه؟ فقلت: الحقُّ معك، وأجزتُ شهادته.

توفي سنة اثنتين وعشرين ومئة، وعمره ستٌّ وسبعون سنة، أدرك أَنساً وغيرَه.

* * *

٥٢ ـ أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال، المقدسيُّ الخواصيُّ المحدِّثُ: ولد سنة أربعَ عشرةَ وسبعِ مئة، ضَبَطَ، وأفاد، ورحل، ودرَّس بالمدرسة التنكزية[1] بالقدس الشريف بعد العلائي.

صنف: «المصباح والسلاح»، و«فضائل القدس»، وصار رحلة. توفي بمصر في ربيع الآخر **سنة خمس وستين وسبع مئة**.

* * *

٥٣ ـ شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ، الشافعيُّ المصريُّ، المعروفُ بابن النقيب: وكان إماماً عالماً، طارحاً للتكلف، له مصنفات حسنة، ولم يكتب قط على فتوى تورُّعاً، ولم يلِ تدريساً، ولد سنة اثنتين وسبع مئة، وتوفي في رمضان، **سنة تسع وستين وسبع مئة**.

* * *

٥٤ ـ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، الأنصاريُّ الخزرجيُّ السبكيُّ: مولده سنة سبعَ[2] عشرةَ وسبعِ مئة، درَّس وأفتى، وساد صغيراً، وأسرع به الشيب، درَّس في تربة الشافعي، وغيرِها، ووليَ إفتاء دار العدل، وولي قضاء الشام عن أخيه، ثم ولي قضاء العسكر، وحدَّث وصنَّف مصنفات مفيدة، وكان كثيرَ الإحسان للنّاس.

---

(١) في الأصل: «النكرية».

(٢) في «طبقات الشافعية» (٣/ ٧٨): «تسع».

ومن قول أبيه: درس أحمد خيرٌ من درس علي.

وقال فيه والده وقد حضر درسه:

دُرُوسُ أَحْمَـدَ خَيْـرٌ مِـنْ دُرُوسِ عَلَـيّ
وَذَاكَ عِنْـــدَ عَلـــيٍّ غَايَـــةُ الأَمَـــلِ

وقال أبوه في دروسه:

دُرُوسُ أَحْمَـدَ خَيْـرٌ مِـنْ دُرُوسِ أَبِـهْ
وَذَاكَ عِنْـــدَ أَبِيـــهِ مُنْتَهَـــى أَرَبِـــهْ

وكان كثير الحج والمجاورة، توفي بمكة مجاوراً في رجب، سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة عن ست وخمسين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٥ ـ الأميـر ألجاي اليوسفيُّ الناصريُّ مملوكُ الناصر محمدِ بن قلاوون: تقدم حتى صار مقـدم ألفٍ بمصر، وحاجباً كبيراً، ثم عزل، ثم استقرّ أميرَ سلاح، ثم تـزوج أم السلطان، وصـار يتكلم في جميـع الأمور، ثم استقر أتابكَ العساكر، فلما ماتـت زوجتـهُ، انحطت منزلتُه عنـد السلطان، ووقـع بينهما على التركـة، حتى همَّ السلطان بقبضـه، فانهزم، فتبعوه، فألقى نفســه في نيل مصر، فغرق، وأُخرج، وحمل يوم تاسوعاء، ودفن بتربته تحت القلعة.

وكان شكلاً حسناً، فارس الخيل، يسلِّم على من يمر عليه، لكنه

كان قليل العقل، يأكل البرطيل، توفي في اليـوم المذكور، **سنة خمس وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٥٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم بدر الدين بن أحمد بن محمد بن عيسى المخزوميُّ المصريُّ الشافعيُّ، المعروف بابن الخشاب: أفتى وأفاد، وحدَّث ودرَّس، وولي نيابة الحكم بالقاهرة، ثم ولي قضاء حلب، وولي قضاء المدينـة النبويـة وخطابتها، وكان ورعـاً عفيفاً، بصيـراً بالأحكام الشرعيّة.

توفي في ربيع الآخر، **سنة خمس وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٥٧ ـ أبو العباس أحمـد بن يحيى بن أبي بكـر التلمسانيُّ، نزيلُ القاهـرة، الشهير بابن أبي حجلة: كان إمامـاً فاضلاً، عارفـاً بالأدب، ماهراً في كلام العرب، له مصنفات، منها: «دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة»، ومنها: «السُّكردان» صنفه للملك الناصر حسن، ومنها: مقامات ضاهى فيها مقامات الحريري، ومن نظمه:

يَـــــا عَـــــاذِلي لاَ تَلُمْنِـــــي
فِـــي حُـــبِّ هَـــذَا القِبْطِـــي

وَاقْطَـــعْ بِوَصْـــلٍ بَيْنَنَـــا
بِـــــاللهِ رَأْسِ القِـــــطِّ

ومن نوادره: أنه لقَّب ولدَه: جناح الدين.

توفي بالقاهرة في ذي الحجة، **سنة ست وسبعين وسبع مئة** عن إحدى وخمسين سنة.

* * *

٥٨ ـ تقي الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن الحسن، القرقشنديُّ المصريُّ الشافعيُّ: فقيه القدس.

مولده سنة اثنتين وسبع مئة، وتوفي بالقدس في جمادى الآخرة، **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٥٩ ـ عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن جماعة، الكنانيُّ الشافعيُّ: خطيب القدس.

مولده في ثالث شوال، سنة عشر وسبع مئة، ناب في القضاء بمصر عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة، مضافاً لنظر الأوقاف، ثم توجه إلى بلده، وولي خطابة القدس لما ولي ابن عمه برهانُ الدين قضاء القاهرة، وكان يدرِّس عن ابن عمه في الصلاحية نيابة.

توفي في ربيع الأول، **سنة ست وسبعين وسبع مئة** ـ رحمه الله ـ.

* * *

٦٠ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين علي بن محيي الدين يحيى بن فضل الله، العدويُّ العمريُّ: ولي كاتب السر بدمشق،

توفي في المحرم، سنة سبع وسبعين وسبع مئة بدمشق عن نيف وثلاثين سنة.

* * *

٦١ ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عسكر، الطائيُّ المصريُّ الشافعيُّ، المشهور بالقيراطي: سمع «الصحيح» من جماعة، وكان شعره غاية في الحسن، ومنه قوله:

لَمَّا رَأَيْتُ سُلُوِّي عَزَّ مَطْلَبُهُ
نَعَمْ وَعَقْدُ اصْطِبَارِي عَادَ مَحْلُولاَ
دَخَلْتُ بِالرَّغْمِ مِنِّي تَحْتَ طَاعَتِكُمْ
لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاَ

ولد في صفر، سنة ستٍّ وعشرين وسبع مئة، وتوفي بمكة في ربيع الآخر، سنة إحدى وثمانين وسبع مئة، ودفن بالمَعْلى.

* * *

٦٢ ـ تقي الدين بن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام الحرَّانيُّ الدمشقيُّ شيخ الإسلام، أستاذ الحفاظ، ولد بحرَّان يوم الاثنين، عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستٍّ مئة، ثم برع في التفسير، والفقه وأصوله، والعربية، وترجمه بعضهم بالاجتهاد، وبلوغِ درجته.

ووقع له وقائع مشهورة، وامتُحن غيرَ مرة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

توفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله كتاب «الفرقان»، كَتَب عليه شيخُ الإسلام حسنةُ الأيام الحافظُ قاضي القضاة شهابُ الدين بنُ حجر الشافعي:

لِلّـــهِ دَرُّكَ مِـــنْ إِمَـــامٍ مُفْـــرَدٍ
لَـــمْ يَثْنِـــهِ عَـــنْ قَـــوْلِ حَـــقٍّ ثَـــانِ

نَظَـرَ الهُـدَى وَالزَّيْـغَ مُـشْتَبِهَيْنِ فـي
نَظَـــرِ الجَهُـــولِ فَجَـــاءَ بِالفُرْقَـــانِ

* * *

٦٣ ـ شهاب الدين أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأذرعيُّ: صاحب التصانيف المشهورة، شيخ البلاد الشمالية، ولد سنة تسع وسبع مئة بأذرعات، وتوفي في جمادى الآخرة، **سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة**، وله نظم حسن، منه:

كَـــمْ ذَا بِرَأْيِـــكَ تَـــسْتَمِدُّ
مَـــا هَكَـــذَا الـــرَّأْيُ الأَسَـــدُّ

أَأَمِنْـــتَ جَبَّـــارَ الـــسَّمَا
ءِ وَمَـــنْ لَـــهُ الـــبَطْشُ الأَشَـــدُّ

فَـــاغْنَمْ ذَمَـــاءً فِـــي الحَيَـــا
ةِ فَمَـــا مَـــضَى لاَ يُـــسْتَرَدُّ

وَاعْلَـــمْ يَقِينـــاً أَنَّـــهُ
مَـــا مِـــنْ مَقَـــامِ العَـــرْضِ بُـــدُّ
عَـــرْضٌ بِـــهِ يَقْـــوَى الـــضَّعِيـ
ـــفُ وَيَـــضْعُفُ الخَـــصْمُ الأَلَـــدُّ
وَاخَجْلَتَـــا مِـــنْ مَوْقِـــفٍ
فِيـــهِ خَطَايَانَـــا تُعَـــدُّ
مَـــا لِـــي هُنَـــاكَ وَسِـــيلَةٌ
أَرْجُـــو بِهَـــا أَزْرِي يُـــشَدُّ
إِلاَّ شَـــهَادَةُ أَنَّـــهُ
سُـــبْحَانَهُ فِـــي الكَـــوْنِ فَـــرْدُ
وَشَـــفَاعَةُ الهَـــادِي البَـــشِيرِ
وَمَـــنْ لَـــهُ الجَـــاهُ الأَمَـــدُّ
صَـــلَّى عَلَيْـــهِ رَبُّنَـــا
مَـــا سَـــبَّحَ الـــرَّحْمَنَ عَبْـــدُ

وكان محبـاً للغرباء، مُحسناً إليهم، وكان كثير التحرِّي في أموره ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٦٤ ـ أحمد بن نجم الدين أحمد بن شهاب الدين أحمد بن فضل الله، العمريُّ: اشتغل في العلم، وعني بالأدب، ونظم الشعر، وولي كتابة سر طرابلس، ثم دمشق، وباشرها دون الشهر، ثم عزل.

وبقي خاملاً إلى أن توفي في ربيع الآخر، **سنة أربع وثمانين وسبع مئة**، وكان عنده شهامة وإقدام.

* * *

٦٥ ـ نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن، الياسوفيُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ، المعروف بابن الجابي: ولد سنة ست وثلاثين وسبع مئة، سمع الحديث وبرع، وكان ينسب إلى جَدِّهِ في بحثه[1]، وكان كثير الإحسان إلى الطلبة، ودرَّس في آخره عمره.

توفي في جمادى الأولى، **سنة سبع وثمانين وسبع مئة**، ودفن بمقبرة الصوفية بالقاهرة.

* * *

٦٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم قاضي القضاة، وخطيب الخطباء برهانُ الدين بن الخطيب عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، الكِنانيُّ الحَمَوِيُّ الأصل، المصريُّ المولد، المقدسيُّ المنشأ:

---

(١) في الأصل: «حِدَّةٍ في بحثه»، والتصويب من «شذرات الذهب» (٦/ ٢٩٦).

ولد في ربيع الآخر، سنة خمس وعشرين وسبع مئـة، وتوفي والده سنة تسـع وثلاثين، تولى عوضَـهُ خطابـة القـدس، وطلبَ الحديـثَ، واستمر في التحصيل، وهو في ازدياد من الفضائل، ودرَّس بالصلاحية بعد موت العلائي، وولي قضاء الديار المصرية في جمادى الآخـرة، سنة ثلاث وسبعين وسبع مئـة، ودرَّس بقبة الشافعي، ثم انفصل في شعبان سنة تسع وسبعين، وعاد إلى القدس، ثم أعيـد في صفـر، سنة إحدى وثمانين، وعـزل في صفـر سنة أربـع وثمانين، وعاد إلى القـدس على خطابته، وتدريس الصلاحية، ثم ولي قضاء دمشق والخطابة، وغير ذلك في أواخر سنة خمس وثمانين، وكان رئيساً عالي القدر، وله هيبة عظيمة، توفي شبه الفجأة في شعبان، سنة تسعين وسبع مئـة، ودفن بتربة جده لأمه بالمِزَّة.

* * *

٦٧ ـ أبـو العباس شهاب الدين أحمـد بن محمـد بن نجم الدين عمر ابن قاضي شُهبة، الأسديُّ، الشافعيُّ:

مولده في رجـب، سنة سبع وثلاثين وسبع مئـة، اشتغل بالعلم، وأذن له والده بالإفتاء، ودرَّس وأعاد، وكان بارعاً في الفرائض، وكان كريم النفس، يتعانى الحشمة، وينصف الناس، توفي في ذي القعـدة، سنة تسعين وسبع مئة، ودفن عند والده بمقبرة باب الصغير.

* * *

٦٨ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن تقي الدين إسماعيل، القرقشنديُّ الشافعيُّ: كان من العلماء، ومن ترجمته: أنه كان يحفظ فَرَدَةَ الكتب، توفي سنة تسعين وسبع مئة.

* * *

٦٩ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عيسى بن الرصاص، النحويُّ شارحُ الألفية: كان إماماً كبيراً في فقه أبي حنيفة، وغيرِ ذلك، وعليه انتفع الشيخ شمس الدين الديري، توفي بدمشق، سنة تسعين وسبع مئة.

* * *

٧٠ ـ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الدنَيسري[1]، المصريُّ، المعروف بابن العطار: ولد سنة ست وأربعين وسبع مئة، واشتغل بمذهب الشافعي، وبالأدب، وله:

هَيَّأَ البلاَّنُ مُوسَى ... خَلْوَةً تُحْيِي النُّفُوسَا

قُلْتُ مَا أَصْنَعُ فِيهَا ... قَالَ: تُسْتَعْمَلُ مُوسَى

قيل: اجتمع به عز الدين القدسي، وروى عنه.

توفي في ربيع الآخر، سنة أربع وتسعين وسبع مئة.

* * *

---

(١) في الأصل: «الدانيسري».

٧١ ـ الأمير أينال عبـدالله اليوسفي اليلبغاوي سيفُ الدين أتابكُ العساكر بالديار المصرية الجركسيُّ: ولي عـدة وظائـف، منها: أميـر طبلخانة، ثم أعطي تقدمه، ثم بعد شهر استقر أميرَ سلاح، ثم في شعبان سنة إحدى وثمانين وسبع مئة ركب، وأخذ القلعـة، وكان في جماعـة يسيرة، وقاتل، وأظهر شجاعـة عظيمـة، ثم قُبض عليـه، وسُجن، ثم أُطلق، وولي نيابةَ طرابلس، ثم نيابةَ حلب، ثم استقر أتابكـاً بدمشق، ثم استقر أتابكَ العساكر بمصر.

وكان شكلاً حسناً، تامَّ القامة، مليحَ الوجه، وشَابَ وأنقى سريعاً، وكان كثير الأدب، مع جبروت وظلم.

توفي في جمادى الآخرة، **سنة أربع وتسعين وسبع مئة**.

وبُني له بعد موته تربة خارج باب زويلة، ونقل إليها.

* * *

٧٢ ـ الشيخ الإمام القدوة الزاهد العابد الخاشع الناسك أبو بكر ابن علي بن عبدالله بن محمـد، الشيبانيُّ الموصليُّ الشافعيُّ: الزاهـدُ العالم المفيد، فقيه مشايخ الصوفيـة، جُنيـد العصر، قدم من الموصل وهو شابّ، وعلا ذكـره، وصار يتردد إليه نواب الشام ويمتثلون أوامره، وحجَّ غيرَ مرة، وكان من كبار الأولياء، جمع علمَي الشريعة والحقيقة، ورُزق العلم والعمل، وقد زاره السلطان برقوق بمنزله بالأمينية بالقدس الشريف.

توفي بالقدس الشريف في شوال، **سنة سبع وتسعين وسبع مئة**.

* * *

٧٣ ـ **شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائيّ**: ولد في ثلاث وعشرين وسبع مئة. وبَكَّر به والدُه إلى السماع، وهو آخرُ من حدَّث [عن] أبي حيان بالبلاد الشامية.

توفي بالقدس الشريف في ربيع الآخر، **سنة ثلاث وثمان مئة**.

* * *

٧٤ ـ **الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الناصح، المصريُّ الصالح المحدِّث**: كان من المشهورين بالصلاح.

وحكى خليفة المالكي: أنه شاهده وقد خرج من التربة إلى الأقصى، ورأى الأرض تُطوى تحته.

ولد سنة ثلاثين وسبع مئة، وتوفي في رمضان، **سنة أربع وثمان مئة**.

* * *

٧٥ ـ **شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهندس أبوه المقدسيُّ الحنبليُّ**، رحل وكتب، وسمع على الحافظ.

مولده في سنة أربع وأربعين وسبع مئة، توفي بالقدس الشريف في

رمضان، سنة أربع، وقيل: **ثلاث وثمان مئـة**، وقد شاخ، ودفن بتربته بباب القطانين، عن يمين الخارج من الخوخـة، ولم تُبَع تركتـهُ إلا في سنة تسع، باعها شمس الدين بن حسان وَصِيُّه.

* * *

٧٦ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر، الصفديُّ الباعونيُّ الشافعيُّ: ولد سنة إحدى[1] وخمسين وسبع مئة.

اشتغل وفَضُل وسافـر إلى مصر، وولاَّه الظاهـر خطابـة الجامـع الأمـوي سنة اثنتين وتسعين، وقدم دمشق في ذي القعـدة منها، ثم في ذي الحجـة سنة ثلاث وتسعين ولاه القضاء مع الخطابـة، وباشر بعفَّـة وشهامة، وانضبطت الأوقاف، غير أنـه لم يكن فيـه بشاشة، فعُزل في جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وسبع مئـة، وكُشف عليه، وأُهين، وحصل في حقـه تعصب، ثم ولي خطابـة القدس، ثم أعيـد إلى قضاء دمشق في صفر، سنة اثنتي عشرة وثمان مئة، وكان تولى قضاء مصر في أيام الحصار، فلما انقضى، عزل.

توفي في المحرم **سنة ست عشرة وثمان مئة**، ودفن بالسفح بزاوية الشيخ داود.

* * *

---

(١) في «شذرات الذهب» (٧/ ١١٨): «اثنتين».

٧٧ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن حِجِّي ابن موسى بن أحمد بن سعد الحسبانيُّ الأصل، الدمشقيُّ:

ولد في المحرم، سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، وكان إماماً عالماً، فقيه الشام، وشيخ الشافعية، باشر الخطابة ومشيخة الشيوخ، ونظر الحرمين، مستقلاً تارة، ومشاركاً أخرى، وسئل على قضاء الشام، فأبى، وكان حسن الشكل، لطيف الذات، وله حظ من صيام وصلاة، وكان يحبه الخاص والعام.

توفي في المحرم، **سنة ست عشرة وثمان مئة**، ودفن بالقرب من والده وابن الصلاح بدمشق.

* * *

٧٨ ـ أحمد بن علي بن النقيب، المقدسيُّ الحنفيُّ، الشيخ العالم.

ولد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، وكان أحد علماء القدس، مشهوراً بالعلم والصلاح، توفي في المحرم، أو صفر، **سنة ستَّ عشرةَ وثمان مئة**.

* * *

٧٩ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علم الدين أبي الربيع سليمان، العمريُّ المالكيُّ، المشهورُ بابن عِوجان: كان من أهل العلم والدين، ولي قضاء المالكية بالقدس الشريف، وطالت مدته، وكان حسن السيرة في ولايته، والناسُ راضون منه، وكانت توليته في سنة

خمس وثمان مئة، وتوفي في سنة **ثمان وثلاثين وثمان مئة**، ودفن بماملا ظاهر القدس من جهة الغرب ـ رحمه الله ـ.

* * *

٨٠ ـ [. . . .] **الخاصكي**: مولده أيام ولاية والده دمشق حوالي سنة خمس وثمان مئة.

وأمه أم ولد، قدم مع والده إلى بلاد الشام، وحمل الغاشيةَ على رأس والده يومَ دخوله إلى دمشق، فعاجلته المنية في شهر رجب، **سنة ثلاث وعشرين وثمان مئة**، ودفن بالتربة التي أنشأها أبوه بمدرسته المؤيدية، ويشاع أنه مات مسموماً برأي والده، وكان حسن الشكل، كريماً شجاعاً.

* * *

٨١ ـ الحافظ شهاب الدين قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود الشهير بابن حجر، العسقلانيُّ الأصل، الكنانيُّ النسب:

ولد في ثاني عشري شعبان، سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وكان أبوه رئيساً من أعيان تجار الكارم، اشتغل بالعلم، وتولَّع بالنظم، وما زال حتى برع فيه، ثم اشتغل بالحديث، فاتسعت فيه معارفه، فخرَّج التاريخ، وعيَّن الأحاديث، وميَّز الصحيحَ من الضعيف، وصنَّف التصانيف

الفائقة، ورحل إلى الأقاليم الشامية، وسمع الحديث بالقدس، وغزة، والرملة، ونابلس، وسافر [إلى] اليمن، وحلب، وهو يُملي ويحدِّث، وصنَّف «فتح الباري بشرح البخاري» عشرين مجلداً، وهو من أعظم مصنفاته، وصنف غيره في علوم شتى، ونشر العلوم من الحديث والفقه وغيرهما، بالقاهرة وغيرها.

وتولى قضاء الديار المصرية في أوائل دولة الأشرف برسباي في المحرم، سنة سبع وعشرين وثمان مئة، وباشر مباشرة حسنة، واستمر إلى أيام الظاهر جقمق.

وتوفي إلى رحمة الله في ثامن عشري الحجة، **سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة** ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

ومن شعره:

يَا رَبِّ أَعْضَاءُ السُّجُودِ عَتَقْتَهَا
مِنْ فَضْلِكَ الوَافِي وَأَنْتَ الوَاقِي
وَالعِتْقُ يَسْرِي بِالغِنَى يَاذَا الغِنَى
فَامْنُنْ عَلَى الفَانِي بِعِتْقِ البَاقِي

وسئل شيخ الإسلام ابنُ حجر عن الكَرْد ما هو نظماً، فقال:

يَا شَيْخَ الاسْلاَمِ يَا نِعْمَ الإِمَامُ الفَرْدُ
سَرَدْتُ كُلَّ عُلُومِ النَّاسِ أَوْفَى سَرْدِ

الكَرْدُ مَا هُوْ وَمَـا شَـيْءٌ يُـسَمَّى الكَـرْدُ
بِـــاللهِ بِـــاللهِ خَبِّـــرْنَا وريـــح الطَّـــرد

فأجابه:

الكَـرْدُ بـِالْفَتحِ وَالإِسْـكَانِ شِـبْهُ الطَّـرْد
وَشِـبْهَ مَعْنَاهَـا قَـالُوا: رَاحَ يَكْـرُدُ كَـرْد
وَالعِتْقُ عِنْدَ العُـرْبِ أَيْـضاً يُـسَمَّى الكَـرْد
خُذْ مسألَةَ من صِحَاح الجَـوْهَرِي يَـا فَـرْد

* * *

٨٢ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الفقيه أمين الدين حسين ابن حسن بن علي بن يوسف بن علي بن أرسلان الرمليُّ الشافعيُّ: القطبُ العارف بالله، ذو الكرامات الظاهرة، رحل من الرملة إلى القدس الشريف، وأقام بالزاوية الختنية، قبلة المسجد الأقصى، وانتفع به خلق كثير، وما اشتغل عليه أحد ولازمه إلا وآثر نفعه، فكان يكني جماعته بكنىً ينتخبها لهم، وصارت عَلَماً عليهم؛ كأبي طاهر، وأبي مدين، وأبي العزم، وأبي طلحة، وغير ذلك.

وألف مؤلفات في الفقه والنحو، وغير ذلك، منها: «صفوة الزبَد»، ومختصر «الأذكار»، و«شرح سنن أبي داود»، وغير ذلك من الكتب المفيدة.

وكان متواضعاً زاهداً، له قدم عالٍ في التهجد والعبادة، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر.

واتفق من أمره: أن كاشِفَ الرملة ضرب شخصاً من جماعته، فاستغاث بالشيخ، فقال له: إن كان لشيخك برهانٌ، يظهره في هذه النخلة، وكانت نخلة قائمة على ساقها أمامه، ففي الحال وقعت إلى الأرض، فترجَّل، وأتى إليه، ووقع على قدميه.

وكان يخاطب الشيخَ نجمَ الدين بن جماعة بـ: يا شيخ الصلاحية! وهو صغير، فوليها.

وتوفي بالقدس الشريف، بالزاوية المذكورة في رابع عشر، وقيل ثاني عشري شعبان، **سنة أربع وأربعين وثمان مئة**، عن أربع وسبعين سنة، ودفن إلى جانب أبي عبدالله القرشي، بتربة ماملا، ظاهر القدس الشريف، من جهة الغرب، وقبره بها معروف يُقصد ويُزار.

ويقال: إن من دعا الله تعالى بين قبره وقبر القرشي بأمر يريده، استجاب الله له.

ولما مَنَّ الله عليه بالسكن بالزاوية الختنية، والإقامة بالقدس الشريف أنشد:

حَبَانِي إِلَهِي بِالتَصَاقِي لِقِبْلَةٍ
بِمَسْجِدِهِ الأَقْصَى المُبَارَكِ حَوْلَهُ
فَحَمْداً وَشُكْراً دَائِمَيْنِ وَإِنَّنِي
أَوَدُّ لإِخْوَانِي المُحِبِينَ مِثْلَهُ

فقدر أن شخصاً من جماعته يقال له: الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن عبد الرحمن الأنصاري الخليلي الشافعي، رحل من بلد الخليل - عليه السلام -، واستوطن ببيت المقدس فمّن الله عليه بالسّكن بالزاوية المذكورة، وقرر فيها، [وسكن بها في سنة سبع وستين وثمان مئة فأنشده]:

كَـذَاكَ إِلَهِـي قَـدْ حَبَـانِي بِمَـا حَبَـا
بِـهِ الـشَّيْخَ أُسْـتَاذِي لَقَـدْ نَـالَ سُـؤْلَهُ

فَحَمْـداً وَشُـكْراً يَـا إِلَهِـي وَأَنَّـهُ
دَلِيـلٌ عَلَـى أَنِّـي مُحِـبٌّ أَخٌ لَـهُ

وتوفي الشيخ برهان الدين المذكورُ ببلد سيدنا الخليل - عليه السلام - في شهور سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة، ولعله في ربيع الآخر.

* * *

٨٣ - الحافظ العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين المكنى بأبي العباس أحمد بن عبدالله، الكنانيُّ الشافعيُّ: الواعظ الحافظ، نزيلُ القدس الشريف، أحد جماعة الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، وهو الذي كناه بأبي العباس، وكان يعظ الناس بباب الناظر بالمسجد الأقصى الشريف، واشتهر أمره حتى قيل عنه: ابن الجوزي في زمانه، توفي بالقاهرة المحروسة، في شهور سنة سبعين وثمان مئة.

* * *

٨٤ ـ قاضي القضاة العلامة الورع الزاهد شهاب الدين أبو الأسباط أحمد الرمليُّ الشافعيُّ: العالم، أحدُ جماعة الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، وهو الذي كناه بأبي الأسباط، وتولى قضاء الرملة، فأدركته المنية بها.

توفي إلى رحمة الله تعالى في شهور سنة سبع وسبعين وثمان مئة.

* * *

٨٥ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر العُمَيريُّ الشافعيُّ الواعظُ: كان فقيهاً حافظاً، واشتهر أمره في المملكة، وعظُم أمره عند الناس، وكان قُرر في مشيخة المدرسة المنسوبة لمولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي، التي هدمت، وأنشئ مكانها المدرسة المشهورة بالمسجد الأقصى الشريف، بجوار باب السلسلة، ولما عمرت المدرسة المذكورة على ما هي عليه الآن، وانتهت عمارتها، أدركته المنية، فتوفي إلى رحمة الله تعالى في شهر ربيع الأول، **سنة تسعين وثمان مئة**، ودفن بماملا، ظاهر القدس الشريف، واستقر في مشيخة المدرسة المذكورة شيخُ الإسلام كمالُ الدين بن أبي شريف ـ فسح الله في مدته ـ.

* * *

٨٦ ـ [. . . .] ابن الشيخ شمس الدين محمد، القرقشنديُّ الشافعيُّ المقدسيُّ: شيخ الإسلام، عالم القدس الشريف، كان من أهل العلم والدين، متواضعاً سخياً، وانتهت إليه الرئاسة في بيت المقدس،

وعظم أمره عند أكابر المملكة، توفي إلى رحمة الله تعالى في شهر جمادى الآخرة، **سنة سبع وستين وثمان مئة**، ودفن بالإيوان الكائن بداخل الزاوية القلندرية بتربة ماملا، ظاهر القدس الشريف ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٨٧ ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن شيخ الإسلام جمال الدين عبدالله بن جماعة، الكنانيُّ الشافعيُّ: خطيب المسجد الأقصى الشريف، هو ووالده، وشيخ المدرسة الصلاحية والده، وولي القاضي برهان الدين المشار [إليه] قضاءَ الشافعية بالقدس الشريف بعد وفاة القاضي علاء الدين بن السائح الرملي في سنة سبع وخمسين وثمان مئة، وعلت كلمتُه، ونفذ أمره ببيت المقدس، وكان موصوفاً بالسخاء والشهامة.

توفي والده الشيخ جمال الدين بن جماعة في سنة خمس وستين وثمان مئة، فاستقر ولد القاضي برهان الدين، وهو شيخ الإسلام نجمُ الدين أبو البقاء محمد بن جماعة في مشيخة الصلاحية عوضاً عن جده في حياة والده المشار إليه.

وتوفي القاضي برهان الدين بن جماعة في ثالث عشرين صفر[1]، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة**، ودفن بتربته المعروفة عند ضريح الشيخ

---

(١) في «الأنس الجليل» (٢/ ٣٣٤): «ثاني عشر صفر».

شهاب الدين بن أرسلان بماملا، ظاهر القدس الشريف، واستقر ولده الشيخ نجم الدين المشار إليه في وظيفة القضاء بعد وفاته مضافاً إلى مشيخة الصلاحية، وباشرها في شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة.

* * *

٨٨ ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن أقضى القضاة أكمل الدين بن مفلح، الحنبليُّ: كان من أهل العلم والدين والعفة، ولي قضاء قضاة الحنابلة بالشام المحروس نيفاً وثلاثين سنة، بعد مباشرته نيابة القضاء بها مدة طويلة، وباشر في ولايته بعفة، وعظُم أمره، وعلت كلمته عند السلطان فمَنْ دونه، وعُين لقضاء الديار المصرية بعد وفاة قاضي القضاة عز الدين الكناني الحنبلي، في شهور سنة ست وسبعين وثمان مئة، فلم يقدر له بالتوجه؛ لمرض حصل له، وصنف «شرح المقنع» في الفقه، و«طبقات الأصحاب».

ومحاسنه كثيرة ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

توفي إلى رحمة الله تعالى بدمشق، في شهر شعبان، **سنة أربع وثمانين وثمان مئة**.

واستقر ولده قاضي القضاة نجم الدين عمر في وظيفة القضاء بعده في شهر شوال، سنة أربع وثمانين وثمان مئة.

* * *

٨٩ ـ قاضي قضـاة دمشق شهاب الدين أحمـد المِرِينيُّ المغربيُّ المالكيُّ: ولي قضاء دمشق استقلالاً أكثر من عشرين سنة، بعد مباشرته نيابة الحكم مدة، وكان عفيفاً في مباشرتـه، وسيرته حسنة، وكان السلطان يصفـه بالعفة، ويعظِّمه، وهـو من رفقـة قاضي القضاة برهان الدين بن مفلح الحنبلي.

توفي في شهر ذي الحجـة قبل عيد الأضحى، سنة ست وتسعين وثمان مئة.

* * *

٩٠ ـ تقي الدين أبو بكر بن زيد الجرَّاعي، الحنبليُّ الفقيهُ: باشر نيابة القضاء بدمشق، وكان من أهل الفضل والدين، وهـو رفيق الشيخ علاء الدين المـرداوي الحنبلي في الاشتغـال على الشيخ تقي الدين بن قُندس، وانتقل إلى رحمة الله تعالى بدمشق، في شهور سنة **ثلاث وثمانين وثمان مئة** ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٩١ ـ قاضي القضاة عز الدين أبو البركات أحمد ابن قاضي القضاة برهـان الدين إبراهيم ابن قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله، الكِنانيُّ العسقلانيُّ الحنبليُّ، شيخُ الإسلام:

باشر نيابة القضاء بالديار المصريـة في أيام قاضي القضـاة محـبّ الدين سالم المقـدسي الحنبلي وفي أيام قاضي القضـاة عـلاء الدين بن

معلى الحنبلي وفي أيام قاضي القضاة محب الدين بن نصر الله البغدادي، ثم استقر في وظيفة قضاء القضاة بالديار المصرية، عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين البغدادي الحنبلي بعد وفاته في أوائل دولة الأشرف أينال، في جمادى الأولى، **سنة سبع وخمسين وثمان مئة**.

وكان ورعاً زاهداً، وباشر بعفَّة، وعلت كلمته، وعظُم أمره عند السلطان وأركان الدولة والرعية، وكانت له هيبة ووقار.

توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل جمادى الآخرة، **سنة ست وسبعين وثمان مئة**، وعين السلطان [على] القضاء [في] الديار المصرية قاضيَ القضاة برهانَ الدين بنَ مفلح الحنبليَّ بدمشق، فلم يقدر له بالحضور، واستمر منصبُ الحنابلة شاغراً نحو خمسة أشهر، ثم استقر فيه قاضي القضاة بدر الدين محمد السعدي الحنبلي، يوم خَتْم البخاري بالقلعة المنصورة، في يوم الأحد، ثامن عشري رمضان المعظَّم سنة ست وسبعين وثمان مئة، وسلك في مباشرته طريقة شيخه قاضي القضاة عز الدين؛ من العفة، والتوقف في الأمور، وعدم التجاوز في ثبوت الإجارات الطوال، وعدم بيع الأوقاف، مقتدياً بشيخه المشار إليه ـ كما يأتي في ترجمته ـ.

* * *

٩٢ ـ شهاب الدين أحمد بن حسين، الحسنيُّ المالكيُّ الأرميونيُّ، خليفةُ الحكم العزيز بالديار المصرية. كان من أهل العلم والتواضع،

وعليه مدار الفتوى بالديار المصريـة، باشر نيابـة الحكم بها نحو ثلاث وعشرين سنة، وكان له هيبة في الحكم، مع تواضعه، ولين جانبه.

توفي رحمه الله في يوم الجمعة، رابع عشري شهر جمادى الأولى، سنة تسع وثمانين وثمان مئـة، وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٩٣ ـ زين الدين أبو بكر بن مُزْهر الأنصاريُّ الشافعيُّ، صاحـب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصريـة: كان من أهل العلم، والذين باشروا الوظائفَ السَّنية؛ كنظر الإسطبلات، ونظر الجوالي، ووكالة بيت المال، ونظر الجيوش بالمنصورة بالديار المصرية.

ثم استقر في وظيفة كتابة السر في دولة الظاهر خشقدم، في أوائل سنة سبـع وستين وثمان مئـة، واستمر إلى حين وفاة الظاهـر خشقدم، وباشرها في دولة الظاهر إيلباي، والظاهر تمربغا، إلى أن استقر الملك الأشرف قايتباي في السلطنة، واستمر بـه، وعلت كلمته في المملكة، وعظُمت هيبته، وانتهت إليه رئاسة المملكة، وصار عزيزَ مصر.

وكان ـ رحمـه الله ـ عنده التواضع لأهل العلم، والتّأدّب في حقّ الفقراء، وكان طلبة العلم يحضرون مجلسه، ويتذاكرون بين يديه، وكان فيه احتمال، وعدم مفاجأة بالكلام السّيئ ، وكان له صدقات وإحسان، وعمَّـر مدرسة بالمدينـة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسّلام ـ

ومدرسة بالقدس الشريف، وجامعاً تجاه منزله بالقاهرة.

وكان حصل في شهور سنة ست وثمانين وثمان مئة واقعة بالقاهرة، أوجبت أن السلطان عزله هو وقاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وقاضي القضاة برهان الدين اللقَّاني المالكي في مجلس واحد، بحضورهم، في يوم الأحد، مستهل شهر رجب من السنة المذكورة.

ثم أعيد القاضي زين الدين بن مزهر إلى وظيفته في يوم الاثنين، تاسع الشهر المذكور، وتولى في ذلك اليوم قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر بن تقي المالكي قضاء الديار المصرية عوضاً عن اللقاني، ونزلا من القلعة معاً، وكان يوماً مشهوداً، ثم استمر إلى سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة، فتوجه من القاهرة صحبة الأمير أقبردي الدوادار الكبير لجهة نابلس؛ لتجهيز الرجال للتجريدة لقتال السلطان أبي يزيد ابن عثمان، فحضر إلى الرملة صحبة الأمير دوادار في يوم السبت، حادي عشري جمادى الأولى من السنة المذكورة، وتوجه لنابلس، فحصل له توعك، فلما قضى الأمر الذي هو بصدده، توجه إلى القاهرة، ودخلها في أواخر رجب، وهو في التوعُّك، واستمر إلى أن توفي في صبيحة يوم الخميس، سادس شهر رمضان، **سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة**، وصلَّى عليه السلطان، ودفن من يومه، وكان يوماً مشهوداً، تأسف الناس عليه، وانزعج أهل المملكة لموته، خصوصاً طائفة الفقهاء وأرباب المناصب؛ لشفقته عليهم، وتبصره وتأنيه في الأمور ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

ثم استقر ولده المقر الأشرف البدري محمد بن مُزهر في كتابة السر

الشريف عوضاً عنه، وأُلبس التشريف الشريف من الحضرة الشريفة، وركب معه أركان الدولة والأكابر في يوم الخميس، ثالث عشر شهر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة.

* * *

٩٤ ـ القاضي ولي الدين أبو الفضل أحمد بن أحمد بن عبد الخالق، الشافعيُّ، شيخُ الإسلام: باشر نيابة الحكم بالديار المصرية، ومشيخة الخانقاه الجمالية، وكان من أخصَّاء القاضي جمال الدين يوسف ناظرِ الخاصِّ الشريف.

ثم حج إلى بيت الله الحرام في سنة سبعين وثمان مئة في أيام الظاهر خشقدم، فأُشيعت وفاته بدرب الحجاز الشريف، وأُخرجت وظائفه بحكم وفاته، واستقر القاضي بدر الدين محمدُ ابن القاضي زين الدين بن مزهر الذي صار كاتب السر الشريف في مشيخة الجمالية، وأُلبس التشريف الشريف من حضرة السلطان، ونزل الناس في خدمته، وهو يومئذ صغير دون البلوغ، ثم لما حضر القاضي ولي الدين الأسيوطي من الحجاز الشريف، في سنة إحدى وسبعين وثمان مئة، أعيدت إليه وظائفه، ثم اقتضى الحال استقراره في وظيفة قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، فوليها في شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى وسبعين وثمان مئة، واستمر بها إلى أيام الملك الأشرف قايتباي، فوقعت حادثة أوجبت أن السلطان عزله هو وقاضي القضاة بدر الدين السّعدي الحنبلي، في يوم الخميس، سابع عشري ربيع الآخر، سنة خمس وثمانين وثمان مئة، ثم أعادهما في

يوم الأحد، مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم عزل قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي في مستهل رجب سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ كما تقدم في ترجمة القاضي زين الدين بن مزهر ـ، واستمر إلى أن توفي في أوائل سنة **إحدى وتسعين وثمان مئة**.

وكان له معرفة بصناعة القضاء والشهادة، ويعرف خطوط الشهود، وإذا وقف على مستند عرف إن كان حقاً أو مفتعلاً، وكان عنده توقف في الأمور، وعدم تجاسر في الأحكام، وأمر نوابه أن لا يحكم أحد منهم بحكم مطلقاً إلا بعد عرضه عليه، وكتابة خطه على المستند المحكوم به ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

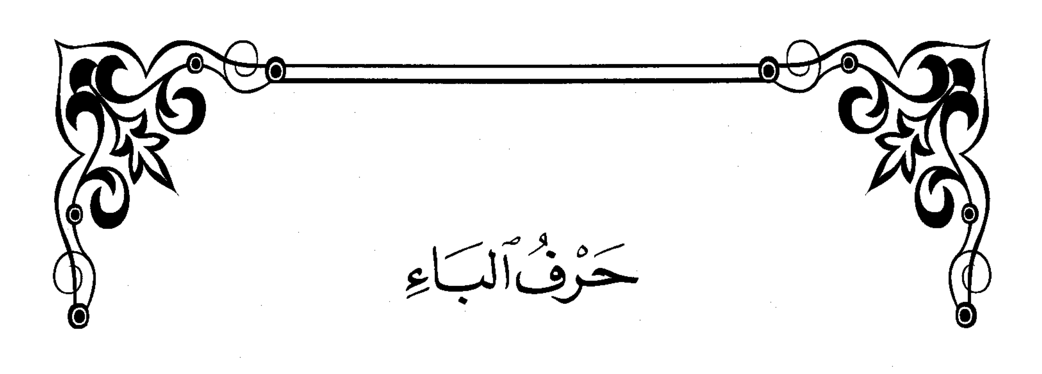
* * *

٩٥ ـ قاضي القضاة برهان الدين اللقاني إبراهيم بن محمد، اللقانيُّ المالكيُّ شيخُ الإسلام: باشر نيابة الحكم بالديار المصرية، وتصدى للكتابة على الفتوى، وإشغال الطلبة بالجامع الأزهر، ثم ولي قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية، عوضاً عن قاضي القضاة سراج الدين عمر بن حُرَيز المالكي في شهر صفر، سنة سبع وسبعين وثمان مئة، وباشر الحكم بشهامة، وكان قامع المبتدعين، ثم عزل في مستهل رجب، سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ كما تقدم في ترجمة القاضي زين الدين بن مزهر ـ، واستمر إلى أن توفي في أوائل سنة **ست وتسعين وثمان مئة** ـ رحمه الله، وعفا عنه بمنه وكرمه ـ.

* * *

٩٦ ـ القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان، البرمكيُّ: كان عالماً فاضلاً، تولَّى القضاء بمصر والشام، وله مصنفات جليلة، منها: «وفيات الأعيان في التاريخ»، وغيره، ولد يوم الخميس، بعد صلاة العصر، حادي عشر ربيع الآخر، سنة ثمان وست مئة بمدينة إربل، وتوفي في **سنة إحدى وثمانين وست مئة** ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

* * *



حَرْفُ ٱلبَاءِ

٩٧ ـ بشر الحافي بن الحارث بن عبـد الرحمن بن عطاء بن هلال ابن ماهان بن عبدالله بعبور: أسلم جدُّه على يد علي بن أبي طالب ﷺ، أحدُ رجال الطريقة، كان من كبار الصالحين، وأعيان الأتقيـاء المتورِّعين، أصله من مرو، من قرية من قراها يقال لها: مابرسام، وسكن بغداد.

وإنما لقب بالحافي؛ لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منـه شِسْعاً لأحد نعليه، وكان قد انقطع، فقال له الإسكاف: ما أكثرَ كُلفتكم على الناس، فألقى النعلَ من يده، والآخرَ من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

ولد سنة خمسين ومئة، وتوفي في شهر ربيـع الآخر، سنة ست، وقيل: سبع وعشرين ومئتين ببغداد، وقيل: بمرو.

* * *

٩٨ ـ المُريسي بشر بن غياث بن أبي كريمة، الفقيهُ الحنفيُّ: من موالي زيد بن الخطاب، أخذ الفقـه عن أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القـول بخلق القرآن، وله في ذلك أقوال شنيعة، وكان مُرْجِئاً، وإليه تُنسب الطائفة المرجئيَّـة المُرَيْسِيَّة، وكان يقول: السجود

للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر، وكان يناظر الشافعي، ولا يعرف النحو، ويلحن لحناً فاحشاً، ويقال: إن أباه كان يهودياً صبَّاغاً بالكوفة.

توفي في ذي الحجة، سنة ثمان عشرة ومئتين ببغداد، والمريسي ـ بسين مهملة ـ: جنس من السودان من بلاد النوبة.

* * *

٩٩ ـ القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة بن أبي برذعة بن عبدالله بن بشير[١] بن عبيدالله بن أبي بكرةَ بن نُفَيع بن الحارث بن كَلَدَةَ الثقفيِّ صاحبِ رسول الله ﷺ: كان حنفي المذهب، وتولى القضاء بمصر سنة ثمان، أو تسع وأربعين ومئتين، وقال: وليتها من قِبل المتوكل يوم الجمعة، لثمانٍ خلون من جمادى الآخرة، سنة ست وأربعين ومئتين، وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور.

وله مع أحمدَ بن طولون صاحبِ مصر وقائع، وكان اعتقله، وأمره بتسليم القضاء إلى محمد بن شادي[٢]، ففعل، وجعله كالخليفة له، وبقي مسجوناً مدة سنين، وكان يُحدِّث في السجن من طاق فيه، وكان أحد البَكَّائين التالين لكلام الله تعالى، وكان يُكثر الوعظ للخصوم

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٧٩): «عبيدالله بن بشر».

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢٧٩): «شاذان».

إذا أراد اليمين، ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ٧٧] الآية.

ولد بالبصرة سنة اثنتين ومئتين، وتوفي وهو باق على القضاء مسجوناً يوم الخميس، لستٍّ بقين من ذي الحجة، **سنة سبعين ومئتين**، وقبره مشهور عند مصلى بني مسكين، وهو معروف باستجابة الدعاء.

* * *

١٠٠ ـ أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان، المازنيُّ البصريُّ النَّحْويُّ: كان إمام عصره في النحو والأدب، توفي **سنة تسع وأربعين ومئتين** بالبصرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

١٠١ ـ بوران بنت الحسن بن سهل: وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه، واحتفل أبوها بأمرها، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يُعهد مثلُه في عصر من الأعصار، وذلك بفمِّ الصِّلْح.

وقالت الشعراء والخطباء بذلك، وأطنبوا، ومما يستظرف فيه قولُ محمد بن حازم الباهلي:

بَارَكَ اللهُ لِلْحَسَنْ ... وَلِبُورَانَ فِي الخَتَنْ

يَابْنَ هَارُونَ قَدْ ظَفِرْ ... تَ وَلَكِنْ بِبِنْتِ مَنْ؟

ولما نُمي هذا الشعر إلى المأمون، قال: والله! ما ندري، أخيراً أراد أم شراً؟

ودخل المأمون على بوران في الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصِّلْح، فلما جلس معها، نثرت عليه جدتها ألفَ دُرَّة كانت في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تُجمع، وسألها عن عدد الدر كم هو؟ فقالت: ألف حبة، فوضعها في حِجْرها، وقال: هذا تحليتك[1]، وسلي حوائجك، فقالت لها جدتها: كلِّمي سيدك؛ فقد أمرك، فسألته الرضا عن إبراهيم ابن المهدي ـ وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ـ، فقال: قد فعلت.

ولما طلب المأمون الدخول على بوران، دافعوه لعذر بها، فلم يندفع، فلما زُفت إليه، وجدها حائضاً، فتركها، فلما قعد الناس من الغد، دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب، وقال: يا أمير المؤمنين! هنأك الله بما أخذت من الأمر، باليُمن والبركة وشدة الحركة والظفر بالمعركة، فأنشده المأمون:

فَارِسٌ مَاضٍ بِحَرْبَتِهِ ... صَادِقٌ بِالطَّعْنِ فِي الظُّلَمِ
رَامَ أَنْ يُدْمِي فَرِيسَتَهُ ... فَاسْتَجَارَتْ مِنْ دَمٍ بِدَمِ

فعرّض بحيضها، وهو من أحسن الكنايات، وكان ذلك في شهر رمضان، سنة عشر ومئتين، وعقد عليها في سنة اثنتين ومئتين، وتوفي المأمون وهي في صحبته، وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومئتين وبقيت بعده إلى أن توفيت يوم الثلاثاء، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الآخر، سنة إحدى وسبعين ومئتين،

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٢٨٩) وغيره: «نِحلتك».

وماتت وعمرها ثمانون سنة، وكانت وفاتها ببغداد.

وفمٍّ الصِّلْح: بلدة على دجلة قريبة من واسط.

* * *

١٠٢ ـ تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب بن شادي، الملقب: مجد الدين: وهو أخو السلطان صلاح الدين، وكان أصغر أولاد أبيه، وكانت فيه فضيلة، وينظم الشعر، فمما قاله في أحد مماليكه، وقد أقبل من جهة المغرب راكباً فرساً أشهب:

أَقْبَــلَ مَــنْ أَعْــشَقُهُ رَاكِبــاً ... مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ عَلَى أَشْهَبِ

فَقُلْـتُ سُـبْحَانَكَ يَـا ذَا العُـلاَ ... أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنَ المَغْـرِبِ

مولده في ذي الحجة، سنة ست وخمسين وخمس مئة، وتوفي يوم الخميس، الثالث والعشرين من صفر، **سنة تسع وسبعين وخمس مئة**، على حلب، من جراح أصابته لما حاصرها أخوه السلطان صلاح الدين.

وبوري: لفظ تركي معناه بالعربية: ذئب.

* * *

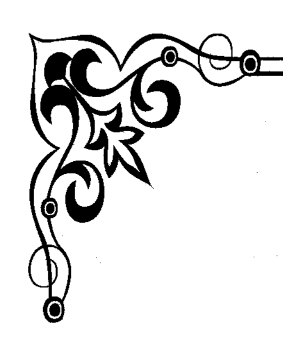
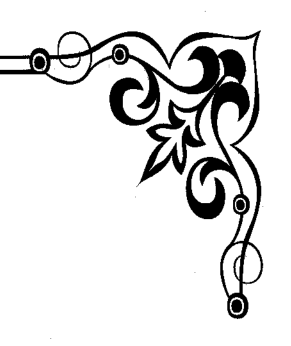
١٠٣ ـ شهاب الدين أبـو الخيـر بادار بن عبدالله القونـوي نزيـلُ القدس: كان يتكلم على الناس بقبة السلسلة بالصخرة.

قال الشيخ بدر الدين محمـود العجلوني: ما عرفنـا الله تعالى إلا بملازمة مجالسه.

وقبرُه ظاهر القدس الشريف، على طريق خان الظاهر، ظاهرٌ للناس معروف ـ رحمه الله تعالى ـ.

توفي في شعبان، سنة ثمانين وسبع مئة.

* * *

حَرْفُ التَّاءِ

١٠٤ ـ تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي: كان أبوه صاحب ديار مصر، وهو الذي بنى القاهرة المعزِّيَّة، وكان تميم المذكور فاضلاً شاعراً، ولم يلِ المملكة؛ لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز، فوليها، ومن شعر تميم:

مَا بَانَ عُذْرِي فِيهِ حَتَّى عَـذَرا ... وَمَشَى الدُّجَى فِي خَدِّهِ فَتَحَيَّرَا

هَمَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ تَقْبِيلَهُ ... فَاسْتَلَّ نَاظِرُهُ عَلَيْهَا خِنْجَرَا[1]

توفي في ذي القعدة، **سنة أربع وسبعين وثلاث مئة** بمصر، وصُلي عليه بالقرافة، وحمل إلى القصر، ودفن بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز.

* * *

١٠٥ ـ أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور، الحميريُّ الصنهاجيُّ: ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه المعز، وكان حسن السيرة،

---

(١) في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٠١):

«همت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا»

محمودَ الآثار، محبّاً للعلماء، وله أشعار حسنة، فمن ذلك قوله:

إنْ نَظَـرَتْ مُقْلَتِـي لِمُقْلَتِهَـا تَعْلَـمُ مِمَّـا أُرِيـدُ نَجْـوَاهُ
كَأَنَّهَـا فِـي الفُـؤَادِ نَـاظِرَةٌ تَكْـشِفُ أَسْـرَارَهُ وَفَحْـوَاهُ

وفضائله كثيرة، ولد بالمنصورية التي تسمى: صبرة من بلاد إفريقية، يوم الاثنين، ثالث عشر رجب، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وفوض إليه أبوه ولاية المهدية في صفر، سنة خمس وأربعين، فاستبد بالملك، ولم يزل إلى أن توفي ليلة السبت، منتصف رجب، سنة إحدى وخمس مئة، ودفن في قصره، ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنستير، وخلف من البنين أكثر من مئة، ومن البنات ستين.

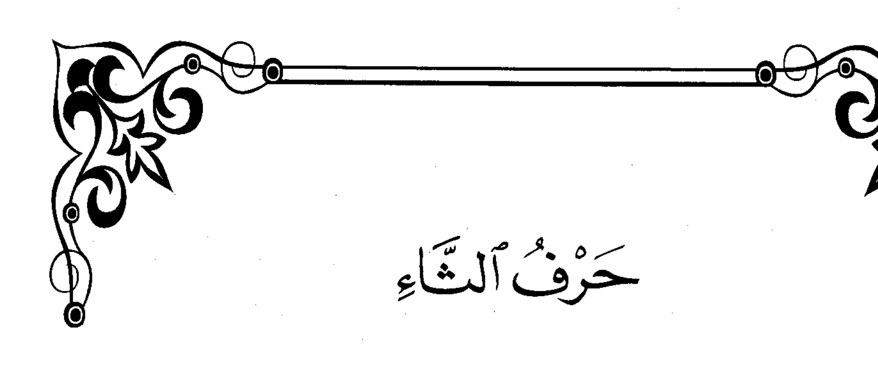
* * *

١٠٦ ـ الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادي بن مروان، الملقب: فخر الدين: وهو أخو السلطان صلاح الدين، وكان أكبر منه، وكان السلطان يُكثر الثناء عليه، ويُرجحه على نفسه، ووجَّهه إلى اليمن، فملكها، وفتح الله على يديه، وكان كريماً، ثم إنه عاد من اليمن، والسلطانُ على حصار حلب، فوصل إلى دمشق في ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، ولما رجع السلطان عن الحصار، وتوجه إلى الديار المصرية، استخلفه بدمشق، فأقام بها، ثم انتقل إلى مصر، وتوفي في يوم الخميس، مستهل صفر، سنة ست وسبعين وخمس مئة، ومات وعليه من الديون مئتا ألف دينار، فقضاها

عنه أخوه صلاح الدين.

وتوران شاه: لفظ أعجمي، معناه: ملك الشرق؛ لأن شاه: ملك، وتوران: الشرق، وإنما قيل للشرق: توران؛ لأن بلاد الترك والعجم يسمون الشرق تركان، ثم حرّفوه فقالوا: توران.

* * *



حَرْفُ الثَّاءِ

١٠٧ ـ أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض بن إبراهيم، المصريُّ، المعروف بذي النون، الصالحُ المشهور: أحد رجال الطريقة، كان أوحد وقته علماً وورعاً، وهو معدود في جملة من روى «الموطأ» عن مالك، وكان رجلاً نحيفاً، يعلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية.

وشيخه في الطريقة شقران العابد.

وللشيخ ذي النون فضائل ومحاسن كثيرة، توفي في ذي القعدة، سنة خمس، وقيل: **ست وأربعين ومئتين** بمصر، ودفن بالقرافة الصغرى، وعلى قبره مشهد مبني، وفي المشهد ـ أيضاً ـ قبور جماعة من الصالحين.

وثوبان: بفتح الثاء المثلثة، وسكون الواو، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون.

* * *

١٠٨ ـ أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون، الحاسبُ الحكيمُ الحرَّانيُ: كان في بداية أمره صيرفياً بحرَّان، ثم انتقل إلى بغداد، واشتغل بعلوم الأوائل، فمهر فيها، وبرع في الطب، وكان الغالب عليه الفلسفة.

ولد سنة إحدى وعشرين، ومئتين وتوفي في يوم الخميس السادس والعشرين من صفر، **سنة ثمان وثمانين ومئتين**، وله ولد يسمى: إبراهيم بلغ رتبة أبيه في الفضل، وكان من حذَّاق الأطباء ومقدَّمي أهلِ زمانه في صناعته، وعالج مرة السَّريَّ الرفَّاء الشاعر، فأصاب العافية، فعمل فيه، وهي أحسن ما قيل في الطب، ومنه:

هَـلْ لِلْعَلِيـلِ سِـوَى ابْـنِ قُـرَّةَ شَـافِي
بَعْـدَ الإِلَـهِ وَهَـلْ لَـهُ مِـنْ كَـافِي

فَكَأَنَّـهُ عِيـسَى بْـنُ مَـرْيَمَ نَاطِقـاً
يَهَـبُ الحَيَـاةَ بِأَيْـسَرِ الأَوْصَـافِ

لَمَّـا رَأَى قَـارُورَتِي وَرَأَى بِهَـا
مَـا اكْـتَنَّ بَـيْنَ جَـوَانِحِي وَشَـغَافِ

وحرَّان: مدينـة مشهـورة بالجزيـرة، قيل: إن هارون عم إبراهيم الخليل عمرها، فسميت باسمه، ثم إنها عُرِّبت، فقيل: حران.

وهارون[1]: أبـو[2] سارة زوجة إبراهيم ـ عليـه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ.

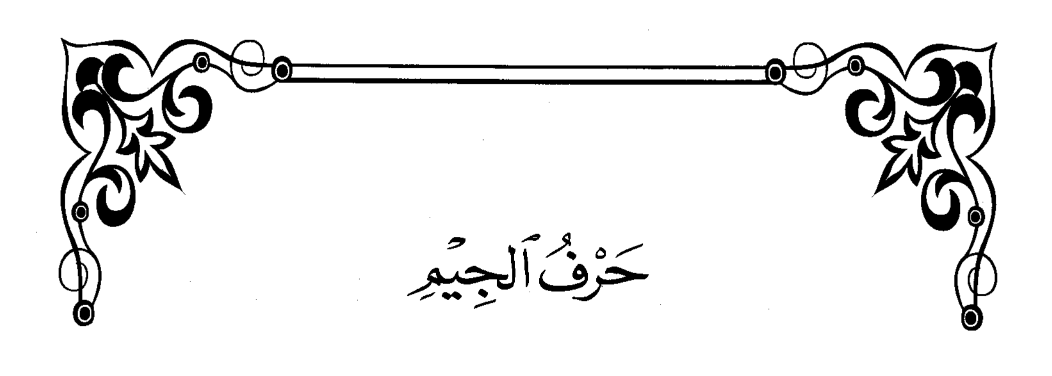
وكان لإبراهيم أخ يسمى بـ: هاران، وهو أبو لوط ـ عليه السلام ـ.

* * *

---

(١) في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣١٥): «هاران» في الموضعين.

(٢) في الأصل: «بن».



حَرْفُ الجِيمِ

١٠٩ ـ جرير بن عطية بن الخَطَفَى واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، ابن بدر، التميميُّ الشاعرُ المشهورُ: كان من فحول شعراء المسلمين والإسلام، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثلُ ثلاثة: جرير، والفرزدق، والأخطل.

ويقال: إن بيوت الشعراء أربعة: فخر، ومدح، وهجاء، وتشبيب، وفي الأربعة فاق جريرٌ غيره.

ففي الفخر يقول:

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ
حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وفي المديح يقول:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا
وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وفي الهجاء يقول:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ[1]
فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

وفي التشبيب يقول:

إِنَّ العُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ
قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لاَ حَرَاكَ بِهِ
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إِنْسَانَا[2]

توفي جرير باليمامة، سنة إحدى عشرة ومئة، وعمره نيف وثمانون سنة.

* * *

١١٠ ـ أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب: أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، كان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق؛ لصدقه في مقالته، وفضلُه أشهر من أن يُذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والفأل.

ولد سنة ثمانين للهجرة، وهي سنة سيل الحجاز[3]، وقيل: سنة

---

(١) في الأصل: «تميم».

(٢) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٢٢) وغيره: «أركانا».

(٣) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٢٧): «سيل الجحّاف».

ست وثمانين، وتوفي في شوال، سنة ثمان وأربعين ومئة بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر أبيه[1] محمد الباقر، وجدِّه علي[2] زين العابدين، وعمِّ جدِّه الحسنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهم، فلله درُّه من قبرٍ ما أكرمه! وأمُّه أُمُّ فروةَ بنتُ القاسمِ بنِ محمد بنِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

* * *

١١١ ـ أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي: وزيرُ هارون الرشيد، كان من علو القدر ونفاذ الأمر، وقوة الهمة، وعظم المحل، وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد بحالةٍ انفرد بها، ولم يشارَكْ فيها.

وكان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر.

وأما جوده، وسخاؤه، وبذله، وعطاؤه، فكان أشهر من أن يُذكر.

وكان من ذوي الفصاحة، والمشهورين باللَّسَن والبلاغة، وتفقه على القاضي أبي يوسف الحنفي، ووقَّع إلى بعض عماله ـ وقد شكي به إليه ـ: كثر شاكوك، وقلَّ شاكروك، فإما اعتدلْ، وإما اعتزلْ.

وكان جعفر متمكِّناً من الرشيد، وبلغ من علوِّ المرتبة عنده ما لم يبلُغه سواه، حتى إن الرشيد اتخذ ثوباً له زيقان، فكان يلبسه هو وجعفر جملة، ولم يكن للرشيد صبرٌ عنه.

---

(١) في الأصل: «أبي محمد»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٢٧).

(٢) في الأصل: زيادة «بن».

وكان الرشيد ـ أيضاً ـ شديد المحبة لأخته العباسة ابنة المهدي، وهي من أعز النساء عليه، ولا يقدر يفارقها، فزوَّجها لجعفر ليحِلَّ لهما أن يجتمعا فقط من غير أن يَقْرَبها، فتزوجها على هذا الشرط.

ثم تغير الرشيد عليه وعلى البرامكة كلِّهم آخرَ الأمر، ونكبهم، وقتل جعفراً، واعتقل أخاه الفضل، وأباه يحيى إلى أن ماتا.

واختُلف في سبب تغير الرشيد، فقيل: إن سببه: أن جعفراً دخل بعباسة خفية، وكانت هي السبب في ذلك، وحملت منه، وأتت بولد، ولما خافت ظهور الأمر، بعثت به إلى مكة، فلما بلغ الرشيدَ ذلك، قصد الحج، وتوجه إلى مكة، وبحث عن هذا الأمر، فوجده صحيحاً، فأضمر الشرَّ للبرامكة.

وقيل: إن الرشيد سلَّم إلى جعفرٍ يحيى بنَ عبدالله بنِ الحسين الخارجَ[1] عليه، وحبسه عنده، فخدعه يحيى، فأطلقه جعفر، وبعث معه مَنْ أدلَّه إلى مأمنه، فكان ذلك سبباً لتغير الرشيد.

وقيل غير ذلك.

وقتل الرشيد جعفراً بموضع يقال له: الغمز[2] من الأنبار، في يوم السبت سلخ المحرم.

وقيل: مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومئة.

---

(١) في الأصل: «الخارجي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٣٤).

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٣٧): «العُمْرُ».

ومن أعجبِ ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها: ما حكاه محمد بن غسان: أن عبد الرحمن القاسمي قال: دخلت على والدتي في يوم نحر، فوجدت عندها امرأة في ثياب رثَّة، فقالت لي والدتي: أتعرف هذه؟ فقلت: لا، قالت: هذه عتابة أمُّ جعفرٍ البرمكي، فأقبلتُ عليها بوجهي، وأكرمتُها، وتحادثنا زماناً، ثم قلت: يا أم جعفر! ما أعجبُ ما رأيتِ؟ قالت: يا بني! لقد أتى عليَّ عيدٌ مثلُ هذا، وعلى رأسي أربع مئة وصيفة، وإني لأَعُدُّ ابني عاقّاً لي؛ لعدم إنصافه لي، ولقد أتى علي هذا العيدُ، وما أملك إلا جلدَ شاتين، أفترش أحدَهما، وألتحف بالآخر.

قال: فدفعت لها خمس مئة درهم، فكادت تموت فرحاً بها، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرَّق الموت بيننا.

* * *

١١٢ ـ أبو الفضل جعفر بن الأفضل[1] بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، المعروف بابن حِنْزابة: كان وزير بني الإخشيد بمصر مدَة إمارة كافور بملك مصر، ولما تولى كافور الملكَ، استقلَّ به، ثم انقلب عليه الأمر، واستتر مرّتين، ونُهبت دوره في أيام كافور.

وكان عالماً، ومحباً للعلماء، ويملي الحديث بمصر وهو وزير.

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٤٦): «الفضل».

ولد لثلاثٍ خلون من ذي الحجـة، سنة ثمان وثلاث مئة، وتوفي يوم الأحد، ثالث عشر صفر، سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة بمصر.

وكان كثيـر الإحسان إلى أهـل الحـرمين، واشترى بالمدينـة داراً بالقرب من المسجد، ولم يكن بينها وبين الضريح النبـوي سوى جدار واحـد، وأوصى أن يُدفن فيها، ولما مات، حُمل تابوتـه من مصر إلى الحرمين، وخرجت الأشراف إلى لقائـه وفاءً بما أحسن إليهم، فحجُّوا به، وطافوا، ووقفوا بعرفة، ثم ردوه إلى المدينة، ودفنوه بالدّار المذكورة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١١٣ ـ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السرّاج، المعروف بالقاري البغدادي: كان حافظ عصره، وعلامة زمانه، وله التصانيف العجيبة، منها كتاب «مصارع العشاق»، وغيره، وله شعر حسن، منه:

وَعَـدْتِ بِـأَنْ تَـزُورِي كُـلَّ شَـهْرٍ
فَـزُورِي قَـدْ تَقَـضَّى الـشَّهْرُ زُورِي

وَشُـقَّةُ بَيْنِنَـا تَهْـوِي[1] المُعَلَّـى
إِلَـى البَلَـدِ المُـسَمَّى شَـهْرَزُورِ

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٥٨): «نهر».

وَأَشْـــهُرُ هَجْـــرِكِ المَخْتُـــومِ صِـــدْقٌ
وَلَكِـــنْ شَـــهْرُ وَصْـــلِكِ شَـــهْرُ زُورِ

ولد في أواخر سنة سبعَ عشرةَ وأربـع مئـة ببغداد، وتوفي بها ليلة الأحد، الحادي والعشرين من صفر، سنة خمس مئة.

* * *

١١٤ ـ أبو معشر جعفـر بن محمـد بن عمـر، البلخيُّ، المنجِّمُ المشهور: كان إمام وقته في فنه، وله التصانيف المفيدة في علم النجوم، وله إصابات عجيبة.

ومن جملة وقائعه: أن بعض الملوك طلب رجلاً من أتباعه ليعاقبه بسبب جريمـة صـدرت منـه، فاستخفى، وعلم أن أبا معشر يدل عليـه بالطرائق التي تستخرج بها الخفايا، فأراد أن يعمل شيئاً يبعد عنه حدسه، فأخذ طستاً من نحاس، وجعل فيه دماً، وجُعل في الدم هاوِنٌ من ذهب، وقعد على الهاون أياماً، وطلب الملك ذلك الرجل، فعجز عنه، فطلب أبا معشر، وقال له: عرِّفني موضعه بما جرت عادتك به، فعمل مسألته التي يستخرج بها الخفايا، وسكت زماناً حائراً، فقال له الملك: ما سبب سكوتك وحيرتك؟ قال: سبباً عجيباً، إني أرى المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحر من دم، وحوله صور من نحاس، ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصفـة، فأمره بإعادة نظـره، ففعل مراراً، فلم ير إلا كما ذكر، فلما أيس الملك، نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن

أخفاه، فخرج الرجل، وحضر بين يدي الملك، فسأله عن أمره، فأخبره بما اعتمده، فأعجبه حسنُ احتيالـه في إخفاء نفسه، ولطافـة أبي معشر في استخراجه.

وله غير ذلك من الإصابات، توفي سنة اثنين وتسعين ومئتين.

* * *

١١٥ ـ أبو عمرو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر، الشاعر المشهور: هو صاحـب بُثَينة، أحدُ عشاق العرب، عشقها وهـو غلام، فلما كبر، خطبها، فَرُدَّ عنها، فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سراً، ومنزلهما وادي القُرى، وديوان شعره مشهور، وجميل وبثينة كلاهما من بني عُذْرَة.

ومن شعره من جملة قصيدة:

إِذَا قُلْـتُ: مَـا بِـي يَـا بُثَيْنَـةُ قَـاتِلِي
مِـنَ الوَجْـدِ قَالَـتْ: ثَابِـتٌ وَيَزِيـدُ
وَإِنْ قُلْتُ: رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِـشْ بِـهِ
بُثَيْنَـةُ قَالَـتْ: ذَاكَ منـك بَعِيـدُ

ومن شعره ـ أيضاً ـ:

وَإِنِّـي لأَرْضَـى مِـنْ بُثَيْنَـةَ بِالَّـذِي
لَـوِ اسْـتَيْقَنَ الرَّائِـي لَقَـرَّتْ بَلاَبِـلُهْ

بِـلاَ، وَبِــأنْ لاَ أَسْـتَطِيْعُ وبِــالمُنَى
وَبِــالأَمَلِ المَرْجُـوِّ قَـدْ خَـابَ آمِلُـهْ
وَبِـالنَّظْرَةِ العَجْلَـى وَبِـالحَوْلِ يَنْقَـضِـي
أَوَاخِــرُهُ لاَ نَلْتَقِــي وَأَوَائِلُــهْ

وذكر الزبير بن بَكَّار عن عباس بن سهل الساعدي، قال: بينا أنا بالشام، إذ لقيني رجل من أصحابي، فقال: هل لك في جميل؛ فإنه مريض نعوده؟ فدخلنا عليه وهو يجودُ بنفسه، فنظر إليَّ، ثم قال: يا بن سهل! ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قَطُّ، ولم يزنِ، ولم يقتل النفس، ولم يسرق، يشهد أن لا إله إلا الله؟ قلت: أَظن قد نجا، وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت: والله! ما أحسبك سَلِمْتَ، وأنت تُشَبِّبُ ببثينةَ منذ عشرين سنة، فقال: لا نالتني شفاعة محمد ﷺ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لرِيبة، فما برحنا حتى مات[1].

وأوصى رجلاً أنه إذا مات، يركب ناقته، ويلبس حلته، ويُشققها، ثم يعلو على شَرَف عند رهط بثينة، ويصيح بهذه الأبيات:

قُــومِي بُثَيْنَــةُ فَانْدُبِــي بِعَوِيــلِ
وَابْكِــي خَلِيلَــكِ دُونَ كُــلِّ خَلِيــلِ

(١) قال في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٠): «مات سنة اثنتين وثمانين».

وَلَقَـدْ أَجُـرُّ البُـرْدَ[1] فِـي وَادِي القُـرَى

نَـــشْوَانَ بَــيْنَ مَــزَارِعٍ وَنَخِيــلِ

ففعل الرجل ما أمره به جميل، فما فرغت البيتان، حتى خرجت بثينة كأنها بدر قد بدا في دُجُنَّة، فاستخبرته، فأخبرها بالحال، وأخرج حلَّته، فلما رأتها، صاحت، وصكَّت وجهها، واجتمع نساء الحي يبكين معها، ثم قالت:

وَإِنَّ سُــلُوِّي عَــنْ جَمِيــلٍ لَـسَاعَةٌ

مِنَ الدَّهْرِ مَـا حَانَـتْ وَلاَ حَـانَ حِينُهَـا

سَـوَاءٌ عَلَيْنَـا يَـا جَمِيـلُ بْـنَ مَعْمَـرٍ

إِذَا مِــتَّ بِأْسَــاءُ الحَيَــاةِ وَلِينُهَــا

قال الرجل: فما زلت باكياً أكثر من يومين.

* * *

١١٦ ـ أبو القاسم الجُنيد بن محمد بن الجنيد، الخزَّازُ القواريريُّ، الزاهدُ المشهور: أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته، وفريد عصره، وكلامُه في الحقيقة مشهور مدوَّن، وتفقه على أبي ثور صاحبِ الشافعي، وقيل: بل كان فقيهاً على مذهب سُفيان الثوريِّ.

---

(١) في الأصل: «الهود»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧١).

وصحب خاله السَّرِي السَّقطي.

وصحبه أبو العباس بن سُريج، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلامٍ أعجبَ الحاضرين، فيقول: تدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة أبي القاسم الجُنيد.

وتوفي الجنيد آخر ساعة من نهار الجمعة، **سنة سبع وتسعين ومئتين**[1]، وكان عند موته قد ختم القرآن الكريم، ثم ابتدأ بالبقرة، فقرأ سبعين آية، ثم مات.

وإنما قيل له: الخزاز؛ لأنه كان يصنع الخزّ، والقواريري؛ لأن أباه كان قواريرياً.

* * *

١١٧ ـ القائد أبو الحسن جوهر بن عبدالله، المعروف بالكاتب الرومي: كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحبِ إفريقية، وجهزه إلى الديار المصرية؛ ليأخذها بعد موت كافور الأخشيدي، وسَيَّر معه العساكر، وهو المقدَّم، وكان رحيله من إفريقية يوم السبت، رابع عشر ربيع الأول، سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وتسلم مصر يوم الثلاثاء، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة،

---

(١) في «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٤): «وتوفي يوم السبت سنة سبع وتسعين ومئتين، وقيل سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد».

وصعد المنبر خطيباً بها يوم الجمعة، لعشرٍ بقين من شعبان، ودعا لمولاه المعز، ووصلت البشارة إلى المعز بأخذ البلاد وهـو بإفريقية في نصف شهر رمضان من السنة المذكـورة، وأقام بها حتى وصل مولاه المعـز، وهو نافذ الأمر.

واستمر على علو منزلته، وارتفاع درجتـه، وكان محسناً للناس، ولما جهـز إلى مصر، كان عدة عسكره المجهز معـه مئـة ألف فارس، وما يزيد عن ألـف ومئتي صندوق من المال، ونزل في ساحـة موضـع القاهرة اليوم، واختطَّ موضع القاهرة، ولما أصبح المصريون، حضروا إلى القائد للبناء[1]، فوجدوه قد حفر أساسَ القصر في الليل، وكان فيه زورات جاءت غيـر معتدلـة، فلم تعجبـه، ثم قال: حُفرت في ساعـة سعيدة، فلا[2] أغيرها.

وقطع خطبـة بني العباس عن منابر الديار المصريـة، واسْمَهم من السكَّة، وعوض عن ذلك باسم مولاه المعـزِّ، وأزال الشعار الأسـود، وألبس الخطباء الثياب البيض.

وفي يوم الجمعة، ثامن ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقب الخطبة: اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ المصطفى، وعلى عليٍّ المرتضى، وعلى فاطمةَ البَتُول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبَ الله عنهم

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٣٧٩): «للهناء».

(٢) في الأصل: «فلم»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (١/ ٣٧٩).

الرجس، وطهّرهم تطهيراً، اللهمَّ وصلِّ على الأئمة الطاهرين آباءِ أمير المؤمنين.

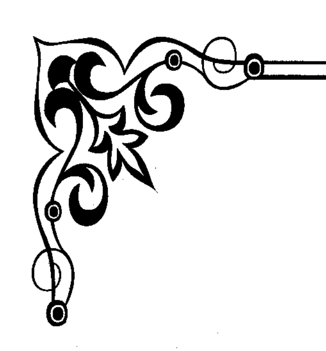
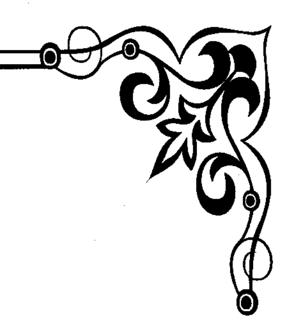
وفي يوم الجمعة، ثامن عشر ربيع الآخر، سنة تسع وخمسين، صلى القائد في جامع طولون، ودعا الخطيب له، وأذَّن بـ: حيَّ على خير العمل، وهو أول ما أُذِّن بمصر، ثم أُذِّن به في سائر المساجد، وسُرَّ جوهر بذلك، وكتب إلى المعز يُعلمه.

وشرع في عمارة الجامع بالقاهرة، وفرغ من بنائه في سابع شهر رمضان، سنة إحدى وستين وثلاث مئة، وجمع فيه الجمعة، وهو معروف الآن بالأزهر، بالقرب من باب البرقية، بينه وبين باب النصر.

وأقام جوهر بمصر مستقلاً بالملك قبل وصول المعز إلى القاهرة أربعَ سنين وعشرين يوماً.

وتوفي جوهر يوم الخميس، لعشرٍ بقين من ذي القعدة، **سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة** بمصر، ولم يبق شاعر إلا ورثاه.

* * *

حَرْفُ الحَاءِ

١١٨ ـ أبو تمَّام حبيب بن أوس بن الحارث: ونسبوه أن أباه كان نصرانياً، وليس بصحيح.

وكان أوحد عصره في صناعة الشعر، وله أذعن فحولُ الشعراء.

وقيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، غير المقاطيع والقصار[١]، وكان يسقي الناس بالجرة ماءً بالجامع، وكان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، توفي بالموصل، سنة **إحدى وثلاثين ومئتين**[٢]، وبنى عليه أبو نهشل الطوسيُّ قبةً خارج باب الميدان، ورثاه الحسن بن وهب بقصيدة، ومنها:

فُجِعَ القَصِيدُ بِخَاتِمِ الشُّعَرَاءِ
وَغَدِيرِ رَوْضَتِهَا حَبِيبِ الطَّائِي

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزيرُ المعتصم، وهو

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٢) وغيره: «غير القصائد والمقاطيع».

(٢) في الأصل: «ومئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ١٧).

يومئذٍ وزير، بقوله:

نَبَـــأٌ أَتَـــى مِـــنْ أَعْظَـــمِ الأَنْبَـــاءِ
لَمَّـــا أَلَـــمَّ مُقَلْقِـــلُ[1] الأَحْـــشَاءِ
قَـــالُوا حَبِـــيبٌ قَـــدْ ثَـــوَى فَـــأَجَبْتُهُمْ
نَاشَـــدْتُكُمْ لاَ تَجْعَلُـــوهُ الطَّـــائِي

* * *

١١٩ ـ أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن [أبي] عقيل ابن مسعود بن عامر بن مغيث[2] بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي[3] ـ وهو ثقيف ـ، الثقفيُّ: عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، ولدته أمه مشوَّهاً لا دُبُر له، فنقب عن دبره[4]، وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها، فأعياهم أمرُه، فيقال: إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث، وأمرهم أن يذبحوا له جَدْياً أسود، وأن يُولغوه دمه، وإذا كان اليوم الثالث، أولغوه دم تيس أسود، ثم أولغوه دم أسود سالخاً، واطلوا به وجهه، فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع،

---

(١) في الأصل: «تقلقل»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ١٨).

(٢) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٩) وغيره: «معتِّب».

(٣) في الأصل: «ولي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٩).

(٤) في الأصل: «فثقب على»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٠) وغيره.

ففعلـوا بـه ذلك.

فكان لا يصبـر على سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقـدم عليها غيـرُه، وكان لـه في الفتك وسفك الدماء والعقوبات غرائـبُ لم يُسمع مثلُها.

ولاه عبـد الملك الحجـاز ثلاث سنين، ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة، فذلل أهلَها.

وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب «التصحيف»: أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان ﵁ نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك، ثم كثـر التصحيف، وانتشر في العراق، ففزع الحجـاج بن يوسف إلى كُتَّابه[1]، وسألهم أن يضعـوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك، فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها، فصـار الناس زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً، وكان مـع استعمال النقط يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يُتبعون النقطَ الإعجامَ.

والحجاج هو الذي بنى مدينة واسط، وكان شروعه في بنائها سنة أربع وثمانين للهجرة، وفرغ منها سنة ست وثمانين، وسماها: واسط؛ لأنها بين الكوفة والبصرة.

ولما حضرته الوفاة، أحضر منجِّماً، فقال له: هل ترى في علمك ملكاً يموت في هذه السنة؟ قال: نعم، ولستَ هـو، فقال: كيف؟ قال

---

(١) في الأصل: «كتابته»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢).

المنجم: لأن الذي يموت اسمُه كليب، فقال الحجاج: أنا هو والله! بذلك كانت تسميني أمي كليباً، وأوصى عند ذلك.

وكان ينشد في مرض موته، والبيتان لعبيد بن شعبان بن عطل، وهما:

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا
أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ وَيْحَهُمُ[1]
مَا ظَنُّهُمْ بِقَدِيمِ العَفْوِ غَفَّارِ؟

وكان مرضه بالآكلة، وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليها، فأخذ لحماً وعلقه في خيط، وسرحه في حلقه، وتركه ساعة، ثم أخرجه، وقد لصق به دود كثير.

وسلّط الله عليه الزمهرير، فكانت الكوانين[2] تُجعل حوله مملوءة ناراً، وتُدْنى منه حتى تحرق جلده، ولا يُحس بها، وأقام بهذه الحالة خمسة عشر يوماً، وتوفي في شهر رمضان، وقيل: في شوال، سنة خمس وتسعين للهجرة، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وكان بواسط، ودفن بها، وعُفِّي قبره، وأُجري عليه الماء.

---

(١) في الأصل: «وظنهم»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣).

(٢) في الأصل: «البواشق»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣).

وتقدم ذكر بعض أخباره مع عبدالله بن الزبير، وهدمه الكعبة، وغير ذلك من فعاله القبيحة في ترجمة عبد الملك بن مروان، وما اعتمده في حق الأخيار الصالحين.

* * *

١٢٠ ـ أبو عبدالله الحارث بن أسد المُحاسبي، البصريُّ، الزاهدُ المشهور: أحدُ رجال الحقيقة، له كتب في الزهد والأصول، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً، قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أنه لا يأخذ ميراثه، وقال: صحّت الرواية عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لاَ يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى»[1]، ومات وهو محتاج إلى الدرهم.

توفي **سنة ثلاث وأربعين ومئتين**، ونسبته بالمحاسبي: لأنه كان يحاسب نفسَه.

* * *

١٢١ ـ أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون: ابنُ عمٍّ ناصرِ الدولة، وسيفِ الدولة، كان فريدَ دهره، وشمسَ عصره أدباً وفضلاً، وكرماً وفروسية وشجاعة، وشعرُه مشهور، وكانت

---

(١) رواه أبو داود (٢٩١١)، وابن ماجه (٢٧٣١)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، والترمذي (٢١٠٨)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

الروم قد أسرته في غزواته مرة بعد أخرى، وله في ذلك أشعار، منها:

قَـدْ كُنْـتَ عُـدَّتِي الَّتِـي أَسْـطُو بِهَـا
وَيَـدِي إِذَا اشْـتَدَّ الزَّمَـانُ وَسَـاعِدِي

فَرُمِيـتُ مِنْـكَ بِـضِـدِّ مَـا أَمَّلْتُـهُ
وَالمَـرْءُ يَـشْرَقُ بِـالزُّلاَلِ البَـارِدِ

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، ولطمت أمه وجهها إلى أن قلعت عينها لما بلغها وفاته.

* * *

١٢٢ ـ أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول، المعروف بأبي نُوَاس الحَكَمِيُّ، الشاعرُ المشهور: ولد بالبصرة، ونشأ بها، ثم خرج إلى الكوفة، ثم صار إلى بغداد، وكان أبوه من جند مروان آخرِ ملوك بني أمية.

سأله بعضهم عن نسبه، فقال: أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك عنه.

وكان واسع العلم، حافظاً، مع قلة كتبه، وكان المأمون يقول: لو وَصَفت الدنيا نفسَها، لما وصفت بمثل قول أبي نواس:

أَلاَ كُـلُّ شَـيْءٍ هَالِـكٌ وَابْـنُ هَالِـكٍ
وَذُو نَـسَبٍ فِـي الهَـالِكِينَ عَرِيـقِ

إِذَا امْـتَحَنَ الـدُّنْيَا لَبِـيبٌ تَكَـشَّفَتْ
لَـهُ عَـنْ عَـدُوٍّ فِـي ثِيَـابِ صَـدِيقِ

وما أحسن ظنه بربه حيثُ يقول:

تَكَثَّـرْ مَـا اسْـتَطَعْتَ مِـنَ الخَطَايَـا
فَإِنَّـكَ بَـالِغٌ رَبَّـاً غَفُـورَا
سَتُبْـصِرُ إِنْ وَرَدْتَ عَلَيْـهِ عَفْـواً
وَتَلْقَـى سَـيِّدَاً مَلِكـاً كَبِـيرَا
تَعَـضُّ نَدَامَـةً كَفَّيْـكَ مِمَّـا
فَظَعْـتَ مَخَافَـةَ النَّـارِ الـسُّرُورَا

وهذا من أحسن المعاني.

وكان محمدُ الأمينُ بنُ هارونَ الرشيدِ سخط على أبي نُواس؛ لقضية جرت له معه، فتهدَّده بالقتل، وحبسَه، فكتب إليه من السجن:

بِـكَ أَسْـتَجِيرُ مِـنَ الـرَّدَى
مُتَعَـوِّذاً مِـنْ سَـطْو بَاسِـكْ
وَحَيَـاةِ رَأْسِـكَ لاَ أَعُـودُ
لِمِثْلِهَـا، وَحَيَـاةِ رَاسِـكْ
مَـنْ ذَا يَكُـونُ أَبَـا نُوَاسِـكَ
إِنْ قَتَلْـتَ أَبَـا نُوَاسِـكْ

وله معه وقائع كثيرة.

ولد في سنة خمس، أو ست، وقيل: ثمان وثلاثين ومئة ببغداد، وإنما قيل له: أبو نواس؛ لذؤابتين كانتا تنوس على عاتقيه.

وأمره مشهور في الخلاعة، ومنادمة الخلفاء، واللهو ـ عفا الله عنه ـ.

توفي في جمادى الأولى، سنة خمس وتسعين ومئة، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة.

* * *

١٢٣ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف الضَّبِّيُّ، المعروف بابن وكيع، الشاعرُ المشهور: أصله من بغداد، ومولده بِبُسْت[١]، كان بارعاً، وكان في لسانه عُجمة، ويقال له: الفاطن[٢]، ومن شعره:

إِنْ كَانَ قَدْ بَعُدَ اللِّقَاءُ فَوُدُّنَا ... بَاقٍ وَنَحْنُ عَلَى النَّوَى أَحْبَابُ

كَمْ قَاطِعٍ لِلوَصْلِ يُؤْمَنُ وُدُّهُ ... وَمُوَاصِلٍ بِوِدَادِهِ يُرْتَابُ

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٠٦): «بتنيس».

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٠٦): «العاطس».

وله كل معنى حسن.

توفي يوم السبت، لسبعٍ بقين من جمادى الأولى، **سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة** بمدينة بُست.

ووكيعٌ لقب جده أبي بكر محمد بن خلف، كان نائباً في الحكم بالأهواز للجواليقي، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً، له مصنفات كثيرة، وشعر، توفي في سادس ربيع الأول، سنة ست وثلاث مئة ببغداد.

* * *

١٢٤ ـ أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد، المعروف بابن العلاَّف، الضريرُ، الشاعرُ، المشهور: وكان من الشعراء المجيدين، وكان ينادم المعتضد بالله.

وكان له هِرٌّ يأنس به، فكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه، ويأكل أفراخها، وتكرر ذلك منه، فمسكه أربابها، وذبحوه، فرثاه بقصيدة طويلة، عددها خمسة وستون بيتاً، فمنها:

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ
وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ الوَلَدِ

ومنها:

فَلَمْ تَزَلْ لِلحَمَامِ مُرْتَصِداً
حَتَّى سُقِيتَ الحِمَامَ بِالرَّصَدِ

توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة، وعمره مئة سنة.

* * *

١٢٥ ـ أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون، المهلبيُّ[١] الوزيرُ:
كان وزير معز الدولة بن بُويه الديلمي، تولى الوزارة يوم الاثنين، لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى، سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وكان من ارتفاع القدر، واتساع الصدر، وعلو الهمة، وقبض الكف على ما هو مشهور به، وكان غاية في الأدب، والمحبة لأهله، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة، وكان قد سافر مرة، ولقي في سفره مشقة صعبة، واشتهى اللحم، فلم يقدر عليه، فقال ارتجالاً:

أَلاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ ... فَهَذَا العَيْشُ مَا لاَ خَيْرَ فِيهِ

أَلاَ رَحِمَ المُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٍّ ... تَصَدَّقَ بِالوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْراً مِنْ بَعِيدٍ ... وَدِدْتُ بِأَنَّنِي مِمَّا يَلِيهِ

وكان معه رفيق له يسمى: أبا عبدالله الصوفي، فلما سمع الأبيات،

---

(١) في الأصل: «الحلبي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ١٢٤).

اشترى له بدرهم لحماً، وطبخه، وأطعمه له، وتفارقا. وتقلبت بالمهلبي الأحوال، وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة، وضاقت الأحوال برفيقه الذي اشترى له اللحم، وبلغه وزارة المهلبي، فقصده، وكتب إليه:

أَلاَ قُلْ لِلوَزِيرِ - فَدَتْهُ نَفْسِي -
مَقَالَةَ مُذْكِرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ

أَتَذْكُر إِذْ تَقُولُ لِضَنْكِ عَيْشٍ
أَلاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ

فلما وقف عليها هزته أريحية الكرم، وأمر له بسبع مئة درهم، ووقَّع في رقعته: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦١]، ثم دعا به، وخلع عليه، وقلده عملاً يرتفق به.

ولما تولى المهلبي الوزارة بعد تلك الضائقة، أنشد:

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي
وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي

فَأَنَالَنِي مَا أَرْتَجِـ
ـيه وَحَادَ عَمَّا أَتَّقِي

فَلأَصْفَحَنْ عَمَّا جَنَا
هُ مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ

حَتَّـــــى جِنَايَتَــــــهُ بِمَــــــا

فَعَــــلَ المَـــشِيبُ بِمَفْرِقِــــي

توفي يوم السبت، لثـلاثٍ بقين من شعبان، **سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة** في طريق واسط، وحُمل إلى بغداد، فوصل إليها في خمس خلون من رمضان من السنة [المذكورة].

* * *

١٢٦ ـ أبـو محمـد الحسين بن مسعـود بن محمـد، المعـروفُ بالفَرَّاء، البغويُّ، الفقيـهُ الشافعيُّ: المحـدث المفسِّر، كان بحـراً في العلوم، وصنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبي ﷺ، وشهرتُه تغني عن المزيد في ذكر علومه، توفي في شوال **سنة عشر وخمس مئة**.

والفراء: نسبة لعمل الفِراء، والبغـوي: نسبة إلى بلدة يقـال لها: بَغْ، بين مَرْوٍ وهِراة بخراسان.

* * *

١٢٧ ـ أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، الزاهدُ المشهورُ: نشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيدَ وغيرَه.

والناس مختلفون في أمره، فمنهم من يبالـغ في تعظيمـه، ومنهم من يكفِّره، والله متولي السرائر.

وكان يتكلم بكلام أوجبَ الإنكارَ عليه، منه: أنا الحق، وقوله: ما في الجبة إلا الله، والإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها، واعتذر عنه أبو حامد الغزالي في «مشكاة الأنوار»، وحمل هذه الألفاظ على محامل حسنة، وأَوَّلها، وقال: هذا كله من فرط المحبة، وشدة الوَجْد.

وكان جده مجوسياً، وصحب أبا القاسم الجنيد ومَنْ في طبقته، وأفتى كثير من علماء عصره بإباحة دمه، وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر، ثم إن الوزير رأى له كتاباً: أن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً نظيفاً من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضرت أيام الحج، طاف حوله، وفعلَ ما يفعله الحجاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، ويعمل أجودَ طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت، ويكسوهم، ويعطي كل واحد سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك، كان كمن حج، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب «الإخلاص» للحسن البصري، فقال القاضي: كذبتَ يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة، وليس فيه هذا، وطالب الوزير القاضيَ أبا عمرو أن يكتب خطه بما قاله: أنه حلال الدم، فدافعه القاضي، فألزمه الوزير، فكتب بإباحة دم الحلاج، وكتب بعده من حضر المجلس، فلما سمع الحلاج ذلك، قال: أيحلُّ لكم دمي، وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة؟ فاللهَ اللهَ في دمي.

وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله، وأرسل الفتاوى بذلك، فأذن المقتدر في ذلك، فضُرب ألف سوط، ثم قُطعت يده، ثم رجله، ثم قُتل، وأحرق بالنار، ونُصب رأسه ببغداد، وكان قتله في شهر ذي القعدة، سنة تسع وثلاث مئة.

* * *

١٢٨ ـ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا: الحكيمُ المشهور: كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، ثم تولى العمل بقرية يقال لها: خرمين[1] من قرى بخارى، فولد بها أبو علي المذكور.

وانتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم وحصَّل الفنون، ثم رغب في علم الطب، وتأمل كتبه، ففاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديمَ القرين، وسنُّه ـ إذ ذاك ـ ستَّ عشرة سنة، وانتقلت به الأحوال حتى تولى الوزارة لشمس الدولة، وصنف كتباً في فنون شتى، وله رسائل بديعة، وهو أحد فلاسفة المسلمين، وله شعر، منه:

اجْعَلْ غِذَاءَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً
وَاحْذَرْ طَعَاماً قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ

وَاحْفَظْ مَنِيَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
مَاءُ الحَيَاةِ يُصَبُّ فِي الأَرْحَامِ

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٥٧): «خرميثنا».

ولد في صفر، سنة سبعين وثلاث مئة، وتوفي في همدان، يوم الجمعة من رمضان، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة، ودفن بها.

* * *

١٢٩ ـ أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر، الشاعرُ البصريُّ المعروفُ بالخليع: مولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلي الصحابي، وأصله من خراسان، وهو شاعر ماجن مطبوع، حسن الصناعة في ضروب الشعر وأنواعه، واتصل في مجالس الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق النديم الموصلي؛ فإنه قارنه، وساواه، ومن شعره:

صِلْ بِخَدِّي خَدَّيْكَ تَلْقَى عَجِيباً ... مِنْ مَعَانٍ يَحَارُ فِيهَا الضَّمِيرُ

فَبِخَدَّيْكَ لِلرَّبِيعِ رِيَاضٌ ... وَبِخَدَّيَّ لِلدُّمُوعِ غَدِيرُ

توفي سنة خمسين ومئتين.

* * *

١٣٠ ـ أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد ابن الحجاج: الكاتب المشهور، ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره، والغالب عليه الهزل.

تولى حِسبة بغداد، ثم عُزل بأبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي، وتوفي يوم الثلاثاء، السابع والعشرين من جمادى الآخرة، **سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة** بالنيل ـ بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، خرج منها جماعةٌ من العلماء ـ وحُمل إلى بغداد، ودفن عند مشهد موسى ابن جعفر، وكان أوصى أن يدفن عند رجليه، وأن يكتب على قبره: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[الكهف: ١٨].

وكان من كبار [الشعراء] الشيعة، ورآه بعد موته بعض أصحابه في المنام، فسأله عن حاله، فأنشد:

أَفْسَدَ سُوءُ مَذْهَبِي ... فِي الشِّعْرِ حُسْنَ مَذْهَبِي

لَمْ يَرْضَ مَوْلاَيَ عَلَى ... سَبِّي لِأَصْحَابِ النَّبِي

* * *

١٣١ ـ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الملقب: مؤيد الدين، الأصبهانيُّ المنشئ المعروف بالطُّغَرائي: كان غزير الفضل، لطيف الطبع، ومن محاسنه: قصيدته المعروفة بلامية العجم، عملها ببغداد سنة خمس وخمس مئة، يصف حاله، ويشكو زمانه، وهي مشهورة.

ذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمس مئة[1]، وقد جاوز ستين سنة.

وولي الوزارة بمدينة إربل، وكان وزير للسلطان مسعود في الدولة السلجوقية بالموصل، وكان السببَ في قتله الكمالُ السميري نظامُ الدين أبو طالب وزير محمود أخي السلطان مسعود، قال عن الطغرائي: هذا ملحِد اقتلوه؛ لخوفه من فضله، اعتمد قتله، وقُتل الكمال يوم الثلاثاء سلخ صفر، سنة ست عشرة وخمس مئة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية.

قيل: قتله عبدٌ أسودُ كان للطغرائي؛ لأنه قتل أستاذه.

* * *

١٣٢ ـ أبو عمرو، وقيل: أبو يحيى حماد بن عمرو بن كليب، الكوفيُّ، وقيل: الواسطيُّ، المعروف بِعَجْرَد، الشاعرُ المشهور: وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وهو من الشعراء المجيدين، وكان ماجناً ظريفاً خليعاً، متَّهماً في دينه بالزندقة، ومن شعره:

فَأَقْسَمْتُ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي قَبْضَةِ الهَوَى
لأَقْصَرْتَ عَنْ لَوْمِي وَأَطْنَبْتَ فِي عُذْرِي

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ١٩٠): «وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث عشرة وخمس مئة، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة، وقيل ثماني عشرة».

وَلَكِــنْ بَلاَئِــي مِنْــكَ أَنَّــكَ نَاصِــحٌ
وَأَنَّــكَ لاَ تَــدْرِي بِأَنَّــكَ لاَ تَــدْرِي

توفي سنة إحدى وستين ومئة، قتله محمد بن سليمان بن علي عاملُ البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة.

* * *

١٣٣ ـ أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي، المعروف بالزيات، مولى البكرية[١]، التميميُّ: وكان أحد القراء السبعة، وعنه أخذ الكسائي القراءة، وأخذ هو عن الأعمش.

وقيل له: الزَّيَّات؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان.

توفي سنة ست وخمسين ومئة بحلوان، وله ست وسبعون سنة.

وحُلوان ـ بضم الحاء ـ مدينة في آخر سواد العراق مما يلي الجبل.

* * *

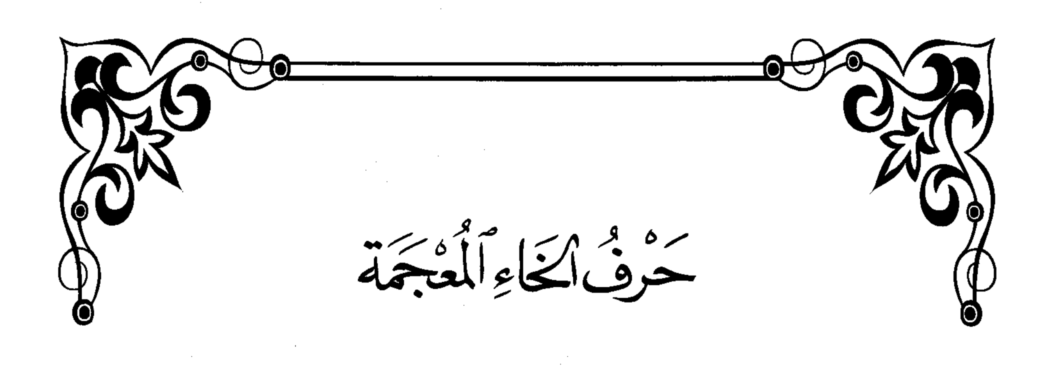
١٣٤ ـ حُنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور: إمامُ وقتهِ

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢١٦): «آل عكرمة».

في صناعة الطب، وكان يعرف لغـة اليونانيين، وهو الذي عَرَّب كتاب إقليدس وغيره، وله في الطب مصنفات مفيدة.

توفي يوم الثلاثاء، لستٍّ خلون من صفر، **سنة ستين ومئتين**.

* * *



حَرْفُ الخَاءِ المُعْجَمَة

١٣٥ ـ أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي: كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب، وكان متقناً لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته، وله أشعار جيدة، منها:

تَجُــولُ خَلاَخِيــلُ النِّــسَاءِ فَــلاَ أَرَى
لِرَمْلَــةَ خَلْخَــالاً يَجُــولُ وَلاَ قُلْبَــا

أُحِــبُّ بَنِــي العَــوَّامِ مِــنْ أَجْـلِ حُبِّــهَا
وَمِــنْ أَجْلِهَــا أَحْبَبْــتُ أَخْوَالَهَــا كَلْبـا

وهي طويلة.

توفي خالد سنة خمس وثمانين للهجرة.

* * *

١٣٦ ـ الشيخ خليفة بن مسعود، المغربيُّ الجابريُّ ـ من بني

جابر ـ، الشيخُ العالم الصالح القدوة، صاحب الكرامات.

مولده سنة تسع وأربعين وسبع مئة، واشتغل ببلاده، وقدم إلى بيت المقدس على طريقة السياحة في سنة أربع وثمانين وسبع مئة، فحج ورجع، وظهرت له مكاشفات، ثم ولي مشيخة المغاربة، وإمام المالكية، واشتهر أمره.

توفي يوم السبت، مستهل ذي القعدة، **سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة**، ودفن بماملا، وكان أسود بصاصاً ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

١٣٧ ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيديُّ: كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علمَ العروض، وأخرجه إلى الوجود.

قيل: إنه دعا بمكة أن يُرزق علماً لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فلما رجع من حجه، فتح عليه بعلم العروض.

ومن كلامه: لا يعلم الإنسان أخطاء معلمه حتى يجالس غيره.

ويقال: إنه أنشد، ولم يذكره لنفسه ولا لغيره:

يَقُولُونَ لِي دَارُ الأَحِبَّةِ قَدْ دَنَتْ
وَأَنْتَ كَئِيبٌ إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ

فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي الدِّيَارُ وَقُرْبُهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ القُلُوبِ قَرِيبُ

وعنه أخذ سيبويه علومَ الأدب. ويقال: إن أباه أحمد أولُ من سمي بأحمد بعد رسول الله ﷺ.

ولد في سنة مئة للهجرة، وتوفي سنة سبعين، أو **خمس وسبعين ومئة** بالبصرة، وكان سبب موته: أنه قال: أريد [أن] أقرب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع، فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد، وهو يُعمل فكره في ذلك، فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكره، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته.

* * *

١٣٨ ـ **أبو الجيش خُمارَوَيه بن أحمد بن طولون**: لما توفي أبوه، اجتمع الجند على توليته مكانه، فولي وهو ابن عشرين سنة، في أيام المعتمد على الله، فلما مات المعتمد، أقره المعتضد على عمله، وتزوج المعتضد ابنته قطرَ الندى سنة إحدى وثمانين ومئتين[1]، وكان صَداقُها ألفَ ألفِ درهم، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل، جهَّزها والدها بجهاز لم يُعمل مثلُه، قيل: كان له ألف هاون ذهباً.

وتوفي خمارويه قتلاً، قتله غلمانه بدمشق على فراشه ليلة الأحد، لثلاثٍ بقين من ذي القعدة، **سنة اثنتين وثمانين ومئتين**، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وحمل إلى مصر، ودفن بسفح المقطَّم.

---

(١) في الأصل: «ومئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٤٩).

ولما حُملت قطر الندى إلى المعتضد، خرجت معها عمتها عباسةُ بنة أحمد بن طولون مُشَيِّعَةً لها من مصر إلى جهة الشام، نزلت بالطريق، وضربت فساطيطها، وَبنَتْ هناك قرية سمتها باسمها يقال لها: العبّاسة، وهي إلى الآن عامرة، ولها جامع حسن، وسوق قائم.

* * *

١٣٩ ـ القاضي غرس الدين خليل بن أحمد بن محمد بن عبدالله السخاوي: جليسُ الحضرة الشريفة الظاهرية ومشيرُها.

مولده في سنة ثمان وسبعين وسبع مئة، وكان صحب الظاهر جقمق قبل السلطنة، فلما تسلطن، قدَّمه، وولاه نظر الحرمين، فقدم القدس في مستهل ربيع الأول، سنة أربع وأربعين وثمان مئة، ثم توجه إلى مصر، فتوفي بها في إحدى الجمادَيْن سنة سبع وأربعين وثمان مئة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١٤٠ ـ صلاح الدين العلائي خليل بن كيكلدي العلائي: الحافظ الكبير.

ولد سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة، وهو آخر من حدَّث عن أبي حيان بالبلاد الشامية، وكان نزيلَ القدس الشريف، وكان إماماً علامة، أفتى ودرَّس وناظر، وله مآثرُ حميدة، ومصنفات مفيدة، وكان مدرِّس الصلاحية ببيت المقدس المعظم، توفي في ربيع الآخر، وقيل: في

رمضان سنة اثنتين وثمان مئة، وقيل: بل كانت وفاته في ثالث المحرم، سنة إحدى وسبعين[1] وسبع مئة.

* * *

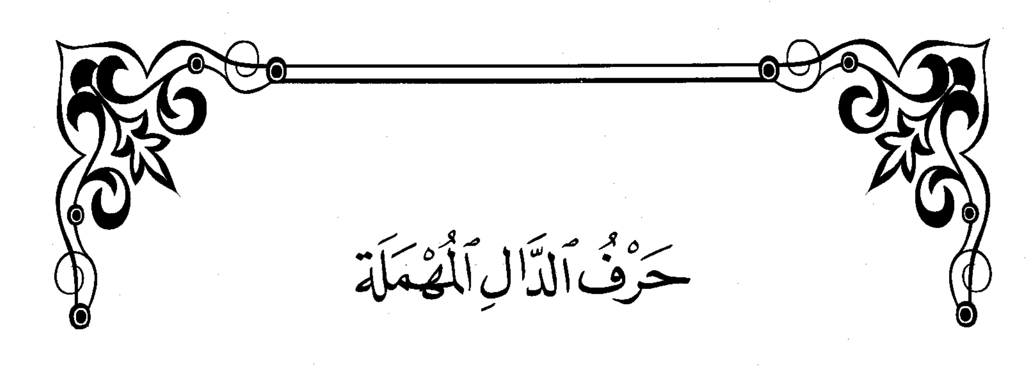
١٤١ ـ قاضي القضاة خير الدين أبو المواهب الحسني، خليل ابن عيسى بن عبدالله العجمي: ولي قضاء القدس من برقوق سنة أربع وثمانين وسبع مئة، وهو أول من ولي قضاء الحنفية بالقدس الشريف، وكانت سيرته حسنة، ثم تولى تدريس المعظَّمية، وتوفي بالقدس الشريف في صفر، **سنة إحدى وثمان مئة**.

وولي عوضه موفق الدين قاضي العسكر بمصر، سُقي السمّ مع بكلمش بالمدرسة البلدية، فمات معه، وسُقي شمس الدين الديري، لكنه لم يُكثر، فمرض طويلاً، وعوفي، وكان شهاب الدين بن النقيب حاضراً، فاعتذر بالصوم.

* * *

---

(١) في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٦٠)، و«النجوم الزاهرة» (١/ ٣٣٧): «وستين».



حَرْفُ ٱلدَّالِ ٱلْمُهْمَلَة

١٤٢ ـ أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الإمامُ المشهور، المعروفُ بالظاهري: كان زاهداً كثير الورع، وكان من أكثر الناس تعصباً للإمام الشافعي، وكان صاحبَ مذهب مستقل، وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، وكان من عقلاء الناس.

ولد بالكوفة سنة اثنتين ومئتين، ونشأ ببغداد، وتوفي بها **سنة سبعين ومئتين** في ذي القعدة، وأصله من أصفهان.

* * *

١٤٣ ـ أبو علي دِعْبِل بن علي بن رَزين بن سليمان بن إبراهيم ابن نَهْشَل: أصلُه من الكوفة، وأقام ببغداد، وقيل: دعبل لقبه، واسمه الحسن، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: محمد، وكنيته أبو جعفر، وكان شاعراً مجيداً إلا أنه كان مولَعاً بالهجاء والحطِّ على أعيان الناس، وهجا الخلفاء ومَنْ دونهم، وهجا المأمون، فقال فيه:

أَيَسُومُنِي المَأْمُونُ خُطَّةَ جَاهِلٍ
أَوَ مَا رَأَى بِالأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدِ

إِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ
قَتَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَّفَتْكَ بِمَقْعَدِ

شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ خُمُودِهِ
وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الحَضِيضِ الأَوْهَدِ

وسامحه المأمون، ولم يؤاخذه بذلك.

توفي سنة ست وأربعين ومئتين بالطبيب، وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز.

* * *

١٤٤ ـ أبو بكر دُلَف بن حجر[١]، وقيل: **جعفر بن يونس** ـ وهذا مكتوب على قبره ـ **المعروف بالشِّبلي، الصالحُ المشهور، الخراساني الأصل، البغدادي المولد والمنشأ**: كان جليلَ القدر، مالكيَّ المذهب، صحب الجنيدَ ومَنْ في عصره، وكان في مبدأ أمره والياً في دُنْباوَند، فلما مات خَيْرٌ النسّاجُ قال[٢] لأهلها: كنت والي بلدكم، فاجعلوني في حِلٍّ،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٧٣) وغيره: «جحدر».

(٢) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٧٣): «فلما تاب في مجلس خير النساج مضى إليها وقال» بدل «فلما مات خير النساج قال».

ومجاهداته في أول أمره فوق الحد.

دخل يوماً على شيخه الجنيد، فوقف بين يديه، وصفق بيديه، وأنشد:

عَوَّدُونِي الوِصَالَ وَالوَصْلُ عَذْبُ
وَرَمَوْنِي بِالصَّدِّ وَالصَّدُّ صَعْبُ

زَعَمُوا حِينَ أَزْمَعُوا أَنَّ ذَنْبِي
فَرْطُ حُبِّي لَهُمْ وَمَا ذَاكَ ذَنْبُ

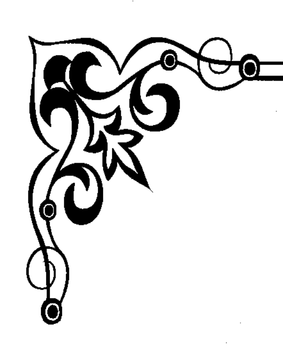
لاَ وَحَقِّ الخُضُوعِ عِنْدَ التَّلاَقِي
مَا جَزَا مَن يُحِبُّ إلا يُحَبُّ

توفي يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة ببغداد، ودفن بمقبرة الخيزران، وعمره سبع وثمانون سنة.

والشبلي: نسبة إلى شبلة، وهي قرية وراء النهر في نواحي رستاق الري في الجبال[1].

* * *

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٧٦): «وهذه النسبة إلى شبلة، وهي قرية من قرى أسروشنة. . . وهي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر، ودنباوند: هي ناحية من رستاق الري في الجبال».




حَرْفُ ٱلذَّالِ ٱلْمُعْجَمَة

١٤٥ ـ أبو المطاع ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي[1] محمد الحسن الثعلبي، الملقب: وجيه الدولة: كان شاعراً ظريفاً، حسنَ السّبك، جميل المقاصد، ومن شعره قوله:

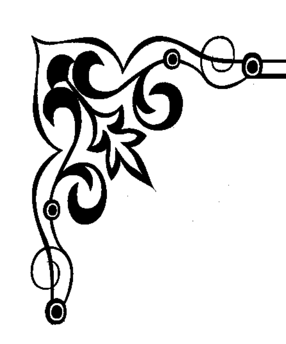
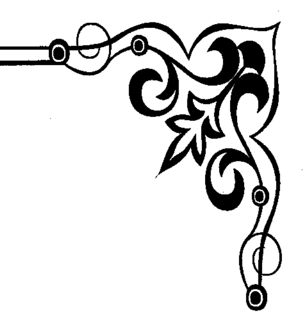
إِنِّي لأَحْسُدُ لاَ فِي أَسْطُرِ الصُّحُفِ
إِذَا رَأَيْتُ اعْتِنَاقَ اللاَّمِ لِلأَلِفِ

وَمَا أَظُنُّهُمَا طَالَ اعْتِنَاقُهُمَا
إِلاَّ لِمَا لَقِيَا مِنْ شِدَّةِ الشَّغَفِ

وكان قد وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العُبيدي صاحبِها، فقلده ولاية الإسكندرية وأعمالها في رجب، سنة أربع عشرة وأربع مئة، وأقام بها سنة، ثم رجع إلى دمشق، وتوفي في صفر، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة.

* * *

(١) في الأصل: «أبو»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٧٩).

حَرْفُ ٱلرَّاءِ

١٤٦ ـ أم الخير رابعة بنة إسماعيل العَدَوِيَّةُ البصرية: مولاةُ آل عقيل[1]، الصالحةُ المشهورة، كانت من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة، وكانت تقول في مناجاتها:

إلهي تحرق بالنّار قلباً يحبك؟ فهتف بها مرة هاتفٌ: ما كنا نفعل هذا، فلا تظني بنا ظن السوء.

ومن وصاياها: اكتموا حسناتكم كما تكتموا سيئاتكم.

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف المعارف»:

إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي الفُؤَادِ مُحَدِّثِي
وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَالجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ
وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الفُؤَادِ أَنِيسِي

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٨٥): «عتيك».

توفيت في سنة خمس وثمانين ومئة، وقبرها يُزار، وهو ظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل الطور ـ رحمها الله تعالى ـ.

* * *

١٤٧ ـ أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل، المراديُّ بالولاء، المؤذِّنُ، المصريُّ، صاحبُ الإمام الشافعي.

وقال الشافعي في حقه: الربيعُ راويتي.

وهو آخر من روى عنه بمصر.

ومن كلام الربيع:

صَبْراً جَمِيلاً مَا أَسْرَعَ الفَرَجَا ... مَنْ صَدَّقَ اللهَ فِي الأُمُورِ نَجَا

مَنْ خَشِيَ اللهَ لَمْ يَنَلْهُ أَذَى ... وَمَنْ رَجَا اللهَ كَانَ حَيْثُ رَجَا

توفي يوم الاثنين، لعشرٍ بقين من شوال، **سنة سبعين ومئتين** بمصر، ودفن بالقرافة.

والمرادي: نسبة إلى قبيلة باليمن.

* * *

١٤٨ ـ أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة، واسمه كيسان، مولى الحارث مولى عثمان ﷺ: كان حاجبَ

أبي جعفر المنصور، ثم وَزَرَ له بعد أبي أيوب المرزباني، وكان كثير الميل إليه، حسن الاعتماد عليه.

قال له يوماً: يا ربيع! سل حاجتك، قال: حاجتي أن تحب الفضلَ ابني، فقال له: ويحك! إن المحبة تقع بأسباب، فقال له: قد أمكنك الله من إيقاع سببها، قال: وما ذاك؟ قال: تُفْضِل عليه، فإنك إذا فعلت ذلك، أحبك، وإذا أحبك، أحببته.

وقال له المنصور يوماً: ويحك يا ربيع! ما أطيبَ الدنيا لولا الموت، فقال له: ما طابت إلا بالموت، قال: وكيف ذاك؟ قال: لولا الموت، لم تقعد هذا المقعد، قال: صدقت.

وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومئة، وقيل: إن الهادي سَمَّه، وكان مرضه ثمانية أيام، وإنما قيل لجده: أبو فروة؛ لأنه دخل المدينة وعليه فروة، فاشتراه عثمان رضي الله عنه، وأعتقه وجعل يحفر القبور، وكان من سبي جبل الخليل ـ عليه السلام ـ، وقطيعة الربيع التي ببغداد منسوبة إليه، وهي محلة كبيرة مشهورة، أقطعَها له المنصور.

* * *

١٤٩ ـ أبو المقدام رجاء بن حَيْوَة بن جَرْوَل الكِنْدي: من العلماء، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وذكر عنه: أنه بات ليلة عنده، وهمَّ السراج أن يخمل، ولعله في أيام خلافته، فقام إليه رجاءُ ليصلحه، فأقسم عليه عمر لَتقعدنَّ، وقام هو

فأصلحه، قال: فقلت له: تقوم أنت يا أمير المؤمنين؟! فقال: قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر.

وكان عبد الملك بن مروان حين حضر إلى بيت المقدس، وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة، أرصد للعمارة مالاً كبيراً، يقال: إنه خَراجُ مصر سبع سنين، ووضعه بالقبة الكائنة في قبلة الأرض المكشوفة أمام القبة من جهة المشرق، وجعلها حاصلاً، وهي من ناحية الزيتون، ووكَّلَ على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج إليه رجاءَ ابنَ حيوةَ المذكور، وضم إليه رجلاً يدعى: يزيد بن سلام.

ويقال: إن عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع، فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها: قبة السلسلة، فأعجبه تكوينها، وأمر ببنائها كهيئتها.

ثم إن رجاءً صرف المال في ذلك، فلما كمل وتم، أرسل إلى عبد الملك يخبره أنه فضل من المال مئتا ألف درهم، فأعاد الجواب عليه وعلى يزيد: هي لكما جائزة نظير ما حصل لكما من المشقة، فكتبا إليه: نحن أولى أن نبيع حلي نسائنا، فضلاً عن أموالنا، ونصرفه في عمارة هذا المسجد الشريف، وما قبلا ذلك، فأمرهما أن تسبك وتفرغ على ظاهر القبة.

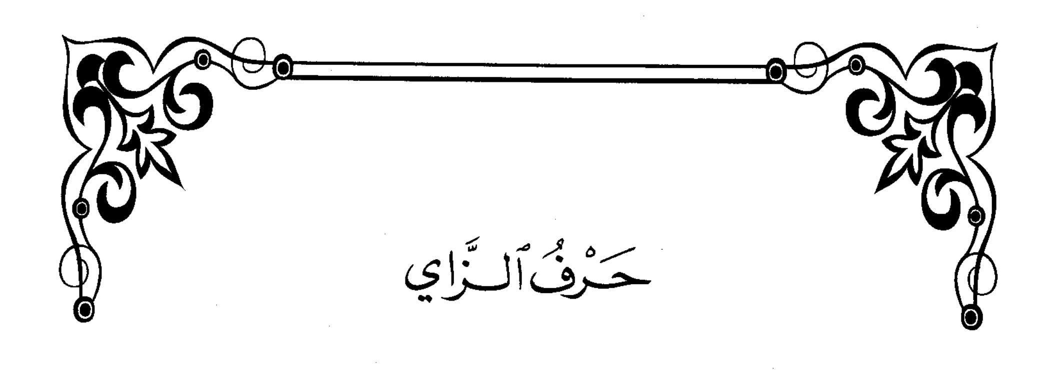
ثم بعد انتقال الخلافة إلى الوليد انهدم شرقي المسجد، ولم يكن في بيت المال حاصل، فأمر بضرب ذلك، وإنفاقه على ما انهدم منه.

وكان ابتداء عمارة قبة الصخرة في سنة ست وستين، فكملت سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

وكان منعَ عبدُ الملك الناسَ من الحج؛ لئلاَّ يميلوا إلى ابن الزبير، فضجُّوا، فبعث رجاءً ويزيدَ المذَكورين لبناء ذلك، وفُرشت القبة بالرخام الملون، وغيرِه من البُسُط الملونـة، وعمل فيـه صورة الصراط، وباب الجنة، وقدم الرسول، ووادي جهنم؛ ليشغل الناس بذلك عن الحج، فكان ابن الزبير يشنِّع على عبد الملك بذلك.

وتوفي رجاءٌ سنة اثنتي عشرة ومئة، وكان رأسه أحمـر، ولحيتـه بيضاء ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *



حَرْفُ ٱلزَّاي

١٥٠ ـ أبو عبدالله الزبير بن بكار[1] ـ وكنيته أبـو بكر ـ بن عبدالله ابن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوَّام، القرشيُّ الأسديُّ الزبيريُّ: كان من أعيان العلماء، وتولى القضاء بمكة، وصنف الكتب النافعة.

توفي بمكة وهو قاضٍ عليها ليلة الأحـد، لسبعٍ ليال بقين من ذي القعدة، سنة ست وخمسين ومئتين، وعمره أربع وثمانون سنة.

* * *

١٥١ ـ أم جعفر زُبيـدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور عبدالله ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم: وهي أم الأمين محمد، كان لها معروف كبير، وفعلُ خير في الحج، وسَقَتْ أهلَ مكة الماءَ بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأسالت الماء عشرة أميال، وعملت عقبة البستان، وكان لها مئة جارية يحفظن القرآن.

وكان اسمها: أَمَة العزيز، ولقَّبها جدُّها أبو جعفر المنصور: زبيدة،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣١١): «الزبير بن بكر بن بكار».

وعَرَّس بها هارون الرشيد سنة خمس وستين ومئة، وتوفيت سنة ست عشرة ومئتين في جمادى الأولى ببغداد ـ رحمها الله تعالى ـ وتوفي أبوها جعفر بن المنصور سنة ست وثمانين ومئة.

* * *

١٥٢ ـ أبو الهُذيل زُفَر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حرب[١] بن العنبر ابن تميم بن مر بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الفقيهُ الحنفيُّ: كان قد جمع بين العلم والعبادة، وكان من أصحاب الحديث، ثم غلب عليه الرأي، وهو قياس أصحاب أبي حنيفة ﷺ، ومولده سنة عشر ومئة[٢].

* * *

١٥٣ ـ أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن: كان صاحب نوادرَ وحكايات، وأدب ونظم، وكان أسود عبداً حبشياً.

ومن نوادره: أنه توفي لأبي جعفر المنصور ابنةُ عم، فحضر جنازتها، وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها، كئيبٌ عليها، فأقبل أبو دلامة، وجلس قريباً منه، فقال له المنصور: ويحك! ما أعددت لهذا

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣١٧): «ضجور بن جندب» بدل «حرب».

(٢) قال في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣١٩): «وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومئة، رحمه الله تعالى».

المكان، وأشـار إلى القبـر؟ فقال: ابنـة عم أميـر المـؤمنين، فضحك المنصور حتى استلقى على قفاه، ثم قال له: ويحك! فضحتنا بين الناس.

ولما قدم المهـدي بن المنصـور من الري إلى بغداد، دخل عليـه أبو دلامة للسلام والتهنئة بقدومه، فأقبل عليه المهدي، وقال له: كيف أنت يا أبا دلامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين!

إِنِّي حَلَفْتُ لَئِنْ رَأَيْتُـكَ سَـالِماً ... بِـقُرَى العِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفْرِ[1]

لَتُصَلِّيَنَّ[2] عَلَى النَّبِـيِّ مُحَمَّدٍ ... وَلَـتَمْلأَنَّ دَرَاهِمـاً حِجْـرِي

فقال له المهدي: أما الأول فنعم، وأما الثاني فلا، فقال: جعلني الله فداك! إنهما كلمتان لا يُفَرَّق بينهما، فقال: تُملأ حِجْرُ أبي دلامة دراهم، فقعد، وبسط حجره، فملئ دراهم، فقال: قم الآن يا أبا دلامة، فقال: يتخرق قميصي يا أمير المؤمنين، حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها في الأكياس، ثم قام.

وله أشعار كثيرة.

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومئة، ويقال: إنه عاش إلى أيام الرشيد، وكانت ولاية الرشيد سنة سبعين ومئة.

* * *

(١) في الأصل: «وقر»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢٥).

(٢) في الأصل: «لأصلين»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٢٥).

١٥٤ ـ أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن ابن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي، الملقَّب بهاء الدين الكاتب: من فضلاء عصره، وأحسنهم نظماً ونثراً وخَطّاً، ومن أكبرهم مروءة.

وكان قد اتصل بخدمة الصالح نجم الدين بن أبي الفتح أيوب ابن الكامل بالديار المصرية، وكان متمكناً منه، كبيرَ القدر عنده، وكان لا يتوسط عنده إلا بخير، ونفع خلقاً كثيراً بحسن سفارته، ومن شعره:

يَا رَوْضَةَ الحُسْنِ صِلِي فَمَا عَلَيْكِ ضَيْرُ
فَهَلْ رَأَيْتِ رَوْضَةً لَيْسَ لَهَا زُهَيْرُ

وشعره كله لطيف، وديوانه كثير بأيدي الناس.

ولد في خامس ذي الحجة، سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة بمكة، وتوفي قبيل المغرب من يوم الأحد، رابع ذي القعدة، سنة خمس وستين وست مئة[1]، ودفن من الغد بعد الظهر بالقرب من تربة الشافعي رضي الله عنه من جهة القبلة.

* * *

١٥٥ ـ قاضي القضاة زكريا زين الدين أبو محمد بن شمس الدين محمد الأنصاري الشافعي: شيخ الإسلام، العالم الصالح، مفتي الديار

---

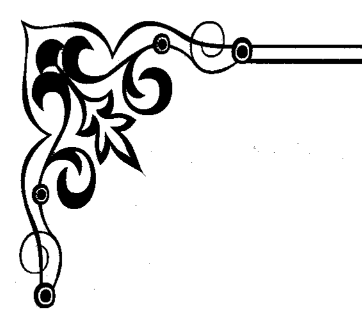
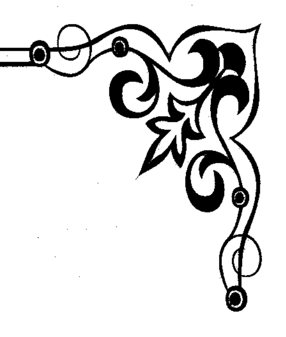
(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٣٨): «سنة ست وخمسين وست مئة».

المصرية، درَّس وأفتى، وصنَّف شرح «البهجة»، ونفذت كلمته، وعظم أمره عند السلطان فمَنْ دونه، ولي القضاء بالديار المصرية عوضاً عن قاضي القضاة ولي الدين الأسيوطي الشافعي، وكانت ولايته في يوم الثلاثاء، ثالث شهر رجب الفرد، سنة ست وثمانين وثمان مئة، على كُرْهٍ منه.

ثم في سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة طالبه السلطان بعمل حساب الأوقاف؛ بسبب شكوى شخص يقال له: تاج الدين بن شرف على معلوم له، ثم اعتقل السلطانُ عليٌّ عمالَ قاضي القضاة، ومباشري الأوقاف المشمولة بنظره، وألزمهم بحساب الأوقاف، فاستمروا في التراسيم مدة تزيد على ثلاث سنين، ثم أفرج عنهم ـ ولله الحمد ـ بعد مشقة حصلت لهم، وتكدَّر خاطر قاضي القضاة بسببهم، ومراجعته السلطان في أمرهم مرة بعد أخرى، وهو مستمر في الولاية إلى تاريخه[1].

* * *

(١) قال الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ٢٥٢): «مات في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ٩٢٦».

حَرْفُ ٱلسِّينِ

١٥٦ ـ أبو نصر سابور بن أزدشير الملقب: بهاء الدولة، [وزير] أبي نصر بن عضد الدولة بن بُوَيْه الديلمي: كان من أكابر الوزراء، وأماثل الرؤساء، جمعت فيه الدراية والكفاية، وكان بابه محطَّ الشعراء، فمن جملة مَن مدحه: أبو الفرج الببغاء بقوله:

لُمْتُ الزَّمَانَ عَلَى تَأْخِيرِهِ طَلَبِي
فَقَالَ مَا وَجْهُ لَوْمِي وَهْوَ مَحْظُورُ
فَقُلْتُ: لَوْ شِئْتَ مَا فَاتَ الغِنَى أَمَلِي
فَقَالَ: أَخْطَأْتَ بَلْ لَوْ شَاءَ سَابُورُ
وَقَدْ تَقَبَّلْتُ هَذَا النُّصْحَ مِنْ زَمَنِي
وَالنُّصْحُ حَتَّى مِنَ الأَعْدَاءِ مَشْكُورُ
لُذْ بِالوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ وَسَلْ شَطَطاً
وَاسْرِفْ فَإِنَّكَ فِي الإِسْرَافِ مَعْذُورُ

ولد بشيراز في ذي القعدة، ليلة السبت، خامس عشرها، سنة ست

وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي في سنة ست عشرة وأربع مئة ببغداد.

وسابور: أصله: شاه بور، فعرِّب، وأولُ من سُمي به: سابور بن أزدشير أحدُ ملوك الفرس، ومعنـاه بالفارسية: دقيق طيب، وقيل: أزد بالعجمي: دقيق، وشير: الحليب.

* * *

١٥٧ ـ أبو الحسن سَرِيُّ بن المغلس السَّقَطي: أحد رجال الطريقة وأربابِ الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال الجنيد، وأستاذه، وكان تلميذَ معروفٍ الكرخي، وكان كثيراً [ما] ينشد:

إِذَا مَا شَكَوْتُ الحُـبَّ قَالَـتْ: كَـذَبْتَنِي
فَمَــالِي أَرَى الأَعْـضَاءَ مِنْـكَ كَوَاسِـيَا

فَلاَ حُبَّ حَتَّـى يَلْـصقَ الجِلْـدُ بِالحَشَا
وَتَــذْهَلَ حَتَّــى لاَ تُجِيــبَ المُنَادِيَــا

تـوفي سنـة إحـدى وخمسين، وقيـل: في رمضـان سنـة ست وخمسين، وقيل: سبع وخمسين ومئتين ببغـداد، ودفن إلى جانب قبر الجنيد.

* * *

١٥٨ ـ أبو الحسن السَّرِيُّ بن أحمد بن السّري، الكنديُّ، الرَّفَّاءُ الموصليُّ، الشاعرُ المشهورُ:

كان في صباه يرفو ويطرز، وهو مولَع بالأدب، ونظم الشعر، ولم

يزل حتى جاد شعره، ومَهَر فيه، فمن شعره يذكر فيه صناعته:

وَكَانَــتِ الإِبْــرَةُ فِيمَــا مَــضَى
صَــائِنَةً وَجْهِــي وَأَشْــعَارِي
فَأَصْــبَحَ الــرِّزْقُ بِهَــا ضَــيِّقاً
كَأَنَّــهُ مِــنْ ثَقْبِــهَا جَــارِي

ومن محاسن شعره:

يَلْقَــى النَّــدَا بِرَقِيــقِ وَجْــهٍ مُــسفِرٍ
فَــإِذَا الْتَقَــى الجَمْعَــانِ عَــادَ صَــفِيقَا
رَحْــبَ المَنَــازِلِ مَــا أَقَــامَ فَــإِنْ سَــرَى
فِــي جَحْفَــلٍ تَــرَكَ الفَــضَاءَ مَــضِيقَا

توفي سنة نيف وستين وثلاث مئة ببغداد، وقيل في [سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وقيل: سنة أربع وأربعين و]ثلاث مئة.

* * *

١٥٩ ـ أبو الفوارس سعيد بن محمد بن سعيد[1] بن الصيفي، التميميُّ، الملقَّب: شهاب الدين، المعروف بحَيْصَ بَيْصَ، الشاعرُ المشهور: كان فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالريّ، وتكلم في الخلاف،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٦٢): «سعد بن محمد بن سعد».

وغلب عليه الأدبُ ونظمُ الشعر، وأخذ الناس عنه نظماً ونثراً، وأدباً وفضلاً، غير أنه كان فيه تِيهٌ وتعاظمٌ، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي.

وقال الشيخ نصر الله بن مجلِّي ـ وكان من ثقات أهل السنة ـ: رأيت في المنام عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلت له: يا أمير المؤمنين! تقتحمون[1] مكة، فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتمُّ على ولدك الحسينِ يومَ الطفِّ ما تم؟! فقال لي: أما سمعت أبيات ابنِ الصيفي في هذا؟ فقلت: لا، فقال: اسمعها منه.

ثم استيقظت، فبادرت إلى دار حيص بيصَ، فخرج إليَّ، فذكرت له الرؤيا، فشهق، وأعلن بالبكاء، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد، وإن كنت قد نظمتها إلا في ليلتي هذه، ثم أنشدني:

مَلَكْنَا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً
فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدَمِ أَبْطَحُ

وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الأَسَارَى وَطَالَمَا
غَدَوْنَا عَلَى الأُسَرَاءِ نَعْفُو وَنَصْفَحُ

وَحَسْبُكُمُ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا
وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٦٤): «تفتحون».

وإنما قيل له: حيص بيص؛ لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة، وأمرٍ شديد، فقال: ما للناس في حيصَ وبيصَ؟ أي: شدّة واختلاط.

وكانت وفاته سادس شعبان، سنة أربع وسبعين وخمس مئة ببغداد، ولم يعقب ولداً.

* * *

١٦٠ ـ أبو المعالي سعيد[1] بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي، الورَّاق الحظيريُّ، المعروف بدلاَّل الكتب: له نظم جيد، وألَّف مجاميعَ، من شعره:

وَمُعَـــــذَّرٍ فِـــــي خَـــــدِّهِ
وَرْدٌ وَفِـــــي فَمِـــــهِ مُـــــدَامْ

مَـــا لاَنَ لـــي حَتَّـــى تَغَـــشَّى
صُـــبْحَ سَـــالِفِهِ ظَـــلاَمْ

كَـــالمُهْرِ يَجْمَـــحُ تَحْـــتَ رَا
كِبِـــهِ وَيَعْطِفُـــهُ اللِّجَـــامْ

وله ـ أيضاً ـ:

أَحْـــدَقَتْ ظُلْمَـــةُ العِـــذَارِ بِـخَدَّيْـــ
ـــهِ فَـــزَادَتْ فِـــي حُبِـــهِ حَـــسَرَاتِي

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٦٦): «سعد».

قُلْــتُ: مَــاءُ الحَيَــاةِ فِــي فَمِــهِ العَــذْ
بِ دَعُــونِي أَخُــوضُ فِــي الظُّلُمَــاتِ

وله معانٍ نفيسة، توفي يوم الاثنين، الخامس والعشرين من صفر، سنة ثمان وخمسين وخمس مئة[1] ببغداد.

ونسبته بالحَظِيري - بالحاء المهملة والظاء المعجمة المكسورة - إلى موضع فوق بغداد يقال له: الحظير، وثَمَّ ثياب منسوبة إليه.

* * *

١٦١ - أبو عبدالله، وقيل: أبو محمد، سعيدُ بن جبير بن هشامٍ، الأسديُّ بالولاء: مولَى بني والبةَ بن الحارث، كوفي، أحد أعلام التابعين، وكان أسود.

أخذ العلم عن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم، وقرأ القرآن في ركعة في البيت الحرام، وأُحضر إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، فقال له: يا شقيُّ بن كُسَير! وسأله عن أشياء، فأجابه، ثم قال: فما أخرجك عليَّ؟ فقال: بيعةٌ كانت فيَّ لابن الأشعث، فغضب الحجاج، ثم قال: فما كانت بيعة أمير المؤمنين عبدِ الملك في عنقك من قبل؟ والله! لأقتلنك، يا حربي! اضرب عنقه، فضرب عنقه، وذلك في شعبان،

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٦٨) وغيره: «سنة ثمان وستين وخمس مئة».

سنة خمس، وقيل: أربع وتسعين بواسط، ودفن في ظاهرها، وله تسع وأربعون سنة.

وقال أحمد بن حنبل ﷺ: قتل الحجاجُ سعيدَ بن جبير، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

ثم مات الحجاج بعده في رمضان من السنة، وقيل: بستة أشهر، ولم يسلِّطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات.

ويقال: إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟!

ورُئي في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

وحكي أن سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً.

* * *

١٦٢ ـ أبو محمد[١] سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، القرشيُّ المدنيُّ: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان سعيد المذكور سيدَ التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث والفقه، والزهد والعبادة، سمع سعدَ بن أبي وقاص، والزهريَّ، وأبا هريرة، ودخل على أزواج النبي ﷺ، وأخذ منهن، وأكثر

---

(١) في الأصل: «أبو عبدالله».

روايـة المسند عن أبي هريـرة، وكان زوج ابنتـه، وحج أربعين حجة، وقيل: إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة.

ولد لسنتين بقيتا من خلافـة عمر بن الخطـاب، وكان في خلافـة عثمان رجلاً، وتوفي بالمدينة سنة إحدى، وقيل: اثنتين، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس وتسعين للهجرة.

* * *

١٦٣ ـ أبو محمد سعيد بن المبـارك بن علي بن عبدالله بن سعيد ابن محمد، المعروف بابن الدَّهَّـان، النحـويُّ الأنصاريُّ البغـداديُّ: كان سيبويهِ عصره، وله في النحـو التصانيفُ المفيـدة، وكان انتقل إلى الموصل، وخلَّف كتبه ببغـداد، فاستولى الغرق تلك السنة على البلد، فغرقت الكتب، وكان أفنى عمره في تحصيلها، فلما حملت إليه، أشاروا عليه أن يُطيبها بالبخور، فبخَّرها باللاذن، ولازم ذلك، فطلع إلى رأسه وعينيه، فأحدث له العمى، وكف بصره.

ولد في رجب، سنة أربـع وتسعين وأربـع مئة ببغداد، وتوفي في شوال سنة تسع وستين وخمس مئة بالموصل.

وكان له ولد [وهو] أبـو زكريا يحيى بن سعيد [وكان] أديباً وشاعراً، من شعره:

وَعَهْـــدِي بِالـــصِّبَا زَمَنـــاً وَقَـــدِّي

حَكَـى أَلِـفَ [ابْـنِ] مُقْلَـةَ فِـي الكِتَـابِ

فَـــــصِرْتُ الآنَ مُنْحَنِيـــــاً كَــــأَنِّي
أُفَــتِّشُ فِــي التُّــرَابِ عَلَــى الــشَّبَابِ

ولد في أوائل سنة تسع وستين وخمس مئة، وتوفي بالموصل سنة ست عشرة وست مئة.

* * *

١٦٤ ـ أبو عبدالله سُفيانُ بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، الثوريُّ الكوفيُّ: كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه، وهو أحد الأئمة المجتهدين.

ويقال: إن الجنيد رضي الله عنه كان على مذهبه.

وسمع الأعمش ومَنْ في طبقته، وسمع منه الأوزاعي، ومالك، وتلك الطبقة.

ودخل على المهدي، فسلم تسليم العامة، ولم يسلم بالخلافة، فأكرمه المهدي، وكتب عهده على قضاء الكوفة، على أن لا يُعْتَرض عليه، ودُفع إليه، فأخذه، وخرج، فرمى به في دجلة، وهرب، فطُلب في كل بلدة، فلم يوجد، ولما أن امتنع من قضاء الكوفة، وتولى شريك ابن عبدالله النخعي، قال الشاعر:

تَحَــــرَّزَ سُـــــفْيَانٌ وَفَــــرَّ بِدِينِــــهِ
وَأَمْــسَى شَــريكٌ مرصــداً لِلــدَّرَاهِمِ

ولد سنة خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع وتسعين للهجرة، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة، متوارياً من السلطان، ودفن عشاء ـ رحمه الله تعالى ـ، ولم يعقب.

* * *

١٦٥ ـ أبو محمد سُفيان بن عُيينة بن أبي عمران الهلاليُّ، ورهط ميمونةَ زوجِ النبي ﷺ، وقيل: مولى بني هاشم، وقيل: مولى الضحاك ابن مزاحم، وأصله من الكوفة، وقيل: ولد بها، ونقله أبوه إلى مكة، وكان إماماً عالماً، وحج سبعين حجة، روى عنه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وخلقٌ كثير.

وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتمَّ لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظُ علمِ ابنِ دينار.

ولد بالكوفة في منتصف شعبان، سنة سبع ومئة، وتوفي يوم السبت، آخر جمادى الآخرة، سنة ثمان وتسعين ومئة بمكة، ودفن بالحَجُون: وهو جبل بأعلى مكة عنده مدافنُ أهلها.

* * *

١٦٦ ـ مجد الدين أبو البركات سالم بن سالم بن أحمد بن أحمد، المقدسيُّ الحنبليُّ: قاضي القضاة بالديار المصرية، كان يُعد من فقهاء الحنابلة وأخيارهم، باشر القضاء أكثر من ثلاثين سنة بتواضع وعفة، وتوفي في يوم الخميس، تاسع عشري ذي العقدة، سنة ست وعشرين

وثمان مئة، وكان قد عزل بقاضي القضاة علاء الدين بن مغلي، فقال بعضهم عند عزله له:

قَضَى المَجْدُ قَاضِي الحَنْبَلِيَّةِ نَحْبَهُ
بِعَزْلٍ وَمَا مَوْتُ الرِّجَالِ سِوَى العَزْلِ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى قَبْلَ ذَلِكَ سَالِماً
فَخَالَطَهُ فَرْطُ انْسِهَالٍ مِنَ المَغْلِي

ومات بعد أن ابتلي بالزمانة والعطلة عدة سنين، وتوفي وقد نيف على الثمانين سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١٦٧ ـ أبو الفتح سُلَيم بن أيوب بن سُلَيم، الرازيُّ الشافعيُّ الأديبُ: كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة، وصنَّف الكتب الكثيرة المعتبرة، وكان لا يخلو وقتاً عن قراءة القرآن، حتى إنه كان إذا برى القلم، قرأ القرآن، أو سبّح، ثم غرق في بحر القُلْزُم عند رجوعه من الحج، عند ساحل جدَّة، في سلخ صفر، سنة **سبع**[1] **وأربعين وأربع مئة**، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة، ودفن بجزيرة عند المخاضة من طريق عبدان.

والرازي: نسبة إلى الرّي، وهي: مدينة عظيمة من الديلم بين قوس

---

(١) في الأصل: «تسع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٩٨) وغيره.

والجبال، وألحقوا الزاي فيها؛ كما ألحقوا في المروزي عند نسبته إلى مَرْو.

* * *

١٦٨ ـ أبـو محمـد سليمان بن مهـران مولى بني كاهل من ولـد الأسد، المعروفُ بالأعمش، الكوفيُّ، الإمام المشهور: قدم أبوه الكوفة وامرأته حامل بالأعمش، فولدتـه بها، رأى أنسَ بنَ مالك، وكلَّمه، ولكنه لم يُرزق السماع عليـه، وما يرويـه عن أنس، فهو إرسال، أخذه عن أصحاب أنس، ولقي كبار التابعين.

وكان لطيف الخلق مزَّاحاً، جاءه أصحاب الحديث ليسمعوا عليه، فخـرج إليهم، وقـال: لولا أن في منـزلي من هـو أبغـضُ إليَّ منـكم، ما خرجت إليكم.

وجرى بينه وبين زوجته يوماً كلامٌ، فدعا رجلاً يصلح بينهما، فقال لها الرجل: لا تنظري إلى عموشة عينيه، وحموشة ساقيه[1]؛ فإنه إمام، وله قدر، فقال له: أخزاك الله! ما أردت إلا أن تعرفها عيوبي.

ولد سنـة ستين للهجـرة، وقيل: ولـد يوم مقتل الحسين في يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين[2].

* * *

(١) في الأصل: «عمشة عينيه، وحماشة ساقيه»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٠١).

(٢) قال في «وفيـات الأعيان» (٥/ ٤٠٣): «وتوفي سنة ثمان وأربعين ومئـة، =

١٦٩ ـ قاضي القضاة سعد الدين سعد ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد الديريُّ الحنفيُّ: شيخ الإسلام، كان إماماً عالماً.

مولده في سابع عشر رجب، سنة ثمان وستين وسبع مئة.

والديري: نسبة إلى قرية بمردا يقال لها: الدّير، وانتهت إليه رئاسة الديار المصرية، وكان والده قاضي قضاتها، وقرره الملكُ المؤيد شيخٌ في مشيخة جامعه الذي أنشأه بباب زويلة، ولما توفي، استقر ولده الشيخ سعد الدين في المشيخة عوضاً عنه، ثم ولي قضاء قضاة الديار المصرية في خامس عشر المحرم، سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة، في أيام الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي، بوساطة الملك الظاهر جقمق، حين كان المتصرف في المملكة، ثم لما استقر الظاهر جقمق في السلطنة، عظم أمره في أيامه، وعَلَت رتبته، ونفذت كلمته، واستمر في القضاء نحو خمس وعشرين سنة إلى أيام الملك الظاهر خشقدم، ثم ضعف بصره، وطعن في السن، وصار عمره نحو مئة سنة، فعزل نفسَه في أوائل سنة سبع وستين وثمان مئة، وولى عوضه قاضي القضاة محب الدين محمد أبو الفضل بن الشحنة، فعظُم ذلك على قاضي القضاة سعد الدين، وشقَّ عليه.

ثم توفي بعد مدة يسيرة في ليلة الجمعة، عاشر شهر ربيع الآخر

= في شهر ربيع الأول، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين ـ رحمه الله تعالى ـ».

من السنة المذكورة، ودفن بتربة الملك الظاهر خشقدم ـ رحمه الله وعفا عنه ـ.

وكان شكلاً حسناً، بهي المنظر، منور الوجه، من نظمه: ما كتبه على إجازة لابن عذيبة المؤرخ:

يَـــا مُقْتَــــدِراً جَـــلَّ عَـــنِ الأَشْـــبَاهِ
مَـــنْ لَـــيْسَ سِـــوَاهُ آمِـــراً أَوْ نَـــاهِي

الْطُـــفْ بِعَبْـــدِكَ الـــضَّعِيفِ الـــسَّاهِي
سَـــعْدِ بْـــنِ مُحَمَّـــدِ بْـــنِ عبـــدالله

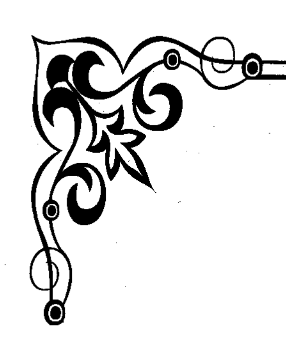
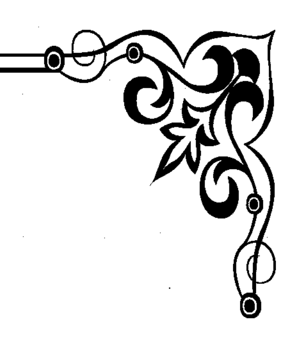
وسأله السلطان مرة عن سبب وقوع الطاعون، فقال:

لما خالفوا في وضع ما هم، عوقبوا بأخذ ما هم.

وقال في قولة: «حبُّ الدنيا رأسُ كُلِّ خَطيئة»: إنَّ حُبَّ الدينارِ أُسُّ كلِّ خطيئة.

وله في ذلك لطائفُ كثيرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

حَرْفُ ٱلشِّينِ ٱلمُعْجَمَة

١٧٠ ـ أبو أميـة شُرَيح بن الحارث بن قيس: كان من التـابعين، وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب ﷺ على الكوفـة، فأقام قاضياً خمساً وستين سنة، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنـع فيها من القضاء في فتنـة ابن الزبير، واستعفى الحجـاجَ بنَ يوسف من القضاء، فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات، وكان أعلم الناس بالقضاء.

وتزوج امرأة من بني تميم تسمى زينب، فنقم عليهـا، فضربهـا، ثم ندم فقال:

رَأَيْـتُ رِجَـالاً يَـضْرِبُونَ نِـسَاءَهُمْ
فَـشَلَّتْ يَمِينِـي يَـوْمَ أَضْـرِبُ زَيْنَبَـا

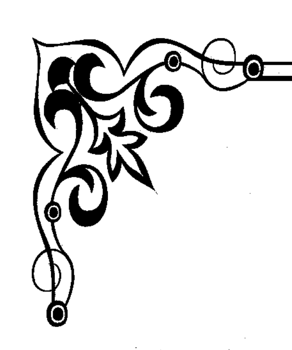
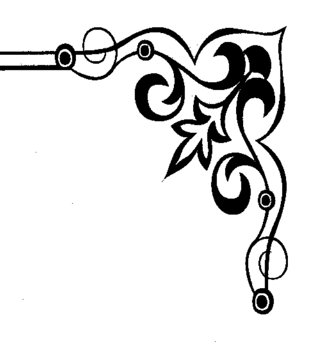
أَأَضْـرِبُهَا مِـنْ غَيْـرَ ذَنْـبٍ أَتَـتْ بِـهِ
فَمَا العَدْلُ مِنِّي ضَرْبُ مَـنْ لَـيْسَ مُـذْنِبَا

فَزَيْنَـبُ شَـمْسٌ وَالنِّـسَاءُ كَوَاكِـبٌ
إِذَا طَلَعَـتْ لَـمْ يَبْـدُ مِـنْهُنَّ كَوْكَبَـا

وكانت وفاة شريح سنة تسع[1] وثمانين للهجرة، وهو ابن مئة وعشرين سنة، وقيل: مئة وثمان سنين.

* * *

(١) في «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٦٣): «سبع»، وذكر أقوالاً أخرى في وفاته.

حَرْفُ ٱلصَّادِ ٱلْمُهْمَلَة

١٧١ ـ أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعيُّ البغداديُّ اللغويُّ: صاحب كتاب «الفصوص» أصله من بلاد الموصل، دخل بغداد، فأكرمه المنصور[١]، وجمع له كتاب «الفصوص»، أثابه عليه خمسة آلاف دينار، وكان يُتهم بالكذب في نقله، فلهذا رفض الناس كتابه.

توفي سنة سبع عشرة وأربع مئة بصقلية.

ولما ظهر للمنصور كذبهُ في النقل، وعدمُ تثبته[٢]، رمى كتاب «الفصوص» في النهر؛ لأنه قيل له: جميعُ ما فيه لا صحة له، فعمل فيه بعض شعراء عصره:

قَدْ غَاصَ فِي البَحْرِ كِتَابُ الفُصُوصْ
وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصْ

فلما سمع صاعدٌ هذا البيت، أنشد:

---

(١) هو المنصور بن أبي عامر.

(٢) في الأصل: «تلبيته»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٨٩).

عَـــادَ إِلَــــى عُنْــــصُرِهِ إِنَّمَــــا

يَخْــرُجُ مِــنْ قَعْــرِ البُحُــورِ الفُــصُوصْ

* * *

١٧٢ ـ أسـد الدولـة أبـو علي صـالح بن مـرداس بن إدريـس، الكلابيُّ: كان من عرب البادية، قصد مدينة حلب، وبها مرتضى الدولة الجراحي نيابة عن الظاهر بن الحاكم العُبيدي صاحـبِ مصر، فاستولى عليها، وانتزعها منه، فجهز إليه الظاهرُ أميـرَ الجيوش أنوشتكّين الدزبري في عسكر كثير، وكان بدمشق نائباً، فخرج متوجهاً إليـه، وتلاقيا على الأقحوانـة، وجرى بينهما مقتلة انجلت عن قتل أسـد الدولة صالح في جمادى الأولى سنة عشرين وأربع مئة.

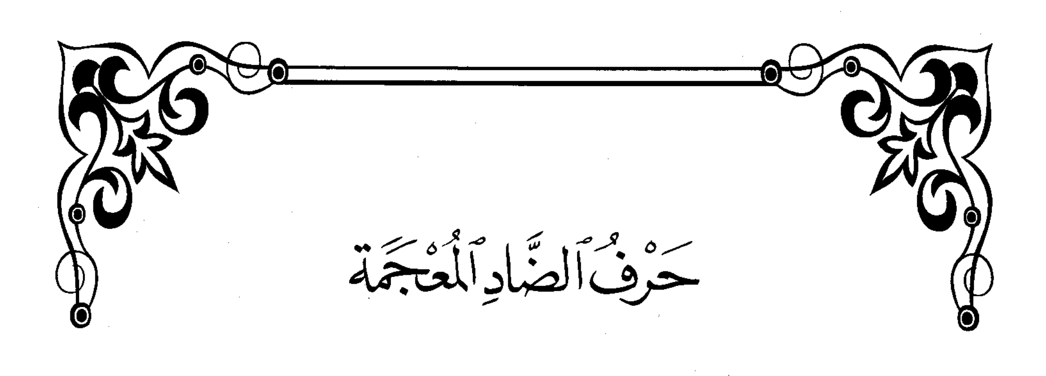
والأقحوانة: بلدة بالشام من أعمال فلسطين، بالقرب من طبرية، وبالحجاز ـ أيضاً ـ بليدة يقال لها: الأقحوانة، كان يسكنها الحارث بن خالد.

* * *

١٧٣ ـ قاضي القضـاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر، البُلقينيُّ الشـافعيُّ: شيخ الإسلام، سلالـة العلمـاء، ولي قضاء قضاة الديار المصرية وهـو شاب عوضاً عن شيخ الإسلام ولي الدين العراقي، في أول دولـة الأشرف برسباي، سنة خمس وعشرين وثمـان مئـة، وصـار يعزل ويولِّي، وكان خصمـه قاضي القضـاة شيخ الإسلام

شهابُ الدين بن حجر، يتولى هذا تارة، وهذا أخرى، في أيام الأشرف برسباي، والظاهر جقمق، ثم لما تولى الأشرف أينال، استمر طول مدته بكمالها، وتوفي في أيام الظاهر خشقدم، وهـو على القضـاء، في يوم الأربعاء، سادس رجب الفرد، سنة ثمان وستين وثمان مئة، فكانت مدة ولايته من حين استقراره في القضاء إلى حين وفاته نحو ثلاث وأربعين سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *



حَرْفُ الضَّادِ المُعْجَمَة

١٧٤ ـ أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة ابن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث، التميميُّ، المعروفُ بالأحنف: وهو الذي يُضرب به المثل في الحِلْم، كان من سادات التابعين، أدرك عهد النبي ﷺ، ولم يصحبه، وشهد بعض الفتوحات.

ولما أتى النبيُّ ﷺ بني تميم يدعوهم إلى الإسلام، كان الأحنف فيهم، فلم يجيبوا إلى اتباعه، فقال لهم الأحنف: إنه ليدعوكم إلى الإسلام، ومكارم الأخلاق، وينهاكم عن ملائمها فأسلَموا، وأسلم الأحنف.

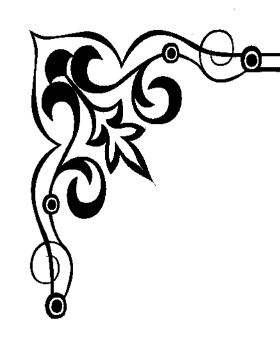
ولم يَفِدْ على رسول الله ﷺ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفد عليه، وكان من جملة التابعين وأكابرهم، وكان سيدَ قومه، موصوفاً بالعقل والدهاء، والعلم والحلم.

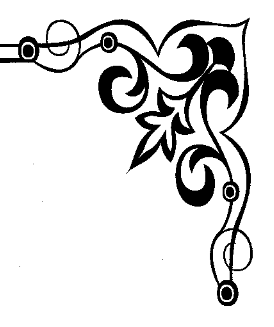
ومن كلامه: ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

وقال: كثرة الضحك تُذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومَنْ لَزِمَ شيئاً عُرف به.

وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

❑ ❑ ❑



حَرْفُ الطَّاءِ المُهْمَلَة

١٧٥ ـ طاوس أبو عبد الرحمن بن كيسان، الخـولانيُّ الهمدانيُّ اليمانيُّ من أبناء الفرس، أحد الأعلام التابعين، سمع ابن عباس، وأبا هريرة، وروى عنه: مجاهد، وعمرو بن دينار، وكان فقيهاً جليل القدر، نَبِيهَ الذِّكر، توفي حاجاً بمكة قبل يوم التروية بيوم، وصلى عليه هشام ابن عبد الملك في سنة ست، وقيل: **أربع ومئة**، وازدحم الناس عليه.

وفي مدينة بعلبك قبر يُزار، يزعمون أنه قبر طاوس، وليس كذلك.

واسمه ذكوان، وطاوس لقب له؛ لأنه كان طاوس القراء.

والمشهور أنه اسمه، وولده عبدالله فضائله مشهورة.

* * *

١٧٦ ـ أبو الطيب طاهـر بن عبدالله بن طاهـر بن عمر، الطبـريُّ القاضي الفقيهُ الشافعيُّ: كان ثقة صدوقاً، صحيح المذهب، ومن شعره لما سئل شعراً:

وَمَـــا ذَاتُ دَرٍّ لاَ يَحِـــلُّ لِحَالِـــب
تَنَاوُلُـــهُ وَاللَّحْـــمُ مِنْهَـــا مُحَلَّـــلُ

لِمَــنْ شَــاءَ فِــي الحَــالَيْنِ حَيّــاً وَمَيِّتَــاً

وَمَــنْ شَــاءَ شُــرْبَ الــدَّرِّ فَهْــوَ مُــضَلَّلُ

إِذَا طَعَنَــتْ فِــي الــسِّنِّ فَــاللَّحْمُ طَيِّــبٌ

وَآكِلُـــهُ عِنْـــدَ الجَمِيـــعِ مُغْفَّـــلُ

وَخِرْفَانُهَـــا لِلأَكْـــلِ فِيهَـــا كَرَاهَـــةٌ

فَمَــا لِحَــصِيفِ الــرَّأْيِ فِــيهِنَّ مَأْكَــلُ

وَمَـــا يَجْتَنِـــي مَعْنَـــاهُ إِلاَّ مُبَـــرِّزٌ

عَلِــيمٌ بِأَسْــرَارِ القُلُــوبِ مُحَــصِّلُ

فأملى على الرسول حالاً وارتجالاً :

جَوَابَــانِ عَــنْ هَــذَا الــسُّؤَالِ كِلاَهُمَــا

صَـــوَابٌ وَبَعْــضُ القَــائِلِينَ مُــضَلَّلُ

فَمَـــنْ ظَنَّـــهُ كَرْمـــاً وَلَـــيْسَ بِكَـــاذِبٍ

وَمَـــنْ ظَنَّـــهُ نَخْـــلاً فَلَـــيْسَ يُجَهَّـــلُ

لُحُومُهُمَــا الأَعْنَــابُ وَالرُّطَــبُ الَّــذِي

هُــوَ الحِــلُّ وَالــدَّرُّ الرَّحِيــقُ المُسَلْــسَلُ

وَلَكِــنْ ثِمَــارُ النَّخْــلِ وَهْــيَ غَضِيــضَةٌ

تمــر وَغَــضُّ الكَــرْمِ يُجْنَــى وَيُؤْكَــلُ

يُكَلِّفُنِـي القَاضِــي الجَلِيـلُ مَـسَائِلاً
هِـيَ الـنَّجْمُ قَـدْراً بَـلْ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ
وَلَـوْ لَـمْ أُجِـبْ عَنْهَـا لَكُنْـتُ بِجَهْلِهَـا
جَـدِيراً وَلَكِـنْ مَـنْ يَـوَدُّكَ مُقْبِــلُ

عاش مئة وسنتين لم يختل عقله، ولا تغير فهمه، يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ، ويقضي ببغداد، ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات، وصنَّف كتباً كثيرة.

ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته.

ولد سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة، وتوفي في ربيع الأول، لعشرٍ بقين منه، سنة خمسين وأربع مئة ببغداد.

* * *

١٧٧ ـ **أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ، النحويُّ**: أصله من الديلم، وكان بمصر إمامَ عصره في النحو، وله المصنفات المفيدة، وكانت وظيفته بمصر: أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه، ويتأمله، فإن كان فيه خطأ أو لحنٌ من جهة النحو، أصلحه، وإلا استرضاه، وله على هذه الوظيفة راتب من الجِراية[1]، وأقام على ذلك زماناً، ثم قطع علائقه، واستعفى من الخدمة، ونزل عن راتبه، ولازم

(١) جاء على هامش الأصل: «صوابة: الخزانة».

بيته واشتغاله إلى أن مات عشية اليوم الثالث من رجب، **سنة تسع وأربعين**[1] **وأربع مئة** بمصر، ودفن بالقرافة الكبرى ـ رحمه الله تعالى ـ.

وبابشاذ: ـ بباءين موحّدتين بينهما ألف، ثم شين معجمة، ثم ألف وذال معجمة ـ، وهي كلمة أعجمية معناها: الفرح والسرور.

* * *

١٧٨ ـ أبو الغارات طلائع بن رزيك، الملقب الملكُ الصالح، وزيرُ مصر: كان والياً بمنية خصيب من أعمال صعيد مصر، فلما قُتل الظافر إسماعيل صاحبُ مصر، دخل القاهرة، وتولى الوزارة في التاسع عشر من ربيع الأول، سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وكان فاضلاً، سمحاً في العطاء، سهلاً في اللقاء، جيد الشعر، وله ديوان في جزأين، ومن شعره:

وَمُهَفْهَفٍ ثَمِلِ القَوَامِ سَرَتْ إِلَى
أَعْطَافِهِ النَّشَوَاتُ مِنْ عَيْنَيْهِ

مَاضِي اللِّحَاظِ كَأَنَّمَا سَلَّتْ يَدِي
سَيْفِي غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنْ جَفْنَيْهِ

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَطَّ العِذَارُ بِمِسْكَةٍ
فِي خَدِّهِ أَلِفَيْهِ لاَ لاَمَيْهِ

---

(١) في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٥١٦) وغيره: «سنة تسع وستين».

مَــا الــشَّعْرُ دَبَّ بِعَارِضَــيْهِ وَإِنَّمَــا
أَصْــدَاغُهُ نَفَــضَتْ عَلَــى خَدَّيْــهِ

النَّــاسُ طَــوْعُ يَــدِي وَأَمْــرِي نَافِــذٌ
فِــيهِمْ وَقَلْبِــي الآنَ طَــوْعُ يَدَيْــهِ

فَاعْجَــبْ لِــسُلْطَانٍ يَعُــمُّ بِعَدْلِــهِ
وَيَجُــورُ سُــلْطَانُ الغَــرَامِ عَلَيْــهِ

وَاللهِ لَــوْلاَ اثْــمُ الفِــرَارِ وَأَنَّــهُ
مُــسْتَقْبَحٌ لَفَــرَرْتُ مِنْــهُ إِلَيْــهِ

ولما مات الفائز، وتولى العاضد مكانه، استمر على وزارته، وزادت حرمته، وتزوج العاضدُ ابنته، ثم عمل الحيلة في قتله، فأجلس له جماعة من أجناد الدولة يقال لهم: أولاد الراعي في موضع من القصر مستخفين فدخل القصر نهاراً، فوثبوا عليه، وجرحوه جراحات عديدة، فوقع الصوت، فعاد أصحابه إليه فقتلوا الذين جرحوه، وحُمِل إلى داره، ومات من يومه.

وكانت ولادته سنة خمس وتسعين وأربع مئة[1]، وخرجت الخلع

---

(١) قال في «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٢٨): «ومات يوم الإثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمس مئة رحمه الله تعالى».

لولده العادل محيي الدين رُزيك[1].

وكان قد دفن بالقاهرة، ثم نقله ولـده العادلُ من دار الوزارة التي دفن بها، وهي المعروفة بإنشاء الأفضل إلى تربته التي بالقرافة الكبرى، وكان نقله في تاسـع عشر صفـر، سنة تسـع وخمسين وخمس مئـة في تابوت، وركب خلفه العاضد إلى تربتـه، وهـذا الصالح هـو الذي بنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة.

* * *

١٧٩ ـ أبو يزيد طَيفور بن عيسى بن آدم بن علي البسطاميُّ: الزاهدُ المشهور، كان جـده مجوسياً، ثم أسلم، وسئل أبـو يزيـد: بأي شيء وجدتَ هذه المعرفة؟ فقال: ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ.

وله كرامات مشهورة ظاهرة، توفي **سنة إحدى وستين ومئتين**.

* * *

١٨٠ ـ الأمير سيف الدين طشتمر اليلبغاويُّ الدوادارُ: كان دوادار أستاذه يَلْبُغا، ثم صار دوادارَ الملك الأشرف، ثم ولي نيابة دمشق يسيراً، ثم ذهب إلى مصر، واستقر أتابكَ العساكر، ثم بعـد شهر قبض، وسجن بالإسكندرية، ثم أُخرج إلى دمياط، ثم ولي نيابـة صفد، ثم استعفى، وسأل الإقامة بالقدس، فأُجيب إلى ذلك.

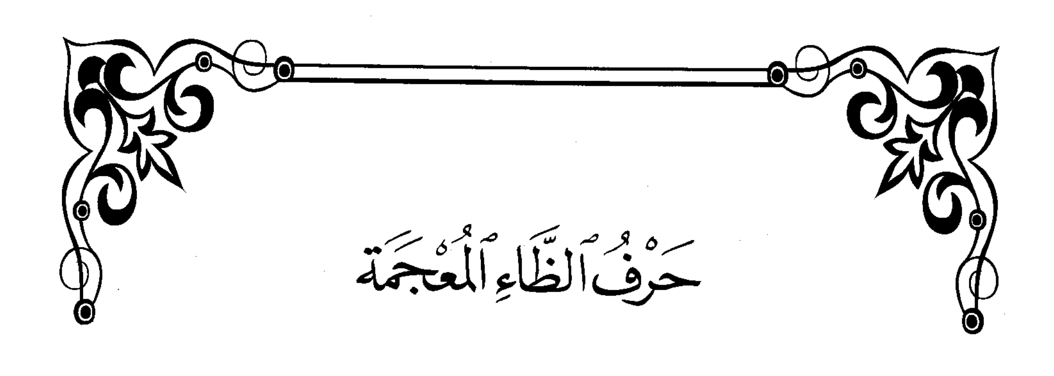
---

(١) في الأصل: «رزبك»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٢٨).

وكان يحب العلماء، ويجالسهم، ولـه اشتغال على الشيخ سراج الدين البلقيني، وأجازه بالإفتاء.

توفي في شعبان، سنة ســت وثمانين وسبــع مئـة فجـأة بالخـلاء بالمدرسة التنكزية، ودفن بمدرسته التي أنشأها بالقدس الشريف ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *



حَرْفُ ٱلظَّاءِ ٱلْمُعْجَمَة

١٨١ ـ أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن حِلْس الدؤلي: كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب عليَّ بن أبي طالب ﷺ، وشهد معه وقعة صِفِّين، وهو بصريٌّ، وهو أولُ من وضع النحو، فقيل: إن علياً ﷺ وضع له: الكلام ثلاثة أضرُب: اسم، وفعل، وحرف، ثم دفعه إليه، وقال: تَمِّمْ على هذا.

وأول ما وضع: باب التعجب، وقال: استأذنت عليَّ بن أبي طالب أن أضع نحوَ ما وضع، فسُمِّي: نحواً.

ومن شعره:

وَمَا طَلَبُ المَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي
وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلَاءِ
تَجِيءُ بِملْئِهَا[1] طَوْراً وَطَوْراً
تَجِيءُ بِحَمْأَةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

---

(١) في الأصل: «بمثلها».

واستخلفه علي بن أبي طالب عاملاً على البصرة، ولم يزل حتى قُتل علي، وأصابه الفالج، وكان معروفاً بالبخل.

وتوفي بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف، وعمره خمس وثمانون سنة.

وقيل: مات قبل الطاعون بالفالج.

وقيل: توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة تسع وتسعين.

والدُّؤل المنسوب إليها: قبيلة من كنانة.

* * *

١٨٢ ـ أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبدالله الجذاميُّ، الإسكندرانيُّ، المعروف بالحداد، الشاعرُ المشهور: له ديوان شعر أكثره جيد.

ومن شعره:

رَحَلُوا فَلَوْلاَ أَنَّنِي ... أَرْجُو الإِيَابَ قَضَيْتُ نَحْبِي

وَاللهِ مَا فَارَقْتُهُمْ ... لَكِنَّنِي فَارَقْتُ قَلْبِي

وله في كرسي النسخ:

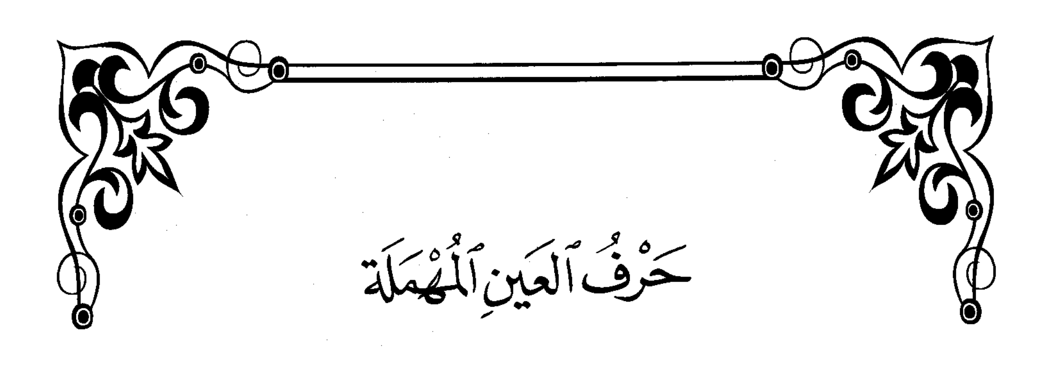
انْظُــرْ بِعَيْنِــكَ فِــي بَــدِيعِ صِــنَاعَتِي
وَعَجِيــبِ تَرْكِيبِــي وَحِكْمَـةِ صَـانِعِي

فَكَــأَنَّنِي كَفَّــا مُحِــبٍّ شَــبَّكَتْ
يَــوْمَ الفِــرَاقِ أَصَابِــعاً بِـأَصَابِــعِ

توفي سنة تسع وعشرين[1] وخمس مئة.

* * *

(١) في الأصل: «خمس وأربعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٤٢)، و«شذرات الذهب» (٤/ ٩١).



حَرْفُ ٱلعَيْنِ ٱلمُهْمَلَة

١٨٣ ـ أبو بكر عاصم بن أبي النجود: مولى بني جُذيمة، كان أحدَ القراء السبعة، والمشار إليه في القراءات.

توفي سنة سبع وعشرين ومئة بالكوفة.

* * *

١٨٤ ـ أبو بردة عامر بن أبي موسى عبدالله بن قيس، الأشعريُّ: وكان أبوه صاحبَ رسول الله ﷺ، قدم عليه من اليمن في الأشعريين، فأسلموا، وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة، وليها بعد القاضي شريح، وله مكارم ومآثر مشهورة.

وسمي أبا بردة؛ لأن أبا شيخ بن الغرق كساه عند فطامه بردتين، وكان رضيعاً على يده، وغدَا به على أبيه، فكناه: أبا بردة، فذهب اسمه.

توفي سنة أربع ومئة، وقيل: ست، أو سبع ومئة، ومات هو والشعبي في جمعة واحدة.

* * *

١٨٥ ـ أبو عمرو(١) عامـرُ بن شَراحيل بن عبـد، الشعبيُّ: كوفيٌّ تابعيٌّ جليلُ القدر، وافر العلم، يقال: إنه أدرك خمس مئة من أصحاب رسول الله ﷺ.

ولد لأربعِ سنين بقين من خلافة عمر رضي الله عنه، وكان نحيلاً نحيفاً.

وقيل: كانت ولادته لستٍّ سنين خلت من خلافة عثمان.

وقيل: سنة عشرين من الهجرة.

وتوفي بالكوفة سنة أربـع ومئة، وقيل: ثلاث، وقيل: سبع ومئة فجـأة، ونسبته بالشعبي نسبة إلى شَعْب: وهو بطن من همـذان، وكان كثيراً ما يتمثل بقول مسكين الدارمي:

لَيْـسَتِ الأَحْـلامُ فِـي حَـالِ الرِّضَـا
إِنَّمَـا الأَحْـلامُ فِـي وَقْـتِ الغَـضَبْ

* * *

١٨٦ ـ أبو عبد الرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح المروزيُّ: مولى بني حنظلة، كان قـد جمع بين العلم والزهـد، تفقَّـه على سُفيان الثوري، ومالك بن أنس، وروى عنه «الموطأ»، وكان كثيـر الانقطاع، محباً للخلوة، شديد التورع، وكذلك كان أبواه، وكان له شعر، فمنه:

---

(١) في الأصل: «عمر».

قَــدْ يَفْــتَحُ المَــرْءُ حَانُوتــاً لِمَتْجَــرِهِ

وَقَــدْ فَتَحْــتَ لَــكَ الحَــانُوتَ بِالــدِّينِ

بَــيْنَ الأَسَــاطِينِ حَــانُوتٌ بِــلاَ غَلَــقٍ

يَبْتَــاعُ بِالــدِّيْنِ أَمْــوَالَ المَــسَاكِينِ

صَــيَّرْتَ دِينَــكَ شَــاهِيناً تَــصِيدُ بِــهِ

وَلَــيْسَ يَــصْلُحُ أَصْــحَابُ الــشَّوَاهِينِ

ولد سنة ثماني عشرة ومئة، وكان قد توجَّه في بعض الغزوات إلى هيت، فتوفي بها في رمضان، سنة إحدى، وقيل: **سنة اثنتين وثمانين ومئة**.

* * *

١٨٧ ـ أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث، الفقيهُ المالكيُّ المصريُّ: كان أعلمَ أصحاب مالِكٍ، وأفضَتْ إليه رئاسة الطائفة المالكية بعد أشهبَ، وروى عن مالك «الموطأ» سماعاً، وكان من ذوي الأموال، ويقال: إنه دفع للإمام الشافعي ﷺ عند قدومه إلى مصر ألفَ دينار من ماله.

ولد سنة خمسين ومئة، وتوفي في شهر رمضان، **سنة أربع عشرة ومئتين** بمصر، وقبره إلى جانب قبر الشافعي.

* * *

١٨٨ ـ أبو عبد الرحمن عبدالله بن لهيعة، الحضرميُّ المصريُّ: كان مكثراً من الحديث والأخبار والرواية، ولاه أبو جعفر المنصور القضاء بمصر في مستهل سنة خمس وخمسين ومئة، وهو أول قاضٍ ولي بمصر من قبل الخليفة، وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين ديناراً، وكان ولاة البلد قبل ذلك يقضون، ويولون القضاء.

توفي بمصر في منتصف ربيع الأول، **سنة أربع وسبعين**[١] **ومئة**، وعمره إحدى وثمانون سنة.

* * *

١٨٩ ـ أبو سعيد عبدالله بن كثير، أحدُ القراء السبعة، المكيُّ الداريُّ، ـ والدار: بطن من لَخْم، منهم تميمٌ، وقيل: إنما نُسب إلى دارين؛ لأنه كان عطاراً، وهو موضع الطيب، وهذا هو الصحيح ـ وكان قاضي الجماعة بمكة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين.

ولد بمكة سنة خمس وأربعين، ومات بها **سنة عشرين ومئة**.

وراوياه: محمد بن عبد الرحمن المكي المخزومي الملقب: قُنْبَل، توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين، وله ست وتسعون سنة، والآخر أحمدُ

---

(١) في الأصل: «وتسعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٩)، و«تاريخ الإسلام» (١١/ ٢٢٥).

ابن محمد بن عبدالله بن القاسم البزي الفارسي[1]، توفي سنة خمسين[2] ومئتين.

* * *

١٩٠ ـ **أبو بكر عبدالله بن أحمد بن عبدالله، الفقيهُ الشافعيُّ المعروف بالقَفَّال، المروزيُّ**: كان وحيدَ عصره، وله في مذهب الشافعي من الآثار ما ليس لغيره، وكان اشتغاله بالعلم على كبر بعد ما أفنى شبيبته في عمل الأقفال، ولذلك قيل له: القفَّال.

توفي في سنة سبعَ عشرة وأربع مئة، وهو ابن تسعين سنة، ودفن بسجستان، وقبره بها يزار.

* * *

١٩١ ـ **أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد، الجوينيُّ**: الفقيهُ الشافعيُّ، والدُ إمام الحرمين، كان إماماً جليلاً مهاباً، لا يجري بين يديه إلا الجِدُّ، وصنف «التفسير الكبير»، وفي الفقه، وغير ذلك.

توفي سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة في ذي القعدة.

* * *

١٩٢ ـ **أبو زيد عبدالله بن عمر بن عيسى، الدبوسيُّ الفقيهُ الحنفيُّ**:

---

(١) في الأصل: «الوارعي»، والصواب المثبت.

(٢) في «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٢): «سنة سبعين ومئتين».

كان من كبار أصحاب أبي حنيفة، ممن يضرب به المثل، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود، وروي: أنه ناظر بعض الفقهاء، فكان كلما ألزمه أبو زيد، يبتسم ويضحك، فأنشد أبو زيد:

مَـــا لِــــي إِذَا أَلْزَمْتُـــهُ حُجَّـــةً
قَـــابَلَنِي بِـالـــضِّحْكِ وَالقَهْقَهَـــهْ

إِنْ كَـانَ ضِـــحْكُ المَـرْءِ مِـنْ فِقْهِـهِ
فَالــدُّبُّ فِــي الــصَّحْرَاءِ مَـا أَفْقَهَـهْ

وله تصانيف كثيرة، توفي **سنة ثلاثين وأربع مئة**، ودبوسة المنسوب إليها: مدينة بين بخارى وسمرقند.

* * *

١٩٣ ـ أبو محمد عبدالله بن القاسم بن المظفر، الشهرزوريُّ، المنعوت بالمرتضى: كان مشهوراً بالفضل والدين، وكان مليح الوعظ، مع الرشاقة والتجنيس، اشتغل ببغداد، ثم رجع إلى الموصل، وتولى بها القضاء، وله شعر رائق، منه:

يَـــا قَلْـــبُ إِلاَمَ لاَ يُفِيـــدُ النُّـــصْحُ
دَعْ مَزْحَـكَ كَـمْ جَنَـى عَلَيْـكَ المَـزْحُ

مَـــا جَارِحَـــةٌ مِنْــكَ عَــدَاهَا جُــرْحُ
مَـا تَـشْعُرُ بِالخُمَـارِ حَتَّـى تَـصْحُو

توفي في ربيع الأول، سنة إحدى عشرة وخمس مئة بالموصل.

* * *

١٩٤ ـ أبو محمد عبدالله بن أبي السريِّ التميميِّ محمد بن هبة الله ابن مطهر بن أبي عصرون، الحديثيُّ الموصليُّ: الفقيه الشافعي، كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره، وممن سار ذكره، وانتشر أمره، وله المصنفات النافعة، وتقدم عند نور الدين صاحبِ الشام، وبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك، وغيرِها، وتولى القضاء بسنجار، ونصيبين، وحران، وغيرِ ذلك.

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة عاد إلى دمشق، وتولى القضاء بها، ثم عمي في أواخر عمره قبل موته بعشر سنين، وابنه محيي الدين محمد ينوب عنه، وهو باقٍ على القضاء، ومن شعره:

أُؤَمِّلُ وَصْلاً مِنْ حَبِيبٍ وَإِنَّنِي
عَلَى ثِقَةٍ عَمَّا قَلِيلٍ أُفَارِقُهْ

تَجَارَى بِنَا خَيْلُ الحِمَامِ كَأَنَّمَا
يُسَابِقُنِي نَحْوَ الرَّدَى وَأُسَابِقُهْ

فَيَا لَيْتَنَا مِتْنَا مَعاً ثُمَّ لَمْ يَذُقْ
مَرَارَةَ فَقْدِي لاَ وَلاَ أَنَا ذَائِقُهْ

ولد يوم الاثنين، الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة اثنتين

وتسعين وأربع مئة بالموصل، وتوفي في حادي عشري من رمضان، سنة خمس وثمانين وخمس مئة بدمشق، ودفن بمدرسته التي أنشأها داخل البلد، وهي معروفة به.

* * *

١٩٥ ـ **أبو الفرج عبدالله بن أسعد بن علي، المعروفُ بابن الدَّهان، الموصليُّ، ويعرف بالحمصيِّ، الفقيهُ الشافعيُّ**: كان فقيهاً فاضلاً، أديباً شاعراً، وهو من أهل الموصل، ثم تقلبت به الأحوال حتى تولى التدريس بحمص، وأقام بها، فلهذا ينسب إليها.

ومن شعره السائر:

يُضْحِي يُجَانِبُنِي مُجَانَبَةَ العِدَا
وَيَبِيتُ وَهْوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمِي

وَيَمُرُّ بِي يَخْشَى الرَّقِيبَ فَلَفْظُهُ
شَتْمٌ وَغُنْجُ لِحَاظِهِ تَسْلِيمُ

توفي بحمص في شعبان، سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة.

* * *

١٩٦ ـ **أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، العباسيُّ الهاشميُّ**: كان أديباً بليغاً شاعراً، مخالطاً للعلماء والأدباء، معدوداً من جملتهم إلى أن

جرت له الكائنة: اتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكُتَّاب، فخلعوا المقتدر يوم السبت، لعشرٍ بقين من ربيع الأول، سنة ست وتسعين ومئتين، وبايعوا عبدالله المذكور، ولقّبوه: المرتضي بالله. وقيل: الغالب، وقيل: الراضي، فأقام يوماً وليلة، ثم إن أصحاب المقتدر تراجعوا، وحاربوا أعوان ابن المعتز، وشتتوهم، وأعادوا المقتدر إلى دَسْتِه، واختفى ابن المعتز، فأخذه المقتدر، وسلَّمه إلى مؤنس الخازن، فقتله، وسلَّمه إلى أهله ملفوفاً في كساء، ودفن في خرابة بإزاء داره.

وله تصانيف وأشعار رائقة، ومن ظريف شعره قوله:

وَمُهَفْهَفٍ يَسْعَى عَلَى النُّدَمَاءِ
بَعَقِيقَةٍ فِي دُرَّةٍ بَيْضَاءِ
وَالبَدْرُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ كَدِرْهَمٍ
مُلْقَىً عَلَى يَاقُوتَةٍ زَرْقَاءِ
كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ سَرَّنِي بِمَبِيتِهِ
عِنْدِي بِلا خَوْفٍ مِنَ الرُّقَبَاءِ
وَمُهَفْهَفٍ عَقَدَ الشَّرَابُ لِسَانَهُ
فَحَدِيثُهُ بِالرَّمْزِ وَالإِيمَاءِ
حَرَّكْتُهُ بِيَدِي وَقُلْتُ لَهُ انْتَبِهْ
يَا فَرْحَةَ الخُلَطَاءِ وَالنُّدَمَاءِ

فَأَجَـابَنِي وَالـسُّكْرُ يَخْفِـضُ صَـوْتَهُ

بِـــتَلَجْلُجٍ كَـــتَلَجْلُجِ الفَأْفَــاءِ

إِنِّــي لأَفْهَــمُ مَـا تَقُــولُ وَإِنَّمَــا

غَلَبَـــتْ عَلَـــيَّ سُـــلاَفَةُ الـــصَّهْبَاءِ

دَعْنِـي أَفِيـقُ مِـنَ المُـدَامِ إِلَـى غَـدٍ

وَاحْكُـمْ عَلَـيَّ بِمَـا تَـشَا مَـوْلاَئِي

وكان شديدَ السمرة، مسنون الوجه، يخضب بالسواد ـ، رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

١٩٧ ـ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم ابن طَباطَبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب، الحجازيُّ الأصل، المصريُّ الدار والوفاة: كان طاهراً كريماً فاضلاً، وكان له رباع وضياع، ونعمة ظاهرة، وكان بدهليزه رجل يكسر اللوز كل يوم من أول النهار إلى آخره برسم الحلوى التي ينفذها لأهل مصر من كافور الأخشيدي إلى مَنْ دونه، ويطلق للرجل المذكور دينارين في كل شهر أجرة تكسير اللوز.

وكان حسن المذهب، ولد سنة ستٍّ وثمانين ومئتين، وتوفي في رجب، **سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة**، ودفن بقرافة مصر، وقبره معروف بإجابة الدعاء.

* * *

١٩٨ ـ **أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الخزاعيُّ**: كان سيداً نبيلاً، عالي الهمة شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، وكان والياً على الدِّينَور، ثم أمره بالخروج إلى خراسان لمّا أحدثَ الخوارجُ في أعمال نيسابور الفسادَ، فتوجه، وحارب الخوارج، وقدم نيسابور في رجب، سنة خمس عشرة ومئتين.

وكان عبدالله ظريفاً، وله شعر مليح، فمن شعره:

تَتَّقِي سُخْطَنَا الأُسُودُ وَنَخْشَى
سَخَطَ الخِشْفِ حِينَ يُبْدِي الصُّدُودَا

نَمْلِكُ العَبِيدَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا البِيضُ
المَصُونَاتُ أَعْيُنَاً وَخُدُودَا

فَتَرَانَا يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَحْرَا
رَاً وَفِي السِّلْمِ لِلغَوَانِي عَبِيدَا

وكان عبدالله قد تولى الشّام والديار المصرية، والبطيخ العبدلاوي الموجود بمصر منسوب إلى عبدالله المذكور، وقد نُسب إليه، لأنه كان يستطيبه، وهو أول من زرعه هناك.

وتوفي في ربيع الأول سنة ثماني وعشرين ومئتين بمرو.

* * *

١٩٩ ـ **عبدالله بن خُليد**، مولى جعفر بن سليمان، أصله من الري،

يُفَخِّم الكلام ويُعربه، وكان كاتبَ عبدالله بن طاهر المذكور، وشاعره، ومنقطعاً إليه.

وصل يوماً إلى باب عبدالله المذكور، فحجب من الدخول، فقال:

سَـــأَتْرُكُ هَــذَا البَـــابَ مَـــا دَامَ إِذْنُـــهُ
عَلَـى مَـا تَـرَى حَتَّـى يَخِـفَّ قَلِـيلاَ
إِذَا لَـمْ أَجِـدْ يَوْمـاً إِلَـى الإِذْنِ سُـلَّماً
وَجَـدْتُ إِلَـى تَـرْكِ اللِّقَـاءِ سَبِـيلاَ

فبلغ ذلك عبدالله، فأنكره، وأمر بدخوله.

وقبّل يوماً كفَّ عبدالله بن طاهر، فاستخشنَ مسَّ شاربه، فقال: شوكُ القنفذِ لا يؤلم كفَّ الأسد، فأعجبه كلامه، وأمر له بجائزة سنية.

توفي سنة أربعين ومئتين.

* * *

٢٠٠ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن صارة، البكريُّ الأندلسيُّ: الشاعر المشهور، كان شاعراً ماهراً، ناظماً ناثراً، ومن شعره:

وَمُعَـــذَّرٍ رَاقَـــتْ حَوَاشِـــي صُـــدْغِهِ
فَقُلُوبُنَـــا وَجْـــداً عَلَيْـــهِ رِقَـــاقُ
لَـــمْ يَكْـــسُ عَارِضَـــهُ الـــسَّوَادُ وَإِنَّمَـــا
نَفَـــضَتْ عَلَيْـــهِ سَـــوَادَهَا الأَحْـــدَاقُ

توفي بالأندلس سنة سبع عشرة وخمس مئة.

* * *

٢٠١ ـ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله، المعروف بابن الخشَّاب، البغداديُّ الحنبليُّ: العالم المشهور في الأدب والنحو، والتفسير والحديث، وحفظ الكتاب العزيز بالقراءات، وكان متضلعاً من العلوم، وله شعر حسن، منه في الشمعة:

صَفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ سَقَامٍ بِهَا
كَيْفَ وَكَانَتْ أُمُّهَا الشَّافِيَهْ
عَارِيَةٌ بَاطِنُهَا مُكْتَسٍ
فَاعْجَبْ بِهَا عَارِيَةً كَاسِيَهْ

وله لغز في الكتاب، وهو:

وَذِي أَوْجُهٍ لَكِنَّهُ غَيْرُ بَائِحٍ
بِسِرٍّ وَذُو الوَجْهَيْنِ لِلسِّرِّ مُظْهِرُ
يُنَاجِيكَ بِالأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ
فَتَسْمَعُهَا بِالعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، وتوفي عشية الجمعة، ثالث شهر رمضان، سنة سبع وستين وخمس مئة ببغداد.

* * *

٢٠٢ ـ أبو الرداد عبدالله بن عبد السّلام بن عبيدالله بن الرداد، المؤذنُ البصريُّ، صاحبُ المقياس بمصر: كان رجلاً صالحاً، وتولى مقياس النيل بجزيرة مصر، والنظر في أمره، وما يتعلق به في سنة ست وأربعين ومئتين، واستمرت الولاية في أمر ذلك لولده إلى الآن.

توفي سنة تسع وسبعين ومئتين.

* * *

٢٠٣ ـ أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، الأوزاعيُّ:
إمام أهل الشام، لم يكن بها أعلم منه، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان سكن بيروت، روى عنه الثوري، وأخذ عنه عبدالله بن المبارك، وجماعة، ولد ببعلبك سنة ثمان وستين للهجرة، وقيل: ثلاث وتسعين، ومنشؤه بالبقاع، وكان فوق الربعة، خفيف اللحية، به سمرة، توفي بمدينة بيروت في صفر، **سنة سبع وخمسين ومئة**، وقبره في قرية على باب بيروت يقال لها: حشوش، وأهلها مسلمون، مدفون في قبلة مسجدها، وأهلُ القرية لا يعرفونه، بل يقولون: هاهنا رجل صالح ينزل عليه النور، ولا يعرفه إلا الخواص من الناس.

* * *

٢٠٤ ـ أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، العنسيُّ[1]

(١) في الأصل: «العبسي».

الدارانيُّ: الزاهد المشهور، أحد رجال الطريقة.

ومن كلامه: من أحسنَ في نهاره، كُفي في ليله، ومن أحسن في ليله، كفي نهاره، ومن صدق في ترك شهوته، أذهبها الله من قلبه، والله تعالى أكرمُ من أن يعذب قلباً بشهوة تُركت له.

توفي سنة خمس عشرة ومئتين.

والداراني: نسبة إلى داريّا، وهي قرية بغوطة دمشق.

* * *

٢٠٥ ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران، الفورانيُّ المروزيُّ، الفقيهُ الشافعيُّ: كان مقدَّم الفقهاء الشافعية بمرو، وهو أصولي فروعي، وطبّق الأرض بالتلامذة، توفي في شهر رمضان، **سنة إحدى وستين وأربع مئة** بمدينة مرو، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ـ رحمه الله ـ.

* * *

٢٠٦ ـ أبو سعد عبد الرحمن بن محمد، واسمه مأمون بن علي، وقيل: إبراهيم، المعروف بالمتولي، الفقيهُ الشافعيُّ النيسابوريُّ: كان جامعاً بين العلم والدين وحسن السيرة، تولى التدريس بالنظامية ببغداد بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين وأربع مئة، وأعيد أبو نصر بن الصباغ صاحب «الشامل»، ثم عُزِلَ وأعيد أبو سعيد، واستمر عليها إلى حين وفاته.

ولد بنيسابور سنة ست، وقيل: سبع وعشرين وأربع مئة، وتوفي ليلة الجمعة، ثامن عشر شوال، سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ببغداد.

* * *

٢٠٧ ـ أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله، الدمشقيُّ، الملقبُ فخر الدين، المعروف بابن عساكر: الفقيه الشافعيُّ، إمام وقته في علمه ودينه، درَّس بالقدس زماناً، ودمشق، وهو ابن أخي الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر صاحب «تاريخ دمشق».

ولد سنة خمس وخمس مئة.

* * *

٢٠٨ ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن عبيدالله بن الجوزيِّ، القرشيُّ: منسوب إلى أبي بكر الصديق، التيميُّ البكر[يُّ] البغدادي، الفقيهُ الحنبلي، الواعظ، الملقب: جمال الدين، الحافظ علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف فيه فنوناً عديدة وتفسيراً وتاريخاً، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، حتى قيل: إنه جُمعت الكراريس التي كتبها، وحُسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كلَّ يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، وجمعت براية الأقلام التي كتب بها حديثَ رسول الله ﷺ، فحصل منها شيء كثير، فأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل، فكفت، وفضل منها.

وله أشعار لطيفة، ومن شعره:

عَـذِيرِيَ مِـنْ فِتْيَـةٍ بِـالغَرَامِ ... قُلُـوبُهُمُ بِالجَفَـا قُلَّـبُ

يَرَوْنَ العَجِيبَ كَـلاَمَ الغَرِيـبِ ... وقولُ القريـب[1] فَـلاَ يُعْجِـبُ

وَعُـذْرُهُمُ عِنْـدَ تَوْبِـيخِهِمْ ... مُغَنِّيَـةُ الحَـيِّ لاَ تُطْـرِبُ

وله في مجالس الوعظ أجوبة نادرة.

فمن أحسن ما يحكى عنه: أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما شخصاً يسأله عن ذلك، وهو على الكرسي، فلما سأله، قال: أفضلُهما من كانت ابنتُه تحته.

ونزل في الحال حتى لا يراجَع في ذلك.

فقالت السنيّة: هو أبو بكر، وقالت الشيعة: هو علي، وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل هذا بعد التأني وإمعان النظر، كان في غاية الحسن، فضلاً عن البديهة.

ومحاسنه يطول شرحها.

ولد تقريباً سنة ثمان أو عشر وخمس مئة، وتوفي ليلة الجمعة، ثالث عشر رمضان، سنة سبع وتسعين وخمس مئة.

وكان ولده محيي الدين أبو محمد يوسف محتسبَ بغداد.

---

(١) في الأصل: «وطرد الغريب»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٣/ ١٤١).

وكان يتردد في الرسائل إلى الملوك، ثم صار أستاذ دار الخلافة، وتوفي في وقعة التتر قتيلاً **سنة ست وخمسين وست مئة** ببغداد، وكان سبطه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاغلي الواعظُ المشهور حنفيَّ المذهب، صنف تاريخاً في أربعين مجلداً أسماه: «مِرآة الزمان».

توفي بدمشق بمنزله بجبل قاسيون في الحادي والعشرين من ذي الحجة، **سنة أربع وخمسين وست مئة**.

والجوزي: نسبة جده، وهو مكان ببغداد يسمى: مشرعة الجوز بالجانب الغربي.

* * *

٢٠٩ ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبدالله بن الخطيب، الخثعميُّ السهيليُّ: الإمام المشهور، صاحب كتاب «الروض الأُنف» في شرح سيرة النبي ﷺ، وله «التعريف والإعلام»، و«نتائج الفِكَر»، و«مسألة رؤية الله في المنام ورؤية النبي ﷺ»، و«مسألة السر في عَور الدجال»، وغير ذلك.

وقال ابن دِحية: أنشدني، وقال: إنه ما استعمل إنشادَها أحدٌ، وسألَ الله بها في حاجة، إلا أعطاه إيّاها، وهي:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ. إلى آخرها.

وهي مشهورة، وأشعاره كثيرة.

توفي بحضرة مراكش، يوم الخميس، السادس والعشرين من

شعبان، سنة إحدى وثمانين وخمس مئة وقت الظهر، وكان مكفوفاً.

* * *

٢١٠ ـ أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل: عثمان، الخراسانيُّ القائمُ بالدعوة العباسية: كان أديباً لبيباً، تولى خراسان، وقال المأمون: أَجَلُّ ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدُّول: الإسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني.

وكان أسمر، جميلاً، نقي البشرة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، قصير الساق والفخذ، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسية، حلو المنطق، لم يُر ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته، تأتيه الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الحوادث القادحة، فلا يُرى مكتئباً، ولا يأتي النساء في السنة إلا مرة واحدة، ويقول: الجماع جنون، ويكفي الإنسانَ أن يُجن في السنة مرة.

ولد في سنة مئة للهجرة في خلافة عمر بن عبد العزيز، ونهض بالدعوة وهو ابن ثماني عشرة سنة، ولما ظهر بخراسان، كان أول ظهوره بمرو يوم الجمعة، لتسعٍ بقين من شهر رمضان، سنة تسع وعشرين ومئة، وكان السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم؛ لما صنعه ودبَّره في نصرة الدولة العباسية.

ثم لما مات السفاح في ذي الحجة، سنة ست وثلاثين ومئة، وتولى أخوه أبو جعفر المنصور، وكانت صدرت من أبي مسلم أسباب

وقضايا غيَّرت قلبَ المنصور عليـه، فعـزم على قتله، وبقي حائـراً بين الاستبداد وأمر الاستشارة، فاستشار في أمره مسلمَ بنَ قتيبة، فقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢]، فقال: حسبك يا ابن قتيبة، لقد أودعتها أذناً واعية.

وكان أبو مسلم قـد حج، فلما عـاد، نـزل إلى الحيـرة التي عنـد الكوفة، فلم يزل المنصور يخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه، ثم جلس المنصور، ودخل عليه أبـو مسلم، فسلَّم، فرد عليـه السلام، وأجلسه وحادثه، ثم عاتبه، وقال له: فعلتَ وفعلتَ.

ومن جملة ما عاتبه: ألست الكاتبَ إليَّ تبدأ بنفسك قبلي تخطب عمتي آسية.

وأخذ أبو مسلم يده بيده يعرُكها ويقبِّـلها، ويعتذر إليـه، فقال لـه المنصور، وهو آخـر كلامـه: قتلني الله إن لـم أقتلك، ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى، فخرج إليه جماعة رتبهم المنصور وراء السرير الذي خلفه، وخبطوه بسيوفهم وقتلوه، وكان قتله يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، وقيل: للثلاثين، ولعله سنة سبع وثلاثين ومئة، وكان ذلك برومية، وهي: بلدة بالقرب من بغـداد على دجلة من الجانب الغربي، ثم أنشد المنصور:

فَأَلْقَـتَ عَـصَاهَا وَاسْـتَقَرَّ بِهَـا النَّـوَى
كَمَـا قَـرَّ عَيْنـاً بِالإِيَـابِ المُـسَافِرُ

ثم أقبل المنصور على مَنْ حضره، وأبو مسلم طريحٌ بين يديه، وقال:

زَعَمْتَ أَنَّ الدَّيْنَ لاَ يُقْتَضَى
فَاسْتَوْفِ بِالكَيْلِ أَبَا مُجْرِمِ
اشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا
أَمَرَّ فِي الحَلْقِ مِنَ العَلْقَمِ

وقد اختلف الناس في نسب أبي مسلم: فقيل: من العرب، وقيل: من العجم، وقيل: من الأكراد.

وكان أبو مسلم في دولته قد قتل خلقاً لا يُحصون كثرة، وكان عدة من عرف من أعيان مَنْ قتله ستَّ مئة ألف، سوى من لم يعرف، وسوى من قتل في الحروب.

* * *

٢١١ ـ الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نُباتة، الجذاميُّ[١] الفارقيُّ، صاحبُ الخطب المشهورة: كان إماماً في علوم الأدب، ورُزق السعادة في خطبته التي وقع الإجماع على أنه ما عُمل مثلها، وهو من أهل ميَّافارقين.

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٥٦)، وفيه: «الحذاقي».

ولـد سنة خمس وثلاثين وثلاث مئـة، وتوفي **سنة أربـع وسبعين وثلاث مئة.**

ورئي في المنام بعد موته، فقيل لـه: **ما فعل الله بك؟ فقال: دُفع** إلي ورقة فيها سطران بالأحمر، وهما:

قَـدْ كَـانَ أَمْـنٌ لَـكَ مِـنْ قَبْلِ ذَا
وَاليَـوْمَ أَضْـحَى لَـكَ أَمْنَـانِ

وَالـصَّفْحُ لاَ يَحْـسُنُ عَـنْ مُحْـسِنٍ
وَإِنَّمَـا يَحْـسُنُ عَـنْ جَـانِي

ونُباتة: ـ بضم النون وفتح الباء والتاء المثناة ـ.

* * *

٢١٢ ـ أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد، الحسن [بن] الحسين بن المفـرج، اللخميُّ، العسقلانيُّ المولـد، المصـريُّ الدار، المعـروفُ بالقاضي الفاضـل، الملقـب: محيي الدين[1]: وزيـر السلطان صلاح الـدين، تمكن منـه غايـة التمكـن، وبـرز في صناعـة الإنشـاء، ففـاق المتقدمين، ولما مات صلاح الدين، ترقَّت منزلته بعد وفاتـه عند ولده الملك العزيز في المكانة والرفعـة، ولما توفي العزيز، وقام ولده المنصور

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٥٨)، وفيه: «مجير الدين».

بالمُلك بتدبير عمه الأفضل نور الدين، كان على حاله، ولم يزل كذلك إلى أن وصل الملك العادل، فعند دخوله القاهرة توفي القاضي الفاضل في ليلة الأربعاء، سابع عشر ربيع الآخر، **سنة ست وتسعين وخمس مئة** بالقاهرة فجأة، ودفن بتربته بسفح المقطم في القرافة الصغرى، وبنى بالقاهرة مدرسة بدرب ملوخية.

وكان ولده بهاء الدين الأشرف أبو العباس أحمد كبيرَ المنزلة عند الملوك، ولد في المحرم، سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة بالقاهرة، وتوفي بها في ليلة الاثنين، سابع جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وست مئة، ودفن إلى جانب قبر أبيه.

* * *

٢١٣ ـ أبو عمرو، ويقال: أبو عمر عبدُ الملك بن عمير بن سويد ابن حارثةُ اللخميُّ الكوفيُّ القرشيُّ[١]: كان قاضياً على الكوفة بعد الشعبي، وهو من مشاهير التابعين، رأى علي بن أبي طالب ﵁، وروى عن جابر بن عبدالله، توفي **سنة ست وثلاثين ومئة** في ذي الحجة، وهو ابن مئة سنة وثلاث سنين.

* * *

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٦٤)، وفيه: «فرسي، وقال: أكثر الناس يصحفونه بالقرشي».

٢١٤ ـ السيد عبد القادر بن محيي الدين أبو محمد بن أبي صالح، عبدالله بن جنكي دوست، الجيليُّ، ثم البغداديُّ، المشهور بالكيلاني، الحنبليُّ الزاهدُ: شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة، صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة، وهو سيد شريف من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره.

ولد سنة سبعين، أو إحدى وسبعين وأربع مئة بكيلان، وكان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، له كتاب «الغُنية لطالبي طريق الحق»، وكتاب «فتوح الغيب».

توفي ليلة السبت، ثامن ربيع الآخر، **سنة إحدى وستين وخمس مئة** بعد المغرب، وله تسعون سنة، ودفن من وقته بمدرسته بباب الأزج ببغداد رضي الله عنه.

* * *

٢١٥ ـ أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبدالله بن أبي يعقوب، يوسف بن عبدالله الجويني: الفقيهُ الشافعيُّ الملقب: ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، أعلمُ المتأخرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق، سار إلى بغداد، ثم إلى الحجاز، وجاور بمكة المشرفة أربع سنين يدرِّس ويفتي، ويجمع طرق المذهب، ولهذا قيل له: إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور.

وصنف في كل فن.

ولـد في ثامن شهـر المحرم، سنـة تسع عشرة وأربـع مئـة، ولما مرض، حمل إلى قرية من أعمال نيسابور، يقال لها: يستقان، موصوفة باعتدال الهواء، وخفة الماء، فمات بها ليلة الأربعاء وقت العشاء الآخرة، الخامس والعشرين من ربيع الآخر، **سنة ثمان وسبعين وأربع مئـة**، ونقل إلى نيسابور تلك الليلة، ودفن من الغد في دارهم، ثم نقل بعـد سنتين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجنب أبيه ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومما رُثي به:

قُلُوبُ العَالَمِينَ عَلَى المَغَـالِي ... وَأَيَّـامُ الـوَرَى شِـبْهُ اللَّيَـالِي

أَيُثْمِرُ غُصْنُ أَهْـلِ العِلْـمِ يَوْمـاً ... وَقَدْ مَاتَ الإِمَامُ أَبُـو المَعَـالِي

وكان تلامذته يومئذٍ قريباً من أربـع مئة واحد، فكسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا على ذلك حولاً كاملاً.

* * *

٢١٦ ـ أبو سعيد عبدُ الملك بن قُرَيـب بن عبد الملك بن صالح[1] **ابن مظهر المعروف بالأصمعي، الباهليُّ**: وإنما قيل له: الباهلي؛ لأنه كان صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والنـوادر، وهـو من أهل

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ١٧٠)، وفيـه: «عبـد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر».

البصرة، وقدم بغداد في أيام الرشيد.

وحُكي عنه أنه قال: رأيت بعض الأعراب يفلي ثيابه، فيقتل البراغيث، ويدع القمل، فقلت: يا أعرابي! لم تفعل هكذا؟ فقال: أقتل الفرسان، ثم أعطِف على الرجّالة.

ولد سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وعشرين ومئة، وتوفي في صفر سنة ست عشرة، وقيل: أربع عشرة، وقيل: سبع عشرة ومئتين بالبصرة، وقيل: بمرو، وله من التصانيف كتب كثيرة جداً.

* * *

٢١٧ ـ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبيُّ النيسابوريُّ: راعي لمعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم قرانه، له من التآليف «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، وشيء كثير من المصنفات.

ولد سنة خمسين وثلاث مئة، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربع مئة.

ونسبته بالثعالبي إلى خياطة جلود الثعالب وعملها؛ لأنه كان فَرَّاء.

* * *

٢١٨ ـ أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، الكلبيُّ، الملقب: ديكُ الجِنِّ: الشاعر المشهور، أصله من أهل سَلَمْية، ومولده بحمص، وهو من شعراء الدولة العباسية.

ولد سنة إحدى وستين ومئة، وعاش بضعاً وسبعين سنة، وتوفي أيام المتوكل سنة خمس، أو ست وثلاثين ومئتين، وكان له جارية يهواها اسمها دنيا، فاتهمها بغلامه وصيف، فقتلها، وندم على ذلك، وأكثر من التغزل فيها، فمن ذلك قوله:

بِأَبِــــي نبَــذْتُكِ بِــــالعَرَاءِ المُقْفِــرِ
وَسَــتَرْتُ وَجْهَــكِ بِــالتُّرَابِ الأَعْفَــرِ
بِأَبِــي نبَـذْتُكِ بَعْـدَ صَـوْنٍ لِلْبِـــلَى
وَرَجَعْتُ عَنْكِ صَبَرْتُ أَمْ لَـمْ أَصْبِــرِ
لَـوْ كُنْـتُ أَقْـدِرُ أَنْ أَرَى أَثَـرَ البِـــلَى
لَتَرَكْــتُ وَجْهَــكِ ضَــاحِياً لَــمْ يُقْبَــرِ

وقال عنه ابن العفيف عند بلوغه ذلك: هذا الذي يقال له: الجنون فنون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مما فعل هذا المجنون الذي فعل بالأحباب ما لا يفعل بالكلاب.

وأخباره ونوادره كثيرة.

* * *

٢١٩ ـ أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة ابن الحجاج بن مطر، التميميُّ السعديُّ: كان شاعراً مجيداً، طاف البلاد، ومدح الملوك، وله ديوان كبير، ولد سنة سبع وعشرين وثلاث مئة،

وتوفي يوم الأحد بعد طلوع الشمس، ثالث شوال، سنة خمس وأربع مئة ببغداد، ودفن في مقبرة الخيزران من الجانب الشرقي، ومن قوله:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ
تَنَوَّعَتِ الأَسْبَابُ وَالدَّاءُ وَاحِدُ

* * *

٢٢٠ ـ أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الروياني، الفقيهُ الشافعيُّ: من رؤوس الأفاضل مذهباً وأصولاً وخلافاً، نقل عنه: أنه قال: لو احترقت كتب الشافعي، لأمليتها من خاطري.

ولد في ذي الحجة، سنة خمس عشرة وأربع مئة، وقتله الملاحدة في جامع آمل يوم الجمعة، في حادي عشر المحرم، سنة اثنتين وخمس مئة بسبب التعصب في الدين ـ رحمه الله ـ.

* * *

٢٢١ ـ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد، المخزوميُّ، الشاعرُ المعروفُ بالببغاء: من أهل نصيبين، له رسائل ونظم، ومن شعره:

وَمُهَفْهَفٍ لَمَّا اكْتَسَتْ وَجَنَاتُهُ
خِلَعَ المَلاَحَةِ طُرِّزَتْ بِعِذَارِهِ

لَمَّـــا انتُـــصَرْتُ عَلَـــى أَلِـــيمِ جَفَائِـــهِ

بِالقَلْـــبِ كَـــانَ القَلْـــبُ مِـــنْ أَنْـــصَارِهِ

كَمُلَـــتْ مَحَاسِـــنُ وَجْهِـــهِ فَكَأَنَّمَـــا اقْـــ

ـــتَبَسَ الهِـــلاَلُ النُّـــورَ مِـــنْ أَنْـــوَارِهِ

توفي يوم السبت، سلخ شعبان، **سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة**، ولُقب بالببغاء؛ لحسن فصاحته، وقيل: للُثغة في لسانه.

* * *

٢٢٢ ـ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة ابن محمد، القشيريُّ، الفقيهُ الشافعيُّ: كان علامة في الفقه والتفسير والحديث، والأصول والأدب والشعر، والكتابة، وعلم التصوف، جمع بين الحقيقة والشريعة، أصله من ناحية أُستوا، [من] العرب الذين قدموا خراسان، صنف «التفسير الكبير»، و«الرسالة» في رجال الطريقة.

ومن شعره:

سَـقَى اللهُ وَقْتـاً كُنْـتُ أَخْلُـو بِـوَجْهِكُمْ

وَثَغْرُ الهَوَى فِي رَوْضَةِ الأُنْسِ ضَـاحِكُ

أَقَمْنَـــا زَمَانـــاً وَالعُيُـــونُ قَرِيـــرَةٌ

وَأَصْـبَحَتُ يَوْمـاً وَالْجُفُـونُ سَـوَافِكُ

ولد في ربيع الأول، سنة ست وسبعين وثلاث مئة، وتوفي صبيحة يوم الأحد قبل طلوع الشمس، سادس عشر ربيع الآخر، سنة خمس وستين وأربع مئة بمدينة نيسابور، ودفن بالمدرسة بجانب شيخه ابن الدَّقاق.

وكان ولده أبو نصر عبد الرحيم إماماً كبيراً، توفي ضحوة نهار الجمعة، سنة أربع عشرة وخمس مئة بنيسابور، ودفن بالمشهد المعروف بقُم، وتنسب إليه هذه الأبيات:

القَلْبُ نَحْوَكَ نَازِعُ
وَالدَّهْرُ فِيكَ مُنَازِعُ

جَرَتِ القَضِيَّةُ بِالنَّوَى
مَا لِلقَضِيَّةِ وَازِعُ

وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي
لِفِرَاقِ وَجْهِكَ جَازِعُ

وتوفي شيخه الدقاق أبو علي الحسين النيسابوري إمام وقته سنة اثنتي عشرة وأربع مئة.

والقشيري: نسبة إلى قشير بن كعب، وهي قبيلة كبيرة.

* * *

٢٢٣ ـ تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر: محمد بن

[أبي] المظفر[1] المنصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن جعفر ابن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع، التميميُّ السمعانيُّ، الفقيه الشافعيُّ، الحافظ، الملقَّب: قوام الدين: رحل في طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، ولقي العلماء، وأخذ عنهم، وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ، وكان إماماً جليلاً.

ولد في ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، سنة سبع وثلاثين وخمس مئة بنيسابور، وتوفي بمرو سنة **أربع عشرة وست مئة**[2].

* * *

٢٢٤ ـ أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس، الأزديُّ الصِّقِلِّيُّ، الشاعر المشهور.

فمن معانيه البديعة قوله من قصيدة أولها:

قُمْ هَاتِهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الوِشَاحِ
فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بَشِيرُ الصَّبَاحِ

---

(١) في الأصل: «بن المظفر بن المنصور»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٠٩).

(٢) في «وفيات الأعيان» (٣/ ٢١٠) وغيره: «ولد الإثنين الحادي والعشرين من شعبان سنة ست وخمس مئة، وتوفي غرة ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمس مئة».

بَـــاكِرْ إِلَـــى اللَّـــذَّاتِ وَارْكَـــبْ لَهَـــا
سَوَابِــــــقَ اللَّهْــــوِ ذَوَاتِ المِـــــزَاحِ

مِـــنْ قَبْـلِ أَنْ تَرْشُــفَ شَـمْسُ الـضُّحَى
رِيــقَ الغَــوَانِي مِـــنْ ثُغُـــورِ الأَقَـــاحِ

توفي في رمضان سنة سبع وعشرين وخمس مئة، وكان قد عمي، وفي أبياته ما يدل على أنه بلغ الثمانين.

* * *

٢٢٥ ـ أبو طالـب عبـد الجبـار بن محمـد بن علي بن محمـد، المعافريُّ: كان إماماً في اللغة وفنون الأدب، ودخل الديار المصرية سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وهو حسن الخط على طريق المغاربـة، وله مكتوب على ظهر كتاب «الذيل في اللغة» بيتان، وهـما:

أُقْـــسِمُ بِـــاللهِ عَلَـــى كُـــلِّ مَـــنْ
أَبْـــصَرَ خَطِّـــي حَيْثُمَـــا أَبْـــصَرَهْ

أَنْ يَـــدْعُوَ الـــرَّحْمَنَ لِـــي مُخْلِــصاً
بِـــالعَفْوِ وَالغُفْـــرَانِ وَالمَغْفِـــرَهْ

والمعافرة: قبيلة كبيرة نسبة إلى المعافر بن يعفر، غالبهم بمصر.

* * *

٢٢٦ ـ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن جعفر، المعروف بابن الصباغ، الفقيهُ الشّافعيُّ: كان فقيه العراقيين في وقته، وكان حجة صالحاً، ومن مصنفاته في الفقه «الشامل»، وهو صحيح النقل، ثابت الأدلة، وله غير ذلك من الكتب المفيدة.

ولي التدريس بالنظامية ببغداد أول ما فتحت، ثم عزل بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت ولايته لها عشرين يوماً، ولما توفي أبو إسحاق، أعيد إليها أبو نصر المذكور.

وبدئ بعمارتها في ذي الحجة، سنة سبع وخمسين وأربع مئة، وفتحت يوم السبت، عاشر ذي القعدة، سنة تسع وخمسين.

ولد سنة أربع مئة ببغداد، وكُفَّ بصره في آخر عمره، وتوفي في جمادى الأولى، سنة سبع وسبعين وأربع مئة ببغداد.

* * *

٢٢٧ ـ القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد ابن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق صاحب الرحبة: كان فقيهاً مالكياً أديباً شاعراً.

صنف في مذهبه كتباً كثيرة، وشرح «الرسالة»، وتولى القضاء ببادرايا وباكسايا، وخرج إلى مصر في آخر عمره، فمات بها، ومن شعره:

مَتَـى تَـصِلُ العِطَـاشُ إِلَـى ارْتِـوَاءٍ
إِذَا اسْـتَقَتِ البِـحَارُ مِـنْ الرَّكَايَـا
وَهَـلْ تُنْبِـي الأَصَـاغِرُ عَـنْ مُـرَادٍ
وَقَـدْ جَلَـسَ الأَكَابِـرُ فِـي الزَّوَايَـا
إِذَا اسْـتَوَتِ الأَسَـافِلُ وَالأَعَـالِي
فَقَـدْ طَابَـتْ مُنَادَمَـةُ المَنَايَـا

ولي القضاء بمدينة أسعرد، وكان مولده نهار الخميس، السابع من شوال، [سنة اثنتين وستين وثلاث مئة ببغداد، وتوفي] **سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة**، وكانت وفاته بمصر، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة الإمام الشافعي، ومن شعره:

بَغْـدَادُ دَارٌ لِأَهْـلِ المَـالِ طَيِّبَـةٌ
وَلِلمَفَـالِيسِ دَارُ الـضَّنْكِ وَالـضِيقِ
ظَلَلْـتُ حَيْـرَانَ أَمْـشِي فِـي أَزِقَّتِهَـا
كَـأَنَّنِي مُـصْحَفٌ فِـي يَـدِ زِنْـدِيقِ

* * *

٢٢٨ ـ عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولى بني عامر: الكاتبُ البليغ المشهور، وبه يضرب المثل في البلاغة، وهو من أهل الشام، وكان أولاً معلم صبية يتنقل في البلدان، وهو أول من أطال الرسائل، واستعمل

التحميدات في فصول الكتب.

وكان كاتبَ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي آخر ملوك بني أمية.

ومن كلامه: خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بِكراً.

وكان كثيراً ما ينشد:

إِذَا خَـرَجَ الكُتَّـابُ كَانَـتْ دُوِيُّهُـمْ
قِسِيّاً وَأَقْلامُ الدُّوِيِّ لَهَا نَبْلا

ولما قتل مروان، استخفى بالجزيرة، فغمز عليه، فأخذ، ودفعه أبو العباس السّفاح إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته، فكان يحمي له طستاً بالنار، ويضعه على رأسه حتى مات.

وقيل: إنما قُتل مع مروان، وكان قتلُ مروان يوم الاثنين، ثالث عشر ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومئة بقرية بوصير من أعمال الفيوم بالديار المصرية.

* * *

٢٢٩ ـ أبو عمرو[١] عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى، البصريُّ الكرديُّ الشهرزوريُّ المعروف بابن الصلاح، الملقب: تقي الدين، الفقيه الشافعيُّ: أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث، والفقه

---

(١) في الأصل: «عمر».

وأسماء الرجال، وله مشاركة في فنون عديدة، وفتاويه مسددة، سافر إلى خراسان، ثم رجع إلى الشام، وتولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس الشريف، ثم انتقل إلى دمشق، وتولى تدريس المدرسة الرواحية، وكان من العلم والدين على قدم عظيم، وله مصنفات، وجمع أصحابه فتاويه في مجلد.

ولد سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وتوفي يوم الأربعاء وقت الصبح، وصُلي عليه بعد الظهر، وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وست مئة بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر.

وتوفي والده في ذي القعدة، سنة ثماني عشرة وست مئة بحلب، ودفن بباب الأربعين، وكان مولده سنة تسع وثلاثين وخمس مئة.

* * *

٢٣٠ ـ أبو الفتح عثمان بن جِنِّي، الموصليُّ النحويُّ المشهورُ: كان إماماً في علم العربية والأدب، وكان أبوه جني مملوكاً رومياً لسليمان ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، وكان أعور، وإلى ذلك أشار بقوله:

صُدُودُكَ عَنِّي وَلاَ ذَنْبَ لِي ... يَدُلُّ عَلَى نِيَّةٍ فَاسِدَهْ

فَقَدْ وَحَيَاتِكَ مِمَّا بَكَيْتُ ... خَشِيتُ عَلَى عَيْنِيَ الوَاحِدَهْ

وَلَوْلاَ مَخَافَةُ أَنْ لاَ أَرَاكَ ... لَمَا كَانَ فِي تَرْكِهَا فَائِدَهْ

ولابن جني المصنفاتُ المفيدة: منها «اللمع»، و«شرح ديوان المتنبي»، وسماه «النشر»، وغير ذلك.

ولد في الثلاثين والثلاث مئة بالموصل، وتوفي يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من صفر، **سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة** ببغداد ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٣١ ـ أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، المصريُّ[١] الفقيهُ المالكيُّ، المعروفُ بابن الحاجب، الملقب: جمال الدين: كان والده حاجباً [للأمير عز الدين][٢] موسك الصلاحي، وكان كردياً، واشتغل ولده بالقاهرة في القرآن، والفقه على مذهب مالك، والعربية، وبرع في علومه، ثم انتقل إلى دمشق، وتبحر في الفنون، وصنف «المختصر» المتداول بين الناس، وغيره، ثم عاد إلى القاهرة، ثم انتقل إلى الإسكندرية، وتوفي بها في ضحى نهار الخميس، سادس عشري شوال، **سنة أربعين وست مئة**[٣]، ودفن خارج باب البحر.

وكان مولده في أواخر سنة سبعين وخمس مئة.

* * *

---

(١) في الأصل: «البصري».

(٢) في الأصل: «لابن»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٥٠)، وفيه: «سنة ست وأربعين وست مئة».

٢٣٢ ـ الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان ابن الحسن بن مروان، الهكاريُّ مسكناً: العبد الصالح المشهور، الذي تنسب إليه الطائفة العدوية، سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، ولد بقرية يقال لها: بيت فار من أعمال بعلبك، والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن، وتوفي سنة سبع، وقيل: **خمس وخمسين وخمس مئة** في بلدة الهكارية، ودفن بزاويته، وعاش تسعين سنة.

* * *

٢٣٣ ـ أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، القرشيُّ الأسديُّ: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وأبوه الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، والزبير ابن صفية عمة النبي ﷺ، وأم عروة أسماءُ بنت أبي بكر الصديق، وهي ذات النطاقين، وإحدى عجائز الجنة، وعروة شقيقُ عبدالله بن الزبير، بخلاف أخيهما مصعب؛ فإنه لم يكن من أمهما.

وكان عالماً صالحاً، وأصابته الأكلة في رجله وهو بالشام، فقُطعت رجله عند الوليد، وهو مشغول عنه بمن يحدثه، فلم يتحرك، ولم يشعر الوليد أنها قطعت حتى كُويت، فوجد رائحة الكي، ولم يترك وِرْدَه تلك الليلة، وعاش بعد قطع رجله ثمان سنين، وهو الذي حفر بئر عروة بالمدينة، وهي منسوبة إليه، وليس بالمدينة بئر أعذب منها.

ولد سنة اثنتين، وقيل: ست وعشرين، وتوفي سنة ثلاث، وقيل: **أربع وتسعين** بقرية يقال لها: فُرع ـ بضم الفاء ـ ناحية الربذة، بينها وبين

المدينة أربعة أميال، وهي ذات نخيل ومياه، ودفن هناك ﷺ.

* * *

٢٣٤ ـ أبو عبدالله عكرمة بن عبدالله، مولى عبدالله بن عباس:
أصله من البربر من أهل المغرب، وكان لحصين بن الحر العنبري، فوهبه لابن عباس حين ولي البصرة لعلي[1] بن أبي طالب، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن، وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها.

روي أن ابن عباس قال له: انطلق فأفت الناس.

وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلمَ منك؟ قال: عكرمة.

ومات مولاه ابن عباس وعكرمةُ على الرق، ولم يعتقه، فباعه ولده علي بن عبدالله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فاستقاله، فأقاله، وأعتقه، وتوفي سنة سبع ومئة، وعمره ثمانون سنة.

* * *

٢٣٥ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروفُ بزين العابدين، ويقال له: علي الأصغر: وليس للحسين عقبٌ إلا من ولد زين العابدين هذا، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، ومن سادات التابعين.

ولد في شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وتوفي سنة أربع وتسعين

(١) في الأصل: «عن علي».

للهجرة بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع في قبر عمه الحسن بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم.

* * *

٢٣٦ ـ أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين المذكور: وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب سنة اثنتين ومئتين، وجعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وكانت ولادة[1] علي المذكور يوم الجمعة، في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومئة بالمدينة، وقيل: بل ولد سابع شوال، وقيل: ثامنه، وقيل: سادسه، سنة إحدى وخمسين ومئة[2]، وتوفي **سنة ثلاث ومئتين** بمدينة طوس، وصلى عليه المأمون، ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد.

* * *

٢٣٧ ـ القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الفقيهُ الشافعيُّ: كان فقيهاً أديباً شاعراً، وهو القائل:

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا

---

(١) في الأصل: «وكان ولاية»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٧٠).

(٢) في الأصل: «إحدى ومئتين»، والصواب ما أثبت كما في «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٧٠).

وله:

مَـــا لِـــي وَمَـــا لَـــكَ يَـــا فِـــرَاقُ
أَبَـــــداً رَحيـــــلٌ وَانْطِـــــلاَقُ

يَـــا بِـــئْسَ مَـــوْتِي بَعْـــدَهُمْ
وَكَـــذَا يَكُـــونُ الاشْـــتِيَاقُ

توفي في سلخ صفر، سنة ست وستين وثلاث مئة بنيسابور، وعمره ست وسبعون سنة، وكان حسن السيرة في قضائه، وكانت وفاته بالري، وهو قاضي القضاة، وقيل: في سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، وحُمل تابوته إلى جرجان من خراسان، ودفن بها، وهي مدينة عظيمة.

* * *

٢٣٨ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، البصريُّ المعروفُ بالماورديِّ، الشافعيُّ: كان من وجوه الفقهاء الشافعية، ومن كبارهم، حافظاً للمذهب، وله: «الحاوي» الذي لم يطالعه أحد إلا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب، وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد، وله شعر حسن.

وقال لما خرج من بغداد راجعاً إلى البصرة:

أَقَمْنَـــا كَـــارِهِينَ لَهَـــا فَلَمَّـــا
أَلِفْنَاهَـــا خَرَجْنَـــا كَارِهِينَـــا

وَمَـــا حُـــبُّ البِـــلاَدِ بِنَـــا وَلَكِـــنْ
أَمَـــرُّ العَـــيْشِ فُرْقَـــةُ مَـــنْ هَوِينَـــا

خَرَجْـــتُ أَقَـــرَّ مَـــا كَانَـــتْ لِعَيْنِـــي
وَخَلَّفْـــتُ الفُـــؤَادَ بِهَـــا رَهِينَـــا

وإنما قال ذلك؛ لأنه من أهل البصرة، فشق عليه فراقها.

توفي يوم الثلاثاء، سلخ ربيع الأول، **سنة خمسين وأربع مئة**، وعمره ست وثمانون سنة.

والماوردي: نسبة إلى بيع الماورد.

* * *

٢٣٩ ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر[١] إسحاق بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ: وإليه تنسب الطائفة الأشعرية.

ولد سنة سبعين ومئتين بالبصرة، وتوفي **سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة**، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وقيل: سنة ثلاثين، ودفن بين الكرخ وباب البصرة، وكان أولاً معتزلياً، ثم تاب من القول بالعزل وخلق القرآن وردَّ على المعتزلة، وضبط له من التصانيف خمسة وخمسون مصنفاً.

* * *

(١) في الأصل زيادة: «بن».

٢٤٠ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبريُّ، الملقب: عماد الدين، المعروف بالكياالهراسي، الفقيهُ الشافعيُّ: كان من أهل طبرستان، وخرج إلى نيسابور، وكان حسن الوجه، جهوري الصوت، فصيح العبارة، ثم خرج من نيسابور إلى العراق، وتولى النظامية ببغداد إلى أن توفي، وتولى القضاء.

وسئل عن يزيد بن معاوية، فأفتى بفسقه، وأفتى أبو حامد الغزالي بخلاف ذلك، وبعدم جواز لعن يزيد، وباستحباب الترحم عليه، وبفسق من لعنه.

وكانت ولادة الكيا في ذي القعدة، سنة خمسين وأربع مئة، وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم، سنة أربع وخمس مئة ببغداد، ودفن بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ولما دفن، وقف قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني على قبره، وقال:

عَقُمَ النِّسَاءُ فَلاَ يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ... إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ لَعَقِيمُ

والكيا بالعجمية: الكبير القدر، المقدم بين الناس ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٤١ ـ أبو الحسن[١] علي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن

---

(١) في الأصل: «المحاسن»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٩٠).

علي بن أبي الغيث، المقدسيُّ الأصل، الإسكندرانيُّ المولد، المالكيُّ المذهب: كان فقيهاً فاضلاً، من أكابر الحفاظ في الحديث والعلوم. صحب السِّلَفي، والمنذري، وبهما انتفع، وأنشد للمنذري:

ثَلاَثُ بَاءَاتٍ بُلِينَا بِهَا ... البَقُّ وَالبُرْغُوثُ وَالبَرْغَشُ
ثَلاَثَةٌ أَوْحَشُ مَا فِي الوَرَى ... وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّهَا أَوْحَشُ

وكان ينوب في الحكم بثغر الإسكندرية، ودرَّس بالمدرسة المعروفة به هناك، ثم انتقل إلى القاهرة، ودرس بها إلى حين وفاته، وتوفي في مستهل شعبان، سنة إحدى عشرة وست مئة، عن سبعة وستين سنة.

* * *

٢٤٢ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي، الفقيهُ الأصولي، الملقب: سيف الدين، الآمديُّ: كان في أول اشتغاله حنبلياً، واشتغل في ذلك مدة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، ثم انتقل إلى الشام من بغداد، ثم انتقل إلى الديار المصرية، وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي، وتصدر بالجامع الظاهري، ولما اشتهر فضله، حسده جماعة من الفقهاء، وتعصبوا عليه، ونسبوه إلى فساد العقيدة، والتعطيل، ومذهب الفلاسفة والحكماء[1]، وكتبوا محضراً

---

(١) جاء على هامش الأصل مغاير: «وسمعت ممن سمع من علماء الروم أنهم نسبوه إلى تلك العقيدة، لعل ذلك كان شعبة من شعب ذلك الحسد».

يتضمن ذلك، ووضعوا خطوطهم بما يُستباح به الدم، ثم حُمل المحضر إلى رجل فيه عقل ومعرفة ليكتب فيه مثلَهم، فقال:

حَسَدُوا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ
فَالقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الحَسْنَا يَقُلْنَ لِوَجْهِهَا
حَسَداً وَبُؤْساً إِنَّهُ لَدَمِيمُ

وكتب فلان بن فلان.

ولما رأى سيف الدين تعصبهم، ترك البلاد، وخرج مستخفياً إلى الشام، واستوطن حماة، ثم انتقل إلى دمشق، [ودرس] بالعزيزية، ثم عُزل عنها لسبب اتهم به، وأقام بطالاً في بيته، وتوفي على ذلك في رابع صفر، **سنة إحدى وثلاثين وست مئة**، وله تصانيف مفيدة تزيد عن عشرين مصنفاً.

* * *

٢٤٣ ـ أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن فيروز، الأسديُّ بالولاء، الكوفيُّ المعروفُ بالكسائي، أحدُ القراء السبعة: كان إماماً في النحو واللغة والقرآن، ولم يكن له في الشعر يد، توفي **سنة تسع وثمانين ومئة** بالري، وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد، وكان الرشيد يقول: دفنت الفقه والعربية بالري، ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٤٤ ـ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهـدي، البغداديُّ الدارقطنيُّ الحافظُ المشهور: كان عالماً حافظاً، فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي، وشهد يوماً عنـد القاضي ابن معروف، ثم ندم في سنـة ست وسبعين وثـلاث مئـة، وقال: [كـان] يقبـل قـولي على رسـول الله ﷺ بانفرادي، وصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع آخر! وصنف «السنن»، و«المختلف والمؤتلف»، وغيرهم.

وخرج من بغداد إلى مصر، وحصل له خير ورزق واسع.

ولد في ذي القعدة، سنة ست وثلاث مئـة، وتوفي يوم الأحـد، لثمانٍ خلون من ذي القعـدة، وقيل: ذي الحجـة، **سنة خمس وثمانين وثلاث مئة ببغداد**، ودفن قريباً من معروف الكرخي في مقبرة باب الدير.

والدارقطني: نسبة إلى دار القطن ببغداد، وكانت محلة كبيرة.

* * *

٢٤٥ ـ أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، المعروفُ بالأخفش الأصغر، النحويُّ: كان عالماً ثقة، وهو غير الأخفش الأكبر، والأخفش الأوسط.

وكان الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هَجَر من مواليهم، وكان نحوياً لغوياً.

والأوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، صاحب سيبويه.

وكان وفاته في ذي القعدة، وقيل: في شعبان، سنة خمس عشرة،

أو ست عشرة وثلاث مئة فجأة ببغداد.

والأخفش: هو صغير العين.

وكان الأخفش كثيراً ما ينشد، ويملي على الناس:

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي غَيْرُ جَائِيكَا ... وَإِنَّنِي غَيْرُ مَاشٍ فِي نَوَاحِيكَا

واللهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِزِينَتِهَا ... وَادٍ بِكَفِّكَ لَمْ أَحْلُلْ بِوَادِيكَا

وَلَوْ مَلَكْتَ رِقَابَ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... شَرْقاً وَغَرْباً لَمَا جِئْنَا نُهَنِّيكَا

* * *

٢٤٦ ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي: صاحبُ التفاسير المشهورة، وكان أستاذ عصره في النحو والتفسير، وصنف فيه «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه الثلاثة، وتوفي عن مرض طويل في جمادى الآخرة، **سنة ثمان وستين وأربع مئة** بمدينة نيسابور.

* * *

٢٤٧ ـ أبو القاسم الحافظ علي بن محمد بن الحسين بن هبة الله أبي الحسن[1]، المعروفُ بابن عساكر، الدمشقيُّ، الملقب ثقة الدين: كان محدث الشام، ومن أعيان الشافعية، رحل إلى بغداد، وخراسان،

---

(١) في «وفيات الأعيان» وغيره: «علي بن أبي محمد، الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبدالله».

ونيسابور، وهراة، وأصبهان، والجبال، وصنف التصانيف، و«التاريخ الكبير الدمشقي» في ثمانين مجلدة، أتى فيه بالعجائب، وله شعر حسن، منه ـ وقد التزم الزاي قبل اللام ـ:

تَوَلَّى شَبَابِـــي كَـأَنْ لَـمْ يَكُـن ... وَجَاءَ المَشِيبُ كَـأَنْ لَـمْ يَـزَلْ

كَـأَنِّي بِـنَفْــسِي عَلَـى غِـرَّةٍ ... وَخَطْبُ المَنُـونِ بِهَـا قَـدْ نَـزَلْ

فَيَا لَيْـتَ شِـعْرِي ممَـنْ أَكُـونُ ... وَمَـا قَـدَّرَ اللهُ لِـي فِـي الأَزَلْ

ولد في أول المحرم، سنة تسع وتسعين وأربع مئة، وتوفي ليلة الاثنين، الحادي عشر من شهر رجب، سنة إحدى وسبعين وخمس مئة بدمشق، وحضر الصلاةَ عليه السلطان صلاح الدين، ودفن عند والده بباب الصغير ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٤٨ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد الهمداني، المصريُّ السخاويُّ المقرئ النحويُّ، الملقب: علم الدين: اشتغل بالقاهرة على الشاطبي، ثم انتقل إلى دمشق، وتقدم بها على علماء فنه، وله خطب وأشعار، توفي بدمشق، ليلة الأحد، ثاني عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وست مئة، عن تسعين سنة.

ولما حضرته الوفاة، أنشد لنفسه:

قَالُوا غَـداً تَـأْتِي دِيَـارَ الحِمَـى ... وَيَنْـزِلُ الرَّكْـبُ بِمَغْنَـاهُمُ

وَكُـلُّ مَـنْ كَـانَ مُطِيعـاً لَهُـمْ　　أَصْـبَحَ مَـسْرُوراً بِلُقْيَـاهُمُ

قُلْـتُ فَلِـي ذَنْـبٌ فَمَـا حِيلَتِـي　　بِـأَيِّ وَجْـهٍ أَتَلَقَّـاهُمُ

قَالُوا أَلَيْسَ العَفْـوُ مِـنْ شَـأْنِهِمْ　　لاَ سِـيَّمَا عَمَّـنْ تَرَجَّـاهُمُ

* * *

٢٤٩ ـ أبو الحسن علي بن هلال، المعروفُ بابن البواب، الكاتبُ المشهور: لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله، ولا قارَبَه، وكان أبوه بواباً، فلهذا نسب إليه، وكان شيخه في الكتابة ابن أسد الكاتب، وتوفي في ثاني جمادى الأولى، **سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة** ببغداد، ودفن بجوار الإمام أحمد.

وأول من [خَطَّ] بالعربي: إسماعيل ـ عليه السلام ـ، وقيل: مرامر ابن مرة من أهل الأنبار، ومنه انتشرت الكتابة في الناس، وجميع كتابات الأمم من سكان الشرق والغرب اثنا عشر كتابة: العربية، والحميرية، واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية، والهندية، والصينية.

فخمسٌ منها بطل استعمالها، واضمحلت، وذهب من يعرفها، وهي: الحميرية، واليونانية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية.

وثلاث قد بقي استعمالها في بلادها، وعدم من يعرفها في بلاد الإسلام، وهي: الرومية، والهندية، والصينية.

وحصلت أربع، وهي: العربية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية.

* * *

٢٥٠ ـ أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي، مولى عبيدالله بن جعفر بن المنصور، الشاعرُ المشهور: صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، فمن ذلك قوله:

وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأً لِنَوَالِهِ ... وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ هِجَاءَهُ

لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فِيهِ بُعْدَ المُسْتَقَى ... عِنْدَ الوُرُودِ لَمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ

ولد في رجب، سنة إحدى وعشرين ومئتين ببغداد، وتوفي في ثاني جمادى الأولى، **سنة ثلاث وثمانين ومئتين.**

وكان سبب موته: أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبدالله وزيرَ الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه، وفَلَتات لسانه بالفحش، فدسَّ عليه ابنَ فراس، فأطعمه خشتنانكه مسمومة وهو في مجلسه، فلما أكلها أحسَّ بالسم فقام، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ قال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال: سلِّم على والدي، فقال له: ما طريقي على النار، وخرج من مجلسه، وأتى منزله، فكان الطبيب يتردد إليه، ويعالجه بالأدوية النافعة للسم، فزعم أنه غلط عليه في بعض العقاقير.

* * *

٢٥١ ـ أبو القاسم علي بن إسحاق بن خلف، البغداديُّ، المعروفُ بالزاهي: الشاعرُ المشهور، توفي في جمادى الآخرة، **سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة** ببغداد، ودفن بمقابر قريش، ومن شعره:

وَلَـمْ أَخْلَـعْ عِـذَارِي فِيـكَ إِلاَّ ... لِمَا عَايَنْتُ مِـنْ حُسْنِ العِـذَارِ
وَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ حَسَنٍ وَلَكِـنْ ... عَلَيْكَ لِشِقْوَتِي وَقَـعَ اخْتِيَـارِي

والزاهي: نسبة إلى قرية من قرى نيسابور، ونسب إليها جماعة.

* * *

٢٥٢ ـ أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البُسْتي: الشاعر المشهور، صاحبُ الطريقة الأنيقـة في تجنيس الأنيس البديع التأسيس؛ فمن ألفاظه البديعة قوله: من أصلح فاسدَه، أرغم حاسدَه، من أطاع غضبه، أضاع أدبَه، عاداتُ السادات سادات العادات.

ومن شعره:

إِذَا تَحَدَّثْتَ فِي قَـوْمٍ لِتُؤْنِـسَهُمْ ... بِـمَا تُحَدِّثُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ
فَـلاَ تَعُـدْ لِحَـدِيثٍ إِنَّ طَـبْعَهُمُ ... مُوَكَّـلٌ بِمُعَـادَاةِ المُعَـادَاتِ

وتوفي سنة أربع مئة ببخارى ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٥٣ ـ أبـو الحـسن علي بن الحـسن بن علي بن أبـي الطيـب، الباخرزيُّ، الشاعر المشهور: كان أوحد عصره في فضله وذهنه، كان في شبابه مشتغلاً بالفقـه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، ثم شرع في فن الكتابـة، ورأى من الدهر العجائب سفراً وحضراً، وغلب أدبه على فقهه، فاشتهر به، وله ديوان شعر، فمن معانيه الغريبة قوله:

وَإِنِّــي لأَشْــكُو لَــسْعَ أَصْــدَاغِكَ الَّتِــي
عَقَارِبُهَـــا فِـــي وَجْنَتَيْـــكَ تَحُـــومُ

وَأَبْكِــي لِــدُرِّ الثَّغْــرِ مِنْــكَ وَلِــي أَبٌ
فَكَيْــفَ يُــدِيمُ الـضِـحْكَ وَهْــوَ يَتِـيمُ

وقوله من جملة أبيات:

يَــا فَــالِقَ الــصُّبْحِ مِــنْ لأْلاَءِ غُرَّتِــهِ
وَجَاعِــلَ اللَّيْــلِ مِــنْ أَصْــدَاغِهِ سَــكَنَا

بِـــصُورَةِ الـــوَثَنِ اسْــتَعْبَدْتَنِي وَبِهَــا
فَتَنْتَنِــي وَقَــدِيماً هِجْــتَ لِــي شَــجَنَا

لاغَرْوَ أَنْ أَحْرَقَتْ نَـارُ الهَـوَى كَبِـــدِي
فَإِنَّـــهُ حَـــقٌّ عَلَـــى مَـــنْ يَعْبُـــدُ الوَثَنَـــا

وقتل الباخرزي بباخرز في ذي القعـدة، **سنة سبع وستين وأربع مئة**، وذهب دمُه هدراً.

وباخرز: ناحيـة من نواحي نيسابـور، تشتمل على قرى ومزارع، خرج منها جماعة من الفضلاء وغيرهم.

* * *

٢٥٤ ـ جمال الملك أبـو القاسم علي بن أفلح العبسي: الشاعرُ المشهور، مدح الخلفاء فمَنْ دونَهم، ولقي الرؤساء، وله ديوان جيد،

فمنه يخاطب محبوبه:

يَــا جَــاهِلاً قَــدْرَ المَحَبَّــةِ سَــاءَنِي
مَــا ضَــاعَ مِــنْ كَلَفِــي وَمِــنْ تَبْرِيحِــي

سِــيَّانِ عِنْــدَكَ مُغْــرَمٌ بِــكَ هَــائِمٌ
وَخَلــيٌّ قَلْــبٍ فِيــكَ غَيْــر قَــرِيحِ

لَــوْ كُنْــتُ أَعْلَــمُ أَنَّ طَبْعَــكَ هَكَــذَا
لَمْ أَعْصِ يَــوْمَ نُـصِحْتُ فِيكَ نَـصِيحي

مَــا كَــانَ فِــي عَزْمِــي الــسُّلُوُّ وَإِنَّمَــا
أَلْزَمْتَنِيــــهِ بِكَثْــــرَةِ التَّقْبِيــــحِ

توفي يوم الخميس، ثاني شعبان، سنة خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع وثلاثين وخمس مئة، وعمره أربع وستون سنة، وأربعة عشر يوماً، ببغداد، ودفن بالجانب الغربي بمقابر قريش ـ رحمه الله ـ.

* * *

٢٥٥ ـ أبو الحسن علي بن رستم بن هردوز، المعروفُ بابن الساعاتي، الملقَّب: بهاء الدين: الشاعر المشهور، له ديوان جيد، وديوان آخر لطيف سماه: «مقطعات النيل»، ومن شعره:

وَلَقَــدْ نَزَلْــتُ بِرَوْضَــةٍ حَزْنِيَّــةٍ
رَتَعَــتْ نَوَاظِرُنَــا بِهَــا وَالأَنْفُــسُ

فَظَلَلْتُ أَعْجَبُ حَيْثُ يَحْلِفُ صَاحِبِي
وَالمِسْكُ مِنْ نَفَحَاتِهَا يَتَنَفَّسُ
مَا الْجَوُّ إِلاَّ عَنْبَرٌ وَالدَّوْحُ إِلاَّ
جَوْهَرٌ وَالرَّوْضُ إِلاَّ سُنْدُسُ
سَفَرَتْ شَقَائِقُهَا فَهَمَّ الأُقْحُوَا
نُ بِلَثْمِهَا وَرَنَا إِلَيْهِ النَّرْجِسُ
فَكَأَنَّ ذَا ثَغْرٌ وَذَا خَدٌّ يُحَا
وِلُهُ وَذَا أَبَداً عُيُونٌ تَحْرُسُ

توفي في الثالث والعشرين من شهر رمضان، **سنة أربع وست مئة** بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم، وعمرُه إحدى وخمسون سنة، وستة أشهر، واثنا عشر يوماً، ولد بدمشق.

* * *

٢٥٦ ـ أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف[١] بن أحمد بن عبيدالله بن الحسين بن أحمد بن جعفر، الآمديُّ الأصل، الواسطيُّ الدار والمولد، وهو من بيت معروف بواسط بالصلاح والرواية والعدالة، قدم بغداد، وأقام بها مدة متفقهاً على مذهب الشافعي، وتولى القضاء بواسط في أواخر صفر، سنة أربع وست مئة، وله معرفة بالحساب،

---

(١) في الأصل: «بن يوسف».

وأشعار رائقة، فمن ذلك قوله:

وَاهــاً لَــهُ ذَكَــرَ الحِمَــى فَتأَوَّهَــا
وَدَعَــا لَــهُ دَاعِــي الــصِّبَا فَتَوَلَّهَــا

هَاجَــتْ بَلاَبِــلَهُ البَلاَبِــلُ فَانْثَنَــتْ
أَشْــجَانُهُ تُنْبِــي عَــنِ الحكــم النُّهَــى

فَــشَكَا جَــوًى وَبَكَــى أَسًــى وَتَنَبَّــهَ الْــ
ــوَجْدُ القَــدِيمُ وَلَــمْ يَــزَلْ مُتَنَبِــهَا

قَــالُوا وَهَــى جلــداً وَلَــوْ عَلِــقَ الهَــوَى
بِــيَلَمْلَمٍ يَوْمــاً تَــأَوَّهَ أَوْ وَهَــى

يَــا عُتْــبُ لا عَتْــبٌ عَلَيْــكِ فَــسَامِحِي
وَصِــلِي فَقَــدْ بَلَــغَ الــسَّقَامُ المُنْتَهَــى

عَلِمَــتْ بِــأَنَّ الجِــزْعَ مَيْــلُ غُــصُونِهِ
لَمَّــا خَطَــرْتِ عَلَيْــهِ فِــي حُلَــلِ البَهَــا

وَمَنَحْــتِ غُــنْجَ اللَّحْــظِ غِــزْلاَنَ النَّقَــا
فَلِــذَاكَ أَحْــسَنُ مَــا يُــرَى عَــيْنُ المَهَــا

لَــوْلاَ دَلاَلُــكِ لَــمْ أَبِــتْ مُتَقَــسِّمَ الْــ
ــعَزَمَاتِ مَــسْلُوبَ الرُّقَــادِ مُنَبَّهَــا

لِـي أَرْبَـعٌ شُـهَدَاءُ فِـي حِفْـظِ الـوَلاَ
دَمْـــعٌ وَحُـــزْنٌ مُفْــرِطٌ ويـــدلها

وَبَلابِـــــلٌ تَعْتَــادُنِي لَــوْ أَنَّهَـــا
يَوْمـاً غَـدَتْ مِثْلِـي لأَصْـبَحَ كَالـسُّهَا

لاَمَ العَـذُولُ عَلَـى هَـوَاكِ وَمَـا ارْعَـوَى
وَنَهَـاهُ عَنْـكِ اللاَّئِمُـونَ وَمَـا انْتَهَـى

قَـــالُوا اشْـــتَهَاكِ وَقَـــدْ رَآكِ مَلِيحَـــةً
عَجَبــاً وَأَيُّ مَلِيحَـــةٍ لاَ تُـــشْتَهَى

أَنَـا أَعْـشَقُ العُـشَّاقَ فِيـكِ فَـلاَ أَرَى
مِثْلِـي وَلاَ لَـكِ فِـي المَلاَحَـةِ مُـشْبِهَا

وله غيرها أشعار رقيقة، وتوفي سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، عن تسعين سنة، بواسط.

* * *

٢٥٧ ـ عماد الدولة أبو الحسن علي بن بُويه الديلمي، صاحبُ بلاد فارس، كان أبوه صياداً، وليست لـه معيشة إلا من صيد السمك، وكان له إخوة هو أكبرهم: ركن الدولة، ومعـز الدولة وغيرهما، وكان عمـاد الدولـة سبب سعادتهم، وانتشارِ صيتهم، فاستولى على البلاد، وملكوا العراقين، والأهـواز، وفارس، وساسوا أمـور الرعيـة، وملك

عمادُ الدولة في أول ملكه شيراز، ثم تمكن حاله، واستقرت قواعده، وتوفي في جمادى الأولى، **سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة** بشيراز، ودفن بدار المملكة، وأقام ستة عشر [سنة] في الملك.

* * *

٢٥٨ ـ أبو حسن علي بن منقذ بن نصر، الملقب: سديد الملك صاحبُ قلعة شَيْزَر: وهو أول من ملكها من بني منقذ، وكان شجاعاً، غضب على مملوكه، فقال:

أَسْطُو عَلَيْهِ وَقَلْبِي لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ
كَفَّيَّ غَلَّهُمَا غَيْظاً إِلَى عُنُقِي
وَأَسْتَعِيرُ إِذَا عَاتَبْتُهُ حَنَقاً
وَأَيْنَ ذُلُّ الهَوَى مِنْ عِزَّةِ الحَنَقِ

وكان موصوفاً بقوة الفطنة.

وحكي: أن تاج الملوك محمود بن صالح صاحب حلب تقدم إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه، ويستدعيه إليه، وفهم الكاتب أنه يقصد له شراً، وكان صديقاً له، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ: إن شاء الله تعالى، وشدَّد النونَ وفتحَها، فلما وصل الكتاب إليه، قرأه، وأجاب عنه بما اقتضاه الحال، وكتب في جملة الكتاب: أنا الخادم المقر بالإنعام، وكسر الهمزة من: أنا، وشدد النون، فلما وصل الكتاب إلى محمود، وقف عليه الكاتب،

وسُـرَّ بما فيـه، وكان الكاتب قـد قصـد قـول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[القصص: ٢٠].

فأجاب سديد الملك: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾[المائدة: ٢٤]، فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه، **وتوفي سنة خمس وسبعين وأربع مئة.**

* * *

٢٥٩ ـ الفقيـه أبـو محمـد عمـارة بن أبي الحسن بن ريـدان[1]، الحكميُّ اليمنيُّ، الملقبُ: نجم الدين، الشاعرُ المشهور: من تهامـة باليمن من مدينة يقال لها: مرطان، وبها مولده، رحل إلى زبيد، وحج سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وسيره قاسم بن هاشم بن فليتة صاحبُ مكة رسولاً إلى الديار المصرية، فدخلها سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وصاحبها يومئذٍ الفائزُ بن الظافر، والوزير الصالح بن رُزيك، وأنشد في تلك الدفعة قصيدته الميمية التي يقول فيها:

الحَمْـدُ لِلعِـيسِ بَعْـدَ العَـزْمِ وَالهِمَـمِ
حَمْـداً يَقُـومُ بِـمَا أَوْلَيْـتَ مِـنْ نِعَـمِ

لاَ أَجْحَـدُ الحَـقَّ عِنْـدِي لِلرِّكَـابِ يَـدٌ
تَمَنَّـتِ اللُّجْـمُ فِيَهـا رُتْبَـةَ الخُطُـمِ

---

(١) في الأصل: «زيد».

ومنها:

سَـرَيْتُ مِـنْ كَعْبَـةِ البَطْحَـاءِ وَالحَـرَمِ

وَفْـداً إِلَـى كَعْبَـةِ المَعْـرُوفِ وَالكَـرَمِ

فَهَـلْ دَرَى البَيْـتُ أَنِّـي بَعْـدَ فُرْقَتِـهِ

مَـا سِـرْتُ مِـنْ حَـرَمٍ إِلاَّ [إِلَـى] حَـرَمِ

وزالت دولـة الفاطميـة وهو في البلاد، ولمَّا ملك صلاح الدين، مدحه، ومدح جماعـة من أهل بيته، ثم إنـه شرع في أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب مع المصريين، وإعادة دولتهم، فأحسَّ بهم صلاح الدين، وكانوا ثمانيـة، من جملتهم الفقيـه عمارةُ المذكور، فمسكهم، وشنقهم، وذلك في يوم السبت، ثاني شهر رمضان، **سنة تسع وستين وخمس مئة** بالقاهرة.

ويقال: إن القاضي الفاضل من جملة من أشار على الملك الصالح بقتله، فإنه استشاره في أمره، فقال له: نضربه؟ فقال: الكلب يُضرب، فيزيـد نبَحـه، فقال: نحبسه؟ فقال: يطول لسانـه، فقال: نقتله؟ قال: الملوك إذا فعلت شيئاً، لم يعارضها أحد، فعلم المقصود، وقتله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

* * *

٢٦٠ ـ أبو القاسم عمر بن أبي علي الحسين بن عبدالله بن أحمد، الخرقيُّ الحنبليُّ: كان من أعيان الفقهاء الحنابلة، وصنف في مذهبهم

كتباً كثيرة، من جملتها: «المختصر»، وكان أودعها بغداد لمَّا عزم على السفر إلى دمشق، فغرِقت في غيبته، وتوفي بدمشق سنة **أربع وثلاثين وثلاث مئة**.

* * *

٢٦١ ـ أبو حفص عمر بن محمد بن عبدالله البكري، الملقب: شهاب الدين السهرورديُّ، ونسبه متصل بأبي بكر الصديق: كان فقيهاً شافعي المذهب، شيخاً صالحاً، ولم يكن في آخر عمره مثله، وكان شيخ الشيوخ ببغداد، وله نفس مبارك.

حكى من حضر مجلسه: أنه أنشد يوماً على الكرسي:

لاَ تَسْقِنِي وَحْدِي فَمَا عَوَّدْتَنِي
أَنِّي أَشِحُّ بِهَا عَلَى جُلاَّسِي

أَنْتَ الكَرِيمُ وَلاَ يَلِيقُ تَكَرُّماً
أَنْ يَعْبُرَ النُّدَمَاءَ دَوْرُ الكَاسِ

وله تآليف حسنة، منها: كتاب «عوارف المعارف».

ومولده بسهرورد في أوائل شعبان، وتوفي سنة **اثنتين وثلاثين وست مئة** ببغداد، ودفن من الغد بالوردية.

* * *

٢٦٢ ـ أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي،

الحَمَويُّ الأصل، المصريُّ المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض: المنعوت بالشرف، له ديوان لطيف، وما ألطفَ قوله من جملة قصيدة طويلة يقول فيها:

أَهْلاً بِمَا لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِمَوْقِعِهِ
قَوْلُ المُبَشِّرِ بَعْدَ اليَأْسِ بِالفَرَجِ

لَكَ البِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ
ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ

وقوله من قصيدة أخرى:

لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلا تُضِعْ
سَهَرِي بِتَشْنِيعِ الخَيَالِ المُرْجِفِ

وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ زَارَ الكَرَى
جَفْنِي؟ وَكَيْفَ يَزُورُ مَنْ لَمْ يُعْرَفِ؟

وَعَلَى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ لِحُسْنِهِ
يَفْنَى الزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوصَفِ

كان رجلاً صالحاً، ترنم يوماً وهو في خلوة ببيت الحريري صاحبِ المقامات، وهو:

مَنْ هُوَ الَّذِي مَا سَاءَ قَطْ
وَمَنْ لَهُ الحُسْنَى فَقَطْ

قال: فسمع قائلاً، ولم ير شخصَه:

مُحَمَّـــــدُ الهَـــادِي الَّـــذِي
عَلَيْـــهِ جِبْرِيـــلُ هَـــبَطْ

ولد في الرابـع من ذي القعـدة، سنة سـت وسبعين وخمس مئـة بالقاهرة، توفي بها يوم الثلاثاء، ثالث جمادى الأولى، **سنة اثنتين وثلاثين وست مئة**، ودفن من الغد بسفح المقطَّم.

وللناس في نظمـه كلام كثيـر، وأهل العلم يؤولون كلامـه بتأويل حسن، وتعصَّب عليه فرقـة يسيرة تكلموا فيـه بما لا يليق، ونسبوه إلى الزندقـة، وكان منهم أصحـاب مناصـب، ومن هـو متعين، فانتقم الله منهم، وخرجت وظائفهم، ولزموا بيوتهم نادمين، وأخرج بعضهم من القاهرة، وكان عيناً بها، وهـو برهان الدين البقاعي، نفاه السلطان إلى دمشق، وتخلفن بها إلى أن مات.

ورئي مكتوباً بضريح الشيخ عمر بالقرافة [. . . .]:

إنَّ البُقَـاعِي بِـــمَا قَـدْ قَالَـهُ مُطَالَــبُ
لاَ تَحْـــسَبُوهُ سَـــالِماً فَقَلْبُـــهُ يُعاقَـــبُ

[. . . .] هذا القلب.

والفارض ـ بفتح الفاء، وبعـد الألف راء مكسورة، وبعدها صاد معجمة ـ: نسبة إلى كتابه «فروض النساء على الرجال».

* * *

٢٦٣ ـ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب: سيبويه: مولى بني الحارث بن كعب، وكان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يصنع فيه مثل كتابه، وحاله مذكور، وفضله مشكور، خرج من بغداد بسبب تعصب وقع عليه في مسألة، والصواب معه، وقصد بلاد فارس، فتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها: البيضاء في **سنة ثمانين ومئة**، وعمره نيف وأربعون سنة.

وسيبويه: لقب فارسي، معناه بالعربية: رائحة التفاح، وقيل: سمي سيبويه؛ لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال.

* * *

٢٦٤ ـ أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحصين، التميميُّ المازني البصريُّ: كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد سنة سبعين، وقيل: خمس وستين للهجرة، وتوفي سنة أربع، وقيل: **تسع وخمسين ومئة** بالكوفة.

* * *

٢٦٥ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الكنانيُّ الليثيُّ، المعروفُ بالجاحظ، البصريُّ: العالم المشهور، صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنسب الطائفة الجاحظية من

المعتزلة، وإنما قيل له: الجاحظ؛ لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ: النتوء، وكان قد أصابه الفالج في آخر عمره، فكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور؛ لشدة حرارته، والنصف الأيسر لو قُرض بالمقاريض، ما أحسَّ من خَدَره وشدة برده.

توفي في المحرم، سنة خمس وخمسين ومئتين بالبصرة، وقد نَيَّف على التسعين سنة.

* * *

٢٦٦ ـ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، اليَحْصُبِيُّ السَّبْتِيُّ: إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو واللغة، وكلام العرب وأنسابهم، وله التصانيف المفيدة، منها: كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ»، وغيره من الكتب الجليلة، دخل الأندلس، وأخذ بقرطبة عن جماعة، ثم ولي قضاء غرناطة، وله شعر حسن، فمنه في خامات زرع بينها شقائق النعمانِ هبت عليه ريح:

انْظُرْ إِلَى الزَّرْعِ وَخَامَاتِهِ
يَحْكِي وَقَدْ مَاسَتْ أَمَامَ الرِّيَاحْ

كَتِيبَةً خَضْرَاءَ مَهْزُومَةً
شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِيهَا الجِرَاحْ

الخامة: القصبة الرطبة من الزرع.

ومدحه أبو الحسن بن هارون المالقيُّ الفقيه الشاعر، فقال:

ظَلَمُــوا عِيَاضــاً وَهْــوَ كَــائِنُ بَيْــنَهُمْ

وَالظُّلْــمُ بَــيْنَ العَــالَمِينَ قَــدِيمُ

جَعَلُـوا مَكَـانَ الـرَّاءِ عَيْنـاً فِـي اسْـمِهِ

كَــيْ يَكْتُمُــوهُ وَإِنَّــهُ مَعْلُــومُ

لَــوْلاَهُ مَــا فَاحَــتْ أَبَــاطِحُ سَــبْتَةٍ

وَالــرَّوْضُ حَــوْلَ قِبَابِــهَا مَعْــدُومُ

روى عن مشايخ يقاربون المئة، ولد بمدينة سبتة في نصف شعبان، سنة ست وسبعين وأربع مئة، وتوفي بمراكش يوم الجمعة، سابع جمادى الآخرة، سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

* * *

٢٦٧ ـ أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن المراكشي ابن أبي زيد ابن إسحاق، وقيل: اسمه عبدالله بن بلال بن عبد الرحمن بن إسحاق النغزاويُّ القيروانيُّ المالكيُّ: والنغزاوي مولى لنغزاوة: قبيلة من قبائل إفريقية، وهو صاحب «الرسالة» في مذهب الإمام مالك ﷺ، وغيرها.

ولـد ﵁ في سنة ثمـان عشرة وثلاث مئـة، ومات في سنة ثمـان وثمانين وثلاث مئة، وعمره سبعون سنة، وفضائله كثيرة، وكان حافظاً لمذهب مالك، حتى قيل فيه: مالك الصغير ـ رحمة الله عليه ـ.

* * *

٢٦٨ ـ أبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام الإربليُّ، المعروفُ بالحاجريِّ، الملقب: حسام الدين: وهو جندي، وله ديوان شعر تغلب عليه الرِّقة، فمن شعره:

مَـــا زَالَ يَحْلِــفُ لِــي بِكُـــلِّ آيَـــةِ
أَنْ لاَ يَــزَالُ مَــدَى الزَّمَــانِ مُـصَاحِبِي

لَمَّـــا جَفَـــا نَـــزَلَ العِـــذَارُ بِخَـــدِّهِ
فَتَعَجَّبُـــوا لِـــسَوَادِ وَجْـــهِ الكَـــاذِبِ

وقال وهو في السجن لواقعة كانت سبباً في ذلك:

أَحْبابَنَـــا أَيُّ دَاعٍ بِـالبِـــعَادِ دعَـــا
وَأَيُّ خَطْـــبٍ دَهَانَـــا مِنْـــهُ تَفْرِيـــقُ

لاَ كَـــانَ دَهْــرٌ رَمَانَــا بِــالفِرَاقِ فَقَــدْ
أَضْحَى لَـهُ فِـي صَـمِيمِ القَلْـبِ تَمْزِيـقُ

كَانَــتْ تَـضِيقُ بِــيَ الــدُّنْيَا لِغَيْبَــتِكُمْ
فَكَيْـفَ سِـجْنٌ وَمِـنْ عَادَاتِـهِ الـضِيقُ

ثم بعد ذلك خرج من الاعتقـال، واتصل بخدمـة الملك المعظم صاحب إربل، وتقدم عنده.

واتفق أنـه خرج يوماً من بيتـه قبل الظهر، فوثـب عليـه شخص، وضربه بسكين، فأخرج حشوته، وتوفي من يومه، في نهار الخميس،

ثاني شوال سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، وعمره خمسون سنة.

والحاجري: نسبة إلى بليدة يقال لها: الحاجر بالحجاز، لم يبق منها غير الرسوم، ولم يكن منها وإنما لكونها استعملها في شعره كثيراً، ومن ذلك:

لَوْ كُنْتُ كُفِيتُ مِنْ هَوَاكَ البَيْنَا
مَا بَاتَ يُحَاكِي دَمْعُ عَيْنِي عَيْنَا

لَوْلاَكَ لَمَا ذَكَرْتُ نَجْداً بِفَمِي
مِنْ أَيْنَ أَنَا وَحَاجِرٌ مِنْ أَيْنَا

* * *

٢٦٩ ـ قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، الحمَويُّ الأصل، الشاميُّ المولد: ولد بقاعة العادلية الكبرى في المحرم، سنة أربع وتسعين وست مئة، وشيوخه سماعاً وإجازة يزيدون على الألف وثلاث مئة شيخ.

ولي قضاء مصر مدة طويلة، وجعل الناصر إليه تعيين قضاة الشام، وجمع بين رئاسة الدين والدنيا، وأفتى وصنف، وعزل نفسه في آخر عمره بعدما ولي القضاء تسعاً وعشرين سنة.

وتوفي بمكة المشرفة في جمادى الآخرة، سنة سبع وستين وسبع

مئة، ودفن إلى جانب الفضيل بن عياض، والقشيري، وكان يقول: أشتهي أن أموت وأنا معزول، وأن تكونَ وفاتي بأحد الحرمين، فأعطاه الله ما تمناه.

وله مصنفات عديدة مشهورة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٧٠ ـ أبو محمد عبدالله الملقب: بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عقيل العقيليُّ الطالبيُّ، الحلبيُّ ثم المصريُّ: رئيس العلماء، وصدر الشافعية بالديار المصرية، لزم أبا حيان اثنتي عشرة سنة في النحو، حتى قال عنه: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، وفرّق على الفقهاء مدةَ ولايته القضاء ـ مع قصرها ـ نحو مئة وستين ألف درهم، فيكون ذلك زيادة على ثلاثة آلاف دينار، وكان القضاة قبله أمروا أن لا يكتب شاهدٌ وصيةً إلا بإذن القاضي، فأبطل ذلك، وقال: قد يموت الرجل بينما يحصل الإذن، وكانت ولايته القضاء بمصر مدة، ثم عزل، ثم عاد إليه، وشرح «الألفية»، و«التسهيل»، وكان عنده حشمة زائدة، توفي في ربيع الأول، **سنة تسع وستين وسبع مئة**، ودفن بقرب تربة الشافعي عن سبعين سنة.

* * *

٢٧١ ـ قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام الأنصاريُّ

السبكيُّ: ولد سنة سبع وعشرين وسبع مئة، سمع بالقاهرة من خلق كثير، ثم قدم مع والده دمشق، وقرأ على العلماء، وكان له يد طولى في النظم والنثر، ذا بلاغة، وصنف تصانيف عديدة مع صغر سنه، وانتشرت في حياته وبعد موته، وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام، وحصل له من المناصب ما لم يحصل لأحد قبله، وجرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله، وأُوذي فصبر، وسجن فثبت، ثم عاد إلى مرتبته، وعفا وصَفَحَ عمن قام عليه.

وكان سيداً جواداً كريماً، توفي في ذي الحجة، **سنة إحدى وسبعين وسبع مئة**، وقد جاوز الأربعين، ودفن بتربته بالصالحية.

* * *

٢٧٢ ـ أبو محمد عبد الرحيم بن الحسين بن علي بن عمر القرشيُّ الأسنوي المصريُّ: منقح الألفاظ، محقق المعاني، صاحب التصانيف النافعة المشهورة، أفتى وصنف، وصار أحد أعيان مشايخ القاهرة المشار إليهم، وكان لين الجانب، كثير الإحسان إلى الطلبة.

قال الشيخ ولي الدين أبو زرعة بن العراقي: أفرد له والدي ترجمة سمعناها عليه، وحكى عنه فيها كشفاً ظاهراً، وفيه يقول من أبيات:

أَبْـدَتْ مُهِمَّاتُـهُ إِذْ ذَاكَ رُتْبَتَـهُ
إِنَّ المُهِمَّاتِ فِيهِ يُعْرَفُ الرَّجُلُ

وله تصانيف مشهورة، توفي في جمادى الأولى، **سنة اثنتين**

وسبعين وسبع مئة.

ومدحه تلميذه الشيخ كمال الدين الدميري بأبيات وضعها بخطه على «الكوكب» للأسنوي، ومنها:

يَـا كَوْكَبـاً مِنْـهُ بَـدْرُ الـتَّمِّ خَجْـلاَنُ
قَامَـتْ لِتَمْهِيـدِ عُـذْرِي فِيـكَ أَرْكَـانُ

وَيَـا غَـزَالاً سَـبَى قَلْبِـي بِنَـاظِرِهِ
مَـا الـصَّبُّ مِنْـهُ مُعَـاذٌ وَهْـوَ فَتَّـانُ

يَـا نُـورَ عَيْنِـي وَيَـا أُنْـسِي وَيَـا شُـغُلِي
دَعْنِـي أَبُـوحُ فَمَـا فِـي الحُـبِّ كِتْمَـانُ

يَـا بَانَـةً أَثْمَـرَتْ بِـالزَّهْرِ طَالِعَـةً
وَمَـا الكَوَاكِـبُ مِمَّـا تَحْمِـلُ البَـانُ

وهي طويلة.

* * *

٢٧٣ ـ نور الدين علي بن محمد بن محمد بن محمد، التاجرُ الكارميُّ، العسقلانيُّ الأصل، المصريُّ المشهورُ بابن حجر: والد الإمام الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر، حفظ «الحاوي الصغير»، واشتغل على العلماء، وله نظم كثير، وأخبر ولدُه الحافظُ: أن من نظمه بمكة المشرفة، ولم يسمعه من لفظه، بل وجده بخطه بعد موته في

قصائده المكيات لنفسه:

يَـــا رَبِّ أَعْـــضَاءُ الـــسُّجُودِ عَتَقْتَهَـــا
مِــنْ فَــضْلِكَ الــوَافِي وَأَنْــتَ الــوَاقِي

وَالعِتْقُ يَسْرِي فِـي الغِنَـى يَـا ذَا الغِنَـى
فَــامْنُنْ عَلَــى الفَــانِي بِعِتْــقِ البَــاقِي

ثم قال: ومن سمع هذين البيتين، شهد للوالد أنه متضلع من علم الفقه والحديث والأدب، وأنه في طبقة بدر الدين بن الصاحب. توفي في رجب **سنة سبع وسبعين وسبع مئة**.

* * *

٢٧٤ ـ سراج الدين أبو حفص عمر، الزيلعيُّ المقدسيُّ الشافعيُّ: أحد علماء القدس الأخيار، توفي في رجـب **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة**، بالقدس الشريف، ودفن بالقلندرية بماملا.

* * *

٢٧٥ ـ الشيخ العلاء الملقب: علاء الدين علي بن أحمد بن محمد السِّيراميُّ الحنفيُّ: قدم من البلاد الشرقيـة إلى حلب، فلما بنى الملك الظاهـر برقـوق مدرستـه بالقاهـرة، طلبـه من حلب، وولاه تدريسها، ومشيخة الصوفية، واستمر على ذلك إلى أن توفي، وكان متقناً للعلوم، خصوصاً المعاني والبيان، توفي في جمادى الأولى، **سنة تسعين وسبع**

مئـة عن نيـف وسبعين سنة، ودفـن بالقـرب من تـربـة يونس الدوادار بالترب بالقاهرة.

* * *

٢٧٦ ـ **الشيخ أبـو يـزيـد البسطاميُّ**: كـان من أوليـاء الله تعـالى العارفين، وله أحوال ظاهرة، توفي بالقدس الشريف **سنة أربع وتسعين وسبع مئة**، ودفن بماملا عنـد شيخـه الشيخ علي العشقي المتوفَّى سنة إحدى وستين وسبع مئة.

* * *

٢٧٧ ـ **الشيخ أبو حفص عمر بن نجم بن يعقوب، البغدادي ثم القدسي، المعروف بالمجرد**: ولد ببغـداد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة، وسمع «البخاري» بدمشق سنة ست وعشرين وسبع مئة، وأقام ببلد الخليل ـ عليه السلام ـ، وبنى به زاوية في غاية الحسن بناء ومنظراً، وبنى أماكن بأعلاها، ورتب فيهـا من يتعلم القرآن، وأجرى لهم معاليم، وإذا قـرأ القرآن عنده أحد، يخيره بين الإقامـة عنده بشرط أن يشتغل في العلم، ويعطيه كتاباً، أو يذهب إلى بلده، ولا يدع أحداً يقعد عنده بطَّالاً.

وكان شيخاً طويلاً، يلبس على رأسه قبعة بلا عمامة، توفي في ذي الحجة، **سنة خمس وتسعين وسبع مئة**، ودفن بزاويته بالخليل ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٢٧٨ ـ **الشيخ عيسى بن عبد الرحمن، الخيّر الصالح، الشهيرُ بالغوري المجذوب**، توفي بالقدس الشريف، **سنة سبع وتسعين وسبعمائة** بالمسجد الأقصى، عند جامع المالكية، خلف المصطبة، وكان صلحاء بيت المقدس يقولون: إنه كان خفيرها، ولما مات، قطعوا عباءته قِطعاً صغاراً، وحملوها في عمائمهم، وممن كان يعتقد فيه قاضي القضاة سعد الدين الديري ـ نفع الله به ـ.

* * *

٢٧٩ ـ **أبو الحسن علي بن شرف الدين عيسى الشهير بابن الرصاص، الحنفيُّ**: الشيخ العالم الكبير، شيخ القدس وعالمها، درَّس وأفتى، وتولى القضاء بصفد، وتوفي **سنة ثلاث وثمان مئة**.

* * *

٢٨٠ ـ **كريم الدين أبو المكار عبد الكريم ابن الشيخ زين الدين داود بن أبي الوفا، البدريُّ الشافعيُّ**: إمام المسجد الأقصى الشريف، كان من أهل الفضل، ومن شيوخ القراءة، وأخذ الحديث عن جماعة من المعتبرين، وكان معيداً بالمدرسة الصلاحية، وباشر الإمامة بالمسجد الأقصى أربعين سنة، من سنة خمس وخمسين وثمان مئة، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ سخياً، ويتلقى الواردين، ويطعمهم، وكان يؤدي القراءة بالمحراب على الأوضاع، وله همة، ومروءة، وعنده تواضع وتودُّد للناس، توفي عشية يوم السبت، وصُلي عليه بعد الظهر من يوم

الأحد سابع جمادى الأولى، **سنة خمس وتسعين وثمان مئة**، ودفن بماملا ظاهر القدس الشريف، وكان يوماً مشهوداً، شهده الخاص والعام من العلماء والقضاة وناظر الحرمين، وغيرهم ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

* * *

٢٨١ ـ الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي ابن أحمد، الأنصاريُّ الخزرجيُّ، المرسيُّ الأصل المصريُّ، المعروفُ بابن الملقِّن، وهو زوج أمه: الشيخ العالم، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة.

ولد في المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة، قدم دمشق سنة سبعين، وعاد إلى مصر، وناب في القضاء مدة، ثم استقر في قضاء القضاة، وكانت غالب مصنفاته التي أذهب عمره في تحصيلها قد احترقت بالنار، فكان ممن حضر إليه مسلياً عنه مما حلَّ به من التشويش الحافظُ ابنُ حجر، وأنشده:

لاَ يُزْعِجَنَّكَ يَا سِرَاجَ الدِّينِ إِنْ ... لَعِبَتْ بِكُتْبِكَ أَلْسُنُ النِّيرَانِ

لِلْحَقِّ قَدْ قَرَّبْتَهَا فَتُقُبِّلَتْ ... وَالنَّارُ مُسْرِعَةٌ إِلَى القُرْبَانِ

ويقال: إنه ظهر بعقله خَلَلٌ بعد ذلك، توفي في ربيع الأول، **سنة أربع وثمان مئة**، ودفن بمقبرة الصوفية.

* * *

٢٨٢ ـ الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، العسقلانيُّ الأصل، المصريُّ البلقيني، الشافعيُّ: المجتهد المحقق المدقق، الجامع بين أشتات العلوم، شيخ الإسلام، والعلم الفرد في وقته، المستغني عن الألقاب والأعلام، ذو الفضائل التي لا تسام، والمآثر والمحامد الجسام.

مولده في شعبان، سنة أربع وعشرين وسبع مئة ببلده، فاق الأقران، وتميز على أبناء الزمان، وصار معظَّماً عند الأكابر، وعوَّل الناس في الإفتاء عليه، وله مصنفات في أنواع العلوم، وتولى قضاء الشام سنة تسع وستين وسبع مئة مدةً يسيرة، ثم استعفى، وصار في آخر عمره عينَ الوجود، وبركة كل موجود.

وكان تقيُّ الدين الأسديُّ الشهير بابن قاضي شُهبة كثيراً ما يقول: لو رآه النووي والرافعي، لاستفادا منه أحمالاً من الفوائد.

توفي إلى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة، عاشر ذي القعدة، سنة خمس وثمان مئة.

* * *

٢٨٣ ـ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم المصريُّ، المعروف بالعراقي: شيخ المحدثين، وحافظ الديار المصرية.

ولد في جمادى الأولى، سنة خمس وعشرين وسبع مئة، رحل إلى

الشام، وصنف، ونظم «الألفية في الحديث»، وشرحها شرحين: كبير، وصغير، وهو المشهور، وله مصنفات غير ذلك.

ولي قضاء المدينة في رمضان سنة ثمان وثمانين، ثم استعفى، ورجع إلى مصر، وأخذ عنه الحفاظ، منهم: ولده ولي الدين، وغيره، وولي بالقاهرة مشيخة الحديث بعدة مواضع.

وكان شافعي المذهب، حسن الوجه والشيبة، توفي في شعبان، سنة ست وثمان مئة، عن نيف وثمانين سنة.

* * *

٢٨٤ ـ شرف الدين عيسى بن حجاج السعديُّ، المصريُّ الحنبليُّ، المعروفُ بعويس العالية: الأديب الفاضل، كان عالية في لعب الشطرنج، ويلعب به استدباراً، وكان فاضلاً في النحو واللغة، وله النظم الرائق، وله قصيدة بديعة في مدح النبي ﷺ مطلعها:

سَلْ مَا حَوَى القَلْبُ مِنَ العِبَرِ
فَكُلَّمَا خَطَرَتْ أَمْسى عَلَى خَطَرِ

وله أشياء كثيرة.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة، وتوفي في أوائل المحرم، سنة سبع وثمان مئة.

* * *

٢٨٥ ـ الأمير علاء الدين علي بن نائب الصبيبة ناصر الدين محمد: ولي قلعة الصبيبة بعد والده، وولي الحجوبية بالشام غير مرة، وتوفي في المحرم سنة تسع وثمان مئة بالقبيبات، ثم نقل إلى القدس بعد مدة، ودفن بمدرسته التي أنشأها بالقدس الشريف على المسجد الأقصى بالصف الشمالي، حين كان نائباً بالقدس الشريف.

* * *

٢٨٦ ـ أبو حفص عمر بن كمال الدين إبراهيم بن الصاحب ناصر الدين بن العديم: قاضي القضاة الحنفي بحلب، كان عالي الهمّة من رجال الدنيا، ثم ولي قضاء مصر في رجب سنة خمس وثمان مئة، وولي مشيخة الشيخونية ونظرها.

ولد سنة إحدى وستين وسبع مئة بحلب، وكان بعينه عور، وتوفي في جمادى الآخرة، سنة إحدى عشرة وثمان مئة.

* * *

٢٨٧ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالله بن مصطفى، الروميُّ، المشهورُ بالدالي[1]: كان رجلاً صالحاً، لأهل بيت المقدس فيه اعتقاد عظيم، واشتهر أمره، ولما حج، مات بطريق مكة المشرفة في سنة إحدى عشرة وثمان مئة، وكان الأمير حسن الكشكلي ناظر الحرمين بنى له تربة بباب

(١) في الأصل: «بالذاكر».

الرحمة ليدفن فيها معـه، فلما مات بطريق مكة، أوصى حسن أن يدفن عند الشيخ أبي عبدالله القرشي بماملا.

* * *

٢٨٨ ـ قاضي القضاة بمصر جلال الدين أبو الفضل[1] عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينيُّ الشافعيُّ المصريُّ: ولد في رمضان، سنة ثلاث وستين وسبع مئة، اشتغل على والده وغيرِه، ولي قضاء العسكر، ثم عزل، واستمر مفتي دار العدل، ثم ولي القضاء بالديار المصرية في جمادى الآخـرة، سنة أربع وثمان مئة، فباشر نحو سنة وأربعة أشهر، ثم عزل بابن الصالحي، ثم أعيد ثانياً وثالثاً ورابعاً، وعزل بابن الأخنائي، ثم أعيد خامساً، وعزل بالهروي، ثم أعيد سادساً، واستمر إلى أن توفي، ومباشرته القضاء ثماني عشرة سنة، توفي بمصر بعدما رجع من دمشق سنة أربع وعشرين وثمان مئة.

* * *

٢٨٩ ـ شرف الـدين عيسى بن غانم قاضي القـدس: شكا عليـه أهل القدس مراراً، وتوفي في شوال، سنة سبع وتسعين وسبع مئة شبه الفجأة، وجاء بعد موته كتاب السلطان بالكبس عليه وإهانته، فستره الله تعالى بالموت.

* * *

(١) في الأصل: «أبو هريرة».

٢٩٠ ـ عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، السلميُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ: تفقه، وبلغ رتبة الاجتهاد مع الزهد، حتى ظهر حاله في المكاشفات، وأفتى بإبطال بيعة الظاهر بيبرس وسلطنته، فحضر إليه ليلاً، فلما أحس به، أطفأ المصباح، وغلَّق الأبواب، فأحضر الشموع، ودخل عليه، وسأله عن أمره، فأجابه بأمور، منها: أنه باقٍ في الرق، فاشترى نفسه من منصوب عن بيت المال حتى عتق، وعقد له ثانياً، وكان قد رفع أولاد الفرنج على السروج، فأحضرهم الشيخ، وعرض عليهم الإسلام، فامتنعوا، فضرب رقابهم، وكانوا ثلاثة، وكان السلطان حذره من فساد يحصل على [الا]سكندرية وغيرها، فأجاب بأني أتولى الدفع بعون الله تعالى، فعن قليل حوصرت الثغور بسبب ذلك، فأرسل الشيخ عز الدين قاصداً من جماعته إلى [الا]سكندرية، ورمى بها ورقة في البحر قيل: سواد المراكب، فشتتهم الله تعالى، ولم يصل منهم أحد.

ولقِّب بسلطان العلماء، وكان حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار، يحضر السماع، ويرقص، وتوفي في جمادى الآخرة، **سنة ست وستين وست مئة**.

* * *

٢٩١ ـ شيخ الإسلام علاء الدين بن سليمان، المرداويُّ الحنبليُّ: عالم الحنابلة بدمشق، مصحح مذهب الإمام أحمد ومنقحه، قدم إلى دمشق وهو شاب في سنة سبع أو ثمان وثلاثين وثمان مئة، وأقام بمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية، واشتغل بالعلم، فانتهت إليه رئاسة هذا

المذهب الشريف، وفضل على الشيخ تقي الدين أبي بكر بن قُندس البعليِّ شيخِ الحنابلة في وقته، وباشر نيابة القضاء عن بني مفلح في أيام قاضي القضاة علاء الدين علي بن مفلح، وفي أيام قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن مفلح.

وصنف مصنفات كثيرة مفيدة، أعظمها: «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» جعله على «المقنع»، وهو من كتب الإسلام، و«التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع»، و«التحرير في الأصول»، وغير ذلك من الكتب المفيدة.

وانتفع الناس بمصنفاته في حياته وبعد وفاته، وتنزه عن مباشرة القضاء في آخر عمره، وصار قوله في كتبه حجة في المذهب، والمعول على قوله في الفتوى والأحكام في جميع المملكة، وهو الذي أجاز قاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي قاضي قضاة الديار المصرية بالإفتاء حين قدومه القاهرة في أيام قاضي القضاة عز الدين الحنبلي، وتوفي إلى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة، سادس شهر جمادى الأولى، سنة خمس وثمانين وثمان مئة بمنزله بالصالحية، ودفن بسفح قاسيون ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٢٩٢ ـ القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن مفلح، الحنبليُّ:

باشر قضاء حلب، ثم تولى قضاء الشام، وكتابةَ السرِّ بها، ثم عزل، ثم تولى حلب مراراً، ثم عزل، واستقر مكانه قاضي القضاة جمال الدين

التادفي، واستمر القاضي علاء الدين معزولاً إلى أن توفي في **سنة إحدى وثمانين وثمان مئة** بحلب، وكان من أهل العلم، وموصوفاً بالسخاء، إلا أنه لم يكن له حظ من الدنيا ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

* * *

٢٩٣ ـ الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن شهاب الدين الشيشيني الحنبليُّ: خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية، باشر في أيام قاضي القضاة بدر الدين البغدادي الحنبلي، وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي، وتوفي في أيامه، في شهور **سنة سبعين وثمان مئة**، وكان من أهل العلم، وكتابته على الفتوى جيدة.

* * *

٢٩٤ ـ شيخ الإسلام سراج الدين عمر العبَّادي، الشافعيُّ: مفتي الديار المصرية، كان فقيه الملك العزيز يوسف في أيام والده الملك الأشرف برسباي، وانتهت إليه رئاسة الفتوى بالديار المصرية، وهو شيخ قاضي القضاة الشيخ زكريا، وتولى نظر ديوان الأحباس إلى حين وفاته.
توفي في يوم الخميس، تاسع عشر ربيع الأول، **سنة خمس وثمانين وثمان مئة** بالقاهرة.

* * *

٢٩٥ ـ الشيخ أبو الحسن علي بن محمد، البلبيسيُّ المخزوميُّ

الشافعيُّ: خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية، والحاكم بالأعمال الشرقية وما أضيف إلى ذلك من الوظائف الدينية، والولايات الحكمية.

كان من أهل العلم، وباشر نيابة الحكم بالقاهرة نحو أربعين سنة، وكان عفيفاً، لا يتناول على الأحكام الشرعية شيئاً، وكان يصدع بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، وتوفي في شهر رمضان، **سنة ثمان وثمانين وثمان مئة**، وصُلي عليه بالجامع الأزهر.

* * *

٢٩٦ ـ قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر بن تقي، المالكيُّ الدميريُّ: كان من أهل العلم، باشر نيابة الحكم بالديار المصرية مدة طويلة، وكان موصوفاً بالعفة في مباشرته، فلما عزل قاضي القضاة برهان الدين اللقَّاني ـ المتقدم ذكرُه في حرف الهمزة في مستهل رجب، سنة ست وثمانين وثمان مئة ـ استقر قاضي القضاة محيي الدين المشار إليه عوضَه في يوم الاثنين، تاسع رجب المذكور، باشر القضاء، ونفذ أمره، وحصل له عارض في آخر عمره كالخلط المصرع، وكان يعرض له في المجالس والمحافل، حتى في مجلس السلطان، كل ذلك والسلطان يعضده، ويمتنع من عزله، إلى أن توفي في أوائل **سنة ست وتسعين وثمان مئة**.

وكان قاضي القضاة برهان الدين اللقاني حصل له توعك، فأجمع الناس أن لا يستقر في الوظيفة غيره، فتوفي بعده بمدة يسيرة نحو الشهر، والوظيفة مستمرة الشغور، فاستقر بها أخوه لأبيه قاضي القضاة تقي الدين

عبد الغني بن تقي المالكي في أوائل سنة ست وتسعين وثمان مئة.

* * *

٢٩٧ ـ قاضي القضاة تاج الدين ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الديري الحنفيُّ ـ المتقدم ذكر والده في حرف السين ـ: انتهت إليه رئاسة القدس الشريف، وتولى قضاء الحنفية بالقدس في سنة إحدى وخمسين وثمان مئة عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين بن خير الدين خليل الحنفي ـ المتقدم ذكر والده في حرف الخاء ـ، واستمر القاضي شمس الدين بن خير الدين معزولاً إلى أن توفي في جمادى الأولى، سنة خمس وخمسين وثمان مئة.

ونفذت كلمة القاضي تاج الدين المشار إليه، وعظم أمره باعتبار وجود والده، واستمر إلى سنة ست وستين وثمان مئة، فتنزه عن القضاء، وتوجه إلى القاهرة، وفوض إليه والده مشيخة المؤيدية، واستقر ولده قاضي القضاة ناصر الدين هبة الله في قضاء القدس الشريف، فلما توفي والده قاضي القضاة سعد الدين في سنة سبع وستين وثمان مئة، نزل عن المؤيدية في سنة ثمان وسبعين وثمان مئة، وشرع يتردد من القاهرة إلى القدس الشريف ذهاباً وإياباً، إلى أن نفد جميع ما معه من المال، فحضر إلى القدس الشريف في سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة، ونزل بقصره الذي أنشأه عند خان الملك الظاهر بيبرس، وأقام به مدة يسيرة، ثم قصد التوجه إلى القاهرة، فوصل إلى غزة، فأدركته الوفاة بها في يوم

الجمعة، سادس شهر شعبان، سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة بالجامع الجاولي، ودفن بتربة هناك بجوار الجامع، وقد بلغ من العمر نحو مئة سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٢٩٨ ـ القاضي أمين الدين عبد الرحمن الديريُّ: أخو قاضي القضاة سعد الدين المتقدم ذكره، ولي نظر الحرمين الشريفين بالقدس، والخليل ـ عليه السلام ـ في أيام الملك الظاهر جقمق، وعزل منه، ثم عاد إليه، وعلت كلمته، ونفذ أمره، وتوفي في شهر شوال سنة خمس وخمسين وثمان مئة، وهو والد شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن الديري الحنفي أحد علماء الديار المصرية ـ رحمه الله ـ.

* * *

٢٩٩ ـ قاضي القضاة جمال الدين بن عبدالله ابن شيخ الإسلام شمس الدين محمد الديري الحنفي ابن أخ قاضي القضاة سعد الدين الديري المتقدم ذكره: ولي قضاء الحنفية بالقدس الشريف في سنة سبع وستين وثمان مئة، ووقع التشاجر بينه وبين قاضي القضاة ناصر الدين هبة الله ابن القاضي تاج الدين المتقدم ذكره، وشرع كل منهما يسعى على الآخر، ويأخذ عنه، إلى أن ثبت أمر القاضي جمال الدين، واستقر في المنصب، واستمر به إلى أن عزل في سنة خمس وسبعين وثمان مئة، ولعله في شعبان منها، ثم استقر في الوظيفة قاضي القضاة خير الدين بن

عمران ـ الآتي ذكُره في حرف الميم ـ في شهر صفر، سنة ست وسبعين وثمان مئة، واستمر نحو سنتين.

ثم توجه القاضي جمال الدين إلى القاهرة في ذي الحجة، سنة سبع وسبعين وثمان مئـة، وتولى القضـاء في شهر صفـر سنة ثمان وسبعين وثمان مئـة، وعاد إلى القدس، فلما وصل الرملة، حصل لـه توعُّك، فدخل القدس في يوم الخميس، وألبس التشريف، وركب وهو منزعج من التوعك، فلما دخل منزله، اشتد به الألم، ولم يقدَّر أنه حكم بحكم، ولا جلس في مجلس الحكم، واستمر أربعة عشر يوماً، وتوفي صبيحة يوم الأربعاء، ثاني عشر ربيع الآخر، **سنة ثمان وسبعين وثمان مئة**، وقد بلغ من العمر نحو أربع وسبعين سنة، ودفن بماملا إلى جانب والـده، وقبـر والده إلى جانب الشيخ شهاب الدين أحمـد بن أرسلان من جهة القبلة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٣٠٠ ـ قاضي القضـاة نور الدين أبـو الحسن علي بن إبراهيم بن البدرشي، البحريُّ المالكيُّ المصريُّ: كان من أهل العلم، وله معرفة تامة بالعربية، وعلم الحساب والفرائض، وباشر نيابة الحكم بالقاهرة مدة يسيرة، ثم تولى قضاء المالكية بالقدس الشريف، ودخل إليها في أوائل المحرم، سنة ست وسبعين وثمان مئة، واستمر بها إلى حين وفاته، ولما توفي القاضي جمال الدين الديري المذكور قبلَه، حصر ضبط تركته، ثم توعك بعض الأيام، وتوفي صبيحة يوم السبت، ثاني جمادى الأولى،

سنة ثمان وسبعين وثمان مئة، بعد وفاة القاضي جمال الدين المذكور بعشرة أيام، ودفن بباب الرحمة ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

* * *

٣٠١ ـ الشيخ عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانيُّ، المعروفُ بابن الأثير، الجزريُّ: ولد بجزيرة ابن عمر في رابع جمادى الأولى، سنة خمس وخمسين وخمس مئة، ونشأ بها، ثم سار إلى الموصل، وقدم بغداد مراراً، ثم رحل إلى الشام والقدس، وكان إماماً عالماً، وصنف كتاب «الكامل في التاريخ»، ابتدأ فيه من أول الزمان إلى سنة ثمان وعشرين وست مئة، وله غيره من المصنفات، توفي بالموصل في شعبان، **سنة ثلاثين وست مئة** ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

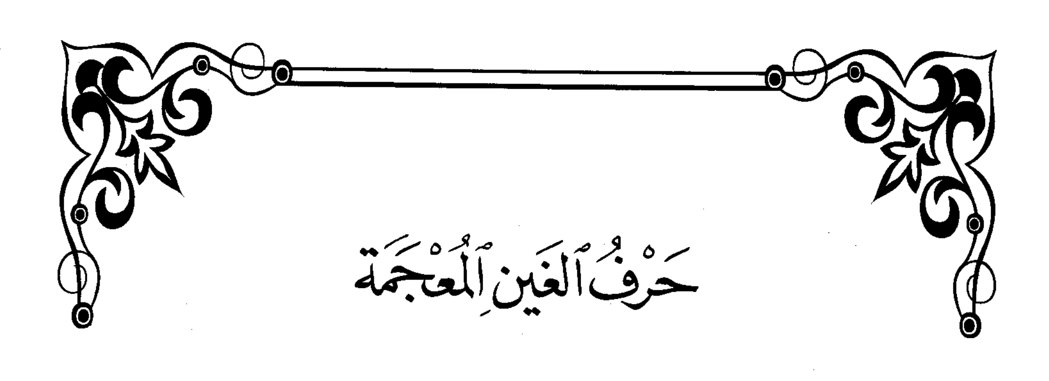
* * *

٣٠٢ ـ قاضي القضاة، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد، الهاشميُّ المالكيُّ، الشهير بابن المزوار: تقدمت له ولاية القضاء بالقدس في سنة خمس وستين وثمان مئة، ثم عزل عنه، فلما توفي القاضي نور الدين البدرشي المذكور قبله، تولى عوضاً عنه، وكتب توقيعه في مستهل شوال سنة ثمان وسبعين وثمان مئة، ولم يدخل إلى القدس إلا في المحرم سنة ثمانين وثمان مئة، واستمر إلى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، ثم توجه إلى القاهرة، وأقام بها، وهو مستمر على

الولاية إلى أن توفي في يوم الأحد، تاسع عشري جمادى الأولى، **سنة خمس وثمانين وثمان مئة**، وصُلي عليه بجامع المارديني.

وكان عفيفاً في قضائه، لا يتناول غير معلومه المرتب على المسجد الأقصى، وهو في كل يوم عشرة دراهم فضة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *



حرف الغين المعجمة

٣٠٣ ـ أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة، الشاعرُ المشهور بذي الرُّمَّة: أحد فحول الشعراء، وأحد عشاقهم المشهورين، ومن شعره السائر:

إِذَا هَبَّتِ الأَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ
بِهِ أَهْلُ مَيٍّ هَاجَ قَلْبِي هُبُوبُهَا
هَوًى تَذْرِفُ العَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا
هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

وقال أبو عمرو بن العلاء: فُتح الشعر بامرئ القيس، وخُتم بذي الرُّمَّة.

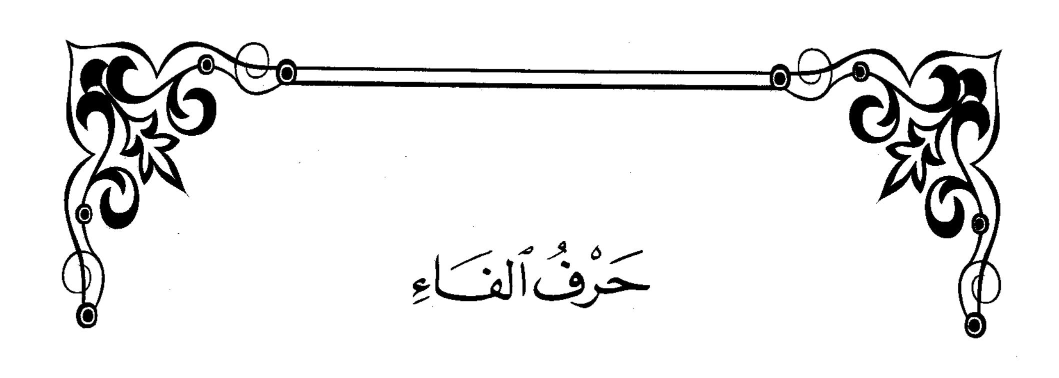
* * *

٣٠٤ ـ الشيخ غانم المقدسيُّ: العالم الصالح الصوفي، كان شيخاً للصوفية بخانقاه صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ المعروفة بدار الترك بالقدس الشريف، وقفها لما فتح القدس، وهو والد

القاضي شرف الدين عيسى بن غانم الذي حكر أرض البقعة ظاهر القدس، الجارية في وقف الخانقاه المذكورة في سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة، وصارت كروماً، وزاد بذلك رَيعها لجهة الوقف، ورغب الناس فيها، وكثر الانتفاع بها، بعد أن كانت أرضاً مزدرعاً.

وللشيخ غانم نظم رائق، توفي في سنة سبعين وسبع مئة بالقدس الشريف ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *



حَرْفُ ٱلفَاءِ

٣٠٥ ـ الشهاب فتيان بن علي بن فتيان، الأسديُّ الحنفيُّ الدمشقيُّ، المعروفُ بالشاغوريِّ: كان فاضلاً شاعراً، خدم الملوك، ومدحهم، وعلَّم أولادهم، ومن شعره:

عَلاَمَ تَحَرُّكِي وَالحَظُّ سَاكِنْ ... وَمَا نُبِّهْتُ فِي طَلَبٍ وَلَكِنْ

أَرَى نَذْلاً تُقَدِّمُهُ المَسَاوِي ... عَلَى حُرٍّ تُؤَخِّرُهُ المَحَاسِنْ

توفي سنة اثنتين وخمس مئة[1].

* * *

٣٠٦ ـ أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن بَرْمك، البرمكيُّ: أكثُرهم كرماً، مع كرم البرامكة وسَعَة جودهم، وكان أكرمَ من أخيه جعفر، وقلَّده الرشيد عملَ خراسان، ثم إن الرشيد لما قتل جعفراً، قبض على أبيه يحيى، وأخيه الفضل المذكور، وحُبسا، ثم أرسل الرشيد

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٦)، وفيه: «توفي سنة خمس عشرة وست مئة». وفيه: «الحريمي» بدلاً من «الحنفي».

مسروراً الخادمَ، فأخرج الفضلَ من السجن، وسأله عن أموالهم، فأجاب بجواب لم يُرضِـه، فضربه مئتي سوط، وتولى ضربَه الخـدمُ، فضربوه أشدَّ الضرب، حتى كادوا أن يتلفوه، وتركوه ومضوا، وكان هناك رجل نصرانيٌّ للعلاج، فطلبوه لمعالجتـه، فعالجـه وبرئ ، فاقترض الفضلُ من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم، وسَيَّرها له، فردها عليه، فاعتقد أنه قد استقَلَّها، فاقترض عليها عشرة آلاف درهم أخرى، وسيرها لـه، فأبى أن يأخذهـا، وقال: ما كنـتُ لآخـذَ على رجل من الكرام كدِّي، والله! لو كانت عشرين ألـف دينـار، ما قبلتُها، فلما بلغ الفضلَ ذلك، قال: والله! إن الذي فعله هذا أبلغُ من الذي فعلناه في جميع أيامنا، وكان قد بلغه أن ذلك المعالج في شدة من الضيق والفاقة.

وقد مدح البرامكَة جميعُ شعراء عصرهم، فمن ذلك: قول مروان ابن أبي حفصة في الفضل المذكور:

عِنْـــدَ المُلُـــوكِ مَنَـــافِعٌ وَمَـــضَرَّةٌ
وَأَرَى البَرَامِـــكَ لاَ تَـــضُرُّ وَتَنْفَـــعُ
إِنَّ العُـــرُوقَ إِذَا اسْتَـــسرَّ بِهَـــا النَّـــدَى
أَشِـــبَ النَّبَـــاتُ بِهَـــا وَطَـــابَ المَـــزْرَعُ
إِنْ كَـــانَ شَـــرٌّ كَـــانَ غَيْـــرُهُمُ لَـــهُ
وَالخَيْـــرُ مَنْـــسُوبٌ إِلَـــيْهِمْ أَجْمَـــعُ

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنِ امْرِئٍ أَعْرَاقَهُ
وَطِبَاعَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

وكان الفضل كثير البرِّ بأبيه، وكان أبوه يتأذَّى من استعمال الماء البارد في الشتاء، فيحكى: أنهما كانا في السجن، ولم يكن يقدر على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاسيَّ وفيه الماء، فيُلصقه على بطنه زماناً، عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه؛ حتى يستعملَه أبوه بعد ذلك.

ولد الفضل لسبعٍ بقين من ذي الحجة، سنة سبع وأربعين ومئة، وقيل: سنة ثمان وأربعين، وتوفي بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومئة في المحرم، غداة جمعة بالرقة، وقيل: في شهر رمضان، سنة اثنتين وتسعين ومئة، ولما بلغ الرشيدَ موتُه، قال: أمري قريب من أمره، وكذا كان؛ فإن وفاته سنة ثلاث وتسعين ومئة، ليلة السبت، لثلاثٍ خلون من جمادى الآخرة، وكان قريبه في الولادة ـ أيضاً ـ.

* * *

٣٠٧ ـ أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله ابن أبي فروة ـ واسمه كيسان ـ مولى عثمان بن عفان ﷺ: ولما آل الأمر إلى هارون الرشيد، واستوزر البرامكة، كان الفضل يروم التشبه بهم، ومعارضَتَهم، ولم يكن له من المقدرة ما يدرك بها اللحاقَ بهم، وكان في نفسه منهم شحناء وحسدٌ، وإذا أراد الله هلاكَ قوم، وزوالَ نعمتهم،

جعل لذلك أسباباً، فمن أسباب زوال نعمة البرامكة: تقصيرهم بالفضل ابن الربيع، وسعي الفضل بهم، لما تمكن بالمجالسة من الرشيد، أوغرَ قلبه عليهم، ومالأه[1] إلى ذلك هو وكاتبهُم إسماعيل بن صبح حتى كان ما كان.

ويحكى: أن الفضل دخل يوماً على يحيى بن خالد البرمكي، وقد جلس لقضاء حوائج الناس، وبين يديه جعفر يوقِّع في القصص، فعرض الفضلُ عليه عشرَ رقاع، فتعلَّل يحيى في كل رقعة بعلة، ولم يوقع في شيء منها البتةَ، فجمع الفضل عليه الرقاع، وقال: ارجعْنَ خائبات خاسئات، ثم خرج وهو يقول:

عَسَى وَعَسَى يَثْنِي الزَّمَانُ عِنَانَهُ
بِتَصْرِيفِ حَالٍ وَالزَّمَانُ عَثُورُ
فَتُقْضَى لُبَانَاتٌ وَتُشْفَى حَسَائِفُ
وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ

فسمعه يحيى وهو ينشد ذلك، فقال: عزمتُ عليك يا أبا العباس إلا رجعتَ، فرجع، فوقع له في جميع الرقاع، ثم ما كان إلا قليل حتى نكبوا على يده، وتولى بعدَهم وزارة الرشيد، وفي ذلك يقول أبو نواس، وقيل أبو حرزة:

---

(١) في الأصل: «وميله».

مَــا رَعَـــى الـــدَّهْرُ آلَ بَرْمَـــكَ لَمَّــا

أَنْ رَمَـــاهُمْ مَلْكُهُـــمْ بِـــأَمْرٍ فَظِيـــعِ

إِنَّ دَهْــراً لَـــمْ يَـــرْعَ عَهْـــداً لِيَحْيَـــى

غَيْـــرُ رَاعٍ ذِمَـــامَ آلِ الرَّبِـــيعِ

ومات الرشيد، والفضلُ مستمرٌّ على الوزارة، فقرر الأمور للأمين محمد بن الرشيد، ولم يلتفت للمأمون وهـو بخراسان، ثم لما قويـت شوكة المأمون، استتر في رجب سنة ست وتسعين ومئـة، ثم ظهر لما ادعى إبراهيمُ بنُ المهدي الخلافة ببغداد، فلما اختلَّ حاله، استتر الفضل ابن الربيع ثانياً، وشرح ذلك يطول.

ثم إن طاهر بن الحسين سأل المأمون الرضا عنه، فأدخله عليه، إلا أنه لم يزل بطالاً إلى أن مات، ولم يكن له في دولة المأمون حظ، وتوفي الفضل بن الربيع في سنة **ثمان ومئتين**.

* * *

٣٠٨ ـ الفضل بن سهل أبـو العباس السرخسي أخـو الحسن بن سهل: أسلم على يد المأمـون في سنة تسعين ومئـة، فوزَرَ للمأمـون، واستولى عليه، حتى ضايقه في جارية أراد شراءها، وكانت فيه فضائل، فكان يلقب بذي الرئاستين؛ لأنه تقلد الوزارة والسيف، وكان مِنْ أَخْبَرِ الناس بعلم النجوم، وأكثرهم إصابـة في أحكامـه، ولما ثقل أمره على

المأمـون دسَّ عليه خادمـه غالب المسعودي الأسـود بسرخس، ومعـه جماعة، وقتله مُغافصة يوم الجمعة، ثاني شعبان، **سنة اثنتين ومئتين**، وعمره ثمان وأربعون سنة، ومات والد الفضل سهل سنة اثنتين ـ أيضاً ـ بعد قتل ولده بقليل.

* * *

٣٠٩ ـ أبـو العباس الفضل بن مروان، وزيرُ المعتصم: [و]هـو الذي أخذ له البيعـةَ ببغداد، وكان المعتصم يومئذٍ ببلاد الروم، وفوض إليه الوزارة يوم دخوله بغداد، وهو [يوم] السبت، مستهل رمضان، سنة ثماني عشرة ومئتين، وخلع عليـه، وردَّ أمورَه كلَّها إليـه، فتغلب عليـه بطول خدمته، وتربيته إياه، واستقل بالأمـور، وكذلك فعل في أواخـر ولايـة المأمـون، وكان نصـراني الأصل، قليل المعرفـة بالعلم، حسن المعرفة بخدمـة الخلفـاء، وكان قـد حبس يومـاً لقضاء أشغال الناس، ورفعت إليه قصص العامة، فرأى في جملتها ورقةً مكتوب فيها:

تَفَرْعَنْتَ يَا فَـضْلُ بْـنَ مَـرْوَانَ فَاعْتَبِـرْ
فَقَبْلَكَ كَانَ الفَـضْلُ وَالفَـضْلُ والفَـضْلُ

ثَلاَثَـةُ أَمْـلاَكٍ غَـدَوْا لِـسَبِيلِهِمْ
أَبَـادَتْهُمُ الأَقْيَـادُ وَالحَـبْسُ وَالقَتْـلُ

وَإِنَّكَ قَـدْ أَصْبَحْتَ فِـي النَّـاسِ ظَالِمـاً
سَـتُودِي كَمَـا أَوْدَى الثَّلاثَـةُ مِـنْ قَبْـلُ

وأما الثلاثة الذين تقدموا، وهم: الفضل بن يحيى البرمكي، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل، فلما وقف على هذه الأبيات، استدعاه، واعتذر إليه، وقضى حاجته.

ثم إن المعتصم تغيَّر عليه، وقَبَض عليه في رجب، سنة إحدى وعشرين ومئتين، ولما قبض عليه، قال: عصى الله في طاعتي، فسلَّطني عليه.

ثم خدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء، ثم توفي في ربيع الآخر، سنة خمسين ومئتين، وعمره ثمانون سنة، وأخذ المعتصم من داره لما نكبه ألفَ ألفِ دينار، وأخذ أثاثاً وآنية بألف ألف دينار.

* * *

٣١٠ ـ الفُضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميميُّ، الطالقانيُّ الأصل، الزاهدُ المشهورُ: أحد رجال الطريقة، كان في أول أمره شاطراً، يقطع الطريق بين أَبِيْوَرد وسَرَخْس، وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

فقال: يا رب! قدْ آن.

ثم صار من كبار السادات.

ومن كلام الفضيل: إذا أحب الله تعالى عبداً، أكثر غَمَّه، وإذا أبغض عبداً، أوسعَ عليه معيشته أو دنياه.

ومناقبه كثيرة، قدم مكة، وجاور بها إلى أن مات في المحرم، **سنة سبع وثمانين ومئة**، ومولده بأَبِـيْوَرْد، وهو منسوب إلى طالقان من خراسان.

* * *

٣١١ ـ أبو شجاع فناخسرو الملقب: عضد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، الديلميُّ: تسلم مملكة فارس بعد عمه معزِّ الدولة، ولم يبلغ أحد في أقاربه ما بلغه عضد الدولة من سعة الملك، والاستيلاء على الملوك وممالكهم، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام، وأول من خُطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، وكان من جملة ألقابه: تاج الملة، وكان فاضلاً، محباً للفضلاء، مشاركاً في عدة فنون.

وكتب أبو منصور أفتكين التركي متولي دمشقَ كتاباً إلى عضد الدولة مضمونُه: أن الشّام قد صفا في يدي، وزال عنه حكم صاحب مصر، فإن قَوَّيتني بالأموال والعُدد، حاربت القوم.

فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات، وهي متشابهة في الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط:

غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصَارَ قُصَارَ ذَلِكَ ذُلُّكَ، فَاخْشَ فاحِشَ فِعلك، فَعلَّك بِهَذَا تَهْدا.

ولقد أبدع فيها كلَّ الإبداع.

وكان أفتكين مولى معز الدولة بن بويه، فتغلب على دمشق، وخرج على العزيز العُبيدي صاحـبِ مصر، والتقى جيشاهما، وانكسر أفتكين وهرب، فقطع عليـه الطريق دغفل الجراح البدري، وحمله إلى العزيز وفي عنقه حبلٌ، فأطلقه، وأحسن إليه، وأقام يسيراً، ومات **سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة**.

ولما احتضر عضد الدولـة، لم يكن لسانه ينطق إلا بتلاوة: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩].

وعاش بعدهـا قليلاً، ومات بعلّة الصرع، في يـوم الاثنين، ثامن شوال، **سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة** ببغداد، ودفن بدار الملك، ثم نقل إلى الكوفة، ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وعمره سبع وأربعون سنة، وأحدَ عشرَ شهراً، وثلاثة أيام.

والبيمارستانُ العضدي ببغداد منسوب إليه.

وهو الذي أظهر قبرَ علي بن أبي طالب ﷺ بالكوفـة، وبنى عليه المشهد، وأوصى بدفنه فيه.

وللناس فيـه اختلاف كثير، حتى قيل: إنـه قبـر المغيرة بن شعبة الثقفي، وإن علياً ﷺ لا يعرف قبره، وأصح ما قيل فيه: إنه مدفون بقصر الإمارة بالكوفة، والله أعلم.

* * *

٣١٢ ـ مجـد الدين فضـل الله بن فخـر الدين عبـد الـرحمن بن

مكانس، **المصريُّ**: عني بالأدب، وله نظم حسن، وكتب بديوان الإنشاء بالقاهرة، ولم يكن مسعوداً في أمر دنياه.

دخل رجل على والده الفخر وهو عنده، وصف له عبداً حبشياً في غايـة الحسن، فتطلع والده لشرائـه، وكان على رأسه مملوك في غايـة الحسن، فأنشأ يقول:

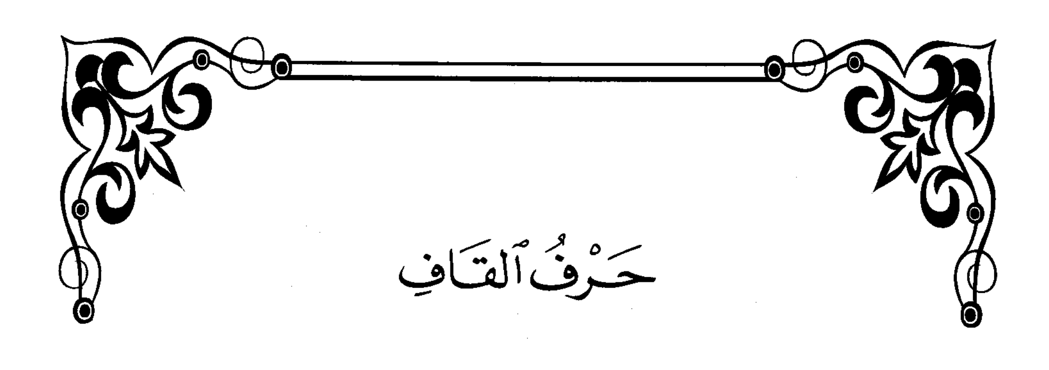
يَـا مَـنْ تَعَـشَّقَ عَبْـداً بِالـسَّمَاعِ بِـهِ
وَعِنْـدَهُ أَبْـيَضٌ كَالبَـدْرِ فِـي الحَمَـلِ

خُـذْ مَـا رَأَيْـتَ وَدَعْ شَـيْئاً سَـمِعْتَ بِـهِ
فِي طَلْعَةِ البَـدْرِ مَـا يُغْنِيـكَ عَـنْ زُحَـلِ

* * *

٣١٣ ـ أميـر العرب فضل بن عيسى بن رملة بن جمـاز، أميرُ آل علي: ولي الإمرة بعد أخيه حادث خمسة وثلاثين سنة، وأخوه حادث ورث الإمرة بعد أبيه سنتين، ولما جاء الظاهر برقوق الكرك، رحل هو وعربه معه، وصار له بذلك عنده وَجاهة، وقبض عليه نوروز، وحبسه بقلعة دمشق، ثم إنـه اتهم بمكاتبة المؤيد شيخ، فقتله في ذي القعدة، **سنة ست عشرة وثمان مئة**.

* * *



حَرْفُ ٱلقَافِ

٣١٤ ـ أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم ـ بتشديد اللام ـ: وكان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة، واشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه، وكان ذا دين وسيرة جميلة، ومذهب حسن، وفضل بارع، وولي القضاء بمدينة طرسوس ثماني عشرة سنة، وله مصنفات نافعة في القرآن والحديث والفقه.

وقال الهلال الرقي: مَنَّ الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بالشافعي ﵁؛ تفقه في علم حديث رسول الله ﷺ، وأحمدَ بن حنبل ﵁؛ ثبت في المحنة، ولولا ذاك لكفر الناس، ويحيى بن معين؛ نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ، وبأبي عبيد القاسم؛ فسَّر غريب الحديث، ولولا ذاك لاقتحم الناسُ الخطأ.

وكان له هيبة ووقار، قدم بغداد، فسمع الناس منه كتبه، ثم حج، ومات بمكة المشرفة، وقيل: بالمدينة الشريفة، بعد فراغه من الحج سنة اثنتين أو **ثلاث وعشرين ومئتين**، وقيل: في المحرم، سنة أربع وعشرين، ودفن في دور جعفر، ومولده بهراة.

* * *

٣١٥ ـ أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري، صاحبُ المقامات: كان أحد الأئمة في عصره، رُزق الحظوة التامة في عمل المقامات، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها، ومَنْ عرفها حقَّ معرفتها، استدل بها على فضل هذا الرجل، وكثرة اطلاعه، وغزارة مادته.

وللحريري مؤلفات حِسان، منها: «درة الغواص في أوهام الخواص»، ومنها: «ملحة الإعراب وسبحة الآداب» المنظومة في النحو، و«شرحها»، و«ديوان رسائل وأشعار».

فمن قوله:

قَالَ العَوَاذِلُ: مَا هَذَا الغَرَامُ بِهِ
أَمَا تَرَى الشَّعْرَ فِي خَدَّيْهِ قَدْ نَبَتَا

فَقُلْتُ: وَاللهِ لَوْ أَنَّ المُفَنِّدَ لِي
تَأَمَّلَ الرُّشْدَ فِي عَيْنَيْهِ مَا ثَبَتَا

وَمَنْ أَقَامَ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
فَكَيْفَ يَرْحَلُ عَنْهَا وَالرَّبِيعُ أَتَى

ويحكى: أنه كان دميماً، قبيح المنظر، فجاءه شخص غريب يزوره، ويأخذ عنه شيئاً، فلما رآه، استزرى شكله، ففهم الحريريُّ ذلك منه، فلما التمس منه أن يُملي عليه، قال له:

مَـــا أَنْـــتَ أَوَّلُ سَـــارٍ غَـــرَّهُ قَمَـــرٌ
وَزَائِـــرٍ أَعْجَبَتْـــهُ خُـــضْرَةُ الـــدِّمَنِ

فَــاخْتَرْ لِنَفْــسِكَ غَيْــرِي إِنَّنِــي رَجُــلٌ
مِثْــلُ المُعَيْــدِيِّ فَاسْــمَعْ بِــي وَلاَ تَرَنِــي

يشير إلى المثل: لأن تسمعَ بالمعيديِّ خيرٌ من أن تراه.

فخجل الرجل منه، وانصرف عنه.

وكانت ولادة الحريري في سنة ست وأربعين وأربع مئة بالبصرة، في سكة بني حرام. وحرام: قبيلة من العرب سكنوا هذه السكة، فنسبت إليهم.

والحريري: نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه.

وتوفي الحريري سنة خمس عشرة وخمس مئة، وكان الحريري قد أولع بنتف لحيته، والعبث بها.

* * *

٣١٦ ـ أبو محمد القاسم بن فيره بن أبي القاسم، خلف بن أحمد الرُّعَيني الشاطبيُّ الضريرُ، المقرئ: صاحب القصيدة التي سماها: «حرز الأماني ووجه التهاني» في القراءات، وعِدَّتها ألف ومئة وثلاثة وسبعون بيتاً، ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قراء هذا الزمان، وما سُبق إلى أسلوبها.

كان عالماً بكتاب الله ﷻ قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله ﷺ، مبرِّزاً فيه، وكان كثيراً ما ينشد هذا اللغز، وهو في نعش الموتى:

أَتَعْـــرِفُ شَـــيْئاً فِـــي الـــسَّمَاءِ نَظِيـــرُهُ
إِذَا سَـــارَ صَـــاحَ النَّـــاسُ حَيْـــثُ يَـــسِيرُ

فَتَلْقَـــاهُ مَرْكُوبـــاً وَتَلْقَـــاهُ رَاكِبـــاً
وَكُـــلُّ أَمِيـــرٍ يَعْتَرِيـــهِ أَسِـــيرُ

يَحُـــضُّ عَلَـــى التَّقْـــوَى، وَيُكْـــرَهُ قُرْبُـــهُ
وَتَنْفِـــرُ مِنْـــهُ الـــنَّفْسُ وَهْـــوَ نَـــذِيرُ

وَلَـــمْ يُـــسْتَزَرْ عَـــنْ رَغْبَـــةٍ فِـــي زِيَـــارَةٍ
وَلَكِـــنْ عَلَـــى رَغْـــمِ المَـــزُورِ يَـــزُورُ

ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، وتوفي يوم الأحد، بعد صلاة العصر، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، سنة تسعين وخمس مئة، ودفن يوم الاثنين في تربة القاضي الفاضل بالقرافة الصغرى.

والرعيني: نسبة إلى ذي رُعَين، وهي إحدى قبائل اليمن.

والشاطبي: نسبة إلى شاطبة، وهي مدينة كبيرة ذات قلاع حصينة بشرق الأندلس، خرج منها جماعة من العلماء، استولى عليها الفرنج في العشر الأخير من رمضان، سنة خمس وأربعين وست مئة.

* * *

٣١٧ ـ أبو دُلَف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجليُّ: أحد قواد المأمون، ثم المعتصم، وكان كريماً جواداً، شجاعاً مقداماً، ذا وقائع مشهورة.

ومدحه أبو تمام الطائي، من هذا:

يَـــا طَالِبَـــاً لِلكِيمِيَـــاءِ وَعِلْمِـــهِ
مَـدْحُ ابْـنِ عِيـسَى الكِيمِيَـاءُ الأَعْظَـمُ

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي الأَرْضِ إِلاَّ دِرْهَـمٌ
وَمَدَحْتَـــهُ لأَتَـــاكَ ذَاكَ الـــدِّرْهَمُ

فأعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم.

وله أشعار حسنة، وقد كان أبوه شرع في عمارة مدينة الكرخ، وأتمها هو، وكان بها أهله وعشيرته.

توفي سنة ست وعشرين ومئتين ببغداد.

* * *

٣١٨ ـ الشيخ علم الدين القاسم بن بهاء الدين محمد بن زكي الدين يوسف، البرزاليُّ الإشبيليُّ، ثم الدمشقيُّ، الشافعيُّ: الحافظُ المحدِّث المؤرخُ.

مولده في جمادى الأولى، سنة خمس وستين وست مئة، وتوفي بُخليص مُحرِماً، في رابع ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين وسبع مئة، عن

أربع وسبعين سنة، وهو من مشايخ الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ.

* * *

أبو دُلَف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي: أحد قواد المأمون[1].

* * *

٣١٩ ـ شمس المعالي الأمير أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر، الجيليُّ: أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان، خاتم الملوك، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن مشهور ما ينسب إليه من شعر:

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا
هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إلاَ مَنْ لَهُ خَطَرُ

أَمَا تَرَى البَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ
وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ

وَإِنْ تَكُنْ عَبَثَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا
وَنَالَنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ ضَرَرُ

فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إلاَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ

---

(١) كذا في الأصل، وقد تقدم ذكره قريباً.

وكان الأمير المذكور صاحبَ جرجان وتلك البلاد، وكانت من قبله لأبيه، وكانت وفاة أبيه في المحرم، سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة بجرجان، ثم انتقلت مملكة جرجان عنهم إلى غيرهم، وملكها قابوس في شعبان، سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، وكان من محاسن الدنيا وبهجتها، لكنه كان لا يُؤْمَنُ بحالٍ سطوتُهُ وبأسُهُ، يقابل زلة القدم بإراقة الدم، لا يذكر العفو عند الغضب، فكان ذلك سبب الوحشة بينه وبين عسكره، فقصدوا خلعه، وتوليةَ ولده منصور، فلما رأى قابوس ذلك، تلافى نفسَه، واجتمع بولده، وسلَّم خاتم المملكة إليه، واستوصاه بنفسه خيراً، واتفقا على أن يكون في بعض القلاع حتى يأتيه الموت، ففعل ذلك، ولم يزل في القلعة حتى مات.

* * *

٣٢٠ ـ أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة، السَّدوسِيُّ البصريُّ الأكمهُ: كان تابعياً، وعالماً كبيراً.

ولد سنة ستين للهجرة، وتوفي بواسط سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومئة، وكان أنسبَ العرب، وقتلته الأزارقة، وقيل: إنه غرق بدُجيل في وقعة دولاب، وهو الأصح.

* * *

٣٢١ ـ أبو حفص قُتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحُصين ابن ربيعة الباهلي: أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة

الحجاج بن يوسف الثقفي؛ لأنه كان أمير العراقين، وكان شهماً مقداماً نجيباً، وفتح الفتوحات، فلما مات الوليد في سنة ست وتسعين، وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك، وكان يكره قتيبة، فخاف منه قتيبة، وخلع بيعة سليمان، وخرج عليه، وأظهر الخلاف، وكان قتيبة قد عزل وكيعَ ابنَ حسان عن رئاسة بني تميم، فحقد وكيع عليه، وسعى في اختلاف الجند سراً، وقعد عن قتيبة متمارضاً، ثم خرج عليه وهو بفرغانة، فقتله في ذي الحجة، سنة ست وتسعين للهجرة.

ومولده سنة تسع وأربعين، وتولى خراسان تسع سنين، وسبعة أشهر.

* * *

٣٢٢ ـ أبو سعيد قراقوش بن عبدالله، الأسديُّ، الملقب بهاء الدين: كان خادم صلاح الدين، وقيل: خادم أسد الدين شيركوه عمِّ صلاح الدين، فأعتقه، ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية، جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوض أمورها إليه، وكان مسعوداً، صاحبَ همة عالية، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما، وبنى قلعة الجبل، والقناطر التي بالجيزة على طرائق الأهرام، وله وقف كثير لا يعرف مصرفه.

ولما أخذ صلاح الدين عكا من الفرنج، سلمها إليه، ثم لما استولوا عليها، صار أسيراً، فافتدى نفسه بعشرة آلاف دينار، وانفك من الأسر

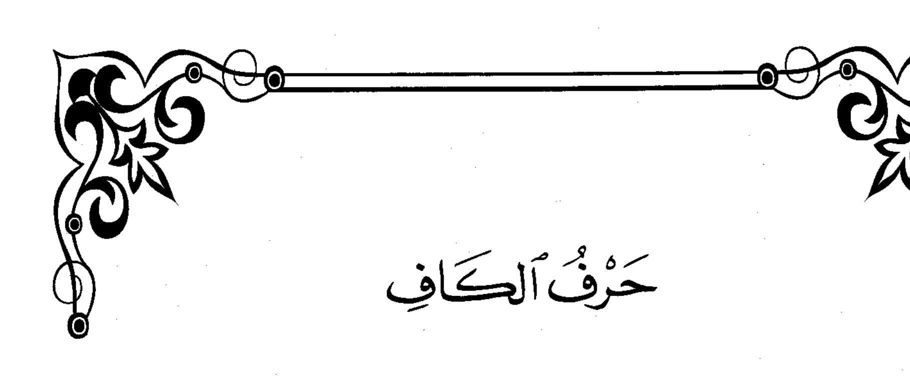
في يوم الثلاثاء، حادي عشر شوال، سنة ثمـان وثمانين وخمس مئـة، ومثل في الخدمة الشريفة، واستأذن في المسير إلى دمشق.

والناس ينسبون إليه حكايات عجيبة في ولايتـه، حتى إن الأسعد ابن مماتي له جزء لطيف سماه: «الفاشوش في أحكام قراقوش»، وفيه أشياء يبعُـد وقوعهـا منـه، والظاهر أنهـا موضوعـة؛ فإن صلاح الدين كان معتمـداً في أحوال المملكة عليـه، ولولا وثوقـه بمعرفته وكفايته، ما فوضها إليه.

توفي مستهل رجب، سنة سبع وتسعين وخمس مئة بالقاهرة، ودفن في تربته المعروفة بسفح المقطَّم، بقرب البئر والحوض الذين أنشأهما على شفير الخندق.

وقرقوش: لفظ تركي تفسيره بالعربي: العقاب الطائر.

* * *



حَرْفُ الكَافِ

٣٢٣ ـ أبو المسك كافور بن عبدالله الأخشيدي: كان عبداً لبعض أهل مصر، اشتراه أبو بكر محمد بن طُغج الأخشيدي في سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة بمصر من محمود بن وهب بن عباس، وترقى[1] وهو عنده، وجعله أتابكَ ولديه، وبلغت خزانته كلَّ يوم ثلاثةَ عشرَ ألفاً، ولما توفي الأخشيدي، تولى مملكة مصر والشام ولدُه الأكبر أبو القاسم، وقام له كافور بتدبير دولته أحسنَ قيام إلى أن توفي يوم السبت، لثمانٍ، وقيل: سبعٍ من ذي القعدة، سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وحُمل إلى القدس، ودفن عند أبيه، وكانت ولادته بدمشق يوم الخميس، لتسعٍ خلون من ذي الحجة، سنة تسع عشرة وثلاث مئة. وتولى بعده أخوه أبو الحسن علي، وملك الرومُ في أيامه حلب، والمصيصة، وطرسوس، فاستمر كافور على نيابته إلى أن توفي عليٌّ المذكور لإحدى عشرةَ ليلة خلت من المحرم، سنة خمس وخمسين، وكانت ولادته يوم الثلاثاء، لأربعٍ خلون من صفر، سنة ست وعشرين وثلاث مئة بمصر.

---

(١) في الأصل: «وتوفى».

ثم استقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ، وأشير عليه بإقامة الدعوة لولد أبي الحسن علي، فاحتج بصغر سنه، وركب المطارد، وأظهر خِلَعاً جاءته من العراق، وكتاباً بتكنيته، وركب بالخِلَع يوم الثلاثاء، لعشرٍ خلون من صفر، سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وكان يرغب في أهل الخير، ويعظِّمهم، وكان أسود شديد السواد بصاصاً، واشتراه الأخشيد بثمانية عشر ديناراً.

ومدحه المتنبي بأحسن المدائح، فمن ذلك قوله في أول قصيدة أنشدها له في جمادى الآخرة، سنة ست وأربعين وثلاث مئة، وقد وصف الخيل، ثم قال:

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ
وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ
وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَأَمَاقِيَا

ولقد أحسن في هذا غاية الإحسان.

ثم حصل بينهما وحشة، فهجاه، ثم فارق مصر، ومن جملة هجائه قصيدة دالية في آخرها هذان البيتان:

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً
أَقَوْمُهُ البِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ

وَذَاكَ أَنَّ الفُحُـولَ البِـيضَ عَـاجِزَةٌ
عَـنِ الجَمِيـلِ فَكَيْـفَ الخِـصْيَةُ الـسُّودُ

ولم يزل كافور مستقلاً بالأمر إلى أن توفي يوم الثلاثاء، لعشرٍ بقين من جمادى الأولى، **سنة ست وخمسين وثلاث مئة** بمصر، ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره مشهور هناك، ولم تطل مدته في الاستقلال، وكانت بلاد الشام في مملكته مع مصر، ويُدعى له على المنابر بمكة المشرفة، والحجاز، وغير ذلك، وكان تقدير عمره خمساً وستين سنة، وكانت أيامه شديدة، وقيل: إنه توفي سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، وكانت ولايته على حكم موته في التاريخ الثاني سنتين وثلاثة شهور ـ تقريباً ـ.

ولما توفي تقرر الحال بولد أبي الحسن علي بن الأخشيد، وخُطب لأبي الفوارس أحمد بن علي بن الأخشيد يوم الجمعة، لسبعٍ بقين من جمادى الأولى، سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.

* * *

٣٢٤ ـ أبو صخر كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن بن أبي جمعة، الأسودُ، الخزاعيُّ: أحد عشاق العرب المشهورين، وكان رافضياً شديدَ التعصب لآل أبي طالب، ومن شعره:

قَـضَى كُـلُّ ذِي دَيْـنٍ فَـوَفَّى غَرِيمَـهُ
وَعَـزَّةُ مَمْطُـولٌ مُعَنًّـى غَرِيمُهَـا

وهو صاحبُ عَزَّة بنتِ جميل بن حفص، كان مغرماً بها، وله معها حكايات ونوادر مشهورة.

وكان كُثيِّر بمصر، وعزة بالمدينة، فاشتاق إليها، وسافر نحوها، فلقيها في الطريق وهي متوجِّهة إلى مصر، وجرى بينهما كلام، ثم انفصلت عنه، وقدمت مصر، فعاد كُثير إلى مصر، فوافاها والناس منصرفون من جنازتها، فأتى قبرَها، وأناخ راحلته، وسكت ساعة، ثم رحل وهو ينشد أبياتاً، منها:

أَقُولُ وَنِضْوِي وَاقِفٌ عِنْدَ قَبْرِهَا
عَلَيْكِ سَلاَمُ اللهِ وَالعَيْنُ تَسْفَحُ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكِ حَيَّةً
فَأَنْتِ لَعَمْرِي اليَوْمَ أَنْأَى وَأَنْزَحُ

وتوفي كُثيِّر في سنة خمس ومئة، وكان موت عكرمةَ مولى ابن عباس وكُثيِّرٍ في يوم واحد بالمدينة، فقال الناس: مات أفقهُ الناس، وأشعر الناس.

وكُثَيِّر: تصغير كَثِير، وإنما صُغِّر؛ لأنه كان حقيراً شديدَ القِصَر، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان، يقول له: طأطِ رأسك لئلاً يؤذيك السّقف، يمازحه بذلك، وكان يلقب: زب الذباب، وكان طوله قريباً من الثلاثة أشبار.

* * *

٣٢٥ ـ مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين علي كوجك ابن بكتكين بن محمد: الملقب: الملك المعظم، صاحب إربل، رزق أولاداً كثيرة، وكوجك: لفظ أعجمي، ومعناه بالعربي: صغيرٌ؛ أي: صغير القد، وأصله من التركمان، وملكَ إربل وبلاداً كثيرة بعد وفاة أخيه زين الدين يوسف في شوال، سنة ست وثمانين وخمس مئة، وعُمِّر طويلاً، يقال: إنه جاوز مئة سنة، وعمي في آخر عمره، وكان له في فعل الخيرات غرائبُ لم يُسمع بمثلها، ولم يكن شيء في الدنيا أحبَّ إليه من الصدقة، وله بمكة المشرفة ـ حرسها الله تعالى ـ آثار جميلة، وبعضها باقٍ إلى الآن، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف، وغرم عليه جملة كثيرة، وعمل بالجبل مصانع للماء، فإن الحجاج كانوا يتضرَّرون من عدم الماء هناك، وبنى له ـ أيضاً ـ تربة هناك.

وأما احتفاله بعمل مولد النبي ﷺ، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به؛ لما كان ينفقه فيه من الأموال الجليلة.

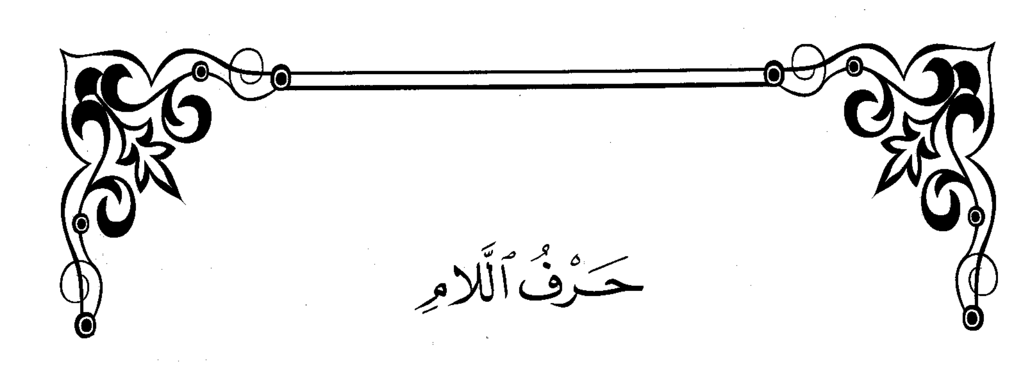
وكان شجاعاً، كثير التواضع، حسن العقيدة، سالم البطانة، شديد الميل إلى السنَّة والجماعة.

وتوفي وقت الظهر يوم الأربعاء، ثامن عشري رمضان، **سنة ثلاثين وست مئة**، ودفن بداره، ثم حمل بوصية منه إلى مكة المشرفة ليدفن في القبة التي أعدت له تحت الجبل في ذيله، فاتفق أن الحاج رجع تلك السنة من لِيْنَهْ، ولم يصل إلى مكة، فردوه، ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد.

وكُوكُبوري : ـ بضم الكافين، وبعدهما باء، ثم واو ساكنة بعدها راء ـ، وهو اسم تركي معناه بالعربي : ذئب أزرق.

ولِيْنَهْ ـ بكسر اللام، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح النون، وبعدها هاء ساكنة ـ: منزلة في طريق الحجاز من جهة العراق، وكان الركب في تلك السنة قد رجع منها؛ لعدم الماء، وقاسَوْا مشقة عظيمة.

* * *



حَرْفُ ٱللَّامِ

٣٢٦ ـ أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن: إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مُسَافر الفَهْمي، وأصله من أصبهان، كان ثقة سخياً.

قال الشافعي ﷺ: الليث بن سعد أفقهُ من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وكان من الكرماء الأجواد، يقال: إن دخله كان في كل سنة خمسة آلاف دينار، وكان يفرقها في الصدقات وغيرها.

ويقال: إن الليث كان حنفي المذهب، وإنه ولي القضاء بمصر، وإن مالكاً أهدى إليه صينية فيها تمر، فأعادها إليه مملوءة ذهباً، وكان يتخذ لأصحابه الفالوذج، ويعمل فيه الدنانير، فيحصل لكل من أكل كثيراً أكثر من أصحابه.

ولد سنة اثنتين وتسعين للهجرة، وتوفي يوم الخميس، منتصف شعبان، سنة خمس وسبعين ومئة، ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى، وقبره أحد المزارات.

قال بعض أصحابه: لما دفنا الليث بن سعد، سمعنا صوتاً وهو يقول:

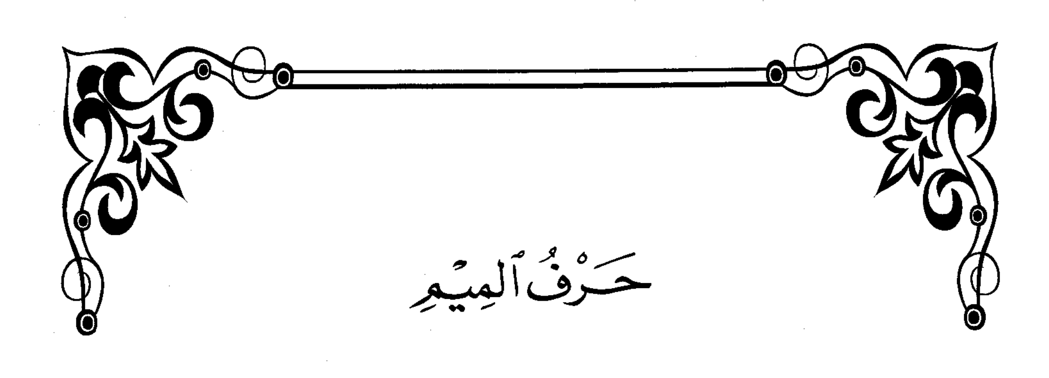
ذَهَبَ اللَّيْثُ فَلاَ لَيْثَ لَكُمْ   وَمَضَى العِلْمُ غَرِيباً وَقُبِرْ[1]

قال: فالتفتنا، فلم نر أحداً.

وترجمه الشافعي ترجمة عظيمة، وكان يأتي إلى قبره بالقرافة في كل عشية جمعة، ويستمر حتى يقرأ على قبره ختماً كاملاً، ثم استمر أهل مصر يفعلون ذلك بقبره في عشية كل جمعة إلى يومنا هذا، ويحتفلون بذلك، ولهم فيه اعتقاد عظيم، وله سر ظاهر، وأحوال بارزة ـ نفعنا الله تعالى به ـ.

* * *

(١) في الأصل: «فتر».



حَرْفُ ٱلمِيمِ

٣٢٧ ـ الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان ـ بغين معجمة ـ، ويقال: عثمان ـ بعين مهملة ـ، الأصبحيُّ المدنيُّ: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأعلام، أخذ القراءة عَرْضاً عن نافع بن أبي نعيم، وسمع الزهري، ونافعاً مولى ابن عمر، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي، وكان إذا أراد أن يُحَدِّث توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة، فقيل له في ذلك، فقال: أحبُّ أن أعظِّم رسولَ الله ﷺ، وكان لا يركب في المدينة، مع ضعفه وكبر سنه، ويقول: لا أركب في مدينة فيها جثةُ رسول الله ﷺ مدفونة.

وسُعي به إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وهو ابن عم أبي جعفر المنصور، وقالوا له: إنه لايرى أيمانَ بيعتكم هذه بشيء، فغضب جعفر، ودعا به، وجرَّده، وضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت كتفه، وارتكب فيه أمراً عظيماً، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علوٍّ [و]رفعةٍ، وكأنما كانت تلك السياط حُلياً حُلِّي به.

وذكر ابن الجوزي في سنة سبع وأربعين ومئة: أن فيها ضُرب مالك ابن أنس سبعين سوطاً؛ لأجل فتوى لم تكن غرض السلاطين[1].

وكانت ولادته سنة خمس وتسعين للهجرة، وحُمل به ثلاث سنين، وتوفي في بكرة رابع عشر شهر ربيع الأول، **سنة تسع وسبعين ومئة** رضي الله عنه، وعاش أربعاً وثمانين سنة، وقال الواقدي: تسعون سنة، وقيل غير ذلك، وكانت وفاته بالمدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، ودفن بالبقيع.

وكان شديد البياض إلى الشقرة، طويلاً، عظيم الهامة، أصلع، يلبس الثياب العَدَنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويَعِيبه، ويراه من المُثْلة، ولا يغيِّر شيبه.

والأصبحي: نسبة إلى ذي أصبح، واسمه: الحارثُ بن عوف بن مالك، وهو من يَعْرُبَ بن قحطان، وهي قبيلة كبيرة باليمن، وإليها تنسب السياط الأصبحية.

* * *

٣٢٨ ـ الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيدة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، المطلبيُّ الشافعيُّ: يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مَنَاف المذكور، وباقي النسب إلى مَعَدِّ بن عدنان، لقي جدُّه شافعٌ النبيَّ ﷺ،

---

(١) انظر: «المنتظم» لابن الجوزي (٨/ ١٠٥).

وهو مترعرع، وكان أبوه السائب صاحبَ راية بني هاشم يومَ بدر، فأُسر، وفَدَى نفسه، ثم أسلم.

وكان الشافعي كثير المناقب، جَمَّ المفاخر، منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم: كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة ﷺ، وآثارهم، واختلافهم، واختلاف أقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب، واللغة العربية، والشعر.

وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ في حقه: الشافعي كالشمس للدنيا، والعافية للبدن، فهل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض؟

ولما حملت به أمه، رأت كأن المشتري خرج من فرجها، ثم انقضَّ بمصر، ثم وقع في كل بلدة منه شظية، فتأول أصحابُ الرؤيا أن يخرج عالم يخصُّ علمُه أهلَ مصر، ثم يتفرق في سائر البلدان.

حفظ «الموطأ»، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة.

وقال أحمد بن حنبل: ما من أحد بيده محبرة أو ورق إلا للشافعي في رقبته منة.

ومن دعائه: اللهمَّ يالطيفُ أسألك اللطفَ فيما جرت به المقادير.

وهو مشهور بين العلماء بالإجابة، وأنه مجرب.

وفضائله أكثر من أن تحصر.

ولد سنة خمسين ومئة، وقد قيل: إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة ﷺ، وكانت ولادته بمدينة غزة، وهو الأصح، وقيل:

بعسقلان، وقيل: باليمن، وحُمل من غـزة إلى مكـة وهـو ابن سنتين، ونشأ بها، ورحل إلى مالك بن أنس، وقدم بغـداد سنة خمس وتسعين ومئة، فأقام بها شهراً، ثم خرج إلى مصر، وكان وصولـه إليها في سنة تسع وتسعين ومئة، وقيل: سنة إحدى ومئتين، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة، آخر يوم من رجب سنة **أربع ومئتين**، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم ﷺ، والقبـة المبنية على قبره بناها الملك الكامل بعـد العشرين وسـت مئـة، ومات وعمره أربع وخمسون سنة.

ورئي له منامات حسنة، وله أشعار كثيرة، فمن المنسوب إليه:

رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِـنْ غَيْـرِ قَـصْدٍ ... وَمِنَ البِـرِّ مَـا يَكُـونُ عُقُوقَـا

ومن شعره:

كُلَّمَـــا أَدَّبَنِـــي الدَّهْـــــ ... ـــرُ أَرَانِـي نَقْـصَ عَقْلِـي

وَإِذَا مَـــا ازْدَدْتُ عِلْمـــاً ... زَادَنِـــي عِلْمـــاً بِجَهْلِـــي

وهو القائل:

وَلَوْلاَ الـشِّعْرُ بِالعُلَمَـاءِ يُـزْرِي ... لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرَ مِـنْ لَبِـيدِ

وَلَـوْلاَ خَـشْيَةُ الـرَّحْمَنِ رَبِّـي ... جَعَلْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ عَبِـيدِي

ومناقبه وأخباره كثيرة مشهورة، رضي الله عنه، ونفعنا به.

* * *

٣٢٩ ـ السيد تاج العارفين أبو الوفا محمد بن محمد بن محمد ابن زيد بن حسن بن المرتضى الأكبر عوض بن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، الشريفُ الحسينيُّ القوسانيُّ: السيد الجليل، قطب زمانه، وعلامة أوانه.

مولده ـ على الصحيح ـ في ثاني عشر رجب، سنة سبع عشرة وأربع مئة، واختلف الترجيح في مذهبه، فقيل: حنبلي، وقيل: شافعي.

توفي في العشرين من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وخمس مئة بقلمينا ـ بلدة إلى جانب بغداد ـ، رضي الله عنه، ونفعنا به.

* * *

٣٣٠ ـ أبو يحيى، مالك بن دينار البغويُّ، وهو من موالي بني أسامة بن لؤي، القرشيُّ: كان عالماً زاهداً، كثير الورع، قنوعاً، لا يأكل إلا من كسب يده، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وله مناقب عديدة، وآثار مشهورة، وكان من كبار السادات.

توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة قبل الطاعون بيسير ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٣٣١ ـ أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، الشيبانيُّ المعروف بابن الأثير، الجزريُّ، الملقب مجد

الدين: أشهر العلماء ذكراً، وأكبر النبلاء قدراً، وأحد الفضلاء المشار إليهم، وفرد الأماثل المعتمد في الأمور عليهم، له المصنفات البديعة، ولد بجزيرة ابن عمر في أحد الربيعين، سنة أربع وأربعين وخمس مئة، ونشأ بها، ثم انتقل إلى الموصل سنة خمس وستين وخمس مئة، ثم عاد إلى الجزيرة، ثم إلى الموصل، وتنقل إلى الولايات بها، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه، فمنعه من الكتابة، وأقام في داره يغشاه الأكابر والعلماء.

وقيل: إنه صنف كتبه كلها في مدة العطلة، فإنه تفرغ لها، وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار والكتابة.

وتوفي بالموصل في سلخ ذي الحجة، **سنة ست وست مئة** في نهار الخميس، ودفن برباطه بدرب دراج داخل الموصل.

وجزيرة ابن عمر: مدينة فوق الموصل على دجلتها، سميت جزيرة؛ لأن دجلة محيط بها، بناها رجل من أهل برقعيد، يقال له: عبد العزيز بن عمر.

* * *

٣٣٢ ـ أبو الميمون، المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر، ابن منقذ، الملقب: سيف الدولة، الكنانيُّ، مجد الدين: كان من أمراء الدولة الصلاحية، وشاد الديوان بالديار المصرية، وهو من بيت كبير، ولم يزل سيفُ الدولة مقدَّماً، كبير القدر، نبيه الذكر، رئيساً عالي الهمة،

وكانـت فيـه فضيلة، وكان يحب أربابها، ومدحـه جماعـة من مشاهير الشعراء، وله شعر جيد، فمن ذلك: قوله في البراغيث:

وَمَعْـشَرٍ يَـسْتَحِلُّ النَّـاسُ قَـتْلَهُمُ
كَمَا اسْتَحَلُّوا دَمَ[1] الحجَّاجِ فِي الحَـرَمِ

إِذَا سَـفَكْتُ دَمـاً مِـنْهُمْ فَمَـا سَـفَكَتْ
يَـدَايَ مِـنْ دَمِـهِ المَـسْفُوكَ غَيْـرَ دَمِـي

هكذا رواهما عز الدين أبو القاسم عبدالله بن أبي علي الحسين بن رواحة الأنصاري الحَمَوي.

ومولد أبي القاسم المذكور بساحل صقلية سنة ستين وخمس مئة، ومات سنة ست وأربعين وست مئة في جب التركماني المنزلة التي بين حلب وحماة وهو راكب على الجمل، وكانت ولادته في مركب، ومات على جمل.

وكانت ولادة سيف الدولة بقلعة شَيْزَر سنة ست وعشرين وخمس مئة، وتوفي بالقاهرة يوم الثلاثاء، ثامن شهر رمضان، سنة تسع وثمانين وخمس مئة.

والذروي: نسبة إلى ذروى، وهي قرية بصعيد مصر.

* * *

---

(١) في الأصل: «دماء».

٣٣٣ ـ أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة، اللخميُّ، الملقب: شرف الدين، المعروف بابن المستوفي الإربلي: كان رئيساً جليل القدر، كثير التواضع، واسع الكرم، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته، وحمل إليه ما يليق بحاله.

وكان جمَّ الفضائل، عارفاً بعدة فنون، بارعاً في علم الديوان وحسابه، وله مصنفات في التاريخ والشعر، والأدب والتفسير، فمن شعره: بيتان فَضَّلَ فيهما البياض على السمرة، ومنه:

لاَ تَخْدَعَنَّكَ سُمْرَةٌ وَغِرَارَةٌ ... مَا الحُسْنُ إلاَّ لِلبَيَاضِ وَجِنْسِهِ

فَالرُّمْحُ يَقْتُلُ بَعْضُهُ مِنْ غَيْرِهِ ... وَالسَّيْفُ يَقْتُلُ كُلُّهُ مِنْ نَفْسِهِ

ومن أشعاره التي يُتغنى بها قوله:

يَا لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ سَهِرْتُهَا ... قَابَلْتُ فِيهَا بَدْرَهَا بِأَخِيهِ

سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا فَكَانَتْ لَيْلَةً ... عَذُبَ العُبَابُ بِهَا لِمُجْتَذِبِيهِ

أَحْيَيْتُهَا وَأَمَتُّهَا عَنْ حَاسِدٍ ... مَا هَمُّهُ إلاَّ الحَدِيثُ يَشِيهِ

وَمُعَانِقِي حُلْوُ الشَّمَائِلِ أَهْيَفٌ ... جُمِعَتْ مَحَاسِنُ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ

يَخْتَالُ مُعْتَدِلاً فَإِنْ عَبَثَ الصَّبَا ... بِقَوَامِهِ مُتَعَرِّضاً يَثْنِيهِ

نَشْوانُ تَهْجُمُ بِي عَلَيْهِ صَبَابَتِي ... وَيَرُدُّنِي وَرَعِي فَأَسْتَحْيِيهِ

عَلِقَتْ يَدِي بِعِذَارِهِ وَبِخَدِّهِ هَذَا أُقَبِّلُهُ وَذَا أَجْنِيهِ
لَوْ لَمْ تُخَالِطْ زَفْرَتِي أَنْفَاسَهُ كَادَتْ تَنِمُّ بِنَا إِلَى وَاشِيهِ
حَسَدَ الصَّبَاحُ اللَّيْلَ لَمَّا ضَمَّنَا غَيْظاً وَفَرَّقَ بَيْنَنَا دَاعِيهِ

ولد في شوال، سنة أربع وستين وخمس مئة بقلعة إربل، وهو من بيت كبير، وكان عمه فاضلاً، وهو الذي نقل «نصيحة الملوك» تصنيف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي من اللغة الفارسية إلى العربية، فإن الغزالي وضعها بالفارسية، وتوفي بالموصل يوم الأحد، لخمسٍ خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين وست مئة، ودفن بالمقبرة خارج باب الجَصَّاصة، وكان مستوفي الديوان بإربل، والاستيفاء بتلك البلاد بمنزلة عَلِيَّة تِلْو الوزارة، ثم بعد ذلك تولى الوزارة في المحرم، سنة تسع وعشرين وست مئة، وشُكرت سيرته فيها ـ رحمه الله ـ.

* * *

٣٣٤ ـ أبو بكر المبارك بن أبي طالب المبارك بن أبي الأزهر سعيد، الملقب: الوجيه، المعروف بابن الدهان، النحويُّ الضريرُ الواسطيُّ: ولد ببلده، ونشأ بها، وحفظ القرآن، واشتغل بالعلم، ثم قدم بغداد، واستوطنها، وتفقه على مذهب أبي حنيفة بعد أن كان حنبلياً، ثم شَغَر منصب تدريس النحو بالنظامية، وشرط الواقف أنه لا يفوض إلا إلى شافعي المذهب، فانتقل الوجيهُ المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاه، وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات التكريتي:

فَمَــنْ مُبْلِــغٌ عَنِّــي الوَجِيــهَ رِسَــالَةً
وَإِنْ كَــانَ لاَ تُجْــدِي إِلَيْــهِ الرَّسَــائِلُ
تَمَــذْهَبَ لِلنُّعْمَــانِ بَعْــدَ ابْــنِ حَنْبَــلٍ
وَذَلِــكَ لَمَّــا أَعْوَزَتْــكَ المَآكِــلُ
وَمَــا اخْتَــرْتَ رَأْيَ الــشَّافِعِيِّ [تَــدَيُّناً]
وَلَكِنَّمَــا تَهْــوى الَّــذِي مِنْــهُ حَاصِــلُ
وَعَمَّــا قَلِيــلٍ إِنَّمَــا أَنْــتَ صَــائِرٌ
إِلَــى مَالِــكٍ فَــانْظُرْ لِمَــا أَنْــتَ قَائِــلُ

وكان الوجيه فيه شَرَهُ نفس، وتوسُّع في القول، وكان كثير الدعاوى.

ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة بواسط، وتوفي ليلة الأحد السادس والعشرين من شعبان، **سنة اثنتي عشرة وست مئة ببغداد**، ودفن من الغداة بالوردية.

* * *

٣٣٥ ـ أبو المعالي مُجَلِّي بن جميع بن نَجا، القرشيُّ المخزوميُّ الأرسوفيُّ الأصل، المصريُّ الدار والوفاة، الفقيهُ الشافعيُّ: كان من أعيان الفقهاء المشار إليهم في وقته، وصنف في الفقه «الذخائر»، وهو مبسوط، جمع من المذهب شيئاً كثيراً، وفيه نقل غريب ربما لا يوجد في غيره، وتولى القضاء بمصر سنة سبع وأربعين وخمس مئة بتفويض من

العادل علي؛ فإنه كان صاحب الأمر في ذلك الوقت، ثم صُرف عن القضاء في أول سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وتوفي في ذي القعدة سنة خمسين وخمس مئة، ودفن بالقرافة الصغرى.

والأرسوفي: نسبة إلى أرسوف، وهي بليدة على ساحل البحر بالقرب من رملة فلسطين، كان بها جماعة من العلماء والمرابطين، ثم استولى عليها الفرنج ـ خذلهم الله ـ مدة، ثم انتزعها السلطان الملك الظاهر ركنُ الدين أبو الفتح بيبرس الصالحيُّ النجميُّ من أيديهم في شهور سنة ثلاث وستين وست مئة، في سادس عشر رجب، بعد أن ملك قيسارية، وخربها، وعَفَّى آثارها، مع الكثير من البلاد الساحلية التي تجاورها؛ كيافا وغيرها؛ فإنه خربها بعد أن ملكها ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٣٣٦ ـ القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد، التنوخيُّ: قال الثعالبي في حقه ـ بعد أن ذكر فضيلة أبيه ـ: هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله، والفرع المشيد لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد وفاته.

وفيه يقول أبو عبدالله بن الحجاج الشاعر:

إِذَا ذُكِـرَ القُـضَاةُ وَهُـمْ شُـيُوخٌ
تَخَيَّـرْتُ الـشَّبَابَ عَلَـى الـشُّيُوخِ

وَمَــنْ لَــمْ يَــرْضَ لَــمْ أَصْــفَعْهُ إِلاَّ
بِـحَـضْرَةِ سَـيِّدِي القَاضِــي التَّنُـوخِي

وله كتاب «الفرج بعد الشدة»، و«المستجاد من فعلات الأجواد».

ولي القضاء بجزيـرة ابن عمـر، ولـه ديوان شعر، وتقلَّد القضايا بأعمال كثيرة في نواحٍ مختلفة، ومن شعره:

قُـلْ لِلمَلِيحَـة فِـي الخِمَـارِ المُـذْهَبِ
أَفْسَدْتِ نُـسْكَ أَخِـي التُّقَـى المُتَرَهِّـبِ
نُــورُ الخِمَــارِ وَنُــورُ خَــدِّكِ تَحْتَــهُ
عَجَبـاً لِوَجْهِـكِ كَيْـفَ لَـمْ[1] يَتَلَهَّـبِ
وَجَمَعْـتِ بَـيْنَ المَـذْهَبَيْنِ فَلَـمْ يَكُـنْ
لِلْحُـسْنِ عَـنْ ذَهَبَيْهِمَـا مِـنْ مَـذْهَبِ
وَإِذَا أَتَــتْ عَــيْنٌ لِتَــسْرِقَ نَظْــرَةً
قَالَ الـشُّعَاعُ لَهَـا اذْهَبِــي لاَ تَذْهَبِــي

وما ألطف قوله: اذهبي لا تذهبي، وله أشياء حسنة.

ولـد ليلة الأحـد، لأربـعٍ بقين من شهـر ربيـع الأول، سنة سبـع وعشرين وثلاث مئة [بالبصرة، وكانت وفاته ليلة الاثنين، لخمسٍ بقين

---

(١) في الأصل: «لا».

من المحرم، سنة أربع وثمانين وثلاث مئة][1] ببغداد.

[وللشاعر مسكين الدارمي]، وهو من مجيدي الشعراء نظيرُ هذه الأبيات:

قُـلْ لِلْمَلِيحَـةِ فِـي الخِمَـارِ الأَسْـوَدِ
مَـاذَا أَرَدْتِ بِنَاسِـكٍ مُتَعَبِّـدِ
قَـدْ كَـانَ شَـمَّرَ لِلـصَّلاَةِ إِزَارَهُ
حَتَّـى قَعَـدْتِ لَـهُ بِبَـابِ المَـسْجِدِ

* * *

٣٣٧ ـ أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنيفية: أمُّه الحنفية خولةُ بنتُ جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة، وأما كنيته أبو القاسم، فيقال: إنها رخصة من رسول الله ﷺ، وأنه قال لعلي رضي الله عنه: «سيولد لكَ بعدي غلامٌ، وقد نحلتُه اسمي وكُنيتي، ولا تحلُّ لأحدٍ من أمتي بعده»[2].

وممن تسمى محمداً، وتكنى أبا القاسم: محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن طلحة بن عبيدالله، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص،

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ١٦٢).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٣٣٠)، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومحمد بن عبـد الرحمن بن عوف، ومحمد بن جعفـر بن أبي طالب، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة، ومحمد بن الأشعث بن قيس.

وكان محمد المذكور كثير العلم والورع، وكان شديد القوة، وكانت راية أبيه يوم صِفِّين بيده، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ، وتوفي في أول سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وثمانين بالمدينة الشريفة، وصَلَّى عليـه أَبانُ بن عثمان ﷺ، وكان والي المدينة، ودفن بالبقيع.

وكـان المختـار بن أبي عبيـد الثقفي يدعـو إلى إمامـة محمـد بن الحنفية، ويزعم أنه المهدي، والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته، وأنه مقيم بجبل رَضْوى في شِعْبٍ فيه، ولم يمـت، دخل إليـه ومعـه أربعون من أصحابه، ولم يوقَف لهم على خبر، وهم أحياء يرزقون، وأنه مقيم في هذا الجبل بين أسـد ونمر، وعنده عينان نضَّاختان تجريان عسلاً وماء، وأنه يرجع إلى الدنيا، فيملؤها عدلاً، وانتقلت إمامته إلى ولده أبي هاشم عبدالله، ومنه إلى محمد بن علي والد السفاح والمنصور.

ورَضْوى: جبلُ جُهَينة، وهو [في] عمل ينبُع، وهـو من المدينـة الشريفة على سبع مراحل، وهو على ليلتين من البحر، ومن هذا الجبل تُحمل حجارة المِسَنِّ إلى سائر الأمصار.

* * *

٣٣٨ ـ أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب ﷺ، **الملقَّب: الباقر**: أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، كان عالماً سيداً كبيراً، وقيل له الباقر: لأنه تبقر في العلم؛ أي: توسع، والتبقُّر: التوسع، وفيه يقول الشاعر:

يَـــا بَـــاقِرَ العِلْـــمِ لأَهْـــلِ التُّقَـــى
وَخَيْـــرَ مَـــنْ لَبَّـــى عَلَـــى الأَجْبُـــلِ

ولد يوم الثلاثاء، سنة سبع وخمسين للهجرة، وكان عمره يوم قُتل جده الحسين ثلاث سنين[1]، وتوفي في شهر ربيع الآخر، **سنة ثلاث عشرة ومئة**، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه، وعمُّ أبيه الحسنُ بن علي ﷺ، في القبة التي فيها قبر العباس.

* * *

٣٣٩ ـ أبو جعفر محمد بن علي الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر المذكور قبله، المعروفُ بالجواد: أحد الأئمة الاثني عشر ـ أيضاً ـ، كان يروي مسنداً عن أبيه إلى علي بن أبي طالب ﷺ: أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: «يَا عَلِيُّ! مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلاَ نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، يَا عَلِيُّ! عَلَيْكَ بِالدُّلْجَةِ ـ وهو السير في آخر الليل ـ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ

(١) في الأصل: «ثلاث وستين سنة».

مَا لاَ تُطْوَى بِالنَّهَارِ، يَا عَلِيُّ! اغْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ بَارَكَ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»[1]، وكان يقول: من استفادَ أخاً في الله، فقد استفادَ أنيساً في الجنة.

ولد في خامس رمضان، سنة خمس وتسعين ومئة، وتوفي يوم الثلاثاء، لخمسٍ خلون من ذي الحجة، سنة عشرين ومئتين ببغداد، ودفن عند جده موسى بن جعفر في مقابر قريش، وصلَّى عليه الواثقُ بن المعتصم.

* * *

٣٤٠ ـ أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي ابن محمد الجواد المذكور قبله: ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتَظَر، والقائم، والمهدي، وهو صاحب السِّرداب عندَهم، وأقاويلهم فيه كثيرة، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسُرَّ مَنْ رأى.

وكانت ولادته منتصف شعبان، سنة خمس وخمسين ومئتين.

والشيعة يقولون: إنه دخل في السرداب في دار أبيه، وأمُّه تنظر إليه، فلم يعد يخرج إليها، وذلك في سنة خمس وستين ومئتين، وقيل: ست وخمسين، وهو الأصح، ولما دخل السرداب، كان عمره أربع سنين، وقيل: سبع عشرة، والله أعلم أي ذلك كان.

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٥٤).

والأئمة الاثنا عشر هم: علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم محمد الباقر بن زين العابدين، ثم جعفر الصادق بن محمد الباقر، ثم موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ثم علي الرضا بن موسى الكاظم، ثم محمد الجواد بن علي الرضا، ثم علي الزكي بن محمد الجواد، ثم الحسن العسكري بن علي الزكي، ثم محمد المنتظر بن الحسن العسكري ـ رحمهم الله أجمعين ـ.

* * *

٣٤١ ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار، الأنصاريُّ الكوفيُّ: كان من أصحاب الرأي، وتولى القضاء بالكوفة، وأقام حاكماً ثلاثاً وثلاثين سنة، وَلِيَ لبني أمية، ثم لبني العباس، وكان فقيهاً مفتياً، وكانت بينه وبين أبي حنيفة وحشة يسيرة، وكان يجلس للعلم في مسجد الكوفة، فيحكى: أنه انصرف يوماً من مجلسه فسمع امرأةً تقول: يا بن الزانيين، فأمر بها، فأُخذت، ورجع إلى مجلسه، وأمر بها، فضُربت حَدَّين وهي قائمة، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء:

في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه، ولا ينبغي له أن يرجع بعد قيامه منه.

وفي ضربه الحد في المسجد، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إقامة

الحدود في المساجد.

وفي ضربه المرأة قائمةً، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات.

وفي ضربه إياها حدين، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حدٌّ واحد، ولو وجب ـ أيضاً ـ حدان، لا يُوالى بينهما، بل يضرب أولاً، ثم يترك حتى يبرأ من آلام الأول.

وفي إقامته الحدّ عليها بغير طالب.

فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى، فسير إلى والي الكوفة، وقال: هاهنا شاب يقال له: أبو حنيفة يعارضني في أحكامي، ويفتي بخلاف حكمي، ويشنِّع عليَّ بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك.

فبعث إليه الوالي، ومنعه من الفتوى.

فيقال: إن ابنته سألته عن مسألة، فقال لها: سلي أخاك حماد[اً]؛ فإن الأمير منعني من الفتوى. وهذه من مناقب أبي حنيفة رضي الله عنه، وحسنِ تمسكه بامتثال إشارة ولي الأمر.

ولد محمد المذكور سنة أربع وسبعين للهجرة، وتوفي **سنة ثمان وأربعين** ومئة بالكوفة، وهو باق على القضاء، فجعل أبو جعفر المنصور ابن أخيه مقامه.

* * *

٣٤٢ ـ ذكر محمد بن سيرين البصري: كان أبوه عبداً لأنس بن مالك، كاتبَه على أربعين ألفاً، وقيل: عشرين ألفاً، وأدَّى الكتابة، وكانت

أمه صفيةُ مولاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روى عن أبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعمران بن الحصين، وأنس بن مالك رضي الله عنهم، وهو من أَجَلِّ العلماء من أهل البصرة، والمشهور بالورع في وقته، وكانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا، وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، توفي يوم الأحد، تاسع شوال، سنة عشر ومئة بالبصرة، بعدَ الحسن البصري بمئة يوم رضي الله عنهما، وكان بَزَّازاً.

وولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة، ولم يبق منهم غيرُ عبدالله، فلما مات، كان عليه ثلاثون ألف درهم دَيْناً فقضاها ولده عبدالله، فما مات عبدالله حتى قُوِّم مالُه بثلاث مئة ألف.

* * *

٣٤٣ ـ أبو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد، الشيبانيُّ بالولاء، الفقيهُ الحنفيُّ: أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة اسمها: حرستا، وقدم أبوه من الشام إلى العراق، وأقام بواسط، فولد له بها محمد المذكور، ونشأ بالكوفة، وطلب الحديث، ولقي جماعة من أعلام الأئمة، وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على صاحبه أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة، ونشر علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس.

ولما دخل الإمام الشافعي بغداد، كان بها، وجرى بينهما مجالس ومسائل بحضرة هارون الرشيد، وقال الشافعي: ما رأيت سميناً ذكياً إلا

محمد بن الحسن، وكان الرشيد ولاه قضاء الرقة، ثم عزله عنها.

ولد محمد بن الحسن سنة خمس، وقيل: سنة إحدى، وقيل: **اثنتين وثلاثين ومئة**، ومات لما خرج صحبة الرشيد إلى الري خَرْجَتَه الأولى في سنة تسع وثمانين ومئة، مات هو والكسائي في يوم واحد بالرَّيِّ ـ رحمهما الله تعالى ـ.

* * *

٣٤٤ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف، الجعفيّ بالولاء، البخاريُّ: الحافظ، الإمام في علم الحديث، صاحب «الجامع الصحيح»، و«التاريخ».

رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدِّثي الأمصار، وكتب بخراسان، ومدن العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وقدم بغداد، واجتمع إليه أهلُها، واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية.

وكان ابنُ صاعد إذا ذكره، يقول: الكبشُ النطَّاح.

ونقل عنه محمد بن يوسف الفِرَبري أنه قال: ما وضعتُ في كتاب «الصحيح» حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وعنه أنه قال: صنفت كتابي «الصحيح» لست عشرة سنة، خرَّجته من ست مئة ألف حديث، وجعلته حجةً فيما بيني وبين الله ﷻ.

وقال الفربري: سمع «صحيح البخاري» تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري.

ولد البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاثَ عشرةَ ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء، ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، **سنة ست وخمسين ومئتين بِخَرْتَنك** ـ بالباء الموحدة والخاء المعجمة والراء الساكنة والتاء المفتوحة المثناة والكاف[1]، وهي قرية من قُرى سمرقند، وكان شيخاً نحيفَ الجسم، لا بالطويل ولا بالقصير.

والبخاريُّ: نسبة إلى بخارى، ونسبة البخاريِّ إلى الجُعْفِيِّ هو سعيد بن جعفر الجُعفي والي خراسان، وكان له عليهم الولاء، فنُسِبوا إليه.

* * *

٣٤٥ ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، القُشَيْريُّ النيسابوريُّ: صاحب «الصحيح»، أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدِّثين، رحل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وسمع من يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، قدم بغداد غير مرة، وآخر قدومه إليها سنة تسع وخمسين ومئتين، وصنف «المسند الصحيح» من ثلاث مئة ألف حديث مسموعة.

وتوفي عشية يوم الأحد، ودفن بنصر أباد ظاهر نيسابور يوم الاثنين،

---

(١) المشهور أنها خرتنك، انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ١٩١) وغيره.

لخمسٍ، وقيل: لستٍّ بقين من رجب، **سنة إحدى وستين ومئتين**، وعمره خمس وخمسون سنة.

* * *

٣٤٦ ـ أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر، الترمذيُّ الفقيهُ الشافعيُّ: لم يكن في الفقهاء الشافعية إلى وقته أرأَسُ منه، ولا أكثرُ نقلاً، سكن بغداد، وحدَّث بها، وكان ثقة، من أهل العلم والفضل، والزهدِ في الدنيا، وكان لا يسأل أحداً شيئاً، وكان يقول: تفقهت على مذهب أبي حنيفة فرأيت النبي ﷺ في مسجد المدينة عام حججت، فقلت: يا رسول الله! قد تفقهتُ بقول أبي حنيفة، أفآخذ[1]؟ قال: لا، فقلت: آخذ بقول مالك بن أنس؟ فقال: خذ منه ما وافق سنتي، فقلت: [أ]فآخذ بقول الشافعي؟ فقال: ما هو بقوله، إلا أنه أخذ بسنتي، وردَّ على من خالفها.

قال: فخرجت إثر هذه الرؤيا إلى مصر، وكتبتُ كُتُبَ الشافعي.

وكان ثقة مأموناً، كتب الحديث تسعاً وعشرين سنة.

ولد في ذي الحجة، سنة مئتين، وقيل: **عشر ومئتين**، وتوفي لإحدى عشرةَ ليلة خلت من المحرم، **سنة خمس وتسعين ومئتين**.

والترمذي: نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بَلْخ الذي يقال

---

(١) في الأصل: «فأخذته».

لـه: جيحون، وقد اختلف في كيفيـة هذه النسبـة بين فتح التاء وضمها وكسرها، والمتداوَلُ على لسان أهل ذلك البلد ـ بالفتح، وكسر الميم ـ وهي في حساب ما وراء النهر من ذلك الجانب.

* * *

٣٤٧ ـ أبـو بكـر محمـد بن علي بن إسماعيل، القفَّـالُ الشاشِيُّ الشافعيُّ: إمام عصره بلا مدافعـة، ولـه مصنفات كثيرة، وهو أول من صنف الجدل الحَسَنَ من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده.

ولد سنة إحـدى وتسعين ومئتين، وتوفي في عاشر ذي الحجـة، سنة خمس وستين وثلاث مئة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٣٤٨ ـ أبو زيد محمد بن أحمد بن عبـدالله بن محمد، المروزيُّ القاشانيُّ الشافعيُّ: كان من الأئمة الأجلاء، حسن النظر، مشهوراً بالعلم، حافظاً للمذهب، وله فيه وجوه غريبة.

دخل بغـداد، وحدث بها، ثم خرج إلى مكـة، فجـاور بها سبـع سنين، وكان في ابتداء أمره فقيراً، ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره، وقد أسنَّ وقد تساقطت أسنانه، فكان لا يتمكن من المضغ، وبطلت منه حاسية الجِماع، فكان يقـول مخاطباً للنعمـة: لا باركَ الله فيكِ، أقبلتِ حيثُ لا نابٌ، ولا نِصاب.

وكان بعض الفضلاء قـد أثرى، وصارت له نعمة، وهو في عشر الثمانين، فأنشد:

مَا كُنْـتُ أَرْجُـوهُ إِذْ كُنْـتُ ابْـنَ عِـشْرِينَا
مَلَكْتُــهُ بَعْــدَ أَنْ جَــاوَزْتُ سَــبْعِينَا
يَطُفْــنَ بِـي مِــنْ بَنَــاتِ الـرُّومِ أَرْبَعَـةٌ
يَحْكِـينَ بِـالحُـسْنِ حُـورَ الجَنَّـةِ العِينَـا
يَغْمِزْنَنِــــي بِأَسَــــارِيعِ مُنَعَّمَــــةٍ
تَكَــادُ تَنْفُــذُ مِــنْ أَطْرَافِهَــا لِينَــا
يُــرِدْنَ إِحْيَــاءَ مَيْــتٍ لاَ حَــرَاكَ لَــهُ
وَكَيْــفَ يُحْيِــينَ مَيْتــاً صَــارَ مَـدْفُونَا
قَــالُوا أَنِينُــكَ طُــولَ اللَّيْــلِ يُقْلِقُنَــا
فَمَــا الَّــذِي تَـشْتَكِي؟ قُلْـتُ الثَّمَانِينَـا

توفي يوم الخميس، ثالث عشر رجب، سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة بمرو ـ رحمه الله ـ.

* * *

٣٤٩ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد، الخِضْريُّ المروزيُّ الفقيهُ:
إمام مرو، ومقدَّم الفقهاء الشافعية، أقام بمرو ناشراً فقهَ الشافعي، وكان يُضرب به المثل في قوة الحفظ، وقلة النسيان، وله في المذهب وجوه

غريبة، وكانت له معرفة بالحديث، وكان ثقة، وتوفي في **عشر الثمانين وثلاث مئة**.

والخِضْري ـ بكسر الخاء المعجمة، وسكون الضاد المعجمة ـ: نسبة إلى بعض أجداده، واسمه الخضر.

* * *

٣٥٠ ـ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، الغَزَاليُّ، الملقب: حُجَّة الإسلام، زينُ الدين، الطوسيُّ الشافعيُّ: لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثلُه، واشتغل في بداية أمره بطوس، ثم قدم نيسابور، واختلف في دروس إمام الحرمين، وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجَّح به، واشتهر اسمه، وفوض إليه تدريس النظَّامية ببغداد، وارتفعت منزلته، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة، سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، وسلك طريق الزهد، وحج إلى الشام، فأقام بها مدة، ثم انتقل منها إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه بطوس، وصنف الكتب في عدة فنون، منها: «الوسيط»، و«البسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة»، و«إحياء علوم الدين»، وهو من أنفس الكتب، وله غير ذلك من الكتب الكثيرة النافعة.

ثم عاد إلى نيسابور، وترك وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية، ولازم

العلم والخير إلى أن انتقل إلى ربه، ويروى له شعر:

حَلَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ
قَمَرٌ يَجِلُّ بِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَاهُ يَحُلُّ بِبُرْجِهَا
وَمِنَ العَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ

ولد سنة خمسين وأربع مئة، وتوفي يوم الاثنين، رابع عشر جمادى الآخرة، سنة خمس وخمس مئة بطوس، ودفن بظاهر الطابران.

والطابران: بلد في طوس.

* * *

٣٥١ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين، الفارقيُّ، المعروف بالمستظهريِّ، الملقَّبُ: فخر الإسلام، الفقيهُ الشافعيُّ: كان فقيه وقته، تفقه أولاً بِمَيَّافارقين، ثم رحل إلى بغداد، ودخل نيسابور، ثم تعين بعد أُستاذه الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وانتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية، وصنف التصانيف الحسنة، منها: «حلية العلماء» في المذهب، ثم ضم إلى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها، وجمع من ذلك أشياء كثيرة، وسماه «المستظهري»؛ لأنه صنف للإمام المستظهر بالله، وتولى تدريس النظامية ببغداد سنة أربع وخمس مئة، وكان قد تولاها أبو إسحاق، وأبو نصر بن الصباغ صاحب «الشامل»، وأبو سعيد المُتولِّي، وأبو حامد الغزالي،

فلما انقرضوا، تولاها هو.

وذكر بعض المشايخ: أنه يوم الدرس وضع منديله على عينيه، وبكى كثيراً وهو جالس على السدَّة التي جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها، وكان ينشد:

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ
وَمِنَ البَلاَءِ تَفَرُّدِي بِالسُّؤْدَدِ

وهذا إنصاف منه، واعتراف لمن تقدَّمه بالفضل والرجحان عليه.

ولد بميافارقين في المحرم، سنة تسع وعشرين وأربع مئة، وتوفي في الخامس والعشرين من شوال، سنة سبع وخمس مئة ببغداد، ودفن مع شيخه أبي إسحاق في قبر واحد، وقيل: إلى جانبه، بباب أبرز.

* * *

٣٥٢ ـ أبو نصر محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله، الأرغيانيُّ الفقيهُ الشافعيُّ: قدم من بلده إلى نيسابور، واشتغل على إمام الحرمين، وبرع في الفقه، وكان إماماً مفنناً، ورَعِاً، كثير العبادة، وسمع الحديث من الواحدي صاحبِ التفاسير، وروي عنه تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٩٤]: أن ريح الصَّبا استأذنت ربها ﷻ أن تأتي يعقوبَ بريح يوسف ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ قبل أن يأتيه البشير بالقميص، فأذن لها، فأتته بذلك، فلذلك تروّح كل محزون

بريح الصبا، وهي [من] ناحية المشرق، إذا هبت على الأبدان، نعَّمتها، وليَّنتها، وهيَّجت الأشواق إلى الأوطان والأحباب، وأنشد:

أَيَــا جَبَلَــيْ نُعْمَــانَ بِــاللهِ خَلِّيَــا
نَــسِيمَ الــصَّبَا يَخْلُــصْ إِلَــيَّ نَــسِيمُهَا

فَــإِنَّ الــصَّبَا رِيــحٌ إِذَا مَــا تَنَــسَّمَتْ
عَلَــى نَفْــسِ مَهْمُــومٍ تَجَلَّــتْ هُمُومُهَــا

ولد في سنة أربع وخمسين وأربع مئة، وتوفي ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وخمس مئة بنيسابور، ودفن بظاهرها، بموضع يقال له: الجيزة، على الطريق.

* * *

٣٥٣ ـ أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى ابن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن ابن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، الأمويُّ القرشيُّ، الملقب: محيي الدين، المعروف بابن زكي الدين، الدمشقيُّ الفقيهُ الشافعيُّ: كان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب وغيرهما، وله النظم المليح، والخطب والرسائل، تولى القضاء بدمشق في ربيع الأول، سنة سبع وثمانين وخمس مئة، وكان له المنزلة العالية، والمكانة المكينة عند السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ، ولما فتح السلطان حلب يوم السبت، ثامن عشر صفر، سنة تسع وسبعين

وخمس مئة، أنشده القاضي محيي الدين المذكور قصيدة بائية[1]، وأجاد فيها، ومن جملتها بيت، وهو متداوَلٌ بين الناس:

وَفَتْحُـكَ القَلْعَـةَ الـشَّهْبَاءَ فِـي صَـفَرٍ[2]
مُبَـشِّرٌ بِفُتُـوحِ القُـدْسِ فِـي رَجَـبِ[3]

فكان كما قال؛ فإن القدس فُتحت في ثلاثة بقين من رجب، سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة. فقيل لمحيي الدين: من أين لك هذا؟ فقال: أخذتُه من تفسير ابن برجان في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾[الروم: ١ ـ ٤]، وذكر له حساباً طويلاً، وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرَّره من قوله: ﴿بِضۡعِ سِنِينَ﴾.

ولمّا ملك السلطان حلب، فوض الحكمَ والقضاء بها إليه في ثالث عشر ربيع الآخر من السنة، ولما فتح القدس، تطاولَ إلى الخطابة يوم الجمعة كلُّ واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين، وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة؛ طمعاً أن يكون هو الذي تعين لذلك، فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أن يخطب هو.

---

(١) في الأصل: «رائية».

(٢) في الأصل: «رجب».

(٣) في الأصل: «صفر».

وحضر السلطان وأعيان دولته في أول جمعة صُليت بالقدس بعد الفتح، فلما رقي المنبر، استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٥]، ثم خطب خطبة بليغة أتى فيها بمعان بديعة، ثم دعا للسلطان، وختم على العادة.

وكانت ولادته سنة خمسين وخمس مئة بدمشق، وتوفي بها في سابع شعبان، سنة ثمان وتسعين وخمس مئة، ودفن من يومه بسفح قاسيون.

* * *

٣٥٤ ـ أبو حامد محمد ابن القاضي كمال الدين، الشهرزوريُّ:
دخل العراق للاشتغال، وتفقه على ابن الرزاز وغيره، ثم صعد الشام، وتولى قضاء دمشق نيابة عن والده، وتولى قضاء حلب، وحكم بها نيابة عن أبيه ـ أيضاً ـ في رمضان، سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وعزله ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم.

وبعد وفاة والده، تمكن من المملكة الصالح إسماعيل صاحبُ حلب غايةَ التمكُّن، وفوض إليه تدبير مملكة حلب.

ثم في سنة ثلاث وسبعين رأى المصلحة في مفارقة حلب، والرجوع إلى بلد الموصل، فانتقل إليها، وتولى قضاءها، وتمكن من صاحب الموصل عز الدين بن مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي، وتوجه

من جهته رسولاً إلى بغداد مراراً.

وكان جواداً سخياً، وقيل: إنه أنعم عليه في بعض رسائله إلى بغداد بعشرة آلاف دينار، فأمر بها، ففرقت على الفقهاء والأدباء والشعراء.

ويقال: إنه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريماً على دينارين فما دونهما، بل كان يوفيهما من عنده.

ويحكى عنه مكارم كثيرة، ورئاسة ضخمة، وله أشعار جيدة، فمن ذلك: في وصف جرادة، وهو تشبيه حسن:

لَهَـــا فَخِــذَا بَكْــرٍ وَسَــاقَا نَعَامَــةٍ
وَقادِمَتَــا نَــسْرٍ وَجُؤْجُــؤُ ضَــيْغَمِ

حَكَاهَـا أَفَـاعِي الرَّمْـلِ بَطْنـاً وَأَنْعَمَـتْ
عَلَيْهَـا جِيَـادُ الخَيْـلِ بِـالرَّأْسِ وَالفَـمِ

وقوله في وصف نزول الثلج من الغيم:

وَلَمَّــا شَــابَ رَأْسُ الــدَّهْرِ غَيْظـاً
لِمَــا قَاسَــاهُ مِــنْ فَقْــدِ الكِــرَامِ

أَقَــامَ يُمِــيطُ عَنْــهُ الــشَّيْبَ غَيْظـاً
وَيَقْــسِمُ مَــا أَمَــاطَ عَلَــى الأَنَــامِ

ولد سنة عشر، وقيل: تسع عشرة وخمس مئة، وتوفي بكرة نهار الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمس مئة

بالموصل، ثم نقل إلى مدينة الرسول ﷺ.

وكان له أخ يقال له: عماد الدين أحمد توجَّه رسولاً إلى بغداد عن نور الدين سنة تسع وستين وخمس مئة، ومدحه ابن التعاويذي بقصيدة من جملتها:

وَقَالُوا رَسُولٌ أَعْجَزَتْنَا صِفَاتُهُ
فَقُلْتُ صَدَقْتُمْ هَذِهِ صِفَةُ الرُّسْلِ

* * *

٣٥٥ ـ أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التيميُّ البكريُّ، الطبرستانيُّ الأصل، الرازيُّ المولد، الملقب: فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيهُ الشافعيُّ: فريد عصره، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلم التأويل، وله المصنفات المفيدة في فنون عديدة، منها: «تفسير القرآن الكريم» جمع فيه كل غريب وغريبة، وهو كبير جداً، لكنه لم يُكمله، وشرح سورة الفاتحة في مجلدة، وكل كتبه ممتعة نافعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي، وكان يلقب بهراة: شيخَ الإسلام.

ثم قصد خُوارزم، وقد تمهَّر في العلوم، فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والاعتقاد، فأُخرج من البلد، وقصد ما وراء النهر، ثم عاد إلى الري، ثم عاد إلى خراسان، واتصل بالسلطان محمد

ابن تكش المعروف بخوارزم شاه، وحظي عنده، ونال أسنى المراتب، ولم يبلغ أحد منزلته عنده.

ومناقبه كثيرة، وكان العلماء يقصدونه من البلاد، وتشد إليه الرحال من الأقطار، وكان له نظم، منه:

نِهَايَـــةُ إِقْـــدَامِ العُقُـــولِ عِقَـــالُ
وَأَكْثَـــرُ سَـــعْيِ العَـــالَمِينَ ضَـــلاَلُ

وَأَرْوَاحُنَـا فِـي وَحْـشَةٍ مِـنْ جُـسُومِنَا
وَحَاصِـــلُ دُنْيَانَـــا أَذًى وَوَبَـــالُ

وَلَـمْ نَـسْتَفِدْ مِـنْ بَحْثِنَـا طُـولَ عُمْرِنَـا
سِــوَى أَنَّ جَمْعــاً فِيــهِ قِيــلٌ وَقَــالُ

وَكَـمْ قَـدْ رَأَيْنَـا مِـنْ رِجَـالٍ وَدَوْلَـةٍ
فَبَــادُوا جَمِيعــاً مُــسْرِعِينَ وَزَالُــوا

وَكَـمْ مِـنْ جِبَـالٍ قَـدْ عَلَـتْ شُـرُفَاتِهَا
رِجَــالٌ فَزَالُــوا وَالْجِبَــالُ جِبَــالُ

اشتغل في المذهـب على والده، ووالده على أبي محمد الحسين ابن مسعود الفَرَّاء البغوي، وهو على القاضي الحسين، وهو على القفال، وهو على ابن سُريج، وهو على الأنماطي، وهو على المُزَني، وهو على الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ولد في خامس عشري شهر رمضان، سنة أربع وأربعين وخمس مئة بالري، وتوفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، **سنة ست وست مئة** بمدينة هراة، ودفن آخر النهار بقرية بالقرب من هراة يقال لها: مُزداخان.

* * *

٣٥٦ ـ أبو حامد محمد بن يونس بن منعة بن مالك بن محمد، الملقب: عماد الدين، الفقيهُ الشافعيُّ: كان إمام وقته في المذهب، وله صِيت عظيم في زمانه، وقصده الفقهاء من البلاد البعيدة، وكان مبدأ اشتغاله بالموصل، ثم توجه إلى بغداد، وتفقه، ثم عاد إلى الموصل، ودرَّس بها، وصنَّف كتباً كثيرة في المذهب، وتولى القضاء بالموصل مدة يسيرة، ثم انفصل عنه بأبي الفضائل القاسم بن يحيى الشهرزوري.

وكان شديد الورع والتقشف، وكان لطيف الخلوة، ملاطفاً بحكايات وأشعار، وكان كثير المباطنة لنور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل، ولم يزل معه حتى انتقل إلى مذهب الشافعي بعد مذهب أبي حنيفة. ولم يوجد في بيت أتابكٌ ـ مع كثرتهم ـ شافعيٌّ سواه.

ولد بقلعة إربل سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، في بيت صغير منها، ولما وصل إلى إربل في رسالة، دخل ذلك البيت، [و]تمثل بالبيت المشهور:

بِلاَدٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي
وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

وتوفي يوم الخميس، تاسع عشر جمادى الآخرة، **سنة ثمان وست مئة** بالموصل.

* * *

٣٥٧ ـ أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني المعروف بالظاهري: كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، ولما توفي أبوه، جلس مكانه، فاستصغروه، فدسُّوا عليه رجلاً سأله: متى يكون الإنسان سكراناً؟ فقال: إذا غَرَبت عنه الهموم، وباح بسره المكتوم، فاستُحسن ذلك منه، وعُرِف موضعه من العلم.

وصنف كتابه الذي سماه: «الزَّهرة» مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة، ومن شعره:

أَنُزِّهُ فِي رَوْضِ المَحَاسِنِ مُقْلَتِي
وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمَا

وَأَحْمِلُ مِنْ ثِقْلِ الهَوَى مَا لَوَ انَّهُ
يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الأَصَمِّ تَهَدَّمَا

وَيَنْطِقُ طَرْفِي عَنْ مُتَرْجَمِ خَاطِرِي
فَلَوْلاَ اخْتِلاَسِي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَا

رَأَيْتُ الهَوَى دَعْوَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَمَا إِنْ أَرَى حُبّاً صَحِيحاً مُسْلَّمَا

وجاءه رجل، ودفع له رقعة فيها:

يَــا بْــنَ دَاوُدَ يَــا فَقِيــهَ العِــرَاقِ
أَفْتِنَــا فِــي قَوَاتِــلِ الأَحْــدَاقِ
هَــلْ عَلَـيْهِنَّ فِـي الجُـرُوحِ قِـصَاصٌ
أَمْ مُبَــاحٌ لَهَــا دَمُ العُــشَّاقِ

وإذا الجواب:

كَيْــفَ يُفْتِــيكُمُ قَتِيــلٌ صَــرِيعٌ
بِــسِهَامِ الفِــرَاقِ وَالاشْــتِيَاقِ
وَقَتِيــلُ الــتَّلاَقِ أَحْــسَنُ حَــالاً
عِنْــدَ دَاوُدَ مِــنْ قَتِيــلِ الفِــرَاقِ

وكان عالماً بالفقه، وله تصانيف عديدة، توفي يوم الاثنين، سابع رمضان، سنة سبع وتسعين ومئتين.

وفي يوم وفاته توفي يوسف بن يعقوب القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٣٥٨ ـ أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان، القرشيُّ الفهريُّ الأندلسيُّ الطرطوشيُّ، الفقيه المالكي، الزاهد المعروف

بابن أبي رُندَقَة: دخل بغداد بعد حجه، والبصرة، ورحل واشتغل، وسكن الشام، ودرَّس بها، وكان إماماً عالماً، زاهداً ورعاً، ديِّناً متواضعاً، متقشفاً متقللاً من الدنيا، راضياً منها باليسير، وكان يقول: إذا عرض لك أمران: أمر دنيا، وأمر آخرة، فبادر بأمر الآخرة، يحصل لك أمر الدنيا والآخرة، وكان كثيراً ما ينشد:

إنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطَنَا
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا

فَكَّرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا
صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

ومن شعره:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلاً
وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمُ

فَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى
رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدِّرْهَمُ

وقد أتى أحمد بن فارس اللغوي بمعنى ذلك بشعره:

إذَا كُنْـــتَ فِـــي حَاجَـــةٍ مُرْسِـــلاً
وَأَنْـــتَ بِهَـــا كَلِـــفٌ مُغْـــرَمُ

فَأَرْسِـــلْ حَكِيمـــاً وَلاَ تُوصِـــهِ
وَذَاكَ الحَكِـــيمُ هُـــوَ الـــدِّرْهَمُ

ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مئة ـ تقريباً ـ، وتوفي ليلة السبت، لأربعٍ بقين من جمادى الأولى، **سنة عشرين وخمس مئة** بثغر الإسكندرية، ودفن بمقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر.

والطرطوشي: نسبة إلى طرطوشة، وهي مدينة بالأندلس في آخر بلاد المسلمين في شرق الأندلس على ساحل البحر، ورُنْدَقَة: لفظة إفرنجية معناها: ردّ بقال[1].

* * *

٣٥٩ ـ أبو الهُذيل محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبديُّ، المعروفُ بالعلاَّف: كان شيخ البصريين في الاعتزال، وهو من أكبر علمائهم، وصاحبُ مقالاتٍ في مذهبهم، ومناظرات ومجالسَ، وهو مولى عبد القيس، ووصف العشقَ بقوله:

العشق يختم على النواظر، ويطبع على الأفئدة، مرتعُه[2] في

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٦٥)، وفيه: «رندقة معناها: رد تعال».

(٢) في الأصل: «موقعه».

الأجسام، ومشرعه[1] في الأكباد، وصاحبه متصرف الظنون، متفنن[2] الأوهام، لا يصفو له مرجو، ولا يسلم له موعود، تُسرع إليه النوائب، وهو جرعة من نقيع الموت، وبقعة من حياض الثَّكلى، غير أنه من أريحية تكون في الطبع، وحلاوة تكون في الشمائل، وصاحبه جواد لا يُصغي إلى داعية المنع، ولا يُصيخ لنازع العذل.

ويحكى: أن أعرابية وصفت العشق، فقالت في صفته: خَفِيٌّ عن أن يُرى، وجَلَّ عن أن يختفي، فهو كامن كمونَ النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى، وإن لم يكن شعبة من الجنون، فهو عُصارة من السحر.

وكانت وفاته سنة خمس وثلاثين ومئتين بسُرَّ مَنْ رأى عن مئة سنة.

وكان قد كُفَّ بصرُه، وخَرِفَ في آخر عمره.

* * *

٣٦٠ ـ أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمران بن أَبان مولى عثمان بن عفان ﷺ، المعروف بالجُبَّائي، أحدُ أئمة المعتزلة: وكان إماماً في علم الكلام، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علمَ الكلام، ولما فارق الأشعريُّ مجلس أستاذه الجُبَّائي، وترك مذهبه، وكثر اعتراضه

---

(١) في الأصل: «وصرعه».

(٢) في الأصل: «متنفس».

على أقاويله، عظُمت الوحشة بينهما.

ولد سنة خمس وثلاثين ومئتين، وتوفي في شعبان **سنة ثلاث وثلاث مئة**.

* * *

٣٦١ ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، السُّلميُّ، الضريرُ الترمذيُّ: الحافظ المشهور، أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث، صنف «الجامع»، و«العلل» تصنيفَ رجل متقن، وبه كان يضرب المثل، وهو تلميذ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، وشاركه في بعض شيوخه، وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، **سنة تسع وسبعين ومئتين**.

* * *

٣٦٢ ـ أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه، الرَّبَعيُّ بالولاء، القزوينيُّ: الحافظ المشهور، مصنف كتاب «السنن» في الحديث، كان إماماً فيه، عارفاً بعلومه، ارتحل إلى العراق، والبصرة، والكوفة، وبغداد، ومكة، والشام، ومصر، والري، وله تاريخ مليح، وكتابه «الحديث» أحد الصحاح الستة.

ولد سنة سبع ومئتين، وتوفي يوم الاثنين، لتسعٍ بقين من رمضان، **سنة ثلاث وسبعين ومئتين**.

والرَّبَعي: منسوب إلى ربيعة.

والقزويني إلى قزوين، أشهرِ مدن عراق العجم، خرج منها جماعة من العلماء.

* * *

٣٦٣ ـ أبو الحسن محمد بن أحمد [بن أيوب] بن الصَّلت بن شنبوذ، المقرئُ البغداديُّ: كان من مشاهير القُراء، تفرد بقراءة من الشواذ، وكان يقرأ بها في المحراب، فأنكر عليه، وبلغ ذلك الوزير أبا علي محمد بن مُقلة، فاستحضره أول شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، واعتقل، ثم استحضره بحضرة القاضي أبي الحسين عمر بن محمد، وأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ، وجماعة من أهل القرآن، فأغلظ في الخطاب للوزير، والقاضي، وأبي بكر بن مجاهد، ونسبهم إلى قلة المعرفة، واستصبى القاضي، فأمر الوزيرُ بضربه، فضُرب، فدعا وهو يُضرب على الوزير ابن مقلة بأن الله يقطع يده، ويشتِّت شملَه، فكان الأمر كذلك ـ كما سيأتي في خبر ابن مقلة ـ، ثم استتابوه، فتاب، وقال: إنه رجع عما كان يقرؤه، وإنه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان ﷺ، وبالقراءة المتعارفة، فكتب عليه الوزير محضراً بما قاله، وأمره أن يكتب خطه في آخره، فكتب ما يدل على توبته، وذلك لسبعٍ خلون من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة، يوم الأحد، وتوفي يوم الاثنين، لثلاثٍ خلون من صفر، سنة **ثمان وعشرين وثلاث مئة** ببغداد.

* * *

٣٦٤ ـ أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عِجْل، المعروف بابن السَّمَّاك، القاصُّ الكوفيُّ الزاهدُ المشهور: كان عابداً زاهداً، حسن الكلام، صاحب مواعظ، لقي جماعة من الصدر الأول، وأخذ عنهم، وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره، وقدم بغداد زمن هارون الرشيد، ثم رجع إلى الكوفة، ومات بها، ومن كلامه: خَفِ اللهَ كَأَنَّكَ لَمْ تُطِعْهُ، وَارْجُ اللهَ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْصِهِ.

وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء، فلم يفته أحد أنه من أهل الجنة، فأحضر ابنَ السماك، وسأله، فقال له: هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى؟ فقال: نعم، كان لبعض الناس جارية، فهويتها وأنا إذ ذاك شابّ، ثم إني ظفرت بها مرة، وعزمت على ارتكاب الفاحشة بها، ثم إني فكرت في النار وهولها، وأن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك، وكففت عن الجارية مخافةً من الله، فقال له ابن السماك: أبشر يا أمير المؤمنين؛ فإنك من أهل الجنة، فقال هارون الرشيد: من أين لك هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، فَسُرَّ هارونُ بذلك.

ومن كلامه: من جَرَّعته الدنيا حلاوتَها بميله إليها، جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها.

وأخباره ومواعظه كثيرة.

توفي سنة ثلاث وثمانين ومئة بالكوفة، وقيل: ببغداد.

وابن السماك: نسبة إلى بيع السمك وصيده.

* * *

٣٦٥ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم، القرشيُّ الهاشميُّ: العبد الصالح الزاهد، صاحب الكرامات الخارقة، والأحوال الظاهرة، وعَدَّ جماعتُه الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية، وصَحَّت كلها.

وكان من السادات الأكابر، والطراز الأول، وهو مغربي، ولما وصل إلى مصر، انتفع به من صحبه أو شاهده، ثم سافر إلى الشام قاصداً زيارة بيت المقدس، فأقام به إلى أن مات في السادس من ذي الحجة، سنة تسع وتسعين وخمس مئة، ودفن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب، بالتربة التي تسمى: ماملا، وأصل تسميتها: الملة، وقيل: ما مِن الله، وقيل: باب الله، ودفن إلى جانبه الشيخُ شهاب الدين أحمد بن أرسلان ـ المتقدم ذكره في حرف الهمزة ـ، ودفن حوله جماعة من أعيان بيت المقدس وعلمائها وصلحائها؛ كالشيخ شمس الدين الديري العالم الكبير، وغيره.

وأصله من الجزيرة الخضراء في بر الأندلس، وهي مدينة في قبالة سبتة من بر العدوة، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ عن خمس وخمسين سنة.

ونقل عنه: أن الإنسان إذا خاف التخمة من كثرة الأكل وقال عقيب رفع المائدة وفراغه من الأكل: قال أبو عبدالله القرشي: اليوم يوم عيد، لم يضره ذلك.

والدعاء عند قبره مستجاب، وقد جُرِّب ذلك ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ.

* * *

٣٦٦ ـ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار[1] ابن الحسن بن سماعة بن فروة، الأنباريُّ النحويُّ، صاحب التصانيف المشهورة في النحو والأدب: كان علامة وقته في الأدب، وكان ثقة ديِّناً خَيِّراً، من أهل السنة، وصنَّف كتباً كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والوقف والابتداء.

وكان أبوه عالماً بالأدب، سكن بغداد، وروى عنه جماعة.

ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، سنة إحدى وسبعين ومئتين، وتوفي ليلة عيد النحر، سنة **ثمان وعشرين وثلاث مئة**.

ومن جملة أماليه لبعض العرب:

وَبِالعَرْصَةِ البَيْضَاءِ إِنْ زُرْتَ أَهْلَهَا
مَهاً[2] مُهْمَلاَتٌ مَا عَلَيْهِنَّ سَائِسُ

خَرَجْنَ لِحُبِّ اللَّهْوِ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ
عَفَائِفَ بَاغِي اللَّهْوِ مِنْهُنَّ آيِسُ

* * *

---

(١) في الأصل: «سيَّار».

(٢) في الأصل: «معاً».

٣٦٧ ـ أبو عبدالله محمد بن القاسم بن خلاد، الهاشميُّ بالولاء، الضرير، مولى أبي جعفر المنصور، المعروف بأبي العيناء، صاحب النوادر والشعر والأدب: أصله من اليمامة، ومولده بالأهواز، ومنشؤه بالبصرة، وبها طلب الحديث، وكتب الأدب.

وكان من أحفظ الناس، وأفصحهم لساناً، وكان من ظرفاء العالم، وله أخبار حسان، وأشعار مِلاح.

ووقف عليه رجل من العامة، فلما أحسَّ به، قال: من هذا؟ قال: رجل من بني آدم، فقال أبو العيناء: مرحباً بك، أطال الله بقاءك، ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع.

وصار يوماً إلى دار صاعد بن مخلد، فاستأذن عليه، وكان قَبْلَ الوزارة نصرانياً، فقيل: هو مشغول بالصلاة، فقال أبو العيناء: لكلٍّ جديد لذة.

ومرَّ بباب عبدالله بن منصور، وهو مريض، وقد انصلح، فقال لغلامه: كيف خُبْرُه، قال: كما تحب، فقال: ما لي لا أسمع الصراخَ عليه؟

وذكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير، لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلَّة، وقراءة نقوش الفصوص، أصلُحْ للمنادمة.

ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفريّ، سنة ست وأربعين ومئتين، فقال له: ما تقول في دارنا هذه؟ فقال: إن الناس بنوا

الدور في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه.

وأحواله ونوادره كثيرة.

ولد سنة إحدى وتسعين ومئة بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وكُفَّ بصره وقد بلغ من العمر أربعين سنة، وسكن بغداد، وعاد إلى البصرة.

وكان جده الأكبر لقي عليَّ بن أبي طالب، فأعياه المخاطبة معه، فدعا عليه بالعَمَى له ولولده، فكل من عمي من ولد أبي العيناء، فهو صحيح النسب فيهم.

وخرج من البصرة وهو بصير، وقدم سُرَّ مَن رأى، فاعتلَّت عيناه، وعمي، وعاد إلى البصرة، وتوفي بها في جمادى الآخرة، **سنة ثلاث وثمانين ومئتين**.

ولقب بأبي العيناء؛ لأنه سأل أبا يزيد الأنصاريَّ عن تصغير عَيْناء، فقال: عُيَيْناء يا أبا العيناء، فبقي عليه.

* * *

٣٦٨ ـ أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد، الواقديُّ المدنيُّ، مولى بني هاشم: كان إماماً عالماً، له التصانيف في المغازي وغيرها، سمع من مالك بن أنس، وغيره، وتولى القضاء بشرقي بغداد، وكان المأمون يكرم جانبه، ويبالغ في رعايته.

ولد في أول سنة ثلاثين ومئة، وتوفي عشية يوم الاثنين، حادي عشر ذي الحجة، **سنة سبع ومئتين**، وهو يومئذ قاضٍ ببغداد في الجانب

الغربي، وقيل: بالجانب الشرقي، ودفن بمقبرة الخيزران.

* * *

٣٦٩ ـ أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيدالله الكاتب، المَرْزُبانيُّ، الخراسانيُّ الأصل، البغداديُّ المولد، صاحبُ التصانيف المشهورة، والمجاميع الغريبة: كان ثقة في الحديث، ومائلاً إلى التشيع في المذهب، وهو أول من جمع ديوان شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، واعتنى به، ومنه الأبيات العينية، والتي منها:

إِذَا رُمْتَ مِنْ لَيْلَى عَلَى البُعْدِ نَظْرَةً
لِتُطْفِي جَوًى بَيْنَ الحَشَا وَالأَضَالِعِ

تَقُولُ نِسَاءُ الحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى
مَحَاسِنَ لَيْلَى مُتْ بِدَاءِ المَطَامِعِ

وَكَيْفَ تَرَى لَيْلَى بِعَيْنٍ تَرَى بِهَا
سِوَاهَا وَمَا طَهَّرْتَهَا بِالمَدَامِعِ

وَتَلْتَذُّ مِنْهَا بِالحَدِيثِ وَقَدْ جَرَى
حَدِيثُ سِوَاهَا فِي خُرُوفِ المَسَامِعِ

أُجِلُّكِ يَا لَيْلَى عَنِ العَيْنِ إِنَّمَا
أَرَاكِ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ لَكِ خَاضِعِ

ولـد سنة سبـع وتسعين ومئتين، وتوفي ثاني شوال، **سنـة أربـع وثمانين وثلاث مئة** ببغداد، ودفن بداره بشارع عمرو الرومي.

* * *

٣٧٠ ـ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبـدالله بن العباس بن محمد ابن صُول تكين الكاتب، المعروف بالصُّولي الشطرنجيّ: أحد الأدباء الفضلاء المشاهير، روى عن أبي داود السجستاني، وغيره، وروى عنه: الدارقطني، وغيره، وله التصانيف المشهورة، وكان ينادم الخلفاء، وله رواية واسعة، ومحفوظات كثيرة.

وكان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، أوحدَ وقته في لعب الشطرنج، والناس يضربون به المثل، فيقولون لمن يبالغ في لعبه: ألعبُ من الصولي واضعِ الشطرنج، وهو غلط، فإن الذي وضعه صِصَّه بن داهر الهندي بن قاسم، والملكُ الذي وضعه له شهرام، وكان أزدشير بن بابك أول ملوك الفرس الأخيرة، وقد وضع النرد، ولذلك قيل له: نردشير، نسبوه إلى واضعه المذكـور، فافتخـرت الفرس بوضـع النرد، فلما وضع صِصَّـه الشطرنج، فقضت حكماء ذلك العصر بترجيحه على النرد.

وتوفي الصُّولي المذكـور سنة خمس، وقيل: **سنة سـت وثلاثين وثلاث مئـة** مستتـراً بالبصـرة؛ لأنـه روى خبـراً في حـق علي بـن أبي طالب رضي الله عنه، فطلبه الخاصة والعامة ليقتلوه، وكان قـد خرج من بغـداد لضائقة لحقته.

* * *

٣٧١ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي بن عبدالله المعروف بابن تيمية، الحرانيُّ، الملقب: فخر الدين، الخطيبُ الواعظُ الفقيهُ الحنبليُّ: كان فاضلاً، تفرد في بلده بالعلم، وكان المشارَ إليه في الدين، وقدم بغداد وتفقه بها، وصنف في مذهب الإمام أحمد مختصراً أحسن فيه، وله ديوان خُطب مشهور، وله تفسير القرآن الكريم، ونظم حسن، ولم يزل أمره جارياً على السَّداد والصلاح.

ولد بمدينة حران في الثامن والعشرين من شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، ومن شعره:

أَحْبَابَنَا قَدْ نَذَرَتْ مُقْلَتِي
لاَ تَلْتَقِي بِالنَّوْمِ أَوْ نَلْتَقِي

رِفْقاً بِقَلْبٍ مُغْرَمٍ وَاعْطِفُوا
عَلَى سَقَامِ الجَسَدِ المفرَّقِ

كَمْ تَمْطُلُونِي بِلَيَالِي اللِّقَا
قَدْ ذَهَبَ العُمْرُ وَلَمْ نَلْتَقِ

وكان أبوه أحدَ الأبدال الزهاد، وسئل عن تيمية: ما معناه؟ قال: حج أبي أو جدي، وكانت امرأته حاملاً، فلما كان بتيماء، رأى جويرية قد خرجت من خِباء، فلما رجع إلى حران، وجد امرأته قد وضعت جارية، فلما رفعوها إليه، قال: ياتيمية! يعني: أنها تشبه التي رآها بتيماء، فسمي به، أو كلاماً هذا معناه.

وتيماء: بُليدة في بادية تبوك، إذا خرج الإنسان من خيبر إليها، تكون على نصف طريق الشام، وتيمية منسوبة إلى هذه البليدة، وكان ينبغي أن يكون: تيماوية؛ لأن النسبة إلى تيماء: تيماوي، ولكنه هكذا قال.

وتوفي بحران في حادي عشر صفر، **سنة إحدى وعشرين وست** مئة، وقيل: يوم الخميس بعد العصر، عاشر صفر، سنة ثلاث وعشرين وست مئة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٣٧٢ ـ أبو سعيد محمد بن أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد ابن مسعود المرزرودي الملقب: تاج الدين، الخراسانيُّ البندهيُّ الفقيهُ الشافعيُّ الصوفيُّ: كان أديباً فاضلاً، اعتنى بالمقامات الحريرية، فشرحها، وأطال شرحها، وكان مقيماً بدمشق في الخانقاه السمساطية، والناس يأخذون عنه.

ولد وقت المغرب من ليلة الثلاثاء، غرة شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وكان كثيراً ما ينشد:

قَالَتْ عَهِدْتُكَ تَبْكِي
وَمَا حِذَارَ التَّنَائِي
فَلِمْ تَعَوَّضْتَ عَنْهَا
بَعْدَ الدِّمَاءِ بِمَاءِ

فَقُلْــــتُ مَـــا ذَاكَ مِنِّـــي
لِـــسَلْوَةٍ وَعَـــزَاءٍ
لَكِـــنْ دُمُـــوعِيَ شَـــابَتْ
مِـــنْ طُـــولِ عُمْـــرِ بُكَـــائِي

توفي ليلة السبت، التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة **أربع وثمانين وخمس مئة** بدمشق، ودفن بسفح قاسيون، والمسعودي: نسبة إلى جده مسعود.

والبندهي: نسبة إلى بنج ديه من أعمال مروروذ، ومعناه بالعربي: خمس قرى، خرج منها خلق كثير من العلماء.

* * *

٣٧٣ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب يحيى بن علي بن الحجاج المعروف بابن الدبيثي، الفقيهُ الشافعيُّ المؤرخُ الواسطيُّ: سمع الحديث، وكانت له محفوظات حسنة، وكان في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين، وصنف كتاباً جعله ذيلاً على تاريخ سعد بن عبد الكريم السمعاني المذيل على «تاريخ بغداد» للخطيب، وهو ثلاث مجلدات، وصنف غيره، ولم يزل على اجتهاده وجمعه وتعليقه إلى أن توفي في يوم الاثنين، لثمانٍ خلون من شهر ربيع الآخر، سنة **سبع وثلاثين وست مئة** ببغداد، ودفن بالوردية.

* * *

٣٧٤ ـ أبو عبدالله محمد بن [أبي] محمد بن محمد بن ظفر الصقلي، المنعوت بحجة الدين: أحد الأدباء والفضلاء، صاحب التصانيف الممتعة، منها: «سلوان المطاع في عدوان الاتباع»، وغيره من التصانيف الظريفة.

وكان قصير القامة، دميم الخلقة، غير صبيح الوجه، وله شعر منه:

حَمَلْتُكَ فِي قَلْبِي فَهَلْ أَنْتَ عَالِمٌ ... بِأَنَّكَ مَحْمُولٌ وَأَنْتَ مُقِيمُ

أَلاَ إِنَّ شَخْصاً فِي فُؤَادِي مَحَلُّهُ ... وَأَشْتَاقُهُ شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمُ

وكانت نشأته بمكة، ومولده بصقلية، وتنقَّل في البلاد، وسكن آخر الوقت حماة، وتوفي بها سنة **خمس وستين وخمس مئة**، ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات.

وقيل: إنه زوَّج ابنته بحماة بغير كفؤ من الحاجة والضرورة، وأن الزوج رحل بها من حماة وباعها في بعض البلدان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

٣٧٥ ـ أبو عبد الرحمن محمد بن عبيدالله بن عمرو بن معاوية، القرشيُّ الأمويُّ المعروفُ بالعتبي، الشاعرُ المصريُّ المشهور: كان

أديباً فاضلاً، شاعراً مجيداً، روى عن سفيان بن عُيينة، وغيره، وقدم بغداد، وحدَّث بها، وأخذ عنه أهلها.

وله تصانيف كثيرة، ومن شعره:

لَمَّا رَأَتْنِي سُلَيْمَى قَاصِراً بَصَرِي
عَنْهَا وَفِي الطَّرْف عَنْ أَمْثَالِهَا زَرَرُ
قَالَتْ عَهِدْتُكَ مَجْنُوناً فَقُلْتُ لَهَا:
إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بُرْؤُهُ الكِبَرُ

وهذا البيت من الأمثال السائرة.

وروي عنه: أنه كان يقول: الزرافة ـ بفتح الزاي وضمها ـ الحيوان المعروف، وهي مولَّدة من ثلاث حيوانات: الناقة الوحشية، والبقرة الوحشية، والضبعان وهو الذكور من الضباع، فيقع الضبعان على الناقة، فيأتي بولد من الناقة والضبع، فإن كان الولد ذكراً، وقع على البقرة، فتأتي بالزرافة، وذلك في بلاد الحبشة، ولذلك قيل لها: الزُّرافة، والزرافة في الأَصل: الجماعة، فلما ولدت من جماعة، قيل لها: الزرافة.

والعجم يسمونها: أشتركاوبكتك؛ لأن الأشتر: الجمل، والكاو: البقرة، والبكتك: الضبع.

* * *

٣٧٦ ـ أبو بكر محمد بن العباس، الخوارزميُّ الشاعرُ المشهور:

وهو ابن أخت [محمد بن] جرير، و[محمد بن] جرير الطبري صاحب «التاريخ»، وكان إمامًا في اللغـة والأنساب، وأقام بالشام مدة، وسكن نواحي حلب، وكان يشار إليه في عصره.

ومن شعره:

يَـا مَـنْ يُحَـاوِلُ صِـرْفَ الـرَّاحِ يَـشْرَبُهَا
وَلاَ يَفُـكُّ لِمَـا يَلْقَـاهُ قِرْطَاسَـا

الكَـاسُ وَالكِيسُ لاَ يُرْجَـى اجْتِمَاعُهَـا
فَفَـرِّغِ الكِـيسَ حَتَّـى تَمْـلأَ الكَأْسَـا

ونوادره كثيرة.

ولما رجع من الشام، سكن نيسابور، ومات بها في نصف رمضان، سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة.

* * *

٣٧٧ ـ أبو الحسن محمد بن عبيد[١]الله بن محمد بن محمد بن يحيى، المخزوميُّ الشاعرُ المشهورُ، السُّلاميُّ: وهو من ولـد المغيرة المخـزومي أخي خالـد بن الوليـد، وهـو من أشعـر أهل العـراق قولاً بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق، قال الشعر وهو ابن عشرين سنة، ونشأ

---

(١) في «وفيات الأعيان»: «عبد» (٤/ ٤٠٣).

ببغداد، وخرج منها إلى الموصل، وارتفع مقامه عند الأكابر، وأول شيء قال وهو في المكتب:

بَــــدَائِعُ الحُـــسْنِ فِيـــهِ مُفْتَرِقَـــةْ
وَأَعْـــيُنُ النَّـــاسِ غَيْـــرُ مُتَّفِقَـــهْ

سِـــــهَامُ أَلْحَاظِـــــهِ مُفَوَّقَـــــةٌ
فَكُـــلُّ مَـــنْ رَامَ لَحْظَـــهُ رَشَـــقَهْ

قَـــدْ كَتَـــبَ الحُـــسْنُ فَـــوْقَ وَجْنَتِـــهِ
هَـــذَا مَلِـــيحٌ وَحَـــقٌّ مَـــنْ خَلَقَـــهْ

ومن شعره أيضاً:

لَمَّـــا أُصِـــيبَ الخَـــدُّ مِنْـــكَ بِعَـــارِضٍ
أَضْـــحَى بِسِلْـــسِلَةِ العِـــذَارِ مُقَيَّـــدَا

ومن هاهنا أخذ التلّعفريُّ:

هَـــبْ أَنَّ خَـــدَّكَ قَـــدْ أُصِـــيْبَ بِعَـــارِضٍ
فَعَـــلَامَ صُـــدْغُكَ رَاحَ وَهْـــوَ مُسَلْـــسَلُ

وتوفي يوم الخميس، رابع جمادى الأولى، **سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة**.

والسلامي: نسبة إلى دار السلام.

ومات عن سبعة وخمسين سنة.

* * *

٣٧٨ ـ أبو الحسن محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن سكرة الهاشميُّ البغداديُّ الشاعرُ المشهور: وهو من ولد علي بن مهدي ابن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، يقال: إن ديوان ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت.

فمن بديع تشبيهه: ما قاله في غلام رآه وفي يده غصن، وعليه زهر:

غُصْنُ بَانٍ بَدَا وَفِي اليَدِ مِنْهُ
غُصُنٌ فِيهِ لُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ
فَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فِي ذَا
قَمَرٌ طَالِعٌ وَفِي ذَا نُجُومُ

وله في غلام أعرج:

قَالُوا بُلِيتَ بِأَعْرَجٍ فَأَجَبْتُهُمْ
العَيْبُ يَحْدُثُ فِي غُصُونِ البَانِ
إِنِّي أُحِبُّ حَدِيثَهُ وَأُرِيدُهُ
لِلنَّوْمِ لاَ لِلْجَرْيِ فِي المَيْدَانِ

وله في الشباب:

لَقَــدْ بَــادَ الـــشَّبَابُ وَكَــانَ غُــصْناً
إِذَا مَــا مَــاتَ بَعْــضُكَ مَــاتَ كَلُّــكْ
وَكَــانَ الــبَعْضَ مِنْــكَ فَمَــاتَ فَــاعْلَمْ
إِذَا مَــا مَــاتَ بَعْــضُكَ مَــاتَ كَلُّــكْ

وله شعر كثير.

توفي يوم الأربعاء، حادي عشر ربيع الآخر، **سنة خمس وثمانين ومئتين.**

* * *

٣٧٩ ـ الشريف الرضِيُّ أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب الحسين بن موسى بن محمد الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابـدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعـروفُ بالموسـويِّ، صاحـبُ ديـوان الشعـر: وكان أبـوه قديمـاً يتولى نقابـة الطالِبِيِّين، والنظر في المظالم، والحج بالناس، ثم رُدَّت هذه إلى ولده المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة، وأبوه حي.

ومن غرر شعره: ما كتبه إلى الإمام القادر بالله أبي العباس [أحمد ابن] المقتدر من جملة قصيدة:

عَطْفــاً أَمِيــرَ المُـــؤْمِنِينَ فَإِنَّنَــا
فِــي دَوْحَــةِ العَلْيَــاءِ لاَ نَــتَفَرَّقُ

مَــا بَيْنَنَــا يَــوْمَ الفَخَــارِ تَفَــاوُتٌ

أَبَــداً كِلاَنَــا فِــي المَعَــالِي مُعْــرِقُ

إِلاَّ الخِلاَفَـــةَ مَيَّزَتْـــكَ فَـــإِنَّنِي

أَنَــا عَاطِــلٌ مِنْهــا وَأَنْــتَ مُطَــوَّقُ

ولد سنة تسع وخمسين وثلاث مئة ببغداد، وتوفي بكرة يوم الخميس، سادس المحرم، سنة ست وأربع مئة ببغداد.

* * *

٣٨٠ ـ ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار، الأندلسيُّ الشاعرُ المشهور: وهو وابن زيدون القرطبي ـ المتقدم ذكره في الهمزة ـ فَرَسا رهان، ورضيعا لَبان، في التصرف في فنون البيان، كانا شاعري ذلك الزمان، وكانت ملوك الأندلس تخاف ابن عمار؛ لبذاءة لسانه، وبراعة إحسانه.

ومن مشاهير قصائده: قوله:

أَدِرِ الزُّجَاجَــةَ وَالنَّــسِيمُ قَــدِ انْبَــرَى

وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ العِنَانَ عَنِ السُّرَى

وَالــصُّبْحُ قَــدْ أَهْــدَى لَنَــا كَــافُورَهُ

لَمَّــا اسْــتَرَدَّ اللَّيْــلُ مِنَّــا العَنْبَــرَا

وكان المعتمد على الله بن عباد صاحبُ غرب الأندلس استوزره،

ثم سيَّره نائباً على مدينة تدمير، فعصى بها، فلم يزل يحتال عليه حتى وقع في قبضته، وقتله بيده ليلاً في قصره بمدينة إشبيلية.

وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة.

ومن أسباب قتله ـ أيضاً ـ: أنه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرُّميكية، وكانت سُريَّة المعتمد، اشتراها من رُميك بن حجاج، فنُسبت إليه، وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد، وأفرط في الميل إليها، وتغلبت عليه، واسمها: اعتماد، واختار لنفسه لقباً يناسب اسمها، وهو المعتمد، وتوفيت بأغمات قبل المعتمد، فلم تَرُقْ له عليها عَبرة، ولا فارقته الحسرة حتى قضى نحبه، وهي التي أغرت المعتمد على قتل ابن عمار؛ لكونه هجاها.

* * *

٣٨١ ـ أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد ابن مروان، الأندلسيُّ الإشبيليُّ: هو من أهل بيت كلهم علماء ورؤساء، وحكماء ووزراء، ونالوا المراتب العلية، وكان ذا مال وافر، وشعر جيد، وكان يعرف بابن زهر.

ومن المنسوب إليه في كتاب جالينوس المسمى «حيلة البرء» ـ وهو من أجل كتبهم وأكبرها ـ قوله:

حِيلَةُ البُرْءِ صُنِّفَتْ لِعَلِيلِ
يَتَرَجَّى الحَيَاةَ أَوْ تَعْلِيلَهْ

فَــــإِذَا جَـــاءَتِ المَنِيَّـــةُ قَالَـــتْ

حِيلَـةُ البَـرْءِ لَـيْسَ فِـي المَـوْتِ حِيلَـهْ

ومن شعره:

إِنِّــي نَظَـرْتُ إِلَــى المِــرْآةِ إِذْ جُلِيَــتْ

فَــأَنْكَرَتْ مُقْلَتَــائِي كُــلَّ مَــا رَأَتَــا

رَأَيْــتُ فِيهَــا شُــوَيْخاً لَــسْتُ أَعْرِفُــهُ

وَكُنْــتُ أَعْهَــدُهُ مِــنْ قَبْــلِ ذَاكَ فَتَــى

فَقُلْتُ: أَيْـنَ الَّـذِي بِـالأَمْسِ كَـانَ هُنَـا

مَتَــى تَرَحَّــلَ عَــنْ هَــذَا المَكَــانِ مَتَــى

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُـمَّ قَالَـتْ وَهْـيَ مُعْجَبَـةٌ

إِنَّ الَّـــذِي رَأَتَـــاهُ مُقْلَتَـــاكَ أَتَـــى

كَانَـتْ سُـلَيْمَى تُنَـادِي يَـا أُخَـيَّ وَقَـدْ

صَـارَتْ سُـلَيْمَى تُنَـادِي اليَـوْمَ يَـا أَبَتَـا

ولد سنة سبع[1] وخمس مئة، وتوفي في آخر سنة خمس وتسعين[2] وخمس مئة.

* * *

(١) في الأصل: «تسع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٣٤).

(٢) في الأصل: «وسبعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٣٤).

٣٨٢ ـ أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس، اللغويُّ، الملقب: مصطفى الدولة، الشاعرُ المشهور: كان يدعى بالأمير؛ لأن أباه كان من أمراء العرب، له ديوان شعر كبير، لقي جماعة من الملوك والأكابر، ومدحهم، وأخذ جوائزهم، ومن غُرر قصائده: قوله:

هُوَ ذَاكَ رَبْعُ المَالِكِيَّةِ فَارْبَعِ
وَاسْأَلْ مَصِيفاً عَافِياً عَنْ مَرْبعِ

وَاسْتَسْقِ لِلدِّمَنِ الخَوَالِي بِالحِمَى
غُرَّ السَّحَائِبِ وَاعْتَذِرْ عَنْ أَدْمُعِي

لَوْ تُخْبِرُ الرُّكْبَانُ عَنِّي حَدَّثُوا
عَنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَقَلْبٍ مُوجَعِ

رُدِّي لَنَا زَمَنَ الكَثِيبِ فَإِنَّهُ
زَمَنٌ مَتَى يَرْجِعْ وِصَالُكِ يَرْجِعِ

لَوْ كُنْتِ عَالِمَةً بِأَدْنَى لَوْعَتِي
لَرَدَدْتِ أَقْصَى نَيْلِكِ المُسْتَرْجَعِ

بَلْ لَوْ قَنِعْتِ مِنَ الغَرَامِ بِمُظْهَرٍ
عَنْ مُضْمَرٍ بَيْنَ الحَشَا وَالأَضْلُعِ

أَعْيَنْتِ إِثْرَ تَعَفُّفٍ وَوَصَلْتِ بَعْـ
ـدَ تَجَنُّبٍ وَبَذَلْتِ بَعْدَ تَمَنُّعِ

وَلَوَ انَّنِي أَنْصَفْتُ نَفْسِي صُنْتُهَا
عَنْ أَنْ أَكُونَ كَطَالِبٍ لَمْ يَنْجَعِ

إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الكِرَامِ فَلَمْ يُجِبْ
فَلأَشْكُرَنَّ نَدًى أَجَابَ وَمَا دُعِي

وَمِنَ العَجَائِبِ وَالعَجَائِبُ جَمَّةٌ
شُكْرٌ بَطِيٌّ عَنْ نَدًى مُتَسَرِّعِ

توفي يوم السبت، سلخ صفر، سنة أربع وتسعين وأربع مئة بحلب ـ رحمه الله ـ[1].

وحَيُّوس: ـ بحاء مهملة مفتوحة، وياء مد مشددة مثناة من تحتها وضمها، وواو ساكنة، وسين مهملة ـ، وليس هو ما يتوهمه الناس من أن المغربي يقال له: ابن حبوس ـ بباء موحدة من تحتها ـ، وهو غلط.

* * *

٣٨٣ ـ أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي

---

(١) كذا في الأصل، وفي «وفيات الأعيان»: «وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلاث مئة بدمشق، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة بحلب».

العباس أحمد بن إسحاق ابن زهر أبي الفتيان، القرشيُّ الأمويُّ الأَبِيْوَرْدِيُّ الشاعرُ المشهور: كان من الأدباء المشاهير، راوية نسَّابة، شاعراً ظريفاً، وكان ينسب إلى معاوية الأصغر.

ومن محاسن شعره قوله:

مَلَكْنَا أَقَالِيمَ البِلَادِ فَأَذْعَنَتْ
لَنَا رَهْبَةً أَوْ رَغْبَةً عُظَمَاؤُهَا

فَلَمَّا انتُهَتْ أَيَّامُنَا عَلِقَتْ بِنَا
شَدَائِدُ أَيَّامٍ قَلِيلٌ رَخَاؤُهَا

وَكَانَ إِلَيْنَا فِي السُّرُورِ ابْتِسَامُهَا
فَصَارَ عَلَيْنَا فِي الهُمُومِ بُكَاؤُهَا

وَصِرْنَا نُلَاقِي النَّائِبَاتِ بِأَوْجُهٍ
رِقَاقِ الحَوَاشِي كَادَ يَقْطُرُ مَاؤُهَا

إِذَا مَا هَمَمْنَا أَنْ نَبُوحَ بِمَا جَنَتْ
عَلَيْنَا اللَّيَالِي لَمْ يَدَعْنَا حَيَاؤُهَا

وقوله أيضاً:

فَسَدَ الزَّمَانُ فَكُلُّ مَنْ صَاحَبْتَهُ
رَاجٍ يُنَافِقُ أَوْ مُدَاجٍ خَاشِي

وَإِذَا اخْتَبَرْتَهُمُ ظَفِرْتَ بِبَاطِنٍ ... مُتَجَهِّمٍ وَبِظَاهِرٍ هَشَّاشِ

وله تصانيفُ كثيرة لم يُسبق إلى مثلها.

وكان حسن السيرة، توفي يوم الخميس بين الظهر والعصر، لعشرين خلت من ربيع الأول، **سنة سبع وخمس مئة مسموماً** بأصبهان.

والأَبِيْوَرْدي ـ بفتح الهمزة، وكسر الباء الموحدة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح الواو، وسكون الراء، وبعدها دال مهملة ـ: نسبة إلى أبي ورد، ويقال لها: أبا ورد وهي بليدة بخراسان، خرج منها جماعة من العلماء.

* * *

٣٨٤ ـ أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عُمر، المعروف بابن أبي الصقر، الواسطيُّ: كان فقيهاً شافعيَّ المذهب، لكنه غلب عليه الأدب والشعر، واشتهر به، وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية، وكان كاملاً في البلاغة والفضل وحسن الخط.

ومن شعره:

وَحُرْمَةِ الوُدِّ مَالِي عَنْكُمُ عِوَضُ ... لأَنَّنِي لَيْسَ لِي فِي غَيْرِكُمْ غَرَضُ

أَشْــتَاقُكُمْ وَمُــرَادِي لَــوْ يُوَاصِــلُنِي
لَكُــمْ خَيَــالٌ وَلَكِــنْ لَــسْتُ أَغْــتَمِضُ

وَقَــدْ شَــرَطْتُ عَلَــى قَــوْمٍ صَــحِبْتُهُمُ
بِأَنَّ قَلْبِــي لَكُــمْ مِــنْ دُونِهِــمْ وَرَضُــوا

وَمِــنْ حَــدِيثِي بِكُــمْ قَــالُوا بِــــهِ مَــرَضٌ
فَقُلْــتُ لاَ زَالَ عَنِّــي ذَلِــكَ المَــرَضُ

وكانت ولادته ليلة الاثنين، ثالث عشر ذي القعدة، **سنة تسع وأربع مئة**، [وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى **سنة ثمان وتسعين وأربع مئة**] بواسط.

* * *

٣٨٥ ـ الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد، الهاشميُّ العباسيُّ المعروفُ بابن الهَبَّارية، الملقب: نظام الدين، البغـداديُّ الشاعرُ المشهور: كان حسن المقاصـد، لكنـه غلب على شعره الهجاء والهزل.

ومن شعره:

خُــذْ جُمْلَــةَ الأَشْــيَا وَدَعْ تَفْــصِيلَهَا
مَــا فِــي البَرِيَّــةِ كُلِّهَــا إِنْــسَانُ

وَإِذَا البَيَـادِقُ فِـي البُيُـوتِ تَفَرْزَنَـتْ

فَـالرَّأْيُ أَنْ يَتَبَيْـدَقَ الفِـرْزَانْ

وله ـ على سبيل الخلاعة والمجون ـ:

يَقُـولُ أَبُـو سَـعِيدٍ إِذْ رَآنِـي

عَفِيفـاً مُنْـذُ عَـامٍ مَـا شَـرِبْتُ

عَلَـى يَـدِ أَيِّ شَـيْخٍ تُبْـتَ قُـلْ لِـي

فَقُلْـتُ: عَلَـى يَـدِ الإِفْـلاَسِ تُبْـتُ

توفي بكَرمان، سنة أربع وخمس مئة، وقيل: بعد سنة تسعين وأربع مئة، وهو منسوب إلى هَبَّار جدِّه لأبيه.

* * *

٣٨٦ ـ أبو عبدالله محمد بن نصر بن صغير بن داغر، الخالديُّ المخزوميُّ الحلبيُّ، الملقبُ: شرف المعالي، المعروفُ بابن القَيْسَراني، الشاعرُ المشهور: كان فاضلاً في علم الأدب والفقه.

ومن محاسن شعره:

كَـمْ لَيْلَـةٍ بِـتُّ مِـنْ كَاسِـي وَرِيقَتِـهِ

نَـشْوَانَ أَمْـزِجُ سَلْـسَالاً بِـسَلْـسَالِ

وَبَـاتَ لاَ تَحْتَمِـي عَنِّـي مَرَاشِـفُهُ

كَأَنَّمَـا ثَغْـرُهُ ثَغْـرٌ بِـلاَ وَالِـي

وله في مدح الخطيب:

شَــــرَحَ المِنْبَــــرُ صَــــدْراً
لِتَلَقِّيــــــكَ رَحِيبَــــا
أَتُــــرَى ضَــــمَّ خَطِيبــــاً
أَمْ تُــــرَى ضُــــمِّخَ طِيبَــا

وهذا الجناس في غاية الحسن.

وحضر مرة في سماع، وكان المغني حسن الغناء، فلما طربت الجماعة، وتواجدت، قال:

وَاللهِ لَـوْ أَنْـصَفَ العُـشَّاقُ أَنْفُـسَهُمْ
فَـدَوْكَ مِنْهَـا بِمَـا عَـزُّوا وَمَـا هَـانُوا
مَـا أَنْـتَ حِـينَ تُغَنِّـي فِـي مَجَالِـسِهِمْ
إِلاَّ نَـسِيمُ الـصَّبَا وَالقَـوْمُ أَغْـصَانُ

ولد سنة ثمان وتسعين وأربع مئة بعكا، وتوفي ليلة الأربعاء، الحادي والعشرين من شعبان، سنة ثمان وأربعين وخمس مئة بدمشق، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

والخالدي: نسبة إلى خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه.

وقيل: إن خالداً انقطع نسلُه منذ زمان، وانفصل نسبه، والله أعلم.

والقيسراني ـ بفتح القاف، وسكون الياء المثناة من تحت، وفتح السين المهملة، والراء المهملة ـ: نسبة إلى قيسارية، وهي بُليدة بالشام[1] على ساحل البحر.

* * *

٣٨٧ ـ أبو عبدالله محمد بن بختيار بن عبدالله المعروف بالأبله، البغداديُّ الشاعرُ المشهور: وشعره رقيق حلو الصناعة، ومن أبياته السائرة من جملة قصيدة قوله:

لاَ يَعْـرِفُ الـشَّوْقَ إِلاَّ مَـنْ يُكَابِـدُهُ
وَلاَ الـصَّبَابَةَ إِلاَّ مَـنْ يُعَانِيهَـا

ومن رقيق شعره قوله:

دَعْنِـي أُكَابِـدُ لَـوْعَتِي وَأُعَـانِي
أَيْـنَ الطَّلِيـقُ مِـنَ الأَسِـيرِ العَـانِي

آلَيْـتُ لاَ أَدَعُ الغَـرَامَ يَغُرُّنـي
مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَخَـذَ الغَـرَامُ عِنَـانِي

أَوْ لِـي بِـرَوْضِ العَـاذِلاَتِ وَقَـدْ أَرَى
رَوْضَـاتِ حُـسْنٍ فِـي خُـدُودِ حِسَانِ

(١) في الأصل: «بالبقاع».

وَلَـــدَيَّ يَلْـــتَمِسُ الـــسُّلُوَّ وَلَـــمْ أَزَلْ

حَـــيُّ الـــصَّبَابَةِ مَيِّـــتُ الـــسُّلْوَانِ

يَـــا بَـــرْقُ إِنْ تَجُـــزِ العَقِيـــقَ فَطَالَمَـــا

أَغْنَتْـــهُ عَنْـــكَ سَـــحَائِبُ الأَجْفَـــانِ

هَيْهَـــاتَ أَنْ أَنْـــسَى رُبَـــاكَ وَوَقْفَـــةً

فِيهَـــا أَغِيـــرُ بِهَـــا عَلَـــى الغَيْـــرَانِ

وَمُهَفْهَـــفٍ سَـــاجِي اللِّحَـــاظِ حَفِظْتُـــهُ

فَأَضَـــاعَنِي وَأَطَعْتُـــهُ فَعَـــصَانِي

يُـــصْمِي قُلُـــوبَ العَاشِـــقِينَ بِمُقْلَـــةٍ

طَـــرَفُ الـــسِّنَانِ وَطَرْفُهَـــا سِـــيَّانِ

خُنْـــتُ الـــدَّلاَلَ لِـــشَعْرِهِ وَبِـــشَعْرِهِ

يَـــوْمَ الـــوَدَاعِ أَضَـــلَّنِي وَهَـــدَانِي

مَـــا قَـــامَ مُعْتَـــدِلاً يَهُـــزُّ قَوَامَـــهُ

إِلاَّ وَبَانَـــتْ خَجْلَـــةٌ فِـــي البَـــانِ

يَـــا أَهْـــلَ نُعْمَـــانٍ إِلَـــى وَجَنَـــاتِكُمْ

تُعْـــزَى الـــشَّقَائِقُ لاَ إِلَـــى نُعْمَـــانِ

توفي في جمادى الآخرة، سنة تسع وسبعين[1] وخمس مئة ببغداد، ودفن بباب أبرز.

والأبله معروف، وإنما قيل له ذلك؛ لأنه كان في غاية الذكاء، وهو من أسماء الأضداد؛ كما قيل للأسود: كافور.

* * *

٣٨٨ ـ أبو الفتح محمد بن عبدالله، الكاتبُ المعروف بابن التعاويذيِّ، الشاعرُ المشهور: كان شاعر وقته، وكان كاتباً بديوان الإقطاعات ببغداد، وعمي في أواخر عمره سنة تسع وسبعين وخمس مئة، ولما عمي، كان له راتب في الديوان، فالتمس أن ينقل باسم أولاده، فلما نقل، كتب إلى الإمام الناصر أبياتاً يسأله أن يجدد له راتباً مدة حياته، فأنعم عليه أمير المؤمنين بالراتب، فكانوا يوصلونه من الخشكار الردي، فكتب إلى فخر الدولة صاحب المخزن أبياتاً يشكو من ذلك بقوله:

مَوْلاَيَ نُورَ الدِّينِ أَنْتَ إِلَى النَّدَى
عَجِلٌ وَغَيْرُكَ مُحْجِمٌ مُتَبَاطِي

حَاشَاكَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ جِرَايَتِي
كَجِرَايَةِ البَوَّابِ وَالنَّفَّاطِ

---

(١) في الأصل: «تسعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٦٥).

سَـــوْدَاءَ مِثْــلَ اللَّيْــلِ سِــعْرُ قَفِيزِهَــا

مَــا بَــيْنَ طَــسُّوجٍ إِلَــى قِيــرَاطِ

أَخْنَــتْ عَلَيْهَــا الحَادِثَــاتُ وَأَفْرَطَــتْ

فِيهَــا الــرَّدَاءَةُ أَيَّمَــا إِفْــرَاطِ

قَــدْ كَــدَّرَتْ عَيْــشِي الهَنِــيَّ وَغَيَّــرَتْ

طَبْعِــي الــسَّلِيمَ وَعَفَّنَــتْ أَخْلاَطِــي

فَتَــوَلَّ تَدْبِــيرِي فَقَــدْ أَنْهَيْــتُ مَــا

أَشْــكُوهُ مِــنْ مَــرَضٍ إِلَــى بُقْــرَاطِ

وله أخبار ونوادر كثيرة، وأشعار حسنة.

ولـد في عاشر رجـب، يوم الجمعـة، سنة تسع[1] عشرة وخمس مئة، وتوفي في ثاني شوال، سنة أربع، وقيل: **ثلاث وثمانين وخمس مئة ببغداد**.

والتعاويذي ـ بفتح التاء المثناة من فوق، والعين المهملة، وكسر الواو، وسكون الياء المثناة من تحت، وكسر الذال المعجمة، وسكون الياء الأخيرة ـ: نسبة إلى كتابة التعاويذ، وهي الحروز، واشتُهر بها[2].

* * *

---

(١) في الأصل: «سبع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٧٢).

(٢) كذا في الأصل: «واشتهر بها»، وفي «وفيات الأعيان» الشهرة عن أبي محمد المبارك بن المبارك، ولم تشتهر عن المترجم له.

٣٨٩ ـ أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبدالله ابن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلِّم، الواسطيُّ الهدوليُّ[١]**، الملقب: نجم الدين، الشاعرُ المشهور:** وهو أحد من سار شعره، وانتشر ذكره.

فمن نظمه: قوله من قصيدة طويلة أولها:

رَدُّوا عَلَيَّ شَوَارِدَ الأَظْعَانِ
مَا الدَّارُ إِنْ لَمْ تَغْنَ مِنْ أَوْطَانِ

وَلَكَمْ بِذَاكَ الجِزْعِ مِنْ مُتَمَنِّعٍ
هَزَأَتْ مَعَاطِفُهُ بِغُصْنِ البَانِ

فَمَتَى اللِّقَاءُ وَدُونَهُ مِنْ قَوْمِهِ
أَبْنَاءُ مَعْرَكَةٍ وَأُسْدُ طِعَانِ

نَقَلُوا الرِّمَاحَ وَمَا أَظُنُّ أَكُفَّهُمْ
خُلِقَتْ لِغَيْرِ ذَوَابِلِ المُرَّانِ

وَتَقَلَّدُوا بِيضَ السُّيُوفِ فَمَا تَرَى
فِي الحَيِّ غَيْرَ مُهَنَّدٍ وَسِنَانِ

وَلَئِنْ صَدَدْتُ فَمِنْ مُرَاقَبَةِ العِدَا
مَا الصَّدُّ عَنْ مَلَلٍ وَلاَ سُلْوَانِ

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٥)، وفيه: «الهرثي».

يَـــا سَـــاكِنِي نُعْمَـــانَ أَيْـــنَ زَمَانُنَـــا

بِطُوَيْلِـــعٍ يَـــا سَـــاكِنِي نُعْمَـــانِ

كانـت ولادتـه في ليلة سابـع عشر جمـادى الآخرة، سنة إحـدى وخمسين و[خمس] مئة.

* * *

٣٩٠ ـ أبـو شجـاع محمـد بن علي بن شعيب، المعـروفُ بابن الدهان، الملقب: فخـر الدين، البغداديُّ الفَرَضيُّ الحاسبُ الأديبُ:

هو من أهل بغداد، وانتقل إلى الموصل، ثم تحول إلى خدمة السلطان صلاح الدين، فولاه ديوان مَيَّافارِقين، ولم يمش لـه حالٌ مـع واليها، فدخل دمشق، ثم ارتحل إلى مصر سنة ست وثمانين وخمس مئة، ثم عاد إلى دمشق، وجعلها دار إقامته.

وصنف في الفرائض، وغريب الحديث، وجمع تاريخاً، وكان قلمه أبلغ من لسانه.

وله أشعار، منها: ما كتبه إلى بعض الرؤساء وقد عوفي من مرضه:

نَـــذَرَ النَّـــاسُ يَـــوْمَ بُرْئِـــكَ صَـــوْماً

غَيْـــرَ أَنِّـــي نَـــذَرْتُ وَحْـــدِيَ فِطْـــرَا

عَالِمـــاً أَنَّ يَـــوْمَ بُرْئِـــكَ عِيـــدٌ

لاَ أَرَى صَـــوْمَه وَإِنْ كَـــانَ نَـــذْرَا

توفي في صفر، سنة تسعين وخمس مئة.

وكان سبب موته: أنه حج من دمشق، وعاد على طريق العراق، ولما وصل إلى الحلة، وقع جمله هناك، فأصاب وجهه بعض خشب الجمل، فمات لوقته.

وكان شيخاً دميم الخلقة، مسنون الوجه، مسترسلَ اللحية خفيفَها، أبيضَ تعلوه صفرة.

* * *

٣٩١ ـ أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن الحسين بن عُنَيْن الأنصاريُّ، الملقب: شرف الدين، الكوفيُّ الأصل، الدمشقيُّ المولد، الشاعرُ المشهور: خاتمة الشعراء، لم يأت بعده مثلُه، ولا كان في أواخر عصره مَنْ يقاس به.

وكان السلطان صلاح الدين قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس بالهجاء؛ فإنه عمل قصيدة طويلة جمع فيها خلقاً من رؤساء دمشق، سماها: «مقراض الإعراض»، فلما نُفي طاف البلاد من الشام والعراق، والجزيرة وأذربيجان، وخراسان وخوارزم، وما وراء النهر، ثم دخل الهند واليمن، ثم رجع [إلى] الحجاز والديار المصرية، وعاد إلى دمشق.

ولمّا مات السلطان صلاح الدين، وملك الملك العادل دمشق كان غائباً في السفرة التي نفي فيها، فسار متوجهاً إلى دمشق، وكتب إلى الملك العادل قصيدة يستأذنه في الدخول إليها، ويصف دمشق، ويذكر

ما قاساه في الغربة، وقد أحسن فيها كلّ الإحسان، واستعطفه أبلغ الاستعطاف، فأذن له العادل في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها أنشد:

هَجَوْتُ الأَكَابِرَ مِنْ جِلَّقٍ
وَرُعْتُ الوَضِيعَ بِسَبِّ الرَّفِيعِ

وَأُخْرِجْتُ مِنْهَا وَلَكِنَّنِي
رَجَعْتُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ الجَمِيعِ

وكان وافر الحرمة عند الملوك، وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة المعظم عيسى، ومدة ولاية الملك الناصر بن المعظم، وانفصل منها لما ملكها الملك الأشرف، وأقام في بيته، ولم يباشر بعدها خدمة.

ولد بدمشق يوم الاثنين، تاسع شعبان، سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وتوفي عشية نهار الاثنين، العشرين من ربيع الأول، **سنة ثلاثين وست مئة** بدمشق، ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة، وهي قرية على باب دمشق، وقيل: بل دفن بمقابر باب الصغير، بالقرب من قبر بلال مؤذنِ رسول الله ﷺ.

* * *

٣٩٢ ـ أبو القاسم محمد المعتمد بن المعتضد بالله أبي عمر[1] عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية، من ولد

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٥/ ٣١): «أبي عمرو».

النعمان بن المنذر اللخميِّ أحدِ ملوك الحيرة: وكان المعتمد المذكور صاحب قرطبة وإشبيلية، وما والاهما من جزيرة الأندلس، وفيه وفي أبيه المعتضد امتدحته الشعراء، وكانا من بلاد المشرق، وهما من أهل العريش: المدينة القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في أول الرمل من جهة الشام.

وللمعتمد أشعار منها: أنه عزم على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية، فخرج معهن يُشَيِّعهن، فسايَرَهُنَّ من أول الليل إلى الصبح، فودَّعهن، ورجع، وأنشد أبياتاً قال فيها:

سَايَرْتُهُم وَاللَّيْلُ شَمَّرَ ثَوْبَهُ
حَتَّى تَبَدَّى لِلنَّوَاظِرِ مُعْلِمَا

فَوَقَفْتُ ثَمَّ مُوَدِّعاً وَتَسَلَّمَتْ
مِنِّي يَدُ الإِصْبَاحِ تِلْكَ الأَنْجُمَا

وفي وداعهن ـ أيضاً ـ:

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ عَشِيَّةً
وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ القَصْرِ رَايَاتُ

بَكَيْنَا دَماً حَتَّى كَأَنَّ عُيُونَنَا
لِجَرْيِ الدُّمُوعِ الحُمْرِ فِيهَا جُمَانَاتُ

وكان المعتمد بن عباد أكبرَ ملوك الطوائف، وأكثرهم بلاداً، ووقع

له وقائع مع الفرنج، وثبت في وقعاتهم ثباتاً عظيماً، وشُهد له بالشجاعة.

وكـان ابن يعقـوب يوسـفُ بن تاشـفين ملكُ المسلمين صاحـبَ مراكش، فجعل خواصُّه يعظِّمـون عنـده بلاد الأنـدلس، ويحسِّنون لـه أخذَها، ويُغَـيِّرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنـه، فتغير عليـه، وقصده، فلما انتهى إلى سَبْتَةَ، جهز إليـه العساكر، وقدَّم عليها بشرَ بن أبي بكر الأندلسي، فوصل إلى إشبيلية، وبها المعتمد، فحاصرها أشد محاصرة، وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وتراميـه على الموت بنفسه ما لم يُسمع بمثله، فلما كان يوم الأحد، العشرين من رجب، سنة أربع وثمانين وأربع مئة، هجم عسكر الأمير يوسف على البلد، وشنُّوا فيه الغارات، ولم يتركوا لأحد شيئاً، وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم، وقُبض على المعتمد وأهله، وقُتل له ولدان، وقَيَّدوا المعتمد من ساعته، وجَعلوا أهله في سفينة، وحُملوا إلى الأمير يوسف بمراكش، فأمر بإرسال المعتمد إلى مدينـة أغمات، واعتقل بهـا، ولم يخرج منهـا إلى الممات، وفي اعتقالـه يقـول أبـو بكر الدَّاني قصيدتـه التي مطلعها:

لِكُـلِّ شَـيْءٍ مِـنَ الأَشْـياءِ مِيقَـاتُ
وَلِلْمُنَـى مِـنْ مَنَايَـاهُنَّ غَايَـاتُ

وَالـدَّهْرُ فِـي صِبغَةِ الحِرْبَـاءِ مُـنْغَمِسٌ
أَلْـوَانُ حَالاتِـهِ فِيهَـا اسْـتِحَالاتُ

وَهَكَــذَا لاَعِــبُ الــشِّطْرَنْجِ فِــي يَــدِهِ
فَرُبَّمَــا قُمِــرَتْ بِالبَيْــدَقِ الــشَّاهُ

قال ابن خلكان: وهذا غلط؛ فإن الشاه بالهاء المهملة، ومعناه: الملك بالعجمي.

ويقول:

انْفُــضْ يَــدَيْكَ مِــنَ الــدُّنْيَا وَسَــاكِنِهَا
فَالأَرْضُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَالنَّــاسُ قَــدْ مَــاتُوا

وَقُــلْ لِعَالَمِهَــا الأَرْضِــيِّ قَــدْ كَتَمَــتْ
سَــرِيرَةَ العَلَــمِ العُلْــوِيِّ أَغْمَــاتُ

ولد المعتمد في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة بمدينة باجة من بلاد الأندلس، وتوفي في سجن أغمات، لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، وقيل: في ذي الحجة، **سنة ثمان وثمانين وأربع** مئة، ونودي في جنازته: الصلاة على الغريب، بعد عِظم سلطانه، وجلالة شأنه، فتبارك من له البقاء والكبرياء.

واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح، ويجزل لهم المنائح، فرثوه بقصائد، وأنشدوها عند قبره، وبكوا عليه ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

وأغمات ـ بالغين المعجمة، والميم والألف والتاء المثناة ـ: بليدة

وراء مراكش، بينهما مسافة يوم، وخرج منها جماعة من المشاهير.

* * *

٣٩٣ ـ أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صُمادح، المنعوتُ بالمعتصم، التجيبيُّ: صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الأندلس، كان جده محمد بن أحمد صاحب مدينة وشقة وأعمالها، وكان المعتصم رحبَ اللقاء، جزيل العطاء، حليماً عند الدماء، طافت به الآمال، واتسع في مدحه المقال.

وله أشعار حسنة، فمن ذلك: ما كتبه إلى أبي بكر محمد بن عمار الأندلسي يعاتبه:

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِباً بَعْدَ صَاحِبِ

فَلَمْ تُرِنِي الأَيَّامُ خِلاًّ يَسُرُّنِي
بَوَادِيهِ إِلاَّ سَاءَنِي فِي العَوَاقِبِ

وَلاَ صِرْتُ أَدْعُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ
مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ كَانَ إِحْدَى النَّوَائِبِ

توفي المعتصم عند طلوع الشمس، يوم الخميس، لثمانٍ بقين من شهر ربيع الأول، **سنة أربع وثمانين وأربع مئة** بالمريَّة، ودفن عند باب الخوخة في تربته.

* * *

٣٩٤ ـ أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان المعروف بابن الزيات: وزير المعتصم، وكان جده من قرية يقال لها: الدسكرة، يجلب الزيت إلى بغداد من مواضعه، وكان محمد المذكور من أهل الأدب الظاهر، والفضل الباهر، أديباً فاضلاً بليغاً، عالماً بالنحو واللغة، وكان في أول أمره من جملة الكتاب، وكان أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض الأعمال، فقرأه الوزير عليه، وكان في الكتاب ذكر الكلأ، فقال له المعتصم: ما الكلأ؟ فقال: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، وكان المعتصم ضعيف الكتابة، فقال المعتصم: خليفةٌ أُمِّيٌّ، ووزير عامِّيٌّ ثم قال: انظروا مَنْ بالباب من الكتاب، فوجدوا محمد بن عبد الملك، فأدخلوه إليه، فقالوا له: ما الكلأ؟ فقال: العشب على الإطلاق، وإن كان رطباً، فهو الخلا، وإذا يبس، فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات، فعلم المعتصم فضله، فاستوزره، وحَكَّمَهُ، وبسط يده.

وله أشعار رائقة، فمن ذلك: قوله:

سَمَاعاً يَا عِبَادَ اللهِ مِنِّي
وَكُفُّوا عَنْ مُلاَحَظَةِ المِلاَحِ

فَإِنَّ الحُبَّ آخِرُهُ المَنَايَا
وَأَوَّلُهُ شَبِيهٌ بِالمُزَاحِ

وَقَـــالُوا دَعْ مُرَاقَبَــــةَ الثُّرَيَّــــا

وَنَـــمْ بِاللَّيْـــلِ مُـــسْوَدّ الجَنَـــاحِ

فَقُلْـــتُ وَهَـــلْ أَفَـــاقَ القَلْـــبُ حَتَّـــى

أُفَـــرِّقَ بَـــيْنَ لَيْلِـــي وَالـــصَّبَاحِ

وله أشياء غير ذلك.

وكان له تنور من حديد، وأطراف مساميره المحدودة إلى داخل، وهي قائمـة مثـل رؤوس المسـال في أيام وزارتـه، وكـان يعـذِّب فيـه المصادَرين، فمتى انقلب منهم واحد، وتحرك من حرارة العقوبة، تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشدَّ الألم، وكان إذا قال له واحد منهم: أيها الوزير! ارحمني، فيقول: الرحمة جورٌ في الطبيعة.

ولما مات المعتصم، وقام بالأمر ولـدُه الواثق، أقره على ما كان عليه، فلما مات، وتولى المتـوكل، كان في نفسه منـه، فقبض عليـه، واستصفى أمواله، وأمر بإدخاله التنور، فقال: يا أمير المؤمنين! ارحمني، فقال: الرحمة جور في الطبيعة، واستمر في التنور إلى أن مات، وكانت مدة إقامته في ذلك التنور أربعين يوماً، وكان القبض عليه لثمانٍ بقين من صفر، سنة ثلاث وثلاثين ومئتين.

وابن الزيّات هذا هو الذي أغرى المعتصمَ في محنـة الإمام أحمد ابن حنبل؛ لأنه كان يقول بخلق القرآن، ولما دخل في التنور، قال لـه خادمه: قد صرتَ إلى ما صرتَ إليه وليس لك حامد، فقال له: صدقت.

وتقدم ذكرُه في خلافة المعتصم، وفي خلافة المتوكل.

* * *

٣٩٥ ـ أبو الفضل محمد بن أبي عبدالله الحسين بن محمد المعروف بابن العميد: والعميد لقبُ والده، وكان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بُوَيْه الديلمي والدِ عضد الدولة، وتولى وزارته سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة.

وكان كامل الرئاسة، جليل المقدار، من بعض أتباعه الصاحبُ ابن عباد، ولأجل صحبته قيل له: الصاحب، فيقال: بدأت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد.

وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد، فلما رجع، قيل له: كيف وجدتها فقال: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد.

وكان يقال له: الأستاذ، وتوفي في سنة ستين **وثلاث مئة**، وقيل: سنة تسع وخمسين وثلاث مئة.

وروي: أن الصاحب بن عباد مَرَّ على باب داره بعد وفاته، فلم ير هناك أحداً، بعد أن كان الدهليز يغص بزحام الناس، فأنشد:

أَيُّهَا الرَّبْعُ لِمْ عَلاَكَ اكْتِئَابُ
أَيْنَ ذَاكَ الحِجَابُ وَالحُجَّابُ
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ
فَهُوَ اليَوْمَ فِي التُّرَابِ تُرَابُ

قَـــالَ مِـــنْ غَيْـــرِ رُقْيَـــةٍ وَاحْتِـــشَامٍ

مَـــاتَ مَـــوْلاَيَ فَـــاعْتَرَانِي اكْتِئَـــابُ

ولما مات، تولى دستَ الـوزارة بعـده ولـدُه أبـو الفتح علي ذو الكفايتين، ولم يزل في وزارة ركن الدولة إلى أن توفي، وقام بالأمر ولده مؤيدُ الدولة، فاستوزره ـ أيضـاً ـ، ثم قَبض عليـه، وقَطَعَ أنفَـهُ، وجَـزَّ لحيتَه، وقطع يده، وما زال يعرضه على العذاب حتى مات.

وكانت ولادتـه سنة سبـع وثلاثين وثلاث مئـة، وقُبض عليـه يوم الأحـد، ثامن شهر ربيـع الأول، **سنة ست وستين وثلاث مئة**، وتولى موضعه الصاحبُ بن عباد.

وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيديُّ البغدادي قد وضع كتاباً سماه: «مثالب الوزيـرين»[1]، ضمنـه معايـب أبي الفضل بن العميـد، والصاحب بن عباد، وبالغ في التعصب عليهما، وسلبهما ما استقر عنهما من الفضائل، وهذا الكتاب ما ملكه أحد إلا وانعكست أحواله، وجُرِّب ذلك، وكان أبو حيان فاضلاً مصنفاً، وكان موجوداً في سنة الأربع مئة.

* * *

٣٩٦ ـ أبو علي محمد بن علي بن مُقْلة، الكاتبُ المشهور: كان في أول أمره يتـولى بعض أعمـال فارس، ويجنـي خَراجهـا، وتنقلـت

---

(١) في الأصل: «الوزراء».

أحواله إلى أن استوزره الإمام المقتدر سنة ست عشرة وثلاث مئة، وعُزِل سنة سبع عشرة، ثم أعاده الإمام القاهر بالله سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، ثم عزله، ولما ولي الراضي بالله سنة اثنتين وعشرين، استوزره ـ أيضاً ـ، ثم غضب عليه، وقلَّد الوزارة إلى عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، والسبب في ذلك: ما كان بينه وبين المظفر بن ياقوت من الوحشة، وكان ابن ياقوت مستحوذاً على أمور الراضي، وسُلِّم ابن مقلة إلى عبد الرحمن بن عيسى يضربه بالمقارع، ويجري عليه من المكاره بالعقوبة، وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم خلص، وجلس بطَّالاً في بيته، ثم إن أبا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة، وخرج عن طاعتها، فأنفذ إليه الراضي، واستماله، وفوض إليه تدبير المملكة، وجعله أمير الأمراء، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر، فقوي أمره، وعظم شأنه، وتصرف على حسب اختياره، واحتاط على أملاك ابن مقلة وضياعه، فحضر إليه ابن مقلة، وإلى كاتبه، وتذلَّل لهما في معنى الإفراج عن أملاكه، فلم يحصل منهما إلا على المواعيد، فأخذ ابن مقلة في السعي بابن رائق من كل جهة، وكتب إلى الراضي يشير عليه بإمساكه، وضمن له إن فعل ذلك، وقلده الوزارة، ليستخرجنَّ له ثلاثة آلاف ألف دينار، فأطمعه الراضي بالإجابة، فلما استوثق ابن مقلة من الراضي، ركب من داره، وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة، واختار هذا الطالع؛ لأن القمر يكون تحت الشعاع، وهو يصلح للأمور المستورة، فلما وصل إلى دار الخليفة، لم يمكنه من الدخول إليه، واعتقل عليه في

حجره، ووجه الراضي إلى ابن رائق، وأخبره بما جرى، وأنه احتال على ابن مقلة حتى وقع في أسره، فلما كان رابع عشر شوال، سنة ست وعشرين وثلاث مئة، أظهر الراضي أمر ابن مقلة، وأخرجه من الاعتقال، وأحضر صاحب ابن رائق، وجماعة من القواد، وكان ابن رائق قد التمس قطع يد ابن مقلة التي كتب بها تلك المطالعة، فقطعت يده اليمنى، ورُدَّ إلى مجلسه، ثم ندم الراضي على ذلك، وأمر الأطباء بملازمته للمداواة، فلازموه حتى برئ، وكان ذلك نتيجة دعاء أبي الحسن محمد بن شنبوذ المقرئ عليه بقطع اليد، وهو من عجيب الاتفاق، وكان ينوح على يده، ويقول: خدمتُ بها الخلفاء، وكتبت بها القرآن مرتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص! وينشد:

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَابْكِ بَعْضاً
فَإِنَّ البَعْضَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبُ

ثم عاد وأرسل إلى الراضي من الحبس بعد قطع اليد، وأطمعه في المال، وطلب الوزارة، وقال: إِنَّ قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة، وكان يشد القلم على ساعده، ويكتب به، ولما قرب محكم من بغداد، وكان من جماعة ابن رائق، فأمر بقطع لسانه، فقطع، وأقام في الحبس مدة طويلة، ولحقه فقر، ولم يكن له من يخدمه، وكان يستقي الماء لنفسه من البئر، فيجذب بيده اليسرى جذبة، ويمسك الحبل بفمه، ثم يجذب بيده.

وله أشعار في شرح حاله، وما انتهى إليه أمره، منها:

وَإِذَا رَأَيْـــتَ فَتَـــىً بَــــأَعْلَى رُتْبَــــةٍ

فِــي شَــامِخٍ مِــنْ عِــزِّهِ المُتَرَفِّــعِ

قَالَــتْ لِــيَ الــنَّفْسُ العَــرُوفُ بِقَــدْرِهَا

مَــا كَــانَ أَوْلاَنِــي بِهَــذَا المَوْضِــعِ

وبقي على هذا الحال إلى أن توفي يوم الأحد، عاشر شوال، **سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة**، ودفن في مكانه، ثم نبش بعد زمان، وسُلِّم إلى أهله.

وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر، لسبعٍ بقين من شوال، سنة اثنتين وتسعين ومئتين ببغداد.

وأبو علي بن مقلة المذكور هو أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة، وابن البواب تبع طريقته، ونقَّح أسلوبه.

وكان أخوه أبو عبدالله الحسين بن علي بن مقلة كاتباً أديباً بارعاً، ولد يوم الأربعاء سلخ رمضان، سنة ثمان وتسعين ومئتين، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

وأما ابن رائق، فإنه قدم دمشق، وأَخْرَجَ منها بدراً الإخشيدي، ثم توجه إلى مصر، وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الإخشيد، فهزمه الإخشيد، فرجع إلى دمشق، ثم توجه إلى بغداد، وقُتل بالموصل **سنة ثلاثين وثلاث مئة**.

* * *

٣٩٧ ـ الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقيَّة الملقب: نصير الدولة: وزير عزِّ الدولة ابن بُوَيْه، كان من أجلة الرؤساء، وأكابر الوزراء، وأعيان الكرماء، كان راتب شمعه في كل شهر ألفُ مَنٍّ، وكان من أهل أوانا[1] من عمل بغداد.

وكان في أول أمره صاحب مطبخ معز الدولة، وحسنت حالته عنده، وعند ابنه عز الدولة ورعى له خدمتَه لأبيه، فاستوزره يوم الاثنين، لسبع ليال خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، ثم إنه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك، وحاصله: أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة، والتقيا على الأهواز وكُسر عز الدولة، فنسب ذلك إلى رأيه ومشورته، وقبض عليه يوم الاثنين، لثلاثَ عشرةَ ليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ست وستين وثلاث مئة بمدينة واسط، وسَمَل عينيه، ولزم بيته، فلما قُتل عزُّ الدولة، وملك عضدُ الدولة بغداد، ودخلها، طلب ابنَ بقية المذكور، وألقاه تحت أرجل الفيلة، فلما قتلته، صلبه عند البيمارستان العضدي ببغداد في يوم الجمعة، لستٍّ خلون من شوال، سنة سبع وستين وثلاث مئة، ولم يزل مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة في التاريخ المتقدم في ترجمته سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة، فأُنزل عن الخشبة، ودفن في موضعه.

* * *

---

(١) في الأصل: «أزانا»، والصواب المثبت.

٣٩٨ ـ أبو غالب محمد بن علي بن خلف الملقب: فخر الملك وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة ابن بُوَيْه: وكان من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعدَ ابن العميد، والصاحبِ بن عَبَّاد، وكان واسع النعمة، جمَّ الفضائل والأفضال، جزيل العطايا والنَّوال، قصده جماعة من أعيان الشعراء، ومدحوه، وأجازهم.

ولد بواسط سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

وَرَفَعَ إليه شخص قصة يسعى فيها بهلاك شخص، فوقف عليها، وقلبها، وكتب في ظهرها: السعاية قبيحة، وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتَها مجرى النصح، فخسارتك فيها أكثرُ من الربح، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور[1]، ولولا أنك في خفارة، لقابلناك بما يشبه فعالك، ويَرْدَع أمثالك، فاكتمْ هذا العيب، واتقِ مَنْ يعلم الغيب، والسلام.

ومحاسنُ فخر الملك كثيرة، ولم يزل في عِزِّه إلى أن نقم عليه مخدومُه بهاء الدولة لسبب اقتضى ذلك، فحبسه، ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز يوم السبت، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأول، سنة سبع وأربع مئة، ودُفن هناك، ولم تعمق حفرته، فنبشته الكلاب وأكلته، ثم أعيد دفن رمَّته، فشفع فيه بعض أصحابه، فنقلت عظامه إلى مشهد

---

(١) في الأصل: «في منهوك في ستور»، والمثبت من «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٨٣).

هناك، فدفنت فيه سنة ثمان وأربع مئة، فسبحان الفعال لما يريد.

* * *

٣٩٩ ـ أبو نصر محمد بن محمد بن جهير[1]، الملقب: فخر الدولة مؤيد الدين، التغلبيُّ الموصليُّ: كان ذا رأي وعقل، وحزم وتدبير، خرج من الموصل، وصار ناظر الديوان بحلب، ثم صُرف عنه، وانتقل إلى آمد مدة بطالاً، ثم توصل إلى أن استوزره الأمير نصر الدولة أحمدُ بن مروان الكردي صاحب مَيَّافارقين وديار بكر، وكان نافذ الكلمة، مطاع الأمر، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي نصر الدولة، وقام بالأمر ولدُه نظام الدين، فأقبل عليه، وزاد في إكرامه، فرتب أمور ديوانه، وأجراها على الأوضاع التي كانت في أيام أبيه، وكان عزل من الوزارة، ثم أعيد إليها، فأنشده بعضهم قصيدة يقول فيها:

قَدْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى نِصَابِهْ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الوَرَى أَوْلَى بِهْ

مَا كُنْتَ إِلاَّ السَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهْ

هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصرَتْهُ صَارِماً وَبَرِيقُهُ[2] يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهْ

وهي قصيدة طويلة، وكانت ولادته بالموصل سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة، وَمَلَكَ نصيبين ثم الموصل وسنجار، والرحبة والخابور،

---

(١) في الأصل: «جعفر»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ١٢٧).

(٢) في الأصل: «وريقه».

وديار ربيعة أجمع، وخُطب له على سائر منابرها نيابة عن السلطان، وأقام بالموصل إلى أن توفي بها في رجب **سنة ثلاث وثمانين**[1] **وأربع مئة**.

وأما ولده عميد الدولة، فانتشر عنه الوقار والهيبة والعفة، وخدم ثلاثة من الخلفاء، ووَزَرَ لاثنين منهم، ولم يكن يُعاب بأشدَّ من الكبر الزائد ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٤٠٠ ـ أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم الملقب: ظهير الدين، الروذراوريُّ[2] **الأصل، الأهوازيُّ المولد**: تولى الوزارة للإمام المقتدي بالله، بعد عزل عميد الدولة أبي منصور ابن فخر الدولة، وذلك في **سنة ست وسبعين**[3] **وأربع مئة**، ثم عزل، وأعيد عميد الدولة.

ولمَّا قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله، أنشد:

تَوَلاَّهَا وَلَيْسَ لَهُ عَدُوٌّ   وَفَارَقَهَا وَلَيْسَ لَهُ صَدِيقُ

وخرج بعد عزله ماشياً يوم الجمعة من داره إلى الجامع، وثارت عليه العامة يسفِّهون عليه، وأُلزم بالقعود في داره، ثم خرج إلى روذراور،

---

(١) في الأصل: «ثلاث وثلاثين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ١٣٦).

(٢) في الأصل: «الزودباري»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ١٣٤).

(٣) في الأصل: «أربعين».

وهي وطنه قديماً، ثم حج منها في سنة سبع وثمانين[1] وأربع مئة، وجاور بعد الحج بمدينة الرسول ﷺ، وأقام بالمدينة إلى حين وفاته، ودفن عند قبر إبراهيم بن النبي ﷺ بالبقيع.

ولما قرب أمره، وحان ارتحاله من الدنيا، حُمل إلى مسجد النبي ﷺ، فوقف عند الحضرة، وبكى، وقال: يا رسول الله! قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ٦٤]، وقد جئتك معترفاً بذنوبي وجرأتي، أرجو شفاعتك، وبكى، وتوفي من يومه، وكانت سيرته حسنة، وعنده سخاء وبِرٌّ ورأفة، وله شعر حسن، ومن شعره:

وَإِنِّي لأُبْدِي فِي هَوَاكَ تَجَلُّداً ... وَفِي القَلْبِ مِنِّي لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ
فَلاَ تَحْسَبَنْ أَنِّي سَلَوْتُ فَرُبَّمَا ... تُرَى صِحَّةٌ بِالمَرْءِ وَهْوَ عَلِيلُ

* * *

٤٠١ ـ أبو نصر محمد بن منصور بن محمد، الملقب: عميد الملك، الكندريُّ: كان من رجال الدهر، جواداً شهماً، واستوزره السلطان طَغْرِلْبك السّلجوقي، ونال عنده الرتبة العالية، والمنزلة الجليلة، وهو أول وزير كان لهذه الدولة، وكان ممدوحاً، مَقْصَداً للشعراء، ولم يزل في دولة طغرلبك عظيمَ الشأن والحرمة إلى أن توفي السلطان، وقام

---

(١) في الأصل: «أربعين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ١٣٥).

بالمملكة ابن[1] أخيه ألب أرسلان، وأقرَّه على حاله، وزاد في إكرامه.

ثم إنه أرسله إلى خوارزم شاه ليخطب ابنته، فأرجف أعداؤه أنه خطبها لنفسه، وشاع ذلك بين الناس، فبلغ عميدَ الملك، فخاف تغيرَ قلب مخدومه عليه، فعمد إلى لحيته، فحلقها، وإلى مَذاكيره، فجَبَّها، ثم إن ألب أرسلان عزله عن الوزارة لسبب يطول شرحه، وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، وَحَبَس عميد الملك بنيسابور، ثم نقله إلى مرو، وحبسه في دار، وكانت عياله في حجرة بتلك الدار، وكان له بيت واحد لا غير، فلما أحس بالقتل، دخل الحجرة، وأخرج كفنه، وودع عياله، وأغلق باب الحجرة، واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى للذي ندب لقتله مئة دينار، وقال: حقي عليك أن تكفنني في الثوب الذي غسلته بماء زمزم، وقال لجلاده: قل للوزير نظام الملك: بئس ما صنعت، علَّمت الأتراك قتل الوزراء، ومن حفر مهواة، وقع فيها، ومن سَنَّ سنة سيئة، فعليه وزرُها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، ورضي بقضاء الله المحتوم، وقُتل يوم الأحد، سادس عشر ذي الحجة، سنة ست وخمسين وأربع مئة، وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة.

ومن العجائب: أنه دفنت مذاكيره بخوارزم، وأريق دمه بمرو، ودفن جسده بقريته كُندُر، ورأسه بنيسابور. وكان نظام الملك هناك،

---

(١) في الأصل: «لابن».

وفي ذلك عبرة لمن اعتبر بعد أن كان رئيس عصره.

وكُندُر ـ بضم الكاف والدال، وسكون النون، والراء ـ: قرية من قرى طُرَيث ـ بضم الطاء وفتح الراء، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها ثاء مثلثة ـ وهي كورة من نواحي خراسان، خرج منها جماعة من العلماء.

* * *

٤٠٢ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور، الفقيهُ الملقب: جمال الدين، المعروف بالجواد الأصفهاني: وزير صاحب الموصل أتابك زنكي بن آق سنقر، وكان حسن المحاضرة، مقبول المُفاكهة، ولما قتل زنكي على قلعة جعبر، أقره سيف الدين غازي بن أتابك زنكي على وزارته، وفوَّض إليه الأمر، وإلى زين الدين علي والد مظفر الدين صاحب إربل، ولم يزل يبذل ويعطي الأموال، ويبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد، وصار ذلك كالعَلَم عليه حتى لا يقال: إلا جمال الدين الجواد، وأثر آثاراً جميلة، وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد، وعمل الدَّرَجَ من أسفل الجبل إلى أعلاه، وبنى سور مدينة الرسول ﷺ، وما كان خرب من مسجده.

وكان يحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة من الأموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة، وكان قصده كل خير، حتى جاء في سنةٍ غلاء مفرط، فواسى الناس، حتى إنه لم يبق له شيء.

واستمر على ذلك إلى أن توفي مخدومه غازي، وقام بالأمر بعده أخوه قطب الدين مودود، فاستولى عليه مدة، ثم قبض عليه في رجب، سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، ولم يزل مسجوناً إلى أن توفي في العشر الأخير من رمضان، **سنة تسع وخمسين وخمس مئة**، وصُلِّيَ عليه، وكان يوماً مشهوداً؛ من ضجيج الضعفاء والأرامل والأيتام حول جنازته، ودُفِنَ بالموصل، ثم نُقل إلى مكة ـ حرسها الله تعالى ـ، وطِيفَ به حول الكعبة بعد أن صعدوا به ليلة الوقفة إلى جبل عرفات، وكانوا يطوفون به كل يوم مراراً مدة بقائهم بمكة، وكان يوم دخوله بمكة يوماً مشهوداً؛ من اجتماع الخلق والبكاء عليه، ثم حمل إلى مدينة الرسول ﷺ، ودُفن بالبقيع بعد أن أُدخل المدينة، وطيف به حول الحجرة مراراً ـ رحمه الله تعالى ـ.

وكان ولده أبو الحسن علي الملقب: جمال الدين من الأدباء الفضلاء البلغاء، توفي **سنة أربع وسبعين**[1] **وخمس مئة** بمدينة دُنَيْسَر ـ بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء مهملة ـ، وهي مدينة بالجزيرة بين نصيبين ورأس العين، تطرقها التجار من جميع الجهات، وهي مجمع الطرقات، ولهذا قيل لها: دنيسر، وهو لفظ مركب، وأصله: دنيا سر، ومعناه: رأس الدنيا، وعادة العجم في الأسماء المضافة [أن] يؤخروا المضاف

(١) في الأصل: «خمسين».

عن المضاف إليه، وسَرْ بالعجمي: رأس.

* * *

٤٠٣ ـ أبو عبدالله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود، المعروف بابن أخي العزيز، الملقب: عماد الدين الكاتب الأصبهاني، المعروف ـ أيضاً ـ بابن أخ العزيز: كان فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً، وأتقن الخلاف، وفنون الأدب، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه.

نشأ بأصبهان، وقدم بغداد، وتعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هُبَيْرَة ببغداد، وتولى النظر بالبصرة، ولم يزل ماشي الحال مدة حياته، فلما توفي، تشتت شمل أتباعه، ثم انتقل إلى دمشق **سنة اثنتين وستين وخمس مئة**، وسلطانها الملكُ العادل نور الدين الشهيد، ومدبر دولته القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري، فتعرف به، وحمد محاسنه، فأحسن إليه وأكرمه، وميَّزه عند الأعيان والأماثل، ثم نوَّه بذكره عند السلطان نور الدين، وعدَّد فضائله، وأهَّله لكتابة الإنشاء، فَجَبُنَ عنها في الابتداء، فلما باشرها، هانت عليه، وأجاد فيها، وأتى بالغرائب، فكان ينشئ الرسائل باللغة العجمية ـ أيضاً ـ، وعلت منزلته عند نور الدين، وصار صاحب سِرِّه، وأرسله إلى دار السلام ببغداد رسولاً في أيام الإمام المستنجد.

ولم يزل مستقيم الحال إلى أن توفي نور الدين، وقام ولده الملك الصالح إسماعيل مقامه، وكان صغيراً، فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد، فضايقوه، وأخافوه إلى أن ترك جميع ما كان فيه، وسافر قاصداً بغداد، فوصل إلى الموصل، فمَرِضَ بها مرضاً شديداً، فلما بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لأخذ دمشق، عزم على العودة إلى الشام، فوصل إليها ثامن جمادى الآخرة، سنة سبعين وخمس مئة، وصلاح الدين نازل على حلب، ثم قصد خدمته، فحضر بين يديه، ولزم بابه في رحيله ونزوله، حتى نظمه في سلك جماعته، واعتمد عليه، وقرب منه، وصار من جملة الصدور المعدودين، والأماثل المشتهرين، وكان القاضي الفاضل أكثر الأوقات ينقطع عن خدمة السلطان، والعمادُ ملازم الباب، وهو صاحب السر المكتوم.

وصنف التصانيف النافعة، منها: كتاب «الفتح القدسي» في مجلدين يتضمن فتح بيت المقدس وغيره.

وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لِطاف، فمن ذلك: ما يُحكى عنه: أنه لقيه يوماً وهو راكب على فرس، فقال له العماد: سِرْ فَلاَ كَبَا بِـكَ الفرس، فقال له الفاضل: دامَ عُلا العماد.

وهذا مما يقرأ مقلوباً ومستقيماً بالسواء.

وكان القاضي الفاضل قـد حج في سنة أربع وخمس مئة، وركب البحر في طريقه، فكتب إليه العماد ألفاظاً، منها:

فطوبى للحِجْر والحَجون من ذي الحِجر والحجى، ومُنير الدجى، ولندى الكعبة من كَعْب الندى، وللهدايا المشعَرات من مشعر الهُدى، والمقام الكريم من مقام كـريم، ومتى ركـب البحرُ البحرَ، وملك البَـر البَرَّ، ويا عجباً للكعبة يقصدها كعبة الفضل والإفضال، والقبلة يستقبلها قبلة القبول والإقبال، والسلام.

ولم يزل العماد على رفعة منزلة إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، فاختلفت أحواله، ولزم بيته، وأقبل على الاشتغال بالتصانيف، وتوفي يوم الاثنين، ثاني جمادى الآخرة، وقيل: في شعبان، سنة **سبع وتسعين وخمس مئة** بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية.

وأُلُهْ ـ بفتح الهمزة وضم اللام، وسكون الهاء ـ، وهو اسم عجمي معناه بالعربي: العُقاب، وهو الطائر المعروف، وقـد قيل: إن العُقاب لا يوجد فيه ذَكَر، بل جميعه أنثى، وإن الذي يسافده طائر آخر من غير جنسه، وقيل: إن الثعلب يسافده، وهو من العجائب.

ولابن عُنين هَجْوٌ في شخص يقال له ابن سِيده:

مَـا أَنْـتَ إِلاَّ كَالعُقَـابِ فَإِنَّهَـا ... مَعْرُوفَـةٌ وَلَهَـا أَبٌ مَجْهُـولُ

* * *

٤٠٤ ـ أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ[1]، الفارابي

---

(١) في الأصل: «أزرع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ١٥٣).

التركيُّ[1]، **الحكيمُ المشهور**: صاحب التصانيف في المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم، وهو من أكبر فلاسفة المسلمين.

ولـد في بلـده، ونشأ بها، ثم خرج، وتقلبت بـه الأسفار إلى أن وصل بغداد، وهو يعرف اللسان[2] التركي، وعدة لغات غيـر العربي، فشرع في اللسان العربي، فتعلَّمه وأتقنه، ثم اشتغل بعلوم الحكمة، ثم ارتحـل إلى مدينـة حرَّان، ولم يزل مُكِبـاً على الاشتغـال بهـذا العلم، والتحصيل له إلى أن فاق فيه أهلَ زمانه، وألَّف معظم كتبه.

ثم سافر إلى دمشق، وتوجه إلى مصر، ثم عاد إلى دمشق، فأقام بها، وسلطانُها يومئذ سيفُ الدولة بن حمدان، فأحسن إليه.

ويحكى: أن الآلـة المسماة بالقانـون من وضعـه، وهـو أول من رَكَّبها هذا التركيب، وكان منفرداً بنفسه، لا يجالس الناس، وكان مـدة إقامته بدمشق في تأليف كتبـه، وكان أزهـدَ الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمرِ مكسب ولا مسكن، وأجرى عليه سيف الدولة كلَّ يوم من بيت المال أربعة دراهم، واقتصر عليها إلى أن مات في **سنة تسـع وثلاثين وثلاث مئة** بدمشق، وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصه، وقد ناهز ثمانين سنة، ودفن خارج الباب الصغير.

ومما ينسب إليه من النظم: قوله:

---

(١) في الأصل: «المتولي»، والمثبت من «وفيات الأعيان».

(٢) في الأصل: «باللسان».

أَخِـــي خَـــلِّ حَيِّـــزَ ذِي بَاطِـــلٍ
وَكُـــنْ لِلحَقَـــائِقِ فِـــي حَيِّـــزِ

فَمَـــا الـــدَّارُ دَارَ مُقَـــامٍ لَنـــا
وَلاَ المَـــرْءَ فِـــي الأَرْضِ بِـــالمُعْجِزِ

يُنَـــافِرُ هَـــذَا لِهَـــذَا عَلَـــى
أَقَـــلَّ مِـــنَ الكَلِـــمِ المُـــوجَزِ

وَهَـــلْ نَحْـــنُ إِلاَّ خُطُـــوطٌ وَقَعْـــنَ
عَلَـــى يَقْظِـــهِ وَقْـــعَ مُـــسْتَوْفِزِ

مُحِـــيطُ الـــسَّمَوَاتِ أَوْلَـــى بِنَـــا
فَمَـــا ذَا التَّنَـــافُسُ فِـــي المَرْكَـــزِ

والفارابي ـ بفاء موحَّـدة، وبالباء الموحَّدة من أسفل ـ: نسبة إلى فاراب، وهي مدينـة فوق الشَّاش: قرية من مدينـة فلاساغون، وجميع أهلها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهي قاعدة من قواعد همدان، وهي في أطراف بلاد فارس، وفلاساغون: بلدة وراء نهر سيحون بالقرب من كَاشْغَر، وهي من المدن العظام في تُخوم الصين.

* * *

٤٠٥ ـ أبو بكر محمـد بن زكريا الرازي، الطبيبُ المشهور: هو الـذي دبـر مارستان بغـداد أيام المكتفي، وكان في أيام شبيبتـه يضرب

بالعود، ويغني، فلما التحى وجهه، قال: كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يُستطرب، فنزع عن ذلك، وأقبل على دراسة كتب الطب حتى صار تُشَدُّ إليه الرحال في أخذها عنه، وصنف فيها الكتب النافعة.

ومن كلامه فيها: إذا كان الطبيب عارفاً، والمريض مطيعاً، فما أقلَّ لبثَ العلة.

وطال عمره، وعَمِيَ في آخر مدته، وتوفي في سنة **إحدى عشرة وثلاث مئة**.

* * *

٤٠٦ ـ أبو عبدالله محمد بن جابر، بن سنان الحراني[1] الأصل، الحاسبُ، البَتَّانيُّ المشهور: صاحب «الزيج»، الصابىء، له الأعمال العجيبة، والأرصاد المتقنة.

كان أوحد عصره، توفي سنة **سبع عشرة وثلاث مئة** عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له: قصر الحضر.

والبَتَّاني ـ بالباء الموحدة، والتاء المثناة من فوق المشددة، ونون مكسورة ـ: نسبة إلى بَتَّان، وهي ناحية من أعمال حرَّان.

والحضر: مدينة بالقرب من الموصل.

* * *

---

(١) في الأصل: «الدقي»، والصواب المثبت.

٤٠٧ ـ أبو عبدالله محمد بن موسى بن شاكر: أحد الإخوة الثلاثة الـذين ينسـب إليهم حيل[1] بني موسى، وهم مشهـورون بهـذا، واسم أخويه: أحمد، والحسن، وكانـت لهم همم عاليـة في تحصيل العلوم القديمة، وكتب الأوائل، أتعبوا أنفسهم في تبيانها، وكان الغالب عليهم من العلوم: الهندسة والحِيَل والحركـات، والموسيقا والنجـوم، وكان لهم أوضاع نادرة غريبة، توفي محمد المذكور في شهر ربيع الأول، سنة تسع وخمسين ومئتين.

* * *

٤٠٨ ـ أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر، الخوارزميُّ الزمخشريُّ: الإمام الكبير في التفسير والحديث، والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، تُشد إليه الرحال في فنونه، وصنف التصانيف البديعة، منها: «الكشاف» في تفسير القرآن العزيز، وتصانيف كثيرة، وكان شروعـه في تأليـف «المفصَّل» في غرة شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة وخمس مئة، وفرغ منه في غرة المحرم، سنة خمس عشرة وخمس مئة، وكان قد سافر إلى مكة ـ حرسها الله تعالى ـ، وجاور بها زماناً، فصار يقال له: جار الله، وكان هذا الاسم عَلَماً عليه.

وكانت إحدى رجليـه قـد سقطت من برد شديد وثلج أصابـه في

---

(١) في الأصل: «جبل»، والصواب المثبت.

بعض أسفاره ببلاد خُوارزم، وكان يمشي في خُفِّ خشب، وكان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك؛ خوفاً من أن يظن به من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة، والثلج والبرد كثيراً ما يوقر في الأطراف في تلك البلاد، فيسقطها، خصوصاً بخوارزم.

وكان الزمخشري معتزليَّ الاعتقاد، يُظاهر به، حتى نُقل عنه: أنه كان إذا قصد صاحباً له، واستأذن عليه في الدخول، يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب.

وأول ما صنف «الكشاف» كتب استفتاح الخطبة: الحمد لله الذي خلق القرآن.

فقيل له: متى تركته على هذه الهيئة، هجره الناس، ولا يرغب فيه أحد، فغيَّره بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن. والجعلُ عندهم بمعنى: الخلق.

والبحث في ذلك يطول، وفي كثير من النسخ: الحمد لله الذي أنزل القرآن، وهذا إصلاح الناس، لا إصلاح المصنف.

ومما أنشده لغيره في كتابه «الكشاف» عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[البقرة: ٢٦].

فإنه قال: أنشدت لبعضهم:

يَـا مَـنْ يَـرَى مَـدَّ البَعُـوضِ جَنَاحَهَـا
فِـي ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ البَهِـيمِ الأَلْيَـلِ

وَيَــرَى مَنَــاطَ عُرُوقِهَــا فِــي نَحْرِهَــا
وَالمُــخَّ فِــي تِلْــكَ العِظَــامِ النُّحَّــلِ
وَيَــرَى خَرِيــرَ دِمَائِهَــا فِــي جِلْــدِهَا
مُتَــنَقِّلاً مِــنْ مَفْــصِلٍ فِــي مَفْــصِلِ
امْــنُنْ عَلَــيَّ بِتَوْبَــةٍ أَمْحُــو بِهَــا
مَــا كَــانَ مِنِّــي فِــي الزَّمَــانِ الأَوَّلِ

وُلِدَ الزمخشري يوم الأربعاء، السابع والعشرين من رجب، سنة سبع وستين وأربع مئة بزمخشر ـ قرية من قرى خُوارزم ـ، وتوفي في ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة بجرجانية خُوارزم بعد رجوعه من مكة.

* * *

٤٠٩ ـ أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سُبُكْتِكين:

الملقب أولاً: سيف الدولة، ثم لقَّبه الإمامُ القادر بالله لمَّا سلطنه بعد موت أبيه: يمينَ الدولة، وأمينَ الملة، واشتهر به، وانتظم له الأمر، وملك بلاد خراسان في سنة تسعين وثلاث مئة، وثبت له الملك، وأرسل له الإمام القادر خلعة السلطنة، ولقَّبه بالألقاب المذكورة، واتفقت له الأمور عن آخرها، وفرض على نفسه في كل عام غزوَ الهند.

ثم إنه ملك سجِستان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، ولم يزل يفتح بلاد الهند حتى انتهى إلى ما لم يبلغه غيرُه في الإسلام، وبنى بها

مساجد وجوامع، وكسر الصنم المعروف عند الهنود أنه يُحيي ويُميت ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويأتونه من كل فجٍّ عميق.

وكان مشغول اللسان بالذكر والقرآن، خضعت له الملوك، ومهدت له البلاد، وحَسُن ذكرُه، وكان على مذهب أبي حنيفة ﷺ، وكان مولَعاً بعلم الحديث، ثم أعرض عن المذهب المشار إليه، وتمسَّك بمذهب الشافعي.

ومناقبه كثيرة، وسيرته من أحسن السير.

وُلِدَ ليلة عاشوراء، سنة إحدى وستين وثلاث مئة، وتوفي في شهر ربيع الأول[1]، سنة إحدى، وقيل: **اثنتين وعشرين وأربع مئة بغزنة.**

وقام بالأمر من بعده ولدُه محمد بوصيةٍ من أبيه، وكان سيء التدبير، فاجتمع الجند على عزله، وتفويض المُلْكِ إلى أخيه أبي سعيد مسعود، ففعلوا ذلك، وقبضوا عليه، وحملوه إلى قلعة سُبُكْتِكِين ـ بضم السين المهملة، والباء الموحدة، وسكون الكاف، وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية ـ، وتفسير ذلك: ورقتان خضراوتان، وهو معنى قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾[الرحمن: ٦٤].

* * *

٤١٠ ـ أبو السمط مروان، وقيل: أبو الهيذام[2] بن أبي حفصة

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٥/ ١٨٠): «الآخر».

(٢) في الأصل: «أبو المقدام»، وفي «وفيات الأعيان» (٥/ ١٨٩): «أبو الهندام».

سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، الشاعرُ المشهورُ: كان من الشعراء المجيدين، والفحول المتقدمين.

ولد سنة خمس ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة ببغداد، ودفن في مقبرة نصر بن مالك الخزاعي، وحَفَدَهُ مروان الأصغر هو: أبو السمط مروان بن أبي الحتوف بن مروان الأكبر المذكور، وكان في عصره من المشاهير المتقدمين.

* * *

٤١١ ـ أبو العز مظفر[1] بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن شامي ابن أحمد بن ناهض، العيلاني، الحنبليُّ المذهب، الملقب: موفق الدين، الشاعرُ المشهورُ المصريُّ: كان أديباً شاعراً، صنَّف في العَروض مختصراً جيداً، وله ديوان شعر رائق، وكان ضريراً، ومن شعره:

قَالُوا عَشِقْتَ وَأَنْتَ أَعْمَى ... ظَبْياً كَحِيلَ الطَّرْفِ أَلْمَى

وَحُلاَهُ مَا عَايَنْتَهَا ... فَتَقُولُ: قَدْ شَغَلَتْكَ وَهْمَا

فَأَجَبْتُ إِنِّي مُوسَوِيُّ ... العِشْقِ إِنْصَاتاً وَفَهْمَا

أَهْوَى بِجَارِحَةِ السَّمَاعِ ... وَلاَ أَرَى ذَاتَ المُسَمَّى

ولد بمصر، لخمسٍ بقين من جمادى الآخرة، سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وتوفي بها سَحَرَ يوم السبت، التاسع من المحرم، سنة

---

(١) في الأصل: «المظفر»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٦٣).

ثلاث وعشرين وست مئة، ودفن من الغد بسفح المُقَطَّم.

* * *

٤١٢ ـ أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرا[1]**، النحويُّ الكوفيُّ**: من موالي محمد بن كعب القرظي، قرأ عليه الكسائي، وروى الحديث، وحُكيت عنه في القراءات حكايات كثيرة، وصنف في النحو كثيراً، ولم يظهر له شيء من التصانيف، وله شعر كشعر النحاة، وكان في عصره مشهوراً بالعمر الطويل، وكان له أولاد وأولادُ أولادٍ، فمات الكل وهو باق.

وقال عثمان بن أبي شيبة: رأيت معاذ بن مسلم الهرا[2] وقد شدَّ أسنانه بالذهب من الكِبَر، توفي **سنة تسعين ومئة**، وقيل: في السنة التي نُكبت فيها البرامكة، وهي **سنة سبع وثمانين**، وهو الأصح، وكان يكنى: أبا مسلم، فولد له ولد سماه: علياً، فصار يُكنى به.

* * *

٤١٣ ـ القاضي أبو الفرج المُعَافَى بن زكريا بن يحيى بن حميد[3] **ابن حماد، المعروف بابن طرارا الجريري، النهروانيُّ**: كان فقيهاً أديباً

---

(١) في الأصل: «الفرا».

(٢) في الأصل: «الفرا».

(٣) في الأصل: «حمد»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٢١).

شاعراً، عالمـاً بكل فن، ولي القضاء ببغـداد بباب الطاق نيابـة عن ابن صبر، روى عن جماعة من الأئمة، وروى عنه جماعة.

وكان أبو محمد عبد الباقي يقول: إذا حضر القاضي أبو الفرج: قد حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلث ماله لأعلمِ الناس، لوجبت أن تُدفع لأبي الفرج المعافى.

وكان ثقة، وله شعر حسن، فمن ذلك:

أَلاَ قُلْ لِمَـنْ كَـانَ لِـي حَاسِـداً ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَـأْتَ الأَدَبْ

أَسَــأْتَ عَلَــى اللهِ فِــي فِعْلِــهِ ... لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِـي مَـا وَهَـبْ

فَجَــازَاكَ عَنْــهُ بَــأَنْ زَادَنِــي ... وَسَـدَّ عَلَيْـكَ وُجُـوهَ الطَّلَـبْ

ولد يوم الخميس، لسبعٍ خلون من رجـب، سنة ثلاث، وقيل: خمس وثلاث مئـة، وتوفي يـوم الاثنين، الثـامن والعشـرين[1] من ذي الحجة، سنة تسعين وثلاث مئة بالنهروان ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٤١٤ ـ أبـو محفـوظ معـروف بن فـيـروز، الكـرخيُّ، الصـالحُ المشهور: هو من موالي علي بن موسى الرضا، وكان أبواه نصرانيين، وأسلماه إلى مؤدب أولاد النصارى وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه المؤدب ضرباً

(١) في «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٢٤) «عشر» مكان «والعشرين».

مبرحاً، فهرب منه، فكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء نوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا، ورجع إلى أبويه.

وكان مشهوراً بإجابة الدعاء، وأهلُ بغداد يستسقون بقبره، ويقولون: قبر معروف تِرياقٌ مجرَّب.

وكان سَرِيٌّ السَّقَطي تلميذه، فقال له يوماً: إذا كان لك إلى الله حاجة، فأقسمْ عليه بي.

وأخباره ومحاسنه أكثرُ من أن تعد.

وتوفي في سنة مئتين، وقيل: **إحدى ومئتين**[1]، وقبره مشهور ببغداد يزار، ورئي له منامات عظيمة.

والكَرْخِي ـ بفتح الكاف، وسكون الراء المهملة، وكسر الخاء المعجمة، وسكون الياء في آخرها ـ: هذه نسبة إلى الكرخ وهو اسم لتسع مواضع، أشهرُها كرخُ بغداد، والصحيح أن معروفاً الكرخي منه، وقيل: من كرخ جدان، وهي بُليدة في العراق.

* * *

٤١٥ ـ المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين[2]، ويعرف بباديس ابن زيري، الحميريُّ الصنهاجيُّ: صاحب إفريقية وما والاها من بلاد

---

(١) في الأصل: «وتوفي سنة ثلاثين. وقيل: إحدى وثلاثين ومئتين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٣٣).

(٢) في الأصل: «بلبكين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٣٣).

المغرب، وكان الحاكمُ صاحـبُ مصر لقَّبه: شرف الدين، وأرسل إليه تشريفاً.

وكان ملكاً جليلاً، عالي الهمة، محباً لأهل العلم، كثير العطاء، وكان مذهب أبي حنيفة ﷺ بإفريقيـة أظهـرَ المذاهـب، فحمل المعـز المذكـور جميـع أهل المغرب على التمسك بمذهـب الإمـام مالك بن أنس ﷺ، وحسم مادة الخلاف في المذاهب، واستمر الحال في ذلك إلى الآن.

وكان قطعَ خطبة المستنصر بالله العُبيدي، وخلع طاعته، وخطب للإمام القائم بأمر الله خليفةِ بغداد، واستمر على قطع الخُطبة، ولم يخطب بعد ذلك بإفريقية لأحد من المصريين إلى اليوم.

وأخباره كثيرة.

ولد بالمنصورية من أعمال إفريقية يوم الخميس، لخمسٍ بقين من جمادى الأولى، سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة، وبويع بالمحمدية من أعمال إفريقيـة بعـد أبيـه باديس يـوم السبـت، لثلاثٍ مضين[1] من ذي الحجة، سنة ست وأربع مئة، وتوفي رابع شعبان، سنة أربع وخمسين وأربع مئة بالقيروان بمرض ضعف الكبد.

وهذا المعز لا يعرف له اسم [سوى المعز].

* * *

(١) في الأصل: «بقين»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٣٤).

٤١٦ ـ أبو الوليد معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدةَ بن مطر بن شريك، الشيبانيُّ: كان جواداً شجاعاً، جَزِلَ العطاء، كثير المعروف، مقصوداً، وكان في أيام بني أمية مشتغلاً في الولايات، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس، جرى بين أبي جعفر المنصور، وبين يزيدَ بن هُبيرة الفزاري أمير العراقين من محاصرته بمدينة واسط، فلما قتل يزيد، خاف معنٌ من المنصور، واستتر عنه؛ لأنه كان منقطعاً إلى يزيد، وجرى له في مدة استتاره غرائب، ولم يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشمية، وهو يوم مشهور، ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور، وجرت بينهم مَقْتَلَة وبين أصحاب المنصور بالهاشمية، وهي التي بناها السفاح بالقرب من الكوفة، وكان معن متوارياً بالقرب منهم، فخرج متنكِّراً متلثماً، وتقدم إلى القوم، وقاتل بين يدي المنصور قتالاً شديداً أبان فيه عن نَجْدة وشهامة وفَرَّقهم، فلما أفرج عن المنصور قال: مَنْ أنت ويحك؟ فكشف عن لثامه، وقال: أنا طُليبك يا أمير المؤمنين معنُ بن زائدة، فأمَّنه المنصور، وأكرمه، وحيَّاه وزيَّنه، وصار من جملة خواصه.

ولمعنٍ أشعار كثيرة، وأكثرها في الشجاعة، ومن كلامه:

إِنَّ الأَكَابِرَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ... وَلاَ تَرَى لِلِئَام النَّاسِ حُسَّادَا

وله أخبار ومحاسن كثيرة، وكان قد ولي سجستان في أواخر عمره، وانتقل إليها، وله فيها آثار وماجَرَياتٌ، قصده الشعراء بها، فلما كان سنة إحدى وخمسين ومئة، كان في داره صنَّاع يعملون له شغلاً، واندسَّ

بينهم قوم من الخوارج، فقتلوه وهو يحتجم، ثم تبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة، فقتلهم بأسرِهم، وكان قَتْلهُ بمدينة بُسْت، رثاه الشعراء بأحسنِ المراثي ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

* * *

٤١٧ ـ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزديُّ بالولاء، الخراسانيُّ المروزيُّ: أصله من بَلْخ، وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد، وحدَّث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله تعالى، وكان من العلماء الأجلاء.

وحُكي عن الشافعي ﷺ: أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: مُقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام.

وروي: أن أبا جعفر المنصور كان جالساً، فسقط عليه الذباب، فطيَّره، فعاد إليه، وألحَّ عليه، وجعل يقع على وجهه، وأكثرَ من السقوط عليه حتى أضجره، فقال المنصور: انظروا من بالباب، فقيل له: مقاتل ابن سليمان، فقال: عليَّ به، فلما دخل عليه، قال له: هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب؟ قال: نعم؛ ليذل الله تعالى به الجبابرة، فسكت المنصور.

وقد اختلف العلماء في أمره، فمنهم من وافقه في الرواية، ومنهم من نسبه إلى الكذب.

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: الكذَّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ: ابن يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد المعروف بالمصلوب بالشام.

وقال البخاري: مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء.

وقال أحمد بن حنبل: مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه شيئاً.

والكلام في حقه كثير، والله متولي السرائر.

* * *

٤١٨ ـ أبو حسان المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر ابن عمرو[1] **بن المُهَنَّا عبد الرحمن بن زيد، العقيليُّ، الملقب: حسام الدين، صاحبُ الموصل**: كان أخوه أبو الذؤاد محمدُ بن المسيب أولَ من تغلَّب على الموصل وملكَها من أهل هذا البيت، وذلك في سنة ثمانين وثلاث مئة، فلما مات أبو الذؤاد في سنة سبع وثمانين، قام أخوه المقلد المذكور من بعده، وكان أعور، وفيه عقل وسياسة وحسن تدبير، واتسعت مملكته.

ولقبه الإمام القادر بالله، وكناه، وأنفذ إليه باللواء والخِلَع، وكان

---

(١) في الأصل: «عمر»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٦٠).

فيه فضل ومحبة لأهل الأدب ونظم الشعر.

وبينما هو في مجلس أُنْسِهِ وهو بالأنبار، إذ وثب عليه غلام تركي، فقتله في صفر، **سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة**، وحُكي أن هذا التركي سمعه وهو يقول لرجل ودَّعه وهو يريد الحج: إذا جئت ضريحَ رسول الله ﷺ، قفْ عنده، وقل له عني: لولا صاحبُك، لزرتُك.

* * *

٤١٩ ـ أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أحد الأئمة الاثني عشر، كان يدعى بالعبد الصالح.

روي: أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ، فسجد سجدة في أول الليل، وهو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي، وحسن العفو عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة، وجعل يرددها حتى أصبح.

وكان سخياً كريماً، يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه، فيبعث إليه الصرة فيها ألف دينار، وكان يصر الصرر ثلاث مئة دينار، وأكثر وأقل، ثم يقسمها بالمدينة.

وكان يسكن بالمدينة، فأورده المهدي بغداد، وحبسه، فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد! ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

فأحضر موسى بن جعفر، وعانقه، وأجلسه إلى جانبه، وذكر له

ما رأى، وقال له: أفتؤمني أن تخرج عليَّ أو على أَحَدٍ مِنْ أولادي؟ فقال: والله! لا فعلتُ ذلك، ولا هو من شأني، قال: صدقت، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى المدينة إلى أهله، وأقام بها إلى أيام هارون الرشيد، فقدم هارون المدينة منصرفاً من عمرة رمضان سنة تسع وسبعين ومئة، فحمل موسى معه إلى بغداد، وحبسه إلى أن توفي في محبسه.

ونقل عنه: أنه رأى النبي ﷺ في منامه، فقال له: يا موسى! حُبِسْتَ مظلوماً، فَقُل هذه الكلمات؛ فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقال: بأبي وأمي ما أقول: فقال: قل يا سامعَ كلِّ صوت، ويا سابقَ كلِّ فَوْت، ويا كاسيَ العظام لحماً، يا منشرَها بعدَ الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر، المخزون المكنون الذي لا ينقطع أبداً، ولا يُحصى عدداً، فَرِّجْ عني.

وله أخبار ونوادر كثيرة.

ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثمان وعشرين بالمدينة، وتوفي لخمسٍ بقين من رجب، **سنة ثلاث وثمانين ومئة**، وقيل: إنه توفي مسموماً، ودُفن في مقابر الشونيزية بخارج القبة، وقبره هناك مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم، فيه قناديل الذهب والفضة، وأنواعُ الآلات والفرش، وهو في الجانب الغربي.

* * *

٤٢٠ ـ أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد [بن

منعة][1] بن مالك بن محمد، الملقب: كمال الدين، الفقيهُ الشافعيُّ: تفقه بالموصل، ثم توجه إلى بغداد سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، فتميز وتمهر، ثم صعد إلى الموصل، ودرَّس واشتهرَ وفاق القدماء، وتبحر في جمع الفنون، وجمع من العلوم مالا يجمعه أحد، وتفرد بعلم الرياضة، وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم، ويحل لهم مسائل «الجامع الكبير» أحسن حل، مع ما هي عليه من الإشكال المشهور.

وكان أهل الذمَّة يقرؤون عليه التوراة والإنجيل، ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحها لهم مثله.

وكان في كل فن كأنه لا يعرف سواه؛ لقوته فيه، وكان في الفقه والعلوم الإسلامية شيخ وقته.

كَمَالُ كَمَالِ الدِّينِ لِلعِلْمِ وَالعُلاَ
فَهَيْهَاتَ سَاعٍ فِي مَسَاعِيكَ يَطْمَعُ

إِذَا اجْتَمَعَ النُّظَّارُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
فَغَايَةُ كُلٍّ أَنْ تَقُولَ[2] وَيَسْمَعُوا

فَلاَ تَحْسَبُوهُمْ مِنْ عِنَادٍ تَطَيْلَسُوا
وَلَكِنْ حَيَارَى بِاعْتِرَافٍ تَقَنَّعُوا

---

(١) ما بين معكوفتين من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣١١).

(٢) في الأصل: «يقولوا».

وللعماد فيه ـ أيضاً ـ:

تَجُـــرُّ المَوْصِـــلُ الأَذْيَـــالَ فَخْـــراً
عَلَـــى كُـــلِّ المَنَـــازِلِ وَالرُّسُـــومِ
فَـــذَا بَحْـــرٌ تَـــدَفَّقَ وَهْـــوَ عَـــذْبٌ
وَذَا بَحْـــرٌ وَلَكِـــنْ مِـــنْ عُلُـــومِ

ولد يوم الخميس، خامس صفر، سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وتوفي رابع عشر شعبان، سنة تسع وثلاثين وست مئة، ودفن بالموصل.

* * *

٤٢١ ـ أبو الفتح موسى بن نُصير، اللخميُّ بالولاء، صاحبُ فتح الأندلس: وكان من التابعين، وروى عن تميمٍ الداريِّ، وكان عاقلاً كريماً شجاعاً، تقياً لله تعالى، تولَّى إفريقية والمغرب عن معاوية، ثم عن الوليد ابن عبد الملك سنة سبع وسبعين، فأرسله إليها ومعه جماعة من الجند، ففتح بلاداً كثيرة، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نُصير، ووجد أكثر مدن إفريقية خالية؛ لاختلاف أيدي البربر عليها، وكانت البلاد في قحط شديد، فأمر الناس بالصوم والصلاة، وإصلاح ذات البين، وخرج بهم إلى الصحراء، ومعه سائر الحيوانات، وفرق بينها وبين أولادها، فوقع البكاء والصراخ والضجيج من كل جانب، فأقام على ذلك إلى منتصف النهار، ثم صلى، وخطب، ولم يذكر الوليدَ بنَ عبد الملك،

فقيل له: ألا تدعو لأمير المؤمنين؟ فقال: هـذا مقام لا ندعـو فيـه لغير الله ﷻ، فسُقُوا حتى رَوُوا، ثم خرج موسى غازياً[1]، وتتبع البربر، وقتل فيهم وسبى، فلما رأى البربر ما نزل بهم، استأمنوا، وبذلوا له الطاعة، فقبل منهم، وولَّى عليهم والياً، وترك عندهم من يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، ورجـع إلى إفريقيـة، ولم يبق بالبلاد من ينازعـه من البربر، ولا من الروم.

فلما استقرت له القواعـد، كتب إلى مولاه طارق بن زياد، وكان استعمله على طنجة وأعمالها يأمره بغزو الأندلس في جيش من البربر، وليس فيه من العرب إلا قدر يسيـر، فامتثل طارق أمره، وركـب البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس، وصعد إلى جبل يعرف اليوم بجبل طارق؛ لأنه نُسب إليه لما حصل عليه، وكان صعوده إليه يوم الاثنين، لخمسٍ خلون من رجب، **سنة اثنتين وتسعين** للهجرة.

وذُكر عن طارق: أنه كان نائماً في المركب وقت التعدية[2]، وأنه رأى النبي ﷺ، والخلفاء الأربعة ﵃ يمشون على الماء حتى مروا، فبشَّره النبي ﷺ بالفتح، وأمره بالرفق بالمسلمين، والوفاء بالعهـد، ولما حلَّ طارق بالجبل، كتب إلى موسى بن نُصير: إني فعلت ما أمرتني، سهَّل الله تعالى لي الدخول، فندم موسى على تأخره، وعلم أنه إن فتح، نُسب

(١) في الأصل: «غارقاً».

(٢) في الأصل: «المتعدية»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٢٠).

الفتح إليه دونه، فجمع العساكر، وتبعه فلم يدركه إلا بعد الفتح.

وكان أول من اختطها: أندلس بن يافث بن نوح ـ عليه السلام ـ، فسميت باسمه، ولم يزل طارق يفتح، وموسى معه، إلى أن بلغ إلى الخليفة، وهو على جانب البحر المحيط.

ونقم موسى على طارق إذ عبر بغير إذنه، وسجنه وهَمَّ بقتله، ثم ورد عليه كتاب الوليد بإطلاقه، وخرج معه إلى الشام، وكان خروج موسى من الأندلس وافداً على الوليد، فأخبره بما فتح الله على يده، وما معه من الأموال في سنة أربع وتسعين للهجرة، ولمَّا وصل موسى إلى الشام، مات الوليد بن عبد الملك، وقام من بعده سليمان أخوه، وحج في سنة تسع وتسعين للهجرة، وحج معه موسى بن نصير، ومات في الطريق بوادي القُرَى.

وكانت ولادته في خلافة عمر بن الخطاب ﵁ سنة تسع عشرة للهجرة.

* * *

٤٢٢ ـ أبو عمران موسى بن عبد الملك، الأصفهانيُّ، صاحبُ ديوان الخراج: كان من جملة الرؤساء، وفضلاء الكتاب وأعيانهم، تنقَّل في الخدمة في أيام جماعة الخلفاء، وكان صاحبَ ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل، وكان مترسِّلاً، وله ديوان رسائل، وله شعر رائق، فمن ذلك قوله:

لَمَّـــا وَرَدْنَـــا القَادِســـيَّةَ

حَيْـــثُ مُجْتَمَـــعُ الرِّفَـــاقِ

وَشَـــمَمْتُ مِـــنْ أَرْضِ الحِجَـــازِ

نَـــسِيمَ أَنْفَـــاسِ العِـــرَاقِ

أَيْقَنْـــتُ لِـــي وَلِمَـــنْ أُحِـــبُّ

بِجَمْـــعِ شَـــمْلٍ وَاتِّفَـــاقِ

وَضَـــحِكْتُ مِـــنْ فَـــرَحِ اللِّقَـــاءِ

كَمَـــا بَكَيْـــتُ مِـــنَ الفِـــرَاقِ

لَـــمْ يَبْـــقَ إِلاَّ جِـــسْمُ

هَـــذِهِ الـــسَّبْعِ الـــسَّوَاقِي

حَتَّـــى يَطُـــولَ حَـــدِيثُنَا

بِـــصِفَاتِ مَـــا كُنَّـــا نُلاَقِـــي

والقادسية: قرية من قرى الكوفة، وبها كانت الوقعة المشهورة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولموسى المذكور أخبار كثيرة، توفي في شوال، سنة ست وأربعين ومئتين ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٤٢٣ ـ أبو سعيد المؤيد بن محمد بن علي بن محمد، الألوسيُّ، الشاعرُ المشهور: وكان من أعيان شعراء عصره، كثير الغزل والهجاء،

ومدح جماعة من رؤساء العراق، وله ديوان شعر، وله قبول حسن، واقتنى أملاكاً وعقاراً، ثم عثر به الدهر عثرة، ضعُف منها انتقاشُه، وبقي في حبس الإمام المكتفي أكثر من عشر سنين إلى أن خرج في أول خلافة الإمام المستنجد، سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وقد غطى بصره من ظلمة المطمور.

وله شعر حسن، فمن ذلك: قوله في وصف القلم:

وَمُثَقَّفٍ يُغْنِي وَيُفْنِي دَائِماً
فِي طَورِي المِيعَادِ والإيْعَادِ[1]
وَهَبَتْ لَهُ الآجَامُ حِينَ نَشَا بِهَا
كَرَمَ السُّيُولِ وَهَيْبَةَ الآسَادِ

وكان خروجه من بغداد سنة ست وخمسين وخمس مئة.

وحكي: أن المستنجد رأى في منامه في حياة والده المقتفي كأن مَلَكاً من السماء كتب في كفه أربع خاءات، فلما استيقظ، طلب مُعَبِّرَ الرؤيا، فقال له: تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وكان الأمر كذلك.

* * *

(١) في الأصل: «طرفي الإيعاد والإبعاد»، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٤٧).

٤٢٤ ـ أبو سعيد المهلَّبُ بن أبي صُفرة ظالم بن سراق بن صبح ابن كندي بن عمرو بن عدي، الأزديُّ البصريُّ: وفد أبو صفرة إلى عمر بن الخطاب ﷺ وهو شيخ أبيضُ الرأس واللحية، فأمره أن يخضبَ، فخضب، وقد ولد له المهلَّب، وهو من أصاغر ولده قبل وفاة النبي ﷺ [بسنتين، وولد له قبل وفاة النبي ﷺ][1] بثلاثين سنة وأكثر.

وكان المهلب من أشجع الناس، وحمى البصرةَ من الخوارج، وله معهم وقائعُ مشهورة بالأهواز، وكان سيداً جليلاً، وكان يعارض الخوارج بالكلمة، ويورِّي بها عن غيرها، ويُرهب بها الخوارج، فكانوا يسمونه: الكذَّاب، ويقولون: راح يكذب.

وكان النبي ﷺ إذا أراد حرباً، وَرَّى بغيرها عنها.

وكان فقيهاً عالماً بما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله: «كُلُّ كَذَّابٍ يُكْتَبُ كَذَّاباً إِلاَّ ثَلاثَةً: الكَذِبُ في الصُّلْحِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ يَعِدُهَا بِالكَذِبِ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ بِالحَرْبِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ»[2].

وأخباره كثيرة، وتقلبت به الأحوال، وآخر ما ولي خراسان من جهة

---

(١) ما بين معكوفتين من «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٣٥١).

(٢) في «صحيح مسلم» (٢٦٠٥)، و«سنن أبي داود» (٤٩٢١) واللفظ له، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرِّخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث، كان رسول الله ﷺ يقول: «لا أعدُّه كاذباً؛ الرجل يصلح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها».

الحجاج بن يوسف الثقفي؛ فإنه كان أميرَ العراقين، وضمَّ إليه عبد الملك خراسانَ، فاستعملَ عليها المهلبَ سنة تسع وسبعين للهجرة، واستمر بها إلى أن مات، وعهد إلى ولده يزيد، فأوصاه بقضايا وأسباب، من جملة ما قال له: يا بُنَي! استعقلِ الحاجب، واستظرفِ الكاتب، فإن حاجبَ الرجل وجهُه، وكاتبه لسانُه.

ثم توفي في ذي الحجة، **سنة ثلاث وثمانين** للهجرة بقرية يقال لها: زاغول[1]، ورثاه الشعراء، وخلَّف أولاداً نجباء كرماءَ أجواداً.

ويقال: إنه وقع على الأرض من صلبه ثلاث مئة ولد، وله عقب بخراسان يقال لهم: المهالبة، وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ المُهَلَّبِ شَاتِياً
بَعِيداً عَنِ الأَوْطَانِ فِي زَمَنِ المَحْلِ
فَمَا زِلْتُ فِي مَعْرُوفِهِمْ وَافْتِقَادِهِمْ
وَبِرِّهِمُ حَتَّى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِي

* * *

٤٢٥ ـ أبو الحسن مَهْيار بن مَرْزَوَيه[2]، الكاتبُ الفارسيُّ الديلميُّ الشاعرُ المشهورُ: كان مجوسياً، وأسلم، ويقال: إن إسلامه على يد

(١) في الأصل: «راعون»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٥٣).
(٢) في الأصل: «مردويه»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٥٩).

الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي، وهو شيخه.

وكان شاعراً جزلَ القول، مقدَّماً على شعراء وقته، ومن شعره:

أَرِقْــتُ فَهَــلْ لِهَاجِعَــةٍ بِــسَلْعِ
عَلَــى الأَرِقِــينَ أَفْئِــدَةٌ تَــرِقُّ

نَــشَدْتُكَ بــالمَوَدَّةِ يَــا بْــنَ وُدِّي
وَأَنَّــكَ بِــي مِــنِ ابْــنِ أَبِــي أَحَــقُّ

أَسِــلْ بِــالجِزْعِ دَمْعَــكَ إِنَّ عَيْنِــي
إِذَا اسْــتَبْرَرْتُها دَمْعــاً تَعِــقُّ

فَــإِنْ شَــقَّ البُكَــاءَ عَلَــى المُعَــافَى
فَلَــمْ أَسْــأَلْكَ إِلاَ مَــا يَــشُقُّ

توفي ليلة الأحد، لخمسٍ خلون من جمادى الآخرة، **سنة ثمان وعشرين وأربع مئة**، وفي تلك السنة توفي الرئيس علي بن سينا الحكيمُ المشهور، وقيل: إنه توفي سنة ست وعشرين، والأول أصح.

ومهيارُ، ومَرْزَوَيه: اسمان فارسيان، قال ابن خلكان: لا أعرف لهما معنى.

* * *

٤٢٦ ـ أبو الفتح، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن سيد الناس، الأندلسيُّ الإشبيليُّ، ثم المصريُّ الشافعيُّ: ولد

بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وست مئة، وكان إماماً حافظاً، مصنفاً شاعراً، ومصنفاته في عدة فنون، وشرع في شرح «جامع الترمذي»، فما أكمله؛ لأن الأجل أعجله وما أمهله، ودخل عليه واحد من الإخوان يوم السبت، حادي عشر شعبان، سنة أربع وثلاثين وسبع مئة، فقام لدخوله، ثم سقط من قامته، فلقف ثلاث لقفات، ومات من ساعته ـ رحمه الله ـ.

* * *

٤٢٧ ـ محمد بن وفا الشاذليُّ، الشيخُ الصالح صاحبُ الأَتباع والمعتقدين: وهو جد بني وفاء المصريين، توفي في ربيع الآخر، سنة خمس وستين وسبع مئة.

* * *

٤٢٨ ـ بدر الدين أبو المعالي محمد الإمام البارع ابن الإمام العلامة تقي الدين أبي الفتح محمد ابن القاضي قطب الدين عبد اللطيف بن صدر الدين علي بن تمام، الأنصاريُّ السبكيُّ:

مولده بالقاهرة سنة خمس، أو أربع، أو ست وثلاثين وسبع مئة، وحصَّل عدة فنون، وكان له همة عالية في الطلب، حسنَ العبارة في التدريس، وولي قضاء العسكر، وناب لخاله تاج الدين، وكان شاباً حسنَ الشكل، والناس مجتمعون على محبته، توفي بالقدس الشريف في

شوال، سنة إحدى وسبعين وسبع مئة[1]، ودفن بباب الرحمة.

* * *

٤٢٩ ـ الأمير سيف الدين منجك، الناصريُّ اليوسفيُّ: أصله من مماليك الملك الناصر، وتقلبت بـه الأحوال، وولي حاجـبَ الحجَّاب بدمشق، ثم صار مقدَّمـاً بمصر، ووزيراً، ثم قُبض عليه في شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئـة، وسُجن بالإسكندرية، ثم أطلق، ثم ولي نيابة صفد، ثم طرابلس، ثم حلب، ثم دمشق، ثم أعيد إلى نيابة صفد، ثم طلب إلى مصر، فهرب، واختفى نحو سنة، ثم ظهر بدمشق، فحُمل إلى مصر، وأطلق إلى القدس، فعمَّر هناك مدرسته المعروفة بالقرب من باب الناظر على المسجد الأقصى، ثم ولي دمشق، ثم طُلب إلى مصر في شوال، سنة خمس وسبعين وسبع مئة، وله المآثر والصدقات، وله الأوقاف، وعَمَّر المدارس والخوانق والخانات، ويقال: إنه ظفر بشَعَر من شعر النبي ﷺ، كان لا يفارقه، توفي بالقاهرة في ذي الحجـة، سنة ست وسبعين وسبع مئة عن بضع وستين سنة، ودفن بتربته عند خانقاناته وجامعه بالقرب من قلعة الجبل.

* * *

٤٣٠ ـ قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن

---

(١) في الأصل: «توفي بالقدس الشريف في شوال سنة خمس وستين وسبعمائة»، والتصويب من «شذرات الذهب» (٦/ ٢٢٣).

يحيى بن علي بن تمام، السبكيُّ الأنصاريُّ المصريُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ: ولد في شهر ربيع الأول، سنة سبع وسبع مئة، وتفقه، وروى الحديث عن جماعة بمصر والشام، ودرَّس بمصر، ثم انتقل إلى دمشق، وناب في الحكم، ثم ولي قضاء الشام مدة، ثم سكن القاهرة، وولي قضاء العسكر، وناب في الحكم بمصر، ثم استقل بالقضاء نحو سبع سنين، ثم درَّس بقبَّة الشافعي ﷺ، ثم ولي في آخر عمره قضاء الشام، وباشره، وتوفي في ربيع الآخر، **سنة سبع وسبعين وسبع مئة**، وله سبعون سنة كاملة، ودفن بسفح قاسيون بتربة القاضي تاج الدين ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٤٣١ ـ أبو عبدالله محمد شمس الدين الشيخ العلامة بن يوسف ابن علي، الكرمانيُّ، ثم البغداديُّ الشافعيُّ: ولد في جمادى الآخرة، سنة سبع عشرة وسبع مئة، أخذ عن والده وجماعةٍ بكرمان، ثم طاف البلدان، واستوطن بغداد، وشرح «البخاري» شرحاً جيداً في أربع مجلدات، وكان مشاراً إليه بالعراق، لا يتردد إلى أبناء الدنيا، قانعاً باليسير، شريف النفس، توفي آيباً من الحج في المحرم، **سنة ست وثمانين وسبع مئة**، ونقل إلى بغداد، ودفن بمقبرة أبرز بوصية منه في موضع أعده لنفسه، ثم بنى عليه ابنه قبة.

وأما ولده تقي الدين يحيى، فمولده سنة اثنتين وستين وسبع مئة، وله مصنفات جيدة، وحصل له بعد الدولة المؤيدية خمول، ومات في

جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة.

* * *

٤٣٢ ـ قاضي القضاة شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن القاضي خير الدين خليل الحنفي، المتقدم ذكر والده في حرف الخاء.

مولده في سنة خمس وثمانين وسبع مئة، باشر نيابة الحكم بالقدس الشريف، ثم ولي القضاء استقلالاً وطالت مُدَّتُه، وباشر بشهامة، وكان له إقدام وسطوة، وعُزِلَ عن القضاء في سنة إحدى وخمسين وثمان مئة، واستمر إلى أن توفي مسموماً في أحد الجمادين سنة خمس وخمسين وثمان مئة، ودفن عند والده بماملا ـ رحمه الله تعالى ـ.

٤٣٣ ـ أكمل الدين محمد الشيخ العالم بن محمد بن محمود، الروميُّ المصريُّ الحنفيُّ، شيخ الخانقاه الشيخونية، ومدرِّس الحنفية بها: كان له وجاهة عند الأمير شيخون، وولاَّه مشيخة خانقاته، ولما أراد أن يجلس في المشيخة، قام الأمير بنفسه، وبسط له السجادة، وازدادت حرمته باتصاله بالملك وأكابر الأمراء، ونفذت كلمته، حتى إن الملك الظاهر كان يقف على باب الخانقاه حتى يخرج إليه ويحدثه.

وله مؤلفات مفيدة في فنون عديدة، ودفن بتربة الأمير شيخون إلى جانبه، وحضر جنازته السلطان فمَنْ دونَه في **سنة ست وثمانين وسبع مئة.**

* * *

٤٣٤ ـ أبو عبدالله محمد شمس الدين بن الخطيب: الإمام العلامة، فقيهُ القدس ومفتيه على مذهب الشافعي، وعليه انتفع فقهاء بيت المقدس، وأخذ عنه الشيخ سعد الدين الديريُّ الأصولَ، وأخذ عنه غيره من العلماء علوماً كثيرة.

توفي بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع في سنة **ست وثمانين وسبع مئة**.

* * *

٤٣٥ ـ القاضي بدر الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن شجرة، التدمريُّ الأصل، الشيخُ الفقيهُ الدمشقيُّ الشافعيُّ: ولي القضاء بمعاملات الشام، وآخر ما ولي قضاء القدس في أيام البلقيني، وشكاه أهل القدس، فعُزِل، وقدم دمشق، وكان يفهم جيداً، وله قدرة على استخراج المسائل والحوادث من أصولها، توفي في ربيع الأول، **سنة سبع وثمانين وسبع مئة**، وهو في عشر السبعين.

* * *

٤٣٦ ـ الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبيُّ: الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة.

ولد في ربيع الآخر، سنة ثلاث وسبعين وست مئة، وتوفي في

ثالث ذي القعدة، **سنة ثمان وأربعين وسبع مئة** ـ رحمه الله ـ.

* * *

٤٣٧ ـ أبو عبدالله محمد الشيخ الصالح الزاهد بن أحمد بن عثمان ابن عمر التركستانيُّ الأصل، المعروف بالقرمي: كان أحد أفراد زمانه عبادةً وزهداً وورعاً، متصدياً لزيارة الأولياء القادمين من البلاد على القدس، وتأتي الملوك إلى أبوابه، ولم يكن في زمانه أشهر بالصلاح منه.

وله خَلَوات ومجاهدات، وكان يقرأ القرآن كثيراً، يقرأ في اليوم والليلة ثلاث ختمات، ولما احتضر، حضر عنده الشيخ عبدالله البسطامي، فقال له: إن الناس قد أكثروا فيك القول، فما تقرأ من الختم في اليوم؟ فأخبرني قال: أنا لا أضبط ذلك، ولكن ثَمَّ من ضبط أني قرأت من الصبح إلى العصر خمس ختمات.

وكان نشأ بدمشق، ثم أقام ببيت المقدس، وبنى له زاوية، وكان يقيم في الخلوة أربعين يوماً لا يخرج إلا للجمعة، وسمع «الصحيح» من الحجار بالجامع الأموي تحت [قبة] النسر، سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، ومن غيره ـ أيضاً ـ، وكان يُسأل في الحديث، فيمتنع، ثم حدَّث في آخر عمره، سمع منه الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، وغيرُه.

ومولده في سابع عشر ذي الحجة، سنة عشرين وسبع مئة، وتوفي بالقدس في نهار الأحد، التاسع من صفر، **سنة ثمان وثمانين وسبع مئة**، وحمل جنازته العلماء والمشايخ والصلحاء، ولم يتأخر بمدينة القدس

أحد عن دفنه.

ودُفن بزاويته بخط مرزبان بالقرب من حمام علاء الدين البصير ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

* * *

٤٣٨ ـ أبو عبدالله محمد بن يوسف القونوي الحنفي: الشيخ العالم الزاهد، شيخ الحنفية في وقته.

ولد سنة خمس، أو ست عشرة وسبع مئة، وقدم دمشق بعد الأربعين، وكان أحد العلماء الأعلام والأعيان، أفتى، وكان إماماً في علوم كثيرة، وكان له اختيارات يخالف فيها مذهبه لأجل الحديث، وكان لا يقبل لأحد شيئاً، ولا يلي وظيفة، وكان له حرمة عند السلطان فمَنْ دونه، ويعظمونه وهو لا يلتفت إليهم، ولا يسمي أحداً إلا باسمه، ويكتب لهم الأوراق، ويخاطبهم بأسوأ خطاب، فيكتب إلى النائب تارة: إلى فلان المكاس، أو الظالم، ويكتب إلى السلطان، فيسميه باسمه.

وكان كثير من الناس لا يجتمعون به؛ لِلَجَاجة كلامه، وكان لا يخرج من بيته، توفي مطعوناً في جمادى الآخرة، في **سنة ثمان وثمانين** وسبع مئة، ودفن بمقبرة المزة بظاهر دمشق، وصنف كتاب «درر البحار» في مذهب أبي حنيفة.

* * *

٤٣٩ ـ برد الدين أبو اليمن محمد ابن الشيخ العلامة سراج الدين

أبي حفص عمر ابن الشيخ بهاء الدين رسلان بن نصر بن صالح، البلقينيُّ المصريُّ الشافعيُّ، سبطُ الشيخ بهاء الدين بن عقيل: درَّس وأفتى، وولي قضاء العسكر وغيره من المناصب، وكان كَلِفاً بالجود لا متكلفاً، مطبوعاً على مكارم الأخلاق لا متطبعاً، وله النظم البديع الرائق.

توفي بالاستسقاء في شعبان، **سنة إحدى وتسعين وسبع مئة**، ودفن بمدرسة والده التي أنشأها بحارة بهادر عن نيف وثلاثين سنة.

* * *

٤٤٠ ـ أبو عبدالله محمد بدر الدين بن مزهر: اشتغل بالعلم، وربي على طريقة حسنة، وولي كتابة السر بدمشق مرتين عشرَ سنين، ونحوَ ثمانية أشهر، وباشر بعفة ونزاهة، وكان شكلاً حسناً.

توفي بالقدس الشريف في ذي القعدة، **سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة**.

* * *

٤٤١ ـ أمين الدين محمد بن الحسن الأنفي، الشيخ المحدث أمين الدين، الدمشقيُّ المالكيُّ: قرأ الفقه والحديث، وكان حسن الشكل، حلو العبارة.

ولد في شوال سنة ثلاث عشرة وسبع مئة، وتوفي بدمشق في **سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة**.

* * *

٤٤٢ ـ أبو عبدالله محمد بدر الدين بن بهادر بن عبدالله، المصريُّ الشافعيُّ، المعروف بالزركشي : أخذ عن الشيخين: الأسنوي، والبلقيني، وانقطع إلى التصنيف، وأتم شرح «المنهاج» للأسنوي، ثم أكمل الشرح لنفسه، لكن الربع الأول منه مسودة، وله مصنفات أخرى.

ولد سنة خمس وأربعين وسبع مئة، وتوفي في رجب **سنة أربع وتسعين وسبع مئة**، ودفن بالقرافة الصغرى.

* * *

٤٤٣ ـ نجم الدين محمد بن عبد الرحيم إبراهيم بن جماعة، المقدسيُّ الخطيبُ الشافعيُّ : اشتغل بالعلم، وكان من أحسن الناس شكلاً، ولي تدريس الصلاحية، ومات بعد أيام فجأة بمصر في ذي القعدة، **سنة خمس وتسعين وسبع مئة**، ومولده في حدود سنة خمس وعشرين.

وكان شيخاً طويلاً، صالحاً ناسكاً، كثير العبادة، أخبر عنه بعض خدام الأقصى: أنه كان يخرج في الليل من دار الخطابة هو وزوجته، فيصليان بجامع النساء طول الليل، فإذا قرب الشغل، دخلا، وهو الذي قلع عين قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة وهما صغيران يلعبان من شق الباب.

* * *

٤٤٤ ـ أبو المعالي، محمد صدر الدين بن شرف الدين إبراهيم

ابن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم، المناويُّ المصريُّ: ولد في رمضان، سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، واشتغل بالعلم، وسمع الحديث، ودرَّس وأفتى، وناب في القضاء، ثم ولي القضاء في دولة مِنْطاش في شوال، سنة إحدى وتسعين وسبع مئة، ثم لما أراد منطاش الخروج إلى الشام، امتنع من الخروج، فعزل بعدَ مباشرة سبعة وأربعين يوماً، ثم ولي بعد ذلك قضاء مصر ثلاث مرات، وباشر نحو خمس سنين.

وكان رئيساً عنده كرم وقوة نفس، وكان كثير التودد إلى الناس، مُهاباً شهماً، معظَّماً عند الخاص والعام.

وكان يهاب الملكَ الظاهر، فلما مات، أمنَ على نفسه، وتحقق أنهم لا يقدرون على عزله؛ لِمَا تقرَّر له في القلوب من المهابة، فسافر مع العسكر لقتال اللَّنك، فلما هرب السلطان، قبض عليه، وجيء بهم إلى تمرلنك، فأسره، وأهانه جداً، وسافر به وهو في قيد، فغرق في نهر الفرات في شوال، **سنة ثلاث وثمان مئة**.

* * *

٤٤٥ ـ أبو عبدالله محمد ناصر الدين بن السفَّاح، الحلبيُّ: انتقل من حلب إلى القاهرة، وغاية أمره: أنه صار موقع الدوادار يشبك، وإليه الأمر، وعليه الاعتماد، توفي في ذي الحجة، **سنة ست وثمان مئة**.

* * *

٤٤٦ ـ أبو الفضل كمال الدين محمد، الشيخُ الإمام العالم ابن

موسى الدَّمِيريُّ المصريُّ: أخـذ العلم عن الأسنوي وغيره، واجتهد، وحصَّل، ودرَّس، وصنَّف مصنفات حسنة، منها شرح «المنهاج» للنووي، وكتاب «حياة الحيوان»، وهو كتاب مفيد.

وكان كثير العبادة، دائماً للصوم، عديم النظر في وقته على طريقة السلف.

ولد سنة اثنتين وأربعين وسبع مئـة، وتوفي في جمـادى الأولى، **سنة ثمان وثمان مئة**.

* * *

٤٤٧ ـ أبو عبدالله محمد الشيخ الصالح القدوة، العيزريُّ، الغَزيُّ:

ومن نظمه:

عَـــدُوُّكَ إِمَّـــا مُعْلِـــنٌ أَوْ مُكَـــاتِمٌ
وَكُـــلٌّ بِـــأَنْ تَخْـــشَاهُ أَوْ تَتَّقِـــي قَمِـــنْ

وَزِدْ حَـــذَراً مِمَّـــنْ تَجِـــدْهُ مُكَاتِمَـــاً
فَلَيْسَ الَّذِي يَرْمِيـكَ جَهْـراً كَمَـنْ كَمَـنْ

توفي سنة ثمان وثمان مئة.

* * *

٤٤٨ ـ أبـو عبدالله محمـد بن تقي الدين إسماعيل القرقشنديُّ:

الشيخ الإمام، شيخ القدس، وعالم تلك الناحية، أخذ عن والده، وصار

مقصد الحاضر والبادي للفتوى والأشغال، وأخذ عنه خلق كثير، ومن نظمه:

لَـــمْ أرَ مِثْلِـــي مُـــذْنِباً عَاصِـــياً
عَلَـــى مَعَاصِـــي رَبِّـــهِ أَجْـــرَا

من الجرأة.

نَفْـــسِي حَـــرُونٌ فَـــإِذَا شَـــهْوَةٌ
لاَحَـــتْ فَمَـــا رِيـــحُ الـــصَّبَا أَجْـــرَا

من الجري.

إِنِّـــي عَلَـــى هَـــذَا وَأَمْثَالِـــهِ
أَنَـــالُ مِـــنْ رَبِّ العُـــلاَ أَجْـــرَا

من الأجر.

توفي في رجب، **سنة تسع وثمان مئة**، ودفن بمقبرة ماملا ظاهر القدس، عند والده وأخيه في الحوش المقابل لزاوية القلندري وتربة بهادر، وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة.

* * *

٤٤٩ ـ القاضي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد المغراويُّ المالكيُّ: كان رجلاً مباركاً يحفظ القرآن، ولي القضاء بالرملة مدة طويلة،

ثم ولي قضاء القدس في سنة أربع وخمسين وثمان مئة، وعزل مرات، وتوفي وهو باق على القضاء في نصف شعبان، سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة، ودفن بماملا ـ رحمه الله ـ.

* * *

٤٥٠ ـ أبو عبدالله محمد أوحد الأدباء جلال الدين ابن خطيب داريا شهاب الدين أحمد بن سليمان، الأنصاريُّ الدمشقيُّ، البيسانيُّ الأصل والوفاة: ولد سنة خمس وأربعين وسبع مئة، واشتهر بالأدب ونظم الشعر الرائق، وله اشتغال في العلم، وفهمٌ جيد، وكان حسن الشكل، ربعة، وله نوادر وأشياء حسنة، فمن نظمه:

شَهِدَتْ جُفُونُ مُعَذِّبِي بِمَلاَلِهِ لِهِ
مِنِّي وَأَنَّ وِدَادَهُ تَكْلِيفُ
لَكِنَّنِي لَمْ أَنْأَ عَنْهُ لأَنَّهُ
خَبَرٌ رَوَاهُ الجَفْنُ وَهْوَ ضَعِيفُ

وله ـ أيضاً ـ:

لَكَ اللهُ إِنِّي فِي بِلاَدِكَ مُفْرَدٌ
غَرِيبٌ كَمَا فِي الحُسْنِ أَنْتَ غَرِيبُ
كِلاَنَا غَرِيبٌ يَا حَبِيبِي فَرِقَّ لِي
فَكُلُّ غَرِيبٍ لِلغَرِيبِ نَسِيبُ

وأقام في آخر عمره مدة بالقاهرة، ثم انتقل إلى بِيْسان، وأقام بها، وكان له بها مواضع موقوفة عليه وعلى أقاربه، وله مدح في خلق من الأعيان، توفي في بيسان، في ربيع الأول، أو صفر، **سنة عشر وثمان مئة**.

* * *

٤٥١ ـ أبو عبدالله محمد شمس الدِّين الصَّفَدي: مفتي الشافعية ومدرِّسهم، ومعيدُ المدرسة الصلاحية بالقدس، كان فَرَضياً، ويعرف النحوَ والحساب، وإنما أَخَّره تعاطيه الشهادة، توفي **سنة اثنتي عشرة وثمان مئة**.

* * *

٤٥٢ ـ الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن الشيخ الصالح القدوة خليفة بن مسعود، المالكيُّ: ـ المتقدمُ ذكرُ والده في حرف الخاء ـ.

ولد في ليلة ثاني عشر رمضان، سنة إحدى وثمان مئة، وحفظ القرآن وأتقنه لأبي عمرو، وحفظ «الرسالة» في فقه الإمام مالك، ولقي جماعة من مشايخ الصوفية، وأخذ الحديث عن جماعة، واستقر في إمامة المالكية بالمسجد الأقصى الشريف ومشيخة المغاربة بعد وفاة والده، وكان شيخاً أسمر، ذا همة ومروءة، وعُمِّر، ثم خرجت عنه مشيخة المغاربة في آخر عمره، وترك النساء، وتعزَّب من سنة اثنتين

وسبعين وثمان مئة، وتوفي ليلة الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة، **سنة تسع وثمانين وثمان مئة**، ودفن بماملا ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٤٥٣ ـ أبو الوليد محب الدين بن محمد بن محمد بن محمد، الحلبيُّ المعروفُ بابن الشحنة، الحنفيُّ: طلب العلم وفضل، ثم ولي قضاء الحنفية بحلب، وصار ينازع ابنَ العديم في ذلك، وجرت له أمور من الدخول في أمور الدولة، وأراد السلطان الظاهر قتلَه، فنجَّاه الله، ثم في دولة الناصر صُودِرَ وأُخِذَت أمواله إلى أن افتقر، وذلك بسبب حُكْمٍ حَكَم به، وولي قضاءَ الشام في أيام الأمير شيخ، ثم قبض عليه السلطان، وعفا عنه، وأحسن إليه، واستصحبه معه إلى مصر، وحضر معه إلى دمشق، فلما قُتل السلطان، أعطي قضاء حلب، وتوجَّه صحبة الأمير نوروز، فمات هناك في ربيع الأول، **سنة خمس عشرة وثمان مئة** في عُشر السبعين ظناً، وكان فاضلاً في العلوم المتعلقة بالكشاف والأدب، وغير ذلك، وينظم حسناً.

* * *

٤٥٤ ـ أبو عبدالله بن محمد بن محمد، الجزريُّ الدمشقيُّ الأصل الشافعيُّ: ولد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، واعتنى بالقراءات فأتقنها، ومَهر فيها، وقدم القاهرة، وسمع من المسند ابن بهاء، وبنى بدمشق داراً للقرآن، وعُيِّن لقضاء الشافعية، فلم يتم ذلك، ثم تحول إلى بلاد الروم

في سنة سبع وتسعين وسبع مئـة، فاستمر بها إلى أن طرق تمرلنك بلاد الروم في سنة أربع وثمان مئة، ثم تحول إلى بلاد فارس، ثم ولي قضاء شيراز، ثم قدم القاهرة في سنة سبع وعشرين، وحج منها، ورجع إلى القاهرة في أول سنة تسع وعشرين، ثم سافر رسولاً من سلطان مصر إلى سلطان شيراز في ربيع الآخر من السنة المذكورة، وجاء الخبر بموته في **سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة**.

* * *

٤٥٥ ـ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد، الدمشقيُّ الأصل، المصريُّ، الشهير بابن البشتكي: الأديب الفاضل، الناثر الناظم، ولد سنة ثمان وأربعين وسبع مئـة بجوار جامع بشتك، فنسب إليه، وحفظ كتاباً في مذهب أبي حنيفة، ثم تحول إلى مذهب الشافعي، وشارك في فنون كثيرة، وإليه المنتهى في التجلد على النَّسْخ، وكانت وفاته في ثالث عشر جمادى الآخرة، **سنة ثلاثين**[1] **وثمان مئة** في حَمَّام الصاغة فجأة.

*** عجيبة:**

وفي هذه السنة سقط بَرَدٌ كأمثال الحيـة والفأرة والضفـدع، وقَتل خلقاً كثيراً من الوحش وغيره، وكان ذلك ليلاً ببلاد ابن بشارة.

---

(١) في الأصل: «خمس وعشرين»، والتصويب من «الضوء اللامع» (٦/ ٢٧٨)، و«شذرات الذهب» (٧/ ١٩٥).

* **وفيها**: عزل القاضي ولي الدين العراقي من قضاء الديار المصرية، وتولى القاضي علم الدين صالح البلقيني، ولم يستحسن الناس ذلك من السلطان، وتألم الناس، وتألم القاضي ولي الدين كثيراً، وكان ذلك في ذي الحجة من السنة.

وفي سابع عشر منه جاء إلى مكة المشرفة سيلٌ عظيم، ودخل المسجد، وارتفع إلى أن وصل عتبة باب الكعبة السفلى، ومات تحت الهدم الذي هدمه السيل بمكة جماعةٌ، منهم: زوجة القاضي الشافعي بنت الشيخ عفيف الدين اليافعي، وابنٌ لها ـ رحمهما الله تعالى ـ.

* * *

٤٥٦ ـ الشيخ ماهر بن عبدالله بن نجم، الأنصاريُّ الشافعيُّ: العالم الصالح، شيخ القدس في وقته، لقي جماعة من العلماء، وأخذ عنهم، وأصله من بلاد مصر، ثم قدم بيت المقدس، واستوطنها، واشتغل عليه جماعة من الأعيان، وانتفعوا به، منهم: شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي الشريف، وغيره، وكان ورعاً زاهداً متواضعاً، توفي بالقدس الشريف في سلخ ربيع الأول، **سنة سبع[1] وستين وثمان مئة**، ودفن بباب الرحمة، وقد أكمل تسعين ـ رحمه الله ـ.

* * *

---

(١) في «الأنس الجليل» (٢/ ١٨٦) «تسع».

٤٥٧ ـ قاضي القضاة شمس الدين العمري العُلَيْمِيُّ الحنبليُّ[1]:

هو أبو عبدالله محمد ابن الشيخ زين الدين أبي هريرة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن جمال الدين يوسف بن شرف الدين عيسى ابن الشيخ تقي الدين عبد الواحد ابن الشيخ عبد الرحيم بن شمس الدين محمد ابن الشيخ عبد المجير ابن الشيخ تقي الدين عبد السلام ابن إبراهيم بن أبي الفياض ابن الشيخ الرباني القدوة العارف أبي الحسن علي المدفون بشاطئ البحر المالح بساحل أرسوف ـ قدس الله روحه، ونوَّر ضريحه ـ ابن الشيخ عليل، وهو المشهور بين الناس: علي بن عُلَيْم، وأما نسبه الصحيح الثابت: عليل ـ باللام ـ، وهذا الشيخ علي بن عليل صاحب المناقب المشهورة، والكرامات الظاهرة، ووفاته في يوم السبت، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، سنة أربع وسبعين وأربع مئة، وهو ابن محمد بن يوسف بن يعقوب بن عبد الرحمن بن السيد الجليل الزاهد، العابد الصّوام القوّام، الصحابي عبدالله ﷺ ابن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب العدويّ القرشي ـ ﷺ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ـ.

ولد القاضي شمس الدين المشار إليه في سنة سبع[2] وثمان مئة

---

(١) قلت: هو والد المؤلف صاحب هذا الكتاب، ولم يشر إلى ذلك ـ رحمه الله ـ، كما لم يشر إلى أنه والده في كتابه الآخر «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٢) حين ترجم له.

(٢) في «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٢): «ست».

بالرملة، ونشأ بها، واشتغل بالعلم، وكلُّ أهـل بيتـه شافعيـة، لم يكن فيهم مَنْ هو على مذهب الإمام أحمد ﷺ سواه.

وكان يتحمل الشهادة، ثم اجتهد في تحصيل العلم، وسافـر إلى الشام ومصر وبيت المقدس، وأخذ عن علماء المذهب، وبرع في الفقه، وأخذ الحديث عن جماعة من الأعيان، وقرأ «البخاري»، و«الشفا» مراراً، وكتب بخطه الكثيـر من نسخ «البخاري» كتابـة جيـدة مضبوطـة قائمـة الإعراب.

وكان إماماً في النحـو والفرائض، وقراءة القـرآن بروايـة عاصم، وأتقنها، وأُجيز بها من مشايخ القراءة، وباشر القضاء بالرملة على قاعدة مذهبه نيابة عن القضاة الشافعية، ثم وليها استقلالاً في سنة ثمان وثلاثين وثمان مئة، لم يُعلَم أن حنبلياً قبلَه وَلِيها في هذه الأزمنه.

ثم ولي قضـاء القـدس الشريف في أواخـر دولـة الملك الأشرف برسبان، في شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وثمان مئة، ثم بعد وفاة الأشرف عُزل عن قضاء القدس الشريف، وأعيد إلى قضاء الرملة.

ثم في دولة الملك الظاهر جقمق أُعيد إلى قضاء القدس الشريف في سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة، وأقام عشرين سنة متوالية قاضيها، وأضيف إليه قضاء الرملة، ثم أضيف إليه قضاء بلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ.

وهو أول من وليه من الحنابلة، وباشر نيابة الحكم بدمشق، وولي قضاء صفد في دولة الملك الأشرف أينال في سنة ثلاث وستين وثمان

مئـة، فامتنـع من مباشرتها، واختار الإقامـة ببيت المقدس وانتهت إليه رئاسة الحنابلة بالأرض المقدسة، وصار المعوَّلَ عليه في الفتوى.

وكان حسن الشكل، متواضعـاً، سخياً، مُكرِمـاً لمن يرد عليـه، لا يحـب الفخـر ولا الخيلاء، ويدخل إلى المسجد الأقصى في أوقات الصلاة بمفرده، مع ما هو عليه من الهيبة والوقار.

وكان خطيباً بليغاً، وباشر القضاء بالقدس الشريف وغيرها، وأفتى نحو أربعين سنة، ومات وهو باق على أُبَّهته ووقاره، لم تحصل له محنة ولا إهانة.

وأما معرفتـه بطريق الأحكام، ومصطلح القضاء والشهادة، فإليـه النهاية، وخطُّه في غاية الوضوح.

ولما كان في آخر عمره، عُزل عن القضاء في شهر جمادى الأولى، سنة ثلاث وسبعين، ثم ورد عليه توقيع السلطان الملك الأشرف قايتباي بقضاء الرملة، فتوجـه إليها من القـدس في نهـار الأحـد، خامس شهر رمضان من السنة المذكورة، وأقام بها تسعة وخمسين يوماً.

وتوفي بالطاعون في الريا بعد أذان الظهر من يوم الثلاثاء، رابع شهر ذي القعدة، **سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة** بالدار الكائنة بداخل مسجد شيخه الشيخ شهاب الدين بن أرسلان بحارة الباشقردي، وصُلِّي عليـه بعد العصر من يومـه بجامـع السوق، ودفن على باب الجامـع الأبيض ظاهر مدينة الرملة من جهة الغرب، بجوار حوش ملاصق لحائط الجامع، به قبور جماعة من الصالحين.

ويقال: إن بالحوش قبرَ الإمام الحافظ النسائي صاحب «السنن»، وكان يوماً مشهوداً بجنازته.

ورؤيت له المنامات الصالحة، وصلِّي عليه صلاة الغائب بالمسجد الأقصى الشريف ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٤٥٨ ـ قاضي القضاة بدر الدين أبو عبدالله محمد ابن قاضي القضاة شرف الدين أبي حاتم عبد القادر ابن شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبدالله محمد، الجعفريُّ النابلسيُّ الحنبليُّ: كان جده من أعيان مشايخ الحنابلة، ووالده كان من أهل العلم، وولي قضاء الشام نحو سنة ونصف، وتوفي مسموماً.

ومولد القاضي بدر الدين في سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة، اشتغل بالعلم، وله سند في الحديث، باشر القضاء بنابلس نيابة، ثم استقل به في سنة ست وأربعين وثمان مئة، وباشر القضاء بالقدس الشريف مرتين عوضاً عن القاضي شمس الدين العليمي المذكور قبله، وكل مرة يقيم مدة يسيرة، ثم يعاد إلى قضاء نابلس، ويعاد القاضي شمس الدين إلى قضاء القدس، وولي ـ أيضاً ـ قضاء الرملة، وباشر نيابة الحكم بالديار المصرية.

وكان حسن السيرة، عفيفاً في مباشرة القضاء، وكان مهاباً عند الناس، وعُمِّر، ورُزق الأولاد، وأَلحق الأحفادَ بالأجداد، ومُتِّع بدنياه،

ثم عُزل عن القضاء في آخر عمره، واستمر إلى أن توفي بنابلس، في شهر رمضان، سنة إحدى وثمانين وثمان مئة ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

* * *

٤٥٩ ـ قاضي قضاة الحنابلة شيخ الإسلام شمس الدين أبو بكر، وأبو عبدالله محمد ابن الشيخ عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد بن علي ابن سرور، المقدسي، الحنبليُّ: ولد في رابع عشر صفر، سنة ثلاث وست مئة بدمشق، ثم انتقل إلى مصر بعد الأربعين وست مئة، وسكنها، وولي مشيخة خانقاه سعيد السعداء، وتدريسَ المدرسة الصالحية، ثم ولي قضاء القضاة بالديار المصرية مدة، ثم عزل منه، وذلك في دولة الملك الظاهر بيبرس، وهو أول من ولي التدريس بالصالحية للحنابلة، وأول من ولي قضاء القضاة منهم بالديار المصرية.

توفي يوم السبت، ثاني عشر المحرم، سنة ست وسبعين وست مئة بالقاهرة، ودفن من الغد بالقرافة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

[فصل في قضاة الحنابلة]

٤٦٠ ـ وأولُ من ولي قضاء الحنابلة بالشام: قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبو محمد، وأبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عُمَر محمد بن أحمد بن قُدَامَةَ، المقدسيُّ الصالحيُّ: الفقيه الإمام،

الزاهد الخطيب، مولده في المحرم، سنة سبع وتسعين وخمس مئة بسفح قاسيون، وكان الشيخ محيي الدين النووي ﷺ يقول: هو أجلُّ شيوخي، ولي القضاء بالشام في دولة الملك الظاهر بيبرس في سنة أربع وستين وست مئة على كُرْه منه، وباشر مدة تزيد على اثنتي عشرة سنة، ثم عزل نفسه.

وتوفي ليلة الثلاثاء، سلخ ربيع الآخر، **سنة اثنتين وثمانين وست مئة**، ودفن من الغد عند والده بسفح قاسيون، وكانت جنازته مشهورة.

٤٦١ ـ وأولُ من ولي قضاء الحنابلة بحلب: قاضي القضاة شرف الدين أبو البركات موسى ابن الشيخ جمال الدين أبي الجود فياض بن عبد العزيز بن فياض، الفنداقيُّ النابلسيُّ: الشيخ الإمام الحبر، ولي القضاء بها في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة في دولة الملك المظفر حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون، أو في دولة أخيه الناصر حسن؛ فإن كلاً منهما كان سلطاناً في هذه السنة، ثم أعرض عن وظيفة القضاء، وأقبل على العبادة إلى أن توفي في ذي القعدة، **سنة ثمان وسبعين وسبع مئة** بحلب.

٤٦٢ ـ وأولُ من ولي قضاء الحنابلة بمكة المشرفة، والمدينة الشريفة ـ على الحالِّ بها أفضلُ الصلاة والسلام ـ: **قاضي القضاة السيد الشريف، الحسيب النسيب، سراجُ الدين أبو المكارم عبد اللطيف بن محمد بن أبي الفتح، الحسنيُّ، الفاسيُّ الأصل، المكيُّ**: مولده في شعبان، سنة تسع وثمانين وسبع مئة بمكة المشرفة، وولي إمامة الحنابلة بالمسجد الحرام، ثم ولي القضاء بمكة المشرفة في سنة تسع وثمانين

في دولـة الملك الظاهـر جقمق، وتوفي بمكة المشرفـة في ضحى يوم الاثنين، سابع شهـر شـوال، **سنة ثلاث وخمسين وثمـان مئـة**، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

٤٦٣ ـ وأولُ من ولي قضـاء الحنابلة بالقدس الشـريف: قاضي القضاة عز الدين أبو البـركات عبـد العزيز بن علي بن العز، البغداديُّ الأصل، ثم المقـدسيُّ البكريُّ، الشيخُ الإمامُ العـالمُ المفسِّر: ولي القضاء بالقدس الشريف بعد فتنة تمرلنك في سنة أربـع وثمان مئة، في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق، ثم ولي قضاء دمشق، ثم قضاء الديار المصريـة، ثم أعيـد إلى قضـاء دمشق، وقيـل: إنـه كان يسمى بقاضي الأقاليم؛ لأنه يقال: ولي القضاء ببغـداد والعـراق، ثم ولي قضاء بيت المقدس ومصر والشام، فسمي بقاضي الأقاليم.

توفي بدمشق، ليلة الأحد، مستهل ذي القعدة، **سنة ست وأربعين وثمان مئة**، ودفن بمقابر باب كيسان.

٤٦٤ ـ وأولُ من ولي قضاء الحنابلة بمدينة سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ، والرملـة: قاضي القضاة شمس الدين أبـو عبدالله محمـد، العمريُّ العُلَيميُّ الحنبليُّ ـ المتقدم ذكره في ترجمته قريباً ـ، وقد ذكرنا في ترجمته: أن ولايته لقضاء الرملة كان في **سنة ثمان وثلاثين وثمـان مئـة**، وذلك في دولـة الملك الأشرف برسباي، ثم لمَّا ولي قضاء بيت المقـدس، أضيف إليـه في أواخر عمره قضاء بلد سيدنا الخليل ـ عليه السلام ـ في المحرم، **سنة إحدى وسبعين وثمان مئة**، في دولة الملك

الظاهر خشقدم، وتقدم في ترجمته تاريخ وفاته ـ رحمه الله ـ.

٤٦٥ ـ **وأولُ من ولي قضـاء الحنابلة بحمص: القـاضي شمس الدين محمـد بن خالد بن موسى المعروف بابن زَهرة** ـ بفتح الزاي ـ، توفي في ثالث عشر رجب، **سنة ثلاثين وثمان مئة**.

٤٦٦ ـ **وأول من ولي قضاء الحنابلة ببعلبك: القاضي أمين الدين ابن النجيب**: وكانت ولايته في ربيع الآخر، سنة ثمـان وثمانين وسبـع مئـة، ولاه قاضي دمشق، وهـو قاضي القضـاة شمس الدين بن التقـي المرداوي بمرسوم ورد بالإذن في ذلك، وذلك في دولة الملك الظاهر برقوق، ثم عزل في سنة تسع وثمانين وسبع مئة، ولم أطلع على تاريخ وفاته.

٤٦٧ ـ **وأول ما تجدَّد منصب الحنابلة بصفد** في سنة ست وثمانين وسبع مئة في دولة الملك الظاهر برقوق، وليه رجل من أهلها لا أعرف اسمه، وكان قليل العلم، ولم يتيسر الاطلاع على غير ذلك من أهل هذه المملكة.

٤٦٨ ـ **وأما إقليم العراق**، فإن منصب الحنابلة فيه قديم من عهد الإمام أحمد ﷺ في زمن الخلفاء الراشدين؛ فإن ولد الإمام أحمد هو **أبو الفضل صالح**، ولي قضاء أصبهان، وكان ولي قبله قضاء طرسوس، وتوفي بأصبهان في شهر رمضان، **سنة ست وستين ومئتين**.

٤٦٩ ـ **ومن أصحاب الإمام أحمـد** الذين عاصروه، ورووا عنه:

أحمد البواري، كان قاضياً بتكريت.

٤٧٠ ـ ومن قضاة بغداد: القاضي الموقر أبـو عبدالله بن ماكولا الحنبليُّ: توفي في جمادى الآخرة، **سنة سبع وثلاثين وأربع مئة.**

٤٧١ ـ ومنهم القاضي الكبير: أبـو يَعْلَى محمـد بن الحسين بن الفرَّاء إمام الحنابلة، وعنه انتشر مذهب الإمام أحمد، توفي ليلة الاثنين بعد العشاء، تاسع عشر رمضان، **سنة ثمان وخمسين وأربع مئة.**

٤٧٢ ـ ومنهم: القاضي نصير الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله ابن الحسين السامريُّ: الفقيهُ الفرضي، صاحب كتاب «المستوعب» في فقه مذهب الإمام أحمد ﷺ، ولي القضاء ببلدة سامراء، ثم ولي القضاء والحسبة ببغداد، ولقب في أيام ولايته: مُعَظِّم الدين، توفي ببغداد ليلة الثلاثاء، سابع عشري رجب، **سنة ست عشرة وست مئة.**

٤٧٣ ـ ومنهم: قاضي القضاة شيخ الوقت عماد الدين أبو صالح نصرُ بن عبد الرزاق بن السيد عبـد القادر، الحنبليُّ الكيلانيُّ: ولد في سحر رابع عشر ربيع الآخر، سنة أربع وستين وخمس مئـة، ولما ولي أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبو النصر محمد ابن الإمام الناصر لدين الله العباسي الخلافة بعد أبيه، قلده قضاء القضاة بجميع مملكته، والنظر في جميع الوقوف العامة، ووقوف المدارس الشافعية والحنفية، وغيرهما.

وهو أول من دُعي بقاضي القضـاة من أصحابنا، وأول من استقل منهم بولاية قضاء القضاة، ثم عزل في خلافة المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله، ولما عزله المستنصر، أنشد عند عزله:

حَمِـــدْتُ اللهَ عَـــزَّ وَجَـــلَّ لَمَّـــا
قَــضَى لِــي بِــالخَلاَصِ مِــنَ القَــضَاءِ
وَلِلْمُسْتَنْـــصِرِ المَنْـــصُورِ أَشْـــكُرْ
وَأَدْعُـــو فَـــوْقَ مُعْتَـــادِ الـــدُّعَاءِ

وقام بعد عزله يدرِّس ويُفتي، ويحضر المجالس والمحافل، ثم فوض إليه المستنصرُ رباطاً بناه بدير الروم، وجعله شيخاً به، وكان يعظمه ويبجله، ويبعث إليه أموالاً جزيلة ليفرقها.

وتوفي في سحر يوم الأحد، سادس عشر شوال، **سنة ثلاث وثلاثين وست مئة**، وكلهم دفن بمقبرة الإمام أحمد ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ.

وقضاة الحنابلة بإقليم العراق كثيرون، ولو استوعبنا ذكر أسمائهم، لخرجنا عن حد الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية، والله الموفق.

* * *

٤٧٤ ـ شيخ الإسلام نجم الدين أبو البقاء محمد ابن قاضي القضاة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام جمال الدين أبي محمد عبدالله بن جماعة، الكنانيُّ الشافعيُّ: سبطُ قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين الديري الحنفي.

ولد بالقدس الشريف في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة، ونشأ بها، وهو من بيت علم ورئاسة، واشتغل من بداية أمره بالعلم الشريف، ودأب، وحصَّل، وصار من علماء بيت المقدس، وتأهل للإفتاء والتدريس

في حياة جده شيخ الإسلام جمال الدين.

وكان جده ولي قضاء الشافعية بالقدس الشريف، ثم صرف عن القضاء وولي مشيخة المدرسة الصلاحية، وتوفي في سنة **خمس وستين وثمان مئة**.

وكان ولده قاضي القضاة، برهان الدين والد شيخ الإسلام نجم الدين ـ حين ذلك ـ متولياً لقضاء الشافعية، فتُكُلم له في مشيخة الصلاحية عند الملك الظاهر خشقدم، فأنعم له بها، وكتب له التوقيع بولايتها، ثم عَنَّ لقاضي القضاة برهان الدين أن يكون لولده؛ لاشتغاله هو بمنصب القضاء، والنظر في أحوال الرعية، فروجع السلطان في ذلك، فأجاب، وأنعم بولايتها للشيخ نجم الدين، فباشرها أحسن مباشرة، وحضر معه درسَها علماء ذلك العصر، منهم: الشيخ ماهر، وغيره من العلماء المعتبرين، وأثنوا عليه ثناء حسناً، ولم تزل بيده إلى أن توفي والده في التاريخ المتقدم في ترجمته.

واستقر شيخ الإسلام في قضاء الشافعية عوضاً عن والده مضافاً لمشيخة الصلاحية، وذلك في أواخر دولة الظاهر خشقدم، في أوائل سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة، ثم انفصل من الوظيفتين في أواخر السنة المذكورة، وكان قد باشر القضاء تلك المدة بعفة ونزاهة وصيانة، مع لين جانب، ولم يلتمس على القضاء الدرهم الفرد، حتى تنزه عن معاليم الأنظار، واستمر في منزله يفتي، ويشغل الطلبة، وباشر وظيفة الخطابة بالمسجد الأقصى إلى سنة ثمان وسبعين وثمان مئة أعيد إلى وظيفة مشيخة

الصلاحية، وباشرها، وهو مستمر بها إلى وقتنا[1] ـ عامله الله بلطفه ـ.

* * *

٤٧٥ ـ [. . . .][2] الحنفيُّ، شيخ الإسلام: كـان من أهل العلم والدين، باشر نيابـة القضاء بالديار المصرية في أيام قاضي القضاة سعد الدين الديري ومن بعده، ثم تنزه عن الحكم مـدة، ثم استقل بالقضـاء عوضاً عن قاضي القضـاة محب الدين بن الشحنة، في شهور سنة سبع وسبعين وثمان مئة، وباشر بعفة، وعمر الأوقاف، وضبط أحوال النواب في الأحكام، وقمع المناحيس والمفسدين، وكان يقول الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، وعلت كلمته، ونفذ أمره.

وكان شيخاً ربعـة، أبيض الوجـه واللحيـة، نيِّراً، حسن الشكل، متواضعاً.

وكان قد أبطل الألقاب التي تكتب للقضـاة في السجلات، وأمـر الشهود بعـدم كتابـة ذلك، واستمـر على القضـاء إلى أن توفي في يوم الاثنين، خامس عشر رمضان، **سنة خمس وثمانين وثمان مئة**، ودفن في مقابر باب النصر ـ رحمه الله ـ.

* * *

---

(١) قال في «شذرات الذهـب» (٨/ ٩ ـ ١٠): «وتوفي بالقدس في حدود هذه السنة»؛ أي سنة إحدى وتسع مئة.

(٢) ما بين معكوفتين غير واضح في الأصل.

٤٧٦ ـ **قاضي القضاة شرف الدين بن محمد بن عيـد، الدمشقيُّ الحنفيُّ**: شيخ الإسلام، كان من أهل العلم والدين، وباشر نيابة القضاء بدمشق، ثم تنزه عن الحكم، فلما توجه مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي إلى المملكة الشامية، في شهور سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، صادف قدومه دمشق وفاة قاضي القضاة علاء الدين ابن قاضي عجلون الحنفي قاضي دمشق، فطلب من يصلح للقضاء، فذكر له القاضي شرف الدين بن عيد، فطلبه، وولاه قضاء دمشق على كُره منه، واستمر بها نحو سنتين، فحضر القاضي تاج الدين عبـد الوهاب بن عربشاه الحنفي إلى القاهرة، وسعى في وظيفـة قضاء الحنفيـة بالشام، فتوقف السلطان في عزل ابن عيد، وامتنـع من ذلك، فانتمى ابن عربشاه إلى الأمير قانصوه خمس مئـة الدوادار الثاني يوم ذاك، فتـرامى على السلطان إلى أن ولي ابن عربشاه في شهر رجب، سنة أربع وثمانين وثمان مئة، واستمر ابن عيد معزولاً بدمشق.

فلما توفي القـاضي شمس الدين الأمشاطي المذكـور قبله، عينـه السلطان لقضاء مصر، وأحضره إلى القاهرة، فوصل إليها في يوم الخميس، سابع عشر ذي القعدة، سنة خمس وثمانين وثمان مئة، وتمثَّل بالحضرة الشريفة، وفوض إليه القضاء يوم السبت، تاسع عشر الشهر المذكور، وأكرمه حين قدومه عليه، وعظمه، وأجلسه إلى جانبه، بعد أن نزل عن سرير الحكم، وكنت حاضراً ذلك المجلس، وكان يوماً مشهوداً، واستمر إلى يوم الأحـد، سابـع عشر المحرم، سنة سـت وثمانين وثمان مئـة،

فجلس في ذلك اليوم بالإيوان البحري المنسوب للحنابلة بالمدرسة الصالحية بخط بين القصرين، وأحضر له ملوطة جديدة قد خِيطت له، فلبسها، فلما استقرت على جسده، قال: اللهم كما ألبستني جديداً، أمتني شهيداً، وجلس وهو لابسها، فلم يمض على ذلك غير لحظة يسيرة، ووقعت الزلزلة، فنهض من صدر الإيوان إلى حافته، فوقعت عليه شرافة من ظهر الإيوان، فمات من وقته بعد العصر من يوم الأحد المذكور، واستمر إلى بكرة يوم الاثنين، ثامن عشر المحرم، **سنة ست وثمانين وثمان مئة**، وغسل، وجرد من الملوطة وهو على سرير غسله، وحُمل إلى سبيل المؤمنين بالرميلة، وصلى عليه السلطان وأركان الدولة، الخاصُّ والعام، وكان يوماً مشهوداً، ودفن بتربة السلطان، فكانت مدته ثمانية وخمسين يوماً ـ رحمه الله ـ.

وقد أنشد فيه الشعراء أشياء كثيرة، منها:

لِفَقْدِ ابْنِ عِيدٍ بَكَتْ مُقْلَتِي ... تُوُفِّي شَهِيداً كَمَا قَالَهَا

وَحِينَ تُوُفِّيَ مَاجَ الوَرَى ... وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا

وكان حسن السيرة في مباشرته بالشام ومصر، عفيفاً ورعاً ـ تغمده الله برحمته ـ.

* * *

٤٧٧ ـ قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل محمد بن محمد ابن محمد بن الشحنة، الحلبيُّ الحنفيُّ: كان من أهل العلم، وهو من

بيت كبير بحلب، ولي القضاء بها، وكان والده ـ أيضاً ـ قاضيها، وباشر برئاسة وشهامة، ثم حضر إلى القاهرة، وولي كتابة السر بها، ثم غضب عليه الملك الأشرف أينال، وأخرجه إلى القدس، فأقام بها في سنة ثمان أو تسع وخمسين وثمان مئة.

ثم أعيد إلى القاهرة، وباشر كتابة السر إلى أيام الملك الظاهر خشقدم، فولي قضاء الحنفية بالديار المصرية في أوائل سنة سبع وستين وثمان مئة عوضاً عن قاضي القضاة سعد الدين الديري ـ كما تقدم في ترجمته ـ، ثم عزل بابن الصواف قاضي حماة، فتوفي ابن الصواف بعد مدة يسيرة، ثم أعيد إلى القضاء، ثم عزل هو وقاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي في يوم واحد، في شهور سنة سبعين وثمان مئة، واستقر قاضي القضاة برهان الدين الديري أخو الشيخ سعد الدين الديري في قضاء الحنفية، وقاضي القضاة صلاح الدين أحمد المكيني في قضاء الشافعية، واستمر القاضي برهان الدين الديري سبعة أشهر، ثم عزل، وأعيد القاضي محب الدين بن الشحنة في شهور سنة إحدى وسبعين وثمان مئة، واستمر إلى أيام السلطان الملك الأشرف قايتباي، وعزل في شهور سنة سبع وسبعين وثمان مئة؛ بسبب واقعة حكم بها نائبه الشيخ خير الدين الشَّنَشي، واستقر عوضه القاضي شمس الدين الأمشاطي ـ كما تقدم في ترجمته ـ، واستمر معزولاً من القضاء إلى حين وفاته.

ولما توفي الشيخ سيف الدين شيخ الشيخونية، ولي مكانه بالشيخونية، في شهور سنة اثنتين وثمان مئة، واستمر بها إلى أن توفي،

وكان قد ضعف جسده، وقلَّت قوته، وانقطع في منزله في أواخر عمره.

ومولده في سنة أربع وثمان مئة، وتوفي في شهور سنة **تسعين وثمان مئة**، واستقر ولده الشيخ سري الدين عبد البر في مشيخة الشيخونية عوضاً عنه ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٤٧٨ ـ الشيخ الجلال البكري أبو البقاء محمد بن عبد الرحمن، البكريُّ الشافعيُّ شيخُ الإسلام: باشر نيابة الحكم بالديار المصرية في أيام شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر ومن بعده من القضاة إلى أيام القاضي ولي الدين الأسيوطي، ثم تنزه عن الحكم، وانقطع بمنزله للاشتغال بالعلم، والفتوى والتدريس، وصنف «حاشية على الروضة»، و«حاشية على المنهاج».

وكان متواضعاً، سخياً، مع الفاقة الزائدة، وفي أواخر عمره ولي مشيخة البيبرسية تجاه الدرب الأصفر، وتوفي بها في **سنة إحدى وتسعين وثمان مئة** ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٤٧٩ ـ الشيخ تاج الدين أبو الوفا محمد ابن الشيخ تقي الدين أبي بكر بن أبي الوفا، الحسينيُّ الشافعيُّ العالمُ الصالحُ: كان من أهل العلم، وله وجاهة عند الناس، وكان شيخ الفقراء الوفائية بالأرض

المقدسة، وله تصانيف في التصوف وغيره، وسكن مصر مدة، ثم عاد إلى وطنه، وقدر أنه تزوج بالرملة، وكان يتردد إليها، فتوفي بها في يوم عاشوراء، وحُمل إلى القدس الشريف، فغسِّل، وصُلي عليه يوم الحادي عشر من المحرم، **سنة إحدى وتسعين وثمان مئة**، ودفن بماملا ظاهر القدس من جهة الغرب عند والده، بجوار الزاوية القلندرية ـ رحمه الله ـ.

* * *

٤٨٠ ـ قاضي القضاة قطب الدين محمد بن محمد الخيضري الشافعي شيخ الإسلام: باشر قضاء الشام عوضاً عن القاضي جمال الدين الباعوني، وأضيف إليه كتابة السر، وباشرها نحو عشر سنين، ثم طُلب إلى القاهرة في أواخر سنة ثمانين وثمان مئة، ورسم له بالإقامة بها، وتزوج بابنة أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ـ تغمده الله برحمته ـ في سنة إحدى وثمانين بإشارة السلطان، واستمر قضاءُ الشام بيده، ونوابه يباشرون إلى سنة ست وثمانين وثمان مئة، فعزل منه بسؤاله، وولي بعده القاضي صلاح الدين العدوي، وألبس التشريف، واستمر نحو الأسبوع أو دونه، ثم اقتضى الحال عزله، فاستقر في القضاء القاضي شهاب الدين أحمد بن الفرفور، مضافاً إليه نظر الجيش بالشام، وأُلبس التشريف من الحضرة الشريفة.

واستمر القاضي قطب الدين بالقاهرة، وكان يدرِّس بالجامع الأزهر، وغيرِه، ويجتمع عنده الفقهاء، وغيرهم، وبنى له تربة بالقرافة على باب

مقام الإمام الشافعي ﵁، ودفن بها في شهور سنة خمس وتسعين وثمان مئة ـ رحمه الله ـ.

* * *

٤٨١ ـ قاضي القضاة شيخ الإسلام بدر الدين أبو المعالي محمد ابن الشيخ ناصر الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن خالد بن إبراهيم، السعديُّ الحنبليُّ: الشيخ الإمام، الحَبْر البحر الهمام، العالم العامل العلامة، القدوة المحقق، شيخنا، عالم المذهب، رحلة الطلب.

مولده في سنة خمس، أو ست وثلاثين وثمان مئة، قرأ العلوم وحققها، وحصَّل أنواعاً من الفنون وأتقنها، وبرع في مذهب إمامنا المبجل أحمد بن حنبل ﵁، وصار من أعيانه، وأخذ عن علماء الديار المصرية، وغيرِهم ممن ورد إلى القاهرة، ولازم شيخه قاضي القضاة عز الدين الكناني الحنبلي ـ المتقدم ذكره في حرف الهمزة ـ، وفضل عليه، وأجازه بالإفتاء، واستخلفه في الأحكام الشرعية بالديار المصرية، وشهد بأهليته، وندبه للوقائع المهمة، والأمور المشكلة، فَسَادَ على أقرانه، وعظُم أمره، وعلا شأنه، وباشر الحكم نيابة أكثر من خمس عشرة سنة، وصار مفتي دار العدل، وكانت مباشرته للحكم حسنة، بعفة وصيانة ونزاهة، فلما قدر الله تعالى بوفاة شيخه المشار إليه في يوم السبت، حادي عشر جمادى الأولى، سنة ست وسبعين وثمان مئة، عين السلطان لقضاء الديار المصرية قاضيَ القضاة برهانَ الدين بن مفلح قاضي دمشق،

وطلبه للحضور، واستمر المنصب بغير قاض مدة طويلة، فلم يُقدر لابن مفلح بالحضور، فأجمعت الآراء على توليـة شيخنا المشار إليـه بحكم استحقاقـه لذلك، وأهليته، وعدم نظير لـه بالديار المصريـة، فاقتضى والي مولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباي، وأركان دولته استقراره فيها.

ولقد أصاب في ذلك التوفيق؛ فإنه وضع الشيء في محله، وكانت توليته في يوم ختم «البخاري» بقلعة الجبل المنصورة بالقصر الشريف، في نهار الأحد، ثامن عشري رمضان المعظم، سنة ست وسبعين وثمان مئة، وألبس التشريف من حضرة السلطان، ونزل في خدمته قضاة القضاة، ومشايخ العلم والفقهاء، وخلفاء الحكم، وغيرهم إلى المدرسة الصالحية النجمية، ثم إلى منزله، وحصل بولايتـه الجمال للديار المصريـة، بل ولسائر مملكة الإسلام، وتزايد السرور عنـد الخاص والعام، وانتصب للنظر في الأحكام الشرعية، وجعل مجلس حكمه بالمدرسة الصالحية بقاعة الحكم، وسلك في مباشرته طريقةَ شيخه قاضي القضاة عز الدين في الورع والعفة، حتى في قبول الهدية، والتوقف في الأمور التي يُقدم عليها كثير من الحكام، وعظم أمره، وعلت كلمته، وحسنت سيرتـه، ومع ذلك، فهـو متواضع، لين الجانب، لا يحـب الفخر ولا الخيلاء، وعنده بشاشة وحسنُ لقاء لمن يَرِدُ عليه.

ولقد أكرم مثواي عند تمثُّلي بين يديه، في شهور سنة ثمانين وثمان مئة، وأقمت تحت نظره للاشتغال بالعلم الشريف، فتفضل عليَّ، وأحسن

إليَّ، وأفادني العلم، وعاملني بالحلم، ومكثت بالديار المصرية نحو عشر سنين، إلى أن سافرت منها في سنة تسع وثمانين وثمان مئة، وأنا مشمول منه بالصِّلات، ومتصل من فضله بالحسنات، وكان السبب في سفري: ما قدره الله تعالى من ولايتي لمنصب القضاء بالرملة، ولما عزمت على السفر، حضرت بين يديه، واستأذنته في السفر، فتألم لذلك، وشق عليه، وكان من لفظه الكريم أن قال: يعز علينا فراقك؛ لأننا قد اعتدنا بك، فقبَّلت يده، وتوجهت من حضرته، وقد حصل عندي غاية الشوق لمشاهدة ذاته الجميلة؛ فإنه عاملني بالإكرام، وشكرُ المنعم واجب، فجزاه الله عني خيراً.

وأما حلمه، وسلوكه طريقةَ السلف، وتلطفه بالطلبة، فلا يكاد يوصف، ويجلس في مجلس حكمه بلا حاجب ولا بواب؛ عملاً بما نص عليه الفقهاء رضي الله عنهم، وهو متصف بالصفات المعتبرة المشترطة في القاضي، قوي من غير عنف، لين من غير ضعف، حليم ذو[1] أناة، وانتهت إليه في عصرنا رئاسة هذا المذهب الشريف بالديار المصرية، بل وسائر المملكة.

وخطه حسن، وعبارته في الفتوى مفيدة وجيزة، وفصاحته في الخط واللفظ إليها النهاية، وصنف «مناسك الحج» على الصحيح من المذهب، وهو في غاية الحسن.

---

(١) في الأصل: «ذا».

وسافرت من القاهرة، ولم أطَّلع له على تصنيف غيره، ولما قدر الله تعالى بولايتي لمنصب القضاء بالقدس الشريف، في سنة إحدى وتسعين وثمان مئة، بلغني عنه كل جميل من الجبر، وإظهار السرور بذلك، وتنفيذ ما يُعْرَض عليه من الأحكام الواردة على يد أربابها، ولقد شاهدت ذلك بعد عود المستندات إلى القدس الشريف، وهو مستمر في منصب الحكم العزيز إلى وقتنا ـ أمتع الله الإسلام والمسلمين بطول بقائه[1] ـ.

* * *

٤٨٢ ـ قاضي القضاة شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبدالله محمد، الديريُّ العبسيُّ الحنفيُّ: مولده في ليلة الخامس عشر من شعبان، سنة خمس عشرة وثمان مئة بالقدس الشريف، وكان جده قاضي القضاة بالديار المصرية، وهو والد قاضي القضاة سعد الدين ـ المتقدم ذكره ـ، ووالده كان من أعيان العلماء، وهو من بيت علم ورئاسة.

باشر نيابة الحكم بالقدس الشريف عن أخيه القاضي جمال الدين عبدالله ـ المتقدم ذكره ـ مدة ولايته، ثم ولي القضاء استقلالاً عوضاً عن

---

(١) ذكره في «شذرات الذهب» (٧/ ٣٦٦) في وفيات سنة تسع مئة.

القاضي خير الدين بن عمران، ووردت إليه الولاية في تاسع عشري صفر، سنة تسع وسبعين وثمان مئة، وأقام بها إلى شعبان، سنة أربع وتسعين، فانفصل عنها، ثم أعيد إليها في أواخر ذي القعدة من السنة، ثم صرف عن القضاء في أواخر سنة خمس وستين وثمان مئة، فكانت ولايته نحو سبع عشرة سنة، وكانت مباشرته حسنة، والناس راضون منه، وعنده تواضع، ولقد أحسن إلينا في ولايته ـ عامله الله بلطفه ـ.

* * *

٤٨٣ ـ شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالي ابن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي شريف، المقدسيُّ الشافعيُّ: الإمام القدوة المحقق، شيخ المذهب، رحلة الطلب، صاحب التصانيف المفيدة.

ولد في سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة، ونشأ بالقدس الشريف، ثم سافر إلى الديار المصرية، ولقي جماعة من أعيان العلماء، وأخذ العلم عنهم، فصار نادرة وقته، وأعجوبة زمانه، وانتهت إليه رئاسة المذهب، وصار قدوة بيت المقدس ورئيسها ومفتيها.

ثم وقعت حادثة في القدس في رمضان، سنة خمس وسبعين وثمان مئة أوجبت سفره إلى القاهرة المحروسة، والاجتماع بالسلطان، فلما رآه السلطان، وجالسه، وعرف مقامه، أنعم عليه باستقراره في مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف، فتوقف في القبول، فألزم به.

وتمثل بالحضرة الشريفة في شهر صفر، سنة ست وسبعين وثمان

مئة، فلما قدم على السلطان، نزل عن سرير الملك، وتلقاه، وأكرمه، وفوض إليه الوظيفة المشار إليها، وألبسه التشريف، وكان صحبته الشيخ شهاب الدين العميري ـ المتقدم ذكره ـ، فألبس جنده، وقرر في مشيخة المدرسة الأشرفيـة التي هدمت، وبني مكانها المدرسة الموجودة الآن بالمسجد الأقصى، التي هي بيـد شيخ الإسلام الكمالي المشـار إليـه، والقاضي شهاب الدين أحمد بن عبية الشافعي استقر في قضاء الشافعية بالقدس، والقاضي خير الدين بن عمران في قضاء الحنفية، وأُلبس كلٌّ منهما تشريفاً، وحصل لهم الجبر من المقام الشريف.

ثم سافر شيخ الإسلام المشار إليه، وصحبته القاضيان المشار إليهما من القاهرة، ودخلوا إلى القدس الشريف في يوم الاثنين، ثاني عشري شهر ربيـع الأول، سنة ست وسبعين وثمان مئـة، وكان يوماً مشهوداً، وباشر المدرسة الصلاحية مباشرة حسنة، وعمرها، وصرف المعاليم، وعمل بهـا الدروس المشهـورة، وأقام نظامها أحسن قيام، واستمر بها نحو سنتين.

ثم استقر بها الشيخ نجم الدين محمد ابن قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة في شهور سنة ثمان وسبعين وثمان مئة، وتوفي والده الأمير ناصر الدين ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الأولى، **سنة تسع وسبعين وثمان مئة** عن ست وثمانين سنة.

وكان شكلاً حسناً، مهيباً ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

واستمر شيخ الإسلام كمال الدين المشار إليه منقطعاً للاشتغال بالعلم والفتوى على عادته إلى سنة إحدى وثمانين وثمان مئة، فتوجه إلى القاهرة، واستوطنها، وأقام بها نحو تسع سنين، والطلبةُ يترددون إليه، ويشتغلون عليه في العلوم، وانتفع الناس به، وعظُمت هيبته، وارتفعت كلمته عند السلطان وأركان الدولة.

فلما رسم السلطان بهدم المدرسة الأشرفية القديمة الكائنة بالمسجد الأقصى، وجدَّد المدرسة الموجودة الآن بمكانها، وانتهت عمارتها، قدر الله تعالى بوفاة الشيخ شهاب الدين العميري الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الأول، سنة تسعين وثمان مئة قبل تقرير أمرها، وترتيب وظائفها، فبرز أمر السلطان باستقرار شيخ الإسلام المشار إليه فيها، وتوجه من الأبواب الشريفة، وصحبته القاضي أبو البقاء بن الجيعان، والمهتار رمضان، وحضروا إلى القدس الشريف في شهر رجب، سنة تسعين وثمان مئة، ورتبت الوظائف بالمدرسة المشار إليه، واستقر أمرها، وباشرها شيخ الإسلام، وحصل للمدرسة المذكورة، بل وللأرض المقدسة، ولسائرِ المملكة الجمالُ والهيبة والوقار بوجود شيخ الإسلام المشار إليه، وانتظم أمر الفقهاء، وحكام الشريعة المطهرة بوجوده، وبركة علومه، ونشرَ العلم، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وازداد شأنه عظماً، وعلت كلمته.

ونفذت أوامره عند السلطان فمَنْ دونه، وبرزت إليه المراسيم الشريفة في كل وقت بما يحدث من الوقائع، والنظر في أمور الرعية،

وترجم فيها بالجناب العالي شيخ الاسلام، ووقع له ما لم يقع لغيره ممن تقدمه من العلماء والأكابر؛ فإنه تقدم في الجلوس وغيره على شيخ الصلاحية، ولم تجر به عادة في الزمن القديم؛ فإن العادة جرت أن شيخ الصلاحية يكون هو المقدَّم على كل أحد من طائفة الفقهاء وغيرهم، فتقدم شيخ الإسلام المشار إليه على شيخ الصلاحية في الجلوس والكتابة، وقُدم اسمه على اسمه في المراسيم الواردة من السلطان، وفيما يكتب من الأوراق بالقدس، وسُلِّمَ إليه القول والفعل، وقَلَّدَهُ أهل المذاهب كلها، وقبلت فتواه على مذهبه ومذهب غيره، وكل ذلك ببركة ما حواه من العلوم الشريفة.

ومن أعظم محاسنه التي شكرت له في الدنيا، ويرفع الله بها درجته في الآخرة: ما فعله في القبة المستجدة عند دير صِهْيَون، فإن الفرنج المقيمين بدير صهيون ظاهر القدس الشريف أحدثوا عند الدير المذكور بالقرب منه قبة، زعموا أن مكانها مقام السيدة مريم، وبنوها وأحكموها غاية الإحكام، وبنوا بها صفة هيكل، على عادة ما يفعل بالكنائس، وشرعوا يجتمعون فيها في أوقات عبادتهم، ويعظمونها، حتى صارت كنيسة محدثة في دار الإسلام، ثم شرع النصارى في انتزاع القبو المجاور للدير المشهور أنَّ به قبر سيدنا داود ـ عليه السلام ـ، وساعدهم على ذلك مَنْ لَمْ يَخَفِ الله تعالى، فبادر شيخ الإسلام المشار إليه بالمكاتبة للسلطان، وأعلمه بما وقع من أحداث القبة المذكورة، وأن قبر سيدنا داود ـ عليه السلام ـ بأيدي المسلمين مدة طويلة، وبُني به قبلة لجهة

الكعبة المشرفة، وأن النصارى يقصدون انتزاعه من أيدي المسلمين.

فورد إلى شيخ الإسلام الجواب على يد الأمير أزبك الخاصكي، الوارد من الأبواب الشريفة بالكشف على الأمير دقماق ناظر الحرمين ونائب القدس بالنظر في أمر القبة المذكورة، وقبر سيدنا داود، والعمل في ذلك بما يقتضيه حكم الشرع الشريف، وهدم البناء المستجد المخالفِ للشرع الشريف.

فتوجه شيخ الإسلام المشار إليه، وصحبته الخاصكي، وناظر الحرمين دقماق، والشيخ نجم الدين شيخ الصلاحية، والقضاة الأربعة، وجماعة من الفقهاء والأعيان، والخاص والعام، وجلسوا بالقبة المذكورة، وقامت البينة عند قضاة الشرع بأن هذه القبة محدَثة، فأفتى شيخ الإسلام بهدمها، ووافقه شيخ الصلاحية، فحكم القضاةُ بهدمها، فهُدمت بحضورهم في يوم جلوسهم بها، وهو يوم السبت، ثاني رجب سنة خمس وتسعين وثمان مئة، وقرأ عند قبر سيدنا داود ما تيسر من القرآن، والذكر، والصلاة على النبي ﷺ، وأهدي في صحائف السلطان.

وكان يوماً مشهوداً، أظهر الله فيه الإسلام، وأخمد الكفر.

وكان إحداث القبة المذكورة في صفر، سنة أربع وتسعين وثمان مئة، فكان بقاؤها نحو سنة وأربعة أشهر، ولما هدمت بقي بعض آثارها، فورد مرسوم شريف ثانٍ على شيخ الإسلام المشار إليه بإكمال هدمها، ومحو أثرها، فتوجه شيخ الإسلام، وصحبته ناظر الحرمين الشريفين،

ونائب السلطنة الشريفة الأمير خضر بك، وشيخ الصلاحية، والقضاة، وهُدمت ثانياً بحضورهم، ومحي أثرها، ونبش أساسها، وكان يوماً مشهوداً، وحصل للرهبان بدير صهيون بذلك من القهر ما لا يوصف، وكان ذلك في شهر رمضان، سنة ست وتسعين وثمان مئة، وأعلى الله كلمة الإسلام، وقمع عبدة الأصنام.

وبالجملة: فمحاسن شيخ الإسلام المشار إليه كثيرة، ولكن المقصود من هذا الكتاب الاختصار ـ أعز الله به الدين ـ.

* * *

٤٨٤ ـ قاضي القضاة الإمام العلامة خير الدين أبو الخير محمد ابن الشيخ العلامة القدوة شمس الدين محمد بن عمران الغزيُّ، ثم المقدسيُّ الحنفيُّ: كان من أهل العلم والدين، وكان والده المشار إليه شيخ القراء بالقدس الشريف، ومن أعيان المحدِّثين، روى عنه جماعة من الأكابر، ومولده في سادس عشر شعبان، سنة أربع وتسعين وسبع مئة، وكان صالحاً ورعاً زاهداً، توفي في شهر رمضان، سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة.

ثم بعد وفاته قام ولده القاضي خير الدين المشار إليه مقامه في علم القراءة والحديث الشريف، ثم سافر إلى القاهرة، وأقام بها، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان علمائها، وبرع وفضل في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه، ثم تولى قضاء الحنفية بالقدس الشريف بعد القاضي جمال

الدين الديري، وكانت ولايته مع ولاية الشيخ كمال الدين بن أبي شريف مشيخة الصلاحية في اليوم الذي تولى فيه، وألبس التشريف من حضرة السلطان ـ كما تقدم في ترجمة الشيخ كمال الدين ـ، وسافر صحبته، ودخل معه إلى القدس في يوم الاثنين، ثاني عشري ربيع الأول، سنة ست وسبعين وثمان مئة، وباشر القضاء بعفة وشهامة، وكانت سيرته حسنة، واستمر نحو سنتين، ثم عزل بالقاضي جمال الدين الديري، في ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين، فدخل القاضي جمال الدين إلى القدس وهو متوعك، فأقام أربعة عشر يوماً، وتوفي، فاستقر القاضي خير الدين المشار إليه في وظيفة القضاء ثانياً، واستمر نحو تسعة أشهر، ثم عزل بالقاضي شمس الدين الديري أخي القاضي جمال الدين في سلخ صفر، سنة تسع وسبعين وثمان مئة.

وتنزه عن القضاء، ولم يتكلم فيه بعد ذلك، وانقطع في منزله للعبادة والإشغال بالعلم وقراءة القرآن والحديث، وانتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة بالقدس، وتصدى للفتوى والتدريس، وحج إلى بيت الله الحرام، وعظُم أمره عند الناس، وصار له الهيبة والوقار، ونسخ بخطه الكثير من المصاحف الشريفة، و«البخاري»، وغير ذلك، وعمل طريقة في المصحف الشريف في مقابلة الأحرف لم يسبق إليها، وانتشر هذا المصحف في غالب المملكة، وله ربعة شريفة بالحرم الشريف النبوي ـ على ساكنه الصلاة والسلام ـ.

وكان متواضعاً، حسن اللفظ والشكل، توفي إلى رحمة الله تعالى

في يوم الخميس، الثلاثين من شهر رمضان، **سنة أربع وتسعين وثمان مئة**، ودفن في يومه بعد صلاة العصر إلى جانب قبر والده بتربة ماملا ظاهر القدس الشريف، وعمره يوم وفاته نحو خمس وخمسين سنة ـ تقريباً ـ. رحمه الله، وعفا عنه، وعوضه الجنة.

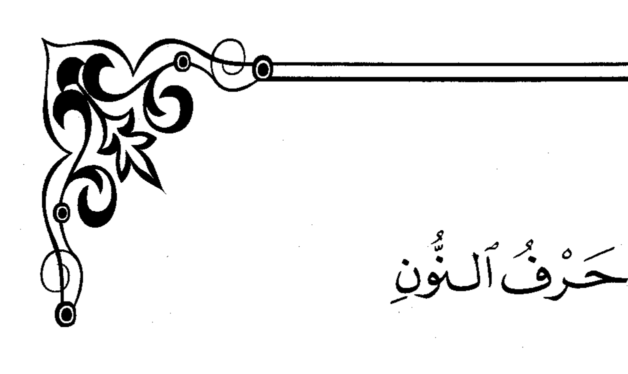
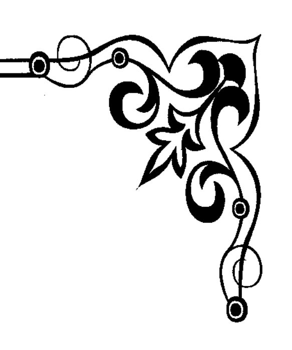
* * *

٤٨٥ ـ قاضي القضاة شمس الدين، أبو عبدالله محمد بن علي بن الأزق المغربي، الأندلسيُّ المالكيُّ: كان من أهل العلم والصلاح، وكان قاضياً بمدينة غرناطة بالأندلس، فلما استولى عليها الفرنج، خرج منها مستنفراً لملوك الأرض في نجدة صاحب غرناطة، فتوجه لملوك المغرب، فلم يحصل منهم بنتيجة، فحضر إلى الملك الأشرف قايتباي، فاحتج عليه باشتغاله بقتال ابن عثمان، فتوجه إلى مكة المشرفة، وجاور بها، وزار المدينة الشريفة ورجع إلى القاهرة المحروسة في أول سنة ست وتسعين وثمان مئة، فتُكُلم له في شيء يحصل له منه ما يستعين به على القوت، فأنعمت الصدقات الشريفة له بقضاء المالكية بالقدس الشريف، فاستقر بها في رابع رمضان من السنة المذكورة، ثم قدم إلى القدس في يوم الاثنين، سادس عشر شوال، سنة ست وتسعين وثمان مئة، وأقام بها نحو الشهر وهو يتعاطى الأحكام بعفة من غير تناول شيء، ثم حصل له توعك واستمر إلى أن توفي في يوم الجمعة بعد فراغ الصلاة، سابع عشر ذي الحجة الحرام، **سنة ست وتسعين وثمان مئة**، ودفن في يومه

بعد صلاة العصر بتربة ماملا إلى جانب حوش البسطامي من جهة الغرب، فكانت مدة إقامته بالقدس إلى حين وفاته نحو شهرين.

وذكر عنه أنه قال: إن عمره خمس وستون سنة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

حَرْفُ النُّونِ

٤٨٦ ـ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا: الإمام الفقيهُ الكوفيُّ، مولى تيم الله بن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات، كان خرازاً يبيع الخرز من أهل كابل، وقيل: بابل.

وزوطا: هو الذي مسه الرق، فأُعتق، وولد له ثابت على الإسلام.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: ما وقع علينا رق قط.

وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وهم: أنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم، ولا أخذ عنه، وأصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة، وروى عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل.

وكان عالماً عاملاً، ورعاً تقياً، كثير الخشوع، دائم التضرع إلى الله تعالى، ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد، وأراد أن يوليه القضاء، فأبى، وقال: لا أصلح لذلك، فقال له: كذبتَ، أنت تصلح، فقال له: حكمتَ لي على نفسك، كيف يحل لك أن تُولي قاضياً على

أمانتك وهو كذاب؟! فأمر به إلى الحبس في الوقت.

وكان يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري أمير العراقين أراد أن أبا حنيفة يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخرِ ملوك بني أمية، فأبى عليه، فضربه مئة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك، خلَّى سبيله.

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا ذكر ذلك، بكى، وترحَّم على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضُرب أحمد على القول بخلق القرآن.

وكان أبو حنيفة حسن الوجه والخلق، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه، وكان ربعة من الرجال، وقيل: كان طويلاً تعلوه حمرة، أحسن الناس منطقاً، وأحلاهم نغمة.

ورأى في المنام كأنه نبش قبر النبي ﷺ، فبعثَ من سأل محمدَ بن سيرين، فقال صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه إليه أحد قبله.

قال الشافعي رضي الله عنه: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيتُ رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً، لقام بحجته.

وقال الشافعي: الناس عيال على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحر في الفقه، فهو من عيال أبي حنيفة؛ فإن أبا حنيفة ممن وثق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر في الشعر، فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في

التفسير، فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وكان أبو حنيفة إماماً في القياس، وكان له جار بالكوفة إسكاف يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنَّه الليل، رجع إلى منزله، وقد حمل له لحماً يطبخه، أو سمكة يشويها، ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دب الشراب، غرد يصوت وهو يقول:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فتًى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع كلامه كل ليلة، وأبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته، وسأل عنه، فقيل له: أخذه العسس منذ ليالٍ، وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة الفجر من غدوة، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فأذن له، وقال: أَقبِلوا به راكباً، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل، ووسع له الأمير من مجلسه، وقال: ما حاجتك؟ قال: جار لي إسكاف أخذه العسس منذ ليال بأمر الأمير، فحبسه، فأمر الأمير بإطلاقه، وكل من أُخذ في تلك الليلة أن يخرجوا، ويُخلَّى سبيلهم، فركب أبو حنيفة، والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة، قال للإسكاف: هل أضعناك يا فتى؟ قال: لا، بل حفظتَ ورعيتَ ـ جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار، ورعاية الحق ـ، وتاب الرجل، ولم يعد إلى ما كان عليه.

ومحاسن أبي حنيفة ومناقبه كثيرة.

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، وقيل: سنة إحدى وستين،

والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل: في شعبان، **سنة خمسين ومئة**، وكان وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء، فلم يفعل، وهذا هو الصحيح، وقيل: لم يمت في السجن، وقيل: إنه توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي ﷺ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور يزار.

وزُوطا: بضم الزاي المعجمة، وسكون الواو، وفتح الطاء المهملة.

* * *

٤٨٧ ـ أبو عبدالله نافع بن عبدالله مولى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: كان ديلمياً، وأصابه مولاه عبدالله في غزاة، وهو من كبار التابعين، ومن المشهورين بالحديث، ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم، وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب، وتوفي سنة ست عشرة، وقيل: **عشرين ومئة**.

* * *

٤٨٨ ـ أبو رُوَيْم نافع بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب المقرئ المدني: أحد القراء السبعة، كان إمام أهل المدينة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضي الله عنهم، وكان زنجياً فيه دعابة، وكان أسود شديد السواد، قرأ عليه مالك رضي الله عنه، وكان قرأ على أبي ميمونة مولى أم سلمة زوجِ رسول الله ﷺ، وكان له راويان: وَرْش، وقالون.

وتوفي نافع **سنة تسع وستين ومئة** بالمدينة.

وجعونة: اسم الرجل القصير، ثم سمي بـه الرجل، وإن لم يكن قصيراً، وجعل عليه علماً، وكان جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب.

* * *

٤٨٩ ـ أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر المعروف بالخُبزأرزي

ـ بخاء معجمة مضمومة، وباءٍ موحدة، وراء مهملة، ثم همزة ثم راء، ثم زاي، ثم ياءٍ بالتشديد والتخفيف في الأرز ـ: الشاعر المشهور، كان أمياً لا يتهجى ولا يكتب، وكان يخبز الأرز بمربد البصرة في دكان، وينشد الأشعار، والناس يزدحمون عليه، ويعجبون من حاله، وكان وصل بغداد، وأقام بها دهراً طويلاً، ومن شعره:

رَأَيْتُ الهِلاَلَ وَوَجْهَ الحَبِيبِ ... فَكَانَا هِلاَلَيْنِ عِنْدَ النَّظَرْ
فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا قَاتِلِي ... هِلاَلُ السَّمَا أَمْ هِلاَلُ البَشَرْ
فَلَوْلاَ التَّوَرُّدُ فِي الوَجْنَتَيْنِ ... وَمَا رَاعَنِي مِنْ سَوَادِ الشَّعَرْ
لَكُنْتُ أَظُنُّ الهِلاَلَ الحَبِيبَ ... وَكُنْتُ أَظُنُّ الحَبِيبَ القَمَرْ

ولـه أخبار ونوادر كثيرة، توفي في سنة **سبع عشرة وثلاث مئة** ـ رحمه الله ـ.

* * *

٤٩٠ ـ أبو الفتوح نصر الله بن عبدالله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس، اللخميُّ الأزهريُّ السَّكَندريُّ، الملقب: القاضي

الأعز، الشاعرُ المشهور: كان شاعراً فاضلاً نبيلاً، وكان كثير الحركات والأسفار، وفي ذلك يقول:

وَالنَّاسُ كَنْزٌ وَلَكِنْ لاَ يُقَدَّرُ لِـي   إِلاَّ مُرَافَقَـةُ المَـلاَّحِ وَالحَـادِي

وفي آخر عمره دخل بلاد اليمن، ثم ركب البحر، فانكسر المركب، فغرق جميع ما معه، فطلع بجزيرة الناموس.

وله في جارية سوداء:

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهْيَ بَيْـضَاءُ فِعْـلٍ   نَافَسَ المِسْكَ عِنْدَهَا الكَـافُورُ
مِثْلُ حَبِّ العُيُـونِ تَحْـسَبُهُ النَّا   سُ سَـوَاداً وَإِنَّمَـا هُـوَ نُـورُ

وله محاسن كثيرة.

ولد بثغر الإسكندرية يوم الأربعاء، ربع شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وتوفي في ثالث شوال، سنة سبع وستين وخمس مئة، وكان دخل صقلية، ولما فارقها راجعاً إلى الديار المصرية، وكان في زمن الشتاء، ردَّته الريح إلى صقلية، فكتب إلى أبي القاسم بن الحجر بصقلية، وكان أحسن إليه:

مَنَـعَ الـشِّتَاءُ مِـنَ الوُصُـو   لِ مَـعَ الرَّسُـولِ إِلَـى دِيَـارِي

* * *

٤٩١ ـ أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيُّ، المعروف بابن الأثير ضياء الدين: ولد بجزيرة ابن

عمر، ونشأ فيها، ثم انتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل، وحصَّل العلوم، ثم صار وزير الملك الأفضل نور الدين علي ابن الملك صلاح الدين، وأساء السيرة مع أهل دمشق، ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل، هَمَّ أهلها بقتله، فأخرجه الحاجب محاسن بن نجيح مستخفياً في صندوق، وصحبه إلى مصر، ولما استقر الأفضل في شُمَيساط، عاد إلى خدمته، وخرج مغاضباً، وعاد إلى الموصل، ثم سار إلى سنجار، ثم عاد إلى الموصل.

وله مصنفات دالة على غزارة فضله وتحقيقه، وله مراسلات وأشعار، ومن كلامه:

ثَلاَثَــةٌ تُعْطِــي الفَــرَحْ كَــأْسٌ وَكُــوبٌ وَقَــدَحْ
مَــا ذُبِــحَ الــزِّقُّ لَهَــا إِلاَّ وَلِلْهَــمِّ ذَبَــحْ

وله محاسن كثيرة.

ولد بالجزيرة، في العشرين من شعبان، سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، وتوفي في إحدى الجمادين، سنة سبع وثلاثين وست مئة ببغداد، وقد توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل.

* * *

٤٩٢ ـ أبو الحسين[١] النَّضْر بن شُميل، التميميُّ المازنيُّ النحويُّ

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٥/ ٣٨٥) وغيره: «أبو الحسن».

البصريُّ: كان عالماً بفنون من العلم، صدوقاً ثقة، صاحب غريب وشعر، ورواية للحديث، وضاقت المعيشة عليه بالبصرة، فخرج يريد خراسان، فشيعه من أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل، ما منهم إلا محدِّث، أو نحوي، أو عروضي، فلما صار بالمِرْبَد، جلس، وقال: يا أهل البصرة! يعز ـ والله ـ عليَّ فراقُكم، والله! لو وجدت في كل يوم كيلجة، ما فارقتكم، فلم يكن منهم أحد يتكلف له ذلك، وسار حتى وصل خراسان، فحصَّل منها مالاً عظيماً.

وكان إقامته بمرو، وله مع المأمون بن الرشيد ـ لمَّا كان مقيماً بمرو ـ حكايات ونوادر؛ لأنه كان يجالسه. فمن ذلك: ما حكاه الحريري في كتاب «درة الغواص في أوهام الخواص» في قوله: ما هو سَدَاد من عَوَز، فيلحنون في فتح السين، وصوابه بالكسر، وقد جاء: أن النضر بن شميل المازني استفاد بهذا الحرف ثمانين ألف درهم، ثم ذكر إسناداً انتهى فيه إلى محمد بن واضح الأهوازي، قال: حدثني النضر بن شميل، قال: كنت أدخل على المأمون في سمره، فدخلت ذات ليلة في ثوب مرقوع، فقال: ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقات؟ قلت: يا أمير المؤمنين! حرُّ مَرْو شديد، فأبترد بهذه الخلقات. قال: لا، ولكنك قشف، ثم أخذنا في الحديث، فأجرى هو ذكر النساء، فقال: حدثنا هشيم عن خالد، عن الشعبي، عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ المَـرْأَةَ لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا، فَإِنَّ فِيهَا

سَدَاداً مِنْ عَوَزٍ»[1]، فأورده بفتح السين، قال: فقلت: صدقتَ يا أمير المؤمنين، حدثنا هشيم: حدثنا عون بن أبي جميلة عن الحسن، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ المَـرْأَةَ لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا، فَإِنَّ فِيهَا سِدَاداً مِنْ عَوَزٍ»، قال: وكان المأمون متكئاً، فاستوى جالساً، وقال يا نضر! كيف قلتَ سِداد؟ قلت: لأن السَّدادَ هاهنا لحنٌ، قال: أَوَتُلحنني؟ قلت: إنما لحن هُشيم، وكان لَحَّانة، فسمع أمير المؤمنين لفظه، قال: فما الفرق بينهما؟ قلت: السَّدَاد ـ بالفتح ـ: القصد في الدين والسُّبل، وبالكسر: البُلغة، وكلُّ ما سَدَدْتَ بـه، فهو سِداد، قال: أو تعرب العربُ ذلك؟ قلت: نعم، فأنشد:

أَضَـاعُونِي وَأَيَّ فَتَـى أَضَـاعُوا   لِيَـوْمِ كَرِيهَـةٍ وَسِـدَادِ ثَغْـرِ

فقال المأمون: قَبَّح الله مَنْ لا أدب فيـه، وأطرق مليـاً، ثم قال: ما لك يا نضـر؟ قلت: أُرَيضـة لي بمرو، قال: أفلا يفيـدك مالاً منها؟ قال: قلت: إني إلى ذلك لمحتاج، قال: فأخذ القرطاسَ وأنا لا أدري ما يكتب، ثم قال: يا غلام! امض معه إلى الفضل بن سهل، قال: فلما قرأ الفضل الكتاب، قال: يا نضر! إن أميـر المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب فيه؟ فأخبرته، ولم أُكَذِبه، فقال: لَحَّنْتَ أمير المؤمنين؟ فقلت: كلا، إنما لحن هُشيم، ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم، فأخذت ثمانين ألف درهم لحرف استُفيد مني.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ٢٩٤).

والبيت الذي استشهدت به هو لعبدالله بن عمرو بن عثمان الأُموي العرجي، الشاعر المشهور، من جملة قوله:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا ... لِيَوْم كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

وَصَبْرِي عِنْدَ مُعْتَرَكِ المَنَايَا ... وَقَدْ شَرَعَتْ أَسِنَّتَهَا بِنَحْرِي

أُحَرَّرُ فِي الجَوَامِعِ كُلَّ يَوْمٍ ... فَبِاللهِ مُطَّلَبِي وَقَبْرِي

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطاً ... وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي مِنْ آلِ عَمْرِو

فَأُجْزَى بِالكِتَابَةِ أَهْلَ وُدِّي ... وَأُجْزَى بِالضَّغَائِنِ أَهْلَ وَبْرِ

ويحكى: أن السبب لقوله هذه الأبيات: أن محمد بن هشام المخزومي خالَ هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة، حبس العرجي لسبب، وأقام في حَبْسه سبع سنين، ثم مات فيه بعد أن ضربه بالسياط، وشهَّره في الأسواق، فعمل هذه الأبيات في السجن.

وأخبار النضر كثيرة.

وتوفي في سلخ ذي الحجة، سنة أربع ومئتين بمدينة مرو من بلاد خراسان، ومولده بها، ونشأ بالبصرة، فلذلك نُسب إليها.

* * *

٤٩٣ ـ النعمان بن محمد بن منصور المكنى بأبي حنيفة: أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم، وكان مالكي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية، وصنف كتابه «ابتداء الدعوة للعُبيديين»، وله مصنفات كثيرة،

وردّ على أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وعلى ابن سريج، وكان ملازماً صحبة المعز أبي تميم مَعَدٍّ بن المنصور، ولما وصل من إفريقية إلى الديار المصرية، كان معه، ولم تطل مدته، ومات في مستهل رجب، **سنة ثلاث وستين وثلاث مئة** بمصر، وصلَّى عليه المعزُّ.

وكان له أولاد نجباء، منهم: أبو الحسن علي بن النعمان، اشترك مع ابن أسامة الدهلي القاضي بمصر، ولم يزالا مشتركين إلى أن توفي المعز، وقام بالأمر ولدُه العزيز نزار، فقُلِّد القاضي أبو الحسن بن النعمان مستقلاً، فركب إلى جامع القاهرة، وقرئ سجلّه، ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصر، وقرئ سجله، وكان فيه القضاء بالديار المصرية والشام، والحرمين والمغرب، وجميع مملكة العزيز، والخطابة والإمامة، والعيار في الذهب والفضة، والموازين والمكاتل، ثم انصرف إلى داره في جمع عظيم.

وكان مفنناً في عدة فنون، وكان شاعراً محموداً، فمن شعره:

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عَرَفَاتِ
سَلَبَتْنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي

حَرَمَتْ حِينَ أَحْرَمَتْ نُورَ عَيْنِي
فَاسْتَبَاحَتْ حِمَامِ بِاللَّحَظَاتِ

وَأَفَاضَتْ مَعَ الحَجِيجِ فَفَاضَتْ
مِنْ جُفُونِي سَوَابِقُ العَبَرَاتِ

وَلَقَــدْ أَضْــرَمَتْ عَلَــى القَلْــبِ جَمْــراً

إِذْ مَـــشَيْنَا بِهَـــا إِلَـــى الجَمَـــرَاتِ

لَــمْ أَقُــلْ فِــي مِنًــى مُنَــى الــنَّفْسِ لَكِــنْ

خِفْـــتُ بِـــالخَيْفِ أَنْ تَكُـــوَن وَفَـــاتِي

ولم يزل أبو الحسن مستمراً على أحكامه، وافر الحرمة عند العزيز، حتى أصابته الحمى وهو بالجامع، فقام ومضى إلى داره، وأقام عليلاً أربعة عشر يوماً، وتوفي يوم الاثنين، لستٍّ خلون من رجب، **سنة أربع وسبعين وثلاث مئة**، وصلَّى عليه العزيز، ودفن بداره بالحمراء.

والحمراء: محلةٌ بمصر، وهي ثلاث حمراوات، وإنما قيل لها: الحمراء؛ لنزول الروم بها.

وكانت ولادته بالمغرب، في شهر ربيع الأول، سنة تسع وعشرين وثلاث مئة.

وأرسل العزيز إلى أخيه أبي عبدالله محمد، وكان ينوب عن أخيه، فقال: إن القضاء لك بعد أخيك، ولا نخرجه عن هذا البيت، ثم قلده القضاء، وخلع عليه، وكتب له سجلاً مثلَ سجلِّ أخيه.

وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام، متقناً في علوم كثيرة، ومن شعره:

أَيَـــا شَبِـــيهَ البَـــدْرِ بَـــدْرِ الـــسَّمَا

لِـــسَبْعٍ وَخَمْـــسٍ مَـــضَتْ وَاثْنَـــيْنِ

وَيَــا كَامِــلَ الحُــسْنِ فِــي شِــبْهِهِ

شَــغَلْتَ فُــؤَادِي وَأَسْــهَرْتَ عَيْنِــي

فَهَــلْ لِــي فِــي مَطْمَــعٍ أَرْتَجِيــهِ

وَإِلاَّ انْــصَرَفْتُ بِخُفَّــيْ حُنَــيْنِ

وَيَــشْمَتُ بِــي شَــامِتٌ فِــي هَــوَاكَ

وَيُــصْبِــحُ لِــي مِنْــكَ صِــفْرُ اليَــدَيْنِ

وارتفعت رتبة القاضي محمد عنـد العزيز، حتى أقعده معـه على السرير يوم عيـد النحـر، سنة خمس وثمانين وثلاث مئـة، وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الأخيرة، رابع صفر، **سنة تسع وثمانين وثلاث مئة**، وركب الحاكم إلى داره بالقاهرة، وصلى عليه فيها، ووقف على دفنه، ثم انصرف إلى قصره.

وكانت ولادته يوم الأحـد، لثلاثٍ خلون من صفـر، سنة أربعين وثلاث مئة بالمغرب.

ثم قلد الحاكم القضاءَ أبـا عبـدالله الحسينَ بن علي النعمان الذي كان ينوب عن عمه محمد، لستٍّ خلون من شهر ربيع الأول، سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، وصُرف عن القضاء في يوم الخميس، سادس عشر رمضان، سنة أربع وتسعين وثلاث مئة، واستقر في القضاء ابنُ عمه أبو القاسم عبد العزيز بن محمد.

ثم ضُربت عنق الحسين المذكـور يوم الأحـد، سادس المحرم،

سنة خمسين وتسعين وثلاث مئة في حجرته، وأُحرقت جثته بأمر الحاكم؛ لقضية وقعت، واستقل أبو القاسم بالأحكام، وضم إليه الحاكم النظر في المظالم، ولم يجتمعا قبله لأحد من أهله، وعلت رتبته عنده، ثم صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة، سادس عشر رجب، سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة، وفوض الحكم إلى أبي الحسن مالك بن سعيد الفاروقي، وإخراجه عن أهل بيت النعمان.

ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل أبي القاسم عبد العزيز وجماعة، فقتلوهم ضرباً بالسيوف في ساعة واحدة، وذلك في يوم الجمعة، ثاني عشري جمادى الآخرة، سنة إحدى وأربع مئة.

وكانت ولادة أبي القاسم يوم الاثنين مستهل ربيع الأول، سنة أربع وخمسين وثلاث مئة.

* * *

٤٩٤ ـ السيدة نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وعنها ـ: دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق ﷺ، وقيل: بل دخلت مع أبيها، وكانت من الصالحات التقيات، ولما دخل الشافعي إلى مصر، حضر إليها، وسمع عليها الحديث.

وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم، وهو باقٍ إلى الآن.

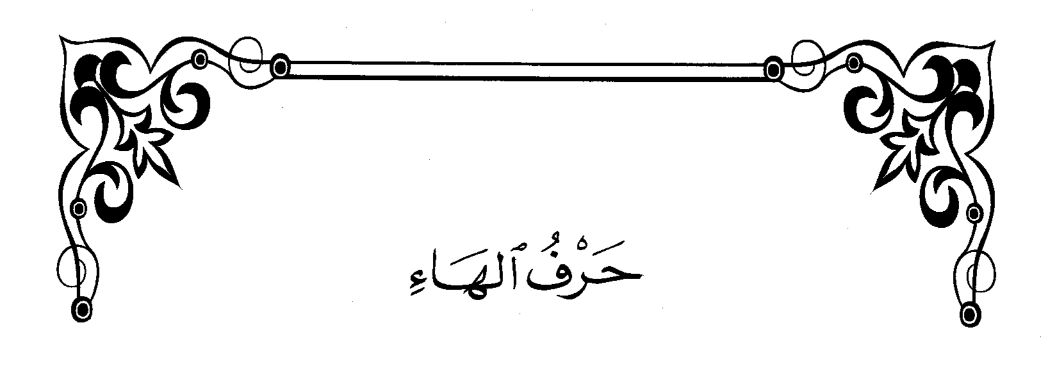
ولما توفي الشافعي، أدخلت جنازته إليها، وصلَّت عليه في دارها،

وكانت في موضع مشهدها اليوم، ولم تزلْ بـه إلى أن توفيـت في شهر رمضان، سنة ثمان[1] ومئتين، ودفنت به.

وهـذا المـوضع كان يعـرف ـ يوم ذاك ـ بدرب الشـارع، فخرب الدرب، ولم يبـق هناك سوى المشهد، وقبرها معروف بإجابة الدعاء، وهو مجرب.

* * *

(١) في الأصل زياده: «وثلاثين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٥/ ٤٢٤).



حَرْفُ الهَاءِ

٤٩٥ ـ الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة، العلويُّ الحسنيُّ، المعروف بابن الشجري، البغـداديُّ: كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب، كامل الفضائل، وله في النحو عدة تصانيف.

وكان حسن الكلام، حلو الألفاظ، وله شعر حسن، منه:

هَـلِ الوَجْـدُ خَـافٍ وَالـدُّمُوعُ شُـهُودُ
وَهَـلْ مُكْـذِبٌ قَـوْلَ الوُشَـاةِ جُحُـودُ

وَحَتَّـى مَتَـى تُفْنِـي شُـؤُونَكَ بالبُكَـا
وَقَـدْ جَـدَّ جِـدٌّ لِلبُكَـاءِ لَبِـيدُ

وَإِنِّـي وَإِنْ أَحْبَبْـتُ مَـا بِـي مُكْرَهـاً
لَـذُو مِـرَّةٍ فِـي النَّائِبَـاتِ جَلِيـدُ

ولـد سنـة خمسين وأربـع مئـة، وتوفي يـوم الخميس، السادس والعشرين في شهر رمضان، **سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة**.

والشجري: نسبة إلى شجرة، وهي قرية من أعمال المدينة ـ على

ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، وشجرة اسمُ رجل، وقد سمت به العرب ومن بعدها، ولا نعلم هل يُنسب الشريف المذكور إلى القرية، أو إلى أحد أجداده؟ والله أعلم.

* * *

٤٩٦ ـ أبو القاسم هبة الله بن أبي الحسين [بن] يوسف، وقيل: أحمد، المنعوت بالبديع الأُسطُرْلابي، الشاعرُ المشهور: أحد الأدباء الفضلاء، كان أوحد زمانه في عمل الآلات الفلكية، متقناً لهذه الصناعة، وحصل له من جهة عملها مال جزيل.

ومن محاسن شعره:

أَهْدَى لِمَجْلِسِنَا الكَرِيم وَإِنَّمَا
أَهْدَى لَهُ مَا حَازَ مِنْ نَعْمَائِهِ

كَالبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحابُ وَمَا لَهُ
فَضْلٌ عَلَيْهِ لأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

ومن قوله:

أَذَاقَنِي حُمْرَةَ المَنَايَا
لَمَّا اكْتَسَى خُضْرَةَ العِذَارِ

وَقَدْ تَبَدَّى السَّوَادُ فِيهِ
وكَارتي بعدُ في العِيَارِ

وكان ظريفاً في جميع حركاته.

توفي سنة أربع وثلاثين[1] وخمس مئة بعلة الفالج، ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد.

والأسطرلابي: نسبة إلى الأسطرلاب، وهو الآلة المعروفة، والأسطرلاب: لفظة يونانية معناها: ميزان الشمس.

* * *

٤٩٧ ـ أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين، المعروف بابن القطان، الشاعرُ المشهورُ البغداديُّ: سمع الحديث من جماعة، وسُمع عليه، وله نوادر ووقائع وحكايات ظريفة، وله ديوان شعر.

واتفق أنه كان بدمشق، وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وَجاهة بين الناس، فحلق بعضها، وحصلت فيه شفاعة، فعفا عن الباقي فعمل فيه، ولم يصرح باسمه بل رمزه وستره وهو:

زُرْتُ ابْنَ آدَمَ لَمَّا قِيلَ قَدْ حَلَقُوا
جَمِيعَ لِحْيَتِهِ مِنْ بَعْدِ مَا ضُرِبَا

فَلَمْ أَرَ النِّصْفَ مَحْلُوقاً فَعُدْتُ لَهُ
مُهَنِّئاً بِالَّذِي مِنْهَا لَهُ وُهِبَا

---

(١) في الأصل: «وثمانين»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٦/ ٥٢).

فَقَــامَ يُنْــشِدُنِي وَالــدَّمْعُ يَخْنُقُــهُ

بَيْتَــيْنِ مَــا نُظِمَــا مَيْنــاً وَلاَ كَــذِبَا

إِذَا أَتَتْــكَ بِحَلْــقِ الــرَّأْسِ طَائِفَــةٌ

فَــاخْلَعْ ثِيَابَــكَ مِنْهَــا مُمْعِنــاً[1] هَرَبَــا

وَإِنْ أَتَــوْكَ وَقَــالُوا إِنَّهَــا نُــصِفَتْ

فَــإِنَّ أَطْيَــبَ نِــصْفَيْهَا الَّــذِي ذَهَبَــا

ولد في ضحى يوم الجمعة، السابع من ذي الحجة، سنة سبع وسبعين وأربع مئة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ببغداد، ودفن بمقبرة معروف الكَرخي، وقيل: توفي يوم عيد الفطر.

وأخباره كثيرة.

* * *

٤٩٨ ـ القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبدالله محمد بن هبة الله [بن] محمد السعدي، الشاعرُ المشهورُ المصريُّ: صاحب ديوان «الشعر البديع والنظم الرائق»، أحد الفضلاء والنبلاء، وله شعر حسن، منه:

لاَ الغُــصْنُ يَحْكِيــكَ وَلاَ الجُــؤْذُرُ

حُــسْنُكَ مِمَّــا كَثَّــرُوا أَكْثَــرُ

---

(١) في الأصل: «ممتعاً».

يَـــا بَاسِـــماً أَبْـــدَى[1] لَنَـــا ثَغْـــرُهُ
عِقْـــداً وَلَكِـــنْ كُلُّـــهُ جَـــوْهَرُ
قَـــالَ لِـــيَ اللاَّحِـــي: أَلاَ تَـــسْتَمِعْ
فَقُلْـــتُ: يَـــا لاَحِـــي أَلاَ تُبْـــصِرُ

وله من جملة أبيات:

وَمَـــا كَـــانَ تَرْكِـــي حُبَّـــهُ عَـــنْ مَلاَلَـــةٍ
وَلَكِـــنْ لأَمْـــرٍ يُوجِـــبُ القَـــوْلَ بِـــالتَّرْكِ
أَرَادَ شَـــرِيكاً فِـــي المَحَبَّـــةِ ثَانِيـــاً
وَإِيمَـــانُ قَلْبِـــي لاَ يَمِيـــلُ إِلَـــى الـــشِّرْكِ

وله نوادر كثيرة.

توفي في العشر الأول من شهر رمضان، **سنة ثمان وست مئة** بالقاهرة، ولم يبلغ عمره ستين سنة، وتوفي والده جعفر في منتصف شهر رمضان، سنة ثمانين وخمس مئة.

* * *

٤٩٩ ـ هَمَّامُ بنُ غالب، وقيل: هُميم ـ بالتصغير ـ بن غالب، وكنيته: أبو الأخطل بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان

---

(١) في الأصل: «أهدى».

ابن مجاشع بن دارم ـ واسمه بحر ـ بن مالك ـ واسمه عوف ـ التميميُّ المعروفُ بالفرزدق، الشاعرُ المشهور، صاحبُ جرير: كان أبوه غالب من جلَّة قومه، وأمه ليلى بنت حابس أختُ الأقرع بن حابس، ولأبيه مناقب مشهورة، ومحامد مأثورة، وكان هَمَّام أنشد سليمان بن عبد الملك الأموي قصيدة، فلما انتهى منها إلى قوله:

ثَلاَثٌ وَاثْنَتَانِ فَهُنَّ خَمْسٌ
وَثَالِثَةٌ تَمِيلُ إِلَى سِهَامِ

فَبِتْنَ بِجَانِبِيَّ مُصَرَّمَاتٍ
وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاَقَ الخِتَامَ

كَأَنَّ مَعَالِقَ الرُّمَّانِ فِيهِ
جَمْرُ غَضاً قَعَدْتُ عَلَيْهِ حَامِي

فقال له سليمان: قد أقررتَ عندي بالزنا، وأنا إمام، ولا بد من إقامة الحد عليك، فقال له الفرزدق: من أين أوجبتَ عليَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: بقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور: ٢]، فقال الفرزدق: كتاب الله يدرؤه عني بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦]، فأنا قلت ما لم أفعل، فتبسَّم سليمان، وقال: أولى لك.

وتوفي الفرزدق بالبصرة سنة عشر ومئة، قبل جرير بأربعين يوماً، وقيل: ثمانين يوماً، وقيل: إنهما توفيا سنة إحدى عشرة ومئة.

والفرزدق لقب عليه، والفرزدق: مقطَّع العجين، وإنما لقب به؛ لأنه كان جهم الوجه.

وله أخبار ونوادر يطول شرحها.

* * *

٥٠٠ ـ أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبي اسحاق إبراهيم بن هلال، الحرانيُّ الكاتبُ: هو حفيد أبي إسحاق الصابئ صاحبِ الرسائل المشهورة، وكان صدوقاً، ذا فضائل جمة وتَواليف نافعة، ولد في شوال، سنة تسع[1] وخمسين وثلاث مئة، وتوفي ليلة الخميس، سابع عشر شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وأربع مئة.

* * *

٥٠١ ـ أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر البحتريُّ الكوفيُّ: كان راوية أخبار، نقل من كلام العرب وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً، وكان يرى برأي الخوارج، وله مصنفات في علم التواريخ، واختص بمجالس المنصور، والمهـدي، والهادي، والرشيد، وروى عنهم.

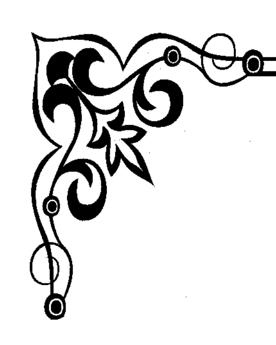
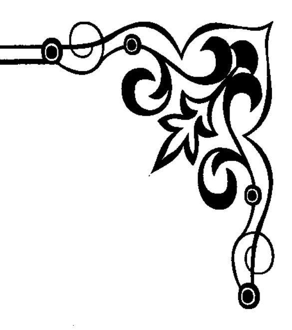
---

(١) في الأصل: «سبع»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٦/ ١٠٥).

وكانت ولادتـه سنة ثلاثين ومئـة، وتوفي في غـرة المحرم، سنة ست، وقيل: سبع ومئتين[1].

* * *

(١) في الأصل: «وثمانين ومئة»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٦/ ١١٣).

حَرْفُ ٱلـوَاو

٥٠٢ ـ واصل بن عطاء، المعتزليُّ المعروفُ بالغَزَّال: مولى بني أمية[1]، وقيل: مولى بني مخزوم.

كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره.

وذكر السمعاني في كتاب «الأنساب» في ترجمة المعتزلي: أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري، فلما ظهر الخلاف، وقال الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقال الجماعة بأنهم مؤمنون، وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين، وقال: إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، في منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه، فاعتزل عنه، وجلس إليه عَمرو بن عُبيد، فقيل لهما ولمن تبعهما: معتزلون.

وكان واصل بن عطاء ألثغ، ويخلص كلامه من الراء، ولا يفطن سامعه لذلك؛ لاقتداره على الكلام، وكان يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه، واستعمل الشعراء ذلك في شعرهم، حتى قال

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٧)، وفيه: «مولى بني ضبة».

بعضهم في محبوبٍ ألثغ:

أَجَعَلْتَ وَصْلِي الرَّاءَ لَمْ تَنْطِقْ بِهَا
وَقَطَعْتَنِي حَتَّى كَأَنِّي وَاصِلُ

فما أحسن قوله: قطعتني حتى كأني واصل.

وأخباره كثيرة، وكانت ولادته سنة [ثمانين، وتوفي سنة][1] إحدى وثلاثين ومئة[2].

* * *

٥٠٣ ـ أبو عُبادة الوليد بن عُبيد بن يحيى بن عُبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مُسْهِر، الطائيُّ البحتريُّ الشاعرُ المشهورُ: ولد بمنبج، ونشأ وتخرج بها، ثم خرج إلى العراق، ومدح جماعة من الخلفاء، وخلقاً من الرؤساء، وأقام ببغداد، ثم عاد إلى الشام، وله أشعار كثيرة:

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ لِلعَبْدِ نِعْمَةٌ
وَمَنْ يَشْكُرِ المَعْرُوفَ فَاللهُ زَائِدُهْ

لِكُلِّ زَمَانٍ وَاحِدٌ يُقْتَدَى بِهِ
وَهَذَا زَمَانٌ أَنْتَ لاَ شَكَّ وَاحِدُهْ

---

(١) ما بين معكوفتين من «وفيات الأعيان» (٦/ ١١).

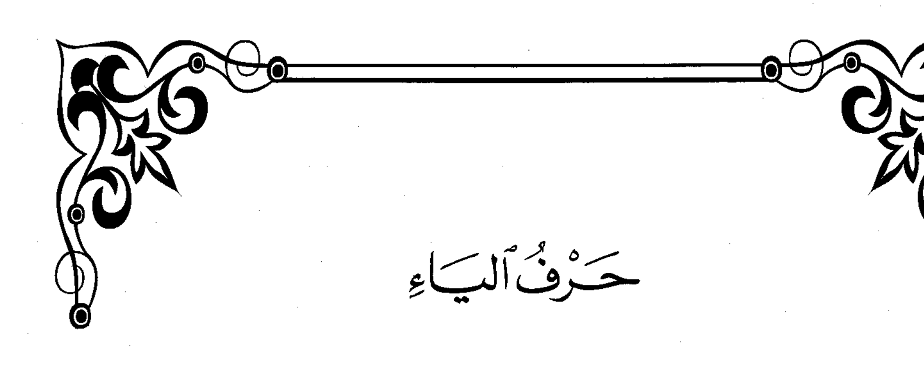
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ١١)، وفيه: «وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة».

وكانت ولادته سنة خمس ومئتين، وتوفي سنة أربع وثمانين ومئتين بمنبج، وقيل: بحلب.

ومنبج: بليدة بالشام بين حلب والفرات، بناهـا كسرى لما غلب على الشام، وسماها: منبه، فعربت[1].

* * *

(١) في الأصل: «تعريب».



حَرْفُ اليَاءِ

٥٠٤ ـ ياروق التركماني: كان مقدَّماً جليل القدر في قومه، وإليه تُنسب الطائفة الياروقية من التركمان، وكان عظيم الخِلْقة، هائل المنظر، سكن بظاهر حلب في جهتها القبلية، وبنى على شاطئ قويق [فوق] تل مرتفع هو وأهله [وأتباعه، أبنية كثيرة مرتفعة][1]، وعمائر متسعة، وتعرف الآن بالياروقية، وسكنها هو ومن معه، وهي معمورة، يتردد إليها أهل حلب في أيام الربيع، ويتنزهون على قويق.

وتوفي ياروق في المحرم، **سنة أربع وستين وخمس مئة**.

وقُوَيق ـ بضم القاف الأولى وإسكان الثانية، وفتح الواو ـ: نهر صغير بظاهر حلب، يجري في الشتاء والربيع، وينقطع في الصيف.

* * *

٥٠٥ ـ أبو الدر ياقوت الموصلي، الكاتبُ الملقب: أمين الدين، المعروف بالمليكي؛ نسبة إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق

(١) ما بين معكوفتين من «وفيات الأعيان» (٦/ ١١٧).

ابن محمد بن ملكشاه: نزل بالموصل، وأخذ النحو عن ابن الدهان النحوي، وكتب الكثير، وانتشر خطه في الآفاق، وكان في نهاية الحسن، ولم يكن في أواخر زمانه من يجاريه في حسن الخط، ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله، مع فضل غزير، ونباهة تامة، وكتب عليه خلق كثير، وقصده الناس من البلاد، وتوفي بالموصل، **سنة ثماني عشرة وست مئة**، وقد أسنَّ، وتغير خطُّه من الكبر ـ رحمه الله ـ.

* * *

٥٠٦ ـ أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي، الملقب: مهذب الدين، الشاعرُ المشهور، مولى أبي منصور الجيلي التاجر: اشتغل بالعلم، وأكثر من الأدب، واستعمل قريحته في النظم، فأجاد فيه، ولما مهر، سمى نفسه: عبد الرحمن، وكان مقيماً بالمدرسة النظامية ببغداد، وحفظ القرآن، وقرأ أشياء من الأدب، وكتب خطاً حسناً، وراق شعره وحفظه الناس، ومن شعره:

جَسَدِي لِبُعْدِكَ يَا مُثِيرَ بَلاَبِلِي
دَنِفٌ بِحُبِّكَ مَا أَبَلَّ بَلَى بَلِي

يَا مَنْ إِذَا مَا لاَمَ فِيهِ لَوَائِمِي
أَوْضَحْتُ عُذْرِي بِالعِذَارِ السَّائِلِ

أَتُجِيزُ قَتْلِي فِي «الوَجِيزِ» لِقَاتِلٍ
أَمْ حَلَّ فِي «التَّهْذِيبِ» أَمْ فِي «الشَّامِلِ»

أَمْ فِـي «المُهَـذَّبِ» أَنْ يُعَـذَّبَ عَاشِـقٌ
ذُو مُقْلَـةٍ عَبْـرَى ودَمْـعٍ هَائِـلِ
أَمْ طَرْفُـكَ الفَتَّـاكُ قَـدْ أَفْتَـاكَ فـي
تِلْـكَ النُّفُـوسِ بِـسِحْرِ طَرْفٍ بَابِـلِي

ووجد ياقوت ميتاً بمنزله ببغداد، في الثاني عشر من جمادى الأولى، سنـة اثنتين وعشرين وسـت مئـة، ويقـال: إنـه تـوفي قبـل ذلك بأيام ـ رحمه الله ـ.

والرومي: نسبة إلى الروم، وهو إقليم مشهور ومتسع.

وهاهنا نكتة غريبة يحتاج إليها، ويكثر السؤال عنها، وهي أن الروم يقال لهم: بنو الأصفر، واستعملته الشعراء في أشعارهم، فمن ذلك: قول عدي ابن زيد العبادي من جملة قصيدة مشهورة:

وَبَنُـو الأَصْـفَرِ الكِـرَامُ مُلُـوكُ الـ
ـرُّومِ لَـمْ يَبْـقَ مِـنْهُمُ مَـذْكُور

فنقـل عن العباس عن أبيـه، قال: انخـرم ملك الروم في الزمـان الأول، فبقيـت منـه امـرأة، فتنافسوا في الملك حتى وقـع بينهم شـر، فاصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم، فجلسوا لذلك، فأقبل رجل من اليمن معه عبدٌ له حبشي يريد الروم، فأَبَقَ العبدُ منه، فأشرف عليهم، فقالوا: انظروا أي شيء وقعتم، فزوجوه تلك الإمرأة، فولدت

غلاماً، فسموه: الأصفر، فجاء مولى العبد، فقال: هذا عبدي، فقال الغلام: صدق، أنا عبده، فأرضوه، فأعطوه حتى رضي، فبسبب ذلك قيل للروم: بنو الأصفر؛ لصفرة لون الولد؛ لكونه مولَّداً بين الحبش والمرأة البيضاء، والله أعلم.

* * *

٥٠٧ ـ أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، الروميُّ الجنس، الحَمَوِيُّ المولد، البغداديُّ الدار، الملقب: شهاب الدين: أُسر من بلاده صغيراً، وابتاعه ببغداد رجل يعرف بعسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحموي، وجعله في الكُتَّاب؛ لينتفع به في ضبط تجارته، وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط، ولا يعرف شيئاً سوى التجارة، ولما كبر ياقوت، قرأ شيئاً من النحو واللغة، وشغله مولاه بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه، وأبعده عنه.

فاشتغل بالنسخ بالأجرة، وحصلت له بالمطالعة فوائد، ثم عطف عليه، ثم توفي مولاه، فكان يتَّجر، وجعل بعض تجارته كتباً، وكان متعصباً على علي ﷺ، وكان قد طالع شيئاً من كتب الخوارج، فتشكل في ذهنه منه طَرَف قوي.

وتوجه إلى دمشق، وقعد في بعض أسواقها، وناظر بعض من يتعصب لعلي ﷺ، وجرى بينهما كلام رديء، فثار الناس عليه، وكادوا يقتلونه، فسَلِم منهم، وخرج من دمشق منهزماً، ووصل إلى حلب

خائفاً يترقب، ووصل إلى الموصل، ثم انتقل إلى إربل، ثم وصل خراسان، واستوطن بمدينة مرو، ومضى إلى خُوارزم، فصادفه خروج التتر في سنة ست عشرة وست مئة، وانهزم بنفسه؛ كبعثه يوم الحشر من رمسه، وقاسى في طريقه من الضائقة والتعب ما كان يكلُّ عن شرحه إذا ذكره، ووصل إلى الموصل، وقد انقطعت به الأسباب، ثم انتقل إلى سنجار، وارتحل منها إلى حلب، وأقام بظاهرها في الخان إلى أن مات.

وله مصنفات كثيرة مفيدة، ومراسلات بليغة، وأشعار حسنة، فمن شعره في غلام تركي قد رَمَدت عينه، وعليها وقاية سوداء قوله:

وَمُوَلَّدٍ لِلتُّرْكِ تَحْسَبُ وَجْهَهُ ... بَدْراً يُضِيءُ سَنَاهُ بِالإِشْرَاقِ

أَرْخَى عَلَى عَيْنَيْهِ فَضْلَ وِقَايَةٍ ... لِيَرُدَّ فِتْنَتَهَا عَنِ العُشَّاقِ

تَاللهِ لَوْ أَنَّ السَّوَابِغَ دُونَهَا ... نَفَذَتْ فَهَلْ لِوِقَايَةٍ مِنْ رَاقِ

ولد ياقوت المذكور سنة أربع وسبعين وخمس مئة ببلاد الروم، وتوفي يوم الأحد العشرين من شهر رمضان، **سنة ست وعشرين وست** مئة في الخان بظاهر مدينة حلب، وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدي بدرب دينار ببغداد، وسلمها إلى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير صاحب «التاريخ الكبير»، فحملها إلى هناك، ولما تميز ياقوت، واشتهر، سمى نفسه: يعقوب.

قال ابن خلكان: قدمتُ حلب للاشتغال [بها] في مستهل ذي القعدة، سنة وفاته، وكان عقيب موته، وسمعت الناس يُثنون عليه،

ويذكرون فضله وأدبه، ولم يقدَّر لي الاجتماع به[1].

* * *

٥٠٨ ـ **أبو محمد يحيى بن أَكْثَم بن محمد بن قطن بن سمعان، التميميُّ الأسديُّ المروزيُّ**: من ولد أكثم بن صَيْفِي حكيمِ العرب، كان عالماً بالفقه، بصيراً بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، وكان سليماً من البدعة، راغباً في مذهب أهل السنة، وكان أحد أعلام الدنيا ومَن قد اشتُهر أمره، وعرف خيره، ولم يستتر عن الصغير والكبير من الناس فضلُه وعلمه، وسياستهُ ورياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك، واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن المعارضة، قائم بكل معضلة، وغلب على المأمون، حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً، أخذ بمجامع قلبه حتى قلَّده قضاء القضاة، وتدبير أهل مملكته، وكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعته، وكان المأمون أراد أن يولي رجلاً على القضاء، فوُصف له يحيى، فاستحضره، فلما دخل عليه، وكان دميم الخلق، فاستحقره المأمون، فعلم ذلك يحيى، فقال: يا أمير المؤمنين! سلني إن كان القصد علمي لا خَلقي، فسأله عن مسألة في الفرائض، فأجاب عنها، فقلَّده القضاء.

ولما ولي قضاء البصرة، كان سنه عشرون سنة، فاستصغره أهل البصرة، فقالوا: كم سن القاضي؟ فعلم أنه قد استُصغر، فقال: أنا أكبر

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ١٣٩).

من عتَّاب بن أُسيد حين وجَّهه رسول الله ﷺ قاضياً على أهل مكة[1] يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجَّه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سعد الذي وجه به عمر رضي الله عنه قاضياً على أهل البصرة، فجعل جوابه احتجاجاً، وكان رسول الله ﷺ قد ولَّى عتاب ابن أسيد مكة بعد فتحها، وله إحدى وعشرون سنة، وكان إسلامه يوم فتح مكة، وقال لرسول الله ﷺ: أصحبك، وأكون معك، فقال: «وَمَا تَرْضَى أَنْ أَسْتَعْمِلَكَ عَلَى آلِ اللهِ تَعَالى»، فلم يزل عليهم حتى قُبض رسولُ الله ﷺ.

وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهداً، فتقدم إليه أحد الأمناء، فقال: أيها القاضي! قد وقفت الأمور وترتبت، فقال القاضي: وما السبب؟ قال: في ترك القاضي قبول الشهود، فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهداً.

وكانت ولاية القاضي يحيى القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومئتين، وعزل عنها في سنة عشر ومئتين[2].

وكانت كتب يحيى في الفقه أجلَّ كتب، فتركها الناس لطولها، وله كتب في الأصول وغيرها، ولم يكن فيه ما يُعاب به سوى ما كان يُتَّهم به

---

(١) في الأصل: «اليمن».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ١٤٩)، وفيه: «عزل يحيى عن قضاء البصرة سنة عشرين ومئتين».

من الهيئات المنسوبة إليه، الشائعة عنه، والله أعلم بحاله فيها.

وذكر لأحمد بن حنبل ﷺ ما يقول الناس عنه من حب الغلمان، فقال: سبحان الله، سبحان الله! من يقول هذا؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً.

وكان مفنناً، إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه، سأله عن الحديث، وإذا رآه يعلم النحو، سأله عن الكلام؛ ليقطعه ويخجله، فدخل عليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ، فناظره، فرآه مفنناً، فقال له: نظرتَ في الحديث؟ قال: نعم، قال: ما تحفظ من الأصول؟ قال: أحفظ عن شريك عن أبي إسحاق عن الحارث: أن علياً ﷺ رجم لوطياً، فأمسك، ولم يكلمه.

وذُكر: أن المأمون قال ليحيى بن أكثم: من الذي يقول:

قَـاضٍ يَـرَى الحَـدَّ فـي الزِّنَـاءِ وَلاَ
يَـرَى عَلَـى مَـنْ يَلُـوطُ مِـنْ بَـاسِ

قال: أو ما يعلم أمير المؤمنين من القائل له؟ قال: لا، يقول: الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول:

لاَ أَحْسَبُ الجَوْرَ يَنْقَضِي وَعَلَى الْـ
أُمَّـةِ وَالٍ مِـنْ آلِ عَبَّـاسِ

فأفحم المأمون خجلاً، وقال: ينبغي أن يُنفى أحمد بن أبي نعيم إلى السِّند.

وأخبار يحيى ونـوادره كثيـرة، ولم تزل الأحـوال تختلف عليـه، وتتقلب به إلى أيام المتوكل على الله، فلما عزل محمد ابن القاضي أحمد ابن أبي دؤاد عن القضاء، فوض الولاية إلى القاضي يحيى، وخلع عليه خمس خِلَع، ثم عزله في سنة أربعين ومئتين، وأخذ أمواله، وولى في رتبته جعفر بن عبد الواحـد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي، فجاء كاتبه إلى القاضي يحيى، فقال: سلِّمِ الديوان، فقال: شاهدان عدلان أنه أمرني بذلك، فأخذ منه الديوان قهراً، وغضب عليه المتوكل، وأمر بقبض أمواله وأملاكه، وإلزامه بيته، ثم حج، وحمل أخاه معه، وعزم على أن يجاور، فلما اتصل به رجوع المتوكل، بدا له في الرجوع يريد العراق، فلما وصل إلى الرَّبْذة، توفي بها يوم الجمعة، نصف شهر ذي الحجة، سنة اثنتين وأربعين ومئتين، ودفن هناك، وعمره ثلاث وستون سنة.

وأكثم ـ بفتح الثاء المثلثة ـ: هو الرجل العظيم البطن.

وحكى أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن سعيد، قال: كان يحيى ابن أكثم القاضي صديقاً لي، وكان يودُّني وأودُّه، فمات يحيى، فكنت أشتهي أن أراه في المنام، وأقـول لـه: ما فعل الله بك؟ فرأيتـه ليلة في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، إلا أنه وبَّخني، ثم قال لي: يا يحيى! خَلَّطت، فقلت: يا ربي! اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ قُلْتَ: إِنِّي لأَسْتَحْيِي أَنْ أُعَذِّبَ ذَا شَيْبَةٍ

بِالنَّارِ»، فقال: قد عفوتُ عنك يا يحيى، وصدق نبيي، إلا أنك خلطت عليَّ في دار الدنيا ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ[1].

* * *

٥٠٩ ـ **أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي**: الواعظ، أحدُ رجال الطريقة، خرج إلى بَلْخ، وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور، ومات بها.

وكان يقول: الجوع للمريدين رياضة، وللتابعين تَجْرِبة، وللزهاد سياسة، وللعارفين مَكْرُمة، والوحدة جليس الصديقين، والفوت أشد من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق، والزهد ثلاثة أشياء: القلة، والخلوة، والجوع، ومن خان الله في السر، هتك الله ستره في العلانية.

وكان له إشارات وعبارات حسنة.

ومن دعائه: اللهم إن كان ذنبي قد أخافني، فإن حسن ظني بك قد أجارني، اللهم سترتَ عليَّ في الدنيا ذنوباً أنا إلى سترها في القيامة أحوجُ، قد أحسنت بي إذْ لم تُظهرها لعصابة من المسلمين، فلا تفضحني ذلك اليوم على رؤوس العالمين، يا أرحم الراحمين.

ودخل على علويّ زائراً له، ومسلِّماً عليه، فقال له العلوي: أيَّد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت؟ قال: ما أقول في طين عُجن بماء

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٩٠).

الوحي، وغُرس بماء الرسالة، فهل يفوح منها إلا مسكُ الهدى، وعنبر التقى، فحشا العلويُّ فاه بالدُّرِّ، ثم زاره من غد، فقال يحيى:

إنْ زُرتَنا فبفضلك، وإن زرناكَ فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومَزوراً.

وله كل كلام مليح.

وتوفي سنة ثمان وخمسين ومئتين بنيسابور ـ رحمه الله ـ.

* * *

٥١٠ ـ أبو سليمان، وقيل: أبو سعيد يحيى بن يعمر، العَدْوانيُّ الوشقيُّ النحويُّ البصريُّ: كان تابعياً، لقي عبدالله بنَ عمر، وعبدالله ابن العباس رضي الله عنهما، وغيرَهما، وانتقل إلى خراسان، وتولى القضاء، وكان عالماً بالقرآن الكريم، والنحو ولغات العرب.

وكان شيعياً من الشيعة الأُول، القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تَنَقُّص الذين فضل من غيرهم.

وحكي: أن الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه أن يحيى بن يعمر يقول في الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله ﷺ، فطلبه من خراسان، فلما قام بين يديه، قال له: أنت الذي تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأُلقِيَنَّ الأكثر منك شَعْراً، أو لتخرجَنَّ من ذلك، قال: أماني إنْ خرجتُ؟ قال: نعم. قال: فإن الله ـ جل ثناؤه ـ يقول: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ

﴿وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ . . .﴾[الأنعام: ٨٤ ـ ٨٥] الآية. قال: وما بين عيسى وإبراهيم أكثرُ مما بين الحسن والحسين، وبين محمد ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ، فقال له الحجاج: ما أراك إلا وقد خرجت، والله! لقد قرأتُها، وما علمت بها قط.

وهذا من الاستنباطات البليغة الغريبة العجيبة، فلله درُّه ما أحسنَ ما استخرج، وأدقَّ ما استنبط!

وأخباره كثيرة، وفضائله مشهورة.

توفي سنة تسع وعشرين ومئة ـ رحمه الله ـ.

* * *

٥١١ ـ أبو بكر[١] يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي، الأندلسيُّ القرطبيُّ: الشاعرُ المشهورُ صاحبُ الموشَّحات البديعة، ومن شعره:

وَمَشْمُولَةٍ فِي الكَأْسِ تَحْسَبُ أَنَّهَا
سَمَاءُ عَقِيقٍ رُصِّعَتْ بِالكَوَاكِبِ
بَنَتْ كَعْبَةَ اللَّذَّاتِ فِي حَرَمِ الصِّبا
فَحَجَّ إِلَيْهَا الكَرْمُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

---

(١) في الأصل: «زكريا»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٦/ ٢٠٢).

ومحاسنه في الشعر كثيرة.

توفي سنة أربعين وخمس مئة.

* * *

٥١٢ ـ أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد، الملقبُ: معين الدين، المعروف بالخطيب الحصَكفي: صاحبُ ديوان الشعر والخطب والرسائل، ولد بطيرة[1] ونشأ بحصن كيفا، وقدم بغداد، واشتغل بالأدب، وقرأ الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأجاد فيه، ثم رحل عن بغداد راجعاً إلى بلاده، ونزل مَيَّافارقين، واستوطنها، وكان إليه أمرُ الفتوى، وكان علامة الزمان.

قال العماد الأصفهاني: وأنشدني له بعض الفضلاء ببغداد خمسة أبيات كالخمسة السيارات، مستحسنات مطبوعات مصنوعات، وهي قولهُ:

أَشْكُو إِلَى اللهِ مِنْ نَارَيْنِ: وَاحِدَةٍ
فِي وَجْنَتَيْهِ وَأُخْرَى مِنْهُ فِي كَبِدِي

وَمِنْ سَقَامَيْنِ: سُقْمٍ قَدْ أَحَلَّ دَمِي
مِنَ الجُنُونِ وَسُقْمٍ حَلَّ فِي جَسَدِي

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٠٥)، وفيه: «ولد بطنزة».

وَمِــنْ نَمُــومَيْنِ: دَمْعِــي حِــينَ أَذْكُــرُهُ

يُــذِيعُ سِــرِّي وَوَاشٍ مِنْــهُ بِالرَّصَــدِ

وَمِـنْ ضَـعِيفَيْنِ: صَـبْرِي حِـينَ أَذْكُـرُهُ

وَوُدِّهِ[1] وَيَــرَاهُ النَّــاسُ طَــوْعَ يَــدِي

مُهَفْهَـفٌ رَقَّ حَتَّـى قُلْـتُ مِـنْ عَجَـبٍ

أَخَــصْرُهُ خِنْــصري أَمْ جِلْــدُهُ جَلَــدِي

وللخطيب الخطبُ المليحة، والرسائل المنتقـاة، ولم يـزل على رياسته وجلالته وإفادته إلى أن توفي سنة إحدى، وقيل: **ثلاث وخمسين وخمس مئة**.

والحَصْكَفي: نسبة إلى حصن كَيْفا: وهي قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وَميَّافارقين.

* * *

٥١٣ ـ أبو الفضل[2] يحيى بن خالد برمك: وزير هارون الرشيد، وهو والد جعفر والفضل، وكان جدُّهم برمك من مجوس [بلخ]، وكان يخدم النوبهار، وهو معبـد المجوس بمدينـة بَلْخ، توقـد فيـه النيران، واشتهر برمك، وكان عظيم المقدار عندهم، وساد ابنه خالد، وتقدم في

---

(١) في الأصل: «وودَّدني».

(٢) في الأصل: «علي»، والتصويب من «وفيات الأعيان» (٦/ ٢١٩).

الدولة العباسية، وتولى الوزارة، وأما يحيى، فإنه كان من العقل وجميع الخلال على أكمل حال، وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور قد ضم إليه ولده هارون الرشيد، وجعله في حجره، فلما استخلف هارون، عَرَفَ له حقه، وقال له: أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك وحسن تدبيرك، وقد قلَّدتك الأمر، ودفع إليه خاتمه، وكان يعظِّمه، وإذا ذكره، قال: أبي، وجعل إصدار الأموال وإيرادها إليه، إلى أن نكبت البرامكة، فغضب عليه، وخلَّده في الحبس إلى أن مات، وقَتل ابنه جعفراً، وكان من الكرماء البلغاء العقلاء.

ومن كلامه: ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية، والكتاب، والرسول.

ولما قتل هارون جعفر بن يحيى البرمكي، نكب البرامكة، وحبس يحيى والفضل بالرقة، وهي البلد المشهور على شاطئ الفرات.

ويحكى: أن خالد بن يحيى اشتهى في وقت من الأوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة، فلم يطق اتخاذها إلا بمشقة، فلما فرغ منها، سقطت القدرة من المتخذ لها، وانكسرت، فأنشد يحيى أبياتاً يخاطب الدنيا وغيرها، وضمنها اليأس وقطع الأطماع.

ولم يزل يحيى في حبس الرقة إلى أن مات في الثالث من المحرم، سنة تسعين ومئة، ومات فجأة من غير علة، وهو ابن سبعين سنة، وقيل: أربع وسبعين، وصلى عليه ابنه الفضل، ودفن في شاطئ الفرات.

ووُجِدَتْ في جبته رقعةٌ فيها مكتوب: قد تقدم الخصم، والمدعى

عليه في الأثر، والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجور، ولا يحتاج إلى بينة، فحُملت الرقعة إلى الرشيد، فلم يزل يبكي يومه كلَّه، وبقي أياماً يتبين الأسى في وجهه، وندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة، وتحسَّر على ما فرط في أمرهم.

وحكي: أنه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعةٌ فيها:

وَحَقِّ اللهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُومُ ... وَإِنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

تَنَامُ وَلَنْ تَنَمْ عَنْكَ المَنَايَا ... تَقَدَّمْ لِلمَنِيَّةِ يَا نَؤُومُ

إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي ... وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

وأخباره في السخاء والكرم والجود كثيرة مشهورة ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٥١٤ ـ الوزير عون الدين يحيى [بن هُبيرة] بن محمد بن هُبيرة بن سعيد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن جهم بن عمر[و] بن هبيرة، الشيبانيُّ الحنبليُّ، الملقب: عون الدين، وهو من قرية ببلد العراق تعرف بقرية بني أوقر ـ بالقاف ـ من أعمال دُجيل، وكان والده من آحادها، ودخل بغداد في صباه، واشتغل بالعلم، وجالس الفقهاء والأدباء، وكان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وسمع الحديث، وحصَّل من كل فن طرفاً، وقرأ الكتاب العزيز، وختمه بالروايات، ولازم الكتابة،

وتعلَّم صناعة الإنشاء، وحدَّث عن الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين وغيره.

وأول ولايته الإشراف، ثم قلد في سنة اثنتين وأربعين كتابه ديوان الزمام، ثم ترقى إلى الوزارة في أيام المقتفي؛ لأسباب يطول شرحها.

وتولى الوزارة يوم الأربعاء، ثالث شهر ربيع الآخر، سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وكان لقبه: جلال الدين، فلما ولي الوزارة، لقَّبوه: عون الدين.

وكان عالماً فاضلاً، ذا رأي صائب، وسريرة صالحة، وكان مكرماً لأهل العلم، يحضر مجلسه العلماء، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره، وصنف كتاب «الإفصاح عن شرح معاني الصحاح»، وهو مشتمل على تسعة عشر كتاباً، وله كتاب «العبادات في الفقه» على مذهب الإمام أحمد، ومصنفات كثيرة مفيدة.

ولما توفي الإمام المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر ليلة الأحد، ثاني عشر ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وخمس مئة، وبويع ولده المستنجد أبو المظفر يوسف، فدخل عليه، وبايعه، وأقره على وزارته، وأكرمه، وكان خائفاً منه أن يعزله، فلم يتعرض له.

ولم يزل مستمراً في وزارته إلى حين وفاته.

ومدحه جماعة من أماثل شعراء عصره، وكان أكثر ما ينشد:

مَـا نَاصَـحَتْكَ خَبَايَـا الـوُدِّ مِـنْ أَحَـدٍ
مَـا لَـمْ يَنَلْـكَ بِمَكْـرُوهٍ مِـنَ العَـذَلِ

مَـــوَدَّتِي لَـــكَ تَـــأْبَى أَنْ تُـــسَامِحَنِي
بِـــأَنْ أَرَاكَ عَلَـــى شَـــيْءٍ مِـــنَ الزَّلَـــلِ

ومحاسنه كثيرة.

ولد في ربيع الآخر، سنة تسع وتسعين وأربع مئة، وكان يسأل الله الشهـادة، ويتعرض لأسبابها، وكان صحيحـاً يوم السبـت، ثاني عشر جمادى الأولى، سنة ستين وخمس مئة، فنام ليلة الأحد في عافية، فلما كان وقت السَّحر، قاء، فحضره طبيب كان يخدمه، فسقاه شيئاً، فيقال: إنه سَمَّه، فمات، وسُقي الطبيب بعـده بنحو ستة أشهر سماً، فكان يقول: سُقيت كما سَقيت، ومات الطبيب.

ولما خرجت جنازة الوزير، غلقت الأسواق ببغداد، ولم يتخلف عن جنازتـه أحـد، وصُلي عليـه في جامـع المنصور، وحُمل إلى باب البصرة، فدفن في مدرسته التي أنشأها، وقد دثرت الآن، وكان مشكوراً محمـودَ الطريقـة، محبـاً لأهل العلم، ومحاسنـه كثيـرة ـ رحمـه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٥١٥ ـ أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي: ذكـره الحافظ

أبو سعيد عبد الكريم بن السمعاني، فقال: له شعر مطبوع غير متكلف، ولد في المحرم، سنة ست وثمانين وأربع مئة.

فمن قوله:

لَوْ صَدَّ عَنِّي دَلاَلاً[1] أَوْ مُعَاتَبَةً ... لَكُنْتُ أَرْجُو تَلاَفِيهِ وأَعْتَذِرُ

لَكِنْ مَلاَلاً وَلاَ أَرْجُو تَعَطُّفَهَا ... جَبْرُ الزُّجَاجِ عَسِيرٌ حِينَ يَنْكَسِرُ

وتوفي ليلة الجمعة، سادس ذي الحجة، **سنة أربع وخمسين وخمس مئة** ببغداد، ودفن بالوردية ـ رحمه الله ـ.

* * *

٥١٦ ـ أبو الحسين يحيى بن أبي منصور علي[2] بن الجراح بن الحسين بن محمد بن داود بن الجراح، الكاتب المنعوت، تاج الدين: كتب في ديوان الإنشاء بالديار المصرية مدة طويلة، وكان خطه في غاية الجودة، وكان فاضلاً أديباً متقناً، له فِطرة حسنة، وشِعر فائق، ورسائل أنيقة، سمع الحديث، وحدَّث، وسمع الناسُ عليه.

ولد في ليلة السبت، خامس عشر شعبان [سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وتوفي في خامس شعبان][3] **سنة ست عشرة وست مئة**

---

(١) في الأصل: «هلالاً».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٥٤)، وفيه: «أبو علي منصور».

(٣) ما بين معكوفتين من «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٥٧).

مئة بدمياط، والعدو المخذول محاصرُها.

ثم إن العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء، السابع والعشرين من الشهر المذكور، وكان مدة نزوله عليها ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وسبعة عشر يوماً.

ومن الاتفاق العجيب: نزولهم عليها يوم الثلاثاء بالبر الشرقي، وإحاطتهم بها يوم الثلاثاء، وقد جاء في الخبر: أن الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء.

ولفظة دمياط سريانية، وأصلها ـ بالذال المعجمة ـ، ويقولونه دمط، وتفسيره: القدرة الربانية، وكأنه إشارة إلى مجمع البحرين: العذب، والمالح، والله أعلم.

* * *

٥١٧ ـ أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله ابن علي بن زيادة، الشيبانيُّ، الكاتبُ الواسطيُّ الأصل، البغداديُّ المولد والدار والوفاة، الملقب: قوام الدين: كان من أعيان الأماثل، والصدور والأفاضل، انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاء، وغير ذلك، وله النظم الجيد، خدم الديوان من صباه إلى أن توفي، وتولَّى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة، ثم رُتِّب حاجباً، ثم قُلد النظر في المظالم، ثم عُزل، ثم أُعيد إليه، ثم قُلد ديوان الإنشاء.

وكان حسن السيرة، متديناً، من نظمه:

إِنِّـي لأَعْظَـمُ مَـا تَلْقَـوْنَنِي جَلَـداً
لَمَّـا تَوَسَّـطْتُ هَـوْلَ الحَـادِثِ النَّكِـدِ
كَـذَلِكَ الـشَّمْسُ لاَ تَـزْدَادُ قُوَّتُهَـا
إِلاَّ إِذَا حَـصَلَتْ فِـي زَبْـرَةِ الأَسَـدِ

وله:

لاَ تَغْبِـطَنَّ وَزِيـراً لِلمُلـوُكِ وَإِنْ
أَنَالَـهُ الـدَّهْرُ مِـنْهُمْ فَـوْقَ هِمَّتِـهِ
وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ لَـهُ يَوْمـاً تَمُـورُ بِـهِ الْـ
أَرْضُ الوَقُـورُ كَمَـا مَـارَتْ لِهَيْبَتِـهِ
هَارُونُ وَهْـوَ أَخُـو مُوسَـى الـشَّقِيقُ لَـهُ
لَـوْلاَ الـوِزَارَةُ لَـمْ يَأْخُـذْ بِلِحْيَتِـهِ

وله كل معنى مليح.

ولد في صفر، سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وتوفي في ذي الحجة، سنة أربع وتسعين وخمس مئة، وصُلي عليه بجامع النصر[1]، ودفن بالجامع الغربي لمشهد الإمام موسى بن جعفر ببغداد.

* * *

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٤٩)، وفيه: «جامع القصر».

٥١٨ ـ **يحيى بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين ابن مطروح**[١]، **الملقب: جمال الدين**: من أهل صعيد مصر، ونشأ هناك، أقام بقُوص مدة، وتنقلت به الأحوال في الخدم والولايات، ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب، وكان ـ إذ ذاك ـ نائباً عن أبيه للديار المصرية، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح ابن الكامل، ولما ملك الديار المصرية، رتبه ناظراً للخزانة، ولم يزل مقرباً عنده إلى أن ملك دمشق، فرتب لها نواباً، وكان ابن مطروح في صورة وزيرها، وحسن حاله، وارتفعت منزلته، ثم عزله السلطان عن ولايته، وتغير عليه لأمور نقمها عليه، واستمر مواظب الخدمة مع الإعراض عنه.

ولما مات الملك الصالح بالمنصورة، وصل ابن مطروح إلى مصر، وأقام بها في داره إلى أن مات.

وكانت أدواته جميلة، وخلاله حميدة، جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق المرضية، وله ديوان شعر، فمن ذلك قوله:

عَلِقْتُهُ مِنْ آلِ يَعْرُبَ لَحْظُهُ
أَمْضَى وَأَفْتَكُ مِنْ سُيُوفِ عُرَيْبِهِ

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٢٥٨)، وفيه: «أبو الحسين يحيى ابن عيسى بن إبراهيم».

أَسْكَنْتُهُ فِي المُنْحَنَى مِنْ أَضْلُعِي
شَوْقاً لِبَارِقِ ثَغْرِهِ وَعُذَيْبِهِ
يَا عَائِباً ذَاكَ الفُتُورَ بِطَرْفِهِ
خَلُّوهُ لِي أَنَا قَدْ رَضِيتُ بِعَيْبِهِ
لَدْنٌ وَمَا مَرَّ النَّسِيمُ بِعِطْفِهِ
أَرِجٌ وَمَا نَفَحَ العَبِيرُ بِجَيْبِهِ

وكتب ابن مطروح رقعة إلى بعض الرؤساء تتضمن شفاعة في قضاء شغل بعض أصحابه، فكتب ذلك الرئيس في جوابه: هذا الأمر عليَّ فيه مشقة، فكتب جوابه ثانياً: لولا المشقة، فوقف عليها ذلك الرئيس، فقضى شغله، وفهم ما قَصَدَه، وهو قول المتنبي:

لَوْلاَ المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ
الجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ

وهذا من لطيف الإشارات.

ولد يوم الاثنين، ثامن رجب، سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة بأسيوط، وتوفي ليلة الأربعاء، مستهل شعبان، سنة تسع وأربعين وست مئة بمصر، ودفن بسفح المقطَّم.

وكان في مدة انقطاعه في داره، وضيق صدره بسبب عطلته، وكثرةِ كلفته، قد حدث في عينيه عمى، وأوصى أن يكتب على رأسه دُوبيت نَظَمَه في مرض موته، وهو:

أَصْبَحْتُ بِقَعْرِ حُفْرَةٍ مُرْتَهَنَا
لاَ أَمْلِكُ مِنْ دُنْيَايَ إِلاَّ الكَفَنَا
يَا مَنْ وَسِعَتْ عِبَادَهُ رَحْمَتُهُ
مِنْ بَعْضِ عِبَادِكَ المُسِيئِينَ أَنَا

* * *

٥١٩ ـ أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة: الطبيب، صاحب «المنهاج» الذي رتبه على الحروف، كان نصرانياً، ثم أسلم، وصنف رسالة في الرد على النصارى، وبيان عُوار مذاهبهم، ومدح فيها الإسلام، وأقام الحجة على أنه الدين الحق، وذكر فيها قراءة في التوراة والإنجيل من ظهور النبي ﷺ، وأنه نبي مبعوث، وأن اليهود والنصارى أخفَوا ذلك، ولم يُظهروه، ثم ذكر فيها معايب اليهود والنصارى، وهي رسالة حسنة، وصنف كتباً مفيدة.

واستخلفه القاضي أبو الحسن ببغداد في كتب السجلات، وأوقف كتبه قبل وفاته، وجعلها في مشهد أبي حنيفة، وكان إسلامه في سنة ست وستين وأربع مئة، وقرئت عليه الرسالة التي صنفها في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وأربع مئة[1].

* * *

---

(١) ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٦/ ٢٨٦): أن ابن جزلة مات سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة.

٥٢٠ ـ أبـو الفتـوح يحيى الملقب: شهاب الدين السهرورديُّ، ويعرف بابن أميرك، الحكيمُ المقتول بحلب، وقيل: اسمه أحمد: كان من علماء عصره، قرأ الحكمـة وأصول الفقـه، وكان أوحـد زمانـه في العلوم الحكمية، وكان علمه أكثـر من عقله، وكان شافعي المذهـب، ويتهم بانحلال العقيدة، واشتهر ذاك عنه، فلما وصل إلى حلب، أفتى علماؤها بإباحة دمه بسبب اعتقاده، وبما ظهر لهم من سوءِ مذهبه، وكان ذاك في دولة الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين، فحبسه، ثم خنقه بإشارة والـده صلاح الدين، وكـان ذاك في خامس رجـب، **سنة سبـع وثمانين وخمس مئـة** بقلعة حلب، وعمره ثمان وثلاثون سنة، وصُلب أياماً، ولما تحقَّق القتل، كان كثيراً ما ينشد:

أَرَى قَـــــدَمِي أَرَاقَ دَمِـــــي
وَهَـــانَ دَمِـــي فَهَـــا نَـــدَمِي

ـ رحمه الله، وسامحه ـ.

* * *

٥٢١ ـ أبو خالد يزيـد بن المهلَّب بن أبي صُفْـرة، الأزديُّ: كان والده والياً بخراسان حتى أدركته الوفاة هناك، ولما حضر أجله، عهد إلى ولده يزيد المذكور، ويزيد ابن ثلاثين سنة يومئذ، فعزله عبد الملك بن مروان، وولَّى مكانه في خراسان قُتيبة بنَ مُسلم الباهليَّ، وكان الحجاج

في كل وقت يسأل المنجِّمين ومن يُعاني هذه الصناعة عمن يكون مكانه؟ فيقولـون: رجل اسمـه يزيـد، فلا يرى من هـو أهلٌ لذلك سوى يزيـد المذكور، والحجاج يومئـذ أميـر العراقين، وكذا وقـع؛ فإنـه لما مات الحجاج، ولي يزيد مكانه.

وكان يزيد المذكور جواداً سخياً، وله في السخاء والإعطاء حكايات مشهورة يطول شرحها.

وقال يوماً: والله! لَلْحياةُ أحـبُّ إليَّ من الموت، والفعلُ الحسن أحبُّ إليَّ من الحياة، ولو أني أُعطيت ما لم يُعطَه أحد، لأحببت أن يكون لي أذنٌ أسمع بها ما يقال فيَّ إذا متُّ.

وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أميـة أكرمُ من بني المهلب، كما لم يكن في دولة بني العباس أكرمُ من البرامكة، وكان لهم في الشجاعة ـ أيضاً ـ مواقفُ مشهورة.

ولد يزيد المذكور سنة ثلاث وخمسين، وتوفي مقتولاً يوم الجمعة، لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر، سنة اثنتين ومئة.

وكان ليزيد ولدان نجيبان جليلان سيدان، أحدهما: خالد بن يزيد، والآخر: محمد بن يزيد، وكان موصوفاً بالكرم، وأنه لا يرد طالباً، فإن لم يحضر مال، يَعِدُ، ثم يُعَجِّل العِدَة.

ومدحـه أحمد بن صالح، وقيل: أبو الشيص الخزاعي في كتاب «التاريخ» بقوله:

عَــشِقَ المَكَــارِمَ فَهْــوُ مَــشْغُولٌ بِهَــا

وَالمَكْرُمَــــاتُ قَلِيلَـــــةُ العُــــشَّاقِ

وأَقَــامَ سُــوقاً لِلثَّنَــاءِ وَلَــمْ يَكُــنْ

سُــوقُ الثَّنَــاءِ يُعَــدُّ فِــي الأَسْــوَاقِ

بَــثَّ الــصَّنَائِعَ فِـي البِــلاَدِ فَأَصْبَحَتْ

يُجْبَــى إِلَيْــكَ مَحَامِــدُ الآفَــاقِ

وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهـة المأمون، فوصل إليها، وفي صحبته أبو الشَّمَقْمق الشاعرُ، فلما دخل إلى الموصل، نشب اللواء الذي لخالد في سقف باب المدينة، فاندقَّ، فتطَيَّر خالد من ذلك، فأنشدهُ ارتجالاً:

مَــا كَــانَ مُنْــدَقّ اللِّــوَاءِ لِرِيبَــةٍ

تُخْــشَى وَلاَ سُــوءٍ يَكُــونُ مُعَجَّــلاَ

لَكِــنَّ هَــذَا الــرُّمْحَ أَضْــعَفَ مَتْنَــهُ

صِــغَرُ الوِلاَيَــةِ فَاسْــتَقَلَّ المَوْصِــلاَ

فبلغ الخليفـةَ ما جرى، فكتـب إلى خالد بن يزيـد: قـد زدنا في ولايتك ديارَ ربيعة كلِّها؛ لكون رمحك استقلَّ الموصل، ففرح بذلك، وأجاز أبا الشمقمق جائزة حسنة، وتوفي في طريق أرمينية، **سنة ثلاثين ومئتين**، دفن بمدينة رسل أرمينية ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٢٢ ـ **أبو يوسف يعقوب الماجشون بن أبي سلمة دينار، ولقِّب بالماجشون، القرشيُّ التيميُّ**[١]: من موالي آل المنكدر من أهل المدينة، سمع ابن عمر رضي الله عنهما، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما، وروى عنه جماعة، مات سنة أربع وستين ومئة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٢٣ ـ **أبو يوسف يعقوب ـ صاحبُ أبي حنيفة ـ بن إبراهيم بن حبيب بن خُنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري**: وسعد[٢] بن حبتة: أحد الصحابة رضي الله عنهم، وهو مشهور في الأنصار.

كان القاضي أبو يوسف المذكور صاحبُ أبي حنيفة رضي الله عنه، وكان فقيهاً عالماً حافظاً، سمع جماعة، وجالسهم، ثم جالس أبا حنيفة النعمان بن ثابت، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة، وخالفه في مواضع كثيرة، وروى عنه محمدُ بن الحسن الشيباني الحنفي، وأحمدُ ابن حنبل، وغيرُهما.

وكان قد سكن بغداد، وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء: المهدي، وابنه الهادي، ثم الرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويبجله، وكان عنده حظياً، وهو أول من دُعي بقاضي القضاة، وأول من غيَّر لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان، وكان ملبوس الناس

---

(١) في الأصل: «المنبجي».

(٢) في الأصل: «وسعيد».

قبل ذلك واحداً لا يتميز أحد من أحد بلباسه، وكان كثير الحديث.

وروى الخطيب بإسناد متصل إلى علي بن الجعد، قال: أخبرني أبو يوسف القاضي، قال: توفي أبي، وخلَّفني صغيراً في حِجْر أمي، فأسلمتني إلى قَصَّار أخدمه، فكنت أدعُ القصار، وأذهب إلى حلقة أبي حنيفة، فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعتني بي؛ مما يرى من حضوري، وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي، وطال عليها أمري، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فسادٌ غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وأنا أطعمه من مِغْزلي، وقصدي أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه.

فقال لها أبو حنيفة: اذهبي يا رعناء، ها هو يتعلم أكل الفالُوذَج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ، وقد خَرِفْتَ، وذهب عقلك.

ثم لزمتُه، فنفعني الله تعالى بالعلم، ورفعني حتى تقلَّدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد على مائدته، فلما كان في بعض الأيام، قُدِّم إلى الرشيد فالوذجة، فقال لي: يا يعقوب! كل منه، فليس في كل يوم يُعمل لنا مثلُها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه فالوذجة من الفستق، فضحكتُ، فقال لي: ممَّ تضحك؟ فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين، قال: فأخبرْني، وألحَّ عليَّ، فأخبرته القضية من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال: لعمري! إن العلم لينفع ديناً ودُنيا، فترحَّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين قلبه مالا يراه بعين رأسه.

وكان مشهور الفضل، وأفقهَ أهل عصره، ولم يتقدمه أحد في زمانه، وكان نهاية في العلم والحلم، والرياسة والقدر، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، ونشر مذهبه في أقطار الأرض، ولولاه، ما انتشر مذهب أبي حنيفة.

ومن كلامه: صحبةُ مَنْ لا يخشى العارَ عارٌ يوم القيامة.

وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة:

فأولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها.

والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها.

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه.

ولد سنة ثلاث عشرة ومئة، وتوفي يوم الخميس، أول وقت الظهر، لخمسٍ خلون من شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وثمانين ومئة، ومات وهو على القضاء بالجانب الغربي ببغداد ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

* * *

٥٢٤ ـ أبو يوسف يعقوب ـ صاحب المغرب ـ بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد الحق بن علي، القيسيُّ الكوفيُّ، صاحبُ بلاد المغرب: بويع بعد موت والده، وعقدوا له الولاية، ودعوه بأمير المؤمنين كأبيه وجده، ولقبوه: المنصور، فقام بالأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أُبَّهة ملكهم، ورفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وحكم

في الناس على حقيقة الشرع، ونظر في أمور الدين والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، حتى في أهله وعشيرته والأقربين؛ كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه، وعَظُمت الفتوحات، ووقع له مع الفرنج الغزوات، ونصره الله تعالى عليهم.

وكان ملكاً عادلاً جواداً، وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره، فمن الناس من يقول: إنه ترك ما كان فيه، وتجرَّد وساح في الأرض، حتى انتهى إلى بلاد المشرق وهو مستخفٍ لا يُعرف، ومات خاملاً.

ومنهم من يقول: إنه توفي في غرة جمادى الأولى، سنة خمس وتسعين وخمس مئة بمراكش.

وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويلبس الصوف، ويقف للمرأة والضعيف، ويأخذ لهم الحق، وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق؛ ليترحم عليه من يمر به، وكان يعاقب على ترك الصلاة، وينادي في الأسواق بالمبادرة إليها، وكان قد عظم ملكه، واتسعت دائرة سلطنته، وكان محسناً للعلماء، مقرَّباً للأدباء، وإليه تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية.

وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين رسولاً في سنة سبع وثمانين وخمس مئة يستنجده إلى الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين، بل بأمير المسلمين، فعزَّ ذلك عليه، ولم يجبه إلى ما طلب منه.

ولما حضرت الوفاة الأمير يعقوب، وقضى نحبه، بايع الناس ولدَه أبا عبدالله محمدَ بن يعقوب، وتلقب بالناصر، وقُتل في سنة عشر وست مئة.

ثم تولى بعده أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب، وتلقب بالمستنصر بالله، ولم يكن في بني عبد المؤمن أحسن منه وجهاً، ولا أبلغ في المخاطبة، إلا أنه كان مشغولاً براحته ـ رحمه الله تعالى ـ.

* * *

٥٢٥ ـ يعقوب بن داود بن عثمان بن عمر بن طهمان السلمي، والي خراسان: كان سخياً جواداً، كثير البر والصدقة، واصطناع المعروف، وكان مقصوداً ممدوحاً، ولما مات المنصور، وقام بالأمر ولدُه المهدي، جعل يعقوبُ يتقرب إليه حتى أدناه، واعتمد عليه، وعلت منزلته عنده، وعظم شأنه حتى خرج كتابه إلى الدواوين: أن أمير المؤمنين قد آخى يعقوب بن داود.

وحج المهدي سنة ستين ومئة، ويعقوب معه، ثم استوزره في سنة ثلاث وستين ومئة، وغلب يعقوب على أمور المهدي كلها، وزيَّن له هواه، فأنفق الأموال، وأَكَبَّ على اللذات والشراب وسماع الغناء، واستقل يعقوب بالتدبير، وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه، وسأل المهدي الإقالةَ وهو ممتنعٌ.

ثم إنه اتهم بميله إلى العلوية، ووقع منه بسبب ذلك ما أوجب تغيرَ

خاطر المهدي، فحبسه، فأقام سنتين وشهوراً إلى أيام الرشيد، ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكي أمره، فشفع فيه، وأمر بإخراجه، فأُخرج وقد ذهب بصره، وأحسن إليه الرشيد، وردَّ عليه ماله وخبزه، وخيَّره المقام حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له في ذلك، فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومئة.

ولما أُطلق يعقوب، سأل عن إخوانه، فأُخبر بموتهم، فأنشد:

لِكُلِّ أُنَاسٍ مَقْبَرٌ بِفِنَائِهِمْ ... فَهُمْ فِي انْتِقَاصٍ وَالقُبُورُ تَزِيدُ

هُمُ جِيرَةُ الأَحْيَاءِ أَمَّا مَحَلُّهُمْ ... فَدَانٍ وَأَمَّا المُلْتَقَى فَبَعِيدُ

ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٥٢٦ ـ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البَرِّبن عاصم، القرطبيُّ: إمام عصره في العلم والحديث والأثر، وما يتعلق بهم(١)، وله مصنفات كثيرة نافعة، وكان موفقاً في التأليف، مُعاناً عليه، وانتفع به خلق كثير، وفارق قرطبة، وكان في غرب الأندلس مدة، ثم تحول في شرق الأندلس، وتولى قضاء الأستون(٢) في أيام مَلِكها المظفر.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٧/ ٦٧)، وفيه: «ولي قضاء الأشبونة، وشنترين».

ولد يوم الجمعة والإمامُ يخطب، لخمسٍ بقين من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وستين وثلاث مئة، وتوفي يوم الجمعة، آخر يوم في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربع مئة بمدينة شاطِبَة من شرق الأندلس، وكان الخطيب أبو بكر البغدادي الحافظ حافظَ الشرق، وابنُ عبد البر حافظَ الغرب، وماتا في سنة واحدة، وهما إمامان في هذا الفن ـ رحمهما الله تعالى ـ.

* * *

٥٢٧ ـ أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى، الصدفيُّ المصريُّ: الفقيهُ الشافعي، أحد أصحاب الإمام الشافعي ﷺ، والمكثرين في الرواية عنه، والملازمةِ له، وكان كثير الورع، متينَ الدين، عَلاَّمةً في علم الأخبار، والصحيح والسقيم، لم يشاركه في زمانه أحد، وكان أفضل أهل زمانه.

وقال الشافعي: ما رأيت بمصر أعقلَ من يونس بن عبد الأعلى.

وأخذ عن الشافعي الحديث والفقه، وروى عنه الإمام مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم.

وكان يروي للإمام الشافعي ﷺ هذين البيتين:

مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكْ ... فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكْ
وَإِذَا قَصَدْتَ لِحَاجَةٍ ... فَاقْصِدْ لِمُعْتَرِفٍ بِقَدْرِكْ

وقال الشافعي ﷺ: يا يونس! دخلتَ بغـداد؟ فقال: لا، فقال: ما رأيتَ الدنيا، وما رأيتَ الناس.

وكان مولده في ذي الحجة، سنة سبعين ومئة، وتوفي يوم الثلاثاء، ليومين بقيا من شهر ربيع الآخر، **سنة أربع وستين ومئتين**، وهي السنة التي مات فيها المزني، وكانت وفاته بمصر، وقبره مشهور بالقرافة.

ومن كلامه: من يشتري ما لا يحتاج إليه، باع ما يحتاج إليه.

وتوفي والده عبدُ الأعلى سنة إحدى ومئتين.

* * *

٥٢٨ ـ يَلْبُغا الأميـر الكبيـر سيف الدين الخاصَكي مولى الملك الناصر حسن: قدمه أستاذه، وصار هو المشار إليه، وقام على أستاذه، وقتله في جمادى الأولى، سنة اثنتين وستين وسبع مئة، وسلطن المنصور، ثم خلعـه، وسلطن الأشـرف، واستكثر من المماليك، فكان قتله على يدهم، وكانت الفتن على زمانه قائمـة، والشرور متحركة، وأراد في آخر عمره أن يُجلس القاضي الحنفي فوق الشافعي، فرأى بعضهم في منامه الإمام الشـافعي، وبيـده مسحاة، فسئل عن إسراعـه في المشي، وعن المسحاة، فقال: أخرب بيت يَلْبُغا، فقتل بعـد قليل، ودفن بتربته التي أنشأها في سنة **ثمان وستين وسبع مئة**.

* * *

٥٢٩ ـ الشيخ يوسف العجمي ـ الكبيـر الزاهـد ـ بن عبـدالله بن

عمر، **العجميُّ المصريُّ**: كان شيخ الطريقة، ومعدن الحقيقة، وهو آخر المشايخ المسلِّكين، توفي في جمادى الأولى، **سنة ثمان وستين وسبع مئة**، ودفن بزاويته بالقرافة الصغرى، وشهده خلق لا يعلمهم إلا الله، ولم يشاهد بمصر من دهر طويل أكثر جمعاً منه ـ رحمه الله تعالى، ونفع به ـ.

* * *

٥٣٠ ـ القاضي جمال الدين يوسف بن غانم بن أحمد بن غانم، المقدسيُّ النابلسيُّ: ولي قضاء نابلس مدة طويلة، ثم ولي قضاء صفد، ثم ولي خطابة القدس في ربيع الآخر، سنة إحدى وثمان مئة بمالٍ بذلَه، ثم سعى عليه جمال الدين بن السايح قاضي الرملة بمئة ألف، ولم يقم بها غير ثلاثة أشهر، ثم عزل بالباعوني.

توفي بدمشق، ودفن بباب الصغير بمقبرة الأشراف، وهو سبط الشيخ تقي الدين القَرقَشَنْدِي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

* * *

٥٣١ ـ قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد المناوي، الشافعيُّ، شيخُ الإسلام: كان من أهل العلم والصلاح، ولاه الملك الظاهر جقمق قضاء الديار المصرية في سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة، واستمر إلى حين وفاة السلطان، فلما تسلطن ولده المنصور عثمان، عزله عن القضاء بالقاضي علم الدين صالح البُلْقيني، واستمر معزولاً إلى آخر

سلطنه الأشرف أينال.

فلما تسلطن الملك الظاهر خشقدم، ولاه، ثم عزله بالقاضي علم الدين، فلما توفي القاضي علم الدين في سنة ثمان وستين وثمان مئة، استقر في القضاء إلى سنة سبعين وثمان مئة، فوقعت حادثة أوجبت عزله هو والقاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي، واستمر معزولاً إلى أن توفي، واستقر عوضه القاضي صلاح الدين أحمد المكيني، ثم عزل، واستقر عوضه القاضي بدر الدين أبو السعادات محمد البلقيني، ثم عزل، واستقر عوضه القاضي ولي الدين الأسيوطي ـ المتقدم ذكره في حرف الهمزة ـ، وذلك في سنة إحدى وسبعين وثمان مئة، فشق على القاضي شرف الدين المناوي ولاية الأسيوطي، وأنكر ذلك غاية الإنكار؛ لأنه لم يؤهله لذلك، ثم حضر القاضي ولي الدين إلى القاضي شرف الدين ليسلم عليه بعد الولاية، فكان من خطابه له: إذا أشكل عليك أمر، فراجعنا فيه، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: ٧].

ثم بعد يسير توفي القاضي شرف الدين المناوي ليلة يسفر صباحها عن نهار الاثنين، ثالث عشر أو ثاني عشر جمادى الآخرة، **سنة إحدى وسبعين وثمان مئة**.

وكان موصوفاً بالعفة في مباشرته، والورع والتواضع، كثير العبادة والتهجد، وهو شيخ قاضي القضاة زكريا ـ أمتع الله الأنام بجوده ـ، وقد سلك غالب طريقته؛ من الورع، والتقشف، وكتب علامته في الحكم،

وهي: الحمد لله خير الفاصلين ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ.

* * *

٥٣٢ ـ القاضي شرف الدين يحيى بن محمد، الأنصاريُّ الأندلسيُّ المغربيُّ المالكيُّ: كان من أهل العلم، خصوصاً في العربيـة، قدم من بلاد المغرب، وأقـام بحلب وبالقدس، ثم دخل القاهـرة في سنة ثمان وثمانين وثمان مئة في أول رمضان، فحضر مجلس القاضي قطب الدين الخيضري، وتكلم في درسه، فظهرت لـه فضيلة، فتكلم لـه في قضاء المالكية بالقـدس، فولاَّه السلطان في أواخـر سنة ثمان وثمانين وثمان مئـة، من غيـر بذل أو كُلفـة، ثم حضر إلى القدس في صفـر سنة تسع وثمانين وثمان مئة، واستمر بها إلى شهر ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة، فورد كتاب القـاضي زين الدين بن مزهـر صاحـب ديوان الإنشاء بعزلـه، فتوجه من القدس الشريف إلى القاهرة، وأقام بها أياماً، ثم توجـه إلى جهـة الحجاز، ثم ورد في أول سنة ست وتسعين وثمان مئـة[1] الخبـر إلى القدس الشريف صحبـة الحـاج بوفاتـه بأرض اليمن ـ رحمه الله تعالى، وعفا عنه ـ.

وكانت ولايتـه القدس بعـد شغورهـا عن القاضي علاء الدين بن المزوار ـ المتقدم ذكره ـ نحوَ سبع سنين؛ فإن القاضي علاء الدين توجه

---

(١) قال المصنـف رحمه الله في «الأنس الجليل» (٢/ ٢٥٣): «وسافر إلى بلاد جازان، فتوفي بها في شوال سنة خمس وتسعين وثمان مئة».

من القدس في سنة اثنتين وثمانين وثمان مئة، وأقام بالقاهرة، وهو باق على الولايـة إلى حين وفاتـه في سنة خمس وثمانين وثمـان مئـة، ولم يستخلف أحداً عنه في الحكم.

ثم استمرت الوظيفة على الشغور نحو أربع سنين بعد وفاته إلى أن استقر بها القاضي شرف الدين، ويقال: إن القاضي شمس الدين محمد ابن الأزرق الأندلسي ـ المتقدم ذكره في حرف الميم ـ هو شيخ القاضي شـرف الـدين يحيى المذكـور، اشتغل عليـه بالعلم في بلاد الأندلس، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

* * *

٥٣٣ ـ الشيخ محيي الـدين النـووي أبـو زكريـا يحيى بن شرف الحزامي ـ بحاء مهملة مكسورة بعدها زاي معجمة ـ النوويُّ الشافعيُّ: محرِّر المذهب ومهذِّبه، ومنقِّحه ومُرتِّبه، صاحب التصانيف المشهورة المباركة النافعة، السابق بالفضائل.

ولد في العشر الأول من المحرم، سنة إحدى وثلاثين وست مئة بنوى من الشام من عمل دمشق، وقرأ بها القرآن، وقدم دمشق سنة تسع وأربعين، وقرأ «التنبيه» في أربعة أشهر ونصف، وحفظ ربع «المهذب» في بقية السنة، ومكث قريباً من سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض، وكان يقرأ في اليوم والليلة اثني عشر درساً على المشايخ في عدة من العلوم.

وكـان ـ رحمـه الله تعالى ـ على جانـب كبيـر من العبادة والعمل

والزهد، والصبر على خشونة العيش، وكان لا يدخل الحمام، ولا يأكل من فواكـه دمشق؛ لما في ضمانها من الحيلـة والشبهـة، وكان يتقـوَّت مما يأتي من بلـده من عنـد أبويـه، ولا يأكل إلا أكلة واحـدة في اليـوم والليلة بعـد عشاء الآخـرة، ولا يشرب إلا شربـة واحـدة عند السحر، ولم يتزوج.

وكان كثير السهر في العبادة والتصنيف، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يواجه به الملوك فَمْن دونهم، وحج مرتين، تولى دار الحديث الأشرفية سنة خمس وستين، فلم يأخذ من معلومها شيئاً إلى أن توفي، وكان يلبس ثوبـاً قطنياً، وكان في لحيتـه شعرات بيض، وعليه سكينـة ووقار في البحث مع الفقهاء، وفي غيره.

ولم يزل على ذلك إلى أن سافر إلى بلده، وزار القدس والخليل، ثم عاد إليها، فمرض بها عند أبويه، وتوفي ليلة الأربعاء، رابع عشري شهر رجب، **سنة ست وسبعين وســت مئـة**، ودفن ببلده ـ رحمـه الله تعالى، ورضي عنـه، وعفا عنـه، ونفعنا ببركتـه وبركة علومه في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه ـ آمين.

وقد انتهى ذكرُ من تقدم ذكرُه من الأعيان على الحروف.

* * *

وقـد عَـنَّ لي أن أذكـر أسمـاء بعض الأعيان من الصحابـة رضي الله عنهم، فأقول، والله الموفق:

فصل في ذكر أسماء جماعة مِمَّن مات [من] الصحابة رضي الله عنهم [في حياة النبي ﷺ] ترتيبهم على الوفيات

وقد تقدم ذكر بعضهم في السيرة الشريفة، فأحببت ذكر أسمائهم هنا مجتمعين؛ ليكون أسهل للمطالعة، وبالله التوفيق.

٥٣٤ ـ **عُبَيْدَةُ بنُ الحارث**: قتل في غزوة بدر الكبرى، وكان النبي ﷺ أمره أن يبارز عتبة، فضرب كلٌّ منهما صاحبه، وكرَّ عليٌّ وحمزة رضي الله عنهما على عتبة بن ربيعة، فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجلُه، ثم مات رضي الله عنه.

٥٣٥ ـ **عثمانُ بنُ مَظْعون ـ بالظاء المعجمة بعد الميم ـ** رضي الله عنه: مات في سنة اثنتين من الهجرة.

٥٣٦ ـ **حمزة عم النبي ﷺ**: قتل في غزوة أحد، في سنة ثلاث من الهجرة.

٥٣٧ ـ **مصعب بن عمير**: حامل لواء رسول الله ﷺ، قتل في غزوة أحد.

٥٣٨ ـ **ثابت بن أبي الأفلح**.

٥٣٩ ـ **وخُبيب بن عَدي**.

٥٤٠ ـ **ومِرْثد بن أبي مرثد الغَنَوي**.

٥٤١ ـ **وخالد بن البُكَيْر الليثي**.

٥٤٢ ـ **ويزيد بن الدَّثِنة**.

٥٤٣ ـ **وعبدالله بن طارق**؛ قتل الستة المذكورون في سنة أربع من الهجرة، لمَّا بعثهم النبي ﷺ مع قوم من عضل والقارة؛ ليفقِّهوا قومهم في الدين، بسؤالهم في ذلك، فلما وصلوا بهم إلى الرجيع، وهو ماء لهذيل، على أربعة عشر ميلاً من عُسْفان، غدروا بهم، وقتلوا أربعة منهم، ووصلوا بيزيد ابن الدثنة، وخبيباً إلى مكة، فباعوهما من قريش، فقتلوهما صَبْراً.

٥٤٤ ـ **عمر الأنصاري**: بعثه النبي ﷺ في أربعين رجلاً من خيار المسلمين، فيهم عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بكتابه إلى أهل نجدٍ، بسؤال أبي براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعبِ الأَسِنَّة، ولم يُسلم، ولم يبعد عن الإسلام، فمضوا، ونزلوا بئر مَعُونة، على أربع مراحل من المدينة، وبعثوا بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطُفَيْل، فقتل الذي أحضر الكتاب، وجمع الجموع، وقصد أصحابَ رسول الله ﷺ، فقاتلوا، وقُتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد، فإنه بقي فيه ريق، وتوارى بين القتلى، ثم لحق بالنبي ﷺ، واستُشهد يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، فرأيا الطير تحوم حول العسكر، فقصدا العسكر، فوجدا القوم مقتولين، فقاتل الأنصاريُّ وقُتل، وأما عمرو بن أمية، فأُخذ أسيراً، وعتقه عامر ابن الطفيل؛ لكونه من مضر، ولحق برسول الله ﷺ، وأخبره بالخبر، فشقَّ عليه، وهذه الوقعة في سنة أربع من الهجرة.

٥٤٥ ـ سعد بن معاذ ﷺ: كان جُرح في حرب الخندق، فبعد غزوة بني قريظة انتقض جرحه، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر سنة خمس من الهجرة.

٥٤٦ ـ هشام من بني ليث بن بكر: قتل في غزوة بني المصطلق، قتله رجل من الأنصار خطأً يظنه كافراً، وكان أخوه مقيس مشركاً، فلما بلغه قتلُ أخيه خطأ، قدم من مكة مُظهراً الإسلام، وأنه يطلب دِيَةَ أخيه، فأمر له رسول الله ﷺ بها، وأقام عند رسول الله ﷺ غيرَ كثير، ثم عدا على قاتل أخيه، فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً ـ لعنه الله ـ، وهو ممن أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة.

٥٤٧ ـ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

٥٤٨ ـ وجعفر بن أبي طالب.

٥٤٩ ـ وعبدالله بن رواحة؛ الثلاثة قتلوا في غزوة مؤتة، وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم في جمادى الأولى، سنة ثمان من الهجرة، وسبب الغزوة: قتل الحارث بن عمير الذي أرسله النبي ﷺ إلى ملك بصرى، ولم يُقتل له رسولٌ غيره.

٥٥٠ ـ عروة بن مسعود الثقفي: سيد ثَقِيف، مضى إلى الطائف، ودعاهم إلى الإسلام، فرماه أحدهم بسهم، فوقع في أكحله، ومات ـ رحمه الله ـ في سنة تسع من الهجرة.

* * *

٥٥١ ـ فاطمة الزهراء: ابنة رسول الله ﷺ، زوج الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفيت بعد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنحو ستة أشهر، وقيل غيرُ ذلك.

٥٥٢ ـ أبو عبيدة بن الجراح: واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح الفِهْريّ، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي في طاعون عَمْواس بالشام في سنة ثمان عشرة من الهجرة، واستخلف على الناس معاذ بن جبل الأنصاري، فمات ـ أيضاً ـ بالطاعون.

ومات من الناس في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألفَ نفس، وطال مكثُه شهراً، وطمع العدو في المسلمين.

٥٥٣ ـ بلال بن رباح: مؤذِّنُ رسول الله ﷺ، وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، واسم أمه حَمامة، وهو من مولَّدي الحبشة، أسلم بعد إسلام أبي بكر، ولم يؤذِّنْ بعد رسول الله ﷺ، توفي بدمشق في سنة تسع عشرة، ودفن عند الباب الصغير.

٥٥٤ ـ خالد بن الوليد: توفي في سنة إحدى وعشرين للهجرة، واختلف في موضع قبره، فقيل: بحمص، وقيل: بالمدينة.

٥٥٥ ـ أُبَيُّ بنُ كَعب بنِ قيس: وهو من ولد مالك بن النجَّار، وكان يكنى: أبا المنذر، أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو الذي أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقرأ القرآن على أُبي بن كعب المذكور، وقال

رسول الله ﷺ: «أَقْرَأُكُم أُمَّتِي أُبَيٌّ بَعْدِي»[1]، مات أُبي في سنة اثنتين وعشرين من الهجرة، وقيل: مات في سنة ثلاثين، في خلافة عثمان رضي الله عنه.

٥٥٦ ـ **أبو ذر الغفاري**: اسمه جُنْدُب بنُ جُنادة، توفي سنة خمس وعشرين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين من الهجرة.

٥٥٧ ـ **أبو سفيان بن حرب**: والد معاوية، مات سنة إحدى وثلاثين للهجرة.

٥٥٨ ـ **عبدالله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن شمخ**: من ولد مُدْرِكَةَ بن إلياسَ بنِ مُضر، وفي مدركة يجتمع مع رسول الله ﷺ، وقد جاء في بعض الروايات: أن عبدالله بن مسعود أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، والذي روى أنه من العشرة أسقط أبا عبيدة بن الجراح، وجعل عبدالله بدلَه، وكان جليل القدر، عظيماً في الصحابة، وهو أحد القُرَّاء ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ، توفي في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

٥٥٩ ـ **المقداد بن الأسود**: وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة، ونُسب إلى الأسود بن عبد يَغوث؛ لأنه كان قد حالفَ الأسودَ المذكور في الجاهلية، فتبنَّاه، فعُرِف بالمقداد بن الأسود، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾[الأحزاب: ٥]، قيل له: المقداد بن عمرو، ولم يكن في يوم بدر من المسلمين صاحب فرس غيره ـ في قول ـ، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهدَ كلَّها، وتوفي سنة أربع وثلاثين من الهجرة،

---

(١) تقدم تخريجه.

وعمره نحو سبعين سنة.

٥٦٠ ـ **سلمان الفارسي**: توفي سنة ست وثلاثين من الهجرة عن مئتين وخمسين سنة، ذكره النووي في «التهذيب»، والكرماني، ودفن بالمدائن.

٥٦١ ـ **طلحة**: قتل في وقعة الجمل، رماه مروان بن الحكم بسهم، فقتله.

٥٦٢ ـ **الزبير**: قتل بعد انصرافه من وقعة الجمل.

٥٦٣ ـ **عمار بن ياسر** ﷺ: قتل في وقعة صِفِّين، وقاتل مع علي قتالاً شديداً، وكان قد نيَّفَ عمرُه على تسعين سنة، وفي الصحيح المتفق عليه: أن رسول الله ﷺ قال: «تَقْتُلُ عَمّاراً الفِئَةُ البَاغِيَةُ»(١).

٥٦٤ ـ **يزيد بن نُوَيْرَة**: وهو ممن شهد مع رسول الله ﷺ غزوة أحد، قُتل في وقعة صفين، وكان من أصحاب علي الأشتر، مات مسموماً في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة.

٥٦٥ ـ **محمد بن أبي بكر الصديق** رضي الله عنهما: قتل بمصر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة.

٥٦٦ ـ **عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سعيد بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيٍّ، القرشيُّ السهميُّ**: توفي في سنة ثلاث وأربعين من الهجرة في خلافة معاوية.

---

(١) تقدم تخريجه.

٥٦٧ ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان: زوجُ النبي ﷺ، توفيت سنة أربع وأربعين من الهجرة.

٥٦٨ ـ حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ: قتله معاوية وجماعة معه في سنة خمس وأربعين من الهجرة.

٥٦٩ ـ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: توفي مسموماً سنة خمس وأربعين من الهجرة.

٥٧٠ ـ أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، زوجُ النبي ﷺ: توفيت سنة خمس وأربعين من الهجرة.

٥٧١ ـ قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر، وإليه ينسب، فيقال: المنقري، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم، فأسلم، وكان موصوفاً بمكارم الأخلاق، توفي سنة سبع وأربعين من الهجرة.

٥٧٢ ـ أبو أيوب الأنصاري ﷺ: شهد مع النبي ﷺ بدراً، وأحداً، وشهد مع علي صِفِّينَ، وغيرَها من حروبه، توجه لغزو القسطنطينية الذي سيره معاوية، فتوفي في مدة الحصار، ودفن بالقرب من سورها في سنة ثمان وأربعين من الهجرة.

٥٧٣ ـ دِحْيَةُ بنُ خَليفة بن فَرْوة بن فَضالة الكلبيُّ: منسوب إلى كلب بن وَبْرَة، أسلم قديماً، ولم يشهد بدراً، قال النبي ﷺ: «أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِجِبْرِيلَ دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ»، توفي سنة خمسين من الهجرة.

٥٧٤ ـ **سعيد بن زيد**: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنهم، توفي سنة إحدى وخمسين من الهجرة.

٥٧٥ ـ **قُثَم بنُ العباس**: قُتل في غزاة سمرقند مع سعيد بن عثمان ابن عفان، ودفن بسمرقند سنة ست وخمسين من الهجرة، ومات أخوه عبدالله بن العباس بالطائف، والفضلُ بالشام، ومعبد بإفريقية، فيقال: لم ير قبور إخوة أبعد من قبور هؤلاء الإخوة بني العباس رضي الله عنهم، وتقدم ذكر والدهم العباس رضي الله عنه عند ذكر الدولة العباسية.

٥٧٦ ـ **أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، زوجُ رسول الله ﷺ**: توفيت سنة ثمان وخمسين من الهجرة، وفيها توفي أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٥٧٧ ـ **سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصي بن أمية**: ولد عام الهجرة، وقتل أبوه العاص يوم بدر كافراً، وكان سعيد من أجواد بني أمية، توفي سنة تسع وخمسين من الهجرة.

٥٧٨ ـ **الحطيئة**: واسمه جَرْوَلُ بُن مالك، لُقِّب الحطيئةَ؛ لقصره، أسلم، ثم ارتد، ثم أسلم، وقال عند موت النبي ﷺ وارتداد العرب:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... فَيَا لَعِبَادِ اللهِ مَا لأَبِـي بَكْـرِ

أَيُورِثُهَا بَكْراً إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ ... وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

توفي الحطيئة سنة تسع وخمسين من الهجرة.

٥٧٩ ـ أبو هريرة ﷺ: واختلف في اسمه ونسبه، وهو ممن لازم خدمةَ رسول الله ﷺ، وروي عنه الكثير، فاتهمه بعض الناس؛ لكثرة ما رواه من الأحاديث، والأكثرُ يصححون روايته، ولا يشكُّون فيها، توفي سنة تسع وخمسين من الهجرة.

٥٨٠ ـ الضَّحَّاك بنُ قَيس، والنُّعمانُ بنُ بَشير الأنصاريُّ: قتلا في سنة أربع وستين من الهجرة.

٥٨١ ـ عبدالله بن عمرو بن العاص: أسلم قبل أبيه، ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثنتي عشرة سنة، وكان يقرأ القرآن والتوراة، ويصوم يوماً ويُفطر يوماً، توفي سنة خمس وستين من الهجرة.

٥٨٢ ـ عبدالله بن عباس: وتقدم ذكره، توفي بالطائف، بقرية تدعى: السلامة، وقبره ظاهر معروف بها، عليه قبة مبنية، وحولها مسجد جامع، ووفاته في سنة ثمان وستين من الهجرة، وكان محمد بن الحنفية مقيماً بالطائف ـ أيضاً ـ، فصلى على ابن عباس، وأقام محمد بن الحنفية إلى أن قدم الحجاج بن يوسف إلى مكة، وكان مولد عبدالله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ الكَلِمَةَ وَالتَّأْوِيلَ»(١)، فكان كذلك، وكان يسمى: الحبر؛ لكثرة علومه.

٥٨٣ ـ جابر بن عبدالله الأنصاريُّ المدنيُّ: غزا مع رسول الله ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

تسع عشرة غزوة، وعاش أربعة وتسعين سنة، وأضرَّ في آخر عمره، شهد هو وأبوه العقبةَ مع رسول الله ﷺ، استُشهد أبوه عبدالله يوم أحد، وتوفي جابر سنة ثمان وستين من الهجرة.

٥٨٤ ـ **أبو عبد الرحمن سفينة**: مولى رسول الله ﷺ، توفي سنة إحدى وسبعين من الهجرة.

٥٨٥ ـ **البراء بن عازب**: صحابي جليل القدر، ابن صحابي ـ أيضاً ـ، توفي سنة اثنتين وسبعين من الهجرة.

٥٨٦ ـ **عبدالله بن عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما: توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وعمره سبع وثمانون سنة.

٥٨٧ ـ **عبدالله بن مُطيع**: حَنَّكَه رسولُ الله ﷺ، ودعا له بالبركة، توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

٥٨٨ ـ **عوف بن مالك**: صحابي جليل، توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

٥٨٩ ـ **أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنهما ـ**: والدة عبدالله بن الزبير، ذاتُ النطاقين، وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً، توفيت سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

٥٩٠ ـ **رافع بن خَديج بن رافع الأنصاريُّ**: صحابي جليل، شهد أُحُداً وما بعدها، وصِفِّين، توفي سنة أربع وسبعين من الهجرة عن ست وثمانين سنة.

٥٩١ ـ **أبو سعيد الخدري الأنصاريُّ الخزرجيُّ**: صحابي جليل، توفي سنة أربع وسبعين من الهجرة، وقيل: قبلها بعشر سنين.

٥٩٢ ـ **أبو جُحَيْفَة وَهْبُ بن عبدالله السُّوائيُّ الصحابيُّ**: توفي سنة أربع وسبعين من الهجرة.

٥٩٣ ـ **سَلَمَة بن الأَكْوَع بن عمر[و] بن سنان**: أحد من بايع تحت الشجرة، جاوز تسعين سنة، وتوفي بالمدينة سنة أربع وسبعين من الهجرة.

٥٩٤ ـ **العِرْباض بن سارِيَة السُّلَمِيُّ**: أبو نَجيح، سكن حمص، وهو صحابي جليل، كان شيخاً كبيراً، توفي سنة خمس وسبعين من الهجرة.

٥٩٥ ـ **النابغة الجعدي الصحابي**: توفي سنة سبع وسبعين من الهجرة، قيل: عاش مئة وثمانين سنة، وقال ابن قتيبة «في المعارف»: مئتين وأربعين سنة، وقال ابن كثير: توفي سنة ثمان وسبعين، ووفاته بأصبهان.

٥٩٦ ـ **عبدالله بن جعفر بن أبي طالب**: وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ من بني هاشم، توفي سنة ثمانين بالمدينة عن ثمانين سنة.

٥٩٧ ـ **طارق بن شهاب بن عبد شمس الأحمسي**: ممن رأى النبي ﷺ، توفي بالمدينة النبوية سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.

٥٩٨ ـ **وَاثِلَةُ بنُ الأَسْقَع**: توفي بدمشق سنة خمس وثمانين من الهجرة.

٥٩٩ ـ **عُتْبَة بنُ عُبيدٍ السُّلَمِيُّ**: صحابي جليل، نزل حمص، وتوفي سنة سبع وثمانين من الهجرة.

٦٠٠ ـ **المقدام بن مَعْد يكرب**: صحابي جليل، نزل حمص ـ أيضاً ـ، وتوفي سنة سبع وثمانين، وقيل: توفي بعد التسعين.

٦٠١ ـ **أبو أمامة**: نزل حمص ـ أيضاً ـ، وتوفي بها، وروى مئة وخمسين حديثاً، وهو راوي حديث تلقين الميت بعد الدفن، رواه الطبراني في «الدعاء»، توفي سنة سبع وثمانين من الهجرة.

٦٠٢ ـ **عبدالله بن بُسْر بن أبي بسر المازنيُّ**: صحابي كأبيه، سكن حمص، وتوفي سنة ثمان وثمانين من الهجرة عن أربع وتسعين سنة، وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام.

٦٠٣ ـ **أبو أُمامة صُدَيُّ بن عَجْلانَ الباهليُّ**: توفي سنة ثمان وثمانين من الهجرة.

٦٠٤ ـ **عبدالله بن أبي أوفى**: توفي سنة ثمان وثمانين من الهجرة.

٦٠٥ ـ **عبدالله بن الحارث بن جُزْء[1] الزُّبيدي**: في قول: شهد فتح مصر، وسكنها، وهو آخر من مات بها من الصحابة، وله أحاديث،

---

(١) في الأصل: «حسن».

توفي سنة ثمان وثمانين من الهجرة.

٦٠٦ ـ **السائب بن يزيد**: حجَّ بـه أبوه مع النبي ﷺ، وعمره سبع سنين، توفي سنة إحدى وتسعين من الهجرة.

٦٠٧ ـ **سهل بن سعد الساعـدي**[1]: صحابي مدني جليل، توفي سنة إحدى وتسعين من الهجرة.

٦٠٨ ـ **أنس بن مالك** ؓ: توفي بالبصرة عن مئة سنة، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابـة، روى ألف حديث، ومئتي حديث، وستاً وثمانين حديثاً، وفي الصحابة عشرة أسماؤهم كلهم أنس بن مالك، وفي الحديث خمسة، هو أحدهم، توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة.

٦٠٩ ـ **أبو أُمامـة بن سهل بن حُنيف الأنصاريُّ**: ولـد في حيـاة النبي ﷺ، ورآه، وتوفي سنة مئة من الهجرة.

٦١٠ ـ **أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله، صحابي**: وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ بالإجماع، ومن إنشائه:

وَبَقِيـتُ سَـهْماً فِـي الكِنَانَـةِ وَاحِـداً
سَـيَرْمِي بِـهِ أَوْ يَكْـسِرُ الـسَّهْمَ نَاضِـلُهْ

توفي سنة مئة من الهجرة، وقيل: سنة سبع ومئة، والله أعلم.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: وهـذا آخـر ما تيسر ذكـرُه من أسماء

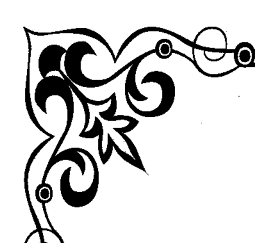
---

(١) في الأصل: «بن عدي» بدل «الساعدي».

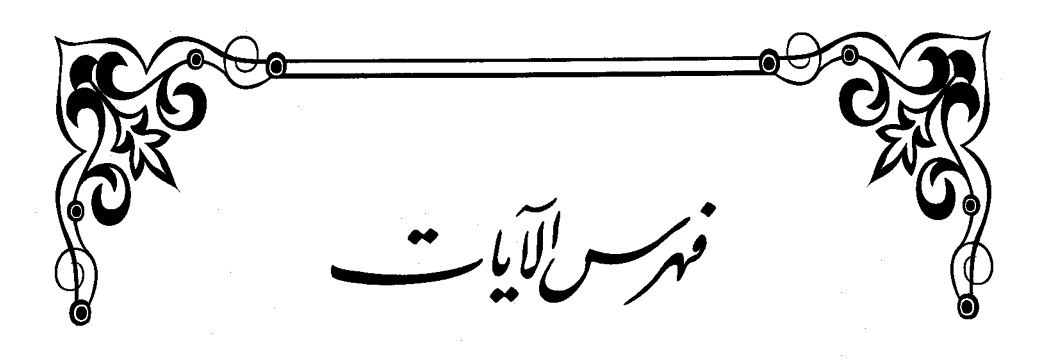
الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ[1].

❐ ❐ ❐

(١) جاء في آخر النسخة الخطية: «ووقع الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة الميمونـة بمدينـة قسطنطينية المحروسة ـ خلَّد الله مُلْك مَلِكِها، ونصره نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً ـ في نهار السبت المبارك، الخامس والعشرين، من شهر جمادى الأولى، من شهور سنة (٩٤٥) هجرية، وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين».




الفهارس العامة



فهرس الآيات

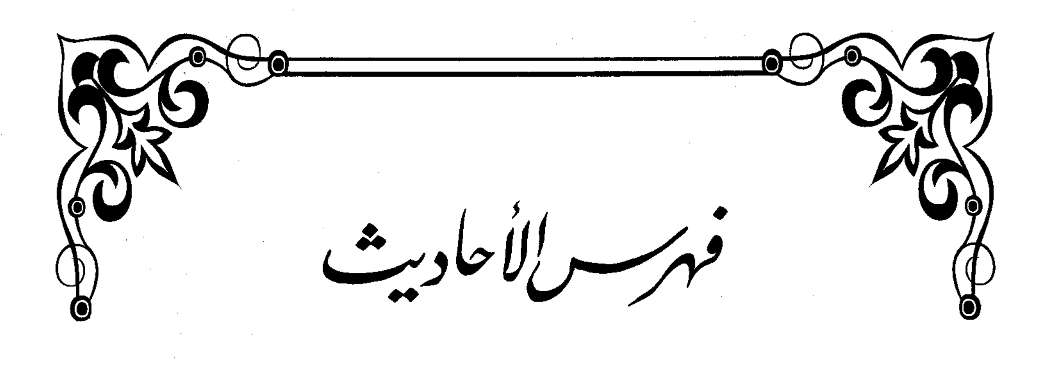
سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ المَائِدَةِ

سُورَةُ الأَنْعَامِ

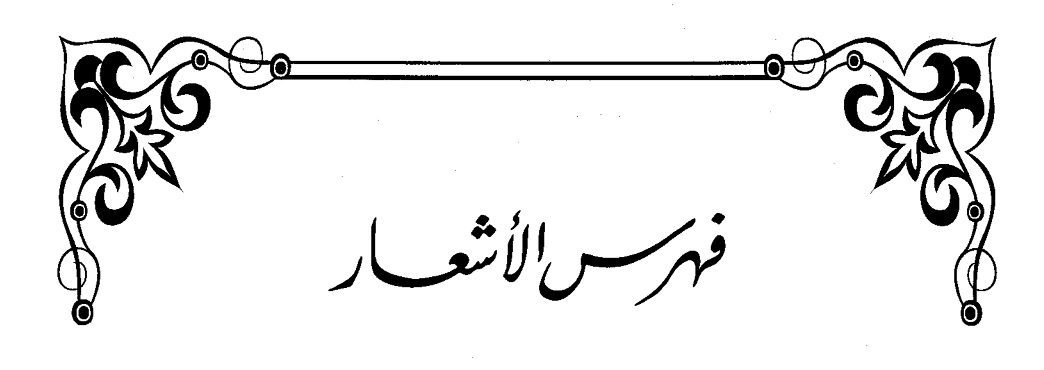
طرف الآية	رقم الآية	ج/ ص
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢	١/ ١٤٢
سورة القمر		
﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾	١	١/ ١٩٤
سورة الرحمن		
﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾	٦٤	٣/ ٢٧٤
سورة الحديد		
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	١٦	٣/ ١٥٠
سورة الممتحنة		
﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾	١٠	١/ ١٤٢
سورة الصف		
﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣	٢/ ٢٩٨
سورة القلم		
﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	١/ ٨١
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١/ ١٩٦
سورة الحاقة		
﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾	٢٧ ـ ٢٨	٣/ ١٥٢

❐ ❐ ❐



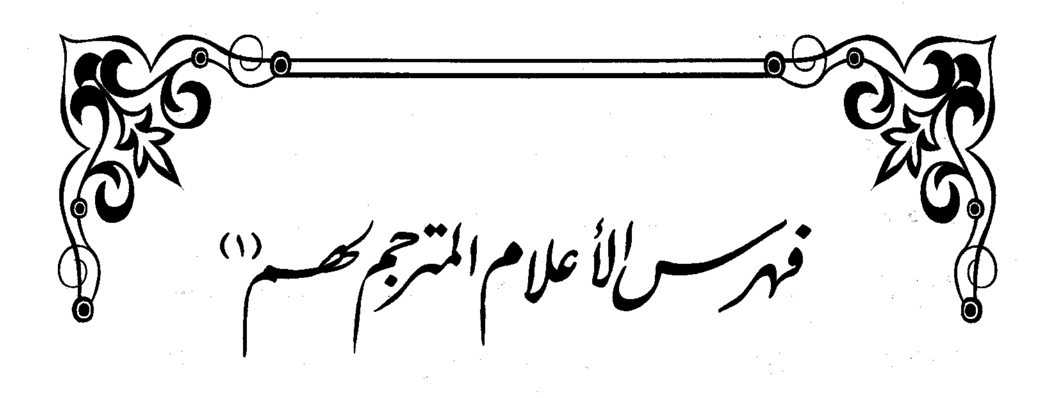
فهرس الأحاديث

❏ ❏ ❏



فهرس الأشعار

□ □ □



(١) أثبتنا الأعلام مرتبة كما أوردها المؤلف ـ رحمه الله ـ في الكتاب.

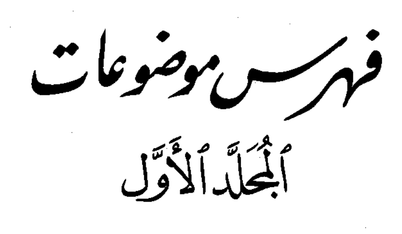
اسم العلم	ج/ ص
٦٦ ـ أبو إسحاق إبراهيم قاضي القضاة، وبرهانُ الدين بن الخطيب عبد الرحيم	٢/ ٣٤١
٦٧ ـ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد	٢/ ٣٤٢
٦٨ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن تقي الدين إسماعيل، القرقشنديُّ	٢/ ٣٤٣
٦٩ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عيسى بن الرصاص	٢/ ٣٤٣
٧٠ ـ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد	٢/ ٣٤٣
٧١ ـ الأمير أينال عبدالله اليوسفي اليلبغاوي	٢/ ٣٤٤
٧٢ ـ الشيخ الناسك أبو بكر بن علي بن عبدالله بن محمد، الشيبانيُّ	٢/ ٣٤٤
٧٣ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الحافظ صلاح الدين خليل	٢/ ٣٤٥
٧٤ ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد	٢/ ٣٤٥
٧٥ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد	٢/ ٣٤٥
٧٦ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر، الصفديُّ الباعونيُّ	٢/ ٣٤٦
٧٧ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد	٢/ ٣٤٧
٧٨ ـ أحمد بن علي بن النقيب	٢/ ٣٤٧
٧٩ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علم الدين	٢/ ٣٤٧
٨٠ ـ الخاصكي	٢/ ٣٤٨
٨١ ـ الحافظ شهاب الدين قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود	٢/ ٣٤٨
٨٢ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الفقيه أمين الدين حسين	٢/ ٣٥٠

اسم العلم	ج/ ص
١١٩ ـ أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم	٢/ ٣٨٨
١٢٠ ـ أبو عبدالله الحارث بن أسد المُحاسبي	٢/ ٣٩١
١٢١ ـ أبو فراس الحارث بن أبي العلاء	٢/ ٣٩١
١٢٢ ـ أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول	٢/ ٣٩٢
١٢٣ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد	٢/ ٣٩٤
١٢٤ ـ أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد	٢/ ٣٩٥
١٢٥ ـ أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون، المهلبيُّ	٢/ ٣٩٦
١٢٦ ـ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد	٢/ ٣٩٨
١٢٧ ـ أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج	٢/ ٣٩٨
١٢٨ ـ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا	٢/ ٤٠٠
١٢٩ ـ أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر	٢/ ٤٠١
١٣٠ ـ أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد	٢/ ٤٠١
١٣١ ـ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي	٢/ ٤٠٢
١٣٢ ـ أبو عمرو، وقيل: أبو يحيى حماد بن عمرو بن كليب	٢/ ٤٠٣
١٣٣ ـ أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي	٢/ ٤٠٤
١٣٤ ـ حُنين بن إسحاق العبادي	٢/ ٤٠٤
١٣٥ ـ أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي	٢/ ٤٠٦
١٣٦ ـ خليفة بن مسعود، المغربيُّ الجابريُّ	٢/ ٤٠٦
١٣٧ ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم	٢/ ٤٠٧

اسم العلم	ج/ ص

اسم العلم	ج/ ص
٣٦٥ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم	٣/ ١٧٣
٣٦٦ ـ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم	٣/ ١٧٤
٣٦٧ ـ أبو عبدالله محمد بن القاسم بن خلاد	٣/ ١٧٥
٣٦٨ ـ أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد	٣/ ١٧٦
٣٦٩ ـ أبو عبيدالله محمد بن عمران	٣/ ١٧٧
٣٧٠ ـ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله	٣/ ١٧٨
٣٧١ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم	٣/ ١٧٩
٣٧٢ ـ أبو سعيد محمد بن أبي السعادات	٣/ ١٨٠
٣٧٣ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي	٣/ ١٨١
٣٧٤ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي محمد	٣/ ١٨٢
٣٧٥ ـ أبو عبد الرحمن محمد بن عبيدالله	٣/ ١٨٢
٣٧٦ ـ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزميُّ	٣/ ١٨٣
٣٧٧ ـ أبو الحسن محمد بن عبيدالله	٣/ ١٨٤
٣٧٨ ـ أبو الحسن محمد بن عبدالله بن محمد	٣/ ١٨٦
٣٧٩ ـ الشريف الرضِيُّ أبو الحسن محمد بن الطاهر	٣/ ١٨٧
٣٨٠ ـ ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار	٣/ ١٨٨
٣٨١ ـ أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك	٣/ ١٨٩
٣٨٢ ـ أبو الفتيان محمد بن سلطان	٣/ ١٩١
٣٨٣ ـ أبو المظفر محمد بن أبي العباس	٣/ ١٩٢

❑ ❑ ❑


فهرس موضوعات

المجلد الأول

[النص المحقق]

قصص الأنبياء والأمم السابقة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الدولة العباسية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة






فهرس موضوعات

المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة

الدولة العلوية الفاطمية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
ذكر سلطنة الملك المعظم ابن العادل	١٠٧
ذكر الملك الأشرف ابن الملك العادل	١١٢
* ذِكْرُ سَلَاطِينَ ٱلْأَيُوبِيّين	١٢٨
سلطنة الملك العزيز عثمان	١٢٨
سلطنة الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان	١٢٩
سلطنة الملك العادل أبو بكر محمد بن أبي الشكر	١٣١
سلطنة أبي المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين	١٣٤
سلطنة الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل	١٣٧
ذكر الحوادث التي وقعت في بيت المقدس	١٣٨
سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل	١٣٨
سلطنة الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح	١٤٢
أخبار شجر الدر	١٤٣
سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركماني	١٤٤
سلطنة الملك الأشرف موسى بن يوسف	١٤٥
سلطنة المعز أيبك التركماني	١٤٦
سلطنة الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك	١٤٧
سلطنة الملك المظفر قُطُز	١٤٨
سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري	١٤٩

الموضوع	الصفحة

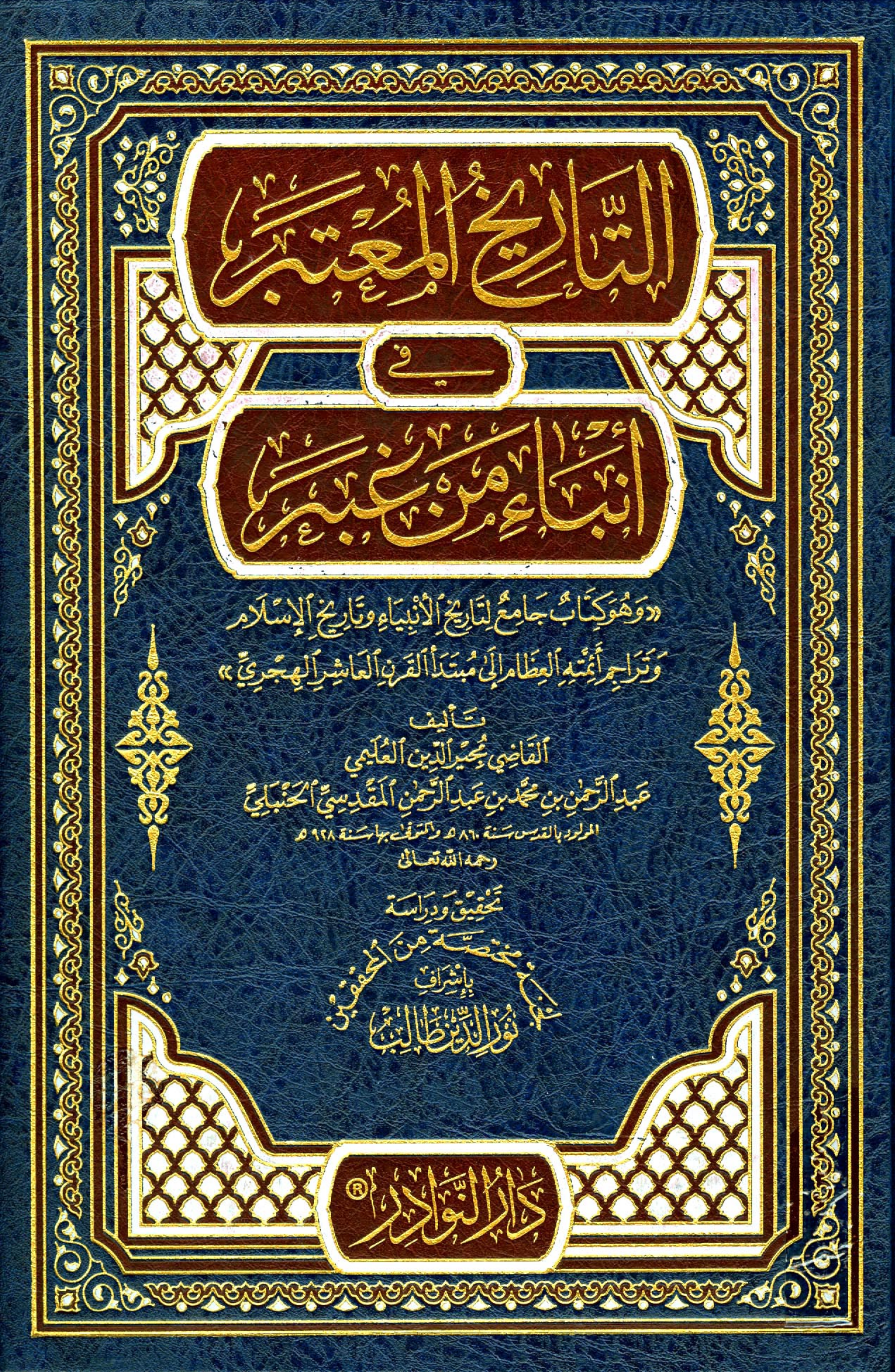
الموضوع	الصفحة
سلطنة الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٧٤
سلطنة الملك سيف الدين حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٧٤
سلطنة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٧٥
سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٧٥
سلطنة الملك الناصر حسن	١٧٦
سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي	١٧٦
سلطنة الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الأمجد حسين	١٧٧
سلطنة الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان	١٧٨
سلطنة الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان	١٧٨
سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى وهو أول الجراكسة	١٧٩
سلطنة الملك الصالح حاجي ابن الملك الأشرف شعبان	١٧٩
سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية	١٨٠
سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الأولى	١٨١
ذكر وقعة تمرلنك	١٨١

الموضوع	الصفحة
سلطنة الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق	٢٠١
سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الثانية	٢٠١
سلطنة أبي الفضل بن المتوكل على الله العباسي	٢٠٢
سلطنة الملك المؤيد شيخ بدمشق	٢٠٢
سلطنة أبي السعادات أحمد ابن الملك المؤيد	٢٠٤
سلطنة الملك الظاهر ططر بن عبدالله الظاهري	٢٠٤
سلطنة الملك الصالح محمد ابن الملك الظاهر ططر	٢٠٥
سلطنة الملك الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري	٢٠٥
سلطنة أبي المحاسن يوسف ابن الملك الأشرف برسباي	٢٠٦
سلطنة الملك الظاهر هقمق العلائي	٢٠٧
سلطنة أبي السعادات عثمان ابن الملك الظاهر جقمق	٢٠٨
سلطنة الملك الأشرف أينال الأتابكي	٢٠٩
سلطنة الملك أحمد ابن الملك الأشرف أينال	٢٠٩
سلطنة أبي سعيد خشقدم المؤيدي	٢١٠
سلطنة أبي سعيد بلباي المؤيدي	٢١١
سلطنة أبي سعيد تمربغا الظاهري	٢١١

الموضوع	الصفحة

تراجم الأعيان

❒ ❒ ❒


التاريخ المعتبر
في
أنباء من غبر
«وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام
وتراجم أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»
تأليف
القاضي مجير الدين العليمي
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي
المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق ودراسة
مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب
دار النوادر ®